الندوة العالمية للشباب الإسلامي

WAMY

١٣٩٢ ١٩٧٢

٢٥ عاماً في خدمة الشباب المسلم

الموسوعة الميسرة

في

الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة

إشراف وتخطيط ومراجعة

د. مانع بن حماد الجهني

المجلد الثاني

الناشر

دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع

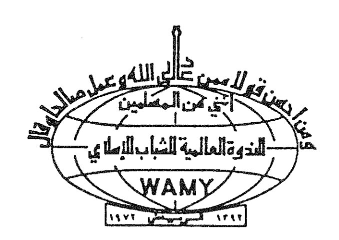
الندوة العالمية للشباب الإسلامي
٢٥ عاماً في خدمة الشباب المسلم

الموسوعة الميسرة

في

الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة

الطبعـة الرابعـة ١٤٢٠هـ



الناشر

دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب : ١٠٨٤٥ الرياض : ١١٤٤٣

ت : ٤٦٤١٦٦٩(٠١) فاكس: ٤٦٤١٧١٠

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ـ ط ٣ - الرياض .

....ص سم .

ردمك : ٧ـ٠٣ـ٦١٦ـ٩٩٦٠ (مجموعة)

٥ـ٠٤ـ٦١٦ـ٩٩٦٠ (ج ٢)

١- الديانات ـ موسوعات ٢- المذاهب - موسوعات أ- العنـوان

ديوي ٢٠٠٣ ١٨/٠١٩٠

رقم الإيداع : ١٨/٠١٩٠

ردمك : ٧ـ٠٣ـ٦١٦ـ٩٩٦٠ (مجموعة)

٥ـ٠٤ـ٦١٦ـ٩٩٦٠(ج ٢)

الموسوعة الميسرة

في

الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة

إشراف وتخطيط ومراجعة

د. مانع بن حماد الجهني

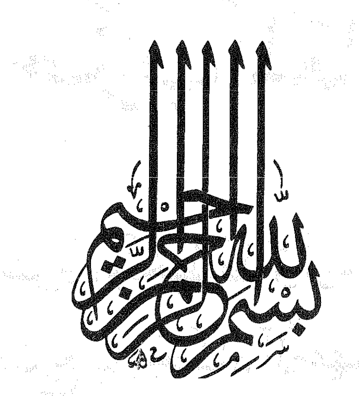
المجلد الثاني

الطبعة الرابعة

منقحة وموسعة

الناشر

دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع



القسم الثالث

النصرانية

وما تفرع عنها من مذاهب وما تأثر بها من فلسفات ولدت في كنف الحضارة الغربية



الفصل الأول

مقدمة عامة

الطريق إلى الله واحد، وهو دين(*) الإسلام، الذي بعث الله به نبيه محمداً، ﷺ، كما بعث به جميع الرسل. ومن محاسن الدين الإسلامي، كما أتى به محمد، ﷺ، أنه جاء ناسخاً لجميع الرسالات السابقة عليه، بسبب ما أصابها من تحريف، كما أنه جاء خاتماً لها، فضلاً عن أنه يلزم كل مسلم، بوجوب الاعتراف بتلك الرسالات، وبرسلها، وبكتبها، كما أنزلت لا كما آلت إليه. فأركان الإيمان: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر(*) خيره وشره، وهكذا فالإيمان بالكتب والرسل السابقة يعد من أصول الإيمان بوجه عام والعقيدة الإسلامية بوجه خاص، وتحقق هذه الأركان فضلاً عن أركان الإسلام والإحسان، هو معيار الصلاح وأساس معرفة الفرقة الناجية، عندما يزيغ عن الإسلام زائغ، أو يحدث فيه ما ليس منه مبتدع؛ ذلك أن الإسلام هو دين عقيدة التوحيد، التي لا تقبل مُبتدع الفرق ولا ضال الطرق.

وعلى العكس من ذلك، فإن كارهي الدين الإسلامي من النصارى، لم يقفوا من الإسلام موقف الاعتراف به كما اعترف هو بدينهم قبل الانحراف، وكتابهم قبل التحريف، وبرسولهم، بل ولا مجرد قبوله كحقيقة عقدية قائمة على أصولها، وإنما اتخذوا موقفاً آخر معادياً له ونافياً لأركانه وأصوله، ومناوئاً لكتابه ورسوله، ﷺ. ويمكن أن يكون هذا واضحاً في كثير من دراسات المستشرقين وأعمالهم. وسبب الكره، كان ينبغي أن يكون أساس الالتقاء، فالإسلام دين يقوم على حقيقة وحدانية الله وعدم الغلوّ(*) في الأنبياء، وعدم القول على الله إلا الحق، والحق أن الله أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأي عاقل لا يجد في هذا القول إلا دعوة لتحكيم العقل(*) لكي يهتدي إلى جوهر النقل، الذي عبر عنه القرآن بأعظم بيان في قوله تعالى مخاطباً أهل الكتاب والمقصود هنا النصارى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا

ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

فبماذا رد النصارى؟ لقد أصروا على التثليث(*)، وغلوا(*) في عيسى بن مريم، ووصفوا محمداً، ﷺ، بأوصاف لا تليق، وهكذا ففي مقابل إيمان المسلمين بعيسى وكتابه كان كفر(*) النصارى بمحمد وكتابه.

ومن هنا انقسم النصارى إلى ثلاثة مذاهب رئيسة: أرثوذكسية وكاثوليكية وبروتستانتية، وهي مذاهب(*) تختلف في أصل الدين(*) وطبيعة المسيح(*)، وهل الله واحد أم ثلاثة، وبداخل كل مذهب وجدت فرق، وتعددت هذه الفرق تعدداً كبيراً بسبب التحريف ودرجاته. ولا شك أن هذا التعدد في الفرق هو تحقيق لحديث رسول الله، ﷺ، الذي رواه الترمذي والذي بين أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة والنصارى افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وجاء في نهايته «**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**».

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك بعض الدراسات الاستشراقية التي تشكك في متن هذا الحديث وتقول إن الترمذي رحمه الله قد أخطأ في فهم الحديث، وأن المقصود هو حديث «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**». . ومن المؤسف حقاً أن تتقبل العقلية الاستشراقية مثل هذا القول.

إن الحق الذي لا مراء فيه أن عقيدة التوحيد في الإسلام، وفي جوهر كل الأديان الأخرى قبل تحريفها قد بدأت تستقطب كثيراً من الدراسات العالمية، فبعض الدراسات التوراتية المتخصصة بدأت تشير إلى التحريف الذي لحق النصرانية، وتأتي بآراء تقترب من الموقف الإسلامي، كما أن بعض الدراسات أثبتت أن التثليث ليس من النصرانية بل من الفلسفة الإغريقية، وهذا ما أكده ليون جوتيه في كتابه **المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية** الذي طبع في باريس عام ١٩٢٣م، وما زال يؤثر في فكر الكثيرين من المحللين المنصفين الذين تأكدوا من أن النصرانية ما كانت في يوم من الأيام دين(*) أقانيم(*) ثلاثة أو دين تثليث(*)، بل إن مجمع نيقية ـ متأثراً بالفلسفة(*) الأفلاطونية ـ هو الذي قال: إن (الكنيسة(*) الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله(*) موجوداً فيه، أو أنه لم يوجد قبل أن يولد، أو أنه وجد من لا شيء أو من يقول إنه خلق، أو من يقول إنه قابل للتغيير).

ونحن نعتقد أنه بقدر ما تعرف النصرانية نفسها على حقيقتها، وبقدر ما تدرس كتبها دراسة موضوعية دقيقة تقترب من الإسلام، وهذا الأمل لن يكون بعيداً لأن الدراسة الحديثة

تتجه إليه .

وهذا يجعلنا نعطي القارىء المسلم فكرة عن حقيقة النصرانية وأفكارها الأساسية، بعد تحريف كتابها، وكيد النصارى من خلالها للإسلام والمسلمين. ثم ننتقل إلى مذاهبها الرئيسية: الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية.

كما يقتضي ذلك إعطاء الشباب المسلم فكرة عن الفرق المعادية للإسلام التي نشأت في كنفها أو انتسبت إليها ونعالج منها:

ـ فرقة الجزويت الكاثوليكية اليسوعية المتعصبة التي لا هدف لها سوى القضاء على الإسلام.

ـ حركة التنصير وهي الحركة التي ظهرت إثر فشل الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة وبخاصة بين المسلمين من أجل القضاء على الإسلام.

ـ والأبوس دي تلك المنظمة السرية التي تسعى إلى سيادة التعاليم الإنجيلية ومن ثم إعلاء النصرانية على حساب الأديان الأخرى كافة.

ـ والمارونية وهي طائفة نصرانية كاثوليكية شرقية تقول بأن للمسيح(*) طبيعتين ومشيئة واحدة، وقد أعلنوا طاعتهم لبابا(*) روما، وتعاونوا مع الصليبيين ضد الإسلام إبان الحروب الصليبية.

ـ المونية وهي حركة(*) مشبوهة تدعو إلى توحيد الأديان(*) في بوتقة دين جديد.

ـ شهود يهوه وهي منظمة سرية تدعي أنها نصرانية وهي تعمل لحساب اليهود، وتتعاون مع المنظمات التبشيرية ضد الإسلام.

ـ والاستشراق وهو تيار فكري يدرس الحضارة الشرقية من خلال نظرة نصرانية ضيقة في أغلب الأحوال، ولذا تأتي الدراسات الاستشراقية في معظمها ضد حقائق الإسلام.

ـ التغريب وهو تيار يهدف إلى صبغ حياة المسلمين بصبغة غربية وإلغاء شخصيتهم المستقلة.

وعندما يقرأ المسلم عن هذه الفرق والمنظمات والتيارات ويقارن بين الدين الإسلامي وبين دين النصارى الحالي، يجد أنه على طريق الحق يسير، وفي سبيل الله يمضي، وعلى ملة النجاة يتجه لا غاية له إلا الله، الواحد الأحد، الذي لا شريك له، والذي لا غُلُوَّ(*) في أنبيائه(*) أو رسله(*)، وعندئذ يفرح الشباب المسلم بأنه على الجادة لا يحيد وعلى طريق الحق لا يتراجع.

الفصل الثاني

٧٣ـ النصرانية

التعريف:

هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أُنزلت على عيسى، عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى، عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة(*) من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، وهذه الرسالة جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات(*) وثنية(*)، فنشأت النصرانية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مرت النصرانية بعدة مراحل وأطوار تاريخية مختلفة، انتقلت فيها من رسالة منزلة من عند الله تعالى إلى ديانة(*) مُحرَّفة ومبدلة، تضافر على صنعها بعض الكهان(*) ورجال السياسة، ويمكن تقسيم هذه المراحل كالتالي:

● **المرحلة الأولى:**

الرسالة المُنزَّلة من عند الله التي جاء بها عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام:

ـ هي رسالة أنزلها الله تعالى على عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، إلى بني إسرائيل بعد أن انحرفوا وزاغوا عن شريعة موسى، عليه السلام، وغلبت عليهم النزعات المادية(*). وافترقوا بسبب ذلك إلى فرق شتى، فمنهم من يؤمن بأن غاية الإنسان هي الحياة الدنيا، حيث لا يوم آخر، ولا جنة ولا نار، ومنهم من يعتقد أن الثواب والعقاب إنما يكونان في الدنيا فقط، وأن الصالحين منهم يوم القيامة سيشتركون في ملك المسيح(*) الذي يأتي لينقذ الناس، ليصبحوا ملوك العالم وقضاته. كما شاع فيهم تقديم القرابين والنذور للهيكل رجاء الحصول على المغفرة، وفشا الاعتقاد بأن رضا الأحبار ودعاءهم يضمن لهم الغفران. لذا فسدت عقيدتهم وأخلاقهم، فجاءت رسالته ودعوته، عليه الصلاة والسلام، داعية إلى توحيد الله تعالى إذ لا رب غيره، ولا معبود سواه، وأنه لا واسطة بين المخلوق والخالق سوى عمل الإنسان نفسه، وهي رسالة قائمة على الدعوة للزهد في الدنيا، والإيمان باليوم الآخر وأحواله، ولذا فإن عيسى، عليه الصلاة والسلام، كان موحِّداً على دين(*) الإسلام ملة(*) إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين.

ـ **المبلِّغ**: عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، أمُّه البتول مريم ابنة عمران أحد عظماء بني إسرائيل، نذرتها أمها عندما حملت بها لخدمة المسجد، وكفلها زكريا أحد أنبياء(*) بني إسرائيل وزوج خالتها، فكانت عابدة قانتة لله تعالى، حملت به من غير زوج بقدرة الله تعالى، وولدته، عليه الصلاة والسلام، في مدينة بيت لحم بفلسطين، وأنطقه الله تعالى في المهد دليلاً على براءة أمه من بهتان بني إسرائيل لها بالزنا، فجاء ميلاده حدثاً عجيباً على هذا النحو ليلقي بذلك درساً على بني إسرائيل الذين غرقوا في الماديات، وفي ربط الأسباب بالمسببات؛ ليعلموا بأن الله تعالى على كل شيء قدير.

ـ بُعث عيسى، عليه الصلاة والسلام، نبيًّا إلى بني إسرائيل، مؤيَّداً من الله تعالى بعدد من المعجزات(*) الدالة على نبوته، فكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، ويبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

كما كان يخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بإذن الله.

وقد أيده الله هو وحواريِّيه(*) بمائدة من السماء أنزلها عليهم لتكون عيداً لأولهم وآخرهم.

ـ تآمر اليهود على قتله برئاسة الحبر الأكبر (كايافاس) وأثاروا عليه الحاكم الروماني لفلسطين (بيلاطس) لكنه تجاهلهم أولاً، ثم لما كذبوا عليه وتقوَّلوا على عيسى، عليه الصلاة والسلام، بأنه يدعو نفسه مسيحاً(*) ملكاً، ويرفض دفع الجزية للقيصر، دفع ذلك الحاكم إلى إصدار أمر بالقبض عليه، وإصدار حكم الإعدام ضده، عليه الصلاة والسلام.

ـ اختفى عيسى وأصحابه عن أعين الجند، إلا أن أحد أصحابه دلَّ جند الرومان على مكانه، فألقى الله تعالى شبه عيسى، عليه الصلاة والسلام، وصورته عليه، ويقال إنه يهوذا الإسخريوطي وقيل غيره، فنُفِّذ حكم الصلب فيه بدلاً من عيسى، عليه الصلاة والسلام، إذ رفعه الله إليه، على أنه سينزل قبل قيام الساعة ليحكم بالإسلام، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ثم يموت كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة.

ـ آمن بدعوة المسيح، عليه الصلاة والسلام، الكثير. ولكنه اصطفى منهم اثني عشر حواريًّا(*) كما هم مذكورون في إنجيل(*) متى.

ـ وهناك الرسل السبعون الذين يقال بأن المسيح(*)، عليه الصلاة والسلام، اختارهم ليعلِّموا النصرانية في القرى المجاورة.

● **المرحلة الثانية:**

ويسميها مؤرِّخو الكنيسة(*) بالعصر الرسولي، وينقسم هذا العصر إلى قسمين:

التبشير وبداية الانحراف، والاضطهاد الذي يستمر حتى بداية العهد الذهبي للنصارى.

● **التبشير وبداية الانحراف:**

بعدما رُفع المسيح، عليه الصلاة والسلام، اشتد الإيذاء والتنكيل بأتباعه وحوارييه بوجه خاص؛ وقُتل يعقوب بن زبدي أخو يوحنا الصياد فكان أول من قتل من الحواريين، وسجن بطرس، وعذب سائر الرسل، وحدثت فتنة عظيمة لأتباع المسيح عليه الصلاة والسلام، حتى كادت الدعوة تفنى.

وفي ظل هذه الأجواء المضطربة أعلن شاول الطرسوسي اليهودي الفريسي، صاحب الثقافات الواسعة بالمدارس الفلسفية والحضارات في عصره، وتلميذ أشهر علماء اليهود في زمانه عمالائيل، أعلن شاول الذي كان يُذيق أتباع المسيح سوءَ العذاب، إيمانه بالمسيح بعد زعمه رؤيته عند عودته من دمشق، مؤنباً له على اضطهاده لأتباعه، آمراً له بنشر تعاليمه بين الأمم، فاستخف الطرب أتباع المسيح، في الوقت الذي لم يصدقه بعضهم، إلا أن برنابا الحواري دافع عنه وقدمه إلى الحواريين(*) فقبلوه، وبما يمتلكه من حدة ذكاء وقوة حيلة ووفرة نشاط استطاع أن يأخذ مكاناً مرموقاً بين الحواريين وتسمى بـ بولس.

ـ انطلق الحواريون للتبشير بين الأمم في البلدان المجاورة، التي سبق أن تعرفت على دعوة المسيح، عليه الصلاة والسلام، أثناء زيارتها لبيت المقدس في عيد العنصرة، وتذكر كتب التاريخ النصراني بأن متّى ذهب إلى الحبشة، وقُتل هناك بعد أن أسس فيها كنيسة ورسَّم ـ عيَّن ـ لهم أسقفها(*). وكذلك فعل مرقس في الإسكندرية بعد أن أسس أول مدرسة لاهوتية وكنيسة فيها بتوجيه من بطرس الذي أسس كنيسة روما وقتل في عهد نيرون عام ٦٢م.

ـ أما بولس فذهب إلى روما وأفسس وأثينا وأنطاكية، وأسسس فيها كنائس نصرانية نظير كنيسة(*) أورشليم ورسَّم لهم أساقفة(*). وفي إحدى جولاته في أنطاكية صحبه برنابا فوجدا خلافاً حادًّا بين أتباع الكنيسة حول إكراه الأمميين(*) على اتباع شريعة التوراة(*) فعادا إلى بيت المقدس لعرض الأمر على الحواريين(*) لحسم الخلاف بينهم.

● **بداية الانحراف:**

ـ فيما بين عام ٥١ ـ ٥٥م عقد أول مجمع يجمع بين الحواريين ـ مجمع أورشليم ـ تحت رئاسة يعقوب بن يوسف النجار المقتول رجماً سنة ٦٢م ليناقش دعوى استثناء الأمميين، وفيه تقرر ـ إعمالاً لأعظم المصلحتين ـ استثناء غير اليهود من الالتزام بشريعة التوراة إن كان ذلك هو الدافع لانخلاعهم من ربقة الوثنية(*)، على أنها خطوة أولى يُلزم بعدها بشريعة التوراة. كما تقرر فيه تحريم الزنا، وأكل المنخنقة، والدم، وما ذُبح للأوثان،

بينما أبيحت فيه الخمر ولحم الخنزير والربا، مع أنها محرمة في التوراة.

ـ عاد بولس بصحبة برنابا إلى أنطاكية مرة أخرى، وبعد صحبة غير قصيرة انفصلا وحدث بينهما مشادة عظيمة نتيجة لإعلان بولس نسخ أحكام التوراة وقوله أنها: «كانت لعنة تخلَّصنا منها إلى الأبد» و«أن المسيح(*) جاء ليبدل عهداً جديداً(*) بعهد قديم(*)» ولاستعارته من فلاسفة اليونان فكرة اتصال الإله(*) بالأرض عن طريق الكلمة، أو ابن الإله(*)، أو الروح القدس(*)، وترتيبه على ذلك القول بعقيدة الصلب والفداء، وقيام المسيح وصعوده إلى السماء؛ ليجلس على يمين الرب ليحاسب الناس في يوم الحشر. وهكذا كرر بولس الأمر مع بطرس الذي هاجمه وانفصل عنه مما أثار الناس ضده، لذا كتب بولس رسالة إلى أهل غلاطية ضمنها عقيدته ومبادئه، ومن ثم واصل جولاته بصحبة تلاميذه إلى أوربا وآسيا الصغرى ليلقى حتفه أخيراً في روما في عهد نيرون سنة ٦٥م.

ـ استمرت المقاومة الشديدة لأفكار بولس عبر القرون الثلاثة الأولى: ففي القرن الثاني الميلادي تصدى هيولتس، وإيبيي فايتس، وأوريجين لها، وأنكروا أن بولس كان رسولاً(*)، وظهر بولس الشمشاطي في القرن الثالث، وتبعه فرقته البولسية إلا أنها كانت محدودة التأثير. وهكذا بدأ الانفصال عن شريعة التوراة، وبذرت بذور التثليث والوثنية في النصرانية، أما باقي الحواريين والرسل(*) فإنهم قُتلوا على يد الوثنيين(*) في البلدان التي ذهبوا إليها للتبشير فيها.

● **الاضطهاد:**

ـ عانت الدعوة أشدَّ المعاناة من سلسلة الاضطهادات والتنكيل على أيدي اليهود الذين كانت لهم السيطرة الدينية، ومن الرومان الذين كانت لهم السيطرة والحكم، ولذلك فإن نصيب النصارى في فلسطين ومصر كان أشد من غيرهم، إذ اتخذ التعذيب والقتل أشكالاً عديدة؛ ما بين الحمل على الخُشُبِ، والنشر بالمناشير، إلى التمشيط ما بين اللحم والعظم، والإحراق بالنار.

ـ من أعنف الاضطهادات وأشدها:

١ ـ اضطهاد نيرون سنة ٦٤م الذي قُتل فيه بطرس وبولس.

٢ ـ واضطهاد دمتيانوس سنة ٩٠م، وفيه كتب يوحنا إنجيله(*) في أفسس باللغة اليونانية.

٣ ـ واضطهاد تراجان سنة ١٠٦م، وفيه أمر الإمبراطور بإبادة النصارى وحرق كتبهم، فحدثت مذابح مُروِّعة قُتل فيها يعقوب البار أسقف(*) أورشليم.

٤ ـ ومن أشدها قسوة وأعنفها اضطهادُ الإمبراطور دقلديانوس ٢٨٤م الذي صمم على ألا يكف عن قتل النصارى حتى تصل الدماء إلى ركبة فرسه، وقد نفذ تصميمه؛ وهدم

الكنائس(*) وأحرق الكتب، وأذاقهم من العذاب صنوفاً وألواناً، مما دفع النصارى من أقباط مصر إلى اتخاذ يوم ٢٩ أغسطس ٢٨٤م بداية لتقويمهم تخليداً لذكرى ضحاياهم.

ـ هكذا استمر الاضطهاد يتصاعد إلى أن استسلم الإمبراطور جالير لفكرة التسامح مع النصارى لكنه مات بعدها، ليعتلي عرش الإمبراطورية قسطنطين.

ـ سعى قسطنطين بما لأبيه من علاقات حسنة مع النصارى إلى استمالة تأييدهم له لفتح الجزء الشرقي من الإمبراطورية إذ يكثر عددهم، فأعلن مرسوم ميلان الذي يقضي بمنحهم الحرية(*) في الدعوة والترخيص لديانتهم ومساواتها بغيرها من ديانات(*) الإمبراطورية الرومانية، وشيَّد لهم الكنائس، وبذلك انتهت أسوأ مراحل التاريخ النصراني قسوة، التي ضاع فيها إنجيل عيسى، عليه الصلاة والسلام، وقُتل الحواريون(*) والرسل، وبدأ الانحراف والانسلاخ عن شريعة التوراة(*)، ليبدأ النصارى عهداً جديداً من تأليه المسيح(*) عليه الصلاة والسلام، وظهور اسم المسيحية(*).

● **نشأة الرهبانية والديرية وتأثير الفلسفة على النصرانية:**

ـ في خلال هذه المرحلة ظهرت الرهبنة(*) في النصرانية في مصر أولاً على يد القديس بولس الطيبي ٢٤١ ـ ٣٥٦م والقديس أنطوان المعاصر له رد فعل على الاضطهاد، إلا أن الديرية ـ حركة(*) بناء الأديرة ـ نشأت أيضاً في صعيد مصر عام ٣١٥ ـ ٣٢٠م أنشأها القديس باخوم، ومنها انتشرت في الشام وآسيا الصغرى. وفي الوقت نفسه دخلت غرب أوربا على يد القديس كاسليان ٣٧٠ ـ ٤٢٥م ومارتن التوري ٣١٦ ـ ٣٨٧م، كما ظهر مجموعة من الآباء(*) المتأثرين بمدرسة الإسكندرية الفلسفية (الأفلاطونية الحديثة) وبالفلسفة(*) الغنوصية(*)، مثل كليمنت الإسكندري ١٥٠ ـ ٢١٥م وأوريجانوس ١٨٥ ـ ٢٤٥م وغيرهما.

● **العهد الذهبي للنصارى:**

ـ يطلق مؤرخو الكنيسة(*) اسم العهد الذهبي للنصارى ابتداء من تربُّع الإمبراطور قسطنطين على عرش الإمبراطورية الرومانية عام ٣١٢م لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل تاريخ النصرانية.

ويمكن تقسيم ذلك العهد إلى مرحلتين رئيسيتين:

● مرحلة جمع النصارى على عقيدة واحدة (عصر المجامع أو عهد الخلافات والمناقشات):

ـ ما إن أعلن قسطنطين إعلان ميلان حتى قرَّب النصارى وأسند إليهم الوظائف الكبيرة في بلاط قصره، وأظهر لهم التسامح، وبنى لهم الكنائس، وزعمت أمه هيلينا اكتشاف

الصليب المقدس، الذي اتخذه شعاراً لدولته بجانب شعارها الوثني، فنشطت الدعوة إلى النصرانية، ودخل الكثير من الوثنيين(*) وأصحاب الفلسفات في النصرانية، مما كان له أثره البالغ في ظهور الكثير من العقائد والآراء المتضاربة، والأناجيل(*) المتناقضة، إذ ظهر أكثر من خمسين إنجيلاً، وكل فرقة تدعي أن إنجيلها هو الصحيح وترفض الأناجيل الأخرى.

ـ وفي وسط هذه العقائد المختلفة والفرق المتضاربة ما بين من يُؤَلِّه المسيح(*) وأمه (الريمتين) أومن يؤله المسيح فقط، أو يدعي وجود ثلاثة آلهة: إله(*) صالح، وإله(*) طالح، وآخر عدل بينهما (مقالة مرقيون). أعلن آريوس أحد قساوسة(*) كنيسة(*) الإسكندرية صرخته المدوية بأن المسيح(*)، عليه الصلاة والسلام، ليس أزليًا، وإنما هو مخلوق من الأب(*)، وأن الابن(*) ليس مساوياً للأب في الجوهر، فالتف حوله الأنصار وكثر أتباعه في شرق الإمبراطورية حتى ساد مذهبه(*) التوحيدي كنائس مصر والإسكندرية وأسيوط وفلسطين ومقدونيا والقسطنطينية وأنطاكية وبابل، مما أثار بطريرك(*) الإسكندرية بطرس ضده ولعنه وطرده من الكنيسة، وكذلك فعل خلفه البطريرك إسكندر، ثم الشماس(*) إثناسيوس، وضماناً لاستقرار الدولة أمر الإمبراطور قسطنطين عام ٣٢٥م بعقد اجتماع عام يجمع كل أصحاب هذه الآراء للاتفاق على عقيدة واحدة يجمع الناس حولها، فاجتمع في نيقية ٢٠٤٨ أسقفاً(*) منهم ٣٣٨ يقولون بألوهية المسيح، وانتهى ذلك المجمع بانحياز الإمبراطور إلى القول بألوهية المسيح ولينفضّ على القرارات التالية:

١ ـ لعْن آريوس الذي يقول بالتوحيد ونفيه وحرق كتبه، ووضع قانون الإيمان النيقاوي (الأثناسيوسي) الذي ينص على ألوهية المسيح.

٢ ـ وضْع عشرين قانوناً لتنظيم أمور الكنيسة والأحكام الخاصة بالأكليريوس(*).

٣ ـ الاعتراف بأربعة أناجيل(*) فقط: (متى، لوقا، مرقس، يوحنا) وبعض رسائل العهد الجديد(*) والقديم(*)، وحرق باقي الأناجيل لخلافها عقيدة المجمع.

ـ للتغلب على عوامل انهيار وتفكك الإمبراطورية أنشأ قسطنطين مدينة روما الجديدة عام ٣٢٤م في بيزنطة القديمة باليونان على نفس تصميم روما القديمة، وأنشا بها كنيسة كبيرة أجياصوفيا ورسم لهم بطريركاً مساوياً لبطاركة الإسكندرية وأنطاكية في المرتبة على أن الإمبراطور هو الرئيس الأعلى للكنيسة. وعُرفت فيما بعد بالقسطنطينية، ولذلك أطلق عليها بلاد الروم، وعلى كنيستها كنيسة الروم الشرقية أو كنيسة الروم الأرثوذكس.

ـ تمهيداً لانتقال العاصمة إلى روما الجديدة (القسطنطينية) اجتمع قسطنطين بآريوس حيث يدين أهل القسطنطينية والجزء الشرقي من الإمبراطورية بعقيدته، وإحساساً منه

بالحاجة إلى استرضاء سكان هذا القسم أعلن الإمبراطور موافقته لآريوس على عقيدته، وعقد مجمع صور سنة ٣٣٤م ليعلي من عقيدة آريوس، ويلغي قرارات مجمع نيقية، ويقرر العفو عن آريوس وأتباعه، ولعن أثناسيوس ونفيه، وهكذا انتشرت تعاليم آريوس أكثر بمساندة الإمبراطور قسطنطين.

● **مرحلة الانفصال السياسي:**

ـ قسَّم قسطنطين الإمبراطورية قبل وفاته عام ٣٣٧م على أبنائه الثلاثة: فأخذ قسطنطين الثاني الغرب، وقسطنطيوس الشرق، وأخذ قنسطانس الجزء الأوسط من شمال أفريقيا، وعمد كل منهم إلى تأييد المذهب(*) السائد في بلاده لترسيخ حكمه. فاتجه قسطنطيوس إلى تشجيع المذهب الآريوسي، بينما شجع أخوه قسطنطين الثاني المذهب الأثناسيوسي مما أصَّل الخلاف بين الشرق اليوناني والغرب اللاتيني.

ـ توحدت الإمبراطورية تحت حكم قسطنطيوس عام ٣٥٣ ـ ٣٦١م بعد وفاة قسطنطين الثاني، ومقتل قنسطانس، ووجد الفرصة سانحة لفرض مذهبه الآريوسي على جميع أجزاء الإمبراطورية شرقاً وغرباً.

ـ لم يلبث الأمر طويلاً حتى اعتلى عرش الإمبراطورية فلؤديوس ٣٧٩ ـ ٣٩٥م الذي اجتهد في إلغاء المذهب الآريوسي والتنكيل بأصحابه، والانتصار للمذهب الأثناسيوسي. ولذا ظهرت في عهده دعوات تنكر الأقانيم(*) الثلاثة ولاهوت الروح القدس(*)، فقرر عقد مجمع القسطنطينية الأول ٣٨٢م، وفيه فرض الإمبراطور العقوبات المشددة على أتباع المذهب الآريوسي. كما تقرر فيه أن روح القدس هو روح الله وحياته، وأنه من اللاهوت(*) الإلهي، وتم زيادته في قانون الإيمان النيقاوي، ولعن من أنكره مثل مكدنيوس، وذلك بالإضافة إلى عدة قوانين تنظيمية وإدارية تتعلق بنظام الكنيسة(*) وسياستها.

● **نشأة البابوية:**

ـ على إثر تقسيم الإمبراطورية إلى شرقية وغربية، ونتيجة لضعف الإمبراطورية الغربية تم الفصل بين سلطان الدولة والكنيسة، بعكس الأمر في الإمبراطورية الشرقية إذ رسخ الإمبراطور قسطنطين مبدأ القيصرية البابوية، ومن هنا زادت سلطات أسقف(*) روما، وتحوَّل كرسيه إلى بابوية لها السيادة العليا على الكنيسة في بلدان العالم المسيحي الغربي (روما ـ قرطاجة). وقد لعب البابا(*) داماسوس الأول ٣٦٦ ـ ٣٨٤م دوراً مهمًّا في إبراز مكانة كرسي روما الأسقفي ـ سيادة البابوية ـ، وفي عهده تم ترجمة الإنجيل(*) إلى اللغة اللاتينية، ثم تابعه خلفه البابا(*) سيري كيوس ٣٨٤ ـ ٣٩٩م في تأليف المراسم البابوية.

● **بداية الصراع والتنافس على الزعامة الدينية بين الكنيستين:**

ـ ظهر الصراع والتنافس بين كنيسة(*) روما بما تدعي لها من ميراث ديني، وبين كنيسة القسطنطينية عاصمة الدولة ومركز أباطرتها في مجمع أفسس الأول عام ٤٣١م، إذ نادى نسطور أسقف(*) القسطنطينية بانفصال طبيعة اللاهوت(*) عن الناسوت(*) في السيد المسيح(*)، عليه الصلاة والسلام، وبالتالي فإن اللاهوت لم يولد ولم يصلب، ولم يقم مع الناسوت، وأن المسيح يحمل الطبيعتين منفصلتين: اللاهوتية والناسوتية(*)، وأنه ليس إلهاً(*)، وأمه لا يجوز تسميتها بوالدة الإله(*)، وقد حضر المجمع مائتان من الأساقفة بدعوة من الإمبراطور ثاؤديوس الصغير، الذي انتهى بلعن نسطور ونفيه، والنص في قانون الإيمان بأن مريم العذراء والدة الإله(*).

ـ وبسبب دعوى أرطاخي باتحاد الطبيعتين في السيد المسيح عقد له أسقف القسطنطينية فلافيانوس مجمعاً محليًّا وقرر فيه قطعه من الكنيسة ولعنه؛ لكن الإمبراطور ثاؤديوس الصغير قبل التماس أرطاخي، وقرر إعادة محاكمته، ودعا لانعقاد مجمع أفسس الثاني عام ٤٤٩م برئاسة بطريرك(*) الإسكندرية ديسقورس لينتهي بقرار براءته مما نسب إليه.

● **انفصال الكنيسة مذهبيًّا:**

ـ لم يعترف أسقف روما ليو الأول بقرارات مجمع أفسس الثاني ٤٤٩م وسعى الإمبراطور مركيانوس لعقد مجمع آخر للنظر في قرارات ذلك المجمع، فوافق الإمبراطور على عقد المجمع في القسطنطينية، ثم في كلدونية ٤٥١م لمناقشة مقالة بابا(*) الإسكندرية ديسقورس: من أن للمسيح طبيعتين في طبيعة واحدة (المذهب(*) الطبيعي ـ المونوفيزتية)، ليتقرر لعن ديسقورس وكل من شايعه ونفيه، وتقرير أن للمسيح طبيعتين منفصلتين. فكان ذلك دافعاً إلى أن لا تعترف الكنيسة المصرية بهذا المجمع ولا بالذي يليه من المجامع. ومنذ ذلك التاريخ انفصلت في كنيسة مستقلة تحت اسم الكنيسة المرقسية ـ الكنيسة الأرثوذكسية ـ أو القبطية تحت رئاسة بطريرك(*) الإسكندرية، وانفصلت معها كنيسة الحبشة وغيرها، ليبدأ الانفصال المذهبي عن الكنيسة(*) الغربية. بينما اعترفت كنيسة أورشليم الأرثوذكسية بقرارات مجمع كلدونية وصارت بطريركية مستقلة تحت رئاسة البطريرك(*) يوفيناليوس.

● **نشأة الكنيسة اليعقوبية:**

ـ واجه الإمبراطور جستنيان ٥٢٧ ـ ٥٦٥م صعوبة بالغة في تحقيق طموحه بتوحيد مذهبي(*) الإمبراطورية لتتحقق له سلطة الإمبراطورية والبابوية معاً. وبعد انتصاره في إيطاليا ودخول جيوشه روما حاول إرضاء زوجته بفرض مذهب(*) الطبيعة الواحدة (المونوفيزتية)

على البابا(*) فجليوس الذي رفض ذلك بشدة، مما عرضه إلى القبض عليه وترحيله إلى القسطنطينية، ليعقد مجمع القسطنطينية الخامس سنة ٥٥٣م الذي انتهى بتقرير مذهب الطبيعة الواحدة، ولعن أصحاب فكرة تناسخ الأرواح(*)، وتقرير أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان شخصية حقيقية وليست بخيالية.

ـ ومن آثار هذا المجمع استقلالُ أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة وإقامةُ كنيسة(*) منفصلة لهم، تعرف بالكنيسة اليعقوبية، تحت رئاسة مؤسسها يعقوب البرادعي أسقف(*) الرَّها مما زاد في عداء البابوية للإمبراطورية الشرقية.

● **نشأة الكنيسة المارونية:**

ـ في عام ٦٧٨ ـ ٦٨١م عمل الإمبراطور قسطنطين الرابع على استرضاء البابا أجاثون بعدما فقد المراكز الرئيسية لمذهب الطبيعة الواحدة في مصر والشام لفتح المسلمين لهما، فتم عقد مجمع القسطنطينية الثالث عام ٦٨٠م للفصل في قول يوحنا مارون من أن للمسيح(*) طبيعتين ومشيئة واحدة. وفيه تقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، ولعن وطرد من يقول بالطبيعة الواحدة أو بالمشيئة الواحدة، ولذلك انفصلت طائفة المارونية ولحقت بسابقتها من الكنائس المنفصلة.

● **انفصال الكنيسة إداريًا:**

ـ جاء هذا الانفصال بعد النزاع والصراع الطويل ابتداءً من الإمبراطور ليو الثالث ٧٢٦م الذي أصدر مرسوماً يُحرِّم فيه عبادة الأيقونات، ويقضي بإزالة التماثيل والصور الدينية والصلبان من الكنائس والأديرة والبيوت على أنها ضرب من الوثنية(*)، متأثراً بدعوة المسلمين لإزالة هذه التماثيل التي بالكنائس في داخل الدولة الإسلامية.

ـ تصدى لهذه الدعوة البابا(*) جريجوري الثاني، ثم خَلَفه البابا جريجوري الثالث ليصدر الإمبراطور قراراً بحرمان الكراسي الأسقفية في صقلية وجنوب إيطاليا من سلطة البابا الدينية والقضائية، وجعلها تحت سلطان بطريرك(*) القسطنطينية. واستمر الوضع على ذلك إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين الخامس ٧٤١ ـ ٧٧٥م، وازدادت الثورات(*) اشتعالاً ضد دعاة اللاأيقونية، فعقد مجمعاً في القسطنطينية لتبرير سياسة تحريم الصور والأيقونات. وقد رفضت البابوية حضوره، ولم يحضره سوى ثلاثمائة وأربعين أسقفاً(*) تحت رئاسة بطريرك القسطنطينية ليقضي بتحريم تصوير المسيح في أي شكل، وكذلك تحريم عبادة صور القديسين، وتحريم طلب الشفاعة من مريم؛ لأن كل هذا من ضروب الوثنية.

ـ ولكن هذه القرارات لم تدم طويلاً إذ أمرت الإمبراطورة الأيقونية إيرين التي خلفت

زوجها الإمبراطور ليو الخزري بعقد مجمع نيقية عام ٧٨٧م بعد تعيينها للبطريرك خرسيوس المتحمس للأيقونية بطريركاً على القسطنطينية، وانتهى المجمع على تقديس صور المسيح ووالدته والقديسين، ووضع الصور في الكنائس(*) والأديرة والبيوت والطرقات بزعم أن النظر إليها يدعو للتفكير فيها.

ـ في عام ٨٦٩م أثار بطريرك القسطنطينية فوسيوس مسألة انبثاق الروح القدس(*) من الآب(*) وحده، فعارضه ـ كالعادة ـ بطريرك روما وقال إن انبثاق الروح القدس من الآب والابن(*) معاً، وعقد لذلك مجمع القسطنطينية الرابع ٨٦٩م (مجمع الغرب اللاتيني) الذي تقرَّر فيه أن الروح القدس منبثقة من الأب والابن معاً، وأن جميع النصارى في العالم خاضعون لمراسيم بابا روما، وأن من يريد معرفة ما يتعلق بالنصرانية(*) وعقائدها عليه برفع دعواه إلى بابا روما. ولذلك تم لعن وعزل فوسيوس وحرمانه وأتباعه، إلا أن فوسيوس استطاع أن يعود إلى مركزه مرة أخرى. وفي عام ٨٧٩م عقد المجمع الشرقي اليوناني (القسطنطينية الخامس) ليلغي قرارات المجمع السابق، ويعلن أن الروح القدس منبثقة من الآب(*) وحده، ويدعو إلى عدم الاعتراف إلا بالمجامع السبعة التي آخرها مجمع نيقية ٧٨٧م.

ـ وهكذا تم الانفصال المذهبي للكنيسة الشرقية تحت مسمى الكنيسة(*) الشرقية الأرثوذكسية، أو كنيسة الروم الأرثوذكس برئاسة بطريرك(*) القسطنطينية، ومذهباً(*) بأن الروح القدس(*) منبثقة من الآب(*) وحده، على أن الكنيسة الغربية، أيضاً، تميَّزت باسم الكنيسة البطرسية الكاثوليكية، وبزعم أن لبابا(*) روما سيادة على كنائس الإمبراطورية وأنها أم الكنائس ومعلمتهن، وتميزت بالقول بأن الروح القدس منبثقة من الآب والابن(*) معاً. ولم يتم الانفصال النهائي ـ الإداري ـ إلا في عام (١٠٥٤م)، وبذلك انتهى عهد المجامع المسكونية، وحلت محلها المؤتمرات الإقليمية أو سلطات البابا المعصوم لتستكمل مسيرة الانحراف والتغيير في رسالة عيسى، عليه الصلاة والسلام.

ـ ومن أبرز سمات هذه المرحلة الأخيرة ـ القرون الوسطى ـ الفساد، ومحاربة العلم والعلماء والتنكيل بهم والاضطهاد لهم، وتقرير أن البابا معصوم له حق الغفران، مما دفع إلى قيام العديد من الحركات(*) الداعية لإصلاح فساد الكنيسة، وفي وسط هذا الجو الثائر ضد رجال الكنيسة انعقد مؤتمر ترنت عام ١٥٤٢ ـ ١٥٦٣م، لبحث مبادىء مارتن لوثر التي تؤيدها الحكومة والشعب الألماني، وانتهى إلى عدم قبول آراء الثائرين أصحاب دعوة الإصلاح الديني. ومن هنا انشقَّت كنيسة جديدة هي كنيسة البروتستانت ليستقر قارب

النصرانية بين أمواج المجامع التي عصفت بتاريخها على ثلاث كنائس رئيسة لها النفوذ في العالم إلى اليوم، ولكل منها نحلة وعقيدة مستقلة، وهي: الأرثوذكس، الكاثوليك، البروتستانت، بالإضافة إلى الكنائس المحدودة مثل: المارونية، والنسطورية، واليعقوبية، وطائفة الموحدين، وغيرهم.

أهم الأفكار والمعتقدات:

يمكن إجمال أفكار معتقدات النصرانية بشكل عام فيما يلي، علماً بأنه سيفصل فيما بينهم من خلاف في المباحث التالية:

● **الألوهية والتثليث**(*): مع أن النصرانية في جوهرها تُعنى بالتهذيب الوجداني، وشريعتها هي شريعة موسى، عليه الصلاة والسلام، وأصل اعتقادها هو دين(*) الإسلام إذ يقول النبي(*) ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**» لكنه بعد ضياع الإنجيل(*) وظهور العشرات من الأناجيل والمجامع والدعاوى المنحرفة استقرت أصول عقائد النصرانية على ما يلي:

ـ **الإله**(*): الإيمان بالله الواحد، الآب(*) مالك كل شيء، وصانع ما يرى وما لا يرى. هكذا في قانون إيمانهم، وواضحٌ تأثُّرهم بألفاظ الفلاسفة في قولهم صانع ما يرى. والأولى قولهم خالق ما يرى وما لا يرى إذ بينهما فرق كبير؛ فالصانع يخلق على أساس مثال سابق، بينما الخالق على العكس من ذلك.

ـ **المسيح**(*): إن ابنه(*) الوحيد يسوع المسيح بكر الخلائق ولد من أبيه قبل العوالم، وليس بمصنوع (تعالى الله عن كفرهم علوًّا كبيراً)، ومنهم من يعتقد أنه هو الله نفسه ـ سبحانه وتعالى عن إفكهم ـ وقد أشار القرآن الكريم إلى كلا المذهبين(*)، وبيّن فسادهما، وكفّر(*) معتقدهما؛ يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾. [التوبة: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾. [المائدة: ٧٢].

ـ **روح القدس**(*): وإن روح القدس الذي حلّ في مريم لدى البشارة، وعلى المسيح(*) في العماد على صورة حمامة، وعلى الرسل من بعد صعود المسيح، والذي لا يزال موجوداً، وينزل على الآباء(*) والقديسين بالكنيسة(*) يرشدهم ويعلمهم ويحل عليهم المواهب، ليس إلا روح الله وحياته، إله(*) حق من إله حق.

ـ **الأقانيم**(*): ولذلك يؤمنون بالأقانيم الثلاثة: الأب(*)، الابن(*)، الروح القدس، بما يُسمونه في زعمهم وحدانية في تثليث(*) وتثليث في وحدانية. وذلك زعمٌ باطل صعُب

عليهم فهمه، ولذلك اختلفوا فيه اختلافاً متبايناً، وكفرت كل فرقة من فرقهم الأخرى بسببه، وقد حكم الله تعالى بكفرهم(*) جميعاً إن لم ينتهوا عما يقولون، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. [المائدة: ٧٣].

ـ **الصلب والفداء**: المسيح في نظرهم مات مصلوباً فداءً عن الخليقة، لشدة حب الله للبشر ولعدالته، فهو وحيد الله ـ تعالى الله عن كفرهم ـ الذي أرسله ليخلص العالم من إثم خطيئة أبيهم آدم وخطاياهم، وأنه دفن بعد صلبه، وقام بعد ثلاثة أيام متغلباً على الموت ليرتفع إلى السماء.

ـ قال تعالى مبيناً حقيقة ما حدث وزيف ما ادعوه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

● **الدينونة والحساب**: يعتقدون بأن الحساب في الآخرة سيكون موكولاً للمسيح(*) عيسى ابن مريم الجالس ـ في زعمهم ـ على يمين الرب في السماء؛ لأن فيه من جنس البشر مما يعينه على محاسبة الناس على أعمالهم.

● **الصليب**: يُعدّ الصليب شعاراً لهم، وهو موضع تقديس الأكثرين، وحملُه علامة على أنهم من أتباع المسيح، ولا يخفى ما في ذلك من خفة عقولهم وسفاهة رأيهم، فمن الأولى لهم أن يكرهوا الصليب ويحقروه، لأنه كان الأداة التي صلب عليها إلههم(*) وهو سبب آلامه. وعلى حسب منطقهم كان الأولى بهم أن يعظموا قبره الذي زعموا أنه دفن فيه، ولامس جسده تربته فترة أطول مما لامس الصليب.

● **مريم البتول**: يعتقد النصارى على ما أضيف في قانون الإيمان أن مريم ابنة عمران والدة المسيح(*) عليه الصلاة والسلام، هي والدة الإله(*)، ولذا يتوجَّه البعض منهم إليها بالعبادة.

● **الدين(*)**: يؤمن النصارى بأن النصرانية دين عالمي غير مختص ببني إسرائيل وحدهم، ولا يخلو اعتقادهم هذا، أيضاً، من مخالفة لقول المسيح المذكور في إنجيل(*) متى، الإصحاح (١٠: ٥، ٦): «إلى طرق الأمم لا تتجهوا، ومدن السامريين لا تدخلوا، بل انطلقوا بالحري إلى الخراف الضالة من آل بني إسرائيل».

● **الكتاب المقدس**: يؤمن النصارى بقدسية الكتاب المشتمل على:

العهد القديم(*): الذي يحتوي على التوراة(*) ـ الناموس ـ وأسفار(*) الأنبياء(*) التي تحمل تواريخ بني إسرائيل وجيرانهم، بالإضافة إلى بعض الوصايا والإرشادات.

العهد الجديد(*): الذي يشمل الأناجيل(*) الأربعة: (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) فقط، والرسائل المنسوبة للرسل، على أن ما في العهد الجديد يلغي ما في العهد القديم(*)، لأنه في اعتقادهم كلمة الله، وذلك على خلاف بين طوائفهم في الاعتقاد في عدد الأسفار(*) والرسائل بل وفي صحة التوراة(*) نفسها.

● **المجامع (التقليد)**: يؤمن النصارى بكل ما صدر عن المجامع المسكونية من أمور تشريعية سواء في العقيدة أو في الأحكام، وذلك على خلاف بينهم في عددها.

● **الشعائر والعبادات**:

ـ **الصلاة**: الأصل عندهم في جميع الصلوات إنما هو الصلاة الربانية، والأصل في تلاوتها أن يتلوها المصلي ساجداً، أو تكون بألفاظ منقولة أو مرتجلة أو عقلية بأن تنوى الألفاظ ويكون الابتهال قلبيًّا، وذلك على خلاف كبير بين طوائفهم في عددها وطريقة تأديتها. ليس لها عدد معلوم مع التركيز على صلاتي الصباح والمساء.

ـ **الصوم**: هو الامتناع عن الطعام الدسم وما فيه شيء من الحيوان أو مشتقاته مقتصرين على أكل البقول، وتختلف مدته وكيفيته من فرقة إلى أخرى.

● **الختان**: يؤمن النصارى بعدم الختان للأطفال على عكس شريعة التوراة.

ـ **الأسرار السبعة**: والتي ينال بها النصراني النعم غير المنظورة في صورة نعم منظورة، ولا تتم إلا على يد كاهن(*) شرعي، ولذا فهي واجبة على كل نصراني ممارستها وإلا أصبح إيمانه ناقصاً. وبالجملة فإنها من ضمن التشريعات التي لم يُنزل الله بها من سلطان، وإنما هي من تخرُّصات البابوات(*).

ـ **سر التعميد**: ويقصد به تعميد الأطفال عقب ولادتهم بغطاسهم في الماء أو الرش به باسم الآب(*) والابن(*) والروح القدس(*)، لتمحى عنهم آثار الخطيئة الأصلية، بزعم إعطاء الطفل شيئاً من الحرية(*) والمقدرة لعمل الخير، وهذا، أيضاً، على خلاف بينهم في صورته ووقته.

ـ **سر التثبيت (الميرون)**: ولا يكون إلا مرة واحدة، ولا تكمل المعمودية(*) إلا به، إذ يقوم الكاهن(*) بمسح أعضاء المتعمد بعد خروجه من جرن المعمودية في ستة وثلاثين موضعاً ـ الأعضاء والمفاصل ـ بدهن الميرون المقدس.

ـ **سر العشاء الرباني**(*): ويكون بالخمر أو الماء ومعه الخبز الجاف؛ إذ يتحول في زعمهم الماء أو الخمر إلى دم المسيح(*)، والخبز إلى عظامه، وبذلك فإن من يتناوله فإنما يمتزج في تعاليمه بذلك، وكذلك ففرقُهم على خلاف في الاستحالة بل وفي العشاء نفسه.

ـ **سر الاعتراف**: وهو الإفضاء إلى رجل الدين بكل ما يقترفه المرء من آثام وذنوب، ويتبعه الغفران والتطهير من الذنب بسقوط العقوبة، وكان الاعتراف يتكرر عدة مرات مدى الحياة، ولكن منذ سنة ١٢١٥م أصبح لازماً مرة واحدة على الأقل، وهذه الشعيرة عندهم، أيضاً، مما اختُلِف في وجوبها وإسقاطها.

ـ **سر الزواج**: يُسمح الزواج بزوجة واحدة مع منع التعدد الذي كان جائزاً في مطلع النصرانية، ويُشترط عند الزواج حضور القسيس(*) ليقيم وحدة بين الزوجين، والطلاق لا يجوز إلا في حالة الزنى ـ على خلاف بينهم ـ ولا يجوز الزواج بعده مرة أخرى، بعكس الفراق الناشيء عن الموت، أما إذا كان أحد الزوجين غير نصراني فإنه يجوز التفريق بينهما.

ـ **سر مسحة المرضى**: وهو السر السادس بزعم شفاء الأمراض الجسدية المتسببة عن العلل الروحية وهي الخطيئة، ولا يمارس الكاهن(*) صلوات القنديل السبع إلا بعد أن يتثبَّت من رغبة المريض في الشفاء.

ـ **سر الكهنوت**: وهو السر الذي ينال به الإنسان بزعمهم النعمة التي تؤهِّله لأن يؤدي رسالة السيد المسيح(*) بين إخوانه من البشر، ولا يتم إلا بوضع يد الأسقف(*) على رأس الشخص المنتخب، ثم يتلو عليه الصلوات الخاصة برسم الكهنة.

ـ **الرهبانية**(*): اختلفت طوائفهم في مدى لزوم الرهبنة التي يأخذ رجال الدين أنفسهم بها.

● **التنظيم الكهنوتي**: تختلف كل كنيسة(*) ـ فرقة ـ عن الأخرى في التنظيم(*) الكهنوتي، ولكنه بوجه عام هو تنظيمٌ استعارته الكنيسة(*) في عهودها الأولى من الرومان إذ كان يرأسها أكبرهم سنًّا على أمل عودة المسيح(*)، ويقدسون رهبانهم(*) ورجال كنيستهم، ويجعلون لهم السلطة المطلقة في الدين(*) وفي منح صكوك الغفران؛ يقول تعالى مبيناً انحرافهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. [التوبة: ٣١].

● **الهرطقة ومحاربتها**: حاربت الكنيسة العلوم والاكتشافات العلمية وكل المحاولات الجديدة لفهم كتابهم المقدس، ورمت ذلك كله بالهرطقة، وواجهت هذه الاتجاهات بمنتهى العنف والقسوة، مما أوجد ردة فعل قوية تمثَّلت في ظهور المذاهب(*) العلمانية والأفكار الإلحادية(*).

ـ الجذور الفكرية والعقائدية:

أساسها نصوص العهد القديم(*)، فقد انعكست الروح والتعاليم اليهودية من خلاله،

ذلك أن النصرانية قد جاءت مكملة لليهودية، وهي خاصة بخراف بني إسرائيل الضالة، كما تذكر أناجيلهم(*).

ـ لقد أدخل أمنيوس المتوفى سنة ٢٤٢م أفكاراً وثنية(*) إلى النصرانية بعد أن اعتنقها وارتدَّ عنها إلى الوثنية الرومانية.

ـ عندما دخل الرومان في الديانة(*) النصرانية نقلوا معهم إليها أبحاثهم الفلسفية وثقافتهم الوثنية، ومزجوها بالمسيحية التي صارت خليطاً من كل ذلك.

ـ لقد كانت فكرة التثليث(*) التي أقرَّها مجمع نيقية ٣٢٥م انعكاساً للأفلوطونية الحديثة التي جلبت معظم أفكارها من الفلسفة(*) الشرقية، وكان لأفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠م أثر بارز على معتقداتها، فأفلوطين هذا تتلمذ في الإسكندرية، ثم رحل إلى فارس والهند، وعاد بعدها وفي جعبته مزيج من ألوان الثقافات، فمن ذلك قوله بأن العالم في تدبيره وتحركه يخضع لثلاثة أمور:

١ ـ المُنشيء الأزلي الأول.

٢ ـ العقل(*).

٣ ـ الروح التي هي مصدر تتشعب منه الأرواح جميعاً.

بذلك يضع أساساً للتثليث إذ إن المنشيء هو الله، والعقل هو الابن، والروح هو الروح القدس(*).

ـ تأثرت النصرانية بديانة(*) متراس التي كانت موجودة في بلاد فارس قبل الميلاد بحوالي ستة قرون وهي تتضمن قصة مثيلة لقصة العشاء الرباني(*).

ـ في الهندوسية تثليث، وأقانيم(*)، وصلب للتكفير عن الخطيئة، وزهد ورهبنة(*)، وتخلُّص من المال للدخول في ملكوت السموات، والإله(*) لديهم له ثلاثة أسماء فهو فشنو(*) أي الحافظ وسيفا(*) المهلك وبرهما(*) المُوجِد. وكل ذلك انتقل إلى النصرانية بعد تحريفها.

ـ انتقلت بعض معتقدات وأفكار البوذية التي سبقت النصرانية بخمسة قرون إلى النصرانية المحرَّفة، وإن علم مقارنة الأديان يكشف تطابقاً عجيباً بين شخصية بوذا(*) وشخصية المسيح(*)، عليه الصلاة والسلام، (انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير).

ـ خالطت عقيدة البابليين القديمة النصرانية إذ إن هناك محاكمة لبعل إله(*) الشمس تُماثِل وتطابق محاكمة المسيح(*)، عليه الصلاةوالسلام.

وبالجملة فإن النصرانية قد أخذت من معظم الديانات والمعتقدات التي كانت موجودة

قبلها، مما أفقدها شكلها وجوهرها الأساسي الذي جاء به عيسى، عليه الصلاة والسلام، من لدن رب العالمين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تنتشر النصرانية اليوم في معظم بقاع العالم، وقد أعانها على ذلك الاستعمار(*) والتنصير الذي تدعمه مؤسسات ضخمة عالمية ذات إمكانات هائلة.

يتضح مما سبق:

● لم تكن عقيدة التثليث(*) معروفة في عصر الحواريين(*) (العصر الرسولي) تقول دائرة المعارف الفرنسية: «وإن تلاميذ المسيح(*) الأوّلين الذين عرفوا شخصه وسمعوا قوله كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكوِّنة لذات الخالق، وما كان بطرس حواريه يعتبره أكثر من رجل يوحى إليه من عند الله». وتستشهد على ذلك بأقوال قدماء المؤرخين مثل جوستن ماراستر من القرن الثاني الميلادي إذ يصرح بأنه كان في زمنه في الكنيسة(*) مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحتاً، وأنه كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما تنصَّر عدد من الوثنيين(*) ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل.

● لضياع النصوص الأصلية من الأناجيل(*) نتيجة للاضطهاد من جانب وللاحتكاك والتأثر بالفلسفات(*) والحضارات الشرقية والوثنية(*) من جانب آخر، حملت الديانة النصرانية المحرفة عوامل اختلافها وتناقض نصوصها، الذي ظهر بشكل واضح من خلال المجامع المختلفة التي عقدت لوضع أصول الدين(*) وتشريعاته بشكل لم يَرِد عن المسيح، عليه الصلاة والسلام، ولا عن حوارييه.

● سيطرت عقائد وأفكار بولس على النصرانية؛ يقول دبليو ريد «إن بولس قد غيَّر النصرانية لدرجة أنه أمسى مؤسسها الثاني، إنه في الواقع مؤسس المسيحية(*) الكنسية». ويؤيده لوني دنيله، وستون استيورت، جيمبرلين في أن بولس أضفى على المسيحية بتمزيقها إطاراً غير اليهودية ولذلك فبات خالق الكنائس(*) التي أسست باسم اليسوع. ويقول لوني نيك: «لو لم يكن بولس لعادت المسيحية فرقة من الديانة اليهودية، ولما كانت ديانة كونية».

● كل ما ذكر عن برنابا وبطرس في رسائل بولس فإنما هي قبل الافتراق، إذ كان لتلاميذ بولس من أمثال لوقا ويوحنا دورٌ كبير في إخفاء تاريخهما بعد الخلاف بينهما، وهذا ما أيدته دائرة المعارف البريطانية من أن قوة نفوذ أتباع بولس أخفت تاريخ كل من يعارض بولس مثل برنابا وبطرس.

ـ هناك رسالتان تُنسبان لبطرس يوافق فيهما أفكار بولس، أثبتت دائرة المعارف البريطانية أنهما ليستا له وأنهما مزوَّرتان عليه إذ تتعلق بتاريخ ما بعد موته، ولم تقبلهما كنيسة(*) روما إلا في سنة (٢٦٤م)، بينما اعترفت بهما الإسكندرية في القرن الثالث، وكذلك بالنسبة للرسالة المنسوبة ليعقوب، يؤكد العلماء عدم صحة نسبتها إليه، أيضاً إذ أوصى يعقوب بولس بأداء الكفارة لخلافه شريعة التوراة(*)، وألزمه بالعمل بها.

● لم تُعرف الأناجيل(*) الأربعة المتفق عليها عند النصارى اليوم المعرفة الكاملة قبل مجمع نيقية (٣٢٥م) إذ تم اختيارها من بين عشرات الأناجيل، وأما الرسائل السبع فلم يعترف المجمع المذكور بالكثير منها، وإنما تم الاعتراف بها فيما بعد.

ـ إن تلاميذ المسيح(*)، عليه السلام، ليسوا بكتَّاب هذه الأناجيل فهي مقطوعة الإسناد، والنصوص الأصلية المترجَم عنها مفقودة، بل نصوص الإنجيل الواحد متناقضة مع بعضها فضلاً عن تناقضها مع غيرها من نصوص الأناجيل الأخرى مما يبطل دعوى أنها كُتبت بإلهام من الله تعالى.

ـ بعد الدراسة المتأنية لنصوص الإنجيل نجد فضلاً عن التناقضات، لا بين نصوص الإنجيل الواحد أو الأناجيل المختلفة فقط، وإنما بين نصوص الأناجيل ورسائل الرسل(*) المزعومة، وأيضاً، بينها وبين نصوص العهد القديم(*) وهذا ما يدلِّل ويؤكد التحريف(*) سواء كان بقصد أو بغير قصد.

ـ هناك مئات النصوص في الأناجيل الأربعة تدل على أن عيسى إنسان وليس إلهاً(*)، وأنه ابن الإنسان وليس ابن الله(*)، وأنه جاء رسولاً(*) إلى بني إسرائيل فقط، مكملاً لشريعة موسى وليس ناقضاً لها.

ـ وهناك نصوص أخرى تدل على أن عيسى لم يُصلب وإنما أنجاه الله ورفعه إلى السماء، وتدحض كذلك عقيدة الغفران، وتبين أن الغفران يُنال بالتوبة وصلاح الأعمال. وهناك نصوص إنجيلية تؤكد بشارة عيسى بالرسول محمد ﷺ.

ـ بل إن هناك نصوصاً عديدة في الرسائل تثبت زيف زعم بولس بأنه يوحى إليه، وتبين كذلك تناقضه مع نفسه ومع عيسى، عليه الصلاة والسلام.

● رأينا كيف تدخلت السياسة والحكام في تقرير عقائد الكنيسة(*) وتبديلها من خلال المجامع المختلفة، وأن الأصل في الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية نشأ لا عن موقف عقدي بقدر ما هو محاولة إثبات الوجود والسيطرة.

● لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن في آيات عديدة إفكَ النصارى وقولهم في

مريم، واعتقادهم في المسيح(*) على اختلاف مذاهبهم(*)، مبيِّناً انحرافهم، ومصحِّحاً عقائدهم، وداعياً إياهم عدم الغلو(*) في الدين(*) وألا يقولوا على الله إلا الحق.

● وعموماً فإن النصارى يُعتبرون بالنسبة للمسلمين أهل كتاب مثل اليهود، وحكمهم في الإسلام سواء، فقد كذَّبوا برسول الله وآياته، وأشركوا بالله، فهم بذلك كفار(*) لهم نار جهنم خالدين فيها. يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾. [البينة: ٦]. لكنهم مع ذلك يعاملون بما أمر الله تعالى به من الإحسان والبر والقسط إليهم، وأكل طعامهم والتزوج من نسائهم، طالما أنهم لم يقاتلونا في الدين(*) ولم يخرجونا من ديارنا، فهم أهل ذمة إذا عاشوا في ديار المسلمين، فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين من الحقوق والواجبات؛ ما لم ينقضوا عهدهم. فإن نكثوا عهدهم وتجرؤوا على الإسلام والمسلمين؛ بأن حاولوا الدعوة إلى باطلهم وكفرهم بين أبناء المسلمين، أو طعنوا في الدين مثلاً، فلابد من قتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

مراجع للتوسع:

- **القرآن الكريم**.
- **قاموس الكتاب المقدس** ـ دار الكتاب المقدس بالشرق الأدنى.
- **الكتاب المقدس**.
- **دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة**، الآب جان كلي، دار المشرق بيروت، ١٩٩٤م.
- **تاريخ الكنيسة جون لوريمر**، دار الثقافة، القاهرة.
- **موسوعة تاريخ الأقباط**. زكي شنودة، مطبعة التقدم، القاهرة.
- **دائرة معارف**.
- **البداية والنهاية**، ابن كثير.
- **الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح**، شيخ الإسلام ابن تيمية ـ مطبعة المدني – القاهرة.
- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ابن قيم الجوزية ـ اعتنى به د. أحمد حجازي السقا ـ المكتبة القيمة القاهرة.
- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، ابن قيم الجوزية ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة.
- **الملل والنحل**، للشهرستاني، طبعة بيروت.
- **الفصل في الملل والأهواء والنِّحل**، لابن حزم ـ دار المعرفة بيروت.

- **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، محمد طاهر التنير ـ تحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوي ـ دار الصحوة القاهرة.
- **الأديان في كفة الميزان**، محمد فؤاد الهاشمي.
- **إنجيل برنابا**، تحقيق أ. د. محمود كريت، شباس الملح، القاهرة.
- **الفارق بين المخلوق والخالق**، عبدالرحمن زادة.
- **المسيحية نشأتها وتطورها**، شار جينيبير، ترجمة الدكتور عبدالحليم محمود، دار المعارف بمصر ١٩٨١م.
- **ما هي النصرانية**، محمد تقي العثماني، مكتبة دار العلوم، كراتشي ١٤٠٣هـ.
- **أديان العالم**، حبيب سعد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، ١٩٧٧م.
- **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، د. رؤوف شلبي، دار الاعتصام بالقاهرة، ١٩٨٠م.
- **أوربا في العصور الوسطى**، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية ط ١٩٩١م، الجزء الأول: التاريخ السياسي، الجزء الثاني: الحضارة والنظم.
- **تاريخ أوربا العصور الوسطى**، د. السيد الباز العريني، دار النهضة العربية بيروت ١٩٦٨م.
- **تاريخ الدولة البيزنطية**، د. نسيم جوزيف، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **النصرانية من الواحد إلى المتعدد**، أبو إسلام أحمد عبدالله، بيت الحكمة – القاهرة.

المراجع الأجنبية

- Ropertson: Pagan Christs.
- Berry: Religions of the World.
- Berry: A History of Freedom of Thought.
- Pfledere: The Early Christian Conception of Christ.
- T.W. Doane: Bible Mythology.
- Harnak: What is Christianity.
- Encyclopedia of Religion and Ethics.
- Khwaja Kamaluddin: The Sources of Christianity.
- H. Maurica Relton: Studies in Christion Dortrine.
- Encyclopedia Britonnica.

الفصل الثالث

ما تفرع عن النصرانية

● الأرثوذكس ● الكاثوليك ● البروتستانت ● فروع أخرى

٧٤ـ الأرثوذكس

التعريف:

هي إحدى الكنائس(*) الرئيسة الثلاث في النصرانية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام ١٠٥٤م، وتمثَّلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الآب(*) وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح(*)، وتُدعى أرثوذكسية بمعنى مستقيمة المعتقد مقابل الكنائس الأخرى، ويتركَّز أتباعها في المشرق، ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

في نهاية القرن التاسع الميلادي، وبالتحديد بعد انقضاء مجمع القسطنطينية الخامس عام ٨٧٩م أصبح يمثل الأرثوذكسية كنيستان رئيستان:

● الكنيسة الأرثوذكسية المصرية أو القبطية(*)، والمعروفة باسم الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية أو كنيسة الإسكندرية، التي تؤمن بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وتضم كنائس الحبشة والسودان، ويوافقها على ذلك كنائس الأرمن واليعقوبية.

● الكنيسة الأرثوذكسية أو كنيسة القسطنطينية، والمعروفة باسم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية، تخالف الكنيسة المصرية في طبيعة المسيح، بينما توافق الكنيسة الكاثوليكية الغربية بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، ويجمعها مع الكنيسة المصرية الإيمان بانبثاق الروح القدس(*) عن الآب وحده، وتضم كنائس أورشليم واليونان وروسيا وأوربا الشرقية.

الكنيسة الأرثوذكسية المصرية:

ـ يدعي أصحابها أن مؤسسها مرقس الرسول عام ٤٥م.

بوادر الانفصال: ظهرت بوادر الانفصال المذهبي للكنيسة المصرية، منذ أن جعل الإمبراطور ثيودوسيوس كنيسة القسطنطينية هي الكنيسة الرسمية للإمبراطورية الشرقية عام ٣٨١م وأن كنيسة الإسكندرية تليها في المرتبة، مما دفع بطريرك(*) الإسكندرية كيرلس عام

٤١٢م إلى تولي زعامة الشعب ضد الإمبراطور وعماله في مصر .

ـ زادت هوَّة الخلاف بين الكنيستين على أثر إعلان نسطور ـ أسقف(*) القسطنطينية ـ مقالته التي تصدى لها كيرلس بطريرك الإسكندرية في مجمع أفسس عام ٤٣١م الذي استطاع استصدار حكم ضد نسطور باللعن والطرد .

الانفصال الرسمي :

ـ بعث فلافيانوس بطريرك القسطنطينية مقالة نسطور مرة أخرى، فتصدى لها ديسقورس بطريرك الإسكندرية في مجمع أفسس عام ٤٤٩م والذي لم يعترف به أسقف روما، فعقد لذلك مجمع كليدونية عام ٤٥١م ليقرر لعن ديسقورس ونفيه، بل وتعيين بطريرك ملكاني خلفاً له، الأمر الذي دفع الكنيسة المصرية لإعلان عصيانها وعدم اعترافها بمجمع كليدونية عام ٤٥١م ولا بقراراته، مما سبَّب عودة الاضطهاد مرة أخرى لحمل الكنيسة المصرية على اتباع عقيدة كنيسة القسطنطينية والتي توافقها عليها الكنيسة الغربية .

ـ هكذا عاشت الكنيسة المصرية سلسلة من المنازعات حول تعيين الأسقف، إلى أن تم الاتفاق عام ٤٨٢م على أن يختار المصريون أسقفهم دون تدخل من الإمبراطور، فكان هذا التاريخ يمثل بداية الانفصال الحقيقي عن كنيسة القسطنطينية .

ـ سرعان ما عاد الاضطهاد مرة أخرى للكنيسة(*) المصرية، بعدما ولَّى هرقلُ المقوقس حُكم مصر بعد استردادها من الفرس عام ٦٢٨م في محاولة منه لتوطيد أركان ملكه عن طريق توحيد عقيدة الإمبراطورية على مذهب(*) الطبيعتين، فلم يألُ المقوقس جهداً في إنفاذ ذلك، كما لم يعدم حيلة، مستخدماً الترغيب تارة، والترهيب والعذاب والتنكيل تارة أخرى، مما دفع بطريرك الكنيسة المصرية بنيامين للهروب إلى الصحراء، وأن يكتب إلى جميع أساقفته باللجوء إلى الجبال والبراري فراراً بعقيدتهم .

● ما إن ظهرت بشائر الفتح الإسلامي منطلقة من الجزيرة العربية حتى رحبت بها الكنيسة المصرية، للتخلص من ظلم واضطهاد إخوانهم نصارى الإمبراطورية البيزنطية .

وما إن وطئت طلائع الفتح الإسلامي أرض مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، ودانت لهم، حتى أُعيد بنيامين بطريرك(*) الكنيسة المصرية إلى كرسيه، واجتمع به عمرو بن العاص، ووافقه على ما أبداه من مقترحات لحفظ كيان الكنيسة(*)، كما وافقه على تشييد ما دعت إليه الحاجة من الكنائس وتجديد وإصلاح البعض الآخر .

ـ تأثر الكثير من النصارى المصريين بعدالة الإسلام، وسماحة مبادئه، حيث ترك لهم حق الاعتقاد وحرية(*) ممارسة العبادة والشعائر الخاصة بهم، كما سمح لهم بالمشاركة في

بعض وظائف الدولة، مما فتح قلوبهم لقبول الحق، والدخول في دين(*) الإسلام أفواجاً، وبذلك صارت اللغة العربية لغتهم ولغة البلاد، وأصبح منهم العلماء والقادة فيما بعد.

● على الرغم من ذلك لم يهدأ لكنيسة روما بال عن فرض سيادتها على كنائس الشرق، مستخدمة في ذلك أساليب الحرب والقوة تارة، والدبلوماسية والمفاوضات تارة أخرى. ففي سنة ١٢١٩م قامت الحملة الصليبية الخامسة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا في محاولة لإخضاع الكنيسة المصرية الأرثوذكسية لمذهب(*) الكنيسة الغربية الكاثوليكية. وقد تمكنت في بادىء الأمر من احتلال مدينة دمياط وفرض بطريرك كاثوليكي من الآباء الفرنسيسكان عليها، ليمثِّل أول وجود كاثوليكي في مصر، فما إن هب المسلمون لصد العدوان حتى انهزمت الحملة وأُسر قائدها وبذلك باءت مخططاتها بالفشل.

ـ وفي سنة ١٧٦٩م أعادت الكنيسة الغربية الكَرَّة، ولكن هذه المرة عن طريق المفاوضات والمصالحة، وعرض انضمام الكنيسة المصرية إليها، ليقابلها بطريرك الكنيسة المصرية يؤانس الثامن عشر بالرفض التام.

● بدأت بوادر حركة إصلاح وتطوير الكنيسة المصرية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وبخاصة في عهد البطريرك كيرلس الرابع ١٨٥٤ ـ ١٨٦٢م «أبو الإصلاح» كما يسميه أتباع الكنيسة لإدخاله العديد من الإصلاحات لمواجهة نشاط الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية، التي زاد نشاطها واستطاعت تأسيس مراكز للدعوة إلى مذاهبهم في صعيد مصر بوجه خاص. وكانت استجابة بعض الأرثوذكس لهم دافعاً للقيام بهذه الإصلاحات وافتتاح مدارس للبنين والبنات، وإنشاء المدرسة البطريركية، بالإضافة إلى إدخال أول مطبعة في مصر.

ـ وبأسلوب آخر تصدى البطريرك(*) ديمتريوس الثاني ١٨٦٢ ـ ١٨٧٤م للتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي في مصر، بإصدار قرارات الحرمان ضد المرسلين الأمريكيين ومن يتصل بهم من الأقباط(*).

ـ ازدادت حملة الكنيسة(*) المصرية ضراوة ضد إرساليات الكنائس الغربية في مصر في عهد البطريرك كيرلس الخامس ١٨٧٤ ـ ١٩٢٧م إذ أغلق مدارسهم، وأصدر قرارات تَعتبر هذه الكنائس وإرساليتها وتابعيها ومن ينضم إليها من الأقباط مهرطقين، ولم يفلح تدخل القنصل الأمريكي وليم تاير والمنصِّر جون هوم في إقناع البطريرك بأن نشاطهم غير موجه ضد الأرثوذكس.

● يُعد حبيب جرجس ١٨٦٧ ـ ١٩٥١م من أبرز رواد الإصلاح والتطوير في الكنيسة

المصرية، إذ أنشأ مدارس الأحد والمدرسة الإكليريكية، ودعم وساهم في العديد من الأنشطة الاجتماعية والثقافية التي توسَّعت بعده إلى حد كبير، فظهرت المجلات والجرائد النصرانية، كما أنشأ العديد من المدارس والمكتبات ودور النشر التي تهتم بنشر التعاليم النصرانية بين المسلمين. وازداد تبعاً لذلك عدد المؤسسات الاجتماعية المختلفة التي تخدم الأرثوذكس، كل هذا بغية التصدي للإرساليات التبشيرية الغربية.

● لكن هذا الموقف الرافض للتعاون أو القبول بوجود الكنائس الغربية بين الأرثوذكسية تغيَّر بشكل ملحوظ أيام الاحتلال الإنجليزي لمصر، الذي ساعد وشجع هذا الاتجاه بما أثار في نفوس الأقباط من أن أرض مصر المسلمة أرض نصرانية وأن المسلمين دخلاء يجب طردهم، وشجع حبيب جرجس على رفع شعار الأمة القبطية مقابل الأمة الإسلامية.

● وفي عهد الخديوي إسماعيل دخل عدد كبير من الأرثوذكس القضاء والمجالس النيابية وكلفوا بالخدمة العسكرية، وظهرت في الساحة السياسية أسماء كبيرة متعاونة مع الاستعمار الإنجليزي مثل بطرس باشا غالي ويوسف باشا سليمان.

ـ بعد مؤتمر ١٩١٠م الذي انعقد بمناسبة مقتل بطرس باشا غالي، زاد نفوذهم السياسي وبخاصة بعد انضمامهم إلى حزب(*) الوفد وتولِّي مكرم عبيد منصب نائب رئيس الحزب.

● في عهد البطريرك يوساب الثاني أصدر القس إبراهيم لوقا مجلة **اليقظة** للدعوة إلى تقارب الكنيستين(*): البروتستانتية الأسقفية والقبطية(*)، كما دعا إلى أن الوقت قد حان لأن يتبادل قسوس(*) الطوائف النصرانية(*) المختلفة الوعظ في كنائسهم.

ـ في عام ١٩٢١م عُقد مؤتمر حلوان بضاحية حلوان بمصر لعموم الكنائس الشرقية والغربية بهدف توحيد جهود الكنائس(*) لتنصير المسلمين لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الكنيسة المصرية.

ـ وإمعاناً في التقارب انضمت الكنيسة المصرية إلى عضوية مجلس الكنائس العالمي الذي أنشىء عام (١٩٤٦م).

● في عام (١٩٥٢م) عاد الأقباط مرة أخرى إلى الانزواء داخل الكنيسة لخوفهم من حكومة جمال عبدالناصر، ومن ثم هاجر الكثير منهم إلى أوربا وأمريكا، مما كان لذلك أكبر الأثر في تحويل الرأي العام الغربي نحو الكنيسة الأرثوذكسية المصرية، ومساندتها وممارسة الضغط السياسي والاقتصادي على الحكومة المصرية لتحقيق مركز ديني وسياسي واجتماعي متميز للأقباط الأرثوذكس في مصر.

● وفي هذه الأثناء أعلن إبراهيم فهمي المحامي أحد خريجي مدارس الأحد تأسيس جماعة الأمة القبطية وأنشأ لها فروعاً على مستوى محافظات مصر. وقد دعا إلى إحياء مفهوم الأمة القبطية من خلال التمسك بالعادات والتقاليد الكنسية، وبإحياء اللغة القبطية، واستخدام التقويم القبطي، وكذلك بإصدار الجرائد والمجلات التي تهتم بالأقلية القبطية، وهكذا تطور معه الأمر إلى أن أعلن بياناً يطالب فيه بالحكم الذاتي لأقباط مصر.

- في عام ١٩٥٤م قامت جماعة الأمة القبطية باختطاف البطريرك(*) يوساب الثاني وإجباره على توقيع وثيقة تنازل عن كرسي البابوية، ودعوة المجمع المقدس للانعقاد، ووضع وثيقة جديدة لانتخاب البطريرك(*) تشارك فيها كل الطوائف النصرانية، لذلك ألقت الحكومة المصرية القبض على زعيم الجماعة واعتقلت أفرادها، ثم قامت بحلها وإعادة البطريرك إلى كرسيه.

● خطا البطريرك(*) كيرلس السادس ١٩٥٩ - ١٩٦٩م خطوات جديدة نحو تطوير الكنيسة(*)؛ إذ أنشأ العديد من الأسقفيات، منها أسقفيات الخدمات ومهمتها العلاقات الخارجية والاتصال بالكنائس الأخرى، سواء أكانت بالكنائس الغربية ومؤسساتها أم بالكنائس القبطية(*) خارج مصر، وأسقفية للخدمات والشؤون المالية مهمتها جلب فرص العمل للأقباط، والحصول على توكيلات أكبر البنوك والشركات في العالم، وأسقفية البحث العلمي ومهمتها إنشاء معهد عالٍ للدراسات القبطية، وإصدار طبعات جديدة للكتاب المقدس، ووضع دائرة معارف قبطية، كما أنشأ أسقفية للتربية الكنسية مهمتها الإشراف على كليات اللاهوت ومدارس الأحد وجميع شؤون التعليم والتربية الكنسية. واستغلالاً للثقل الدولي للكنيسة بعد انضمامها إلى مجلس الكنائس العالمي، ومجلس الكنائس العالمية العاملة في أفريقيا، وتعاونها مع مجلس كنائس أمريكا زاد الضغط على الحكومة لإلغاء النظام الهمايوني الذي أصدرته الدولة العثمانية في عام ١٨٥٦م كنظام إصلاحي لتنظيم بناء وترميم الكنائس النصرانية داخل الدولة. وبالفعل تمت الاستجابة لمطلبهم، وأنشىء العديد من الكنائس، منها كاتدرائية القديس مرقس بميدان العباسية بالقاهرة عام ١٩٦٧م، وتم إصلاح الأديرة وتعميرها وتحويلها من أماكن للعبادة إلى مراكز إنتاجية ومراكز اتصالات واسعة ومؤثرة على شؤون الكنيسة؛ مستخدمة في ذلك الدعم السخي والأموال الطائلة من الكنائس الغربية والقبطية في الخارج.

● في عام ١٩٧١م تولى البابا(*) شنودة الثالث رئاسة الكنيسة المصرية واسمه نظير جيد، تخرج من كلية الآداب جامعة القاهرة، والتحق بالقوات المسلحة كضابط احتياط، ثم

عمل صحفيًّا وكاتباً وشاعراً، وتسمى بعد ترهبُنه باسم شنودة الثالث. وللأب شنودة الثالث درس أسبوعي ـ درس الجمعة ـ ظل محافظاً على إلقائه في كاتدرائية العباسية منذ افتتاحها. وكان لدرسه هذا الأثر الكبير في تكوين وانتشار الأسر الدينية النصرانية في أروقة الجامعات المصرية المختلفة.

ـ في عهده زاد التوجه السياسي للكنيسة المصرية وتقديم مفهوم جديد للنصرانية على أنها دين(*) ودولة، مستخدماً في ذلك سياسة الانتشار الدولي، والتقارب مع الكنائس الغربية ومؤسساتها لدعم السياسات الداخلية للكنيسة وتحقيق أغراضها، كما أعلن عن تنظيمات جديدة للكنيسة، ودعا إلى تطوير الكلية الأكليريكية وإعادة الكنيسة(*) إلى مكانتها العالمية، فزاد اهتمامه بإنشاء الكنائس في الخارج ورسِّم الأساقفة لها، من أجل ذلك تعددت جولاته ولقاءاته. ومن أبرز هذه اللقاءات: لقاؤه ببابا(*) الفاتيكان بولس السادس عام ١٩٧٣م، الذي تمت فيه المصالحة بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية والكنيسة المصرية الأرثوذكسية، وتوقيعه وثيقة رفع الحرم المتبادل بين كنيسته والكنائس الأرثوذكسية الكندونية في مشميزي عام ١٩٩٠م. والاتفاق أيضاً على تحقيق الوحدة بين كل الكنائس النصرانية، وزيارته لرئيس أمريكا كارتر عام ١٩٧٧م والتي كان لها أثرها السياسي والديني لصالح الكنيسة المصرية.

ـ تحت رئاسة وإشراف البابا شنودة تعددت الاجتماعات ذات الصبغة الدينية والسياسية، التي تطالب بإعطاء الكنيسة الأرثوذكسية في مصر دوراً فاعلاً في السياسة، وأن يكون لها نصيبها من المناصب الوزارية. كما دعت الحكومة المصرية إلى التخلي عن فكرة تطبيق الشريعة الإسلامية(*)، والموافقة على إنشاء جامعة للأقباط على غرار جامعة الأزهر. ومن أشهر هذه الاجتماعات اجتماع الكنيسة المرقسية بالإسكندرية عام ١٩٧٣م واجتماع الإسكندرية عام ١٩٧٧م، واجتماع تدريب مدرسي ومدرسات وخدام الدين النصراني في كنيسة مارجرجس بدمنهور في ٢٧ ـ ٢٨ يناير ١٩٧٧م، واجتماع المحامين الأقباط بالإسكندرية. كما اهتم بزيادة عدد الأبروشيات، إذ ارتفعت إلى ثلاث وخمسين أبرشية بدلاً من ثلاث وعشرين في عهد سلفه، وبالتالي زاد عدد الأساقفة إلى اثنين وستين أسقفًا.

ـ وزادت في عهده أيضاً وبشكل ملحوظ النشرات والكتب، وحملات التنصير والاستفزاز للمسلمين، مما أشعل المواجهات بين المسلمين والنصارى فيما عرف بأحداث الفتنة الطائفية (الزاوية الحمراء ومناطق مختلفة من صعيد مصر) وهذا ما دعا الرئيس السابق لمصر ـ السادات ـ إلى عزله ونفيه في دير وادي النطرون، وقد أفرج عنه وعاد إلى كرسيه في عهد الرئيس الحالي لمصر حسني مبارك.

ـ نتيجة للمنحى الجديد للكنيسة المصرية في عهد البابا(*) شنودة الثالث، ظهرت داخل الكنيسة(*) اتجاهات أخرى تعارضه، ويمكن تقسيم اتجاهات الكنيسة في عهده إلى:

١ ـ اتجاه علماني: يؤكد انفصال الدين(*) عن الدولة في النصرانية(*) ويرى أن الكنيسة في هذا العصر خرجت على النصرانية الصحيحية - بزعمهم - لخلطها بين الدين والدولة، كما يطالب بأهمية قيام الكنيسة بواجبها الديني وابتعادها ورجال الكنيسة عن السياسة. ومن أبرز ممثلي هذا التيار المهندس ميلاد حنا الخبير الإسكاني وأحد رموز الحركة اليسارية في مصر.

٢ ـ اتجاه انعزالي كنسي: يدعو إلى تبني الكنيسة للخطاب الديني المحض، ويتجه إلى إصلاح الأديرة وتطويرها، ويمثّله الأب متى المسكين واسمه يوسف إسكندر ـ صيدلي ـ انقطع للرهبنة في دير أبي مقّار قرب الإسكندرية.

٣ ـ اتجاه روحي انعزالي: يدعو إلى تكفير(*) كل من يخالفه من المسلمين والأقباط على حد سواء، مستخدماً في محاربتهم الحرب الروحية بصراع الأرواح الشريرة. كما يدعو إلى محاربة التلفزيون كأحد أساليب مملكة الشر، وإلى مواجهة المجتمع والدولة سواء كانوا مسلمين أو نصارى مواجهة علنية. وإلى هذا الاتجاه تُنسب الحوادث الأخيرة من إغماء الفتيات المسلمات في شوارع مصر، ويمثل هذا التيار الأب دانيال البراموسي خريج كلية الهندسة، وصاحب النشاط المؤثر بين الشباب النصراني في صعيد مصر خاصة، والقمص زكريا بطرس كاهن كنيسة(*) مارجرجس بمصر الجديدة ١٩٧٩م الذي أُبعد عن منصبه وحُرم من الوعظ لمهاجمته الدولة ودعوته لتنصير المسلمين بشكل علني.

٤ ـ اتجاه شمولي: يرى أن الكنيسة(*) مؤسسة شاملة مكلفة بأن تقدم الحلول لكل المشكلات، والأجوبة لكل الأسئلة المتصلة بالدين(*) والدنيا، ويمثله البابا(*) شنودة الثالث، والأنبا غريغوريوس أسقف(*) البحث العلمي، واسمه وهيب عطا حاصل على دكتوراه في فلسفة اللغات.

٥ ـ اتجاه توفيقي: يرى أن للكنيسة دوراً دينيًا ذا بعد وطني، يحتِّم عليها أداء أدوار وطنية محددة؛ مثل الوقوف في وجه المستعمر(*) مع البعد عن الأمور السياسية، ويمثله المفكر القانوني وليم سليمان قلادة.

على الرغم من الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية:

ـ رغم الانفصال المذهبي(*) للكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية تحت اسم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية، برئاسة بطريرك(*) القسطنطينية بعد رفض قرارات مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٩٦م إلا أنها خضعت إداريًا للكنيسة الغربية تحت رئاسة

بابا(*) روما حتى الانفصال النهائي عام ١٠٥٤م.

ـ توسعت الكنيسة(*) البيزنطية في القرن التاسع في أوربا الشرقية؛ فأسست في بلغاريا كنيسة وأصبحت النصرانية الدين(*) الرسمي للدولة بعدما أُجْبر الحاكم البلغاريْ بوريس الأول ٨٥٢ ـ ٨٨٨م على قبول المعمودية من الإرساليات التبشيرية.

ـ عمل خليفته القيصر سيمون ٨٩٣ ـ ٩٢٧م على حماية الكنيسة، وجعل اللغة السلافية لغة الطقوس الكنيسية بدلاً من اليونانية، وفي عهده استقلت الكنيسة البلغارية في بطريركية مستقلة.

ـ أثناء حكم الإمبراطور باسل الثاني ٩٧٦ ـ ١٠٢٥م توطدت دعائم الكنيسة(*) الأرثوذكسية السلافية على يد مبشري الدولة البيزنطية مثل القديسين كيرلس، وميثيوديوس والمعروفين برسل السلاف، ولذلك حيكت ضد الإمبراطور المؤامرات مما اضطره إلى الاستعانة بأمير كييف فلاديمير ٩٧٨ ـ ١٠١٥م للتصدي لها، فكان ذلك سبباً في اعتناق فلاديمير النصرانية على المذهب(*) الأرثوذكسي عام ٩٩٠م لتنضم روسيا إلى الكنيسة الأرثوذكسية، وتصبح كنيستها أحد فروع الكنيسة اليونانية.

ـ في الفترة ما بين القرنين العاشر والخامس عشر ظهرت داخل الأرثوذكسية فرقة البوجوميلي نسبة إلى مؤسسها القس(*) بوجوميل على أنها حركة سلافية تهدف إلى الإصلاح باسم الكنيسة الأرثوذكسية البلغارية، متأثرة في ذلك بآراء الثنوية(*) والمانوية الحديثة. ولذلك فإنها تؤمن بأن العالم المرئي مملوء بالشر، كما تعارض عقيدة التجسد النصرانية من جانبها المادي، وترفض التعميد(*)، وتحتقر الصليب والمعجزات والكنائس الضخمة، ونظام الكهنة. وبالجملة ترفض النظام الكنسي العام. وسرعان ما انتشرت في البلدان الخاضعة للإمبراطورية البيزنطية مما أدى إلى الحكم بهرطقتها، وإنزال العذاب الشديد بأتباعها، وحرق قائدهم في القسطنطينية أمام الجماهير الحاشدة.

● أراد ميخائيل كيرولاريوس بطريرك(*) القسطنطينية عام ١٠٥٣م الانفصال النهائي عن سلطة الكنيسة الغربية ليصبح إمبراطوراً وبطريركاً، مساوياً لبابا(*) روما، فاستغل الاضطراب السياسي في الإمبراطورية البيزنطية وأعلن أن البابوية في روما أصبحت ألعوبة في يد رجال الدولة الغربية، وأن تقاليد الكنيسة الغربية فيها كفر(*) ومخالفة للتعاليم النصرانية(*) الأولى؛ فتصدّى له بابا(*) روما ليو التاسع وقضى على حركته باستمالة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع إلى جانب دعواه بأحقيَّة سيادة الكنيسة(*) الغربية على الكنيسة الشرقية.

ـ ما لبث أن توفى بابا روما ليو التاسع عام ١٠٥٤م فاستغل بطريرك القسطنطينية الفرصة

السانحة ليجمع حول دعوى الانفصال رجالَ الكنيسة الشرقية مرة أخرى، إذ خضع لرأيهم الإمبراطور وأعلن رسميًّا استقلال الكنيسة الشرقية استقلالاً تامًّا عن الكنيسة الغربية؛ لتصبح كنيسة أجا صوفيا التي أعاد بناءها الإمبراطور جستنيان في القرن السادس مركزاً للحياة الدينية في الكنيسة الأرثوذكسية.

● في عهد البابا أنورث الثالث ١١٩٨ ـ ١٢١٦م انطلقت الحملة الصليبية الرابعة لاحتلال القسطنطينية والقضاء على كنيستها لتحقيق وحدة الكنيسة المسيحية(*) على مذهب(*) روما الكاثوليكي.

ـ دخلت الحملة الصليبية الرابعة القسطنطينية عام ١٢٠٤م كالجراد المنتشر، فأتت على الأخضر واليابس، فلم تترك فيها حرمة إلا انتهكتها، ولا ديراً ولا كنيسة إلا خربتها بعد نهب ما فيها من تحف وثروات. ولما استقر لهم الأمر ودانت لهم الإمبراطورية تم تقسيمها وعاصمتها على زعماء الحملة، وانتُخب بلدوين دي فلاندرز إمبراطوراً للإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤ ـ ١٢٦١م وعُين البطريرك(*) الكاثوليكي توماس مورسيني بطريركاً لكنيستها، مما زاد من حنق ونفور البيزنطيين من الغرب وكنيسته.

● بعد عودة كنيسة القسطنطينية إلى سيادة الإمبراطورية البيزنطية، قامت محاولات عديدة لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية خلال الفترة من منتصف القرن الثالث عشر حتى بدايات القرن الخامس عشر الميلادي من أهمها:

ـ ما قام به الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن ١٢٥٩ ـ ١٢٨٢م بالتعاون مع بابا روما نيقولا الثالث ١٢٧٧ ـ ١٢٨٠م والمتحمس لهذا الأمر، لكنها باءت بالفشل للمعارضة الشديدة من بطريرك القسطنطينية الذي أصدر قراراً بحرمان الإمبراطور ميخائيل الثامن، وأيَّده على ذلك بابا روما مارتن الرابع بقرار حرمان آخر للإمبراطور.

ـ محاولة أخرى قام بها الإمبراطور البيزنطي مايكل فلايولتوس أثناء مواجهته لملك صقلية شارل أونجو إذ أرسل اعترافاً إلى البابا(*) جورج العاشر بسيادة الكنيسة(*) الغربية، وبذلك نجح الإمبراطور في فرض بطريرك(*) كاثوليكي شرقي يدعى جون بيكوس على رئاسة كنيسة(*) القسطنطينية، وما إن مات الإمبراطور حتى رفض المجلس الأرثوذكسي هذا الاعتراف.

ـ ومن آخر محاولات التوحيد في تلك الفترة ما قام به المجمع الذي عقد في فرارا ثم فلورنس امتداداً لمجمع بال لمواجهة نشاط العسكرية الإسلامية التي طوَّقت القسطنطينية، وقد نجح هذا المجمع في أن يقبل الأرثوذكس معظم النقاط التي عرضها الإمبراطور جون الثامن، وعلى الرغم من توقيع الإمبراطور البيزنطي حنا السادس عليها إلا أنها لم تتم

للمعارضة الشديدة من الشعب وخدام كنيسة القسطنطينية، بالإضافة إلى معارضة بطاركة كنائس الإسكندرية وأنطاكية وبيت المقدس.

ـ في منتصف القرن التاسع عشر ارتفعت من جديد نداءات الاتحاد بين الكنيستين: ففي عام ١٨٤٨م وجَّه البابا بيوس التاسع نداءه إلى الكنائس الشرقية للاتحاد مع كنيسة روما إلا أنه رُفِضَ كما رفض غيره من قبل.

● في عهد الأمير إيفان الأول ١٣٢٨ ـ ١٣٤١م أصبحت موسكو المركز الروحي لروسيا بانتقال رئيس أساقفة(*) روسيا من كييف إلى موسكو.

ـ تمتعت كنيسة روسيا بحماية ملوك المغول، وعدم تدخلهم في سياستها مما ضاعف من نفوذها وثرواتها.

● في مايو ١٤٥٣م فتحت جيوش السلطان العثماني محمد الفاتح مدينة القسطنطينية، فأمَّن أهلها وطمأنهم على أنفسهم وأعراضهم، ومنحهم حق الاعتقاد وحرية ممارسة الشعائر والعبادات الخاصة بهم، وأعلن الكثير منهم إسلامهم، ومن ثم أمر بتحويل كنيسة أجا صوفيا إلى مسجد. في الوقت نفسه اجتمع مع الأساقفة وهدَّأ من روعهم، وأمر بتنصيب بطريرك(*) جديد، فانتخبوا جليارنوس الذي استقبله السلطان محمد الفاتح بحفاوة وإكرام بالغ.

ـ جعل السلطان بطريرك القسطنطينية رئيس النصارى الديني والمدني، وجرى تقسيم الكنيسة الأرثوذكسية البلقانية إلى وحدات قومية، أصبحت القسطنطينية مركزاً لليونان، وأصبح للصرب بطريرك خاص في بيج بيوغسلافيا، وللبلغار مطرانيتهم في أوهريد. أما سكان رومانيا فكان لهم مؤسسات دينية مشابهة، وعهدت الحكومة العثمانية للكنيسة بسلطة إدارة العديد من الوظائف والمهام الدينية والمدنية. وبذلك أصبحت الكنيسة(*) جزءاً من الجهاز الحكومي. وهكذا مارس بطريرك القسطنطينية سلطات أوسع من السلطات التي كانت مُخوَّلة له عام ١٥٨٨م في الدولة البيزنطية، وجرت أعيادهم وعبادتهم بحرية(*) أوسع تحت حماية الدولة العثمانية.

● استقلت الكنيسة الروسية ببطريركية مستقلة عام ١٥٨٨م وأبطلت سيادة كنيسة القسطنطينية عليها بعد فرار البطريرك(*) اليوناني من القسطنطينية إلى موسكو.

ـ وفي عام ١٥٨٩م عين الإمبراطور فيودا الأول أول بطريرك روسي، وحمل بطاركة الشرق على الاعتراف به عام ١٥٩٣م.

ـ أصبحت الكنيسة الروسية ذات أهمية خاصة بعد سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين عام ١٤٥٣م فقد اعتبرت نفسها المركز الحقيقي والحامية للأرثوذكسية الصحيحة،

وبذلك أصبحت روما الثالثة. يقول الراهب(*) فليوثيوس من باسكوف: «لقد سقطت الرومايان (روما والقسطنطينية) وهذه روما الثالثة، ولن يكون هناك روما رابعة».

ـ أثناء حكم نيكون ١٦٥٢ ـ ١٦٥٨م انقسمت الكنيسة الروسية نتيجة لاقتراح نيكون بضرورة أن تتطابق الكنيسة الروسية في أفكارها ومعتقداتها مع الكنيسة(*) الإغريقية.

ـ ألغى بيتر العظيم عام ١٧٢١م البطريركية الروسية وتبنى المذهب(*) البروتستانتي.

ـ ألغى الإمبراطور بطرس الأكبر البطريركية الروسية مرة ثانية، وتولى مجمع السينودس المقدس إدارة الكنيسة في المسائل الدينية محتفظاً لنفسه وخلفائه برئاستها.

ـ في عام ١٧٤٤م أصدرت بطريركية الكنيسة في القسطنطينية مرسوماً بتحريم الماسونية والانتساب إليها.

ـ وفي أيام الإمبراطورة كاترين استولت الحكومة على أملاك الكنيسة الروسية واحتفظت لنفسها بأمر تعليم الكهنة(*) وتعيينهم. وقد استمر أثر هذه الإجراءات حتى عام ١٩١٧م، إذ أدخلت الثورة(*) البلشفية النصرانية(*) في روسيا في مرحلة جديدة منفصلة بذلك عن الكنائس(*) الأخرى، وانتُخِب أول بطريرك لها أثناء الحرب العالمية الثانية، وبالتالي أصبحت تعلن ولاءها للحكومات الشيوعية وتؤكد سياستها ضد الغرب.

● استقلت الكنيسة اليونانية في عام ١٨٣٣م عن كنيسة القسطنطينية.

● ظهرت في بلغاريا حركة تعمل على إصلاح الكنيسة البلغارية برئاسة الأب نيوفت بوزقيلي، وبعد أن عينت الحكومة العثمانية أساقفة(*) غير بلغاريين على الكنيسة البلغارية.

ـ وفي عام ١٨٦٠م أعلن الأسقف غيلادبون مكاريو بولسكي استقلال الكنيسة البلغارية، ووافقت السلطات العثمانية على ذلك، وأنشأت لهم كنيسة خاصة في إستانبول تحت رئاسة مطران(*) وهيئة مساعدة خاصة بهم.

ـ وردًّا على ذلك عقد مجمع القسطنطينية عام ١٨٧٣م بحضور بطاركة القسطنطينية وأنطاكية وأورشليم والإسكندرية ليصدر قراراً بحرمان جميع النظام الكنسي البلغاري.

ـ بعد سيادة الشيوعية في دول شرق أوربا انضمت الكنيسة البلغارية والرومانية إلى الكنيسة الروسية مرة أخرى.

ـ استقلت الكنيسة الأرثوذكسية اليابانية عام ١٩٣٩م عن الكنيسة الروسية التي ظلت تابعة لها منذ تأسيسها عام ١٨٦٠م على يد إرسالية أرثوذكسية روسية.

أهم الأفكار والمعتقدات:

● تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية مثل باقي الكنائس الأخرى بإله(*) واحد مثلث

الأقانيم(*): الآب(*)، والابن(*)، والروح القدس(*) على حسب ما ورد في قانون الإيمان النيقاوي ٣٢٥م.

- كما تؤمن بربوبية وألوهية الرب والمسيح(*) في آن واحد على أنهما من جوهر واحد ومشيئة واحدة، ومتساويين في الأزلية، لكن كنيسة أورشليم الأرثوذكسية اليونانية ومن يتبعها تؤمن بأن المسيح له طبيعتان ومشيئتان موافقةً لمجمع كليدونية ٤٥١م.

- يؤمن الأرثوذكس بالزيادة التي أضيفت على قانون الإيمان النيقاوي في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م التي تتضمن الإيمان بالروح القدس الرب المحيي والمنبثق من الآب وحده، فله طبيعته وجوهره، وهو روح الله وحياة الكون ومصدر الحكمة والبركة فيه.

- يعتقد الأرثوذكس الأقباط أن الأقانيم(*) الثلاثة ما هي إلا خصائص للذات الإلهية الواحدة، ومتساوية معه في الجوهر والأزلية، ومنزَّهة عن التأليف والتركيب، لكن الكنيسة(*) الأرثوذكسية اليونانية ومن تبعها تعتبر أقنوم الابن أقل من أقنوم الآب في الدرجة، ولذلك فهي عند اليونان مراحل انقلب فيها الله إلى الإنسان.

- الإيمان بتجسُّد الإله(*) في السيد المسيح(*) من أجل خلاص البشرية من إثم خطيئة آدم، وذريته من بعده، فيعتقدون أنه وُلد من مريم وصلب ومات فداءً لخطاياهم، ثم قام بعد ثلاثة أيام ليجلس على يمين الرب ليحاسب الخلائق يوم الحشر.

● الإيمان بأن السيدة مريم العذراء والدة الإله، ولذا يوجبون تقديسها كما يقدسون القديسين، والأيقونات غير المجسمة، وذخائر القديسين، ويقدسون الصليب، ويتخذونه رمزاً وشعاراً.

● تؤمن الكنيسة(*) الأرثوذكسية المصرية بالمجامع المسكونية السابقة على مجمع كليدونية لعام ٤٥١م بينما تؤمن الكنيسة اليونانية ومن تابعها وكنيسة أورشليم الأرثوذكسية بجميع المجامع السابقة على مجمع القسطنطينية ٨٦٩م.

● الإيمان بنصوص الكتاب المقدس وبما يتضمنه من أسفار(*) التوراة(*) وأسفار الأنبياء بالإضافة إلى باقي الأسفار الأخرى، ولكنها تستخدم في الطقوس الكنسية النموذج البروتستانتي الذي يشتمل على الأسفار الخمسة فقط، كما تؤمن بنصوص العهد الجديد(*) ورسائل الرسل على ما أقر في مجمع نيقية الأول (٣٢٥م).

● **العبادات والشعائر:**

- تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بالأسرار السبعة للكنيسة:

١ - سر المعمودية(*). ٢ - سر الميرون. ٣ - سر القربان. ٤ - سر الاعتراف.

٥ ـ سر مسحة المرض. ٦ ـ سر الزواج. ٧ ـ سر الكهنوت.

ـ **الصلاة**: يعتقد الأرثوذكس بوجوب سبع صلوات: صلاة باكر، وتقال في الفجر، وصلاة الساعة الثالثة وتقال التاسعة صباحاً، وصلاة السادسة، وتقال ظهراً، وصلاة التاسعة وتقال حوالي الثالثة بعد الظهر، وصلاة الغروب، وصلاة النوم، وصلاة نصف الليل وتقال على دفعات. والصلاة إما أن تكون فردية أو جماعية، وهي عبارة عن دعاء بهيئة معينة، ولا تستخدم الآلات الموسيقية في الترانيم الكنسية، ولا يقام فيها القداس يوميًّا.

ـ **الصوم**: وهو الامتناع عن الأكل حتى الغروب، ولغير المستطيع أن يصوم على قدر طاقته، ويعفى منه خمس فئات: المرضى، والرجل الشيخ، والمرأة العجوز، والأطفال أقل من اثنتي عشرة سنة، والمرأة الحامل، والمرضع. ويمكنهم أن يأكلوا تبعاً لما رسمه لهم آباء الكنيسة(*) بالامتناع عن اللحوم بأنواعها ومستخرجاتها، ويقتصر على ما تنبت الأرض.

وأنواع الصوم عندهم سبعة:

الصوم الكبير السابق لعيد القيامة عندهم، والصوم السابق لعيد الميلاد، صوم يونان، صوم الرسل(*) بين عيد الخماسين وعيد الرسل، صوم السيدة العذراء، صوم البرمون، وذلك على مدد متفاوتة لكل منها.

ـ **الأعياد**: تنقسم الأعياد في الأرثوذكسية إلى:

١ ـ أعياد سيدية كبرى. ٢ ـ أعياد سيدية صغيرى، وللكنيسة(*) المصرية أعياد خاصة بها مثل أعياد القديسين والشهداء.

ـ تحتفل الكنيسة الأرثوذكسية بعيد ميلاد السيد المسيح(*) في اليوم ٢٥ من ديسمبر وهو يوافق اليوم السادس من شهر يناير.

● **درجات الكهنوت**: الكنيسة الأرثوذكسية كنيسة شعبية يقوم على رأسها البابا(*) أو البطريرك(*)، ويرأس كل مجموعة كنائس بطريركية في البلد أو الإقليم، ويقوم بجانبها مجلس مقدس كالمجلس الملي في مصر الذي يضم مطارنة وعلمانيين، وتشرف عليه الحكومة المصرية. ويتكون التنظيم الكهنوتي للكنيسة من البطريرك، ثم المطارنة(*)، ثم الأساقفة(*)، ثم القمامصة، ثم القساوسة(*) ثم الشمامسة(*) ولا تعترف الكنيسة بسلطة بابا(*) روما ولا بعصمته.

● **الرهبنة**(*): وهي سبع مقامات روحية، وتنقسم إلى نوعين: رهبنة فردية، رهبنة ديرية.

● **الدين**(*): تؤمن الأرثوذكسية مثل باقي الكنائس بعالمية النصرانية، كما تؤمن

الكنيسة(*) الأرثوذكسية المصرية بضرورة بعث ميراث الكنيسة القبطية(*) وإحياء القومية واللغة القبطية. وينادي بطريرك الكنيسة الحالي شنودة الثالث بأن الكنيسة مؤسسة شاملة مكلفة بأن تقدم حلولاً لكل المشكلات وأجوبة على كل الأسئلة المتصلة بالدنيا والدين(*)، ولذلك نشطت في عهده في التنصير وإقامة الكنائس في أفريقيا وغيرها.

● تقبل زواج الكهنة(*) إذا تزوجوا قبل الدخول في الرتب الكنسية، ولا تسمح بزواج الكهنة بعد وفاة الزوجة الثانية.

● تعمل الكنيسة الأرثوذكسية المصرية على عرقلة تطبيق الشريعة الإسلامية(*) أو قصرها على المسلمين فقط، كما تسعى إلى امتلاك ناصية الاقتصاد المصري.

● تمنح الكنيسة الجوائز للمتزوجين ومساعدة من يريد الزواج منهم لزيادة نسلهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الكتاب المقدس بالإضافة إلى المجامع المسكونية حتى مجمع كليدونية ٤٥١م بالنسبة للكنيسة المصرية، ومجمع القسطنطينية بالنسبة للكنائس الأرثوذكسية الأخرى.

● الفلسفة(*) الأفلاطونية الحديثة، والفلسفة الغنوصية(*).

● الحضارات القديمة: المصرية، اليونانية، الهندية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تنتشر الكنائس الأرثوذكسية اليونانية في الدول التالية: تركيا، اليونان، روسيا، ودول البلقان، وجزر البحر الأبيض، والمجر ورومانيا، وتشرف كنيسة أنطاكية على بيت المقدس، كما أن لطور سيناء في مصر كنيسة مستقلة تشرف على دير سانت كاترين ومطرانها هو الأب رئيس الدير.

● ينتشر نفوذ الكنيسة المصرية في مصر، إذ يبلغ إجمالي نصارى مصر بجميع مذاهبهم وطوائفهم ٧٨ر٥٪ من إجمالي السكان حسب الإحصائيات الرسمية بالتعاون مع عشر هيئات محلية وعالمية من بينها الأمم المتحدة ويتبعها نصارى الحبشة والسودان، إذ بها أقدم الكنائس التابعة لكنيسة الإسكندرية. وفي العصر الحديث أسست الكنيسة المصرية عدة كنائس(*) تابعة لها في كل من: كينيا، وليبيا، الجزائر، الكويت، العراق، الإمارات، دبي، أبو ظبي، البحرين، بلاد الشام، فلسطين، دير السلطان، الأردن، لبنان، أمريكا الشمالية: كندا، أستراليا، وبعض دول أوربا مثل: النمسا، وفرنسا.

● **الأرمن**: تتفق كنيسة الأرمن مع الكنيسة الأرثوذكسية المصرية في الأفكار والمعتقدات وإن كان لها ترتيب كنسي خاص بها.

● **اليعقوبية**: تتفق مع الكنيسة الأرثوذكسية المصرية في الإيمان بالمذهب(*) المونوفيزيتي في القول بالطبيعة الواحدة للمسيح(*)، ويوجد معظم أتباعها في العراق، بينما يقيم بطريركهم في حمص بسوريا.

يتضح مما سبق:

● اختلاف أتباع المذهب(*) الأرثوذكسي فيما بينهم في أصل العقيدة وقانون الإيمان، ولذلك فإن الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية فضلاً عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية تحكم بكفر(*) وهرطقة الكنيسة المصرية.

● كان للفلسفة(*) الأفلوطونية الحديثة، وللأفكار الغنوصية(*) أثرُها على عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية.

● كان للتلفيق بين تعاليم النصرانية والعقائد الوثنية(*) في مصر وبلاد الكنيسة الأرثوذكسية بزعم الترغيب في النصرانية أثره البالغ في انحراف عقائد وأفكار الكنيسة.

● ظهرت القسوة والاضطهاد بين أبناء الملة(*) الواحدة لمحاولة السيطرة وفرض مذاهبهم بالقوة مثل ما حدث بين أتباع الأرثوذكسية البيزنطية وبين أبناء الكنيسة المصرية من الاضطهاد والتعذيب، وبين أتباع الكنائس الغربية سواء كانت كاثوليكية أو بروتستانتية أو أتباع الأرثوذكسية.

وبسبب معاملة المسلمين الحسنة للنصارى، وإظهار سماحة وعدالة الإسلام دخل كثيرون في دين(*) الله تعالى أفواجاً، ويتضح ذلك من مواقف عمرو بن العاص، رضي الله عنه، وسائر خلفاء الدولة الإسلامية مع النصارى، ومن مواقف السلطان محمد الفاتح وسلاطين الدولة العثمانية مع رعايا دولتهم من النصارى.

● كان لتحكُّم الإمبراطورية البيزنطية في الكنيسة(*) وسياستها أثره البالغ على عدم استقرارها وكثرة انحرافاتها.

● تحالف النصارى الأرثوذكس مع الحملات الصليبية في سوريا ولبنان ومصر إبان الحملة الفرنسية والحملة الإنجليزية على مصر والشام، وبرزت شخصيات نصرانية متعصبة، ومتأثرة بالدعاية الغربية التي أخذت تدعو في مصر، مثلاً إلى إحياء القومية واللغة القبطية(*).

● الأثر البالغ والبعيد المدى لمدارس الأحد في تخريج قيادات الكنيسة المصرية على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية.

● ظهور التوجه السياسي للكنيسة القبطية ومحاولة التأثير في السياسات الحكومية بما يوافق مصالحهم وخططهم، مستخدمة في ذلك انتشار الكنيسة وزيادة نفوذها في داخل مصر

وخارجها، مستغلة العلاقات الدولية والتجمعات القبطية في الخارج لتهيئة الرأي العام العالمي ضد المسلمين، لكسب المزيد من التعاطف الدولي لدعم قضاياهم الدينية والسياسية.

● اهتمام الكنيسة المصرية بالحملات التنصيرية في داخل مصر وخارجها مستخدمة في ذلك وسائل متعددة. أما الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية ومن يتبعها فكانت جهودهم ضعيفة في هذا الجانب نظراً للتحجيم الشيوعي لدور الكنائس في روسيا ودول أوربا الشرقية.

مراجع للتوسع:

- **دائرة المعارف الإسلامية**، إصدار شركة سفير، القاهرة.
- **دائرة المعارف - القاموس العام لكل فن ومطلب**، المعلم بطرس البستاني، دار المعرفة بيروت.
- **موسوعة تاريخ الأقباط**، زكي شنودة - مطبعة التقدم - القاهرة.
- **قصة الكنيسة القبطية**، إيزيس حبيب، المصري، كنيسة مارجرجس.
- **الكنائس القبطية القديمة في مصر**، ألفريدج بتلر، ترجمة إبراهيم سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- **تاريخ الكنيسة جون لوريمر**، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٠م.
- **دليل قراءة تاريخ الكنيسة**، الآب جان كي، دار الشرق، بيروت ١٩٩٤م.
- **الكنيسة القبطية فكرها ومنهجها**، عبدالعزيز النغمش، رسالة ماجستير مخطوط.
- **سلسلة التنوير الإسلامية**، (١-٤) مركز التنوير الإسلامي، أبو إسلام أحمد عبدالله.
- **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى - الحضارة والنظم**، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، السيد الباز، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، د. نسيم جوزيف يوسف، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ الدولة البيزنطية**. د. نسيم جوزيف يوسف، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **الدولة العثمانية والبلقان**، د. علي حسون، المكتب الإسلامي.
- **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي**، مصطفى العبادي، مكتبة وهبة.
- **المسلمون والأقباط في إطار الوحدة الوطنية**، طارق البشري، الهيئة العامة للكتاب، مصر.
- **الفتنة الطائفية في مصر - جذورها، أسبابها**، جمال بدوي، المركز الدولي للصحافة.
- **الأقباط في السياسة المصرية**، مصطفى الفقي، دار الشروق.

- **قذائف الحق**، محمد الغزالي، المكتبة العصرية.
- **خريف الغضب**، محمد حسنين هيكل، شركة المطبوعات العصرية.
- **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، د. رؤوف شلبي، مكتبة الاعتصام.
- **محاضرات النصرانية**، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- **ما هي النصرانية**، محمد تقي الدين العثماني، رابطة العالم الإسلامي.
- **المسيحية نشأتها وتطورها**، شارل جان بيبر، ترجمة د. عبدالحليم محمود.
- **الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية**، القس إبراهيم عبدالسيد، كنيسة مارجرجس.
- **الماسونية عقدة المولد**، محمود الشاذلي، مكتبة وهبة.
- **ملف الكنيسة المصرية**، محمد مورو، ومكتبة المختار الإسلامي.
- **تاريخ الفكر المسيحي**، حنا جرجس الخضيري، دار الثقافة، القاهرة.
- **من أغمى فتيات مصر**، أبو إسلام أحمد عبدالله، بيت الحكمة، القاهرة.

٧٥ـ الكاثوليك

التعريف:

أكبر الكنائس(*) النصرانية في العالم، وتدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، يزعم أن مؤسسها بطرس الرسول، وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا(*) روما عليها، وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يدعي أصحابها بأن القديس بطرس ت ٦٢م هو المؤسس الأول لكنيستها على حسب ما أشار إليه القديس سيبريان ٢٤٨ ـ ٢٥٨م مع أن مصادر التاريخ الكنسي تشير إلى أن لكل من بولس وبطرس دوره في وجودها.

● أول من استعمل لفظ كاثوليك للدعوة لتأييد الكنيسة مقابل حركات(*) الخروج على مفاهيمها وعقائدها ـ الهرطقة ـ أسقُف(*) أنطاكية القديس أغناطيوس الأنطاكي في القرن الثاني الميلادي.

● منذ أن أسس قسطنطين مدينة القسطنطينية روما الجديدة وبنى فيها كنيستها أجاصوفيا وجعلها تلي كنيسة روما في المكان، قام التنافس بين الكنيستين في السيطرة على العالم المسيحي(*)، الذي استمر إلى أن تم الانفصال الإداري بينهما عام ٨٦٩م بعد مجمع القسطنطينية. وفي خلال تلك الفترة وما يليها وقعت أحداث جسام، وبرز بابوات وقديسون، كان لهم أكبر الأثر في تطور الكنيسة. وفيما يلي أهم تلك الأحداث وأبرز هذه الشخصيات:

● **تأكيد سيطرة الكنيسة الغربية:**

ـ اعترف مجمع سرديكا عام ٣٤٣ أو ٣٤٤م بحق استئناف قرارات المجامع الإقليمية إلى أسقف روما، مما زاد من دعاوى روما بأنها الحكم الأعلى للنصرانية.

ـ يرجع الفضل إلى البابا(*) داماسوس الأول ٣٦٦ ـ ٣٨٤م في ترجمة الإنجيل إلى اللاتينية، كما رأس مجمع روما عام ٣٨٢م للرد على قرارات مجمع القسطنطينية لعام ٣٨١م لتأكيد صدارة روما التي تستمد مكانتها من وعد المسيح(*) لبطرس الرسول بقوله: «وأنا أقول لك أنت الصخرة، وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها».

ـ البابا ليو الأول ٤٤٠ ـ ٤٦١م والملقب بليو العظيم إذ كان له دور بارز في حماية

روما والحفاظ عليها بعد سقوطها عام ٤١٠م في يد الآريوسيين - أتباع آريوس - ويرجع إليه الفضل في تمييز الكنيسة(*) الغربية بعقيدتها في المسيح من حيث إن له طبيعتين - المذهب الملكاني - بعد تصديه لأصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح - المونوفيزتيه - في مجمع كلدونية عام ٤٥١م.

- أصدر الإمبراطور فالنتيان سنة ٤٥٥م مرسوماً يقضي بخضوع كل أساقفة(*) وموظفي الإمبراطورية للبابا، مما زاد في نفوذ وثروات الكنيسة، وأقبل الناس على الدخول في الكنيسة بأعداد كبيرة تطلعاً للمكانة والكسب المادي.

● كان لاعتناق الإمبراطور كلوفس النصرانية، وتعميده(*) على العقيدة الكاثوليكية عام ٤٩٦م أكبر الأثر في اعتناق الفرنجة السالين - أحد الطوائف الجرمانية - للمذهب(*) الكاثوليكي.

● في ٦ أغسطس سنة ٥٢٥م قرر الإمبراطور ثيودريك تسليم جميع الكنائس الكاثوليكية للآريوسيين، ردًا على حملة الإمبراطور جستنيان في الدولة البيزنطية ضد الأريوسيين. فأنزل الاضطهاد والتعذيب على الكاثوليك، وسجن في هذه الفتنة البابا(*) يوحنا الأول عام ٥٢٥م.

● **العصور المظلمة:**

ويطلقها مؤرخو النصرانية على الفترة من تولِّي البابا جرجوري الأول عام ٥٩٠م حتى تولي شارلمان الإمبراطورية ٨٠٠ - ٨٤٠م إذ شهدت العديد من الصراعات والانشقاقات التي أدت إلى الانهيار السياسي والانحطاط العلمي والثقافي للنصرانية. وإن تميزت بقوة التبشير النصراني، بالإضافة إلى شروق شمس الإسلام من جبال فاران (مكة المكرمة) عام ٦١٠م حتى عمت أشعتها نصف العالم، وأخضعت العديد من الممالك النصرانية في مصر وأفريقيا والأندلس وصقلية ودول الشام وإيران، ومن أبرز شخصيات هذا العصر:

- البابا(*) جرجوري الأول ٥٩٠ - ٦٠٤م: الذي يلقب بجريجوري العظيم، لاهتمامه البالغ بتطوير الكنيسة(*) وإصلاحها، متأثراً بمبادىء وأصول الأديرة البندكتية التي نشأ فيها. بالإضافة إلى اهتمامه بالنواحي السياسية والإدارية، والدعوة للنصرانية حتى امتد نفوذ الكنيسة في عهده إلى أفريقيا وغاليا - فرنسا - ودخلت أسبانيا وإنجلترا في النصرانية بعد بعثة القديس أوغسطين عام ٥٩٧م، وقد أصبحت الكنيسة في عهده أشبه بالحكومة المدنية العلمانية، وبذلك استطاع فرض سيادة البابوية على الأساقفة(*) الشرقيين في النواحي القضائية بما فيهم بطريرك(*) القسطنطينية، فحقق بذلك للبابوية قسطاً من السمو لم يسبق إليه

مما كان لذلك الأثر البالغ في تذكية الصراع بين البابوية والإمبراطورية.

● **القرون الوسطى:**

وتطلق على الفترة ما بين ٨٠٠ ـ ١٥٢١م التي اتسمت بكثرة الحروب الأهلية، والتي دامت طويلاً بين البابوية والإمبراطورية، واتسمت بظهور حركات(*) الخروج على مبادىء الكنيسة فيما وسَمَتها الكنيسة بالهرطقة، ولذلك توسعت في استخدام محاكم التفتيش ضد هذه الحركات، وضد الأصوات المنادية بالإصلاح الكنسي. وفي تلك الفترة، أيضاً، كانت بداية الحروب الصليبية، بالإضافة إلى فتح المسلمين للقسطنطينية عام ١٤٥٣م، ويمكن تقسيم أهم أحداث الكنيسة(*) الكاثوليكية خلالها إلى:

ـ **العهد فيما بين شارلمان وجريجوري السابع ٨٠٠ـ١٠٧٣م**: وفيه ازدهرت البابوية، إذ اعتبر شارلمان المتوَّج من البابا ليو الثالث ٨٠٠م نفسه حامياً للبابوية، وأنه رأس الكنيسة والدولة معاً، فأصبح يعين الأساقفة(*) ويتولى رئاسة المجامع الرئيسة التي يدعو إليها، بالإضافة إلى تشريعه للقوانين اللازمة للكنيسة ـ القانون الكنسي(*) ـ كما اهتم بإصلاح المدارس الدينية، ورفع مستوى رجال الدين الثقافي؛ فظهرت لذلك نهضة علمية واسعة في عصره، إلا أن الصراع مع البابوية تجدد مرة أخرى لرغبة البابا ليو الثالث في التخلص من سيطرة الإمبراطور، لكنه لم يفلح في ذلك.

ـ **الشقاق العظيم**: والمراد به الاختلاف الكبير الذي أدى إلى الانفصال النهائي للكنيسة الشرقية والأرثوذكسية عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية، بعد محاولة البابا ليو التاسع ١٠٥٤م فرض عقائد وأفكار الكنيسة الغربية على الشرق، التي رفضها بطريرك(*) القسطنطينية ميخائيل كيرولاريوس الأمر الذي فجَّر ما بينهما من الخلافات القديمة حول انبثاق روح القدس(*).

ـ **العهد فيما بين البابا(*) جريجوري السابع والبابا بويفيس ١٠٧٣ ـ ١٢٩٤م**: كان للبابوية في هذه الفترة دورها الكبير في تقرير تاريخ أوربا كما كان لها في السابق، وذلك بعد سلسلة من الصراعات بين البابوية والإمبراطورية التي عُقد من أجلها مجمع اللاتران الأول عام ١١١٢م والثاني عام ١١٣٩م الذي أعلن فيه البابا أنوسنت الثاني ١١٣٠ـ١١٤٣م أن البابا له السيادة العليا على جميع الحكام العلمانيين. وما انتهى هذا الصراع في هذه المرحلة إلا بعد توقيع الصلح بين البابوية والإمبراطور فردريك ١١٧٧م. ومن أهم أحداث هذه الفترة انطلاق الحملات الصليبية التي دعا إليها البابا جريجوري السابع عام ١٠٧٤م. وقد أعلن عن بداية هذه الحملات البابا أوربان الثاني، في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥م، ولم يكتب لهذه

الحملات النصر إلا في الحملة الأولى ثم انكسرت شوكتهم بعد ذلك. كما شهدت تلك الفترة ظهور حركات(*) الهرطقة ضد الكنيسة(*)، ومنها حركة المارسونية(*) التي تُمثل أكبر بدعة(*) ناهضت الكنيسة في تلك الفترة، بالإضافة إلى سقوط القسطنطينية على يد الحملة الصليبية الرابعة بالإضافة إلى تقنين القانون الكنسي.

ـ **العهد بين البابا بونيفيس الثامن إلى عهد الإصلاح ١٢٩٤ ـ ١٥١٧م**: وهذه الحقبة التاريخية تمثل آخر فترات القرون الوسطى في أوربا، وفيها اشتد الصراع بين البابوية والإمبراطورية التي عملت على تفتيت قوة ونفوذ البابوية إلى أن تم إضعافها تحت ضربات حركات الإصلاح المتتالية، وتأسيس كنيسة(*) البروتستانت ـ المعترضين. ومن أهم الأحداث الكنيسية في تلك الفترة: فشل حركات الإصلاح الكنسي لتواطؤ البابا مارتن الخامس والبابا أبوجينوس الخامس ١٤١٧ ـ ١٤٤٧م على إجهاض حركات الإصلاح تحقيقاً لأطماعهم الشخصية. كما شهدت تأسيس عدد من الجمعيات(*) الرئيسة لمساعدة الكنيسة ضد حركات الخروج عليها، وإمدادها بأتباع مخلصين مثل: اليسوعيين عام ١٥٣٤م والإخوان الفرنسيسكان والإخوان الدومنيكان.

● **مجمع ترنت ١٥٤٢ ـ ١٥٦٣م**: الذي عقد على أثر ثورات الإصلاح التي علا صوتها بعد إعدام حناهس والتي من أبرزها ثورة(*) مارتن لوثر التي ساندتها الحكومة والشعب الألماني. وفي الوقت نفسه كان في سويسرا ثورة أخرى بقيادة الرخ زونجلي، ليعارض الكنيسة(*) ويؤيد دعوة لوثر، فعُقِد مجمع ترنت ليقرر عدم قبول آراء الثائرين، ويقضي بمحاكمة لوثر أمام محكمة التفتيش، ثم ليصدر البابا(*) ليو العاشر قراراً بحرمانه من الحقوق المدنية والرئيسية والقانونية، ليظهر بعد ذلك معارض ثالث في فرنسا جون كلفن ١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م الذي هرب إلى سويسرا لينشر مبادىء مارتن لوثر ويجمع حولها الأنصار، وتؤيده في ذلك بعض الدول؛ ليتقلص نفوذ الكنيسة(*) الغربية ـ الكاثوليكية ـ وتنفصل عنها كنيسة جديدة ـ البروتستانتية ـ لتزيد من الفرقة والشقاق في العالم النصراني(*)، ولتشتعل الحروب الطاحنة بين الكنيستين لعدة سنوات والتي ذهب ضحيتها خلق كثير، حتى أمكن التوصل إلى صلح ـ صلح أوجزبرج ـ سنة ١٥٥٥م على أساس إقرار مبدأ إسبيير الأول سنة ١٥٢٦م القائل: بأن لكل أمير الحق في اختيار المذهب(*) الذي يريد سريانه في إمارته. وهكذا غربت شمس الكنيسة الكاثوليكية، وتقلَّص سلطانها؛ إذ أصبح بمقدور كل دولة الخروج على سلطة البابا(*).

● **مجمع روما ١٧٦٩م**: في هذا الجو العاصف بالحركات الثائرة على الكنيسة عُقد

هذا المجمع ليحدث مزيداً من الانشقاق داخل الكنيسة بسبب تقريره عصمة البابا، لتظهر جماعة من المخالفين للقرار، سموا أنفسهم بالكاثوليك القدماء.

● **موقف الكنيسة من العلم والعلماء**: ما إن ظهرت في أوربا بوادر النهضة العلمية المتأثرة بحضارة المسلمين في الأندلس بعد ترجمة العلوم الإسلامية واليونانية إلى اللاتينية، وبرز عدد من العلماء الذين بينوا بطلان آراء الكنيسة(*) العلمية، وبخاصة في الجغرافيا والفلك، حتى تصدت لهم الكنيسة استناداً على ما ورد في الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا: «إن كان أحد لا يثبت فيطرح خارجاً كالغصن فيجف، ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق». ولذلك استخدمت ضدهم الرقابة على الكتب والمطبوعات لئلا يذيعوا آراءً مخالفةً للعقيدة الكاثوليكية، وتوسعوا في تشكيل محاكم التفتيش ضدهم، وقد حكمت تلك المحاكم في الفترة من ١٤٨١ ـ ١٤٩٩م على تسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بأحكام مختلفة، كما أصدرت قرارات تحرِّم قراءة كتب جاليليو وجيوردا نويرنو، وكوبرنيكوس، ونيوتن لقوله بقانون الجاذبية الأرضية، وتأمر بحرق كتبهم. وقد أحرق بالفعل الكاردينال(*) إكيمنيس في غرناطة ثمانية آلاف كتاب مخطوط لمخالفتها آراء الكنيسة(*).

● **الكنيسة في عصر النهضة**:

ـ في النصف الثاني من القرن السابع عشر، ازداد غضب الناس والعلماء والفلاسفة من سوء سلوك رجال الكنيسة(*)، ومن الرقابة التي فرضوها على المطبوعات، وتوسُّعهم في استخدام محاكم التفتيش، ومبالغتهم في القسوة والتعذيب ضد المخالفين والعلماء، مما أثار الفلاسفة من أمثال ديكارت وفولتير، الذين وجّهوا سهام النقد إلى الكنيسة وآرائها، ودعوا إلى إعلاء العقل(*) مقابل النصوص الرئيسة، بفرض أن العقل يستطيع إدراك الحقائق العلمية، والخير والشر.

ـ في عام ١٧٩٠م أصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية قرارات قاصمة لظهر الكنيسة إذ ألغت العشور الكنسية، وصادرت أموالها، وأجبرت رجال الكنيسة على الخضوع للدستور المدني، وأخذت تعين رجال الكنيسة بدلاً من البابا(*)، بالإضافة إلى إغلاق المدارس التابعة للكنيسة، وتسريح الرهبان(*) والراهبات.

ـ في سبيل حفاظ البابا جريجوري السادس عشر على مكانته بعد هذه القرارات أصدر البابا عدة منشورات يدين فيها حركة(*) الحرية(*) السياسية، والحرية الاقتصادية، على أنها تحمل مضامين تخالف الدين(*) المسيحي.

ـ جاء القانون الذي أقرّته الحكومة الفرنسية عام ١٩٠٥م بفصل الدين(*) عن الدولة

على أساس التفريق بينهما وإعلان حياد الدولة تجاه الدين، كقاصمة أخرى شجعت المعارضين للكنيسة على نقد نصوص الكتاب المقدس والكنيسة بحرية، كما أجبر هذا القانون رجال الكنيسة على أن يقسموا يمين الولاء والطاعة للشعب والملك والدستور المدني الجديد. وقد امتدت هذه القرارات حتى شملت دول أوربا، لينتهي بذلك دور الكنيسة(*) في محاولة السيطرة على السياسة، ولتنزوي داخل الجدران، لتمارس الوعظ والترانيم على الأنغام الموسيقية.

● **الكنيسة والماسونية:**

ـ تنبه رجال الكنيسة إلى شرور الحركات(*) السرية بعد أن رأوا أن معظم رجال تلك الحركات أعضاء في الجمعيات والأندية الماسونية، ويُعدُّ البابا(*) تليمنوس الثاني عشر أول من تصدى لهم وكشف زيفهم في مؤتمر ٢٨/ ٤/ ١٧٣٨م ثم تبعه البابا بندكتوس الرابع عشر، والبابا بيوس السابع، والبابا أوربان الذي أصدر قراراً بالبراءة من الماسونية.

ـ كان موقف البابا بيوس العاشر من أقوى تلك المواقف في التصدي للماسونية في العصر الحاضر، وذلك بعد رفضه محاولة مؤسس الصهيونية تيودر هرتزل عام ١٩٠٣م في كسب موافقة الفاتيكان(*) للاستيطان في فلسطين، كما رفض مبدأ قيام دولة لليهود في فلسطين، والاستيلاء على القدس، إلا أن اليهود استطاعوا بعد تغلغلهم في النصرانية تنصيب أحد عملائهم البابا بولس السادس الذي ما إن جلس على كرسي البابوية حتى غيَّر موقف الفاتيكان من الماسونية واليهود، إذ أعطى في ديسمبر ١٩٦٥م الحق للكهنة(*) في إلغاء الحرمان عن الكاثوليك الذين انضموا إلى الماسونية. بل عقد مجمعاً في الفاتيكان ليعلن براءة اليهود من دم المسيح(*)، ضارباً بنصوص الكتاب المقدس وقرارات المجامع والبابوات السابقين له عرض الحائط متابعاً لرأي الكاردينال(*) بيا اليهودي الأصل. وقد عارضه في ذلك الكاردينال الكاثوليكي الفرنسي مارسيل ليفيفر بقوله: «لقد زوج المجمع المسكوني الكنيسة(*) للثورة(*). ومن هذا الزواج السفاح لا يجيىء غير أبناء الزنا..». وفي أثناء زيارة البابا بولس السادس للقدس عام ١٩٦٤م أعلن اعترافه بدولة اليهود في فلسطين المحتلة.

● **الكنيسة في خدمة الاستعمار الغربي:**

ـ مع إقرار الكنيسة بفصل الدين(*) عن السياسة داخل أوربا، فإن مجلس الكنائس العالمي يقرر في مؤتمر سالونيك باليونان عام ١٩٥٦م: «أن السياسة هي المجال الذي يتحتم على الكنيسة في دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أن تعمل فيه، وأن على الكنائس أن

تراقب خطط التنمية في تلك الدول لتميز بين ما يتفق مع إرادة الله ـ الزراعة والفلاحة فقط ـ وبين عمل الشيطان ـ الصناعة والتقدم العلمي ـ لتعلن للقوم أين يقف الله، ومن أين يطل الشيطان»، ويقرر في مؤتمر نيودلهي عام ١٩٦١م: «إن على الكنيسة أن تكون متأهبة للصراع مع الدولة في أي وضع وتحت أي نظام سياسي» وما ذلك إلا لتسخير تلك الشعوب ومقدراتها، وضمان تبعيتها باستمرار للمستعمر الغربي؛ إذ تشيع بينهم أن التقدم الاقتصادي وارتفاع مستوى المعيشة سيأتي دائماً معه بكثرة الخطايا والشرور.

● **بعث الأمة الكاثوليكية:**

البابا(*) الحالي للفاتيكان(*) يوحنا بولس الثاني (١٩٧٨م ـ . . .) الكاردينال(*) كارول البولندي الأصل الذي يتميز عن غيره بأنه رجل تنظيم وسياسة. ولذا فإنه يتبنى فكرة بعث الأمة الكاثوليكية من خلال إيجاد حكومة عالمية أو إمبراطورية مقدسة، ولا تكون هذه إلا من خلال تحقيق وحدة القارة المسيحية(*) الأوربية وبناء أوربا جديدة على القواعد النصرانية، مما لابد فيه من حدوث صراع سياسي ومالي وربما عسكري، وأن مهمة الفاتيكان فيه هي تهيئة الأجواء لكسب هذا الصراع الحتمي مع التجمعات الأيديولوجية(*) الأخرى. والبابا متأثر في ذلك بأفكار حركة(*) المنشأة الإلهية (Opos Dei) والقاضية بأنه بالحكم والمال وحدهما تتحقق الآمال، ويحدث التغيير. كما يراهن البابا يوحنا بولس الثاني على أن قارة أفريقيا ستصبح قارة نصرانية عام ٢٠٠٠م وفي سبيل ذلك فإنه يقوم بما يزيد على أربع رحلات سنويًّا، ويحاول التقارب وإيجاد أرضية عمل مشترك مع الطوائف النصرانية الأخرى على الرغم مما بينهم من خلافات جذرية.

ـ أعلنت لجنة الفاتيكان(*) للعلاقات مع اليهود براءة جديدة لليهود من دم المسيح(*) في ٢٤ يونيو ١٩٨٥م ونشرتها مجلة **أوبسير فاتوري رومانو** لسان حال الفاتيكان في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٨٥م، وذلك بناءً على توجيهات البابا(*) يوحنا بولس الثاني. كما دعت تلك الوثيقة إلى عدم اعتبار اليهود شعباً منبوذاً أو معادياً للمسيح. على أن المسيح نفسه كان يهوديًّا وسيظل يهوديًّا، ولذلك فهي تؤكد، أيضاً، على أن أرض فلسطين المحتلة هي أرض أجداد اليهود، كما تدعو إلى ترك المفهوم التقليدي للشعب المعاقب كما في نظر النصرانية لأنه يبقى في النهاية الشعب المختار.

الأفكار والمعتقدات:

● **الألوهية**: تؤمن الكنيسة(*) الكاثوليكية مثل باقي الكنائس الأخرى بإله(*) واحد مثلث الأقانيم(*): الآب(*)، الابن(*)، الروح القدس(*)، على حسب ما ورد في قانون

الإيمان النيقاوي لعام ٣٢٥م كما تؤمن بأن للمسيح(*) طبيعتين بعد الاتحاد: إحداهما لاهوتية، والأخرى ناسوتية.

● **يؤمن الكاثوليك بما أقر في مجمع القسطنطينية الرابع** عام ٨٦٩م من أن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً.

● **الأقانيم(*)**: يعتقد الكاثوليك أن أقنوم الابن أقل من أقنوم الأب في الدرجة، وأن الأقانيم ما هي إلا مراحل انقلب فيها الله إلى الإنسان، ولذا فهي ذوات متميزة يساوي فيها المسيح(*) الأب حسب لاهوته(*) وهو دونه حسب ناسوته(*)، كما ينص على ذلك قانون الإيمان الاثناسيوسي.

● **التجسد والفداء**: الإيمان بتجسُّد الله ـ تعالى عن قولهم ـ في السيد المسيح من أجل خلاص البشرية من إثم خطيئة آدم وذريته من بعده، فيعتقدون أنه وُلد من مريم وصلب ومات فداءً لخطاياهم، ثم قام بعد ثلاثة أيام ليجلس على يمين الرب ليحاسب الخلائق يوم الحشر.

● **السيدة مريم والأيقونات**: يقدسون السيدة مريم والقديسين والقديسات، والأيقونات المجسمة والمصورة مع الإشادة بالمعجزات.

● **الإلهام**: تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بالإلهام كأحد مصادر المعرفة والوحي(*) المستمرة.

● **الصليب**: يقدسون الصليب ويتخذونه شعاراً.

● **الكتاب المقدس**: تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بنصوص الكتاب المقدس وبما يتضمنه من التوراة(*) وأسفار الأنبياء وبالعهد الجديد(*) ورسائل الرسل(*) على ما أقر في مجمع نيقية الأول.

● **أسرار الكنيسة(*)**: يؤمن الكاثوليك بممارسة سر الاعتراف مرة واحدة في السنة، وكذلك سر التناول في عيد الفصح، وكما يستعملون الفطير في العشاء الرباني(*) بدلاً من الخبز المختمر، والمعمودية(*) لا تتم إلا بالرش لا بالتغطيس ثلاثاً وتكون من الكاهن(*) أو بالصبغة بدم الشهيد في سبيل الإيمان فقط، والمسح بالميرون المقدس يجوز تأخيره عن التعميد(*) للقاصر حتى يبلغ سن الرشد، ولا يمسح بالزيت المقدس إلا لمن شارف على الموت، ويحرم الطلاق في جميع الأحوال حتى في حالات الزنا، وقد انفردت الكنيسة الكاثوليكية بسر ثامن عن الكنائس الأخرى ألا وهو عصمة البابا(*) عن ارتكاب المعاصي والآثام.

● **الحياة الأخرى**: يعتقد الكاثوليك أنه يوجد بعد الموت مكان ثالث يسمى المطهر تُعتقل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة، وتظل تُعذَّب حتى تطهر بما بقي

عليها من الدين للعدل الإلهي، وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت.

● **خلق أفعال العباد**: وأن كل ما خلقه الله تعالى حسن وإنما الشر من خلق العباد.

● **تبيح أكل الدم والمنخنقة** على خلاف قرارات مجمع الرسل الأول في أورشليم ٥١ ـ ٥٥م ويجوز للرهبان(*) أكل دهن الخنزير، ولبس الأساقفة(*) الخواتم في أصابعهم، كما يجوز للكهنة(*) حلق لحاهم على عكس الأرثوذكس.

● **القداس**: القداس محور العبادة والحياة الروحية على أنه يقام يومياً.

● **الصلاة والصيام**: الصلاة الفردية أساسية في الدين(*) على أن للصلاة طرقاً عديدة، وينبغي أن تقترن بشيء من التقشُّف، والصيام المفروض هو الصوم الكبير السابق لعيد الفصح، وجعل صوم الجمعة والسبت فقط عبارة عن الانقطاع عن أكل اللحوم. كما فرض أيضاً صوم الأزمنة الأربعة فيما يعرف بصوم البارامون (أي الاستعداد للاحتفالات) وهي السابقة لأعياد الميلاد، والعنصرة وانتقال العذراء وجميع القديسين. ويوجد خلاف بين الكنيسة(*) اللاتينية وطوائف الكنيسة الكاثوليكية الشرقية في قواعد الصوم.

● **الطقوس**: تتميز باستعمال اللغة اللاتينية، والبخور، والصور، والتقويم الخاص بها.

ـ للكنيسة الكاثوليكية عدة طقوس إلى جانب الطقوس الرومانية، هناك من يستعمل الطقوس الشرقية مثل الروم الكاثوليك، جنوب إيطاليا، والموارنة والسريان الذين يتبعون الطقس الأنطاكي، وهناك كاثوليك أقباط وأحباش يستمسكون بالطقس القبطي.

● **التنظيم الكهنوتي «الإكليروس»**: يدير البابا(*) الكنيسة(*) بواسطة كرادلة(*) في روما ومطارنة(*) في جميع أنحاء العالم. تنقسم الكنيسة عند الكاثوليك إلى أبروشيات(*) على رأس كل أبروشية مطران يعينه البابا، وفي كل أبروشية عدة كنائس يديرها كهنة رعاة لخدمة أبناء الكنيسة.

ـ **البابا**: كما تعتقد أن السيد المسيح(*) أقام بطرس نائباً على الأرض ورئيساً على الرسل ورأساً للكنيسة، وعلى ذلك فالبابا في روما هو خليفة بطرس ورأس الكنيسة من بعده، ومرشدها الأعلى لجميع الكاثوليك في العالم.

ونظراً لاعتقادهم بعصمة البابا فإن المغفرة حق من حقوق الكنيسة تعطيها لمن تشاء.

ـ الجماعات الدينية المكونة من الرهبان(*) والراهبات تخضع لبابا روما عن طريق رؤسائها الموجودين في روما.

ـ يدرس الكهنة(*) قبل اضطلاعهم بمهمتهم العلوم الدينية خمس أو ست سنوات

ويدربون في معاهد دينية خاصة، ولا يتزوج رجال الدين إلا القليل منهم.

الجذور الفكرية والعقدية:

● نصوص الكتاب المقدس، بالإضافة إلى المجامع المسكونية والإقليمية أو المحلية التي أيدت عقيدة الكنيسة.

● الديانات الوثنية(*): المجوسية(*)، البوذية، الرومانية، المصرية القديمة.

● الفلسفة(*) الأفلاطونية الحديثة، الفلسفة الغنوصية(*).

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تنتشر في أوربا: إيطاليا، فرنسا، لتوانيا، بولندا، سلوفاكيا، المجر، كرواتيا، بلجيكا، إسبانيا، البرتغال، إيرلندا، كندا الفرنسية، أمريكا اللاتينية، الفلبين، وجنوب شرق آسيا. وهناك أقليات في الولايات المتحدة الأمريكية، وهولندا، وألمانيا، وبعض دول أفريقيا.

يتضح مما سبق:

● أن المتأمل في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية يجد أنه كان لها دور كبير في أحداث تاريخ أوربا بمختلف مراحله.

● كان للصراع مع الحكام والملوك أثره في ظهور عقائد جديدة في الكنيسة لم تكن من قبل مثل: سمو مكانة البابوية والكنيسة الغربية، وعصمة البابا(*) عن ارتكاب الآثام والمعاصي بزعم أن روح القدس(*) ينطق من فِيهِ ـ على ما أقر في مجمع روما عام ١٧٦٩م السر الثامن[١].

● ونظراً لاتباع الهوى وترك التشريع للرجال والمجامع ظهر التضارب في آراء الكنيسة(*) والانقسام في صفوفها، فما يُقر في مجمع يُنقض في آخر، وفي كلتا الحالتين يأخذ صفة الحكم الإلهي، ففي فترات سيطرة رجال الكنيسة على مقاليد الحكم تستند إلى أقوال القديس أغسطس القاضية بأن تخضع سلطة الدولة لسلطة الكنيسة التي تمثل مدينة الله. وفي

---

(١) ويبدو أن هذا السر لم يعد مقصوراً على البابا وحده وإنما تعداه، أيضاً، إلى البطاركة، فزعموا لأنفسهم العصمة بفعل روح القدس، ولكن يأبى الله إلا أن يفضح سوء أعمالهم ويكشف خبث طويتهم بما انكشف وينكشف يوميًا من مخازي وفضائح كبار الأساقفة والقساوسة الخلقية والجنسية يقول تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].

فترات الاضطهاد تظهر دعاوى فصل الدين(*) عن الدولة مثلما جاء في رسالة هوزيوس أسقف(*) قرطبة للإمبراطور قسطنطيوس عام ٣٥٥م: «أما من جهتك فينبغي ألا تجر على نفسك جريمة ارتكاب ذنب خطير، بأن تسعى لأن تتولى حكومة الكنيسة، فلتُعطِ ما لقيصر لقيصر، ولتجعل لله ما لله، فلا يجوز لنا أن نباشر سلطة دنيوية وليس لك أيها الإمبراطور الحق في أن تحرق البخور». وهذا ما اعتقدته حركة(*) الإصلاح الكلوانية أنه سبيل لإصلاح الكنيسة.

● انتشرت داخل الكنيسة مظاهر الانحراف والفساد كافة مثل السيمونية(*)، ومخالفة القانون الكنسي(*)، على الرغم من دعاوى الرهبنة(*) والعزوبة وحياة الزهد والتقشف التي فرضها القانون الكنسي، ولم تستثن أحداً بدءاً من البابا(*) حتى أصغر كاهن(*) وراهب. تقول القديسة كاترين السينائية في القرن الرابع عشر الميلادي: «إنك أينما وليت وجهك سواء نحو القساوسة(*) أو الأساقفة(*) أو . . . لم تر إلا شرًّا ورذيلة، تزكم أنفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة، اتخذوا بطونهم إلهاً لهم، يأكلون ويشربون في الولائم الصاخبة، إذ يتمرغون في الأقذار، ويقضون حياتهم في الفسق والفجور».

ـ كان للرهبانية أثرها البالغ على الأخلاق(*) الأوربية، فانعدمت أخلاق الفتوة والمروءة التي أصبحت من المعايب والرذائل، كما هجر الناس البشاشة والسماحة والشجاعة. ومن أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم حياة الأسرة، فكثيراً ما أصبحت الأمهات ثكالى، والأزواج أيامى، والأولاد يتامى، بعد خطفهم من الرهبان، فأصبحوا يتكفَّفون الناس ويتوجهون إلى الصحراء، همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة. وكان الرهبان يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن، يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق العام والتحدث إليهن ولو كن أمهات أو زوجات أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية.

● على الرغم من الجوانب والآثار السلبية للحروب الصليبية وما تميزت به من قسوة ضد المخالفين سواء أكانوا من نصارى أو مسلمين، إلا أنها كانت سبباً في انتقال المعارف الإسلامية إلى أوربا. تقول الكاتبة الألمانية هونكة في **شمس العرب تسطع على الغرب**: «وكان للحروب الصليبية دور مهم في تطور نظام الحصون وطرق الدفاع، أي في أوربا»، وتقول: «اختلط ملوك أوروبا وأمراؤها بملوك الشرق وأمراء المسلمين أثناء الحرب الصليبية، ورأوا بأعينهم أدباء العرب وشعراءهم ومؤرخيهم، لاسيما من كان منهم بمعية صلاح الدين الأيوبي». وتقول: «وفي مراكز العلم الأوربية لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء إلا ومد يديه إلى الكنوز العربية».

ومع ذلك لا تزال الصليبية على عهدها الأول يمنعها عن قبول الحق حواجز التقليد(*) للآباء والأجداد والعقائد المتوارثة حتى لو شهدت الأدلة الساطعة على بطلانها. وقد نص القرآن الكريم على أمثالهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

● لم تقتصر محاكم التفتيش على المخالفين للكنيسة(*) من النصارى فقط، ولكنها طالت المسلمين أيضاً، ففي القرنين الخامس عشر والسادس عشر بعد سقوط الأندلس ذبحوا وأحرقوا ما يزيد على ٣١ ألفاً من المسلمين، ولم يتركوا مسلماً على قيد الحياة أو غير منفي. وبعد استقلال اليونان عن الدولة العثمانية أباد النصارى شعب موريا المسلم عن آخره، بل دمروا المساجد، وما فعله الأسقف(*) مكاريوس بمسلمي قبرص، والمتعصب جوليوس نيريري بمسلمي زنجبار ليس منا ببعيد.

● تنتقد دائرة المعارف البريطانية دعوى الإلهام التي ما زالت تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية على أنها أحد مصادر المعرفة والوحي(*) بقولها في المجلد الحادي عشر: «إن كل قول مندرج في الكتب المقدسة ليس إلهاميًّا» وهو ما أيده جيروم وكرتيس وبمركوبيس وغيرهم من علماء النصرانية في القرن الثاني الميلادي إذ قالوا: «إن الذين يقولون إن كل مندرج في الأناجيل(*) إلهامي لا يقدرون على إثبات صحة دعواهم». وهو ما أكدته دائرة المعارف الفرنسية في المجلد السابع من أن: «هؤلاء الحواريين أصحاب المسيح(*) ما كان يرى بعضهم بعضاً صاحب وحي كما يظهر في مباحثاتهم في محفل أورشليم».

● وكما جنت الكنيسة(*) على الديانة(*) النصرانية بإدخال العقائد الوثنية، علاوة على التبديل والتحريف(*) الذي لحق بالنصرانية وكتابها، جنت، أيضاً، عليها وعلى الإنسانية بمحاربتها للعلم والعلماء باسم الدين(*). وظهور الفساد داخل الكنيسة، مما دفع الأفكار الإلحادية(*) المناوئة للدين إلى الظهور تحت ستار المناداة بحرية(*) الفكر، وحرية اختيار المذاهب(*) الاعتقادية ولو كانت إلحادية، وبالتالي ظهرت الدعوات إلى الإلحاد والعلمانية بمذاهبها المختلفة. يقول فولتير في كتابه **مقبرة التعصب**: «ينبغي أن يخضع القسس(*) للحكومة لأنهم أفراد من الرعية التابعة للدولة». ونتيجة لحرية الفكر والقضاء على رقابة الكنيسة تم بعث التراث الفلسفي اليوناني، سواء المترجم بالعربية أو اليونانية، وظهرت المذاهب المادية(*) الإلحادية والفلاسفة الماديين أمثال برتراندرسل، هيجل، وأنجلز، وكثرت مؤلفاتهم التي تدعو إلى القضاء على الدين(*). يقول ديدرو هلباخ، ورينال في **الأنسكلوبيديا**: «إن الشرائع والأديان هي العوائق التي تحول دون حصول الإنسان على

السعادة، فيجب عليه محوها ليرجع إلى الطبيعة» (**تاريخ التمدن الحديث**، شارل أسنيوبوس، ص ٤٧).

● إن النصرانية التي يتبناها الفاتيكان(*) اليوم هي النصرانية السياسية التي تريد ربط دول آسيا وأفريقيا بعجلة الغرب عن طريق نشر النصرانية بينهم، وخلق جملة من الأفكار النصرانية التي تقف أمام الإسلام والمسلمين في جميع الميادين. وفي سبيل ذلك تقاربت طوائف النصرانية واليهودية للحد من مارد الإسلام الذي بدأ يصحو من جديد.

ـ يقول رازينجر منظر السياسة في الفاتيكان: «من يبحث عن حل خارج الكنيسة في عصرنا الحديث ليس إلا واحداً من اثنين:

ـ العودة إلى عصر ما قبل المسيح(*) ـ أرسطو وأمثاله.

ـ التعلق بثقافة غير أوربية من جهة وبالإسلام من جهة أخرى.

ـ وبما أن الاحتمال الأول ليس له إمكانية الحياة، فيبقى الاحتمال الثاني ـ الإسلام ـ فعلينا أن نحذر الإسلام أكثر بكثير مما مضى، فهو اليوم يعود من أعماق التاريخ ليقدم بديلاً عن نظامنا المشبع بالنصرانية».

ويقول في أهمية وجود أندية لملء الفراغ الأيديولوجي(*) لسقوط الشيوعية: «إن حدوث الفراغ الأيديولوجي في الثقافة العالمية بما يعني الانفتاح على الثقافات الأخرى بما فيها من مثل وقيم ومبادىء، وإن البقاء على التقليدية الكنسية السابقة، وما لقيصر لقيصر، ولا دين(*) في السياسة ولا سياسة في الدين، سيترك الأبواب مفتوحة على مصراعيها لدخول الإسلام». ولذلك عملت الكنيسة(*) على تجنيد السياسة والإعلام الأوروبي، وتوجيه عموم الشعب، نحو خصم جديد ـ الإسلام ـ ويتضح ذلك من ردود فعل رجال السياسة الأوربيين وتصريحاتهم حول رواية سلمان رشدي وغيره، ومن الحملات الإعلامية حول الأصولية والإرهاب.

مراجع للتوسع

ـ **دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة**، الآب جان كين، دار المشرق بيروت ١٩٩٤م

ـ تاريخ الكنيسة جون لوريمر دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م.

ـ **النصرانية من الواحد إلى المتعدد**، أبو إسلام أحمد عبدالله، بيت الحكمة، القاهرة؟

ـ **دائرة المعارف البريطانية**.

ـ **دائرة المعارف**، قاموس عام لكل فن ومطلب، المعلم بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت.

- **الموسوعة العربية الميسرة**، بإشراف محمد شفيق غربال، الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- **الموسوعة الثقافية**، مديرة التحرير/ فايزة حكيم رزق الله - دار الشعب - مصر.
- **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوربا في العصور الوسطى - الحضارة والنظم**، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، السيد الباز، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **تاريخ أوربا الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا**، د. عبدالحميد البطريق.
- **تاريخ أوروبا في العصر الحديث**، هـ. أ. ل. فيشر. ترجمة أحمد نجيب هاشم، دار المعارف مصر، د. عبدالعزيز سليمان نوار، دار النهضة العربية، د. عبدالمجيد نعنعي، مكتبة الأنجلو المصرية.
- **التاريخ المعاصر** - أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، الحركة الصليبية، د. سعيد عبدالفتاح عاشور.
- **الثورة الفرنسية**، د. حسن جلال، لجنة التأليف والنشر.
- **العلمانية**، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، دار طيبة.
- **سقوط العلمانية**، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني.
- **تهافُت العلمانية**، د. عماد الدين خليل، دار الرسالة.
- **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام**، توفيق الطويل، دار الفكر القاهرة.
- **قصة النزاع بين الدين والفلسفة**، توفيق الطويل، مكتبة مصر، القاهرة.
- **لوثر والإصلاح الديني**، م. هـ مواري، ترجمة مرقص فهمي فرج (المجلد السادس - **تاريخ العالم**) مكتبة النهضة.
- **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر.
- **شمس العرب تسطع على الغرب**، زيغريد هونكة، ترجمة فاروق بيضون، د. كمال دسوقي.
- **موقف الإسلام والكنيسة من العلم**، عبدالله سليمان المشوخي، رسالة ماجستير، مخطوط المكتبة التجارية للطباعة والتوزيع.
- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، أبو الحسن علي الحسني الندوي، مطبعة التقدم.

- **ما هي النصرانية**، محمد تقي الدين العثماني، رابطة العالم الإسلامي.
- **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، د. رؤوف شلبي، دار الاعتصام.
- **المسيحية**، أحمد شلبي، مكتبة النهضة العربية.
- **تطور المسيحية**، شارل جنيبير، ترجمة د. عبدالحليم محمود، دار المعارف، مصر.
- **الميزان في مقارنة الأديان** - حقائق ووثائق، مستشار محمد عزت طهطاوي، دار العلم، دمشق.
- **الكتاب المقدس يتكلم**، عبدالرحمن دمشقية، مخطوط.
- **مجلة الأمة القطرية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ذو الحجة ١٤٠٥هـ - يونيو ١٩٨٥م.

٧٦ـ البروتستانت

التعريف:

فرقة من النصرانية احتجوا على الكنيسة(*) الغربية باسم الإنجيل(*) والعقل(*)، وتسمى كنيستهم بالبروتستانتية إذ يعترضون (Protest) على كل أمر يخالف الكتاب وخلاص أنفسهم، وتسمى بالإنجيلية، أيضاً، إذ يتبعون الإنجيل دون سواه، ويعتقدون أن لكل قادر الحق في فهمه، فالكل متساوون ومسؤولون أمامه.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

الكنيسة البروتستانتية حركة(*) إصلاحية بدأت في الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر متأثرة بدعوات الإصلاح السابقة لها، ومن ثَمَّ تحولت من حركة إصلاحية داخل الكنيسة إلى حركة عقائدية مستقلة ومناهضة لها، ومن أبرز المؤسسين:

● مارتن لوثر: ولد لوثر سنة ١٤٨٣م في ألمانيا، وعاش في بيئة نصرانية تشيع فيها الخرافات والمعتقدات الزائفة.

ـ وفي عام ١٥٠٥م نال شهادة أستاذ في العلوم من جامعة إيرمورت ولكنه لم يُتم دراسته القانونية وتحول بعدها إلى الدراسات اللاهوتية، فدخل إلى دير الرهبان(*) الأوغسطنين.

ـ في عام ١٥٠٧م عُين قسيساً(*) لرعاية كنيسة كنتبرج بألمانيا.

ـ في عام ١٥١٠م دفعته نزعته الدينية وإخلاصه للكنيسة(*) ورجالها إلى أن يحج إلى روما ليتبرك بالمقر الرسولي في روما، إذ منَّى نفسه برؤية القديسين والزهاد من الرهبان(*) والكرادلة(*). ولكن ما إن حل في روما حتى هاله ما رأى من دعاوى: غفران الذنوب، وامتلاك سر التوبة، وحق منح صكوك الغفران، وتفشِّي مظاهر الفساد والانحلال الخلقي في الطبقات العليا من الكنيسة بوجه أخص. ومن ثم عاد إلى ألمانيا خائباً رجاؤه، ومستنكراً ما رأى، وأصبح منشغلاً بوضع خطة لإصلاح الكنيسة.

ـ في عام ١٥١٧م أرسل البابا(*) ليو العاشر مندوبه الراهب حمنا تتزل لبيع صكوك الغفران في ألمانيا، فما أخذ يعلن عنها ويبالغ في أمرها حتى ثار عليه لوثر، وكتب في معارضته وثيقَته الشهيرة التي تتضمن خمسة وتسعين مبدأً في معارضة الكنيسة، وعلقها على باب كنيسة القلعة. في الوقت الذي نشط في تأليف الكتب التي تعلن مبادئه، والتي أصبحت

حديث الطبقة المتعلمة في ألمانيا مما زاد في التفاف الناس حوله، ولهذا كله أصدر البابا قراراً بحرمانه في عام ١٥٢٠م.

ـ عندما تلقى لوثر القرار بحرمانه، قام بتحريض من بعض الأمراء الألمان من أصحاب دعوى الانفصال عن الإمبراطورية بحرقِه علانية في وسط الجموع الحاشدة في وتنبرج، التي أصبحت جامعتها المهد الأساسي للتعاليم اللوثرية في ألمانيا.

ـ في عام ١٥٢٠م بعد ما أظهر مارتن لوثر تأييداً للنزعة القومية في الدولة الألمانية في تولي إدارة كنيستها، عقدت الكنيسة في روما مجمعاً قضى بمحاكمة لوثر أمام محكمة التفتيش لكنه هرب إلى قلعة وارتبورج، وفيها ترجم العهد الجديد(*) إلى الألمانية، ثم شرع في ترجمة الكتاب المقدس كله، لكنه لم يتمه وعاد إلى وتنبرج مرة أخرى.

ـ في عام ١٥٢٩م أراد الإمبراطور تنفيذ قرارات الحرمان ضد مارتن لوثر، فأعلن حكام الولايات الإنجيلية في ألمانيا في مجلس سبير في ١٩ نيسان أنهم مستعدون لطاعة أوامر الإمبراطور والمجلس في كل القضايا الواجبة إلا التي تتعارض مع الكتاب المقدس أو التي لا يوجد لها نص فيه، وبالتالي رفضوا تسليم لوثر لمندوبي الإمبراطور.

ـ عندما رأى لوثر صعوبة تحقيق دعوة الإصلاح الكَنَسِيّ كرَّس كل جهده لقضايا الإيمان في الكنائس(*) الإنجيلية الناشئة.

ـ توفي لوثر في بلدة وتنبرج عام ١٥٤٦م مخلِّفاً مجموعة من الكتب والمؤلفات التي تؤصِّل قواعد دعوته.

● الروخ هولدريخ زوينجلي: ١٤٨٤ ـ ١٥٣١م: ولد ونشأ في سويسرا وأصبح قسيساً(*) وأحد دعاة حركة الإنسانية التي بدأت مع عصر النهضة(*) الأوربية.

ـ دعا إلى نفس المبادىء التي دعا إليها مارتن لوثر، وبدأ دعوته في زيوريخ بسويسرا، وقد قاوم استعمال الطقوس والصور والتماثيل في الكنائس كما عارض فكرة عزوبة رجال الأكليروس(*). وحبذ المسؤولية الفردية في المعتقد.

ـ لاقت دعوة زوينجلي التأييد من السلطات الحكومية في مدينة زيوريخ، فشاعت لذلك دعوته وأصبح زعيماً للبروتستانت في جنوب ألمانيا ومعظم سويسرا.

ـ في عام ١٥٢٩م وفي مدينة ماربورج التقى زوينجلي بـمارتن لوثر وتناقشا حول إصلاح الكنيسة(*) واختلفا حول فرضية أو سر العشاء الرباني(*)، كما اختلفا في أسلوب معارضة الكنيسة الكاثوليكية، إذ استخدم زوينجلي القوة في سبيل نشر مبادئه ابتداءً من الحظر التجاري الذي فرضه على بعض المقاطعات الكاثوليكية في شرقي سويسرا، حتى

القتال والصدام مع رجال الكنيسة(*) الذي قُتل فيه وهُزم أتباعه في كاييل عام ١٥٣١م.

- ذابت تعاليم زوينجلي في تعاليم جون كالفن التي ارتكز في بعضها على عقيدته.

● جون كالفن: ١٥٠٩ - ١٥٦٤م: ولد ونشأ في فرنسا وتثقف بثقافة قانونية لكنه مال عنها إلى الدراسة اللاهوتية، فتأثر بآراء مارتن لوثر دون أن يقابله، بواسطة بعض أقاربه وبعض أساتذته.

- شارك في إعداد خطاب ألقاه نيكولاس كوب مدير جامعة السربون بفرنسا التي كانت مركزاً لأكثر علماء الكاثوليكية، والذي تضمن شرحاً لآراء مارتن لوثر؛ مما أغضب آباء الكنيسة(*) عليه فاضطر إلى الهرب إلى جنيف في سويسرا.

- بعد أن عاد في الحادي والعشرين من مايو ١٥٣٤م إلى مدينة نويون مسقط رأسه سلّم كهنةَ(*) كاتدرائيتها(*) كل شارات الامتياز الأكليريكية الخاصة به، ثم هرب بصحبة نيكولاس كوب إلى جنيف في سويسرا مرة أخرى.

- في عام ١٥٣٥م شارك كلفن في حوار دعا إليه المبشرون المصلحون مع الأساقفة(*) الكاثوليك في المدينة وانتهى الحوار بانسحاب الكاثوليك، مما مكن دي فاريل صديق كلفن الحميم من الاستيلاء على الكنائس(*) الرئيسة الثلاث في المدينة: كنيسة سان بيتر، المجدلية، سان جرفيز؛ وتحويلها إلى كنائس إنجيلية أو بروتستانتية.

- استغل كلفن استقراره في جنيف في تنظيم وتقنين مبادىء زعماء الإصلاح وعلى رأسهم مارتن لوثر، وظهرت له مؤلفات وكتابات عديدة في ذلك، ولذلك فإنه يعد أحد مؤسسي المذهب(*) البروتستانتي.

- خالف كالفن لوثر في سر - فرضية - العشاء الرباني(*) من حيث كيفية حضور المسيح(*) العشاء على الرغم من اتفاقهما على عدم استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح.

- عدل كلفن عن فكرة لوثر في إشراف الحكومة على الكنائس، لما رأى ما يحدث للبروتستانت في فرنسا، وطالب بأن تحكم الكنيسة نفسها بنفسها، وعلى الحاكم المدني أن يساعدها ويحميها، مما كان سبباً في انقسام الكنيسة الإنجيلية إلى لوثرية وكليفينية (الإصلاحية - الكليفينية).

- تميزت حركته(*) بالانتشار في فرنسا، فأصبحت الدين(*) الرسمي في أسكتلندا كما امتدت إلى المقاطعات شرق سويسرا، واعتنقها معظم سكان المجر، يقول فيشر: «أصبحت أكثر أشكال الإصلاح البروتستاني اتساعاً».

- تأسست جمهورية هولندا عام ١٦٦٩م على مبادىء البروتستانت الكليفينية بعد

الحرب الدامية بين الكاثوليك والبروتستانت.

ـ نتيجةً للحرية(*) الفردية في فهم وتفسير الكتاب المقدس لكل فرد من المؤمنين بالمذهب(*) البروتستانتي انقسمت الحركة(*) البروتستانتية إلى كنائس(*) عديدة، وطوائف مختلفة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها حسب إحصائيات عام ١٩٨٢م يوجد ٠٠٩ر٧٥٤ر٧٦ بروتستانتي ينتمون إلى ٢٠٠ طائفة إنجيلية.

ومن أهم الكنائس البروتستانتية:

● **الكنيسة اللوثرية**: وقد بدأ إطلاق هذه التسمية على المؤمنين بأفكار معتقدات مارتن لوثر في القرن السادس عشر وذلك على الرغم من مقاومة لوثر نفسه لهذه التسمية، وأصبحت جامعة وتنبرج المهد الأساسي لها.

ـ اهتم مارتن لوثر بقضايا الإيمان، وترك الأمر الإداري للكنيسة(*) لغيره يقوم به، لكنه عيَّن بعض المراقبين ليتعاونوا مع حكام الدولة في الأقضية، وبذلك كان أول ظهور لنظام السينودس.

ـ ارتبطت اللوثرية في ألمانيا ارتباطاً وثيقاً بالحالة السياسية منذ أن دعا لوثر إلى إشراف الدولة على الكنيسة، ولذلك فإن الحكومة الألمانية تدخلت أكثر من مرة لحل الخلافات بين أعضاء الكنيسة أو للاتفاق مع كنائس المصلحة.

ـ كان لظهور الكنائس المعمدانية في القرن السابع عشر أثرها في إثارة الخلافات بين البروتستانت مرة أخرى.

ـ في زمن فريدريك وليم الثالث ملك بروسيا تم الاتحاد بين الكنائس اللوثرية والمصلحة، ومنها تشكلت الكنيسة القديمة، غير أن جماعة كبيرة من اللوثرية لم تنضم إلى هذه الكنيسة وعرفوا باللوثريين القدماء.

ـ في عام ١٩٢٣م تأثرت الكنيسة بالنظام النازي في ألمانيا إذ حاول صبغ الكنيسة الألمانية بصبغة قومية، فجرى توحيد ٢٨ كنيسة مصلحة ولوثرية على أساس أن الدم الآري أحد المؤهلات العضوية لهذه الكنيسة القومية العنصرية. وقد تناول هذا التأثير العقائد والمبادىء أيضاً، مما مهَّد لقيام ثورة(*) من آلاف القسوس(*) البروتستانت من بينهم مارتن تيمولر للمطالبة بتشكيل السينودس الذهبي.

ـ في عام ١٩٣٤م عارض السينودس الذهبي تدخل الدولة في شؤون الكنيسة بل رفض ذلك رفضاً حاسماً.

ـ في عام ١٩٣٥م أنشأت الحكومة وظيفة وزير الدولة للشؤون الكنسية، وخوَّلت له

سلطات مطلقة على الكنيسة الإنجيلية الألمانية.

- انتشرت في عام ١٩٣٦م حركة(*) الإيمان الألماني التي تحالفت مع الفلسفة(*) الوثنية(*) الجديدة.

- بعد الحرب العالمية الثانية ألغت الكنيسة(*) الإنجيلية دستورها المُوصَى به من النازية لعام ١٩٣٣م، وبدأت تنظيم نفسها من جديد.

- والكنيسة اللوثرية هي كنيسة الدولة في الدنمارك وأيسلندا والنرويج والسويد وفنلندا.

- يصدر الاتحاد اللوثري العالمي مجلة **اللوثرية العالمية** بالألمانية والإنجليزية.

● **الكنائس المصلحة**: وإن كان يُقصد بها بوجه عام جميع الكنائس البروتستانتية إلا أنه من الناحية التاريخية تقتصر على الكنائس البروتستانتية التي يرتكز أصلها على عقائد كلفن وعلى أساس النظام الكنسي المشيخي(*) الذي تركِّز فيه السلطات على سلسلة مجالس من الشيوخ العلمانيين ورجال الأكليروس، وتنزع إلى الشكل البسيط في العبادة. وقد قويت هذه الكنائس في إنجلترا في القرن السادس عشر وخصوصاً في أسكتلندا وشمال إيرلندا، وسميت كنائس سويسرا وهولندا وعدد من كنائس ألمانيا بالمصلحة، كما توجد بالولايات المتحدة الأمريكية كنائس تحمل لقب المصلحة.

● **الكنائس الأسقفية**: تطلق الكنيسة الأسقفية عند الإطلاق على الكنيسة الإنجليزية ويتبعها في أمريكا عدد من الكنائس الأسقفية، وتتبع هذه الكنائس النظام الأسقفي على أنه نظام إلهي خلافاً لسائر الفرق البروتستانتية، وذلك في تعيين أو اختيار أو عزل القساوسة(*)، والشمامسة(*)، أو تدشين الأراضي والأبنية الدينية، وإدارة تركات الموتى لحين وجود وصي شرعي للميت. ويلقب أساقفة(*) إنجلترا بلقب لورد إذ يُعدُّون من أشراف المملكة، ويرأس ملوك إنجلترا الكنيسة الإنجليزية، وبذلك يعينون الأساقفة الذين يتم انتخابهم من القساوسة بعد ذلك، ورئيس أساقفة كانتربري هو رأس الكنيسة، ويليه في المرتبة رئيس أساقفة يورك. أما أساقفة الولايات المتحدة الأمريكية فينتخبهم نواب من قساوسة الأسقفية وأهاليها قبل عرضهم على مجمع الأساقفة أو على مجمع نواب مؤلف من السينودس والأهالي.

● **الصهيونية المسيحية**:

- كان لليهود المهاجرين من إسبانيا إلى أوربا وبخاصة فرنسا وهولندا أثرهم البالغ في تسرب الأفكار اليهودية إلى النصرانية من خلال حركة الإصلاح، وبخاصة الاعتقاد بأن اليهود شعب الله المختار، وأنهم الأمة المفضلة، كذلك أحقيتهم في ميراث الأرض المباركة.

ـ في عام ١٥٢٣م أصدر مارتن لوثر كتاب **عيسى وُلِد يهوديًّا** متأثراً فيه بالأفكار الصهيونية.

ـ وفي عام ١٥٤٤م أصدر لوثر كتاباً آخر **فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم**.

ـ كانت هزيمة القوات الكاثوليكية وقيام جمهورية هولندا على أساس المبادىء البروتستانتية الكالفينية عام ١٦٠٩م بمثابة انطلاقة للحركة(*) الصهيونية المسيحية(*) في أوربا، مما ساعد على ظهور جمعيات(*) وكنائس(*) وأحزاب(*) سياسية عملت جميعاً على تمكين اليهود من إقامة وطن قومي لهم في فلسطين. ومن أبرز هذه الحركات: الحركة البيوريتانية التطهيرية التي تأسست على المبادىء الكالفينية بزعامة السياسي البريطاني أوليفر كروميل ١٦٤٩ ـ ١٦٥٩م الذي دعا حكومته إلى حمل شرف إعادة إسرائيل إلى أرض أجدادهم حسب زعمه.

ـ في عام ١٨٠٧م أُنشئت في إنجلترا جمعية لندن لتعزيز اليهودية بين النصارى، وقد أطلق أنطوني إشلي كوبر اللورد ريرل شانتسبري ١٨٠١ ـ ١٨٨٥م، أحد كبار زعمائها شعار: «وطن بلا شعب لشعب بلا وطن» وهذا ما أدى إلى أن يكون أول نائب لقنصل بريطانيا في القدس وليم برنج أحد أتباعها، ويعدُّ اللورد بالمرستون وزير خارجية بريطانيا ١٧٨٤ـ١٨٦٥م من أكبر المتعاطفين مع أفكار تلك المدرسة الصهيونية المسيحية وأيضاً فإن تشارلز. هـ. تشرشل الجد الأعلى لونستون تشرشل ـ رئيس الحكومة البريطانية الأسبق ـ أحدُ كبار أنصارها.

ـ انتقلت الصهيونية المسيحية إلى أمريكا من خلال الهجرات المبكرة لأنصارها نتيجة للاضطهاد الكاثوليكي، وقد استطاعت تأسيس عدة كنائس هناك من أشهرها الكنيسة المورمونية.

ـ يُعدُّ سايسروس سكلوفليد ١٨٤٣م الأب اللاهوتي للصهيونية المسيحية في أمريكا.

ـ لعبت تلك الكنائس(*) دوراً مهمًّا في تمكين اليهود من احتلال فلسطين واستمرار دعم الحكومات الأمريكية لهم ـ إلا ما ندر ـ من خلال العديد من اللجان والمنظمات والأحزاب(*) التي أنشئت من أجل ذلك ومن أبرزها: الفيدرالية الأمريكية المؤيدة لفلسطين التي أسسها القس(*) تشارلز راسل عام ١٩٣٠م، واللجنة الفلسطينية الأمريكية التي أسسها في عام ١٩٣٢م السناتور روبرت واضر، وضمَّت ٦٨ عضواً من مجلس الشيوخ، و٢٠٠ عضو من مجلس النواب، وعدداً من رجال الدين الإنجيليين، ورفعت هذه المنظمات شعارات: الأرض الموعودة، والشعب المختار.

ـ وفي العصر الحديث تُعدُّ الطائفة التدبيرية التي يبلغ عدد أتباعها ٤٠ مليون نسمة تقريباً والمعروفة باسم الأنجلو ساكسون، البروتستانت البيض من أكثر الطوائف مغالاة في تأييد

الصهيونية، وفي التأثير على السياسة الأمريكية في العصر الحاضر.

ـ ومن أشهر رجالها اللاهوتيين: بيل جراهام، وجيري فولويل، جيمي سويجارت. ومن أبرز رجالها السياسيين الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان.

ـ اهتمت الكنيسة البروتستانتية بنشر الإنجيل(*) في أوربا وأمريكا منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ثم تطور عملها في شكل منظمات وإرساليات، ووضعت اللوائح والقوانين المنظمة لها وكذلك الميزانيات اللازمة. ومن ثم انتقل العمل التبشيري البروتستانتي إلى القارتين الأفريقية والآسيوية، وبخاصة التي كانت تستعمرها الدول الغربية ذات العقيدة البروتستانتية. ومن أوائل الذين قادوا حركة(*) التبشير: جوف وسلي، ووليام ولبرفورس، ووليام كيري، أبو المبشرين في العصر الحديث.

الأفكار والمعتقدات:

تؤمن الكنائس البروتستانتية بنفس أصول المعتقدات التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية، ولكنها تخالفها في بعض الأمور، ومنها ما يلي:

● الخضوع لنصوص الكتاب المقدس وحده، حيث إن الكتاب المقدس بعهديه هو دستور الإيمان وعليه تقاس قرارات المجامع السابقة وأوامر الكنيسة(*)؛ فيقبل ما يوافقه فقط، يقول لوثر: «يجب أن يكون الكتاب المقدس مرجعنا الأخير للعقيدة أو أداء الشعائر».

ـ عدد أسفار(*) العهد القديم(*) ستة وستون سفراً وهي الأسفار القانونية، أما باقي الأسفار وعددها أربعة عشر، فتسميها الأبوكريفيا أي غير الصحيحة فلا تعترف بها.

● كما لا تؤمن الكنائس(*) البروتستانية بعصمة البابا(*) أو رجال الدين، وتهاجم بيع صكوك الغفران إذ ترى أن الخلاص والفوز في الآخرة لا يكون إلا برحمة الله وكرمه وفي الدنيا في الالتزام بالفرائض والكرازة ـ التبشير بالإنجيل(*).

● إن القديسيين لقب يمكن أن يوصف به كل إنسان نصراني(*) حيث إن القداسة في فهمهم ليست في ذات الشخص ولكنها مقام يصل إليه.

● ترفض البروتستانتية مرتبة الكهنوت حيث إن جميع المؤمنين بها كهنة(*)، وليس هناك وسيط ولا شفيع بين الله والإنسان سوى شخص المسيح(*) لأنه جاء في معتقدهم رئيساً للكهنة، كما لا تؤمن بالبخور والهيكل.

● تؤمن بسرين فقط من أسرار ـ فروض ـ الكنيسة وهما سرَّا ـ المعمودية(*)، والعشاء الرباني(*)، على خلاف بينهم في كيفية حضور المسيح سر العشاء.

● لا تؤمن بالصوم كفريضة بل هو سنة حسنة، ولا يطلق إلا على الإمساك عن الطعام

مطلقاً فقط.

● كما لا تؤمن بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى.

● الصلاة ليس لها مقدار محدد، كما أنه ليس من الحتم الالتزام بحرفية الصلاة الربانية؛ ولذلك يجيزون الصلاة بلغة غير مفهومة كاللاتينية التي تستعملها الكنائس الكاثوليكية.

● لا تؤمن الكنيسة البروتستانتية بنظام الرهبنة(*).

● الكهنوت درجتان فقط هما: القسوسية(*)، الشمامسة(*)، الراعي هو الأسقف(*)، والرئاسة تكون بمجمع السنودس لا لفرد.

● منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها، معتقدين أن ذلك منهي عنه في التوراة(*).

● تؤمن بعض الكنائس الإنجيلية ـ الصهيونية ـ أن شرط المجيء الثاني للمسيح هو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● نصوص الكتاب المقدس، وبخاصة نصوص العهد القديم(*).

● الديانات الوثنية(*).

● الفلسفة(*) الأفلاطونية الحديثة.

● الأفكار والمبادىء الصهيونية والتلمودية.

● يعتقد بعض الباحثين أن الإصلاحات التي نادت بها حركة الإصلاح ونتج عنها البروتستانتية قد تأثرت بالإسلام.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تنتشر الكنائس(*) البروتستانتية في: ألمانيا، هولندا، بريطانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، سويسرا، الدنمارك، وتوجد أقليات بروتستانتية في باقي الدول الأخرى.

يتضح مما سبق:

● لا تختلف الكنائس البروتستانتية عن باقي الكنائس النصرانية سواء في الإيمان بإله(*) واحد مثلث الأقانيم(*) الآب(*)، الابن(*)، الروح القدس(*) تثليث(*) في وحدة، أو وحدة في تثليث، حسب افترائهم.

● أو في الإيمان في عقيدة الصلب والفداء وتقديس الصليب.

● كانت لحركات(*) الإصلاح البروتستانتية الأثر الكبير في كشف عورات الكنيسة(*) الكاثوليكية، وفي فضح سلوك القائمين عليها. كما أنها أفسحت المجال أمام العلماء والمفكرين وعامة المؤمنين بالكنيسة في حق فهم الكتاب المقدس، وبالتالي كسرت احتكار رجال الدين لهذا الأمر، مع ما نشأ عن ذلك من آثار سلبية عديدة على النصرانية بوجه عام وعلى الكتاب المقدس بوجه خاص، إذ تعرض للنقد الشديد والتشكيك في صحة نصوصه.

● مع أن البروتستانت قرروا حرية البحث والنظر في الأمور الاعتقادية، إلا أنهم حرَّموها فيما بعد كالكاثوليك، بل أصبحت حرية(*) الفكر عندهم مقتصرة فقط على نقد رجال الكنيسة الكاثوليكية. فقد عذبوا رجالاً من أجل عقائدهم مثل سرفيتوس الإسباني، ومنعوا كتباً من النشر لأنها تحوي في نظرهم ما لا يتفق وتعاليم الكتاب المقدس.

- يقول هربرت فيشر في **أصول التاريخ الأوربي الحديث** عن لوثر: «لم يكن يؤمن بالبحث الحر ولا بالتسامح». وينقل غوستاف لوبون في كتابه **روح الثورات والثورة(*) الفرنسية** تصريحاً للوثر بأنه لا يجوز للنصارى أن يتبعوا غير ما جاء في الكتاب المقدس.

وعن موقف حركة(*) الإصلاح الديني من العلم، يقول أ. وولف في كتابه **عرض تاريخي للفلسفة(*) والعلم**: «أما من حيث حركة(*) الإصلاح الديني فإن المصلحين كانوا لا يقلُّون تعصباً عن رجال الكنيسة(*) الكاثوليكية إن لم يزيدوا عليها». ولذلك فإنهم هاجموا النظريات العلمية واضطهدوا من يقول بها، ويقول كلفن بعد أن أعلن كفر(*) من يقول بدوران الأرض: «مَن مِن الناس يجرؤ على أن يضع سلطة كوبر نيكوس فوق سلطة الروح القدس(*)».

- لم يكن اضطهاد العلماء في تلك الفترة بأقل من اضطهاد الفلاسفة. فكما حاربت البروتستانتية النظريات العلمية المخالفة لنصوص الكتاب المقدس، كذلك حاربت العقل(*) واضطهدت الفلاسفة أمثال آرازموس الذي حاول التوفيق بين العقل والكتاب المقدس. يذكر ديورانت في **قصة الحضارة** تصريحات للوثر تبين تطرفه في إنكار العقل إذ يقول: «أنت لا تستطيع أن تقبل كلاً من الإنجيل(*) والعقل، فأحدهما يجب أن يفسح الطريق للآخر» ويقول: «إن العقل أكبر عدو للدين(*)».

● نتيجة للحروب بين الكنيستين البروتستانتية والكاثوليكية، واضطهاد العلماء وقتلهم، وقتل الروح العلمية والفكرية، وتطرُّف زعماء حركة الإصلاح البروتستانتي في ذم العقل، ظهرت الأفكار المناوئة للدين، وتعالت الصيحات الإلحادية(*) التي تطالب بحرية(*) الفكر وسيادة العقل، واعتباره المصدر الوحيد للمعرفة، والمناداة أيضاً بفصل

الدين(*) عن الدولة.

● استطاع اليهود تهويد بعض الكنائس البروتستانتية، وتسريب الأفكار الصهيونية، وإنشاء أحزاب(*) وكنائس تتبناها وتدعو إليها من خلال ما يعرف بالصهيونية المسيحية(*). وللحقِّ فإن هناك من داخل الكنيسة الإنجيلية في أمريكا مَنْ وقف لهم بالمرصاد مثل: المجلس الوطني للكنائس المسيحي(*)، الذي يضم ٣٤ طائفة يبلغ عدد أتباعها نحو الأربعين مليون شخص. وتتعاطف الكنائس(*) الإنجيلية: المشيخية(*)، المنهجية(*)، المعمدانية(*)، الأسقفية، بنسب متفاوتة مع هذا الاتجاه.

مراجع للتوسع:

- **الموسوعة العربية**، إشراف محمد شفيق غربال ـ دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- **الموسوعة الثقافية**، مدير التحرير/ فايزه حكيم رزق الله ـ دار الشعب ـ مصر.
- **دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب**، بطرس البستاني ـ دار المعرفة ـ بيروت.
- **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ومحمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- **روح الثورات والثورة الفرنسية**، د. غوستاف لوبون، ترجمة محمد عادل زعيتر، المطبعة العصرية.
- **عرض تاريخي للفلسفة والعلم**، أ. وولف، ترجمة محمد عبدالواحد خلاف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.
- **المصلح مارتن لوثر ـ حياته وتعاليمه**، د. القس حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، مصر.
- **جون كلفن ـ دراسة تاريخية عقائدية**، تأليف د. القس حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، مصر.
- **حديث مع جون كلفن**، القس لبيب مشرقي، دار نوبار، مصر.
- **إيماني الإنجيلي**، د. القس فايز فارس، القس منيب عبدالنور، القس إميل زكي.
- **تاريخ الفكر المسيحي**، د. القس حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، مصر.
- **محاضرات في النصرانية**، الشيخ محمد أبو زهرة.
- **موقف الإسلام والكنيسة من العلم**، عبدالله سليمان المشوخي، مخطوط على الآلة الكاتبة.
- **الأصول الوثنية للمسيحية**، أندريه نايتون، إدغار ويند، كارل غوستاني يونج، ترجمة سميرة عزمي الزين. سلسلة من أجل الحقيقة، من منشور المعهد الدولي للدراسات

الإنسانية.
- **مصلح في المنفى جون كلفن - موجز عن حياته ومبادئه**، د. هاري إيبرتس، ترجمة وليم وهبة بباوي.
- **من يجرؤ على الكلام**، بول فندلي. شركة المطبوعات والتوزيع والنشر - بيروت، لبنان.
- **النبوءة والسياسة**، غريس هالسل، ترجمة محمد السماك، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.
- **الصهيونية المسيحية**، محمد السماك، دار النفائس.
- **المسيحية والسيف**، رواية شاهد عيان لإبادة ملايين البشر في الأمريكتين، سلسلة من أجل الحقيقة - ٣ - من منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
- **النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة**، غازي محمد فريج، دار النفائس، بيروت.
- **شهود يهوه، بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة التلمود اليهودي**، حسين عمر حمادة، دار قتيبة، دار الوثائق، دمشق، بيروت.
- **شهود يهوه** - أبو إسلام أحمد عبدالله - بيت الحكمة - القاهرة - مصر.
- **النصرانية من الواحد إلى المتعدد** - أبو إسلام أحمد عبدالله - بيت الحكمة، القاهرة.
- **دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة جان كين**، دار المشرق، بيروت، بيت الحكمة، القاهرة.
- **تاريخ الكنيسة جون لوريمر**، دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٠م

الفصل الرابع : فروع أخرى

● المارونية ● الجزويت ● المورمون ● شهود يهوه ● الأبوس دي ● المونية

٧٧ـ المارونية

التعريف:

المارونية، طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين، قالوا بأن للمسيح(*) طبيعتين ومشيئة واحدة(*)، ينتسبون إلى القديس مارون ويعرفون باسم الموارنة متخذين من لبنان مركزاً لهم.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تنتسب هذه الطائفة إلى القديس مارون الذي انعزل في الجبال والوديان مما جذب الناس إليه مشكِّلين طائفة عرفت باسمه، وكانت حياته في أواخر القرن الرابع الميلادي فيما كان موته حوالي سنة ٤١٠م بين أنطاكية وقورس.

ـ وقع خلاف شديد بين أتباع مارون وبين كنيسة الروم الأرثوذكس، مما اضطرهم إلى الرحيل عن أنطاكية إلى قلعة المضيق قرب أفاميا على نهر العاصي مشيدين هناك ديراً يحمل اسم القديس مارون.

ـ وقع كذلك خلاف آخر في المكان الجديد بينهم وبين اليعاقبة الأرثوذكس من أصحاب الطبيعة الواحدة عام ٥١٧م مما أسفر عن تهديم ديرهم فضلاً عن مقتل ٣٥٠ راهباً(*) من رهبانهم.

ـ خلال فترة الرحيل نالهم عطف الإمبراطور مرقيانوس الذي وسّع لهم الدير عام ٤٥٢م.
وعطف الإمبراطور يوستنيان الكبير ٥٢٧ ـ ٥٦٥م الذي أعاد بناء ديرهم بعد تهديم اليعاقبة له.
وكذلك عطف الإمبراطور هرقل الذي زارهم سنة ٦٢٨م بعد انتصاره على الفرس.

ـ احتكم الموارنة واليعاقبة عام ٦٥٩م إلى معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ لإنهاء الخلاف بينهم، لكن الخصومة استمرت، إذ حدثت حروب انتقامية بين الطرفين مما أسفر عن هجرة الموارنة إلى شمالي لبنان وهو المكان الذي أصبح موطناً لهم فيما بعد.

● ظهر في موطنهم الجديد بلبنان القديس يوحنا مارون الذي يُعدُّ صاحب المارونية الحديثة ومقنن نظريتها ومعتقدها، وتتلخص سيرة حياته فيما يلي:

ـ ولد في سروم قرب أنطاكية، وتلقى دراسته في القسطنطينية.

ـ عين أسقفاً(*) على البترون على الساحل الشمالي من لبنان.

ـ أظهر معتقد الموارنة سنة ٦٦٧م الذي يقول بأن في المسيح(*) طبيعتين ولكن له مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم(*) واحد.

ـ لم تقبل الكنائس(*) النصرانية(*) هذا الرأي، فدعوا إلى مجمع القسطنطينية الثالث الذي عقد سنة ٦٨٠م وقد حضره ٢٨٦ أسقفاً وقرروا فيه رفض هذه العقيدة وحرمان أصحابها ولعنهم وطردهم وتكفير(*) كل من يذهب مذهبهم(*).

ـ يعد يوحنا مارون أول بطريرك(*) لطائفة الموارنة وبه يبدأ عهد البطاركة المارونيين.

ـ تصدى بجيش من الموارنة لجيش قاده يوستنيان الثاني الذي أراد هدم معابدهم واستئصالهم إلا أن الموارنة هزموه في أميون مما أظهر أمرهم كأمة جبلية ذات شخصية مستقلة.

ـ لقد تحايلت كنيسة روما بعد ذلك عليهم في سبيل تقريبهم منها إذ قام البطريرك الماروني أرميا العمشيتي بزيارة لروما حوالي سنة ١١١٣م وعند عودته أدخل بعض التعديلات في خدمة القداس وطقوس العبادة وسيامة الكهنة(*).

ـ ولقد زاد التقارب بينهما حتى بلغ في عام ١١٨٢م إعلان طاعتهم للكنيسة(*) البابوية، أما في عام ١٧٣٦م فقد بلغ التقارب حد الاتحاد الكامل معها فأصبحت الكنيسة المارونية بذلك من الكنائس الأثيرة لدى باباوات(*) روما.

● لقد كان لهم دور بارز في خدمة الصليبيين من خلال تقديمهم أدلاء لإرشاد الحملة الصليبية الأولى إلى الطرق والمعابر، وكذلك إرسالهم فرقة من النشابة المتطوعة إلى مملكة بيت المقدس.

ـ لقد بلغ رجالهم القادرون على القتال ٤٠,٠٠٠ على ما ذكر مؤرخو الحروب الصليبية.

ـ احتل الموارنة في الممالك التي شيدّها الصليبيون المرتبة الأولى بين الطوائف النصرانية متمتعين بالحقوق والامتيازات التي يتمتع بها الفرنجة كحق ملكية الأرض في مملكة بيت المقدس.

ـ لويس التاسع كان أول صديق فرنسي لهم، إذ تقدم إليه عندما نزل إلى البر في عكا وفدٌ مؤلف من خمسة عشر ألف ماروني ومعهم المؤن والهدايا، وقد سلمهم بهذه المناسبة رسالة مؤرخة في ٢١/٥/١٢٥٠م فيها تصريح بأن فرنسا تتعهد بحمايتهم فقد جاء فيها: «ونحن

مقتنعون بأن هذه الأمة التي تعرف باسم القديس مارون هي جزء من الأمة الفرنسية» .

- استمر هذا التعاطف من الغرب مع الموارنة في الأجيال التالية وذلك عندما أرسل نابليون الثالث فرقة فرنسية لتهدئة الجبل عام ١٨٦٠م، وكذلك بعد الحرب العالمية الأولى عندما صار لبنان تحت الانتداب الفرنسي .

● تيوفيل (تيوفيلوس) بن توما من شمال سوريا، ماروني، كان يعمل منجِّماً في قصر الخليفة العباسي المهدي ٧٧٥ - ٧٨٥م كما قام بترجمة إلياذة(*) هوميروس .

● المؤرخ اسطفانوس الدويهي المشهور، ماروني، توفي سنة ١٧٠٤م .

● البطريرك(*) جرجس عميرة، ماروني، ألّف أول غراماطيق سرياني واضعاً قواعده باللاتينية تسهيلاً على المستشرقين دراسة هذه اللغة .

● من مشاهيرهم يوسف حبيش وبولس مسعد ويوحنا الحاج والبطريرك إلياس الحويك .

● ومن الأساقفة(*) المطران(*) جرمانوس فرحان ويوسف سمعان السمعاني ويوحنا حبيب ويوسف الدبس .

● ومن بيوتاتهم المعروفة آل خازن ودحداح وحبيش والسعد وكرام والظاهر والبستاني والشدياق والنقاش والباز . .

● ومن زعاماتهم المعاصرة : آل جمَيِّل، وشمعون، وفرنجية، وإده . .

● من تنظيماتهم السياسية الحزبية العسكرية حالياً : حزب(*) الكتائب وحزب الأحرار .

● منذ عام ١٩٤٣م وحتى اليوم استقر الأمر بأن يكون رئيس الجمهورية اللبنانية من الطائفة المارونية وذلك بموجب الميثاق الوطني الذي تم فيه الإتفاق شفوياً بين المسلمين والنصارى حول توزيع المناصب الرئيسية للدولة اللبنانية على مختلف الطوائف الدينية فيها .

الأفكار والمعتقدات:

● أهم نقطة تميزهم عن بقية الطوائف النصرانية هو معتقدهم بأن للمسيح(*) طبيعتين وله مشيئة واحدة وذلك لالتقاء الطبيعتين في أقنوم(*) واحد .

● عقيدة المشيئة الواحدة قال بها بطريرك(*) الإمبراطور هرقل، أيضاً، ٦٣٨م ليوفق بين عقيدة أصحاب الطبيعة الواحدة الذين يشكلون الأكثرية من رعاياه النصارى في سوريا وبين أصحاب العقيدة الأرثوذكسية للكنيسة البيزنطية، إلا أن هذه المحاولة لم تفلح في سد الثغرة بينهما .

● يعتقدون أن خدمة القداس عندهم مأخوذة عن تلك الخدمة التي ينسبونها إلى القديس يعقوب، كما يعتقدون أن هذه الخدمة إنما هي أقدم خدمة في الكنيسة(*) المسيحية(*) إذ إن أصولها ترجع إلى العشاء الرباني(*) الأخير.

● لا تزال الكنيسة المارونية تحتفظ باللغة السريانية في القداس إلى يومنا هذا.

● ولا يزال الطابع السرياني سارياً حتى في الكنائس التي تعترف بسلطة البابا.

● منذ أوائل القرن الثالث عشر تم إدخال بعض التعديلات على الطقس الماروني القديم وذلك في عهد البابا(*) إنوسنت الثالث ليكون أكثر تلاؤماً مع الطقس اللاتيني ومن ذلك:

- تغطيس المعمود ثلاث مرات في الماء.
- طلبة واحدة للثالوث.
- تكريس الأحداث على أيدي المطارنة(*) فقط.
- لقد صار الكهنة(*) يتبعون الزي اللاتيني في لبس الخواتم والقلنسوة التي تشبه التاج والعكاز.
- استعمال الأجراس بدلاً من النواقيس الخشبية التي تستعملها سائر الكنائس الشرقية في الدعوة إلى القداس متبعة بذلك التقليد اللاتيني.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الموارنة فرع عن الكاثوليك الشرقيين الذين هم بدورهم فرع عن النصرانية بشكل عام لذا فإن جذورهم هي نفس الجذور النصرانية.

● يمتازون بالمحافظة الشديدة على تراثهم ولغتهم السريانية القديمة، وقد اقتربوا على مدار الزمن من الكنيسة(*) البابوية بروما بعد إدخال عدد من التعديلات على الطقوس المارونية القديمة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● البداية في أنطاكية، ومن بعدها رحلوا إلى قلعة المضيق، وأخيراً صاروا إلى جبال لبنان موطنهم الحالي منذ النصف الثاني من القرن السابع الميلادي.

● منذ القرن الخامس عشر الميلادي أصبح دير قنُّوبين شمالي لبنان فوق طرابلس المبني في صخر من صخور وادي قاديشا (أي المقدس) مقراً للبطريركية المارونية، كما أصبحت بكركي المبنية فوق جونية المقر الشتوي حتى يومنا هذا، إذ لا يزال سيد بكركي

يلقب ببطريرك(*) أنطاكية وسائر الشرق؛ ذلك لأنه مستقل عن سائر البطاركة الشرقيين، كما تخضع لإدارته مطارنة وأبرشيات(*) وجمعياتٌ(*) رهبانية(*) مختلفة.

● عندما استرد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس غادر الملك غوي دي ليزنيان إلى قبرص فتبعه جمهور كبير من الموارنة، لوقوفهم إلى جانب الصليبيين إبان الاحتلال، مستوطنين هناك الجبل الذي يقع شمالي نيقوسيا.

● لقد فرَّ كثير من الموارنة من لبنان بسبب الحروب والهجرة فوصلوا إلى تكريت وغيرها من المدن بين دجلة والفرات منذ القرنين الثاني والثالث عشر، كما ذهب بعضهم تجاه سوريا الداخلية مستوطنين دمشق وحلب، وفريق ذهب إلى القدس وهبط بعضهم الآخر إلى مصر ورودس ومالطة، وهاجر آخرون إلى أمريكا وأفريقيا وإندونيسيا ولا يزال أغلبهم يعيشون في لبنان ولهم أكبر الأثر في توجيه السياسية اللبنانية المعاصرة.

ويتضح مما سبق:

أن المارونية طائفة من النصارى الكاثوليك الشرقيين، الذين كانوا دائماً على خلاف مع معظم الطوائف الأرثوذكسية، لأنهم يقولون بأن للمسيح(*) طبيعتين ومشيئة واحدة، وهم يتخذون من لبنان مركزاً لهم، وقد أعلنوا طاعتهم لبابا(*) روما عام ١١٨٢م، وقد تعاونوا مع الفرنجة إبان الحروب الصليبية، ومنذ عام ١٩٤٣م تم الاتفاق بين المسلمين والنصارى(*) في لبنان، على أن يكون رئيس الدولة مارونياً.

مراجع للتوسع:

- **النصرانية والإسلام**، المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ـ مطبعة التقدم ـ مصر ـ ١٩٧٧م.
- **محاضرات في النصرانية**، محمد أبو زهرة ـ ط٣ ـ مطبعة يوسف ـ مصر ـ ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.
- **أضواء على المسيحية**، محمد متولي شلبي ـ نشر الدار الكويتية ـ ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م
- **تاريخ لبنان**، د. فيليب حتى ـ ط٢ ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٧٢م.
- **خطط الشام**، محمد كرد علي ـ ج٦ ـ ط٢ ـ دار القلم ـ بيروت ـ ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- **مقارنة الأديان «المسيحية»**، د. أحمد شلبي ـ ط٥ ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٧م.
- **تاريخ الطائفة المارونية**، اسطفان الدويهي ـ طبع بيروت ـ ١٨٩٠م.
- **التواريخ القديمة من المختصر في أخبار البشر**، لأبي الفداء ـ نشر فليشر ـ ليبسغ ـ ١٨٣١م.

- **التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق**، سعيد بن البطريق ـ نشر شيخو ـ الجزء الثاني ـ بيروت ـ ١٩٠٩م.
- **تاريخ مختصر الدول**، ابن العبري ـ نشره أنطوان صالحاني ـ بيروت ـ ١٨٩٠م.
- **التنبيه والإشراف**، للمسعودي ـ طبعة دي غويه ـ ليدن ـ ١٩٨٣م.
- **المحاماة عن الموارنة وقديسهم**، أفرام الديراني ـ بيروت ١٨٩٩م.
- **تاريخ سورية**، يوسف الدبس ـ ج٥ ـ بيروت ـ ١٩٠٠م.
- **الأديان المعاصرة**، راشد عبد الله الفرحان ـ ط١ ـ شركة مطبعة الجذور ـ الكويت ـ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

المراجع الأجنبية:

W. Wright. Catalogue of Syriac Manuscripts in the British Museum (london, 1871).

Edward Gibbon. The History of the Decline and Fall of the Roman Empire. ed.J.Bury. Vol. V (London. 1898).

A History of Deeds Done Beyond the Sea, Tr. Emily A. Babcock and A.C Krey (New York. 1943).

Fausto (Murhij) Naironi. Dissertation de Origine, Nomineac religione Maronit arum (Rome. 1679).

Pierre Dib, LÉglise Maronite, Vol.l, (Paris, 1930).

Bernard G.Al- Ghaziri. Rone et LÉglise Syrienne-Maronite (paris, 1906).

٧٨ ـ الجزويت

التعريف:

الجزويت فرقة كاثوليكية يسوعية تنتشر في أوربا بصفة عامة، وفي البرتغال وإسبانيا وفرنسا بصفة خاصة، وهي جمعية(*) دينية متعصبة تهدف حالياً إلى القضاء على الدين(*) الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أنشأها قسيس(*) فرنسي يدعى أنياس لايولا في القرون الوسطى، وقد أسهمت في القضاء على المسلمين في الأندلس من خلال محاكم التفتيش، ويقوم عليها الآن مجموعة كبيرة من القسس والرهبان(*).

الأفكار والمعتقدات:

● يلتزم الرهبان الذين ينتمون إليها بالمحافظة على أسرارها وعدم إفشائها ولو لأعضائها.

● يلتزم أعضاؤها كذلك بالمحافظة على سرية تعليماتها والحيلولة دون وصولها إلى أيدي الأجانب بشكل عام والأعداء بشكل خاص.

● بعد طرد هذه الجمعية من كثير من الدول الأوربية، بدأت تستقطب عطف الساسة والمسؤولين من خلال إظهار العداء للدين الإسلامي، والتغلغل في الدول الإسلامية؛ لبث الأفكار الهدامة بين المسلمين من خلال المدارس وتحت غطاء دور الخير والبر.

● تتستر هذه الجمعية خلف أعمال البر، كإنشاء المدارس والمستشفيات في شتى بقاع العالم، وتظهر العطف على المرضى، وتلزم أعضاءها باصطناع التواضع لاستقطاب الناس إليها وإلى الدين النصراني.

ـ تقبل التبرعات وتتفنن في أساليب جمع الأموال، ولكي تنفي عن نفسها مظنة الاكتناز، فإنها تتبرع ببعض الأموال في نفس المكان؛ للإيهام بأن هدفها هو خدمة الفقراء.

ـ يلتزم أعضاء الجمعية(*) بالمحافظة على هيبتها، فلا يختلفون أمام الآخرين، بل يظهرون تماسكهم ورغبتهم في خدمة الآخرين.

ـ عندما يذهب أعضاء الجمعية إلى إحدى المدن لأول مرة، فإنهم يجتنبون المبادرة إلى شراء الأرض، مدة معينة، حتى إذا ما ثبت أن شراء الأرض يُعدُّ ضرورياً، قاموا بالشراء، وغالباً ما يتم شراء الأرض باسم مستعار حتى لا تهتز ثقة الناس في الجمعية.

ـ تعد واردات الجمعية سراً مقدساً، فلا يطلع عليها إلا رئيس الرهبان(*)، وتعد خزانة الجمعية في روما، بجميع محتوياتها، سراً مقدساً كذلك، فلا يجوز إفشاؤه.

● الهدف الأساسي لهذه الجمعية الآن هو القضاء على اتباع الديانات الأخرى، لاسيما الدين(*) الإسلامي، لذلك فإن أعضاءها لا يستنكفون عن استخدام أساليب الاستمالة كافة ووسائل جذب الناس من أجل تنصيرهم.

ـ ولتحقيق هذا الهدف، فإن هذه الجمعية تعمل على كسب ثقة رجال الدولة، وإرضائهم، والإشادة بهم، وغض الطرف عن ممارساتهم غير السوية وأعمالهم غير المستقيمة، وإفهامهم عند الاقتضاء أن الرب قد غفر لهم.

ـ كما تعمل هذه الجمعية على كسب ثقة حكام البلدان التي يمارسون التبشير فيها، فيرسلون إليهم مندوبين على درجة عالية من الذكاء والدهاء والثقافة، ويحرص هؤلاء المندوبون على إيهام أولئك الحكام، أنهم موفدون من قبل بابا روما، وأنهم يحملون إليهم تحياته.

● يتجنب أعضاء الجمعية التكلف في اللباس، ولا يقبلون الهدايا لأنفسهم، بل يحيلونها إلى دير الجمعية القريب من مكان وجودهم، حتى يدخلوا في روع الناس أنهم مخلصون فيزداد العطف على الجمعية.

● يحاول أعضاء الجمعية بجميع الطرق الحيلولة دون إنشاء أو تأسيس أية مدارس بالقرب من مدارس الجمعية، التي تهتم بالرياضة البدنية، وتتفانى في القيام بالعملية التربوية خير قيام، مع معاملة الدارسين معاملة حسنة، حتى يثقوا في هيئة التدريس وما تبثه من أفكار تبشيرية.

● تعمل الجمعية(*) بجميع الطرق الممكنة على كسب ود النساء الأرامل، وإذا كان لإحداهن راهب(*) من غير الجمعية فإنه يتم إبعاده ويستبدل به راهب من الجمعية لإدارة أعمالها بالتدريج.

- ولكي تتم السيطرة التامة على الأرامل: فإن الجمعية ترغبهن في التصدق على الفقراء باسم المسيح(*) ومريم، ويستمر هذا الوضع حتى تنفد جميع أموالهن، وفي سبيل ذلك فإن هذه الجمعية لا تستنكف عن مساعدة هؤلاء الأرامل في إشباع رغباتهن وقضاء وطرهن عند الاقتضاء.

- وإذا كان للأرامل بنات فإنه يتم إقناعهن بالرهبنة أو التربية النصرانية، أما البنون فإنه يتم حثهم على أن يغشوا الأديرة والكنائس(*)، مع إغراقهم في الملذات، والتلميح لهم بأنه لا إثم في العلاقات الجنسية الحرة، كما تيسر لهم سبل الانخراط في معسكرات صيفية يتم فيها إقناعهم بأهمية التربية النصرانية.

● يكرر أعضاء الجمعية زياراتهم للمرضى الميئوس من حالتهم، ويتم تخويفهم من النار وحثهم على التصدق بكل أموالهم للجمعية.

● كل من يخرج على المبادىء الهدامة لهذه الجمعية، يطرد ويتم اجتنابه ويحرم من الامتيازات التي يتمتع بها الأعضاء كافة، ويتم الطرد بوجه خاص، عند تشويه سمعة الجمعية أو إفشاء أسرارها، أو الإضرار بأعضائها، أو الكسل وعدم القيام بالمهام المنوطة به.

● تحاول الجمعية الحصول على الأسرار السياسية والأخبار الموثوقة والخطيرة، وإخبار الحكام بها للفوز بمكانة مرموقة لديهم، تساعدهم على اجتذاب أصحاب الثروات والنفوذ والأسر الكبيرة للجمعية.

● تحافظ الجمعية على هيبتها في نفوس الآخرين، من خلال إفهامهم أنها تأسست على يد الراهب شوواكيم بإلهام إلهي، للحد من انحراف الكنيسة(*) وإعادتها إلى وضعها الطبيعي ونشر دين(*) عيسى في جميع أنحاء العالم، وبذا تبرر مسلكها القديم الذي كانت تبيع فيه صكوك الغفران، وترسم معالم طريقها الجديد الذي تقضي فيه على الإسلام والمسلمين.

ويتضح مما سبق:

أن الجزويت فرقة كاثوليكية يسوعية، تتستر خلف أعمال البر كإنشاء المدارس والمستشفيات وغيرهما لتستقطب الناس للنصرانية، لا سيما المسلمين منهم، وتحاول هذه الفرقة الغوص في أعماق الأسرار السياسية ومد بعض الحكام بها للفوز بمكانة مرموقة لديهم، تمنحهم نفوذاً كبيراً لمباشرة عمليات التبشير، وهو تبشير يعتمد على هدم القيم الدينية ونشر الرذائل والقول بطبيعية العلاقات الجنسية الحرة وإشاعة الأفكار

الهدامة بين المسلمين، ومن ثم جعلهم لبنة هشة تقبل التشكيل الذي يلائم أهداف هذه الفرقة.

أماكن الانتشار:

تتخذ هذه الفرقة من أوربا ككل مركز انطلاق لها، وهي تتركز في البرتغال وإسبانيا، إذ الرغبة في القضاء على كل أثر للإسلام هناك، وفي فرنسا إذ نشأت مقولة الحرية(*) المطلقة في مجال العقيدة، وإيطاليا حيث يوجد بابا(*) الفاتيكان، ومن هذه المرتكزات تمد هذه الفرقة أذرعها صوب التجمعات الإسلامية في دول حوض البحر الأبيض المتوسط وجنوب شرق آسيا وبخاصة في إندونيسيا.

مراجع للتوسع:

- **محاضرات في النصرانية**، دار الفكر العربي ط٤ الشيخ محمد أبو زهرة.
- **دائرة معارف القرن العشرين** لمحمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت ط٤.
- **حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر**، ط١ أحمد عبد الوهاب.
- **التبشير والاستعمار** ط١، عمر فروخ ومصطفى الخالدي.

٧٩ـ المورمون

التعريف:

المورمون طائفة نصرانية جديدة نسبياً منشقة عن النصرانية الأم، تلبس لباس الدعوة إلى دين(*) المسيح(*)، عليه الصلاة والسلام، وتدعو إلى تطهير هذا الدين(*) بالعودة به إلى الأصل أي إلى كتاب اليهود، ذلك أن المسيح ـ في نظرهم ـ قد جاء لينقذ اليهود من الاضطهاد وليمكنهم من الأرض، إنها ـ كما تسمي نفسها ـ طائفة القديسين المعاصرين لكنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، نبيها(*) المؤسس هو يوسف سميث وكتابها المقدس هو الكتاب المقدس الحديث.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ولد يوسف سميث في ٢٣/ ١٢/ ١٨٠٥م بمدينة شارون بمقاطعة وندسور التابعة لولاية فرمونت. وعندما بلغ العاشرة من عمره رحل مع والده إلى مدينة بالمايرا بمقاطعة أونتاريو التابعة لولاية نيويورك.

ـ في الرابعة عشرة من عمره انتقل مع أهله إلى مانشستر من المقاطعة نفسها.

ـ ولما بلغ الخامسة عشرة وجد الناس حوله منقسمين إلى طوائف:

الميثوديست(*)، والمشيخي(*)، والمعمداني(*).. فشعر باضطراب وقلق.

ـ في ربيع عام ١٨٢٠م ذهب إلى غابة، وأخذ يصلي منفرداً طالباً من الله الهداية، وبينما هو كذلك إذ شاهد ـ كما يزعم ـ نوراً فوق رأسه، تمثل هذا النور في شخصين سماويين هما (الله، وابنه عيسى ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) وقد نهياه عن الانضمام إلى أي من هذه الفرق.

ـ يدعي بأن الوحي(*) قد انقطع عنه، وأنه خضع لاضطهاد عنيف وسخرية من جراء جهره برؤياه هذه، وقد تورط خلال ذلك بزلات طائشة إذ يقول عن نفسه: «وكثيراً ما أدت مخالطتي لشتى البيئات إلى اقتراف زلات طائشة وللاتِّسام بما للشباب من نزق وما للطبيعة البشرية من قصور وقد ورطني ذلك للأسف في ألوان من التجارب والآثام المغضبة لله ولا يتبادر إلى الذهن بسبب هذا الاعتراف أني ارتكبت إثماً فظيعاً أو وزراً منكراً، فما كان بي نزوع قط إلى مثل هذه الأوزار أو تلك الآثام» **شهادة يوسف ص ٧**.

ـ كما يدعي أنه في مساء ٢١ سبتمبر ١٨٢٣م نزل عليه ملاك من السماء اسمه موروني وأخبره بأنه قد أعده لمهمة ينبغي عليه إنجازها، وأخبره عن كتاب نقشت عليه كلمات على صحائف من الذهب تروي أخبار القوم الذين استوطنوا القارة الأمريكية في الأزمنة الغابرة، وتاريخ السلف الذين انحدروا منهم، وأنبأه عن حجرين في قوسين من الفضة لترجمة الكتاب، وغادره هذا الملاك بعد أن نهاه عن إظهار أحد من الناس على هذه الصحف.

ـ في ١٨ يناير ١٨٢٧م تزوج من فتاة اسمها إيما هيل، فكان له من حميه فيما بعد سند قوي أعانه على نشر فكرته، وذلك لما تتمتع به هذه الأسرة من مكانة طيبة.

ـ في ٢٢ سبتمبر ١٨٢٧م تسلم الصحف ـ كما يزعم ـ متعهداً بإعادتها بعد نهوضه بالمطلوب.

ـ رحل عن مقاطعة مانشستر الأمريكية وذهب إلى حيث حموه في مقاطعة سوسكويهانا بولاية بنسلفانيا، واستوطن مدينة هارموني.

ـ شرع في الترجمة بمساعدة مارتن هاريس الذي أخذ بعض الحروف وشيئاً من الترجمة وعرض ذلك على الأستاذ تشارلز آنثون، والدكتور ميتشيل فأقرا بأن ما رأياه إنما هو ترجمة عن اللغة المصرية القديمة، وأن الأصل إنما يتألف من حروف مصرية قديمة، وحروف كلدانية، وحروف آشورية، وحروف عربية.

ـ في ٢٥ مايو ١٨٢٥م ذهب مع أوليفر كودري للصلاة في الغابة إذ زعما أنه هبط عليهما يوحنا المعمدان (أي نبي(*) الله يحيى، عليه الصلاة والسلام،) وأمرهما بأن يعمد(*) كل منهما الآخر، وأخبرهما بأنه قد جاء إليهما تنفيذاً لأمر بطرس ويعقوب، ورسَّمهما لرعاية الكنيسة(*) المورمونية.

ـ يدعي كل من أوليفر كودري، وداود ويتمر، ومارتن هاريس أنهم قد شاهدوا الصحف وأنهم يشهدون على صحة الترجمة ودقتها وبأن هذا الكتاب إنما هو سجل لقوم نافي ولإخوتهم اللامانيين.

ـ أعلن في عام ١٨٣٠م وبحضور عدد من الشخصيات عن تأسيس كنيسة يسوع المسيح(*) لقديسي الأيام الأخيرة.

ـ رحل يوسف سميث وأتباعه عن نيويورك إلى مدينة كيرتلاند المجاورة لمدينة كليفلاند بولاية أوهايو إذ شيَّد هيكلاً عظيماً، كما أنه قام بعمل تبشيري واسع النطاق في تلك المنطقة وما جاورها.

ـ بعث بإحدى الإرساليات إلى ولاية ميسوري للتبشير ولاكتساب المؤيدين.

ـ تعرضوا للاضطهاد فتنازلوا عن منازلهم ومزارعهم ورحلوا إلى ولاية إلينوي إذ اشتروا المستنقعات الشاسعة المهجورة على شاطىء المسيسيبي وقاموا بإصلاحها وبنوا مدينة نوفو أي الجديدة.

ـ سجن يوسف سميث وأخوه هايرم في مدينة كارسيج بولاية إلينوي؛ لاتهامات ضدهما، وبينما هما في السجن دخل عليهما مسلحان مقنعان فقتلاهما بالرصاص. وقد حدث ذلك في ٢٧ يونيو ١٨٤٤م فانتهت بذلك حياة هذا النبي(*) المزعوم.

● آلت رئاسة الحركة(*) والنبوة(*) بعده إلى بريجام يونج الذي رحل بالقوم إلى جبال روكي إذ حدد لهم مكان إقامتهم فبنوا مدينة سولت ليك، وقد خطط الهجرات إلى يوتاه إذ كان بينهم آلاف البريطانيين والإسكندنافيين، كما يعد يونج مسؤولاً عن هذه الرحلة المأساوية والتي حدثت عام ١٨٥٦م إذ مات أثناءها أكثر من مائتي شخص من أتباعه.

ـ رؤساء الكنيسة(*) هم الأنبياء، فقد تتابع هؤلاء الأنبياء ـ بزعمهم ـ وآخرهم سبنسر كيمبل وقد زاد عدد أعضاء هذه الطائفة إذ بلغوا خمسة ملايين شخص تقريباً ولا يزالون في نمو وازدياد.

● هناك أقلية من المورمون لم توافق على سيطرة يونج بعد موت يوسف سميث، فقد بقي هؤلاء في إلينوي مؤسسين ـ بالتعاون مع إيما سميث الزوجة الأولى لنبيهم ومع ابن سميث جوزيف ـ كنيسة يسوع المسيح(*) للقديسين المعاصرين المعاد تنظيمها، ومركزها ميسوري، تنفيذاً لوصية النبي المؤسس الذي قال لهم: إن صهيون ستكون فيها. وقامت كذلك فئات أخرى منشقة، كل منها تدعي بأنها قد تلقت صحفاً فيها كتب قديمة مقدسة.

● أوليفر كودري، ومارتن هاريس، كانا ممن شارك في مرحلة التأسيس وتلقيا الوحي(*) المزعوم.

وتتابع أنبياؤهم(*) الذين هم رؤساء الكنيسة على النحو التالي:

- يوسف سميث.
- بريجام يونج.
- جون تيلور.
- ويلفورد وودروف.
- لورينزو سنو.
- هيبر جرانت.
- جورج البرت سميث.
- داود مكاي.

ـ يوسف فليدنج سميث.

ـ هارولد لي

ـ وأخيراً سبنسر كيمبل الذي لا يزال نبياً ورئيساً لهم إلى الآن.

● يرد في كتبهم اسم: إلما، يارد، لحي، إنهم أنبياء في كتاب **المورمون**.

● لهم شخصيات بارزة في مجلس الشيوخ الأمريكي ومجلس النواب.

الأفكار والمعتقدات:

● الكتب المقدسة لديهم اليوم:

ـ **الكتاب المقدس**: يعتقدون بأنه مجموعة من كتابات مقدسة تحتوي على رؤى الله للإنسان، وأنها مخطوطات تتناول قروناً كثيرة منذ أيام آدم حتى الوقت الذي عاش فيه المسيح(*) وقد كتبها أنبياء كثيرون ـ على زعمهم ـ عاشوا في أزمنة مختلفة، وهو ينقسم إلى قسمين:

١ ـ **العهد القديم**(*): فيه كثير من النبوءات التي تنبأت بقدوم المسيح.

٢ ـ **العهد الجديد**(*): يروي حياة المسيح وتأسيس الكنيسة(*) في ذلك اليوم.

ـ **كتاب المورمون**: هو سجل مقدس لبعض الناس الذين عاشوا في قارة أمريكا بين ٢٠٠٠ق.م إلى ٤٠٠ بعد الميلاد، وهو يروي قصة زيارة يسوع المسيح لشعب القارة الأمريكية بعد قيامه من الموت مباشرة (كما يعتقدون). وهذا الكتاب يعدّ الحجر الأساسي لديهم، وإن الإنسان المورموني يتقرب إلى الله بطاعة تعاليمه، وقد قام يوسف سميث بترجمته إلى اللغة الإنجليزية بموهبة الله وقوته، وقد نزل به ملاك من السماء اسمه (موروني) على يوسف سميث.

ـ **كتاب المبادىء والعهود**: هو مجموعة من الرؤى الحديثة التي تخصّ كنيسة يسوع المسيح كما أعيدت إلى أصلها في هذه الأيام الأخيرة، وهو يوضح تنظيم الكنيسة وأعمالها ووظائفها، وفيه نبوءات عن حوادث ستأتي، وفيه أجزاء فيها معلومات مفقودة لمئات السنين، وفيه تعاليم الكتاب المقدس.

ـ **الخريدة النفيسة**: يحتوي على:

١ ـ **سفر**(*) **موسى**: فيه بعض رؤى موسى وكتاباته كما كُشفت ليوسف سميث في عام ١٨٣٠م.

٢ ـ **سفر إبراهيم**: ترجمة يوسف سميث من درج بردي مأخوذ من مقابر المصريين القدماء.

٣ ـ **كتابات يوسف سميث ذاته**: تحتوي على جزء من ترجمة الكتب المقدسة ومختارات من تاريخ الكنيسة(*) المورمونية وبنود الإيمان لديهم ورؤية المملكة السماوية.

٤ ـ **رؤية فداء الأموات**: وهي تروي زيارة يسوع المسيح(*) للعالم الروحي، وهي رؤية أعطيت للرئيس يوسف سميث في ٣ أكتوبر ١٩١٨م.

ـ إضافة إلى الكتب الأربعة السابقة فإن كلمات الوحي(*) والرؤى التي يذكرها أنبياؤهم تصبح كتباً مقدسة، وكل النشرات والتعاليم وقرارات المؤتمرات كلها تعد كتباً مقدسة، أيضاً.

● بنود الإيمان لديهم: كما وضعها يوسف سميث ذاته:

ـ الإيمان بالله، الأب(*) الأزلي، وبابنه(*) يسوع المسيح، وبالروح القدس(*).

ـ الإيمان بأن البشر سيعاقبون من أجل خطاياهم، وليس بسبب تعدي آدم.

ـ الإيمان بأن جميع البشر يستطيعون أن يخلصوا عن طريق كفارة المسيح وذلك بإطاعة شرائع الإنجيل(*) ومراسيمه.

ـ الإيمان بأن المبادىء والمراسم الأربعة للإنجيل هي:

١ ـ الايمان بالرب يسوع المسيح.

٢ ـ التوبة.

٣ ـ العماد(*) بالتغطيس لغفران الخطايا.

٤ ـ وضع الأيدي لموهبة الروح القدس(*).

ـ الإيمان بأن الإنسان يجب أن يدعى من الله عن طريق النبوة(*) ووضع الأيدي على يد هؤلاء الذين لهم السلطة لكي يبشر بالإنجيل(*) ويقوم بالمراسيم المتعلقة به.

ـ الإيمان بنفس التنظيم الذي قامت عليه الكنيسة(*) القديمة، أي: الرسل(*) والأنبياء والرعاة والمعلمين والمبشرين. . ألخ.

ـ الإيمان بموهبة الألسن والنبوة والرؤيا والأحلام والشفاء وتفسير الألسن.

ـ الإيمان بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله بقدر ما ترجم صحيحاً، والإيمان بأن كتاب المورمون هو كلمة الله.

ـ الإيمان بكل ما كشفه الله وبما يكشفه الآن، وبأنه سيظل يكشف أموراً كثيرة عظيمة تتعلق بملكوت الله.

ـ الإيمان بتجمع إسرائيل واستعادة القبائل العشر، وأن دولة صهيون (أورشليم الجديدة) ستؤسس على القارة الأمريكية وأن المسيح(*) سيحلُّ شخصياً على الأرض، وأن

الأرض ستتجدد وتتسلم مجدها الفردوسي.

ـ يدَّعون امتياز عبادتهم لله القوي طبقاً لما يمليه عليهم ضميرهم كما يسمحون لجميع البشر بهذا الامتياز، فليعبدوا ما يريدون وكيف يريدون وأين يريدون.

ـ الإيمان بأنه يجب عليهم الخضوع للملوك والرؤساء والحكام وأصحاب السلطة القضائية، كما يؤمنون بأنه يجب عليهم إطاعة القانون واحترامه وتعضيده.

ـ الإيمان بأنه يجب عليهم أن يكونوا أمناء وصادقين وأطهاراً ومحسنين وأصحاب فضيلة، وأن يعملوا الخير لكل البشر، وهم يسعون وراء كل شيء ذي فضيلة ومحبوب ويستحق التقدير أو المدح.

● **مراتبهم الدينية والتنظيمية:**

ـ ينقسم الكهنوت لديهم إلى قسمين:

١ ـ كهنوت ملكي صادق: وهو أعظم كهنوت إذ يملك التوجيه والتبشير بالإنجيل(*) كما يملك سلطة قيادة الكنيسة(*).

٢ ـ كهنوت هارون: وهو الكهنوت الذي منح لهارون ولأولاده خلال جميع الأجيال، وأصحاب هذا الكهنوت يقومون بمراسم الإيمان والتوبة والتعميد(*).

● **خلاصة أفكارهم:**

● يعتقدون أن الله هو على شكل إنسان له لحم وعظام وبداخل جسده الملموس روح أزلية. كما يؤكدون على أن الإله(*) متطور عن الإنسان، والناس يمكنهم أن يتطوروا إلى آلهة ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

● الإنسان ـ كروح ـ ولد من والدين سماويين، وقد بقي هذا الإنسان في منازل الأب(*) الأبدية قبل المجيء إلى الأرض في جسد مادي، كما أن المسيح(*) هو الروح الأول، فهو بذلك الابن الأكبر.

● يسوع المسيح(*) هو الذي خلق الأرض وكل ما فيها، وخلق كذلك عوالم أخرى بتوجيه من أبيه السماوي. ثم خلق بعد ذلك الحيوانات.

● المسيح، عليه الصلاة والسلام: أمه مريم العذراء التي كانت مخطوبة لشخص اسمه يوسف، وقد حلّ عليها الروح القدس وقوة العلي ظللتها، وولدها هو ابن الله(*)، وقد جاء الولد وارثاً لسلطة إلهية من أبيه، ووارثاً الفناء من أمه.

● قام يوحنا المعمدان بتعميده(*) وهو في الثلاثين من عمره، وقد صام أربعين يوماً ليحارب الشيطان، كما أنه قد ظهرت على يديه معجزات.

● إن المسيح قد ضُرِبَ، وعُذِّبَ، ومن ثم صُلِبَ، ليسجل انتصاره على الخطيئة، وقد استودع روحه بين يدي أبيه، وقد ظل جسده ثلاثة أيام في القبر، ثم عادت إليه روحه فقام متغلباً على الموت.

● بعد قيامه بقليل ظهر في أمريكا، وأسس كنيسته، ثم صعد إلى السماء. وقد دخلت الوثنية(*) إلى العقيدة المسيحية(*) كما حارب رجال الدين بعضهم بعضاً مما استوجب نزول المسيح مرة أخرى مع الله وهبوطهما على يوسف سميث بغية إعادتها إلى الأرض مرة أخرى كما كانت في الأصل.

● حواء ابنة مختارة أعطيت لآدم، وسمح لهما بالأكل من كل الأشجار عدا شجرة معرفة الخير والشر، وقد أغراهما الشيطان فأكلا منها فأصبحا فانيين يشتغلان وينجبان.

● الروح القدس(*): عضو في الهيئة الإلهية، وله جسد من الروح في شكل إنسان، وهو يوجد في مكان واحد فقط في الوقت نفسه إلا أن نفوذه يصل إلى كل مكان.

● النبي(*) رجل دعاه الله ليمثله على الأرض ويتكلم بالنيابة عنه، والنبوة لديهم مستمرة لا تنقطع.

● التعميد: ترمز المعمودية إلى الموت والقيامة وذلك بأن ينزل رجل الدين إلى الماء مع الشخص الذي يريد تعميده، فيغطسه في الماء ثم يخرجه، وبذا تنتهي الحياة الخاطئة وتبدأ الحياة الجديدة، وهي تسمى الميلاد الثاني.

● القربان: كانت القرابين قبل المسيح(*) تقدم على شكل ذبائح من الحيوانات، لكن كفارة المسيح بقتله أنهت هذا النوع من القرابين، وصارت عبارة عن خبز ونبيذ مصحوبة بالصلوات. وخلال رؤية حديثة لقديسي الأيام الأخيرة جعلوها خبزاً وماءً.

● يقدسون يوم السبت لأن الله استراح فيه بعد انتهائه من خلق الكون ولقد كان قيام المسيح بعد صلبه في يوم الأحد الذي صار محل تقديس عوضاً عن يوم السبت.

● الصوم: هو الامتناع عن الطعام والشراب مدة أكلتين متتابعتين وبذلك يصوم الشخص أربعاً وعشرين ساعة. فإذا أكل أحدهم العشاء فلا يجوز له أن يأكل مرة ثانية حتى العشاء الآخر. كما يقدم الصائم للقائد الكهنوتي إما مالاً أو طعاماً مساوياً لطعام الوجبتين وهذا يسمى بعطاء الصوم.

● يحرمون شرب النبيذ، والمسكرات الكحولية والتبغ والدخان بكل أنواعه، ويمتنعون عن شرب القهوة والشاي لما يحتويان عليه من عقاقير مضرة. ويحذرون من تناول المرطبات وما فيها من مشروبات الصودا والمشروبات الفوارة والمياه الغازية، والكولا

أشدها خطراً. وينبهون إلى عدم الإسراف في أكل اللحم من دون تحريم، ويبيحون تناول الفواكه والخضر والبقول والغلال مركزين على القمح بخاصة، لاعتقادهم بأنه نافع لجسم الإنسان، ويؤدي إلى المحافظة على صحته وقوامه. وجدير بالذكر أن يوسف سميث كان يرقص ويشرب الخمر ويشترك في المصارعة، وقد كتب يقول: «خلق الإنسان ليتمتع بحياته».

● يبيحون تعدد الزوجات ويجيزون للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء؛ لأن في ذلك إعادة لما شرعه الله في الأزمان الغابرة. ولا يسمحون بذلك إلا لذوي الأخلاق(*) العالية على أن يثبتوا قدرة على إعالة أكثر من أسرة. وقد مارس يوسف سميث هذا التعدد. كما استمرت هذه العادة حتى عام ١٨٩٠م.

● تخلوا عن التعدد ـ ظاهرياً ـ في عهد نبيهم(*) ولفورد نتيجة للضغط الشديد الذي قوبلوا به من الطوائف الأخرى، وكذلك بغية تمكنهم من الانضمام إلى السلطات الاتحادية. وعلى الرغم من التحريم الرسمي العلني إلا أنهم يمارسون التعدد سراً.

● يحرمون الزنى تحريماً مطلقاً، والذي يخطىء يمكنه التوبة والرجوع عن جميع خطاياه.

● يجب على كل فرد أن يدفع عُشر النقود التي يكسبها على أن يكون ذلك مصحوباً بالفرح والسرور.

● يدفعون عطاء الصوم، ويدفعون اشتراكات مختلفة وعطايا لغير ما سبب، فكنيستهم(*) بذلك من الكنائس الغنية الموسرة.

● **من علامات القيامة:**

ـ الشرور والحروب والاضطرابات.

ـ استعادة الإنجيل.

ـ بزوغ كتاب **المورمون**.

ـ اللامانيون يصبحون شعباً عظيماً.

ـ بناء أورشليم الجديدة في ولاية ميسوري.

ـ بيت إسرائيل يصبح شعب الله المختار.

● بعد الحساب هناك عدة ممالك:

ـ المملكة السماوية: للذين تسلموا شهادة يسوع وآمنوا باسمه وتعمدوا(*).

ـ المملكة الأرضية: للذين رفضوا الإنجيل(*) على الأرض، ولكنهم تسلموه في العالم الروحي.

ـ المملكة السفلية: للذين لم يتسلموا الإنجيل(*) ولا شهادة يسوع سواء على الأرض أو في العالم الروحي، ومع هؤلاء يكون الزناة والفجار.

ـ الظلمة الخارجية: للذين شهدوا ليسوع بالروح القدس(*) وعرفوا قوة الرب، لكنهم سمحوا للشيطان بأن يتغلب عليهم فينكروا الحق ويَتَحَدوا قوة الرب.

● يؤمنون بالعهد الألفي السعيد الذي يدوم ألف سنة من تاريخ مجيء المسيح إلى الأرض إذ يقوم كثير من الأموات، وبعضهم يختطف للقائه عندما ينزل، وهي القيامة الأولى. أما الأشرار فيهلكون في الأجساد ويبقون كذلك مع الأشرار من الأموات حتى انتهاء ألف السنة إذ تأتي القيامة الآخرة.

ـ في فترة ألف السنة هذه تسود المحبة والسلام، ويملك يسوع شخصياً، وتجتمع الأرض في مكان واحد، فلن يكون هناك قارات مختلفة، وينمو الأطفال بدون خطيئة.

ـ لن يكون هناك موت: لأن الناس سيتغيرون من حالتهم الفانية إلى حياة الخلود في لحظة.

ـ في نهاية العهد الألفي سيطلق سراح الشيطان لمدة قصيرة، وتحدث معركة بين أتباع الأنبياء(*) وأتباع الشيطان. وعندها ينتصر المؤمنون ويطرد الشيطان إلى الأبد مدحوراً.

● **المورمون واليهود:**

ـ مما لا شك فيه أن لليهود دوراً فعالاً ونشيطاً في حركة المورمون ولذلك فهم:

ـ يعتقدون بأن الله أعطى وعده لإبراهيم، ومن ثم لابنه يعقوب بأنه من ذريته سيكون شعب الله المختار.

ـ وأن يعقوب الذي اسمه (إسرائيل) رزق باثني عشر ابناً يعرفون بالأسباط.

ـ وأن هؤلاء الأنبياء ارتكبوا الشرور فبددهم الله في الأرض منقسمين إلى مملكتين:

١ ـ المملكة الشمالية: وتسمى إسرائيل إذ عاش فيها عشرة أسباط.

٢ ـ المملكة الجنوبية: وتسمى مملكة يهوذا إذ عاش فيها سبطان فقط.

ـ الأسباط الشماليون هزموا في معركة ودفعوا إلى السبي، وقد هرب بعضهم وتاهوا في البلاد.

ـ بعد مائة عام انهزمت المملكة الجنوبية حوالي عام ٦٠٠ق.م. عندها ترك لحي وعائلته أورشليم مستقرين في القارة الأمريكية فكان منهم النافيون وكذلك اللامانيون الذين يعتبرون من سلالة لحي. وقد هدمت أورشليم عام ٥٨٦ق.م.

ـ سبطا إسرائيل اللذان بقيا أُخِذا أسيرين، كما أعيد بناء أورشليم بعد المسيح، إلا أن

الجنود الرومانيين قد خربوها مرة ثانية.

- يصرحون بأنه في هذا الزمان قد وعد الرب بأنه سيجمع بني إسرائيل ليتعلموا الإنجيل(*)، كما أن موسى النبي قد نزل على يوسف سميث عام ١٨٣٦م وأعطاه سلطة جمع بيت إسرائيل في هيكل كيرتلاند.

- بيت إسرائيل الآن في طريقه إلى الجمع إذ إن آلافاً من الناس ينضمون إلى الكنيسة(*) سنوياً من الإسرائيليين الذين ينتمون إلى عائلة إبراهيم ويعقوب إما بعلاقة الدم أو بعلاقة التبني حسب ادعاءاتهم.

- سيجمع سبطا أفرايم ومنسي في أرض أمريكا، وسيعود سبط يهوذا إلى أورشليم كما أن الأسباط العشرة المفقودة ستتسلم البركات التي وعدت بها من سبط أفرايم في أمريكا.

- الإسرائيليون المشتتون في كل دولة يدعون للتجمع في حظيرة المسيح(*) في أوتاد صهيون.

- هذا التجمع الحرفي لإسرائيل لن يتم حتى المجيء الثاني للمخلص كما يزعمون.

- ستكون هناك عاصمتان في العالم: الأولى في أورشليم والثانية في أمريكا؛ لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تخرج كلمة الرب.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لليهود دور في نشوء هذه الطائفة تعزيزاً للانشقاق داخل الكنائس المسيحية بغية السيطرة عليها.

● كتاب **المورمون** يشبه التلمود في كل شيء، ويحاكيه وكأنه نسخة طبق الأصل عنه.

● إن إسرائيل قد جندت كل إمكاناتها لخدمة هذه الطائفة عاملة على استمرارية العون والمساندة النصرانية لها.

● يعملون على ربط صهيون أو القدس الجديدة بالأرض الأمريكية المقدسة - حسب وصايا الرب - انتظاراً لعودة المسيح(*) الذي سيعود ليملك الأرض ويملأها جنات خالدات.

● يقولون عن فلسطين في كتاب **المورمون** في الإصحاح العاشر الفقرة ٣١ «فاستيقظي وانتفضي من الثرى يا أورشليم، نعم.. والبسي حللك الجميلة يا ابنة صهيون، ووسعي حدودك إلى الأبد، لكي لا تعودي مغلوبة، ولكي تتحقق عهود الآب(*) الأزلية التي قطعها معك، يا بيت إسرائيل».

● يقولون في الإصحاح الرابع عشر فقرة ٦ مخاطبين المورمون: «لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا دوركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت لتمزقكم».

● نلاحظ تعانق الفكر الصليبي مع الفكر الصهيوني في نظرتهم إلى فلسطين، إنهم يقولون ذلك منذ عام ١٨٢٥م يوم كانت فلسطين لا تزال جزءاً من أرض الإسلام.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● آمن بفكرة المورمون كثير من النصارى، وكان دعاتها من الشباب المتحمس، وقد بلغ عدد أفرادها أكثر من خمسة ملايين نسمة، ثمانون بالمائة منهم في الولايات المتحدة الأمريكية ويتمركزون في ولاية يوتاه إذ إن ٦٨٪ من سكان هذه الولاية منهم، و٦٢٪ من سكان مقاطعة البحيرات المالحة مسجلون كأعضاء في هذه الكنيسة(*) ومركزهم الرئيسي في ولاية يوتاه الأمريكية.

● انتشروا في الولايات المتحدة الأمريكية، وأمريكا الجنوبية، وكندا، وأوربا، كما أن لهم في معظم أنحاء العالم فروعاً ومكاتب ومراكز لنشر أفكارهم ومعتقداتهم.

● إنهم يوزعون كتبهم مجاناً، ودعوتهم تأتي خدمة لمصلحة إسرائيل وتأكيداً لأهدافها المرسومة. ولهم ١٧٥ إرسالية تنصيرية، كما أنهم يملكون:

- شبكة تلفزيونية، وإحدى عشرة محطة إذاعية.
- ويملكون مجلة شهرية بالإسبانية، وصحيفة يومية واحدة.
- ويملكون مركزاً متطوراً جداً للمعلومات في مدينة سولت ليك في ولاية يوتاه الأمريكية.

ويتضح مما سبق:

أن المورمون طائفة نصرانية جديدة نسبياً، انشقت عن النصرانية، وتدعو إلى التمسك بالكتب اليهودية **وكتاب المورمون وكتاب المبادىء والعهود** وغيرها، ويدعون إلى الإيمان بالمسيح الذي جاء - في نظرهم - لينقذ اليهود من الاضطهاد، والإيمان بأن المبادىء والمراسم الأربعة للإنجيل(*) هي: الإيمان بالرب يسوع المسيح(*) كما يقولون، والتوبة والعماد(*) بالتغطيس لغفران الخطايا، ووضع الأيدي لموهبة الروح القدس(*). ويصل شركهم إلى مداه عندما يقولون إنهم يعتقدون أن الله تعالى هو على شكل إنسان له لحم وعظام وبداخل جسده الملموس روح أزلية، كما أن البشر عندهم هم أبناء وبنات الله، ومن هنا يجب حذر المسلمين من أفكارهم.

مراجع للتوسع:

- هناك نشرات توزعها كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة بمدينة سولت ليك بولاية يوتاه في الولايات المتحدة الأمريكية ومنها:

The Church of Jesus Christ of Latter day Saints

● ومن نشراتهم باللغة العربية ما يلي:

- مبادىء الإنجيل.
- دليل الشعبة.
- دليل القائد الكهنوتي.
- كلمة الحكمة.
- شهادة يوسف سميث.
- دليل العائلة.
- ماذا عن المورمون - طبع الولايات المتحدة.
- مقال عن المورمون في مجلة الأمة عدد ٢٢ شوال ١٤٠٢ هـ/ آب ١٩٨٢م.
- مقال في الموسوعة البريطانية عن المورمون.
- ولهم كذلك نشرات باللغة الإنجليزية هي:

Succession in the Presidency.
W.H.Y. Famillies?
A Family home evening program suggested by the church of Jesus Christ of latter-day saints.
The Mormons and the Jewish people.
The Lords Day.
What the Mormons think of Christ.
Aword of Wisdom. Mark E. Perersen.
Baptism. How and by Whom administered?

٨٠ـ شهود يَهْوَه

التعريف:

هي منظمة عالمية دينية وسياسية، تقوم على سرية التنظيم(*) وعلنية الفكرة، ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتدعي أنها مسيحية(*)، والواقع يؤكد أنها واقعة تحت سيطرة اليهود وتعمل لحسابهم، وهي تعرف باسم (جمعية العالم الجديد) إلى جانب (شهود يهوه) الذي عرفت به ابتداء من سنة ١٩٣١م وقد اعترف بها رسمياً في أمريكا قبل ظهورها بهذا الاسم وذلك سنة ١٨٨٤م.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسسها سنة ١٨٧٤م الراهب(*) تشارلز راسل ١٨٦٢ ـ ١٩١٦م وكانت تعرف آنذاك باسم مذهب(*) الراسلية أو الراسليين نسبة إلى مؤسسها كما عرفت باسم (الدارسون الجدد للإنجيل)(*). وعرفت بعد ذلك باسم (جمعية(*) برج المراقبة والتوراة(*) والكراريس Watch Tower Bible and Tract Saciety) ثم استقر الأمر أخيراً وعرفت باسم يهوه(*) نسبة إلى يَهْوَه إلهٰ بني إسرائيل على ما تردد توراتهم، (راجع سفر الخروج ٦: ٢ ـ ٤) «وكلم الله موسى قال له أنا الرب. أنا الذي تجليت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلها قادراً على كل شيء وأما اسمي يهوه فلم أعلنه لهم».

● ثم خلفه في رئاسة المنظمة فرانكلين رذرفورد ١٨٦٩ ـ ١٩٤٢م الذي ألف سنة ١٩١٧م كتاب **سقوط بابل** ويرمز ببابل لكل الأنظمة الموجودة في العالم.

● ثم جاء نارثان هرمر كنور ١٩٠٥م وفي عهده أصبحت المنظمة دولة داخل الدولة كما يقال.

الأفكار والمعتقدات:

● إشاعة الفوضى الخلقية والتحلل من جميع الفضائل الإنسانية التي حثت عليها التعاليم الدينية.

● يؤمنون بيهوه(*) إلهاً(*) لهم وبعيسى رئيساً لمملكة الله.

● يؤمنون **بالكتاب المقدس** للنصارى، ولكنهم يفسرونه حسب مصالحهم.

● الطاعة العمياء لرؤسائهم.

● يستغلون اسم المسيح(*) **والكتاب المقدس** للوصول إلى هدفهم وهو: إقامة دولة دينية دنيوية للسيطرة على العالم.

● تهيئة النفوس لإقامة الدولة اليهودية الكبرى.

● نفي الحساب والعقاب في الآخرة فلا إثم على من يقترف ذنباً أو معصية في دنياه.

● لا يؤمنون بالآخرة ولا بجهنم، ويعتقدون بأن الجنة ستكون في الدنيا في مملكتهم.

● يعتقدون بقرب قيام حرب تحريرية يقودها عيسى، وهم جنوده يزيحون بها جميع حكام الأرض.

● يقتطفون من **الكتاب المقدس** الأجزاء التي تحبب إسرائيل واليهود إلى الناس ويقومون بنشرها.

● لا يؤمنون بالروح وبخلودها، ولهم معابد خاصة بهم يسمونها القاعة الملكية أو بيت الرب.

● الأخوة الإنسانية مقتصرة عليهم دون سواهم من البشر.

● يعادون النظم الوضعية ويدعون إلى التمرد، ويعادون الأديان(*) إلا اليهودية، وجميع رؤسائهم يهود.

● إشاعة الفوضى العالمية بتحريض الشعوب على التمرد على حكوماتهم وشق عصا الطاعة عليها ومقاطعة جميع النشاطات الرسمية في الدولة، ويبررون ذلك بما جاء في كتابهم الأخضر «ليكن الله صادقاً بأنهم سفراء الله في ملكوته المقدس»، ومن ثمَّ فهم يتمتعون بحصانة تعفيهم من الخضوع للحكومات المدنية أيا كانت مقوماتها.

● يعترفون بقداسة الكتب التي تعترف بها اليهودية وتقدسها وهي ١٩ كتاباً.

● يقولون بالتثليث(*) ويفسرونه بـ(يهوه(*)، الابن(*)، الروح القدس(*)).

● يمر العضو فيها بمراحل معقدة، ويخضع الالتحاق بها إلى شروط قاسية، وتنتظم عضوية جمعية شهود يهوه ثلاث مراتب:

ـ أعضاء الرجاء السماوي: وهم أعضاء الإدارة العليا ويرأسهم العبد العظيم أو الحكيم ويعرف مقره ببيت «إيل» أي بيت الله.

ـ صف جلعاد أو الرجاء الأرضي: ويشمل من الأعضاء الرواد والمعاونين ونظار

المناطق، وهؤلاء هم أعضاء الإدارة التنفيذية.

- المبشرون: ويعرف أعضاؤها بالخدم، وتضم هذه المرتبة الشهود وهم الأعضاء المكلفون بتوزيع مطبوعات الجمعية ورسائلها.

● **شعاراتهم ورموزهم:**

- تبني المينورا وهي الشمعدان السباعي الذي هو رمز اليهود الديني والوطني.
- تبني النجمة السداسية وهي رمز لليهود كذلك.
- تبني اسم يهوه(*) ويكتبونه بالعبرية وهو «الإله(*)» عند اليهود.

● **من كتب المنظمة:**

- تنطق باسمهم مجلة كانت تصدر تحت اسم **برج مراقبة صهيون** ثم عدلوها إلى: **برج المراقبة** لإخفاء كلمة صهيون.
- هذا الخبر الجيد عن المملكة (المقصود مملكتهم المأمولة).
- الأساس في الإيمان بعالم جديد.
- لقد اقترب علاج الأمم.
- العيش بأمل نظام عادل جديد.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● يمكن اعتبارهم فرقة مسيحية(*) منفردة بفهم خاص، إلا أنهم واقعون تحت سيطرة اليهود بشكل واضح، ويتبنون العقائد اليهودية في الجملة ويعملون لأهداف اليهود.

● تأثروا بأفكار الفلاسفة القدامى واليونانيين منهم بخاصة.

● لهم علاقة وطيدة بإسرائيل وبالمنظمات اليهودية العالمية كالماسونية.

● لهم علاقة تعاون مع المنظمات التبشيرية والمنظمات الشيوعية والاشتراكية الدولية.

● لهم علاقة كبيرة مع أهل النفوذ من اليونانيين والأرمن.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لا تكاد تخلو دولة في العالم من نشاط لهذه المنظمة السرية الخطرة.

● مركزهم الرئيسي في أمريكا ـ حي بروكلين بنيويورك: 124 Columbia Heights. Brooklyn
1. New York - U.S.A

● وصل عدد البلدان التي يزاولون فيها نشاطهم سنة ١٩٥٥م إلى ١٥٨ دولة، وكان عددهم آنذاك ٦٣٢٩٢٩ عضواً وعدد دعاتهم ١٨١٤ داعية فكم يكون إذن عددهم الآن؟ وقد فطنت بعض الدول إلى خطورتهم فمنعت نشاطهم وتعقبتهم، ومن هذه الدول: سنغافورة، لبنان، ساحل العاج، الفلبين، العراق، النرويج، الكاميرون، الصين، تركيا، سويسرا، رومانيا، هولندا.. ولا يزالون ينشطون في هذه الدول بطريقتهم الخاصة السرية. أما في إفريقيا والدول الإسلامية فغالباً ما يكون نشاطهم بالتعاون مع المنظمات التبشيرية.

● **طريقتهم في العمل:**

يرون أنه ثبت بالدليل أن عدداً كبيراً من الناس لا يحضرون إلى المعابد، وأن أكثر من نصف الناس في بعض البلدان لا ينتمون إلى طائفة من الطوائف الدينية، وأن ملايين من المنتمين إلى الطوائف الدينية لا يحضرون عبادتهم ولا يريدون أن يستمعوا إلى رجال الدين. فعملت شهود يهوه على أن تخفي نفسها تحت أستار أنها فرقة مسيحية(*)، تطوف بالبيوت والمقاهي والأندية العامة والطرقات، حاملة الكتب والمنشورات، تعرض فيها تعاليمها بحماسة مدعية أنها حاملة رسالة دين(*) جديد، يجمع تحت لوائه أهل الأديان(*) كافة، تتظاهر بعدم معاداة أحد أو أية طائفة من الطوائف. كما عملت على عدم الاحتفاظ بأسماء أعضائها واكتفت فقط بحفظ ناشري مطبوعاتها ونشراتها، وعملت، أيضاً، على عدم الإعلان عمن يساعدها بالأموال في أداء مهامها.

● يصدرون آلاف الكتب والنشرات والصحف، ويوزعونها مجاناً مما يدل على قوة رصيدهم المالي.

● لهم مدارس خاصة بهم ومزارع ودور صحافة ودور نشر.. ولكل منها إدارة خاصة بها.

● لهم مكاتب للترجمة والتأليف ولجان دينية عليا لتفسير الكتاب المقدس وفق مصلحتهم.

● لهم تعاون كبير مع المنظمات المماثلة التي تعمل لصالح اليهود.

● تستفيد هذه المنظمة من أعضائها في أعمال الاستخبارات والجاسوسية والدعاية.

ويتضح مما سبق:

إن منظمة شهود يهوه تدعي المسيحية(*) وتوالي اليهودية وتعادي الإسلام. وهي من المنظمات المشبوهة التي يلزم وقف نشاطاتها في أي بلد إسلامي - إن وجد - وعدم السماح بتداول مطبوعاتها ومجلاتها تحت أي مسمى كان، ويكفي أن علاقتهم وطيدة بإسرائيل وأن روابطهم وثيقة بعملاء التنصير.

مراجع للتوسع:

- **شهود يهوه**، د. محمد حرب.
- **كتابان باللغة التركية**: الأستاذ حكمت تانيو وهما:

- Yehora Sahitleri.
Tarih Boyunca Turkler Ve Yahudiler.

- **الماسونية العالمية في ميزان الإسلام**، عبدالله سمك، كلية أصول الدين بالقاهرة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
- **شهود يهوه في الميزان**، جبرائيل فرح البوس.
- **الصهيونية بين الدين والسياسة**، عبدالسميع الهراوي.
- **لهذا أكره إسرائيل**، أمين سامي الغمراوي.
- **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، إيليا أبو الروس.
- **نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية**، د سعيد محمد أحمد بانجة.
- **الماسونية في العراء**، د محمد علي الزعبي.
- **شهود يهوه. التطرف المسيحي في مصر**، أبو إسلام أحمد عبدالله.

٨١ ـ الأبوس دبي

التعريف:

الأبوس دبي منظمة(*) سرية دينية لا رهبانية نصرانية كاثوليكية معاصرة، تسعى إلى سيادة التعاليم الإنجيلية، والعودة إلى النصرانية الأولى كما هي موجودة في الإنجيل(*) المتداول. وذلك وفق ضوابط تنظيمية دقيقة محكمة مع الاستفادة الكاملة من معطيات العصر الحديث، وتتلمس طريقها من خلال السيطرة على النواحي السياسية والاقتصادية والتربوية. واسمها يجمع بين اسمي جمعية(*) الصليب المقدس، ومنظمة العمل الإلهي معاً. وتختلف عن الهيئات الأخرى في عدم ارتداء زيٍّ خاص بها، وسرية النذر وعدم وجود حياة جماعية مشتركة بشكل إجباري، ومصادر دخلها تعدّ سرًّا من الأسرار.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسس هذه المنظمة القس خوسيه ماريا أسكريفا JOSE MARIA ESCRIVA في إسبانيا وذلك في ٢ أكتوبر ١٩٢٨م وهو يزعم أنه قد اختير لهذه المهمة بوحي(*) إلهي، وذلك كي يضفي على هذا التأسيس هالة من التقديس.

● في عام ١٩٣٠م تم تأسيس الفرع النسائي للمنظمة على نمط الفرع الرجالي نفسه تنظيماً وانتشاراً.

● وجدت أفكار أسكريفا أرضاً خصبة في إسبانيا تحت حكم الجنرال فرانكو، وبخاصة عقب الانتهاء من الحرب الأهلية فيها.

● للمنظمة أعضاء وصلوا إلى الوزارة في كل من إسبانيا وإيطاليا، ويشكلون ثقلاً مهمًّا في كلا البلدين.

● لهم الآن ثلاثون نائباً على الأقل في البرلمان(*) الإسباني ينتمون إلى المنظمة ويتحركون بإيحاءاتها.

● هناك أساقفة(*) وقساوسة(*) منتمون سرًّا للمنظمة، ويعملون بين مختلف الطبقات الاجتماعية الإسبانية وفي صفوف الجيش.

● ولهم رئاسة قسم الدراسات اللاهوتية في روما وهو فرع من جامعة نافارا الإسبانية.

● **الهيكل التنظيمي:**

- المجلس العام: ويتألف من الرئيس والسكرتير العام والنائب العام وشخصيات من أربع عشرة دولة، وهو الذي يتخذ القرارات الحاسمة باعتباره أعلى سلطة في المنظمة بجميع فروعها في العالم وبأقسامها الثلاثة: القساوسة والمدنيين والفرع النسائي.

- القساوسة: وهي أعلى درجة يطمح العضو فيها ويرتقي إليها العضو النظامي، وحتى عندما يتحول العضو النظامي إلى قسيس(*) فإنه لا يتخلى عن عمله المهني، ويصبح في هذه الحال طبيباً قسيساً أو محامياً قسيساً... الخ.

- العضو النظامي وهي أعلى درجة في التنظيم.
- الناذر نفسه (القربان) ويقوم بنذر نفسه للمنظمة ويكرس حياته لها.
- العضو غير النظامي.
- المتعاون، علاقته كنصير أو مؤيد.
- اعترفت الكنيسة(*) الإسبانية بهذا الهيكل التنظيمي للأبوس دي اعترافاً شبه رسمي مما دعم مكانتها وزاد في انتشارها.
- لقي المؤسس اهتماماً من الفاتيكان(*)، مما جعله يقرر الانتقال من إسبانيا إلى روما والإقامة هناك بشكل نهائي جاعلاً منها المقر الرئيسي للمنظمة.
- ظل إسكريفا رئيساً لهذه المنظمة طيلة حياته إلى أن توفي عام ١٩٧٥م.
- يقوم تنظيم نسائي على يد أخوات الأعضاء البارزين في الحركة.

الأفكار والمعتقدات:

● أفكار دينية وتنظيمية:

أهداف المنظمة(*) دينية صرفة، فهي تعمل من أجل إعلاء النصرانية وفق العقائد الكاثوليكية، عن طريق التربية والسياسة والاقتصاد.

- يتضمن نشاط المنظمة جهود رجال الدين، ومن غير رجال الدين، كما يشمل الرجال والنساء، ويعطي عناية خاصة للشباب.

- يحرص التنظيم(*) على أن يكون أعضاؤه قدوة حسنة، كما يحرص على السرية والكتمان.

- يهدف التنظيم فيما يعلنون إلى تربية جادة صارمة لأعضائه، تقوم على الجدية، والعفة وحسن الخلق، والتقشف، أيضاً، فكأنه يريد أن يحيي فيهم روح الأوائل.

- يقوم التنظيم على ضوابط دقيقة في الانتساب، ثم في التعامل بين الأعضاء في مرحلة ما بعد الانتساب، حتى في حالات الاستقالة أو الفصل، وتوزع الأمور توزيعاً موضوعياً يعطي المرء حق التظلم والاعتراض.

- التنظيم عمل متكامل يهدف إلى المواءمة بين النواحي الروحية الدينية وبين الاستفادة من كل ما تقدمه الحضارة الحديثة من أدوات تنظيمية دقيقة ذات أهداف ومناهج وضوابط وموارد مالية.

● لقد نشأت هذه المنظمة في الأصل لتكون لصيقة بنظام الجنرال فرانكو، وكان لتأييده لها أثر مهم في زيادة نفوذها وانتشارها.

● يمكن أن توصف المنظمة بأنها (مافيا دينية كاثوليكية) بوحي من أهدافها وحسب مصلحتها؛ للسيطرة السياسية والاقتصادية في إسبانيا بخاصة وفي مختلف دول العالم بعامة. وقد شكلت المنظمة إمبراطورية اقتصادية صناعية تماثل أرقى وأحدث صور الإمبراطوريات الصناعية الاقتصادية المتعددة الجنسيات الموجودة في العالم. وهي متغلغلة في جميع الأوساط والطبقات.

● تحاول المنظمة الوقوف بكل حزم أمام تيار المنظمات اليسارية والليبرالية والماسونية.

● إذا أظهر المرشح رغبة للانضمام فإن عليه أن يخضع (لإرادة الرب)، وإرادة الرب عندهم هي أن يدخل المرء في هذه المنظمة، وبعد ستة أشهر تقريباً من العيش داخل المنظمة وروحانيتها يقبل المرشح بشكل رسمي.

● بعد ستة أعوام من الانضمام تقام حفلة (الإخلاص والوفاء) لتأكيد عضوية المتقدم بشكل نهائي إذ يعطى خاتماً عليه قطعة من الحجر الكريم يفرض عليه حمله طوال حياته.

● كثير من أعضاء المنظمة(*) يجعلون من الحمار شعاراً لهم، ويقولون إن المسيح قد دخل القدس وهو راكب على ظهر حمار، ومن صلوات إسكريفا قوله مخاطباً ربه: (أنا حمارك الجربان).

● تتركز النواحي الروحية للحركة فيما يلي:
- تقبيل الأرض عند الاستيقاظ.
- الحمام والحلاقة خلال نصف ساعة على الأكثر.
- نصف ساعة للصلاة الفردية، وبعد ذلك قداس جماعي لمدة عشر دقائق.
- بعد الغداء زيارة مكان القربان المقدس، وبعد ذلك ثلاث ساعات من الصمت الأصغر.
- (العصرونية) وهو وقت مخصص للنشاط الجماعي بسبب وجود بعض المدعوين (المرشحين) إذ تختلق مناقشات في موضوع ديني ما أو حادثة دينية معينة.
- نصف ساعة للصلاة.
- نهاية اليوم وتقرأ فيه الصلوات، ثم يجري فحص عام للنشاطات الروحية أو المالية التي جرت فيه ويبدأ بعد الصمت الأكبر الذي يمنع فيه الكلام خلال كل الوقت الباقي حتى اليوم التالي.
- قبل النوم يرسم الأعضاء إشارة الصليب بأيديهم على جسمهم، ويرشون الماء المقدس على الفراش ثم يقومون بصلاة قصيرة وينامون.

● في الثاني من شباط سنة ١٩٤٧م قام الفاتيكان(*) بمنح الأبوس دبي درجة (هيئة دينية لا رهبانية) أي هيئة دينية للعمل خلال المجتمع المدني.

● **المؤلفات**:

- ألف إسكريفا كتيباً صغيراً عام ١٩٣٤م سماه **اعتبارات روحية** لكن الكتاب اختفى فجأة ليحل محله كتاب **الطريق** الذي يعد إنجيل المنظمة، وقد ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٣٩م، ويحتوي على ٩٩٩ حكمة ومقسم إلى أربعين باباً و١٣٦ موضوعاً.
- لإسكريفا أطروحة دكتوراه، وله كتب صغيرة حول صلاتهم.
- من كتب المنظمة **القيمة الإلهية للإنسان** تأليف خوسي أورتيغا، يتكلم فيه عن الإنسان الكاثوليكي الصليبي. وكتاب **روحانية العلمانيين** تأليف خوان باركيستا توريو.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● هذه المنظمة(*) نصرانية كاثوليكية تدعو إلى العودة إلى النصرانية الأولى مستفيدة من معطيات العصر الحديث.

● توجهها ديني سياسي اقتصادي تربوي.

● تؤمن المنظمة بكل معطيات النصرانية من تثليث(*) وأب(*) وابن(*) وروح القدس(*) والعذراء والصليب(*) والفداء والقرابين والخطيئة وأكل لحم الخنزير، وما إلى ذلك مما يعتقده النصارى بعامة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

- لا يوجد في العالم بلد نصراني إلا وللمنظمة وجود فيه، فقد اتسع وجود المنظمة ليشمل أكثر من خمسين دولة في العالم، تغلغلت من خلالها في جميع الجوانب الفكرية والثقافية والسياسية والمالية.

● تتركز قوتها في المناطق التالية: إسبانيا وفيها ثقلها الأساسي، وإيطاليا إذ يقوم المركز الرئيس والدولي في روما بشارع فيرلا برورو Virla Bruro، ومهمته الإدارة والتنظيم(*)، والفلبين في شرق آسيا، والمكسيك وفنزويلا في أمريكا اللاتينية، وقد دخلت الحياة العامة في كولومبيا والبيرو وتشيلي، وأخيراً في الأرجنتين ولكن بنسب متفاوتة، وكينيا في إفريقيا.

- يصل عدد أعضاء المنظمة في العالم اليوم إلى حوالي ٧٢٠٠٠ نسمة من ٧٨ جنسية نصفهم في إسبانيا. وتملك المنظمة أكثر من ٧٠٠ مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية ومعهد وبيت للطلبة ومركز ثقافي منتشرة في العالم، منها ٤٩٧ جامعة ومدرسة عليا.

- يملكون ٥٢ محطة إذاعة، و١٢ شركة توزيع وإنتاج سينمائي و٦٩٤ مطبوعة دورية و٣٨ وكالة أنباء و١٣ بنكاً، وشركات ومصانع وعقارات كثيرة.

- وصلت المنظمة إلى السيطرة شبه الكاملة على المجلس الأعلى للأبحاث العلمية في إسبانيا.

- في إسبانيا وحدها تملك المنظمة ٢١ بيتاً من بيوت الطلبة تديرها بشكل مباشر.

ويتضح مما سبق:

أن الأبوس دي منظمة(*) سرية دينية نصرانية هدفها إعلاء المسيحية(*) الكاثوليكية عن طريق الإفادة من كل المعطيات الحديثة للتربية والسياسة والاقتصاد ومن خلال أعضاء يجب أن يكونوا قدوة حسنة، ويحرصون على السرية والكتمان،

وتحقيق السيطرة الدينية والسياسية في إسبانيا وغيرها من الدول التي انتشرت فيها. وللمنظمة هيكل تنظيمي، يسهر كله على تحقيق النواحي الروحية للمنظمة التي يتخذ كثير من أعضائها الحمار شعاراً لهم، وبحسبانها مافيا دينية كاثوليكية فإنها تعتبر أنها هي وحدها على الحق وأن كل ما عداها على باطل.

مراجع للتوسع:

- **الكتب والمؤلفات التي تصدرها المنظمة.**
- **منظمة الأبوس دبي: النشأة، التنظيم، التطور** - تقرير في ملفات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
- **دستور هيئة الأبوس دبي**، تقرير في ملفات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٨٢ـ المونية (حركة صن مون التوحيدية)

التعريف:

المونية: حركة(*) مشبوهة تدعو إلى توحيد الأديان(*) وصهرها في بوتقة واحدة بهدف إلغاء الفوارق الدينية بين الناس لينصهروا جميعاً في بوتقة (صن مون) الكوري الذي ظهر بنبوة جديدة في هذا العصر الحديث.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسس هذه النحلة هو القس(*) الثري صن مون المولود في كوريا عام ١٩٢٠م، الذي ادعى بأنه على اتصال بالمسيح، عليه الصلاة والسلام، منذ عام ١٩٣٦م، وأنه منذ بلوغه السادسة والعشرين من عمره بدأ يدرس حياة الأنبياء(*) والقادة الروحيين من مثل موسى وعيسى ومحمد، ﷺ، ومن مثل بوذا(*) وكرشنا(*)، ويطلع على تعاليم الأديان(*) السماوية والوضعية كاليهودية والنصرانية والإسلام وكذلك البوذية والهندوسية.

ـ في عام ١٩٧٣م انتقل إلى الولايات المتحدة وعقد صلات عدة مع كبار الشخصيات هناك.

ـ ألقي القبض عليه وأودع السجن الفيدرالي بكنكتيكت لمدة سنة ونصف السنة بسبب تهربه من دفع الضرائب، وقد استطاع أتباعه تصوير سجنه على أنه اضطهاد في سبيل المعتقد الديني الذي يحمله.

ـ يحتل حالياً منصب الرئيس للمجلس العالمي للأديان.

ـ زار ألمانيا، لكن سلطات بون أعلنت أنه شخص غير مرغوب فيه.

ـ يحاول أن يكون قريباً من الأحداث المهمة، إذ كان له ولطائفته دور مهم في الوقوف إلى جانب الرئيس ريتشارد نيكسون في فضيحة ووترجيت، كما أنهم كانوا نشيطين في حماية برنامج الرئيس ريغان وسياسته في أمريكا الوسطى.

● شانج هوان كواك: يشغل منصب مساعد رئيس المجلس العالمي للأديان(*)، وهو أكبر معاوني مون، وقد أعلن في بيانه الذي ألقاه في المؤتمر المنعقد بتركيا سنة ١٩٨٥م عن نبوة(*) مون وأنه يتلقى الوحي(*) Revelation من السماء.

● اليهودي فرانك كوفمان: يقيم في نيويورك، ويتبع مون، ويعمل في مؤسسته، وقد

ناشد علماء المسلمين في مؤتمر تركيا «أن يتفهموا موقف الأديان الأخرى مثل اليهودية والبوذية والهندوكية».

● دكتور يوسف كلارك: قس(*) كاثوليكي من مساعدي مون، وهو عضو مجلس إدارة المجلس العالمي للأديان، كان ممثل المجلس في مؤتمر تركيا.

● كوزا: رئيس مكتب مون في هندوراس، ويعمل بهمة على نشر الحركة(*) في أمريكا اللاتينية.

● موسى دست: رئيس كنيسة(*) مون بالولايات المتحدة الأمريكية.

الأفكار والمعتقدات:

● يزعم أنه على اتصال بالمسيح(*) وأنه يتلقى الوحي من السماء مدعياً نبوة جديدة.

● شعاره وهدفه المعلن هو السعي من أجل توحيد الأديان(*) على اختلاف أنواعها.

● يقول للنصارى إن الإله(*) قد رمى بالمسيحية(*) جانباً واستبدل بها رسالة جديدة هي رسالة توحيد الأديان الداعي إليها.

● من القانون الأساسي لحركة مون: «إن الهدف الرئيسي هو العمل من أجل توحيد العالم تحت راية إله واحد، بحيث تضمحل من هذا العالم كل الحواجز والعوائق الكنسية والسياسية والوطنية والقومية والاجتماعية».

● يقولون في كتابهم **المبدأ المقدس**: «إن رسالة آدم الأساسية أن يخلق الأسرة الكاملة في الأرض، وهذه المهمة لم تتحقق نتيجة لعمل الشيطان الذي كان نشيطاً في مهمته منذ بداية الخلق، وعيسىٰ قد خلق آدم، وفشل في أمر الزواج، وترك مبدأ تكوين الأسرة الكاملة، وفشله ليس كاملاً، فقد أحيا الجانب الروحي للإنسان، وقد ظل جسد الإنسان مستعبداً للشيطان، هذا، أيضاً، يجب تجديده، وهذا يستلزم آدماً ثالثاً بالاتحاد مع زوجة مثالية يمكن تحقيق هذا الهدف لإنجاب الإنسان الكامل».

● إنهم يقومون بدراسة رسومات بيانية يزعمون أنها «تبين أن التاريخ والأحداث متكررة ومقدرة سلفاً ووفقاً لهذه الجداول البيانية ويقولون: إن هناك أمثلة متكررة من البشر قد اختيروا ليصيروا آباء كاملين، لكن الشيطان قد اعترض سبيلهم فلم ينجحوا، وقد وجدت هذه الأسر المثالية على مر التاريخ الإنساني في فترات متقطعة على مدى أربعمائة عام سلفت».

● يتم اقتناص الشخص ليصبح عضواً في حركتهم عن طريق دعوته أولاً إلى وجبة طعام، ثم دعوة للاشتراك في رحلة نهاية الأسبوع.

● يمنع الأفراد الجدد من التحدث مع بعضهم وعليهم الانتظار حتى اللقاء الآخر في نهاية الأسبوع.

● يمضي المدعو عدة أسابيع مع معلمه، وقد يجعلونه بعد ذلك في مسكن واحد مع أعضاء جدد آخرين؛ ليلقنوهم جميعاً العقيدة الجديدة، مع التركيز على تقديس وتمجيد شخصية مون، والتأكيد على ضرورة التنكر لعقيدة أهاليهم ومجتمعاتهم.

● يقول مون في كتابه التوجيهي **أقوال الأب الروحي**: «إن عملية البعد عن العائلة والأصدقاء لا تتم بالصدفة، إذ لا بد أن تتمرس على حياتك الجديدة، ومن بعدها يمكنك أن تتنكر لعائلتك وأصدقائك وجيرانك».

إذا ما حاول العضو الفرار منهم فسيكون ذلك صعباً لعدة أمور:

١ ـ لأنه يكون قد انفصل عن عائلته، فلا يستطيع العودة إليها بعد أن ناصبها العداء بسبب معتقده الجديد الذي يخالف معتقدها.

٢ ـ لأنه يكون قد غُسِلَ دماغُه وصار أداة طيعة في أيديهم، يحركونه كيفما يريدون بعد أن سيطروا عليه روحياً وخدعوه بالوعود السماوية الكاذبة.

٣ ـ لأن أفراد عصابة مون سيتابعونه ويطاردونه، حتى يعود إلى حظيرتهم من جديد.

٤ ـ إذا ما استسلم العضو الجديد لهم فإنهم يسخرونه لبيع الورود والشموع؛ ليكون مصيدة لجذب الأعضاء الجدد، فضلاً عن الإيراد المالي الذي يحققه لميزانية الحركة.

● نظم مون عملية زواج جماعية في ميدان ماديسون جاردن بنيويورك قام خلالها بتزويج ٢٠٧٥ شاباً وفتاة، على الرغم من أن المجلس القومي الكنسي في أمريكا كان قد أصدر بياناً يعلن فيه عدم الاعتراف بكنيسة مون.

● يؤكد مون محاربته للشيوعية، ويركز هجومه عليها، كما أنه يرسل البعثات لمناهضتها في أماكن عديدة من العالم.

● لقد عقد مون عدداً من المؤتمرات سعياً وراء تحقيق أهدافه، ومنها:

ـ مؤتمر توحيد اليهود في سويسرا

ـ مؤتمر اتحاد العالم المسيحي في إيطاليا.

ـ مؤتمر البوذيين في اليابان.

ـ مؤتمر الهندوكية في سيريلانكا.

ـ مؤتمر اتحاد العالم الإسلامي: الذي تم عقده في تركيا قرب إستنبول وذلك في الفترة من ١٩ـ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥م، وقد تعاونت معهم كلية الإلهيات بجامعة مرمرة بهدف إنجاح المؤتمر.

ـ لديهم خطة لعقد مؤتمرات أخرى من سنة ١٩٨٩ ـ ١٩٩٣م.

ـ كان أتباع مون المشاركون في المؤتمر بتركيا يصورون الخلافات بين الأديان(*)، على أنها لا تعدو أن تكون شبيهة بتلك الخلافات الفقهية الموجودة بين المذاهب(*) الإسلامية ذاتها، وهذا محض افتراء، إذ إن الخلاف بين الأديان خلاف عقائدي قبل كل شيء، في حين أن الخلاف بين المذاهب الفقهية ليس أكثر من خلاف داخلي اجتهادي في الفروع دون الأصول.

ـ قال اليهودي كوفمان في الجلسة الختامية لهذا المؤتمر: «إن الأمر يحتاج إلى أن نبذل المزيد من الجهد حتى نفهم بعضنا، فإننا قد ننتسب إلى شيء واحد وعقيدة واحدة، وعلى الرغم من ذلك نختلف، ومن أجل أن نلتقي لا بد لنا من أن نتفهم غيرنا من خلال نظرته»!!

● تذكر جريدة **المسلمون** في عددها ٣٦ أن المجلس العالمي للأديان الذي يترأسه صن مون إنما يعمل تحت رقابة المؤسسة العالمية المتحدة للأديان IRF، وهي واحدة من الوكالات الدينية الإنسانية التابعة للكنيسة الموحدة، التي هي إحدى الحركات الدينية الجديدة التي أسسها صن مون في كوريا.

ـ وتذكر الجريدة بأن أهداف المجلس العالمي للأديان حسبما تورده مذكرة المجلس ذاته هي:

١ ـ المناداة بوحدة الإنسانية.

٢ ـ منح الاحترام الواجب للتراث الإنساني المختلف.

٣ ـ دعوة الناس من كل الأديان إلى نوع من الوحدة الروحانية واحترام خصوصيات كل دين(*).

٤ ـ تشجيع الفهم المتبادل والتعاون بين ومع المعتقدات الدينية في العالم.

٥ ـ معاونة هؤلاء المتطلعين إلى إيجاد تناسق وانسجام بين الأديان، والمساعدة في التعاون بين المنظمات الدينية.

٦ ـ توسيع استخدام وجهات النظر الدينية في حل المشكلات الإنسانية العامة.

٧ ـ الدفاع عن حقوق الإنسان، بما في ذلك حق حرية المعتقدات الدينية وممارستها.

٨ ـ التأييد العلمي للطموحات الفردية الخاصة بالمعتقدات الدينية، عن طريق وضع برامج من شأنها تخفيف المعاناة وتحسين حال البشرية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن اليهود ـ باعتبارهم أقلية مفسدة ـ يسعون دائماً لبث دعاوى إذابة الفروق

بين العقائد مما يمهد الطريق لهم؛ ليتغلغلوا داخل شعوب الأرض، ويكونوا هم المستفيدين في النهاية على حساب الأديان الأخرى جميعاً.

● إن هذه الحركة(*) تدور في فلك الحركات المسخرة لخدمة الصهيونية العالمية، إذ إن التشابه بين هذه الحركات يدل على أنها ذات أصل واحد، وتعمل لهدف مشترك واحد.

● إن الثراء الفاحش الذي يتحرك فوقه صن مون ليشير إلى الجهة التي تموله وتقف وراءه؛ لتستفيد من عمله ودعوته في تفتيت الأديان(*) وتحطيم الأخلاق(*).

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تتمتع هذه الحركة بوجود ضخم في جنوب ووسط أمريكا، إذ إن لهم علاقات قوية مع كبار السياسيين في تشيلي وأرجواي والأرجنتين وهندوراس وبوليفيا.

● في إيرلندا لهم مركز وكنيسة(*) اسمها الكنيسة التوحيدية، وتجدر الإشارة إلى أن لإيرلندا دوراً كبيراً في دعم أمثال هذه الحركات.

● لهم استثمارات في جنوب كوريا، وقد سمحت لهم حكومة سيول بإقامة كنيسة لهم خارج العاصمة.

- إنهم متغلغلون في الجناح الأيمن للحزب(*) الجمهوري بالولايات المتحدة، كما يشكلون الجناح الأيمن للدكتاتورية في أمريكا الجنوبية.

- يمتلك زعيمهم عدة عقارات في العالم وشركات ومطاعم وأراض ومحلات لبيع المجوهرات وشركة للنشر تسمى Paragon House، كما أسس جريدة **الواشنطن تايمز** التي يوزع منها ٧٥ ألف نسخة في اليابان ونيويورك وأرجواي وقبرص، ولديه فندق نيويوركر New Yorker في مانهاتن.

ويتضح مما سبق:

أن المونية حركة(*) مشبوهة، تدعو إلى القضاء على كل الأديان(*)، وابتداع دين جديد، ينصهر في بوتقة المتنبي الكوري صن مون، ويجذب الشباب إليه، مغرياً إياهم

بالانحراف والانفصال عن أسرهم، والغرق في بحور الملذات، خدمة لأهداف الصهيونية العالمية.

مراجع للتوسع:

- جريدة **المسلمون** الأسبوعية، العدد ٣٥ ـ ٢١ المحرم ١٤٠٦ هـ/ ٥ أكتوبر ١٩٨٥م ـ وكذلك أعداد ٣٦، ٣٧، ٣٨.
- جريدة **الواشنطن بوست** تاريخ ٢٨/ ٨/ ١٩٨٣م.
- باللغة الإنجليزية

- Carol Culter: Are Religious? Cults Dangerous The Mercier Press, Dublin and Cork, 1984.

- باللغة الفرنسية

- Gilbert Picard: L'enfer des Sectes, Editions le carrousel - Fn Paris, 1984.

- باللغة الإسبانية

- Pepe Redriguez: Esclavos De un Mesias. Barcelona. 1984.

- ولدى مراسلتهم على عنوانهم بالولايات المتحدة الأمريكية، فإنهم يرسلون كتباً ونشرات تعبر عن آرائهم نذكر منها:

- Council For the World.s Religions
Intrnational Religious Foundation, INC
Introduction to The Principle, An Islamic pespective

وهو كتاب عنوانه (المقدمة للمبدأ) مكتوب باللغة العربية لكن محتواه باللغة الإنجليزية.

الفصل الخامس

فلسفات ولدت في كنف الحضارة الغربية متأثرة بالنصرانية:

● ـ التنصير ● العلمانية. ● الاستشراق ● التغريب

٨٣ـ التنصير

التعريف:

التنصير حركة(*) دينية سياسية استعمارية(*) بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية؛ بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب.

ويساعدهم في ذلك ثلاثة عوامل:

ـ انتشار الفقر والجهل والمرض في معظم بلدان العالم الإسلامي.

ـ النفوذ الغربي في كثير من بلدان المسلمين.

ـ ضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكتون عنهم، أو ييسرون لهم السبل رغباً ورهباً أو نفاقاً لهم.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ريمون لول: أول نصراني تولَّى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها، إذ إنه قد تعلم اللغة العربية بكل مشقة، وأخذ يجول في بلاد الشام مناقشاً علماء المسلمين.

● منذ القرن الخامس عشر وأثناء الاكتشافات البرتغالية دخل المبشرون الكاثوليك إلى

إفريقيا، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد الإرساليات التبشيرية البروتستانتية إنجليزية وألمانية وفرنسية.

● بيتر هيلنغ: احتك بمسلمي سواحل إفريقيا منذ وقت مبكر.

● البارون دوبيتز: حرك ضمائر النصارى منذ عام ١٦٦٤م إلى تأسيس كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي.

● المستر كاري: فاق أسلافه في مهنة التبشير، وقد ظهر إبّان القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر.

● كان للمبشر هنري مارتن ت ١٨١٢م يد طويلة في إرسال المبشرين إلى بلاد آسيا الغربية، وقد ترجم التوراة(*) إلى الهندية والفارسية والأرمنية.

● في عام ١٧٩٥م تأسست جمعية لندن التبشيرية، وتبعتها أخريات في أسكوتلانده ونيويورك.

● في سنة ١٨١٩م اتفقت جمعية الكنيسة(*) البروتستانتية مع النصارى في مصر وكونت هناك إرسالية عهد إليها نشر الإنجيل(*) في إفريقيا.

● دافيد ليفنستون ١٨١٣ ـ ١٨٧٣م: رحالة بريطاني، اخترق أواسط إفريقيا، وقد كان مبشراً قبل أن يكون مستكشفاً.

● في سنة ١٨٤٩م أخذت ترد إرساليات التبشير إلى بلاد الشام، وقد قامت بتقسيم المناطق بينها.

● وفي سنة ١٨٥٥م تأسست جمعية الشبان المسيحية(*) من الإنجليز والأمريكان، وقد انحصرت مهمتها في إدخال ملكوت المسيح(*) بين الشبان كما يزعمون.

● في سنة ١٨٩٥م تأسست جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم، وهي تهتم بدراسة أحوال التلاميذ في كل البلاد مع العمل على بث روح المحبة بينهم (المحبة تعني التبشير بالنصرانية).

● صموئيل زويمر Zeimer: رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، كان يتولى إدارة مجلة **العالم الإسلامي** الإنجليزية التي أنشأها سنة ١٩١١م، ولاتزال تصدر إلى الآن من هارتيفورد. دخل البحرين عام ١٨٩٠م، ومنذ عام ١٨٩٤م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل. وأبرز مظاهر عمل البعثة التي أسسها زويمر كان في حقل التطبيب في منطقة الخليج، وتبعاً لذلك فقد افتتحت مستوصفات لها في البحرين والكويت ومسقط وعُمان. ويعد

زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث وقد أسس معهداً باسمه في أمريكا لأبحاث تنصير المسلمين.

● كنيث كراج K. Cragg: خلف صموئيل زويمر على رئاسة مجلة **العالم الإسلامي**، وقام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت، وهو رئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتيفورد بأمريكا، وهو معهد للمبشرين، ومن كتبه **دعوة المئذنة** صدر عام ١٩٥٦م.

● لويس ماسينيون: قام على رعاية التبشير والتنصير في مصر، وهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما أنه مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا.

● دانيال بلس: يقول: «إن كلية روبرت في إستانبول (الجامعة الأمريكية حالياً) كلية مسيحية(*) غير مستترة لا في تعليمها ولا في الجو الذي تهيئه لطلابها؛ لأن الذي أنشأها مبشر، ولا تزال إلى اليوم لا يتولى رئاستها إلا مبشر».

● الأب(*) شانتور: رَأَسَ الكلية اليسوعية في بيروت زمناً طويلاً أيام الانتداب الفرنسي.

● مستر نبروز: ترأس جامعة بيروت الأمريكية عام ١٩٤٨م يقول: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان».

● دون هك كري: كان أكبر شخصية في مؤتمر لوزان التبشيري عام ١٩٧٤م، وهو بروتستانتي، عمل مبشراً في الباكستان لمدة عشرين سنة، وهو أحد طلبة مدرسة فلر للتبشير العالمي. وبعد مؤتمر كولورادو التبشيري عام ١٩٧٨م أصبح مديراً لمعهد صموئيل زويمر، الذي يضم إلى جانبه داراً للنشر ولإصدار الدراسات المختصة بقضايا تنصير المسلمين ومقرها في كاليفورنيا، وهو يقوم بإعداد دورات تدريبية لإعداد المبشرين وتأهيلهم.

● يرى بابا(*) الفاتيكان(*) بعد سقوط الشيوعية أن من مصلحة الكنيسة(*) ومصلحة رجال السياسة توجيه عموم الشعب المسيحي نحو خصم جديد تخيفه به وتجنده ضده، والإسلام هو الذي يمكن أن يقوم بهذا الدور في المقام الأول. ويقوم البابا بمغادرة مقره بمعدل أربع رحلات دولية؛ لكسب الصراع مع الأيديولوجيات(*) العالمية وعلى رأسها الإسلام. وتوجد بلايين الدولارات تحت تصرفه للإنفاق منها

على إرسال المنصرين وإجراء البحوث وعقد المؤتمرات، والتخطيط لتنصير أبناء العالم الثالث، وتنظيم وتنفيذ ومتابعة النشاط التنصيري في كل أنحاء العالم، وتقويم نتائجه أولاً بأول.

الأفكار والمعتقدات:

● **أفكارهم:**

ـ محاربة الوحدة الإسلامية: يقول القس سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية».

ـ يقول لورنس براون Lawrance Brawn: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا، أيضاً، نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير».

ـ يقول مستر بلس: «إن الدين(*) الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقيا».

ـ لقد دأب المنصرون على بث الأكاذيب والأباطيل بين أتباعهم ليمنعوهم من دخول الإسلام وليشوهوا جمال هذا الدين.

ـ انتشار الإسلام بالسيف: يقول المبشر نلسون: «وأخضع سيف الإسلام شعوب إفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب».

ـ يقول هنري جسب: Henry Jesups المبشر الأمريكي: «المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها، إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم».

ـ لطفي ليفونيان، وهو أرمني ألف بضعة كتب للنيل من الإسلام، يقول: «إن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح».

ـ أديسون Addison الذي يقول عن محمد، ﷺ: «محمد لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله إلا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به العرب».

ـ المبشر نلسن يزعم أن الإسلام مقلد، وأن أحسن ما فيه إنما هو مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه أخذ من الوثنية، كما هو أو مع شيء من التبديل.

ـ المبشر ف. ج هاربر يقول: «إن محمداً كان في الحقيقة عابد أصنام، ذلك

لأن إدراكه لله في الواقع كاريكاتور».

- المبشر جسب يقول: «إن الإسلام مبني على الأحاديث ،أكثر مما هو مبني على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء».

- ويقول كذلك: «الإسلام ناقص والمرأة فيه مستعبدة».

- المبشر جون تاكلي يقول: «يجب أن نُرِيَ هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً».

- أما القس صموئيل زويمر فيقول في كتابه **العالم الإسلامي اليوم**:

«يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم».

«يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحي».

«تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها».

«ينبغي للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة، إذ إن من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء».

- وقال صموئيل زويمر كذلك في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م:

«... لكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية(*) ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة له بالأخلاق(*) التي تعتمد عليها الأمم في حياتها».

«... إنكم أعددتم نشأً لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهرة وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهرة يجود بكل شيء».

- وقد كتب أحد المبشرين في بداية هذا القرن الميلادي يقول: «سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها كل محاولات التبشير ما دام للمسلمين هذه الدعائم الأربع: القرآن والأزهر واجتماع الجمعة الأسبوعي ومؤتمر الحج السنوي العام».

● **مؤتمراتهم**:

لقد كان لهم ولا يزال الكثير من المؤتمرات الإقليمية والعالمية ومن ذلك:

ـ مؤتمر القاهرة عام ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦م وقد دعا إليه زويمر بهدف عقد مؤتمر يجمع الإرساليات التبشيرية البروتستانتية للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، وقد بلغ عدد المؤتمرين ٦٢ شخصاً بين رجال ونساء، وكان زويمر رئيساً لهم.

ـ المؤتمر التبشيري العالمي في أدنبرة باسكوتلندة عام ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠م، وقد حضره مندوبون عن ١٥٩ جمعية تبشيرية في العالم.

ـ مؤتمر التبشير في لكهنؤ بالهند عام ١٣٣٩ هـ/١٩١١م حضره صموئيل زويمر، وبعد انفضاض المؤتمر وزعت على الأعضاء رقاع مكتوب على أحد وجهيها «تذكار لكهنؤ سنة ١٩١١م» وعلى الوجه الآخر «اللهم يا من يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع، انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية وألهمها الخلاص بيسوع المسيح».

ـ مؤتمرات التبشير في القدس:

١ ـ في عام ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٤م.

٢ ـ في عام ١٩٢٨م مؤتمر تبشيري دولي.

٣ ـ في عام ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥م وقد كان يضم ١٢٠٠ مندوب.

٤ ـ في عام ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١م.

ـ مؤتمر الكنائس البروتستانتية عام ١٩٧٤م في لوزان بسويسرا.

ـ وأخطر المؤتمرات مؤتمر كولورادو في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨م تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين) حضره (١٥٠) مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق، وقدمت فيه بحوث حول التبليغ الشامل للإنجيل(*) ، وتقديمه للمسلمين والكنائس(*) الديناميكية في المجتمع المسلم وتجسيد المسيح(*) ، وتحبيبه إلى قلب المسلم، ومحاولات نصرانية جديدة لتنصير المسلمين، وتحليل مقاومة واستجابة المسلم واستخدام الغذاء والصحة كعنصرين في تنصير المسلمين، وتنشيط دور الكنائس المحلية في تنصير العالم الإسلامي.

وقد انتهى المؤتمر بوضع إستراتيجية بقيت سرية لخطورتها مع وضع ميزانية لهذه الخطة مقدارها ١٠٠٠ مليون دولار، وقد تم جمع هذا المبلغ فعلاً وتم إيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى.

ـ المؤتمر العالمي للتنصير الذي عقد في السويد في شهر أكتوبر ١٩٨١م تحت إشراف المجلس الفيدرالي اللوثراني، والذي نوقشت فيه نتائج مؤتمري لوزان وكولورادو

وخرج بدراسة مستفيضة عن التنصير لما وراء البحار، بهدف التركيز على دول العالم الثالث.

ـ ومن مؤتمراتهم كذلك:

١ ـ مؤتمر إستانبول.

٢ ـ مؤتمر حلوان بمصر.

٣ ـ مؤتمر لبنان التبشيري.

٤ ـ مؤتمر لبنان بغداد التبشيري.

٥ ـ مؤتمر قسنطينة التبشيري في الجزائر وذلك قبل الاستقلال.

٦ ـ مؤتمر شيكاغو.

٧ - مؤتمر مدراس التبشيري في بلاد الهند، وكان ينعقد هذا المؤتمر كل عشر سنوات.

٨ ـ مؤتمر بلتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية ١٩٤٢م وهو مؤتمر خطير جداً، وقد حضره من اليهود بن جوريون.

ـ بعد الحرب العالمية الثانية اتخذت النصرانية نظاماً جديداً، إذ ينعقد مؤتمر للكنائس(*) مرة كل ست أو سبع سنوات متنقلاً من بلد إلى آخر.

١ ـ مؤتمر أمستردام ١٩٤٨م ـ هولندا.

٢ ـ مؤتمر إيفانستون ١٩٥٤م ـ أمريكا.

٣ ـ مؤتمر نيودلهي ١٩٦١م ـ الهند.

٤ ـ مؤتمر أوفتالا ١٩٦٧م ـ أوفتالا بأوربا.

٥ ـ مؤتمر جاكرتا ١٩٧٥م ـ أندونيسيا، وقد اشترك فيه ٣٠٠٠ مبشر نصراني.

ـ عقد المؤتمر السادس لمجلس الكنائس العالمي في يوليو سنة ١٩٨٠م في كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وقد حث المؤتمر على ضرورة زيادة البعثات التنصيرية بين مسلمي الشرق الأوسط، خاصة في دول الخليج العربي.

● **أشهر المراكز والمعاهد التنصيرية:**

ـ معهد صموئيل زويمر في ولاية كاليفورنيا، فقد تم إنشاؤه بناء على توصية من قرارات مؤتمر كولورادو.

ـ المركز العالمي للأبحاث والتبشير في كاليفورنيا، الذي قام بتقديم الأشخاص اللازمين للإعداد لمؤتمر كولورادو مع تهيئة عوامل نجاح هذا المؤتمر.

- الجامعة الأمريكية في بيروت (الكلية السورية الإنجيلية سابقاً) أنشئت عام ١٨٦٥م.
- الجامعة الأمريكية في القاهرة أنشئت لتكون قريبة من الأزهر ومنافسة له.
- الكلية الفرنسية في لاهور.
- جمعية التبشير الكنسية الإنجيليزية، وهي أهم جمعية بروتستانتية، وقد مضى على إنشائها قرابة قرنين من الزمان.
- إرساليات التبشير الأمريكية، أهمها الجمعية التبشيرية الأمريكية والتي يرجع عهدها إلى سنة ١٨١٠م.
- جمعية إرساليات التبشير الألمانية الشرقية، أسسها القسيس(*) لبسيوس سنة ١٨٩٥م. وقد بدأ عملها فعلاً سنة ١٩٠٠م.
- أسس الإنجليز في سنة ١٨٠٩م الجمعية اللندنية لنشر النصرانية بين اليهود وبدأ عملها بأن ساقت اليهود المتفرقين في شتات الأرض إلى أرض فلسطين.

● **بعض الكتب ووسائل الدعاية التنصيرية:**

- جمعت موضوعات مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م في كتاب كبير اسمه **وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين**.
- صنف زويمر كتاباً جمع فيه بعض التقارير عن التبشير أسماه **العالم الإسلامي اليوم**، تحدث فيه عن الوسائل المؤدية للاحتكاك بالشعوب غير المسيحية(*) وجلبها إلى حظيرة المسيح(*)، مع بيان الخطط التي يجب على المبشر اتباعها.
- **تاريخ التبشير**: للمبشر أدوين بلس البروتستانتي.
- **كتاب المستر فاردنر**: ركز فيه حديثه عن إفريقيا وسبل نشر النصرانية فيها وعوائق ذلك ومعالجاته.
- **مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية** التي تصدر في مدينة بال بسويسرا، والتي تحدثت عن مؤتمر أدنبره سنة ١٩١٠م.
- **مجلة الشرق المسيحي الألمانية** تصدرها جمعية التبشير الألمانية منذ سنة ١٩١٠م.
- **دائرة المعارف الإسلامية** التي صدرت بعدة لغات حية.
- **موجز دائرة المعارف الإسلامية**.
- طبع الإنجيل(*) بشكل أنيق وبأعداد هائلة وتوزيعه مجاناً، وإرساله بالبريد لمن

يطلبه، وأحياناً لمن لا يطلبه، أيضاً.

- توزيع أشرطة الفيديو والكاسيت المسجل عليها ما يصرف المسلم عن دينه، واستخدام الموجات الإذاعية والتليفزيونية التي تبث سمومها، وتصل إلى المسلمين في مخادعهم، وتعتمد على التمثيليات والبرامج الترفيهية والثقافية والرياضية من أجل خدمة أهدافهم الخبيثة.

● **وسائل أخرى لها تأثير واسع:**

- **من هذه الوسائل:**

١ - تقديم الخدمات الطبية بهدف استغلال هذه المهنة في التنصير:

(أ) بول هاريسون له كتاب **الطبيب في بلاد العرب** يقول: «لقد وُجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى».

(ب) س. أ. موريسون محرر في **مجلة العالم الإسلامي** يقول: «وحينئذٍ تكون الفرصة سانحة حتى يبشر هذا الطبيب بين أكبر عدد ممكن من المسلمين في القرى الكثيرة في طول مصر وعرضها».

(جـ) المبشرة إيد هاريس تقول: «يجب على الطبيب أن ينتهز الفرصة ليصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم».

(د) المستر هاربر يقول بوجوب الإكثار من الإرساليات الطبية؛ لأن رجالها يحتكون دائماً بالجمهور، ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين. (مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م).

(هـ) من المبشرين الأطباء: آن أساوودج، وفورست، وكار نيليوسي فانديك، وجورج بوست، وتشالرز كلهون، وماري أوي، والدكتور طومسون.

٢ - التعليم:

(أ) إنهم يضعون كل ثقلهم في استغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أهدافهم التنصيرية.

(ب) إنشاء المدارس والكليات والجامعات والمعاهد العليا، وكذلك إنشاء دور للحضانة ورياض للأطفال واستقبال الطلبة في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

(جـ) لقد وزعوا خلال مائة وخمسين عاماً ما يزيد على ألف مليون نسخة من نسخ العهد القديم والجديد مترجمة إلى ١١٣٠ لغة، عدا النشرات والمجلات التي تبلغ قيمتها بما يقدر بـ ٧٠٠٠ مليون دولار.

(د) الاستشراق والتنصير يتعاونان تعليمياً في خدمة أهدافهما المشتركة.

٣ ـ الأعمال الاجتماعية:

(أ) إيجاد بيوت للطلبة من الذكور والإناث.

(ب) إيجاد الأندية.

(جـ) الاهتمام بدور الضيافة والملاجيء للكبار ودور لليتامى واللقطاء.

(د) الاعتناء بالأعمال الترفيهية وحشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال.

(هـ) إنشاء المكتبات التبشيرية واستغلال الصحافة بشكل واسع.

(و) إنشاء مخيمات الكشافة التي تستغل أفضل استغلال في التنصير.

(ز) زيارة المسجونين والمرضى في المستشفيات وتقديم الهدايا والخدمات لهم.

(ح) تكلمت المس ولسون ومس هلداي في مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م عن دور المرأة مبشرة لتقوم بنشر ذلك بين نساء المسلمين.

٤ ـ النسل:

(أ) في اجتماع البابا(*) شنودة في ١٩٧٣/٣/٥م مع القساوسة(*) والأثرياء في الكنيسة(*) المرقسية بالإسكندرية طرحوا بعض المقررات، وقد كان منها تحريم تحديد النسل أو تنظيمه بين شعب الكنيسة، وتشجيع الإكثار من النسل بوضع الحوافز والمساعدات المادية والمعنوية، مع تشجيع الزواج المبكر بين النصارى. وفي المقابل تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين خاصة، علماً بأن أكثر من ٦٥٪ من الأطباء وبعض القائمين على الخدمات الصحية هم من شعب الكنيسة.

٥ ـ الفتن والحروب:

(أ) يعملون على تشجيع الحروب والفتن، وذلك لإضعاف الشعوب الإسلامية.

(ب) إثارة الاضطرابات المختلفة بإذكاء نار العدواة والبغضاء وإيقاظ روح القوميات الإقليمية الطائفية الضيقة، كالفرعونية في مصر والفينيقية في الشام وفلسطين ولبنان، والآشورية في العراق والبربرية في شمال إفريقيا، واستغلال جميع ذلك في التنصير.

(جـ) يقول زويمر في مؤتمر التبشير في لكهنؤ بالهند ١٩١١م. «إن الانقسام السياسي الحاضر في العالم الإسلامي دليل بالغ على عمل يد الله في التاريخ واستثارة للديانة(*) المسيحية(*) كي تقوم بعملها».

٦ ـ الإمكانات:

(أ) في إندونيسيا يسيطرون على وسائل الإعلام، ولديهم إذاعات تبشيرية وصحف قومية، وإحصائية ١٩٧٥م تكشف أن فيها ٨٩١٩ كنيسة لطائفة البروتستانت و٣٨٩٧ قسيساً و٨٥٠٤ مبشرين متفرغين، ولطائفة الكاثوليك ٧٢٥٠ كنيسة(*) و٢٦٣٠ قسيساً(*) و٥٣٩٣ مبشراً متفرغاً، وقد وضعوا خطة للانتهاء من تنصيرها في عام ٢٠٠٠ ميلادية.

(ب) في بنجلاديش إرساليات تبشيرية كثيرة لتنصير المسلمين هناك.

(جـ) في كينيا: يعدون لتنصيرها تماماً في عام ٢٠٠٠ ميلادية، أيضاً.

(د) إن التنصير يلقي بثقله في ماليزيا ودول الخليج وإفريقيا.

(هـ) ذكر في مؤتمر عدم الانحياز في كوالا لمبور بأن هناك حوالي ٢٥٠٠ محطة إذاعية بـ ٦٤ لغة قومية تشن هجوماً صريحاً وضارياً ضد الإسلام.

(و) مجموع الإرساليات الموجودة في ٣٨ بلداً إفريقياً يبلغ ١١١,٠٠٠ إرسالية بعضها يملك طائرات تنقل الأطباء والأدوية والممرضات لعلاج المرضى في الغابات وأحراش الجبال.

(ز) يوجد الآن في العالم ما يربو على ٢٢٠ ألف مبشر، منهم ١٣٨,٠٠٠ كاثوليكي، والباقي ٨٢,٠٠٠ بروتستانتي، وفي إفريقيا وحدها ١١٩,٠٠٠ مبشر ومبشرة ينفقون بليوني دولار سنوياً.

(ح) يستخدمون سفناً معدة إعداداً خاصاً يسمح بإقامة الحفلات على ظهرها، للاستعانة بها في توزيع المطبوعات الكنسية وإقامة الحفلات التي تستغل لأهدافهم الخاصة في التنصير، ويعلنون عنها باسم إقامة معرض عائم للكتاب.

(ط) يقوم مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان(*) وهيئات أخرى بالإشراف والتوجيه والدعم المالي لجميع الأنشطة التنصيرية، وتتوافر مصادر تمويل ثابتة من مختلف الحكومات والمؤسسات في الدول الغربية، وعن طريق المشروعات الاقتصادية والأراضي الزراعية والأرصدة في البنوك والشركات التابعة لهذه الحركات التنصيرية مباشرة وحملات جمع التبرعات التي يقوم بها القساوسة(*) من حين لآخر. وتوجد هيئات ومراكز للبحوث والتخطيط يعمل بها نخبة ممتازة من الباحثين المؤهلين ومن أهم هذه المراكز:

(ي) مركز البحوث التابع للفاتيكان.

(ك) مركز البحوث التابع لمجلس الكنائس(*) العالمي.
(ل) حركة الدراسات المسيحية(*) في كاليفورنيا.
(م) مركز البحث في كولورادو.
(ن) المركز المسيحي في نيروبي (كينيا وقد أنشىء في عام ١٤٠١هـ).
(س) مركز المعلومات المسيحي في نيجيريا.
(ع) المركز المسيحي الدراسي في روالبندي (باكستان) وقد تأسس سنة ١٩٦٦م ويعد من أكبر المراكز في آسيا.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد بدأ التنصير وتوسع إثر الانهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان ١٠٩٩ ـ ١٢٥٤ أنفقوهما في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدي المسلمين.

● الأب اليسوعي ميبز يقول: «إن الحروب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا، إن الرهبان(*) الفرنسيين والراهبات الفرنسيات لا يزالون كثيرين في الشرق».

● يرى المستشرق الألماني بيكر Becker بأن «هناك عداء من النصرانية ضد الإسلام؛ بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية، ثم إن الإسلام قد امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها».

● التنصير في أساسه يهدف إلى تمكين الغرب النصراني من البلاد الإسلامية، وهو مقدمة أساسية للاستعمار(*) وسبب مباشر لتوهين قوة المسلمين وإضعافها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لقد انتشر التنصير وامتد إلى كل دول العالم الثالث.

● إنه يتلقى الدعم الدولي الهائل من أوربا وأمريكا، ومن مختلف الكنائس(*) والهيئات والجامعات والمؤسسات العالمية.

● إنه يلقي بثقله بشكل كثيف حول العالم الإسلامي، عن طريق فتح المدارس الأجنبية وتصدير البعوث والإرساليات التبشيرية، وتشجيع انتشار المجلات الخليعة والكتب العابثة والبرامج التليفزيونية الفاسدة، والسخرية من علماء الدين والترويج لفكرة تحديد النسل، والعمل على إفساد المرأة المسلمة، ومحاربة اللغة العربية

وتشجيع النعرات القومية.

● إنه يتمركز في أندونيسيا وماليزيا وبنجلاديش والباكستان وفي إفريقيا بعامة.

● يزداد تيار التنصير نتيجة لسياسة التساهل من قبل الحكام في بعض البلدان الإسلامية، فبعضهم يحضر القداس بنفسه، وبعضهم يتبرع بماله لبناء الكنائس(*)، وبعضهم يتغافل عن دخول المسيحيين(*) بصورة غير مشروعة. والمطلوب اتخاذ سياسة حازمة لإيقاف تيار التنصير قبل فوات الأوان.

ويتضح مما سبق:

أن التنصير حركة سياسية استعمارية تستهدف نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة، وبين المسلمين على وجه الخصوص. ويستغل زعماؤها انتشار الجهل والفقر والمرض للتغلغل بين شعوب تلك الأمم متوسلين بوسائل الإعلام التقليدية من كتب ومطبوعات وإذاعة وتلفاز وأشرطة سمعية ومرئية، فضلاً عن المخيمات والتعليم والطب، إلى جانب الأنشطة الاجتماعية الإنسانية والإغاثية الموجهة لمنكوبي الفتن والحروب، وغفلة وتساهل حكام بعض الدول الإسلامية. وتعتمد تلك الحركة في تحقيق أهدافها على تشويه صورة الإسلام وكتابه ورسوله، ﷺ، مسخرين إمكاناتهم الضخمة لتحقيق مآربهم.

مراجع للتوسيع:

- **الفكر الإسلامي الحديث**، د. محمد البهي ـ ط٨ ـ مكتبة وهبة بالقاهرة ـ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- **التبشير والاستعمار**، المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ـ المطابع الأميرية بالقاهرة ـ ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- **التبشير والاستعمار**، د. مصطفى الخالدي ود. عمر فروخ ـ ط٥ ـ ١٩٧٣م.
- **الغارة على العالم الإسلامي**، ا.ل. شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ـ ط٣ ـ المطبعة السلفية ـ ١٣٨٥هـ.
- **معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير**، إبراهيم سليمان الجبهان ـ ط٤ ـ عالم الكتب ـ الرياض ـ ١٩٨١م.
- **أضواء على الاستشراق**، د. محمد عبد الفتاح عليان ـ ط١ ـ دار البحوث العلمية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- **قادة الغرب يقولون**، جلال العالم ـ ط٢ ـ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- **مجلة البلاغ، العدد ٤٨٤ في ١٤/ ٢/ ١٩٧٩م.**
- **دائرة المعارف الإسلامية**، The Eneyclopaedia of Islam.
- **دائرة معارف الدين والأخلاق**، Eneyclopaedia of Religion and Ethics 11 - Focus on Christian - Muslim Relations.
- **التبشير بالنصرانية خطر مغلف**، ندوة عقدتها جريدة الرياض السعودية ونشرت بتاريخ ١٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٣هـ الموافق ٢٨ ديسمبر ١٩٨٢م العدد ٥٣١٢.
- **مجلة الأمة القطرية**، عدد شوال ١٤٠١هـ.
- **التنصير في الخليج**، معالي عبد الحميد حموده.
- **مذكرة عن التنصير**، رابطة العالم الإسلامي.
- **التنصير: خطة تنصير العالم الإسلامي**، وهي ترجمة لبحوث مؤتمر كلورادوا عام ١٩٧٨م صدر بالإنجليزية بعنوان: THE GOSPEL AND ISLAM.

٨٤ـ العلمانية

التعريف:

العلمانيةSECULARISM وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل(*)، ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين(*). وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE ، وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر، وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس، ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر. أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين، وقد اختيرت كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية.

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة، وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

تتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة، إذ لقيصر سلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة(*). وهذا واضح فيما يُنسب إلى السيد المسيح(*) من قوله: «أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله». أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● انتشرت هذه الدعوة في أوروبا، وعمت أقطار العالم بحكم النفوذ الغربي والتغلغل الشيوعي. وقد أدت ظروف كثيرة قبل الثورة(*) الفرنسية سنة ١٧٨٩م وبعدها إلى انتشارها الواسع وتبلور منهجها(*) وأفكارها، وقد تطورت الأحداث وفق الترتيب التالي:

ـ تحول رجال الدين إلى طواغيت(*) ومحترفين سياسيين ومستبدين تحت ستار الإكليروس(*) والرهبانية(*) والعشاء الرباني(*) وبيع صكوك الغفران.

ـ وقوف الكنيسة(*) ضد العلم وهيمنتها على الفكر وتشكيلها لمحاكم التفتيش

واتهام العلماء بالهرطقة، مثل:

١ ـ كوبرنيكوس: نشر سنة ١٥٤٣م كتاب **حركات الأجرام السماوية** وقد حرمت الكنيسة هذا الكتاب.

٢ ـ جاليليوجاليلي: صنع التلسكوب فعُذب عذاباً شديداً، وعمره سبعون سنة وتوفى سنة ١٦٤٢م.

٣ ـ سبينوزا: صاحب مدرسة النقد التاريخي، وقد كان مصيره الموت مسلولا.

٤ ـ جون لوك طالب بإخضاع الوحي(*) للعقل(*) عند التعارض.

ظهور مبدأ العقل والطبيعة(*): فقد أخذ العلمانيون يدعون إلى تحرر العقل وإضفاء صفات الإلٰه(*) على الطبيعة.

ـ الثورة(*) الفرنسية: نتيجة لهذا الصراع بين الكنيسة(*) من جهة وبين الحركة الجديدة من جهة أخرى، كانت ولادة الحكومة الفرنسية سنة ١٧٨٩م وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب. وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية، وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم.

ـ جان جاك روسو سنة ١٧٧٨م له كتاب **العقد الاجتماعي** الذي يعد إنجيل الثورة، ومونتسكيو له **روح القوانين**، وسبينوزا (يهودي) يعد رائد العلمانية باعتبارها منهجاً(*) للحياة والسلوك وله رسالة **في اللاهوت(*) والسياسة**، وفولتير صاحب **القانون الطبيعي**، وكانتْ له **الدين(*) في حدود العقل وحده** سنة ١٨٠٤م، وليم جودين ١٧٩٣م له **العدالة السياسية** ودعوته فيه دعوة علمانية صريحة.

ـ ميرابو الذي يعد خطيب وزعيم وفيلسوف الثورة الفرنسية.

ـ سارت الجموع الغوغائية لهدم الباستيل وشعارها الخبز، ثم تحول شعارها إلى (الحرية(*) والمساواة والإخاء)، وهو شعار ماسوني و«لتسقط الرجعية»، وهي كلمة ملتوية تعني الدين، وقد تغلغل اليهود بهذا الشعار لكسر الحواجز بينهم وبين أجهزة الدولة وإذابة الفوارق الدينية، وتحولت الثورة(*) من ثورة على مظالم رجال الدين إلى ثورة على الدين نفسه.

ـ نظرية التطور: ظهر كتاب **أصل الأنواع** سنة ١٨٥٩م لتشارلز دارون الذي يركز على قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب، وقد جعلت الجد الحقيقي للإنسان جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، والقرد مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها. وهذه النظرية أدت إلى انهيار العقيدة الدينية ونشر الإلحاد(*)

وقد استغل اليهود هذه النظرية بدهاء وخبث.

ـ ظهور نيتشة: وفلسفته التي تزعم بأن الإله(*) قد مات، وأن الإنسان الأعلى (السوبرمان) ينبغي أن يحل محله.

ـ دوركايم (اليهودي): جمع بين حيوانية الإنسان وماديته بنظرية العقل الجمعي.

ـ فرويد (اليهودي): اعتمد الدافع الجنسي مفسراً لكل الظواهر. والإنسان في نظره حيوان جنسي.

ـ كارل ماركس (اليهودي): صاحب التفسير المادي للتاريخ(*) الذي يؤمن بالتطور الحتمي(*)، وهو داعية الشيوعية ومؤسسها الأول الذي اعتبر الدين أفيون الشعوب.

ـ جان بول سارتر: في **الوجودية** وكولن ولسون في **اللامنتمي**: يدعوان إلى الوجودية والإلحاد.

ـ الاتجاهات العلمانية في العالم العربي والإسلامي نذكر نماذج منها:

١ ـ في مصر: دخلت العلمانية مصر مع حملة نابليون بونابرت. وقد أشار إليها الجبرتي في تاريخه ـ الجزء المخصص للحملة الفرنسية على مصر وأحداثها ـ بعبارات تدور حول معنى العلمانية، وإن لم تذكر اللفظة صراحة. أما أول من استخدم هذا المصطلح العلمانية فهو نصراني يدعى إلياس بقطر في **معجم عربي فرنسي** من تأليفه سنة ١٨٢٧م. وأدخل الخديو إسماعيل القانون الفرنسي سنة ١٨٨٣م، وكان هذا الخديو مفتوناً بالغرب، وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوربا.

٢ ـ الهند: حتى سنة ١٧٩١م كانت الأحكام وفق الشريعة الإسلامية(*) ، ثم بدأ التدرج من هذا التاريخ لإلغاء الشريعة بتدبير الإنجليز، وانتهت تماماً في أواسط القرن التاسع عشر.

٣ ـ الجزائر: إلغاء الشريعة الإسلامية(*) عقب الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠م.

٤ ـ تونس: أدخل القانون الفرنسي فيها سنة ١٩٠٦م.

٥ ـ المغرب: أدخل القانون الفرنسي فيها سنة ١٩١٣م.

٦ ـ تركيا: لبست ثوب العلمانية عقب إلغاء الخلافة(*) واستقرار الأمور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك، وإن كانت قد وجدت هناك إرهاصات ومقدمات سابقة.

٧ ـ العراق والشام: ألغيت الشريعة أيام إلغاء الخلافة العثمانية، وتم تثبيت أقدام

الإنجليز والفرنسيين فيهما.

٨ ـ معظم أفريقيا: فيها حكومات نصرانية امتلكت السلطة بعد رحيل الاستعمار(*).

٩ ـ إندونيسيا ومعظم بلاد جنوب شرقي آسيا: دول علمانية.

١٠ ـ انتشار الأحزاب(*) العلمانية والنزعات القومية: حزب البعث، الحزب القومي السوري، النزعة الفرعونية، النزعة الطورانية(*)، القومية العربية.

١١ ـ من أشهر دعاة العلمانية في العالم العربي والإسلامي: أحمد لطفي السيد، إسماعيل مظهر، قاسم أمين، طه حسين، عبد العزيز فهمي، ميشيل عفلق، أنطون سعادة، سوكارنو، سوهارتو، نهرو، مصطفى كمال أتاتورك، جمال عبد الناصر، أنور السادات صاحب شعار «لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين»، د. فؤاد زكريا. د. فرج فودة وقد اغتيل بالقاهرة مؤخراً، وغيرهم.

الأفكار والمعتقدات:

● بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً.

ـ وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.

● الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل(*) والتجريب.

● إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة(*)، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية.

ـ فصل الدين(*) عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

ـ تطبيق مبدأ النفعية Pragmatism على كل شيء في الحياة.

ـ اعتماد مبدأ الميكيافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق(*).

ـ نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية.

● أما معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي التي انتشرت بفضل الاستعمار(*) والتبشير فهي:

ـ الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة(*).

ـ الزعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه، وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

ـ الزعم بأن الفقه(*) الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني.
ـ الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف.
ـ الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.
ـ تشويه الحضارة الإسلامية، وتضخيم حجم الحركات(*) الهدامة في التاريخ الإسلامي، والزعم بأنها حركات إصلاح.
ـ إحياء الحضارات القديمة.
ـ اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها.
ـ تربية الأجيال تربية لا دينية.

● إذا كان هناك عذر ما لوجود العلمانية في الغرب، فليس هناك أي عذر لوجودها في بلاد المسلمين؛ لأن النصراني إذا حكمه قانون مدني وضعي(*) لا ينزعج كثيراً ولا قليلاً؛ لأنه لا يعطل قانونا فرضه عليه دينه، وليس في دينه ما يُعدُّ منهجاً للحياة، أما مع المسلم فالأمر مختلف إذ يوجب عليه إيمانه الاحتكام إلى شرع الله. ومن ناحية أخرى ـ كما يقول د. يوسف القرضاوي ـ فإنه إذا انفصلت الدولة عن الدين بقى الدين النصراني قائماً في ظل سلطته القوية الفتية المتمكنة وبقيت جيوشها من الرهبان(*) والراهبات والمبشرين والمبشرات تعمل في مجالاتها المختلفة دون أن يكون للدولة عليهم سلطان بخلاف ما لو فعلت ذلك دولة إسلامية، فإن النتيجة أن يبقى الدين(*) بغير سلطان يؤيده ولا قوة تسنده، إذ لا بابوية له ولا كهنوت(*) ولا إكليروس(*)، وصدق الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه حين قال: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

الجذور الفكرية والعقائدية:

● العداء المطلق للكنيسة(*) أولاً، وللدين ثانياً أيًّا كان، سواء وقف إلى جانب العلم أم عاداه.

● لليهود دور بارز في ترسيخ العلمانية من أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض.

● يقول ألفرد هوايت هيو: «ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين إلا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ حليف الدين» وهذا القول إن صح بين العلم واللاهوت(*) في أوربا فهو قول مردود، ولا يصح بحال فيما يخص الإسلام، إذ لا تعارض إطلاقاً بين الإسلام وبين حقائق العلم، ولم يقم بينهما أي صراع كما حدث

في النصرانية. وقد نقل عن أحد الصحابة قوله عن الإسلام: «ما أمر بشيء، فقال العقل(*): ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء، فقال العقل ليته أمر به». وهذا القول تصدقه الحقائق العلمية والموضوعية، وقد أذعن لذلك صفوة من علماء الغرب، وأفصحوا عن إعجابهم وتصديقهم لتلك الحقيقة في مئات النصوص الصادرة عنهم.

- تعميم نظرية (العداء بين العلم من جهة والدين من جهة) لتشمل الدين الإسلامي، على الرغم من أن الدين الإسلامي لم يقف موقف الكنيسة ضد الحياة والعلم، بل كان الإسلام سباقاً إلى تطبيق المنهج(*) التجريبي ونشر العلوم.

● إنكار الآخرة وعدم العمل لها، واليقين بأن الحياة الدنيا هي المجال الوحيد للمتع والملذات.

● **لماذا يرفض الإسلام العلمانية؟:**

- لأنها تغفل طبيعة الإنسان البشرية باعتباره مكوناً من جسم وروح فتهتم بمطالب جسمه ولا تلقي اعتباراً لأشواق روحه.

- لأنها نبتت في البيئة الغربية وفقاً لظروفها التاريخية والاجتماعية والسياسية، وتعد فكراً غريباً في بيئتنا الشرقية.

- لأنها تفصل الدين(*) عن الدولة، فتفتح المجال للفردية والطبقية والعنصرية والمذهبية والقومية والحزبية والطائفية.

- لأنها تفسح المجال لانتشار الإلحاد(*) وعدم الانتماء والاغتراب والتفسخ والفساد والانحلال.

- لأنها تجعلنا نفكر بعقلية الغرب، فلا ندين العلاقات الحرة بين الجنسين وندوس على أخلاقيات المجتمع، ونفتح الأبواب على مصراعيها للممارسات الدنيئة، وتبيح التعامل بالربا وتعلي من قدر الفن للفن، ويسعى كل إنسان لإسعاد نفسه ولو على حساب غيره.

- لأنها تنقل إلينا أمراض المجتمع الغربي من إنكار الحساب في اليوم الآخر ومن ثم تسعى لأن يعيش الإنسان حياة متقلبة منطلقة من قيد الوازع الديني، مهيجة للغرائز الدنيوية كالطمع والمنفعة وتنازع البقاء ويصبح صوت الضمير عدما.

- مع ظهور العلمانية يتم تكريس التعليم لدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة وتُهمل أمور الغيب من إيمان بالله والبعث والثواب والعقاب، وينشأ بذلك مجتمع غايته متاع الحياة وكل لهو رخيص.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت العلمانية في أوربا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة(*) الفرنسية سنة ١٧٨٩م. وقد عمت أوربا في القرن التاسع عشر، وانتقلت لتشمل معظم دول العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار(*) والتبشير.

يتضح مما سبق:

● أن العلمانية دعوة إلى إقامة الحياة على أسس العلم الوضعي والعقل(*) بعيداً عن الدين الذي يتم فصله عن الدولة وحياة المجتمع وحبسه في ضمير الفرد، ولا يصرح بالتعبير عنه إلاً في أضيق الحدود. وعلى ذلك فإن الذي يؤمن بالعلمانية بديلاً عن الدين ولا يقبل تحكيم الشريعة الإسلامية(*) في كل جوانب الحياة، ولا يحرم ما حرم الله يعد مرتداً ولا ينتمي إلى الإسلام. والواجب إقامة الحجة عليه واستتابته حتى يدخل في حظيرة الإسلام، وإلا جرت عليه أحكام المرتدين المارقين في الحياة وبعد الوفاة.

مراجع للتوسع:

- **جاهلية القرن العشرين**، محمد قطب.
- **المستقبل لهذا الدين**، سيد قطب.
- **تهافت العلمانية**، عماد الدين خليل.
- **الإسلام والحضارة الغربية**، محمد محمد حسين.
- **العلمانية**، سفر بن عبدالرحمن الحوالي.
- **تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة**، محمد عبد الله عنان.
- **الإسلام ومشكلات الحضارة**، سيد قطب.
- **الغارة على العالم الإسلامي**، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.
- **الفكر الإسلامي في مواجهة الأفكار الغربية**، محمد المبارك.
- **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، محمد البهي.
- **الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه**، د. يوسف القرضاوي.
- **العلمانية: النشأة والأثر في الشرق والغرب**، زكريا فايد.
- **وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية للخروج من دائرة الكفر الاعتقادي**، د. محمد شتا

أبو سعد، القاهرة، ١٤١٣هـ.
- **جذور العلمانية**، د. السيد أحمد فرج - دار الوفاء المنصورة ١٩٩٠م.
- **علماني وعلمانية**، د. السيد أحمد فرج - بحث ضمن المعجمية الدولية بتونس ١٩٨٦م.

٨٥ ـ الاستشراق

التعريف:

الاستشراق Orientalism تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة، وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● البدايات:

ـ من الصعب تحديد بداية للاستشراق، إذ إن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري. وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب(*) يوحنا الدمشقي John of Damascus في كتابين الأول: **حياة محمد**. والثاني: **حوار بين مسيحي ومسلم**. وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل(*) المسلمين. وأياً كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار(*) وتسهيل عمله ونشر المسيحية(*).

ـ وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م، وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية.

ـ لم يظهر مفهوم الاستشراق Orientalism في أوربا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام ١٧٧٩م، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م.

ـ هربر دي أورلياك (٩٣٨ ـ ١٠٠٣م) Herbert de oraliac من الرهبانية(*)

البندكتية، قصد الأندلس، وقرأ على أساتذتها ثم انتخب ـ بعد عودته ـ حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني ٩٩٩ ـ ١٠٠٣م فكان بذلك أول بابا(*) فرنسي.

ـ في عام ١١٣٠م قام رئيس أساقفة(*) طليطلة بترجمة بعض الكتب العلمية العربية.

ـ جيرار دي كريمونا ١١١٤ ـ ١١٨٧م Gerard de Grémona إيطالي، قصد طليطلة وترجم ما لا يقل عن ٨٧ مصنفاً في الفلسفة(*) والطب والفلك وضرب الرمل.

ـ بطرس المكرم ١٠٩٤ ـ ١١٥٦م Prèrre le Vènèrable فرنسي من الرهبانية البندكتية، رئيس دير كلوني، قام بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة موضوعية عن الإسلام. وقد كان هو ذاته وراء أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ١١٤٣م التي قام بها الإنجليزي روبرت أوف كيتون Robert of Ketton.

ـ يوحنا الإشبيلي: يهودي متنصر Juan de Sevilla ظهر في منتصف القرن الثاني عشر وعني بعلم التنجيم(*)، نقل من العربية أربعة كتب لأبي معشر البلخي ١١٣٣م وقد كان ذلك بمعاونة إدلر أوف باث.

ـ روجر بيكون ١٢١٤ ـ ١٢٩٤م Roger Bacon إنجليزي، تلقى علومه في أكسفورد وباريس إذ نال الدكتوراه في اللاهوت(*)، ترجم عن العربية كتاب **مرآة الكيمياء** نورمبرج ١٢٥١م.

ـ رايموند لول ١٢٣٥ ـ ١٣١٤ م قضى تسع سنوات ١٢٦٦ ـ ١٢٧٥ م في تعلم العربية ودراسة القرآن، وقصد بابا روما وطالبه بإنشاء جامعات تدرّس العربية لتخريج مستشرقين قادرين على محاربة الإسلام. ووافقه البابا. وفي مؤتمر فيينا سنة ١٣١٢م تم إنشاء كراسٍ للغة العربية في خمس جامعات أوربية هي: باريسُ، اكسفورد، وبولونيا بإيطاليا، وسلمنكا بإسبانيا، بالإضافة إلى جامعة البابوية في روما.

ـ قام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة. ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية، والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية.

وقد اهتم عدد من المستشرقين اهتماماً حقيقيًا بالحضارة الإسلامية، وحاول أن يتعامل معها بموضوعية. وقد نجح عدد قليل منهم في هذا المجال. ولكن حتى هؤلاء الذين حاولوا أن ينصفوا الإسلام وكتابه ورسوله ﷺ لم يستطيعوا أن ينفكوا من تأثير ثقافاتهم وعقائدهم، فصدر منهم ما لا يقبله المسلم. وهذا يعني أن أي تصنيف

للمستشرقين إلى منصفين ومتعصبين هو أمر تختلف حوله الآراء. فقد يصدر ممن عرف عنه الاعتدال قول أو رأي مرفوض، وقد يحصل العكس فتكون بعض آراء المتعصبين إنصافاً جميلاً للإسلام. ولهذا نتوقع أن تكون بعض الأسماء التي شملها تصنيفنا الآتي محل نظر.

● **مستشرقون منصفون:**

ـ هادريان ريلاند ت ١٧١٨م Hardrian Roalnd أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوترشت بهولندا، له كتاب **الديانة المحمدية** في جزأين باللغة اللاتينية ١٧٠٥م، لكن الكنيسة(*) في أوربا وضعت كتابه في قائمة الكتب المحرم تداولها.

ـ يوهان ج. رايسكة ١٧١٦ ـ ١٧٧٤م J.J.Reiske وهو مستشرق ألماني جدير بالذكر، اتهم بالزندقة(*) لموقفه الإيجابي من الإسلام، عاش بائساً ومات مسلولاً، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا.

ـ سلفستر دي ساسي: ١٨٣٨م Silvestre de Sacy اهتم بالأدب والنحو مبتعداً عن الخوض في الدراسات الإسلامية، وإليه يرجع الفضل في جعل باريس مركزاً للدراسات العربية، وكان ممن اتصل به رفاعة الطهطاوي.

ـ توماس أرنولد ١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م إنجليزي، له **الدعوة إلى الإسلام** الذي نقل إلى التركية والأردية والعربية.

ـ غوستاف لوبون: مستشرق وفيلسوف مادي(*)، لا يؤمن بالأديان(*) مطلقاً، جاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية، مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره.

ـ زيجريد هونكه: اتسمت كتابتها بالإنصاف وذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب في مؤلفها الشهير **شمس العرب تسطع على الغرب**.

ـ ومن المعتدلين: جاك بيرك، أنا ماري شمل، وكارلايل، ورينيه جينو، والدكتور جرينيه، وجوته الألماني.

ـ أ. ج. أربري A.J. Arberry، من كتبه **الإسلام اليوم** صدر ١٩٤٣م، وله **التصوف** صدر ١٩٥٠م، وترجمة معاني القرآن الكريم.

● **مستشرقون متعصبون:**

ـ جولدزيهر Goldizher ١٨٥٠ ـ ١٩٢٠م مجري يهودي، من كتبه **تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي**. **والعقيدة والشريعة**. ولقد أصبح زعيم الإسلاميات في أوربا بلا منازع.

- جون ماينارد J. Maynard أمريكي، متعصب، من محرري مجلة **الدراسات الإسلامية**.

- ص م. زويمر S.M. Zweimer مستشرق مبشر، مؤسس مجلة **العالم الإسلامي** الأمريكية، له كتاب **الإسلام تحد لعقيدة** صدر ١٩٠٨م، وله كتاب **الإسلام** عبارة عن مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة ١٩١١م في لكهنئو بالهند.

- غ. فون. غرونباوم G. Von Grunbaum ألماني يهودي، درّس في جامعات أمريكا، له كتاب **الأعياد المحمدية** ١٩٥١م **ودراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية** ١٩٥٤م.

- أ. ج. فينسينك A.J. Wensink عدو للإسلام، له كتاب **عقيدة الإسلام** ١٩٣٢م. وهو ناشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في لغته الأولى.

- كينيث كراج K. Gragg أمريكي، متعصب، له كتاب **دعوة المئذنة** ١٩٥٦م.

- لوي ماسينيون L. Massignon فرنسي، مبشر، مستشار في وزارة المستعمرات الفرنسية لشؤون شمال أفريقيا، له كتاب **الحلاج الصوفي شهيد الإسلام** ١٩٢٢م.

- د.ب. ماكدونالد D.B.Macdonald أمريكي، متعصب، مبشر، له كتاب **تطور علم الكلام**(*) **والفقه والنظرية الدستورية** ١٩٣٠م. وله **الموقف الديني والحياة في الإسلام** ١٩٠٨م.

- مايلز جرين M. Green سكرتير تحرير مجلة الشرق الأوسط.

- د.س. مرجليوث D.S. Margoliouth ١٨٨٥ ـ ١٩٤٠م إنجليزي، متعصب، من مدرسته طه حسين وأحمد أمين، وله كتاب **التطورات المبكرة في الإسلام** صدر ١٩١٣م. وله **محمد ومطلع الإسلام** صدر ١٩٠٥م وله **الجامعة الإسلامية** صدر ١٩١٢م.

- بارون كارادي فو Baron Carra de Voux فرنسي، متعصب، من كبار محرري **دائرة المعارف الإسلامية**.

- هـ. أ. ر. جب H.A.R. Gibb ١٨٩٥ ـ ١٩٦٥ إنجليزي، من كتبه **المذهب**(*) **المحمدي** ١٩٤٧م **والاتجاهات الحديثة في الإسلام** ١٩٤٧م.

- ر. أ. نيكولسون R.A. Nickolson إنجليزي، ينكر أن يكون الإسلام ديناً روحيًّا وينعته بالمادية وعدم السمو الإنساني، وله كتاب **متصوفو الإسلام** ١٩١٠م وله **التاريخ الأدبي للعرب** ١٩٣٠م.

- هنري لامنس اليسوعي ١٨٧٢ - ١٩٣٧م H. Lammans فرنسي، متعصب، له كتاب **الإسلام** وله كتاب **الطائف**، من محرري دائرة المعارف الإسلامية.

- جوزيف شاخت J. Schacht ألماني، متعصب ضد الإسلام، له كتاب **أصول الفقه الإسلامي**.

- بلاشير: كان يعمل في وزارة الخارجية الفرنسية كخبير في شؤون العرب والمسلمين.

- ألفردجيوم A. Geom إنجليزي، متعصب ضد الإسلام من كتبه **الإسلام**.

الأفكار والمعتقدات:

● **أهداف الاستشراق.**

- **الهدف الديني:**

كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق، وقد صاحبه خلال مراحله الطويلة، وهو يتمثل في:

١ - التشكيك في صحة رسالة النبي(*) ﷺ، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى. والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السُّنة بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول، ﷺ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته.

٢ - التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوتهم، وتنأى بهم اللهجات القومية عن الوحي باعتباره المصدر الأساسي لهذا الدين (تنزيل من حكيم حميد).

٣ - التقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمداً من الفقه الروماني.

٤ - النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور، وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى.

٥ - إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية، بدلاً من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر.

٦ - العمل على تنصير المسلمين.

٧ - الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم.

٨ - لقد كان الهدف الإستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد الإسلام هو

حماية أوربا من قبول الإسلام، بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية.

ـ الهدف التجاري:

لقد كانت المؤسسات والشركات الكبرى، والملوك كذلك، يدفعون المال الوفير للباحثين، من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها، وقد كان ذلك جليًّا في عصر ما قبل الاستعمار(*) الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين.

ـ الهدف السياسي يهدف إلى:

١ ـ إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم.

٢ ـ العناية باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة؛ لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة.

٣ ـ كانوا يوجهون موظفيهم في هذه المستعمرات إلى تعلم لغات تلك البلاد ودراسة آدابها ودينها، ليعرفوا كيف يسوسونها ويحكمونها.

٤ ـ في كثير من الأحيان كان المستشرقون ملحقين بأجهزة الاستخبارات؛ لسبر غور حالة المسلمين وتقديم النصائح لما ينبغي أن يفعلوه لمقاومة حركات البعث الإسلامي.

ـ الهدف العلمي الخالص:

ـ بعضهم اتجه إلى البحث والتمحيص لمعرفة الحقيقة خالصة، وقد وصل بعض هؤلاء إلى الإسلام ودخل فيه، نذكر منهم:

١ ـ توماس أرنولد الذي أنصف المسلمين في كتابة **الدعوة إلى الإسلام**.

٢ ـ المستشرق الفرنسي رينيه فقد أسلم وعاش في الجزائر، وله كتاب **أشعة خاصة بنور الإسلام** مات في فرنسا لكنه دفن في الجزائر.

● أهم المؤلفات:

ـ **تاريخ الأدب العربي**: كارل بروكلمان ت ١٩٥٦م.

ـ **دائرة المعارف الإسلامية**: ظهرت الطبعة الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وقد صدرت في الفترة ١٩١٣ ـ ١٩٣٨م. غير أن الطبعة الجديدة قد ظهرت بالإنجليزية والفرنسية فقط من عام ١٩٤٥م وحتى عام ١٩٧٧م.

ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف**، والذي يشمل الكتب الستة المشهورة بالاضافة إلى **مسند الدارمي** و**موطأ مالك** و**مسند أحمد بن حنبل** وقد وضع في سبعة مجلدات نشرت ابتداءً من عام ١٩٣٦م.

ـ لقد بلغ ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف قرن (منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين) ستين **ألف كتاب**.

● **المؤتمرات والجمعيات**:

ـ عقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس سنة ١٨٧٣م.

ـ تتابعت المؤتمرات بعد ذلك حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمراً دوليًّا، فضلاً عن الندوات واللقاءات الإقليمية الكثيرة الخاصة بكل دولة من الدول، كمؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد في مدينة درسدن بألمانيا عام ١٨٤٩م، ولا تزال تنعقد مثل هذه المؤتمرات باستمرار حتى الآن.

ـ يحضر هذه المؤتمرات مئات من العلماء المستشرقين، إذ حضر مؤتمر أكسفورد تسعمائة ٩٠٠ عالم من خمس وعشرين دولة وثمانين جامعة وتسع وستين جمعية علمية.

ـ هناك العديد من الجمعيات الاستشراقية كالجمعية الآسيوية في باريس تأسست عام ١٨٢٢م، والجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا عام ١٨٢٣م، والجمعية الشرقية الأمريكية عام ١٨٤٢م والجمعية الشرقية الألمانية عام ١٨٤٥م.

● **المجلات الاستشراقية**:

للمستشرقين اليوم من المجلات والدوريات عدد هائل يزيد على ثلاثمائة مجلة متنوعة، وبمختلف اللغات نذكر منها على سبيل المثال:

١ ـ مجلة **العالم الإسلامي** The Muslim World أنشأها صمويل زويمر ت ١٩٥٢م في بريطانيا سنة ١٩١١م وقد كان زويمر هذا رئيس المبشرين في الشرق الأوسط.

٢ ـ مجلة **عالم الإسلام** Mir Islama ظهرت في بطرسبرج عام ١٩١٢م لكنها لم تعمر طويلاً.

٣ ـ مجلة **ينابيع الشرق** أصدرها هامر برجشتال في فيينا من ١٨٠٩ إلى ١٨١٨م.

٤ ـ مجلة: **الإسلام** ظهرت في باريس عام ١٨٩٥م ثم خلفتها عام ١٩٠٦م **مجلة العالم الإسلامي** التي صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، وقد تحولت بعد ذلك إلى مجلة **الدراسات الإسلامية**.

٥ ـ في عام ١٩١٠م ظهرت مجلة **الإسلام** Der Islam.

● **الاستشراق في خدمة الاستعمار**(*):

ـ كارل هنيريش بيكر Kar Heinrich Beeker ت ١٩٣٣م مؤسس **مجلة الإسلام الألمانية**، قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية في أفريقيا.

ـ بارتولد Barthold ت ١٩٣٠م مؤسس **مجلة عالم الإسلام** الروسية، قام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الوسطى.

ـ الهولندي سنوك هرجرونجه Snouck Hurgonje, G. ١٨٥٧ ـ ١٩٣٦م قدم إلى مكة عام ١٨٨٤م تحت اسم عبد الغفار، ومكث مدة نصف عام، وعاد ليكتب تقارير تخدم الاستعمار في المشرق الإسلامي. وقد سبق له أن أقام في جاوه مدة ١٧ سنة. وقد صدرت الصور التي أخذها لمكة والأماكن المقدسة في كتاب بمناسبة مرور مائة سنة على تصويرها.

ـ معهد اللغات الشرقية بباريس المؤسس عام ١٨٨٥م كانت مهمته الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية وبلدان الشرق الأقصى، مما يشكل أرضية تسهل عملية الاستعمار في تلك المناطق.

ـ وهكذا نرى أن مثل هؤلاء المستشرقين جزء من مخطط كبير، هو المخطط الصهيوني الصليبي لمحاربة الإسلام، ولا نستطيع أن نفهمهم على حقيقتهم إلا عندما نراهم في إطار ذلك المخطط الذي يهدف إلى تخريج أجيال لا تعرف الإسلام أو لا تعرف من الإسلام إلا الشبهات، وقد تم انتقاء أفراد من هذه الأجيال لتتبوأ أعلى المناصب ومراكز القيادة والتوجيه لتستمر في خدمة الاستعمار(*).

● **آراء استشراقية خطرة:**

ـ جورج سيل G. Sale زعم في مقدمة ترجمته **لمعاني القرآن** ١٧٣٦م، أن القرآن إنما هو من اختراع محمد ومن تأليفه وأن ذلك أمر لا يقبل الجدل(*).

ـ ريتشارد بل Richard Bell يزعم بأن النبي(*) محمداً، ﷺ، قد استمد **القرآن** من مصادر يهودية ومن العهد القديم(*) بشكل خاص، وكذلك من مصادر نصرانية.

ـ دوزي ت ١٨٨٣م: يزعم أن **القرآن الكريم** ذو ذوق رديء للغاية ولا جديد فيه إلا القليل، كما يزعم أن فيه إطناباً بالغاً ومملاً إلى حد بعيد.

ـ جاء في تقرير وزير المستعمرات البريطاني أومسبي غو لرئيس حكومته بتاريخ ٩ يناير ١٩٣٨م: «إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليس الإمبراطورية وحدها بل فرنسا أيضاً، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة(*) وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة».

ـ يقول شيلدون آموس: «إن الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلاً وفق الأحوال السياسية في الممتلكات العربية، ويقول

كذلك: «إن القانون المحمدي ليس سوى قانون جستنيان في لباس عربي».

ـ قال رينان الفرنسي: «إن الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية».

ـ أما لويس ماسينيون فقد كان زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة في العامية وبالحرف اللاتيني.

ولكن:

ـ مما لا شك فيه أن للمستشرقين فضلاً كبيراً في إخراج الكثير من كتب التراث ونشرها محققة مفهرسة مبوبة.

ـ ولا شك أن الكثير منهم يملكون منهجية علمية تعينهم على البحث.

ـ ولا ريب في أن لدى بعضهم صبراً ودأباً وجلداً في التحقيق والتمحيص وتتبع المسائل.

ـ وما على طالب العلم إلا أن يلتقط الخير من مؤلفاتهم متنبهاً إلى مواطن الدس والتحريف؛ ليتجنبها أو ليكشفها أو ليرد عليها؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، خاصة أن الفكر الاستشراقي المعاصر قد بدأ يغير من أساليبه وقسماته من أجل المحافظة على الصداقة والتعاون بين العالم الغربي والعالم الإسلامي، وإقامة حوار بين المسيحية(*) والإسلام، ومحاولة تغيير النظرة السطحية الغربية إلى المسلمين، وربما كمحاولة لاستقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم فلنكن حذرين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد كان الاستشراق وليد الاحتكاك بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني أيام الصليبيين، وعن طريق السفارات والرحلات. ويلاحظ دائماً أن هناك تقارباً وتعاوناً بين الثالوث المدمر: التنصير والاستشراق والاستعمار(*)، والمستعمرون يساندون المستشرقين والمنصرين؛ لأنهم يستفيدون منهم كثيراً في خططهم الاستعمارية.

● كان الدافع الأساسي هو الجانب اللاهوتي(*) النصراني بغية تحطيم الإسلام من داخله بالدس والكيد والتشويه، ولكن الاستشراق بعد ذلك وفي الآونة الأخيرة بدأ يتحلل من هذا القيد نوعاً ما ليتوجه توجهاً أقرب إلى الروح العلمية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● الغرب هو المسرح الذي يتحرك فوق أرضه المستشرقون، فمنهم الألمان

ومنهم البريطانيون والفرنسيون والهولنديون والمجريون، وظهر بعضهم في إيطاليا وفي إسبانيا، وقد علا نجم الاستشراق في أمريكا وصارت له فيها مراكز كثيرة.

● لم تبخل الحكومات، ولا الهيئات ولا الشركات ولا المؤسسات ولا الكنائس في يوم من الأيام في دعم حركة الاستشراق ومدها بما تحتاجه من مال، وتأييد وإفساح الطريق أمامها في الجامعات، حتى بلغ عدد هؤلاء المستشرقين آلافاً كثيرة.

● لقد كانت حركة الاستشراق مُسخَّرة في خدمة الاستعمار، وفي التنصير، وأخيراً في خدمة اليهودية والصهيونية، التي يهمها إضعاف الشرق الإسلامي وإحكام السيطرة عليه بشكل مباشر أو غير مباشر.

● استطاع المستشرقون أن يتسللوا إلى المجامع العلمية، وقد عُيِّن عدد كبير منهم أعضاء في هذه المجامع في سوريا ومصر، كما استطاعوا أن يؤثروا على الدراسات العربية والإسلامية في العالم الإسلامي، من خلال تلاميذهم ومؤلفاتهم.

ويتضح مما سبق:

● .أن الاستشراق تيار فكري، يتجه صوب الشرق، لدراسة حضارته وأديانه وثقافته ولغته وآدابه، من خلال أفكار اتسم معظمها بالتعصب، والرغبة في خدمة الاستعمار، وتنصير المسلمين، وجعلهم مسخاً مشوهاً للثقافة الغربية، وذلك ببث الدونية فيهم، وبيان أن دينهم مزيج من اليهودية والنصرانية، وشريعتهم هي القوانين الرومانية مكتوبة بأحرف عربية، والنيل من لغتهم، وتشويه عقيدتهم وقيمهم، ولكن بعضهم رأى نور الحقيقة فأسلم وخدم العقيدة الإسلامية، وأثَّرَ في مُحْدثيهم، فبدأت كتاباتهم تجنح نحو العلمية، وتنحو نحو العمق بدلاً من السطحية، وربما صدر ذلك عن رغبة من بعضهم في استقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم الاستشراقية، وهذا يقتضي الحذر عند التعامل مع الفكر الاستشراقي الذي يتدثر الآن بدثار الموضوعية.

مراجع للتوسع:

- **الاستشراق**، إدوارد سعيد ـ ترجمة كمال أبو ديب ـ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت ١٩٨١م.
- **المستشرقون**، نجيب العقيقي ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨١م.
- **الاستشراق والمستشرقون**، د. مصطفى السباعي ـ ط٢ ـ المكتب الإسلامي ـ ١٩٧٩م.

- **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، د. مصطفى السباعي - بيروت ١٩٧٨م.
- **إنتاج المستشرقين**، مالك بن نبي.
- **أوربا والإسلام**، هشام جعيط - ترجمة طلال عتريسي - دار الحقيقة - بيروت - ١٩٨٠م.
- **الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط**، د. جورج سارطون - ترجمة د. عمر فروخ - ط١ - مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٥٢م.
- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، د. محمود حمدي زقزوق - ط١ - كتاب الأمة ١٤٠٤ هـ.
- **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، محمد البهي - دار الفكر - بيروت ١٩٧٣م.
- **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، د. عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨١م.
- **الإسلام في الفكر الغربي**، محمود حمدي زقزوق - دار القلم - الكويت ١٩٨١م.
- **الدراسات الإسلامية بالعربية في الجامعات الألمانية**، رودي بارت - ترجمة د. مصطفى ماهر - القاهرة ١٩٦٧م.
- **أضواء على الاستشراق**، د. محمد عبد الفتاح عليان - ط١ - دار البحوث العلمية - الكويت ١٩٨٠م.
- **المستشرقون والإسلام**، محاضرة للأستاذ محمد قطب.
- **المستشرقون والموضوعية**، د. أحمد غراب.

المراجع الأجنبية:

- Rudi Parel: Der Koran Uebersetzung Stuttgart 1980.
- C.E. Bosworth: Orientalism and Orientalists (in Arab Islamic Biblography) 1977 Great Britain.
- H.A. Flacher-Bernicol: Die Islamische Revolution Stuttgart 1981.
- Johann Fueck: Die Arabischon Studien in Europa Leipzig 1955.
- Custar Pfonn Mueller: Handbuch der Islami Leteratur Berlin 1933.
- M. Rodinson; Mohammde: Frank Furt 1975.

٨٦ـ التغريب

التعريف:

التغريب هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بدأ الحكام المستغربون في العالم الإسلامي مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر بتحديث جيوشهم وتعزيزها، عن طريق إرسال بعثات إلى البلاد الأوروبية أو باستقدام الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة، وذلك لمواجهة تطلع الغربيين إلى بسط نفوذهم الاستعماري إثر بدء عهد النهضة الأوربية.

● لما قضى السلطان محمود الثاني على الإنكشارية العثمانية سنة ١٨٢٦م أمر باتخاذ الزيِّ الأوروبي الذي فرضه على العسكريين والمدنيين على حد سواء.

● أصدر السلطان العثماني عبد المجيد منشوراً ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م يسمح فيه لغير المسلمين بأن يلتحقوا بالخدمة العسكرية.

● استقدم السلطان سليم الثالث المهندسين من السويد وفرنسا والمجر وإنجلترا وذلك لإنشاء المدارس الحربية والبحرية.

● قام محمد علي والي مصر، والذي تولى سنة ١٨٠٥م، ببناء جيش على النظام الأوروبي، كما عمد إلى ابتعاث خريجي الأزهر من أجل التخصص في أوروبا.

● أنشأ أحمد باشا باي الأول في تونس جيشاً نظامياً، وافتتح مدرسة للعلوم الحربية فيها ضباط وأساتذة فرنسيون وإيطاليون وإنجليز.

● افتتحت أسرة القاجار التي حكمت إيران كلية للعلوم والفنون على أساس غربي سنة ١٨٥٢م.

● منذ عام ١٨٦٠م بدأت حركة التغريب عملها في لبنان عن طريق الإرساليات، ومنها امتدت إلى مصر في ظل الخديوي إسماعيل الذي كان هدفه أن يجعل مصر قطعة من أوروبا.

● التقى الخديوي إسماعيل في باريس مع السلطان العثماني عبد العزيز ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م حينما لبَّيا دعوة الإمبراطور نابليون الثالث لحضور المعرض الفرنسي العام، وقد كانا يسيران في تيار الحضارة الغربية.

● ابتعث رفاعة الطهطاوي إلى باريس وأقام فيها خمس سنوات ١٨٢٦ ـ ١٨٣١م وكذلك ابتعث خير الدين التونسي إليها، وأقام فيها أربع سنوات ١٨٥٢ ـ ١٨٥٦م، وقد عاد كل منهما محملاً بأفكار تدعو إلى تنظيم المجتمع على أساس علماني عقلاني.

● منذ ١٨٣٠م بدأ المبتعثون العائدون من أوربا في ترجمة كتب فولتير وروسو ومونتسكيو، في محاولة منهم لنشر الفكر الأوربي الذي ثار ضد الدين(*) والذي ظهر في القرن الثامن عشر (على النحو الذي فصلنا، في مادة العلمانية).

● أنشأ كرومر كلية فيكتوريا بالإسكندرية لتربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي؛ ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربية.

ـ قال اللورد لويد (المندوب السامي البريطاني في مصر) حينما افتتح هذه الكلية سنة ١٩٣٦م: «كل هؤلاء لن يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ».

● كان نصارى الشام من أول من اتصل بالبعثات التبشيرية وبالإرساليات، ومن المسارعين في تلقي الثقافة الفرنسية والإنجليزية، كما كانوا يشجعون العلمانية التحررية وذلك لعدم إحساسهم بالولاء تجاه الدولة العثمانية، فبالغوا في إظهار إعجابهم بالغرب ودعوا إلى الاقتداء به وتتبع طريقه، وقد ظهر ذلك جلياً في الصحف التي أسسوها وعملوا فيها.

● كان ناصيف اليازجي ١٨٠٠ ـ ١٨٧١م وابنه إبراهيم اليازجي ١٨٤٧ ـ ١٩٠٦م على صلة وثيقة بالإرساليات الأمريكية الإنجيلية.

● أسس بطرس البستاني ١٨١٩ ـ ١٨٨٣م في عام ١٨٦٣م مدرسة لتدريس اللغة العربية والعلوم الحديثة، فكان بذلك أول نصراني يدعو إلى العروبة والوطنية إذ كان شعاره «حب الوطن من الإيمان»، كما أصدر صحيفة **الجنان** سنة ١٨٧٠م التي استمرت ست عشرة سنة. وقد تولى منصب الترجمة في قنصلية أمريكا ببيروت مشاركا في الترجمة البروتستانتية للتوراة(*) مع الأمريكيين سميث وفانديك.

● أنشأ جورجي زيدان ١٨٦١ ـ ١٩١٤م مجلة **الهلال** في مصر وذلك في سنة ١٨٩٢م، وقد كان على صلة بالمبعوثين الأمريكان، كما كانت له سلسلة من القصص التاريخية التي حشاها بالافتراءات على الإسلام والمسلمين.

● أسس سليم تقلا صحيفة **الأهرام** في مصر، وقد سبق له أن تلقى علومه في مدرسة عبية بلبنان، والتي أنشأها المبشر الأمريكي فانديك.

● أصدر سليم النقاش صحيفة **المقتطف** التي عاشت ثمانية أعوام في لبنان، انتقلت بعدها إلى مصر في سنة ١٨٨٤م.

● تجوَّل جمال الدين الأفغاني ١٨٣٨_١٨٩٧م كثيراً في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، وقد أدخل نظام الجمعيات السرية في العصر الحديث إلى مصر، كما يقال بأنه انضم إلى المحافل الماسونية، وكان على صلة بالمستر بلنت البريطاني.

● كان الشيخ محمد عبده ١٨٤٩_١٩٠٥م من أبرز تلاميذ الأفغاني، وشريكه في إنشاء مجلة **العروة الوثقى**، وكانت له صداقة مع اللورد كرومر والمستر بلنت، ولقد كانت مدرسته ـ ومنها رشيد رضا ـ تدعو إلى مهاجمة التقاليد، كما ظهرت لهم فتاوى تعتمد على أقصى ما تسمح به النصوص من تأويل(*)؛ بغية إظهار الإسلام بمظهر المتقبل لحضارة الغرب، كما دعا الشيخ محمد عبده إلى إدخال العلوم العصرية إلى الأزهر لتطويره وتحديثه.

● كان المستشرق مستربلنت: يطوف هو وزوجته مرتدياً الزي العربي، داعياً إلى القومية العربية، وإلى إنشاء خلافة عربية بغية تحطيم الرابطة الإسلامية.

● قاد قاسم أمين ١٨٦٥ ـ ١٩٠٨م، وهو تلميذ محمد عبده، الدعوة إلى تحرير المرأة وتمكينها من العمل في الوظائف والأعمال العامة. وقد كتب **تحرير المرأة** ـ ١٨٩٩م و**المرأة الجديدة** ١٩٠٠م.

● كان سعد زغلول: الذي صار وزيراً للمعارف سنة ١٩٠٦م شديد التأثر بآراء محمد عبده، وقد نفذ فكرة كرومر القديمة والداعية إلى إنشاء مدرسة للقضاء الشرعي، بقصد تطوير الفكر الإسلامي من خلال مؤسسة غير أزهرية منافسة له.

● كان أحمد لطفي السيد ١٨٧٢ ـ ١٩٦٣م: من أكبر مؤسسي حزب(*) الأحرار الدستوريين الذين انشقوا عن سعد زغلول سياسياً، وكان يدعو إلى الإقليمية الضيقة، وهو صاحب العبارة المشهورة التي أطلقها عام ١٩٠٧م وهي «مصر للمصريين». وقد تولى شؤون الجامعة المصرية منذ تسلمتها الحكومة المصرية عام ١٩١٦م وحتى ١٩٤١م تقريباً.

● وكان طه حسين ١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م من أبرز دعاة التغريب في العالم الإسلامي، إذ تلقى علومه على يد المستشرق دوركايم، وقد نشر أخطر آرائه في كتابيه **الشعر الجاهلي** و**مستقبل الثقافة في مصر**.

ـ يقول في كتابه **الشعر الجاهلي** ص ٢٦: «للتوراة(*) أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل

وللقرآن أن يحدثنا، أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي».

- ويقول بعد ذلك: «وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول هذه الأسطورة في القرن السابع للمسيح(*)». كما أنه ينفي فيه نسب النبي(*) ﷺ إلى أشراف قريش.

- لقد بدأ طه حسين محاضرة له في اللغة والأدب بحمد الله والصلاة على نبيه ثم قال: «سيضحك مني بعض الحاضرين إذا سمعني أبدأ هذه المحاضرة بحمد الله والصلاة على نبيه لأن ذلك يخالف عادة العصر». (مجلة **الهلال**، عدد أكتوبر ونوفمبر ١٩١١م).

● ازدهرت حركة التغريب بعد سيطرة الاتحاديين عام ١٩٠٨م على الحكم في الدولة العثمانية وسقوط السلطان عبد الحميد.

● وفي سنة ١٩٢٤م ألغت حكومة مصطفى كمال أتاتورك الخلافة(*) العثمانية مما مهد لانضمام تركيا إلى الركب العلماني الحديث، وفرض عليها التغريب بأقصى صوره وأعنفها.

● علي عبد الرزاق: نشر سنة ١٩٢٥م كتابه **الإسلام وأصول الحكم** الذي ترجم إلى الإنجليزية والأردية. يحاول فيه المؤلف أن يقنع القارىء بأن الاسلام دين(*) فقط، وليس ديناً ودولة. وقد ضرب سميث مثلاً به عندما أشار إلى أن التحررية العلمانية والعالمية لا تروج في العالم الاسلامي إلا إذا فسرت تفسيراً إسلامياً مقبولاً، وقد حوكم الكتاب والمؤلف من قبل هيئة كبار العلماء بالأزهر في ١٢/٨/ ١٩٢٥م وصدرت ضده إدانة أخرجته من زمرة العلماء. وكان يشرف على مجلة **الرابطة الشرقية**، كما أقام حفل تكريم لأرنست ١٨٢٣-١٨٩٢م في الجامعة المصرية بمناسبة مرور مائة سنة على ولادة هذا المستشرق الذي لم يدخر وسعاً في مهاجمة العرب والمسلمين.

● وكان محمود عزمي من أكبر دعاة الفرعونية في مصر، درس على أستاذه دور كايم الذي كان يقول له: «إذا ذكرت الاقتصاد فلا تذكر الشريعة(*)، وإذا ذكرت الشريعة فلا تذكر الاقتصاد».

● وسبق أن قدم منصور فهمي ١٨٨٦ - ١٩٥٩م: أول أطروحة للدكتوراه على أستاذه ليفي بريل مهاجماً نظام الزواج في الإسلام، والتي موضوعها **حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها**. وفي هذه الرسالة يقول: «محمد يشرع لجميع الناس ويستثني نفسه» ويقول: «إلا أنه أعفى نفسه من المهر والشهود»، لكنه انتقد بعد ذلك حركة(*) التغريب في سنة ١٩١٥م وجاهر بآرائه في الأخطاء التي حملها طه حسين ومدرسته.

● ويُعد إسماعيل مظهر من أئمة مدرسة التغريب لكنه لم يلبث أن تحول عنها إبان عصر النهضة الحديثة.

● وكان زكي مبارك في مقدمة تلاميذ طه حسين. درس على أيدي المستشرقين، وسبق له أن قدم أطروحة للدكتوراه في **الغزالي والمأمون** مهاجماً الغزالي هجوماً عنيفاً، لكنه رجع عن ذلك فيما بعد وكتب مقاله المعروف **إليك أعتذر أيها الغزالي**.

● ويعد محمد حسين هيكل ١٨٨٨ ـ ١٩٥٦م رئيس تحرير جريدة **السياسة** في الفترة الأولى من حياته من أبرز المستغربين، وقد أنكر الإسراء بالروح والجسد معاً انطلاقاً من نظرة عقلانية (**حياة محمد**). لكنه عدل عن ذلك وكتب معبراً عن توجهه الجديد في مقدمة كتابه **في منزل الوحي**.

● وكان الشيخ أمين الخولي وهو من مدرسي مادتي التفسير والبلاغة بالجامعة المصرية، يروج لأفكار طه حسين في الدعوة إلى دراسة القرآن دراسة فنية بغض النظر عن مكانته الدينية، وقد استمر في ذلك حتى كشفه الشيخ محمود شلتوت سنة ١٩٤٧م.

● وقاد شبلي شميل ١٨٦٠ ـ ١٩١٧م الدعوة إلى العلمانية ومهاجمة قيم الأديان(*) والأخلاق(*).

الأفكار والمعتقدات:

● **أفكار تغريبية:**

ـ المستشرق الإنجليزي جب ألف كتابا أسماه **إلى أين يتجه الإسلام** الذي يقول فيه: «من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة». وقد أعلن في بحثه هذا صراحة أنه هدف إلى معرفة «إلى أي مدى وصلت حركة تغريب الشرق وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب».

ـ عندما دخل اللورد أللنبي القدس عام ١٩١٨م أعلن قائلاً: «الآن انتهت الحروب الصليبية».

ـ يقول لورنس براون: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار(*) الغربي». ولهذا فلابد من الدعوة إلى أن يطبع العالم الإسلامي بطابع الغرب الحضاري.

ـ تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربية، ومحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية بغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب وبين العالم الإسلامي خدمة لمصالحه.

ـ الدعوة إلى الوطنية ودراسة التاريخ القديم والدعوة إلى الحرية(*)، باعتبارها أساس نهضة الأمة مع عرض النظم الاقتصادية الغربية عرضاً مصحوباً بالإعجاب، وتكرار الكلام

حول تعدد الزوجات في الإسلام وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين.

- نشر فكرة العالمية والإنسانية التي يزعم أصحابها بأن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب(*) واحد، تزول معه الخلافات الدينية والعنصرية؛ لإحلال السلام في العالم، ولتصبح الأرض وطناً واحداً يدين بدين(*) واحد ويتكلم بلغة واحدة وثقافة مشتركة؛ بغية تذويب الفكر الإسلامي واحتوائه في بوتقة الأقوياء المسيطرين أصحاب النفوذ العالمي.

- إن نشر الفكر القومي كان خطوة على طريق التغريب في القرن التاسع عشر، وقد انتقل من أوروبا إلى العرب والإيرانيين والترك والأندونيسيين والهنود، بغية تمزيق الكتل الكبيرة إلى كيانات جزئية تقوم على رابط جغرافي يجمع أناساً ينتمون إلى أصول عرقية مشتركة.

- تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة، يقول المستشرق جب: «وقد كان من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن... وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دوراً مهماً في تقوية القوميات المحلية وتدعيم مقوماتها».

- عرض روكفلر الصهيوني المتعصب تبرعه بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية في مصر وملحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن.

- إن كلاً من الاستعمار،(*) والاستشراق، والشيوعية، والماسونية وفروعها، والصهيونية، ودعاة التوفيق بين الأديان «وحدة الأديان(*)»، قد تآزروا جميعاً في دعم حركة(*) التغريب وتأييدها؛ بهدف تطويق العالم الإسلامي وتطويعه ليكون أداة لينة بأيديهم.

- نشر المذاهب الهدامة كالفرويدية، والداروينية، والماركسية، والقول بتطور الأخلاق(*) (ليفي بريل) وبتطور المجتمع (دوركايم)، والتركيز على الفكر الوجودي والعلماني، والتحرري، والدراسات عن التصوف الإسلامي، والدعوة إلى القومية والإقليمية والوطنية، والفصل بين الدين والمجتمع، وحملة الانتقاص من الدين، ومهاجمة القرآن والنبوة(*) والوحي(*) والتاريخ الإسلامي، والتشكيك في القيم الإسلامية، والدعوة إلى التخلي عن الأصالة والتميز، والتخويف من الموت أو الفقر؛ وذلك لإقعاد المسلمين عن فكرة الجهاد،(*) وإشاعة فكرة أن سبب تأخر العرب والمسلمين إنما هو الإسلام.

- اعتبار القرآن فيضاً من العقل الباطن مع الإشادة بعبقرية النبي(*) محمد ﷺ وألمعيته وصفاء ذهنه، ووصف ذلك بالإشراق(*) الروحي تمهيداً لإزالة صفة النبوة عنه.

● **مؤتمرات تغريبية :**

- عقد مؤتمرٌ في بلتيمور عام ١٩٤٢م وهو يدعو إلى دراسة وابتعاث الحركات السرية في الإسلام.

- في عام ١٩٤٧م عقد في جامعة برنستون بأمريكا مؤتمر لدراسة (الشؤون الثقافية والاجتماعية في الشرق الأدنى)، وقد ترجمت بحوث هذا المؤتمر إلى العربية تحت رقم ١١٦ من مشروع الألف كتاب في مصر. شارك فيه كويلر يونغ وحبيب كوراني وعبد الحق إديوار ولويس توماس.

- عقد مؤتمر (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) في صيف عام ١٩٥٣م في جامعة برنستون، وشارك فيه كبار المفكرين من مثل ميل بروز، وهارولد سميث، وروفائيل باتاي، وهارولد ألن، وجون كرسويل، والشيخ مصطفى الزرقا، وكنت كراج، واشتياق حسين، وفضل الرحمن الهندي.

- وفي عام ١٩٥٥م عقد في لاهور بالباكستان مؤتمر ثالث، لكنه فشل وظهرت خطتهم بمحاولتهم إشراك باحثين من المسلمين والمستشرقين في توجيه الدراسات الإسلامية.

- انعقد مؤتمر للتأليف بين الإسلام والمسيحية(*) في بيروت ١٩٥٣م، ثم في الإسكندرية ١٩٥٤م، وتتالت بعد ذلك اللقاءات والمؤتمرات في روما وغيرها من البلدان للغرض نفسه.

- في سبتمبر ١٩٩٤ عقد بالقاهرة مؤتمر السكان والتنمية بهدف نشر أفكار التحلل الجنسي «الغربية» بين المسلمين - من إتاحة للاتصالات غير المشروعة بين المراهقين والإجهاض والزواج الحر والسفاح والتدريب على موانع الحمل، وقد أصدرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية فتوى بضرورة مقاطعته والحذر من توصياته وأهدافه.

● **كتب تغريبية خطرة:**

- **الإسلام في العصر الحديث** لمؤلفه ولفرد كانتول سميث مدير معهد الدراسات الإسلامية، وأستاذ الدين المقارن في جامعة ماكجيل بكندا، حصل على الدكتوراه من جامعة برنستون سنة ١٩٤٨م تحت إشراف المستشرق هـ. أ. ر. جب الذي تتلمذ عليه في جامعة كمبريدج، وهذا الكتاب يدعو إلى التحررية Liberalism والعلمانية Secularism وإلى فصل الدين(*) عن الدولة.

- نشر هـ. أ. ر. جب كتابه **إلى أين يتجه الإسلام؟** Whither Islam الذي نشر بلبنان سنة ١٩٣٢م كان قد ألفه مع جماعة من المستشرقين، وهو يبحث في أسباب

تعثر عملية التغريب في العالم الإسلامي ووسائل تقدمها وتطورها.

ـ إن **بروتوكولات حكماء صهيون**(*) التي ظهرت في العالم كله عام ١٩٠٢م ظلت ممنوعة من الدخول إلى الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، حتى عام ١٩٥٢م تقريباً أي إلى ما بعد قيام إسرائيل في قلب الأمة العربية والإسلامية. ولا شك بأن منعها كان خدمة لحركة التغريب عموماً.

ـ تصوير بعض الشخصيات الإسلامية في صور من الابتذال والعهر والمزاجية، كما في كتب جورجي زيدان، وكذلك تلك الكتب التي تضيف الأساطير القديمة إلى التاريخ الإسلامي **على هامش السيرة** لطه حسين، والكتب التي تعتمد على المصادر غير الموثوقة مثل **محمد رسول الحرية** للشرقاوي وكتبه عن الخلفاء الراشدين والأئمة التسعة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد ارتدت الحملة الصليبية مهزومة بعد حطين، وفتَح العثمانيون عاصمة الدولة البيزنطية ومقر كنيستهم(*) عام ١٤٥٣م واتخذوها عاصمة لهم، وغيروا اسمها إلى إسلامبول أي دار الإسلام، كما أن جيوش العثمانيين قد وصلت إلى أوربا وهددت فيينا سنة ١٥٢٩م وقد ظل هذا التهديد قائماً حتى سنة ١٦٨٣م. وسبق ذلك كله سقوط الأندلس التي كانت مقراً للخلافة(*) الأموية، كل ذلك كان مدعاة للتفكير بالتغريب، والتبشير فرع منه، ليكون السلاح الذي يحطم العالم الإسلامي من داخله.

● إن التغريب هجمة نصرانية، صهيونية، استعمارية،(*) في آن واحد، التقت على هدف مشترك بينها، وهو طبع العالم الإسلامي بالطابع الغربي تمهيداً لمحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لقد استطاعت حركة(*) التغريب أن تتغلغل في كل بلاد العالم الإسلامي، وإلى كل البلاد المشرقية، على أمل بسط بصمات الحضارة الغربية المادية(*) الحديثة على هذه البلاد وربطها بالغرب فكراً وسلوكاً.

● لقد تفاوت تأثير حركة التغريب، إذ إنه قد ظهر بوضوح في مصر، وبلاد الشام، وتركيا، وإندونيسيا والمغرب العربي، وتدرج بعد ذلك في البلاد الإسلامية الأقل فالأقل، ولم يخل بلد إسلامي أو مشرقي من آثار وبصمات هذه الحركة.

ويتضح مما سبق:

أن التغريب تيار مشبوه يهدف إلى نقض عرى الإسلام والتحلل من التزاماته وقيمه واستقلاليته، والدعوة إلى التبعية للغرب في كل توجهاته وممارساته. ومن واجب قادة الفكر الإسلامي كشف مخططاته والوقوف بصلابة أمام سمومه ومفترياته، التي تبثها الآن، شخصيات مسلمة، وصحافة ذات باع طويل في محاولات التغريب، وأجهزة وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية والماسونية الدولية. وقد استطاع هذا التيار استقطاب كثير من المفكرين العرب، فمسخوا هويتهم، وحاولوا قطع صلتهم بدينهم، والذهاب بولائهم وانتمائهم لأمتهم الإسلامية، من خلال موالاة الغرب والزهو بكل ما هو غربي، وهي أمور ذات خطر عظيم على الشباب المسلم.

مراجع للتوسع:

- **حصوننا مهددة من داخلها**، د. محمد محمد حسين ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٧ ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- **العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري**، فتحي يكن ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، د. محمد محمد حسين ـ دار الإرشاد ـ بيروت ـ طبعة عام ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م.
- **الإسلام والحضارة الغربية**، د. محمد محمد حسين ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ٥٤ ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي**، أنور الجندي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ طبعة عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- **يقظة الفكر العربي**، أنور الجندي ـ مطبعة زهران ـ القاهرة ـ ١٩٧٢م.
- **تحرير المرأة**، قاسم أمين ـ ط ٢ ـ مطبعة روزاليوسف ـ ١٩٤١م.
- **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، أحمد أمين ـ ط ١ ـ نشر مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٤٨م.
- **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**، الدكتورة نفوسة زكريا ـ دار الثقافة بالإسكندرية ـ ١٣٩٣هـ / ١٩٦٤م.
- **حاضر العالم الإسلامي**، لوثروب ستودارد ـ ترجمة عجاج نويهض وتعليق شكيب

أرسلان ـ مصر ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م.
- الغارة على العالم الإسلامي، أ. ل. شاتليه ـ ترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب ـ مصر ١٣٥٠هـ .
- مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين ـ مصر ـ ١٩٤٤م.
- اليوم والغد، سلامة موسى ـ مصر ـ ١٩٢٧م.
- إلى أين يتجه الإسلام، هـ. أ. ر. جب ـ ط لبنان ـ ١٩٣٢م.

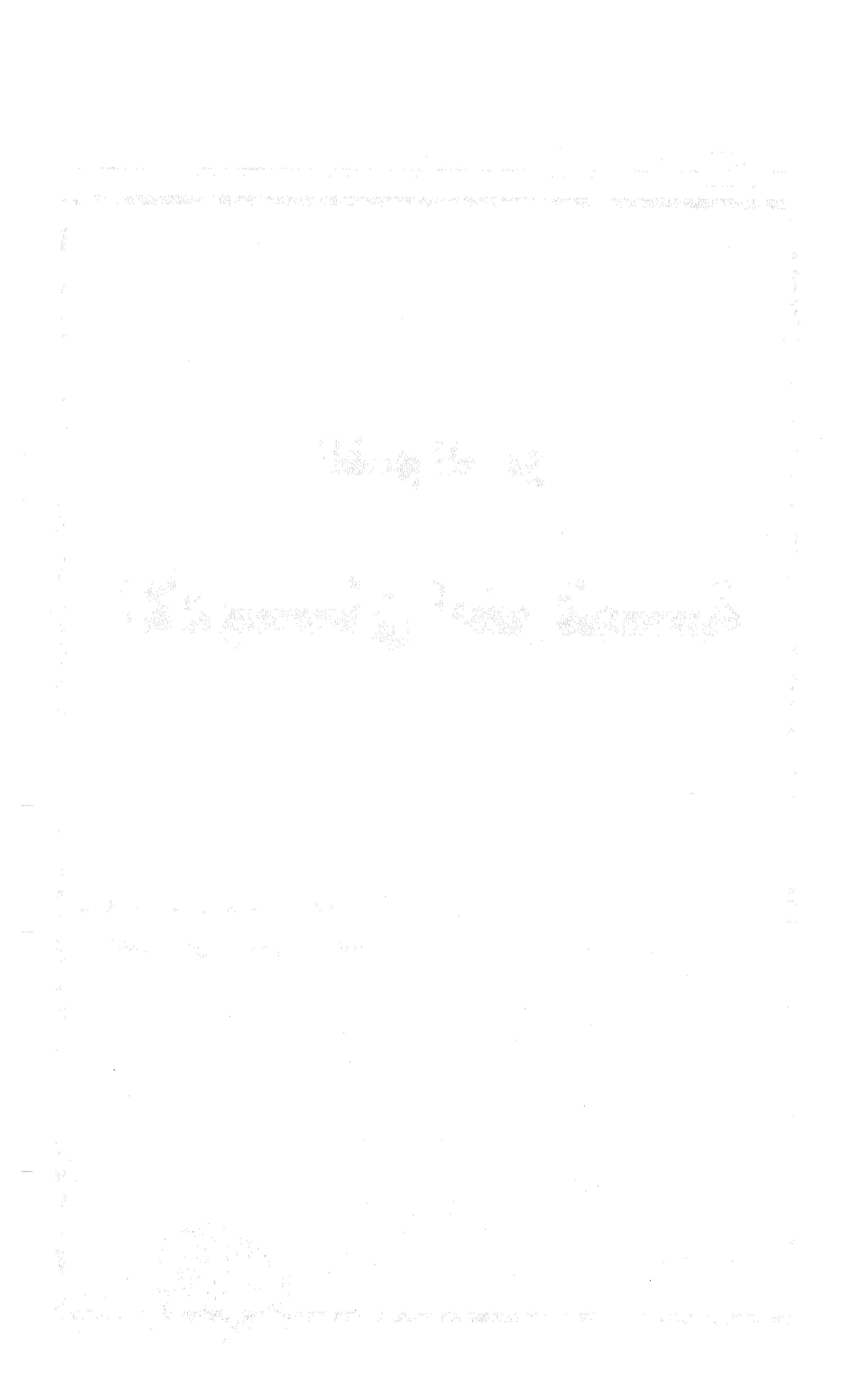
المراجع الأجنبية:

- Islam in Modern History W.c.Smith, Princeron University Press New Jersy 1957
- Whither Islam?: H.A.R. Gibb. London 1932.
- Arabic Thought in the Liberal Age: A. Hourani, Oxford 1962.
- Egypt Since Cromer: Lord loyd, London 1933.
-.Modern Egypt The Earl of Cromer: London 1911.
- Great Britain Egypt (F.W. Polson Newmen 1928)
- Reports by His Majesty's Agent and Consul General on the Finances.
- Adminsistration and Condition of Egypt and the Sudan.

القسم الرابع

الأديــــان الشرقيــــة

- الفصل الأول: مقدمة عامة.
- الفصل الثاني: الأديان الشرقية.



الفصل الأول

مقدمة عامة

تتشابه الأديان الشرقية في عدد من الخصائص التي تجمعها مع الديانات العالمية الأخرى، إلا أنها تتجاذبها نزعتان مختلفتان تمام الاختلاف، فيما يتعلق بالإلٰه(*)، وهاتان النزعتان هما نزعتا الوحدانية وتعدد الآلهة.

فقلما نجد دولة من الدول أو شعباً من شعوب الديانات الشرقية، لا تتمثل إلٰهاً لكل قوة من قوى الطبيعة النافعة والضارة يستنصرونه في الشدائد ويلجؤون إليه في الملمات، ويتضرعون إليه ليبارك لهم في ذرياتهم وأموالهم، ولم يصل هؤلاء إلى عبادة هذه الظواهر دفعة واحدة وإنما مروا بمراحل انتهت بهم إلى عبادتها، ولقد كثرت الآلهة عندهم، لاسيما عند الهندوس، كثرة كبيرة وكانوا يسمون إلٰههم بكل اسم حسن، ويصفونه بكل صفة كاملة، ويخاطبونه باسم «رب الأرباب» أو «إلٰه الآلهة» توقيراً وتعظيماً وإجلالاً.

وفي القرن التاسع قبل الميلاد، استطاع بعض كهنة(*) تلك الدول، اختصار الآلهة، فقد جمعوا الآلهة في إلٰه واحد، وقالوا إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته.

ثم ظهرت حركات عقلية آمنت بالتناسخ(*)، وظهرت حركات أخرى آمنت بالإلٰه أساساً لفلسفة الدين(*)، وعندما فتح محمود الغزنوي الهند، وأخضعها للحكم الإسلامي، قدَّم أروع الأمثلة على سماحة الدين الإسلامي عندما ترك الحرية(*) للهنود فيما يعبدون، وانتشر الإسلام في الهند ومنها انتقل إلى دول شرقية أخرى تركت لها حرية العبادة كذلك، ولكن الناس كانت تجد في عقيدة التوحيد ملاذها فاندفعت إليها عن حب ورضا.

ومن أهم أهداف هذه الموسوعة، وضع يد القارىء على كثير من الحقائق المتعلقة بالأديان الشرقية، وقد يمكن القول إن كثيراً من هذه الديانات ربما بدأت كديانات توحيد سماوية، إعمالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. ولكن التحريف لحق هذه الأديان، كما لحق غيرها، ودليل ذلك أن فكرة التوحيد كان لها وجود بشكل أو بآخر في هذه الديانات، كما أن بعض كتب هذه الأديان(*) انطوت على إشارات إلى نبوة(*) الرسول(*) ﷺ، ومبعثه، ولذا فإن هذه الموسوعة عندما تشير إلى حقائق هذه الأديان في الوقت الحاضر، فإنها لا تنفي عن أصل نشأتها إمكانية أن تكون ديانات توحيد قبل أن يلحقها التحريف وتتطرق إليها الوثنية(*).

وأيًّا ما كان الأمر، فقد عالجت هذه الموسوعة أهم الأديان الشرقية المعاصرة، كما هي لا كما كانت، وهي:

١- الصابئة المندائيون:

وتعد من أقدم الديانات التي تعتقد بأن الخالق واحد وهي بهذا الوصف تعد من الديانات السماوية ويعد أتباعها أتباع دين كتابي.

٢- الهندوسية:

وتسمى، أيضاً، البرهمية(*) وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وليس في الهندوسية دعوة إلى التوحيد، بل إنهم يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهاً(*) يعبد، ثم قالوا بوجود آلهة ثلاثة من عبد أحدها فقد عبدها جميعاً وهي براهما(*) وفشنو(*) وسيفا(*).

٣- الشنتوية:

وهي ديانة ظهرت في اليابان منذ وقت طويل وقد بدأت بعبادة الأرواح ثم قوى الطبيعة، ثم عبادة الإمبراطور مؤخراً إذ يعدونه من نسل الآلهة.

٤- الطاوية:

وهي إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي تستلزم العودة إلى الحياة الطبيعية مع ضرورة الإيمان بوحدة الوجود إذ الخالق والمخلوق شيء واحد.

٥- الجينية:

وهي ديانة منشقة عن الهندوسية، وتدعو إلى التحرر من كل قيود الحياة، والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب والإثم والخير والشر.

٦- الكونفوشيوسية:

وهي ديانة أهل الصين، وتدعو إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مع إضافة بعض آراء الحكيم كونفوشيوس إليها، وهي تقوم على عبادة الإله(*) الأعظم وعبادة أرواح الآباء والأجداد وتقديس الملائكة.

٧- البوذية:

وهي الديانة التي ظهرت في الهند بعد البراهمية (الهندوسية) في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي تدعو إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالتسامح، ويعتقد البوذيون أن بوذا(*) هو ابن الإله عندهم وأنه مخلّص البشرية من مآسيها.

٨- السيخية:

وهي ديانة السيخ الذين هم جماعة دينية هندية، تدعو إلى دين جديد تزعم فيه شيئاً من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار (لا هندوس ولا مسلمين).

٩- المهاريشية:

وهي نحلة هندوسية دهرية ملحدة(*)، انتقلت إلى أمريكا وأوربا داعية إلى طقوس كهنوتية بغية تحصيل السعادة الروحية.

الفصل الثاني

أهـــم الأديـــان الشرقيـــة

● الصابئة المندائيون ● الهندوسية ● الشنتوية ● الطاوية ● الجينية ● الكنفوشيوسية ● البوذية ● السيخية ● المهاريشية

٨٧ـ الصابئة المندائيون

التعريف:

الصابئة المندائية هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم، والتي تعد يحيى عليه السلام نبيًّا لها، يقدّس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها، ويعد الاتجاه نحو نجم القطب الشمالي وكذلك التعميد(*) في المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة التي يجيز أغلب فقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى.

ولقد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب **الرد على المنطقيين** ط ٦ (ص ٤٥٤ وما بعدها) حقيقة الصابئة كما وردت في القرآن الكريم فقال ما حاصله:

إن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء وصابئة مشركون.

أما الصابئة الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة(*) والإنجيل(*) قبل النسخ والتحريف(*) والتبديل من اليهود والنصارى. وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم. والثابت أن الصابئين قوم ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي(*)، وهم قوم من المجوس(*) واليهود والنصارى ليس لهم دين(*)، ولكنهم عرفوا الله وحده، ولم يحدثوا كفراً، وهم متمسكون «بالإسلام المشترك» وهو عبادة الله وحده، وإيجاب الصدق والعدل، وتحريم الفواحش والظلم، ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه أو تحريمه، وهم يقولون «لا إلٰه إلا الله» فقط وليس لهم كتاب ولا نبي. والصحيح أنهم كانوا موجودين قبل إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، بأرض اليمن.

وأما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية.

وعلى ذلك فمن دان من الصابئة بدين أهل الكتاب فهو من أهل الكتاب، ومن لم يدن بدين أهل الكتاب فهو مشرك، ومثالهم من يعبد الكواكب. كمن كانوا بأرض حران عندما أدركهم الإسلام وهؤلاء لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وإن أظهروا الإيمان بالنبيين(*)، وقد أفتى أبو سعيد الإصطخري بألا تقبل الجزية منهم، ونازعه في ذلك جماعة من الفقهاء.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يدّعي الصابئة المندائيون بأن دينهم(*) يرجع إلى عهد آدم، عليه السلام.

● ينتسبون إلى سام بن نوح، عليه الصلاة والسلام، فهم ساميون.

● يزعمون أن يحيى، عليه الصلاة والسلام، هو نبيهم الذي أرسل إليهم.

● كانوا يقيمون في القدس، وبعد الميلاد طردوا من فلسطين فهاجروا إلى مدينة حران فتأثروا هناك بمن حولهم، وتأثروا بعبدة الكواكب والنجوم من الصابئة الحرانيين.

ـ ومن حران هاجروا إلى موطنهم الحالي في جنوبي العراق وإيران ولا يزالون فيه، إذ يعرفون بصابئة البطائح.

● منهم الكنزبرا الشيخ عبد الله بن الشيخ سام الذي كان مقيماً في بغداد سنة ١٩٦٩ م وهو الرئيس الروحي لهم، وقد كان في عام ١٩٥٤ م يسكن في دار واقعة بجوار السفارة البريطانية في الكرخ ببغداد.

الأفكار والمعتقدات:

● كتبهم:

ـ لديهم عدد من الكتب المقدسة مكتوبة بلغة سامية قريبة من السريانية وهي:

١ ـ **الكنزاربّا**: أي الكتاب العظيم ويعتقدون بأنه صحف آدم، عليه الصلاة والسلام، فيه موضوعات كثيرة عن نظام تكوين العالم وحساب الخليقة وأدعية وقصص، وتوجد في خزانة المتحف العراقي نسخة كاملة منه. طبع في كوبنهاجن سنة ١٨١٥ م، وطبع في لايبزيغ سنة ١٨٦٧ م.

٢ ـ **دراشة إديهيا**: أي تعاليم يحيى، وفيه تعاليم وحياة النبي(*) يحيى، عليه الصلاة والسلام.

٣ ـ **الفلستا**: أي كتاب عقد الزواج، ويتعلق بالاحتفالات والنكاح الشرعي والخطبة.

٤ ـ **سدرة إدنشاماثا**: يدور حول التعميد(*) والدفن والحداد، وانتقال الروح من الجسد إلى الأرض ومن ثمّ إلى عالم الأنوار، وفي خزانة المتحف العراقي نسخة حديثة منه مكتوبة باللغة المندائية.

٥ ـ **كتاب الديونان**: فيه قصص وسير بعض الروحانيين مع صور لهم.

٦ ـ **كتاب إسفر ملواشه**: أي سفر البروج لمعرفة حوادث السنة المقبلة عن طريق علم الفلك والتنجيم(*).

٧ ـ **كتاب النياني**: أي الأناشيد والأذكار الدينية، وتوجد نسخة منه في المتحف العراقي.

٨ ـ **كتاب قماها ذهيقل زيوا**: ويتألف من ٢٠٠ سطر وهو عبارة عن حجاب يعتقدون

بأن من يحمله لا يؤثر فيه سلاح أو نار.

٩ ـ **تفسير بغره**: يختص في علم تشريح جسم الإنسان وتركيبه والأطعمة المناسبة لكل طقس مما يجوز لأبناء الطائفة تناوله.

١٠ ـ **كتاب ترسسر ألف شياله**: أي كتاب الاثني عشر ألف سؤال.

١١ ـ **ديوان طقوس التطهير**: وهو كتاب يبين طرق التعميد(*) بأنواعه على شكل ديوان.

١٢ ـ **كتاب كداواكدفيانا**: أي كتاب العوذ.

● **طبقات رجال الدين**:

ـ يشترط في رجل الدين أن يكون سليم الجسم، صحيح الحواس، متزوجاً منجباً، غير مختون، وله كلمة نافذة في شؤون الطائفة كحالات الولادة والتسمية والتعميد والزواج والصلاة والذبح والجنازة، ورتبهم على النحو التالي:

١ ـ **الحلالي**: ويسمى «الشماس»(*) يسير في الجنازات، ويقيم سنن الذبح للعامة، ولا يتزوج إلا بكراً، فإذا تزوج ثيباً سقطت مرتبته ومنع من وظيفته، إلا إذا تعمد هو وزوجته ٣٦٠ مرة في ماء النهر الجاري.

٢ ـ **الترميدة**: إذا فقه الحلالي الكتابين المقدَّسين سدرة **أدنشاماثا والنياني** أي كتابَيْ التعميد والأذكار فإنه يتعمد بالارتماس في الماء الموجود في المندي، ويبقى بعدها سبعة أيام مستيقظاً لا تغمض له عين حتى لا يحتلم، ويترقى بعدها هذا الحلالي إلى ترميدة، وتنحصر وظيفته في العقد على البنات الأبكار.

٣ ـ **الأبيسق**: الترميدة الذي يختص في العقد على الأرامل يتحول إلى أبيسق ولا ينتقل من مرتبته هذه.

٤ ـ **الكنزبرا**: الترميدة الفاضل الذي لم يعقد على الثيبات مطلقاً يمكنه أن ينتقل إلى كنزبرا وذلك إذا حفظ كتاب **الكنزاربا** فيصبح حينئذٍ مفسراً له، ويجوز له ما لا يجوز لغيره، فلو قتل واحداً من أفراد الطائفة لا يقتص منه لأنه وكيل الرئيس الإلٰهي عليها.

٥ ـ **الريش أمه**: أي رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها ولا يوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة لأنها تحتاج إلى علم وفير وقدرة فائقة.

٦ ـ **الربّاني**: وفق هذه الديانة لم يصل إلى هذه الدرجة إلا يحيى بن زكريا، عليهما السلام، كما أنه لا يجوز أن يوجد شخصان من هذه الدرجة في وقت واحد. والرباني يرتفع ليسكن في عالم الأنوار، وينزل ليبلغ طائفته تعاليم الدين، ثم يرتفع كرة أخرى إلى عالمه الرباني النوراني.

● **الإله[*]**:

ـ يعتقدون من حيث المبدأ ـ بوجود الإله الخالق الواحد الأزلي الذي لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق.

ـ ولكنهم يجعلون بعد هذا الإله ٣٦٠ شخصاً خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، وهؤلاء الأشخاص ليسوا بآلهة ولا ملائكة، يعملون كل شيء من رعد وبرق ومطر وشمس وليل ونهار.. وهؤلاء يعرفون الغيب، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار.

ـ هؤلاء الأشخاص الـ٣٦٠ ليسوا مخلوقين كبقية الكائنات الحية، ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا، وتزوجوا بنساء من صنفهم، ويتناسلون بأن يلفظ أحدهم كلمة فتحمل امرأته فوراً وتلد واحداً منهم.

ـ يعتقدون بأن الكواكب مسكن للملائكة، ولذلك يعظمونها ويقدسونها.

● **المندي**:

ـ هو معبد الصابئة، وفيه كتبهم المقدسة، ويجري فيه تعميد[*] رجال الدين، يقام على الضفاف اليمنى من الأنهر الجارية، له باب واحد يقابل الجنوب بحيث يستقبل الداخل إليه نجم القطب الشمالي، ولا بدّ من وجود قناة فيه متصلة بماء النهر، ولا يجوز دخوله من قبل النساء، ولا بدّ من وجود علم يحيى فوقه في ساعات العمل.

● **الصلاة**:

ـ تؤدى ثلاث مرات في اليوم: قبيل الشروق، وعند الزوال، وقبيل الغروب، وتستحبّ أن تكون جماعة في أيام الآحاد والأعياد، فيها وقوف وركوع وجلوس على الأرض من غير سجود، وهي تستغرق ساعة وربع الساعة تقريباً.

ـ يتوجه المصلي خلالها إلى الجدي بلباسه الطاهر، حافي القدمين، يتلو سبع قراءات يمجد فيها الرب مستمداً منه العون طالباً منه تيسير اتصاله بعالم الأنوار.

● **الصوم**:

ـ صابئة اليوم يحرمون الصوم لأنه من باب تحريم ما أحل الله.

ـ وقد كان الصوم عند الصابئة على نوعين: الصوم الكبير: ويشمل الصوم عن كبائر الذنوب والأخلاق[*] الرديئة، والصوم الصغير الذي يمتنعون فيه عن أكل اللحوم المباحة لهم لمدة ٣٢ يوماً متفرقة على طول أيام السنة.

ـ ابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ هـ في **فهرسته**، وابن العبري المتوفى سنة ٦٨٥ هـ في تاريخ **مختصر الدول** ينصان على أن الصيام كان مفروضاً عليهم لمدة ثلاثين يوماً من كل سنة.

● **الطهارة**:

ـ الطهارة مفروضة على الذكر والأنثى سواء بلا تمييز.

ـ تكون الطهارة في الماء الحي غير المنقطع عن مجراه الطبيعي.

ـ الجنابة تحتاج إلى طهارة وذلك بالارتماس في الماء ثلاث دفعات مع استحضار نية الاغتسال من غير قراءة لأنها لا تجوز على جنب.

ـ عقب الارتماس في الماء يجب الوضوء، وهو واجب لكل صلاة، إذ يتوضأ الشخص وهو متجه إلى نجم القطب، فيؤديه على هيئة تشبه وضوء المسلمين مصحوباً بأدعية خاصة.

ـ مفسدات الوضوء: البول، الغائط، الريح، لمس الحائض والنفساء.

● **التعميد(*) وأنواعه**:

ـ يعد التعميد من أبرز معالم هذه الديانة. ولا يكون إلاّ في الماء الحي، ولا تتم الطقوس إلاّ بالارتماس في الماء سواء أكان الوقت صيفاً أم شتاء، وقد أجاز لهم رجال دينهم مؤخراً الاغتسال في الحمامات، وأجازوا لهم كذلك ماء العيون النابعة لتحقيق الطهارة.

ـ يجب أن يتم التعميد(*) على أيدي رجال الدين.

ـ يكون العماد في حالات الولادة، والزواج، وعماد الجماعة، وعماد الأعياد وهي على النحو التالي:

١ ـ **الولادة**: يعمد المولود بعد ٤٥ يوماً ليصبح طاهراً من دنس الولادة إذ يُدخل هذا الوليد في الماء الجاري إلى ركبتيه مع الاتجاه جهة نجم القطب، ويوضع في يده خاتم أخضر من الآس.

٢ ـ **عماد الزواج**: يتمّ في يوم الأحد وبحضور ترميدة وكنزبرا، يتم بثلاث دفعات في الماء مع قراءة من كتاب **الفلستا** وبلباس خاص، ثم يشربان من قنينة ملئت بماء أُخذ من النهر يسمى (ممبوهة) ثم يطعمان (البهثة) ويدهن جبينهما بدهن السمسم، ويكون ذلك لكلا العروسين لكل واحد منهما على حدة، بعد ذلك لا يُلمسان لمدة سبعة أيام إذ يكونان نجسين وبعد الأيام السبعة من الزواج يعمدان من جديد، وتعمد معهما جميع القدور والأواني التي أكلا فيها أو شربا منها.

٣ ـ **عماد الجماعة**: يكون في كل عيد (بنجة) من كل سنة كبيسة لمدة خمسة أيام ويشمل أبناء الطائفة كافة رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، وذلك بالارتماس في الماء الجاري ثلاث دفعات قبل تناول الطعام في كل يوم من الأيام الخمسة. والمقصود منه هو التكفير عن لخطايا والذنوب المرتكبة في بحر السنة الماضية، كما يجوز التعميد في أيام البنجة ليلاً

ونهاراً، على حين أن التعميد في سائر المواسم لا يجوز إلا نهاراً وفي أيام الآحاد فقط .

٤ ـ **عماد الأعياد**: وهي :

(أ) **العيد الكبير**: عيد ملك الأنوار إذ يعتكفون في بيوتهم ٣٦ ساعة متتالية لا تغمض لهم عين خشية أن يتطرق الشيطان إليهم؛ لأن الاحتلام يفسد فرحتهم، وبعد الاعتكاف مباشرة يرتمسون، ومدة العيد أربعة أيام، تنحر فيه الخراف ويذبح فيه الدجاج، ولا يقومون خلاله بأي عمل دنيوي .

(ب) **العيد الصغير**: يوم واحد شرعاً، وقد يمتدّ لثلاثة أيام من أجل التزاور، ويكون بعد العيد الكبير بمائة وثمانية عشر يوماً .

(جـ) **عيد البنجة**: سبق الحديث عنه، وهو خمسة أيام تكبس بها السنة، ويأتي بعد العيد الصغير بأربعة أشهر .

(د) **عيد يحيى**: يوم واحد من أقدس الأيام، يأتي بعد عيد البنجة بستين يوماً، وفيه كان ولادة النبي يحيى ،عليه السلام، الذي يعدونه نبيًّا(*) خاصاً بهم، والذي جاء ليعيد إلى دين آدم صفاءه بعد أن دخله الانحراف بسبب تقادم الزمان .

● **تعميد المحتضر ودفنه**:

(هـ) عندما يحتضر الصابىء يجب أن يؤخذ ـ وقبل زهوق روحه ـ إلى الماء الجاري ليتمّ تعميده .

(و) من مات من دون عماد نجس ويحرم لمسه .

(ز) أثناء العماد يغسلونه متجهاً إلى نجم القطب الشمالي، ثم يعيدونه إلى بيته ويجلسونه في فراشه بحيث يواجه نجم القطب، أيضاً، حتى يوافيه الأجل .

(حـ) بعد ثلاث ساعات من موته يغسل ويكفن ويدفن حيث يموت، إذ لا يجوز نقله مطلقاً من بلد إلى بلد آخر .

(ط) من مات غيلة أو فجأة، فإنه لا يغسل ولا يلمس، ويقوم الكنزبرا بواجب العماد عنه .

(ي) يدفن الصابىء بحيث يكون مستلقياً على ظهره ووجهه ورجلاه متجهة نحو الجدي حتى إذا بعث واجه الكوكب الثابت بالذات .

(ك) يضعون في فم الميت قليلاً من تراب أول حفرة تحفر لقبره فيها .

(ل) يحرم على أهل الميت الندب والبكاء والعويل، والموت عندهم مدعاة للسرور، ويوم المأتم من أكثر الأيام فرحاً حسب وصية يحيى لزوجته .

(م) لا يوجد لديهم خلود في الجحيم، بل عندما يموت الإنسان إما أن ينتقل إلى الجنة أو المطهر، حيث يعذب بدرجات متفاوتة حتى يطهر فتنتقل روحه بعدها إلى الملأ الأعلى، فالروح خالدة والجسد فان.

● **أفكار ومعتقدات أخرى:**

ـ **البكارة:** تقوم والدة الكنزبرا أو زوجته بفحص كل فتاة عذراء بعد تعميدها وقبل تسليمها لعريسها وذلك بغية التأكد من سلامة بكارتها.

ـ **الخطيئة:** إذا وقعت الفتاة أو المرأة في جريمة الزنى فإنها لا تقتل، بل تهجر، وبإمكانها أن تكفر عن خطيئتها بالارتماس في الماء الجاري.

ـ **الطلاق:** لا يعترف دينهم بالطلاق إلا إذا كانت هناك انحرافات أخلاقية خطيرة فيتمّ التفريق عن طريق الكنزبرا.

ـ **السنة المندائية:** ٣٦٠ يوماً، في ١٢ شهراً، وفي كل شهر ثلاثون يوماً مع خمسة أيام كبيسة يقام فيها عيد البنجة.

ـ يعتقدون في صحة التاريخ الهجري ويستعملونه، وذلك بسبب اختلاطهم بالمسلمين؛ ولأن ظهور النبي(*) محمد، ﷺ، كان مذكوراً في الكتب المقدسة الموجودة لديهم.

ـ يعظمون يوم الأحد كالنصارى ويقدسونه ولا يعملون فيه أي شيء على الإطلاق.

ـ ينفرون من اللون الأزرق النيلي ولا يلامسونه مطلقاً.

ـ ليس للرجل غير المتزوج من جنة لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ـ يتنبؤون بحوادث المستقبل عن طريق التأمل في السماء والنجوم وبعض الحسابات الفلكية.

ـ لكل مناسبة دينية ألبسة خاصة بها، ولكل مرتبة دينية لباس خاص بها يميزها عن غيرها.

ـ إذا توفي شخص دون أن ينجب أولاداً فإنه يمرّ بالمطهر ليعود بعد إقامته في العالم الآخر إلى عالم الأنوار، ثم يعود إلى حالته البدنية مرة أخرى، إذ تتلبس روحه في جسم روحاني فيتزوج وينجب أطفالاً.

ـ يؤمنون بالتناسخ(*) ويعتقدون بتطبيقاته في بعض جوانب عقيدتهم.

ـ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء على قدر ما تسمح له به ظروفه.

ـ يرفضون شرب الدواء، ولا يعترضون على الدهون والحقن الجلدية.

ـ الشباب والشابات يأتون إلى الكهان(*) ليخبروهم عن اليوم السعيد الذي يمكنهم أن

يتزوجوا فيه، وكذلك يخبرون السائلين عن الوقت المناسب للتجارة أو السفر، وذلك عن طريق علم النجوم.

ـ لا تؤكل الذبيحة إلا أن تذبح بيدي رجال الدين وبحضور الشهود، ويقوم الذابح ـ بعد أن يتوضأ ـ بغمسها في الماء الجاري ثلاث مرات ثم يقرأ عليها أذكاراً دينية خاصة، ثم يذبحها مستقبلاً الشمال، ويستنزف دمها حتى آخر قطرة، ويحرم الذبح بعد غروب الشمس أو قبل شروقها إلا في عيد البنجة.

ـ تنص عقيدتهم على أن يكون الميراث محصوراً في الابن الأكبر، لكنهم لمجاورتهم المسلمين فقد أخذوا بقانون المواريث الإسلامي.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تأثر الصابئة بكثير من الديانات والمعتقدات التي احتكوا بها.

● أشهر فرق الصابئة قديماً أربعة هي: أصحاب الروحانيات، وأصحاب الهياكل، وأصحاب الأشخاص، والحلولية.

● لقد ورد ذكرهم في القرآن مقترناً باليهود والنصارى والمجوس والمشركين (انظر الآيات ٦٢/ البقرة ـ ٦٩/ المائدة، ١٧/ الحج)، ولهم أحكام خاصة بهم من حيث جواز أخذ الجزية منهم أو عدمها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى.

● عرف منهم الصابئة الحرانيون الذين انقرضوا والذين تختلف معتقداتهم بعض الشيء عن الصابئة المندائيين الحاليين.

● لم يبق من الصابئة اليوم إلا صابئة البطائح المنتشرون على ضفاف الأنهر الكبيرة في جنوب العراق وإيران.

● تأثروا باليهودية، وبالمسيحية(*)، وبالمجوسية(*) لمجاورتهم لهم.

● تأثروا بالحرانيين الذين ساكنوهم في حران عقب طردهم من فلسطين، فنقلوا عنهم عبادة الكواكب والنجوم أو على الأقل تقديس هذه الكواكب وتعظيمها وتأثروا بهم في إتقان علم الفلك وحسابات النجوم.

● تأثروا بالأفلاطونية الحديثة التي استقرت فلسفتها في سوريا مثل الاعتقاد بالفيض(*) الروحي على العالم المادي.

● تأثروا بالفلسفة(*) الدينية التي ظهرت أيام إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، فقد كان الناس حينها يعتقدون بقدرة الكواكب والنجوم على التأثير في حياة الناس.

● تأثروا بالفلسفة(*) اليونانية التي استقلت عن الدين(*)، ويلاحظ أثر هذه الفلسفة

اليونانية في كتبهم.

● لدى الصابئة قسط وافر من الوثنية(*) القديمة يتجلى في تعظيم الكواكب والنجوم على صورة من الصور.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● الصابئة المندائيون الحاليون ينتشرون على الضفاف السفلى من نهري دجلة والفرات، ويسكنون في منطقة الأهوار وشط العرب، ويكثرون في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية والزكية وسوق الشيوخ والقرنة، وهي موضع اقتران دجلة بالفرات، وهم موزعون على عدد من الألوية مثل لواء بغداد، والحلة، والديوانية والكوت وكركوك والموصل. كما يوجد أعداد مختلفة منهم في ناصرية المنتفق والشرش ونهر صالح والجبابيش والسليمانية.

● كذلك ينتشرون في إيران، وتحديداً على ضفاف نهر الكارون والدز، ويسكنون في مدن إيران الساحلية، كالمحمرة، وناصرية الأهواز وششتر ودزبول.

● تهدمت معابدهم في العراق، ولم يبق لهم إلا معبدان في قلعة صالح، وقد بنوا معبداً مندياً بجوار المصافي في بغداد، وذلك لكثرة الصابئين النازحين إلى هناك من أجل العمل.

● يعمل معظمهم في صياغة معدن الفضة لتزيين الحلي والأواني والساعات، وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم؛ لأنهم يحرصون على حفظ أسرارها، كما يجيدون صناعة القوارب الخشبية والحدادة وصناعة الخناجر.

● مهارتهم في صياغة الفضة دفعتهم إلى الرحيل للعمل في بيروت ودمشق والإسكندرية، ووصل بعضهم إلى إيطاليا وفرنسا وأمريكا.

● ليس لديهم أي طموح سياسي، وهم يتقربون إلى أصحاب الديانات الأخرى بنقاط التشابه الموجودة بينهم وبين الآخرين.

ويتضح مما سبق:

أن الصابئة من أقدم الديانات(*) التي تعتقد بأن الخالق واحد، وقد جاء ذكر الصابئين في القرآن باعتبار أنهم أتباع دين كتابي. وقد اختلف الفقهاء حول مدى جواز أخذ الجزية منهم، إن كانوا أحدثوا في دينهم ما ليس منه. وقد أصبحت هذه الطائفة كأنها طائفة وثنية تشبه صابئة حران الذين وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وعموماً فالإسلام قد جب ما قبله ولم يعد لأي دين(*) من الديانات السابقة مكان بعده.

مراجع للتوسع:

- **الصابئة المندائيون**، الليدي دراوور - مطبعة الإرشاد - بغداد - ١٩٦٩م.
- **مندائي أو الصابئة الأقدمون**، عبد الحميد عبادة - طبع في بغداد - ١٩٢٧م.
- **الصابئة في حاضرهم وماضيهم**، عبد الرزاق الحسني - طبعة لبنان - ١٩٧٠م.
- **الكنزاربّا**، وهو كتاب الصابئة الكبير ومنه نسخة في خزانة المتحف العراقي.
- **الفهرست**، ابن النديم - طبع في القاهرة - ١٣٤٨هـ.
- **المختصر في أخبار البشر**، تأليف أبي الفداء - طبع في القاهرة - ١٣٢٥هـ.
- **الملل والنحل**، للشهرستاني - طبعة لبنان - ١٩٧٥م.
- **معجم البلدان**، لياقوت الحموي - طبع في القاهرة - ١٩٠٦م.
- مقالة لأنستاس الكرملي، **مجلة المشرق** - بيروت - ١٩٠١م.
- مقالة لزويمر، **مجلة المقتطف** - القاهرة - ١٨٩٧م.
- مقالة لإبراهيم اليازجي، **مجلة البيان** - القاهرة - ١٨٩٧م.
- **الموجز في تاريخ الصابئة المندائين العرب البائدة**، لعبد الفتاح الزهيري، مطبعة الأركان ببغداد ١٤٠٣هـ.
- **الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية**، لرافد الشيخ عبد الله نجم - بغداد ١٩٨٨م.
- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، فخر الدين الرازي - القاهرة - ١٣٥٦هـ.
- **إبراهيم أبو الأنبياء**، عباس محمود العقاد - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - صفحة ١٣٩ - ١٤٨ طبعة عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

المراجع الأجنبية:

- Handbook of Classical and Modern Mandai, Berlin 1965.
- Mandaean Bibliography Oxford University Press, 1933.
- Die Mandaer: ihre Relligion und ihre Geschichte Muller: Amsterdam 1916.
- Frankfort Dr. Henri Archeology and the Sumerian problem, Chiago Studies in Ancient Oriental Civilization. No. 4 (Univ. of Chicago Press, 1932).
- J.B. Tavernier, Les Six Voyaojes - Paris 1713.
- M.N. Siouffi, Etudes Sur la Religion des Soubbas Paris 1880.
- E.S. Drower, The Mandaeans of Iraq and Iran - London 1937.
- H. Pognon, Inscriptions Mandaites des Coupes de Khoubeir Paris 1898.

٨٨ـ الهندوسية

التعريف:

الهندوسية ويطلق عليها، أيضاً، البرهمية(*) ديانة(*) وثنية(*)، يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر. إنها ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادىء القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتلعقة بها، فلكل منطقة إلٰه(*)، ولكل عمل أو ظاهرة إلٰه.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● لا يوجد للديانة الهندوسية مؤسس معين، ولا يعرف لمعظم كتبها مؤلفون معينون، فقد تمّ تشكُّل الديانة وكذلك الكتب عبر مراحل طويلة من الزمن.

● الآريُّون الغزاة الذين قدموا إلى الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد هم المؤسسون الأوائل للديانة الهندوسية.

ـ ديانة الفاتحين الجديدة لم تمح الديانة القديمة للهنود، بل مازجتها وتأثرت كل منهما بالأخرى.

ـ في القرن الثامن قبل الميلاد تطورت الهندوسية على أيدي الكهنة(*) البراهمة الذين يزعمون أن في طبائعهم عنصراً إلٰهيًّا.

ـ ثم تطورت مرة أخرى في القرن الثالث قبل الميلاد عن طريق قوانين منوشاستر(*).

الأفكار والمعتقدات:

نستطيع فهم الهندوسية من خلال كتبها، ونظرتها إلى الإلٰه، ومعتقداتها وطبقاتها إلى جانب بعض القضايا الفكرية والعقائدية الأخرى.

● كتبها:

للهندوسية عدد هائل من الكتب عسيرة الفهم غريبة اللغة، وقد أُلفت كتب كثيرة لشرحها وأخرى لاختصار تلك الشروح، وكلها مقدسة وأهمها:

١ ـ **الفيدا** veda: وهي كلمة سنسكريتية معناها الحكمة والمعرفة، وتصور حياة الآريين، ومدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك

والارتياب كما أن فيه تأليهاً يرتقي إلى وحدة الوجود، وهي تتألف من أربعة كتب هي:

١ ـ **رج فيدا أو راجا فندا** (أي الفيدا الملكية) وترجع إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، فيها ذكر لإله(*) الآلهة (إندار) ثم لإله النار (أغني) ثم الإله (فارونا) ثم الإله سوريه (إله الشمس).

٢ ـ **يجور فيدا** Yajier - veda يتلوها الرهبان(*) عند تقديم القرابين.

٣ ـ **سم فيدا** Sama - veda: ينشدون أناشيده أثناء إقامة الصلوات والأدعية.

٤ ـ **أثروا فيدا** Atharua - veda: عبارة عن مقالات من الرقى(*) والتمائم(*) لدفع السحر والتوهم والخرافة والأساطير والشياطين. وكل واحد من هذه الفيدات يشتمل على أربعة أجزاء هي:

(أ) **سَمْهِتا**: تمثل مذهب(*) الفطرة، وأدعيته كان يقدمها سكان الهند الأقدمون لآلهتهم قبل زحف الآريين.

(ب) **البراهمن**: يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم مبينة أنواع القرابين.

(جـ) **آرانياك**: وهي الصلوات والأدعية التي يتقدم بها الشيوخ أثناء إقامتهم في الكهوف والمغاور وبين الأحراش والغابات.

(د) **آبا نيشادات**: وهي الأسرار والمشاهدات النفسية للعرفاء من الصوفية.

٢ ـ **قوانين** منو: وضعت في القرن الثالث قبل الميلاد في العصر الويدي الثاني، عصر انتصار الهندوسية على الإلحاد(*) الذي تمثل في (الجينية والبوذية). وهذه القوانين عبارة عن شرح للويدات بين معالم الهندوسية ومبادئها وأسسها.

٣ ـ **كتب أخرى**:

(أ) **مها بهارتا**: ملحمة هندية تشبه الإلياذه(*) والأوديسه(*) عند اليونان ومؤلفها (وياس) ابن العارف (بوسرا) الذي وضعها سنة ٩٥٠ ق.م وهي تصف حرباً بين أمراء من الأسر المالكة، وقد اشتركت الآلهة في هذه الحرب.

(ب) **كيتا**: تصف حرباً بين أمراء من أسرة ملكية واحدة، وينسب إلى كرشنا(*) فيها نظرات فلسفية واجتماعية.

(جـ) **يوجا(*) واسستها**: تحتوي على أربعة وستين ألف بيت، ألفت ابتداء من القرن السادس عبر مرحلة طويلة على أيدي مجموعة من الناس، فيها أمور فلسفية ولاهوتية.

(د) **رامايانا**: يعتني هذا الكتاب بالأفكار السياسية والدستورية وفيه خطب لملك اسمه (راما).

● **نظرة الهندوسية إلى الآلهة:**

ـ **التوحيد:** لا يوجد توحيد بالمعنى الدقيق، لكنهم إذا أقبلوا على إلٰه(*) من الآلهة أقبلوا عليه بكل جوارحهم حتى تختفي عن أعينهم كل الآلهة الأخرى، وعندها يخاطبونه برب الأرباب أو إله(*) الآلهة.

ـ **التعدد:** يقولون بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلٰهاً يُعبد: كالماء والهواء والأنهار والجبال.. وهي آلهة كثيرة يتقربون إليها بالعبادة والقرابين.

ـ **التثليث(*):** في القرن التاسع قبل الميلاد جمع الكهنة الآلهة في إلٰه واحد أخرج العالم من ذاته وهو الذي أسموه:

١ ـ براهما(*): من حيث هو موجود.

٢ ـ فشنو(*): من حيث هو حافظ.

٣ ـ سيفا(*): من حيث هو مهلك.

فمن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعاً أو عبد الواحد الأعلى، ولا يوجد أي فارق بينها. وهم بذلك قد فتحوا الباب أمام النصارى للقول بالتثليث.

ـ يلتقي الهندوس على تقديس البقرة وأنواع من الزواحف كالأفاعي وأنواع من الحيوان كالقردة، ولكن تتمتع البقرة من بينها جميعاً بقداسة تعلو على أي قداسة، ولها تماثيل في المعابد والمنازل والميادين، ولها حق الانتقال إلى أي مكان، ولا يجوز للهندوكي أن يمسها بأذى أو يذبحها، وإذا ماتت دفنت بطقوس دينية.

ـ يعتقد الهندوس بأن آلهتهم قد حلت كذلك في إنسان اسمه كرشنا، وقد التقى فيه الإلٰه(*) بالإنسان أو حل اللاهوت(*) في الناسوت(*)، وهم يتحدثون عن كرشنا كما يتحدث النصارى عن المسيح، وقد عقد الشيخ محمد أبو زهرة ـ يرحمه الله ـ مقارنة بينهما مظهراً التشابه العجيب، بل التطابق، وعلق في آخر المقارنة قائلاً: «وعلى المسيحيين(*) أن يبحثوا عن أصل دينهم».

● **الطبقات في المجتمع الهندوسي:**

ـ منذ أن وصل الآريون إلى الهند شكَّلوا طبقات لا تزال قائمة إلى الآن، ولا طريق لإزالتها لأنها تقسيمات أبدية من خلق الله (كما يعتقدون).

ـ وردت الطبقات في قوانين منو على النحو التالي:

١ ـ **البراهمة:** وهم الذين خلقهم الإلٰه(*) براهما من فمه: منهم المعلم والكاهن(*)، والقاضي، ولهم يلجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم.

٢ ـ **الكاشتر**: وهم الذين خلقهم الإله من ذراعيه: يتعلمون ويقدمون القرابين ويحملون السلاح للدفاع.

٣ ـ **الويش**: وهم الذين خلقهم الإله من فخذه: يزرعون ويتاجرون ويجمعون المال، وينفقون على المعاهد الدينية.

٤ ـ **الشودر**: وهم الذين خلقهم الإله من رجليه، وهم مع الزنوج الأصليين يشكلون طبقة المنبوذين، وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الثلاث السابقة الشريفة ويمتهنون المهن الحقيرة والقذرة.

ـ يلتقي الجميع على الخضوع لهذا النظام الطبقي بدافع ديني.

ـ يجوز للرجل أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته ويجوز أن يتزوج من طبقة أدنى، على ألا تكون الزوجة من طبقة الشودر الرابعة، ولا يجوز للرجل من طبقة الشودر أن يتزوج من طبقة أعلى من طبقته بحال من الأحوال.

ـ البراهمة هم صفوة الخلق، وقد ألحقوا بالآلهة، ولهم أن يأخذوا من أموال عبيدهم «شودر» ما يشاءون.

ـ البرهمي الذي يكتب الكتاب المقدس هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه.

ـ لا يجوز للملك ـ مهما اشتدت الظروف ـ أن يأخذ جباية أو إتاوة من البرهمي.

ـ إن استحق البرهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه، أما غيره فيقتل.

ـ البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشودري الذي ناهز المائة كما يفوق الوالد ولده.

ـ لا يصحُّ لبرهمي أن يموت جوعاً في بلاده.

ـ المنبوذون أحط من البهائم وأذل من الكلاب بحسب قانون منو[*].

ـ من سعادة المنبوذين أن يخدموا البراهمة وليس لهم أجر أو ثواب.

ـ إذا مدّ أحد المنبوذين إلى برهمي يداً أو عصاً ليبطش به قطعت يده، وإذا رفسه فُدِعت رجله.

ـ إذا هَمَّ أحد من المنبوذين بمجالسة برهمي فعلى الملك أن يكوي استه وينفيه من البلاد.

ـ إذا ادّعى أحد المنبوذين أنه يعلِّم برهمياً فإنه يسقى زيتاً مغليًّا.

ـ كفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء.

ـ ظهر مؤخراً بعض التحسن البسيط في أحوال المنبوذين خوفاً من استغلال أوضاعهم ودخولهم في أديان أخرى لا سيما النصرانية التي تغزوهم، أو الشيوعية التي تدعوهم من خلال فكرة صراع الطبقات.

ـ ولكن كثيراً من المنبوذين وجدوا العزة والمساواة في الإسلام فاعتنقوه.

معتقداتهم:

ـ تظهر معتقداتهم في الكارما، وتناسخ الأرواح(*)، والانطلاق، ووحدة الوجو

١ ـ **الكارما**: قانون الجزاء أي أن نظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، هذا العدل الذي سيقع لا محالة إما في الحياة الحاضرة أو في الحياة القادمة، وجزاء حياةٍ يكون في حياة أخرى، والأرض هي دار الابتلاء كما أنها دار الجزاء والثواب.

٢ ـ **تناسخ الأرواح(*)**: إذا مات الإنسان يفنى منه الجسد وتنطلق منه الروح لتتقمص وتحل في جسد آخر بحسب ما قدم من عمل في حياته الأولى، وتبدأ الروح في ذلك دورة جديدة.

٣ ـ **الانطلاق**: صالح الأعمال وفاسدها ينتج عنه حياة جديدة متكررة، لتثاب فيها الروح أو لتعاقب على حسب ما قدمت في الدورة السابقة.

ـ من لم يرغب في شيء ولن يرغب في شيء وتحرر من رق الأهواء، واطمأنت نفسه، فإنه لا يعاد إلى حواسه، بل تنطلق روحه لتتحد بالبراهما.

ـ يؤخذ على هذا المبدأ أنه جعل التصوف والسلبية أفضل من صالح الأعمال لأن ذلك طريق للاتحاد بالبراهما.

٤ ـ **وحدة الوجود**: التجريد الفلسفي ارتقى بالهنادكة إلى أن الإنسان يستطيع خلق الأفكار والأنظمة والمؤسسات كما يستطيع المحافظة عليها أو تدميرها، وبهذا يتحد الإنسان مع الآلهة(*) وتصير النفس هي عين القوة الخالقة.

(أ) الروح كالآلهة أزلية سرمدية، مستمرة، غير مخلوقة.

(ب) العلاقة بين الإنسان وبين الآلهة كالعلاقة بين شرارة النار والنار ذاتها، وكالعلاقة بين البذرة وبين الشجرة.

(جـ) هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي، والروح الإنسانية جزء من الروح العليا.

● **أفكار ومعتقدات أخرى:**

ـ الأجساد تحرق بعد الموت لأن ذلك يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى وبشكل عمودي

لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصاً تاماً.

ـ عندما تتخلص الروح وتصعد، يكون أمامها ثلاثة عوالم:

١ ـ إما العالم الأعلى: عالم الملائكة.

٢ ـ وإما عالم الناس: مقر الآدميين بالحلول.

٣ ـ وإما عالم جهنم: وهذا لمرتكبي الخطايا والذنوب.

ـ ليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم.

ـ البعث في العالم الآخر إنما هو للأرواح لا للأجساد.

ـ يترقى البرهمي في أربع درجات:

١ ـ التلميذ وهو صغير.

٢ ـ رب الأسرة.

٣ ـ الناسك ويقوم بالعبادة في الغابات إذا تقدم به السن.

٤ ـ الفقير: الذي يخرج من حكم الجسد وتتحكم فيه الروح ويقترب من الآلهة.

ـ المرأة التي يموت عنها زوجها لا تتزوج بعده، بل تعيش في شقاء دائم، وتكون موضعاً للإهانات والتجريح، وتكون في مرتبة أقل من مرتبة الخادم.

ـ قد تحرق المرأة نفسها إثر وفاة زوجها تفادياً للعذاب المتوقع الذي ستعيش فيه، وقد حرم القانون هذا الإجراء في الهند الحديثة.

ـ الديانة الهندية تجيز عقد القران للأطفال وهم يَحْبُون، ويحدث أن يموت الولد فتشب البنت أرملة ابتداء، ولكن القانون الهندي الحديث حرم ذلك ومنع عقد القران إلا في سن الشباب.

ـ ليس للفرد أهمية إلا إذا كان عضواً في جماعة، وتكون هذه الجماعة عضواً في جماعة أكبر، ذلك لأن العناية للجماعة لا للفرد.

ـ يلاحظ هبوط المستوى الاقتصادي لمعتنقي الهندوسية؛ لأن بعض الطبقات لا تعمل؛ ذلك لأن العمل لا يليق بمكانتها السامية كطبقة البراهمة مثلاً.

ـ نظام الطبقات يعطل مبدأ تكافؤ الفرص.

ـ رفضت الهندوسية حركة الإصلاح الداخلي المتمثلة في الإسلام، وقاومتها محتفظة بتعليماتها ومعتقداتها.

ـ حاول الزعيم الهندي (غاندي) تقليص الحدة بين الطبقات وبين المنبوذين ولكن

محاولاته ذهبت أدراج الرياح، بل كان هو ذاته ضحية لهذه المحاولة.

ـ حاولت جماعة (السيخ) إنشاء دين(*) موحد من الهندوسية والإسلام، لكنهم فشلوا إذ سرعان ما انغلقوا على أنفسهم وصاروا طبقات متميزة يرفضون التزاوج مع غيرهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● في القرن الخامس عشر قبل الميلاد كان هناك سكان الهند الأصليين من الزنوج الذين كانت لهم أفكار ومعتقدات بدائية.

● جاء الغزاة الآريون مارّين في طريقهم بالإيرانيين فتأثرت معتقداتهم بالبلاد التي مروا بها، ولما استقروا في الهند حصل تمازج بين المعتقدات تولدت عنه الهندوسية كدين فيه أفكار بدائية من عبادة الطبيعة والأجداد والبقر بشكل خاص.

● وفي القرن الثامن قبل الميلاد تطورت الهندوسية عندما وُضع مذهب البرهمية وقالوا بعبادة براهما(*).

● عصفت بالديانة(*) الهندية حركتان قويتان هما الجينية والبوذية.

● ظهرت قوانين منو(*) فأعادت إليها القوة، وذلك في القرنين الثاني والثالث قبل الميلاد.

● انتقلت فكرة التثليث(*) من الفكر الهندي إلى الفكر النصراني بعد رفع المسيح، عليه الصلاة والسلام.

● انتقلت فكرة التناسخ(*) والحلول(*) ووحدة الوجود(*) إلى بعض المسلمين الذين ضلُّوا، فظهرت هذه العقائد عند بعض المتصوفة، وكذلك ظهرت عند الإسماعيلية وعند الفرق الضالة كالأحمدية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

كانت الديانة الهندوسية، تحكم شبه القارة الهندية وتنتشر فيها على اختلاف في التركيز، ولكن البون الشاسع بين المسلمين والهندوس في نظرتيهما إلى الكون والحياة وإلى البقرة التي يعبدها الهندوس ويذبحها المسلمون ويأكلون لحمها؛ كان ذلك سبباً في حدوث التقسيم إذ أُعلن عن قيام دولة الباكستان بجزأيها الشرقي والغربي، والتي معظمها من المسلمين، وبقاء دولة هندية معظم سكانها هندوس والمسلمون فيها أقلية كبيرة.

ويتضح مما سبق:

أن الديانة الهندوسية مزيج من الفلسفة(*) الهندية والديانتين اليهودية(*) والمسيحية

كما أنها عقيدة محدودة الأتباع. ويعتقد الهندوس أنها جاءت عن طريق الوحي(*)، ولو صح هذا لكان لابد أنه قد حصل لها الكثير من التحريف والتبديل حتى أصبحت أسلوباً في الحياة أكثر مما هي عقيدة واضحة المعالم. وتشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأشجار والأحجار والقرود والأبقار.. إلى غير ذلك من أنواع الوثنية(*) التي تتنافى مع أبسط قواعد التوحيد. كما أن التقسيم الطبقي فيها يتعارض مع كرامة الإنسان، ويجعلها بعيدة عن الوحي الرباني.

مراجع للتوسع:

- **أديان الهند الكبرى**، دكتور أحمد شلبي - ط ٦ - مكتبة النهضة - المصرية - ١٩٨١ م.
- **محاضرات في مقارنات الأديان**، الشيخ محمد أبو زهرة - مطبعة يوسف - مصر.
- **حقائق عن الهند**، منشورات قلم الاستعلامات الهندي.
- **حضارة الهند**، غوستاف لوبون.
- **أديان العالم الكبرى**، لخصه عن الإنجليزية حبيب سعد.
- **الله**، عباس محمود العقاد.
- **تاريخ الإسلام في الهند**، عبد المنعم النمر.
- **فلسفة الهند القديمة**، محمد عبد السلام.

المراجع الأجنبية:

- Weech and Rylands: Peoples and Religions of India.
- Hinduism Ed. by lewis Renou.
- A Short History of the World.

٨٩ـ الشنتوية

التعريف:

الشنتوية ديانة وضعية اجتماعية ظهرت في اليابان منذ قرون طويلة، وما زالت الدين(*) الأصيل فيها، وقد بدأت بعبادة الأرواح، ثم قوى الطبيعة.. ثم تطور احترام الأجداد والزعماء والأبطال إلى عبادة الإمبراطور الميكادو الذي يعد من نسل الآلهة، كما يزعمون.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● لا تنتسب الشنتوية إلى شخص معين كما نجد ذلك في البوذية، مثلاً، بل هي دين اجتماعي مر بأدوار كما رأينا في التعريف.

الأفكار والمعتقدات:

● تشيع في الشنتوية الحالية عبادة الطبيعة وقواها المنتجة، وهي من خصائص الأديان الوثنية، لذلك فإن الناس يعظمون الشمس وكذلك الأرز ـ الغذاء الرئيسي لهم ـ والذي تكثر معابده في الأقاليم الزراعية.

● وفي الشنتوية يوقر الناس الأجداد والأسلاف من الزعماء والأبطال والملوك.. وهناك فرق بين عبادة الأسلاف في الصين وبين توقير اليابانيين واحترامهم لأجدادهم.

● يطلق الشنتويون لفظ كامي على كل إله(*) أو شيء يسمو فوق الإنسان كالسماء أو السلطان.

● تطورت فكرة احترام الأجداد إلى عبادتهم، وانحصرت هذه العبادة والتأليه في الإمبراطور الميكادو الخالد في نظرهم، المنزه عن العيوب والنقائص، والسمو به إلى درجة لا يشاركه فيها سواه. وقد جاء في منشور صدر عن وزارة المعارف اليابانية عام ١٩٣٧م «إن أرضنا بلد إلهية يحكمها الإمبراطور وهو إله(*)». ولا ندري كيف يجتمع هذا السخف مع التقدم العلمي في اليابان الحديثة.

● الإمبراطور والدولة هما كل شيء، ولا قيمة للفرد في الديانة(*) الشنتوية لذلك تعد التضحية به شرف عظيم له.

● يعد الاهتمام بالنظافة أمراً مقدساً، ويكره أتباع الشنتوية كل شيء يدنس الجسد أو الثوب.

الجذور الفكرية والعقائدية (تطور الشنتوية وصلتها بالبوذية):

● تطورت الشنتوية من احترام وتوقير الأسلاف من زعماء القبائل أو الأبطال إلى عبادتهم. وكان رجال قبيلة يماتو أشد الناس إحياء لتوقير السلف من القبائل، وهم الذين صاروا سادة اليابان فيما بعد، وكان زعيمهم المعروف بالميكادو مركز دينهم وعبادتهم. ثم زعموا أن الشمس تمتُّ إليهم بصلة القربى، ومنها تحدد الميكادو فحسبوه ممثل الشمس وآلهة السماء على الأرض.

● وكانت عبادة أسلاف القبائل الذائعة في اليابان قبل إخضاع أسرة يماتو لها خير ممهد لهذه العقيدة الجديدة، وفعل رجال يماتو الكثير لتبسيطها وتقريبها إلى أذهان العامة، بأن أدخلوا عليها آلهة(*) صغرى هم زعماء القبائل التي دانت بالطاعة والولاء لحكم الأسرة الغالبة، وكان لهذا الجمع بين الآراء السياسية والدينية أثره الكبير في وجود توقير يكاد يبلغ حد العبادة لشخص الإمبراطور.

● وفي منتصف القرن السادس الميلادي هاجر إلى اليابان بعض الكهنة(*) البوذيين من كوريا والصين، وكان لهم أثر عميق في البلاط الملكي، فقد حاولوا أن ينشروا البوذية في اليابان ولكنهم أخفقوا إخفاقاً عظيماً؛ وذلك لتمسك الشعب الياباني بالشنتوية.

● وفي القرن الثامن الميلادي استطاع راهب بوذي أن يؤثر في الشنتوية على اعتبار أن آلهتها مظاهر مجسدة لبوذا(*).

● وفي العصر الحديث حينما استيقظ الشعور القومي في اليابان، وبلغ ذروته في ثورة ١٨٦٨م نفر الشعب من كل ما هو أجنبي، ومنه البوذية فأزيلت تماثيل بوذا(*) من المعابد، وأوقف الكهنة البوذيون عن ممارسة وظائفهم وعادت الشنتوية ديناً قومياً. وكانت الحكومة اليابانية تعمل على توطيد الشنتوية في البلاد للاحتفاظ بعبادة الإمبراطور الميكادو.

● بعد انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م عملت السياسة الأمريكية على إبطال عبادة الإمبراطور، وحاولت القضاء على الوطنية الفائقة التي تغرسها الشنتوية في النفس اليابانية، التي أفرزت أثناء الحرب العالمية الفرق الانتحارية التي أنهكت الأسطول الأمريكي.

● ومن الملاحظ أن البوذية دخلت اليابان ولم تخرج منه، إلا أن البوذية اليابانية تختلف عن البوذية الهندية والصينية في كثير من التعاليم.

● ولكن التسامح سائد بين البوذية اليابانية والشنتوية، ولهذا نرى الناس في اليابان ينتقلون من هيكل بوذي إلى معبد شنتوي دون حرج، والعقائد التي يعتنقها الفرد الياباني العادي مزيج من الشنتوية والكونفوشيوسية والبوذية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

الشنتوية منتشرة في اليابان فقط.

ويتضح مما سبق:

أن الشنتوية ديانة وضعية اجتماعية ظهرت في اليابان منذ قرون طويلة، وما زالت الدين(*) الأصيل فيها، وقد بدأت بعبادة الأرواح وقوى الطبيعة وانتهت بعبادة الإمبراطور الذي يعتبرونه من نسل الآلهة(*) كما يزعمون، هناك تسامح في اليابان بين البوذية اليابانية وبين الشنتوية، وقد أصبحت عقيدة الفرد العادي الآن مزيجاً من الشنتوية والكونفوشيوسية والبوذية.

مراجع للتوسع:

- **الملل والنحل**، للشهرستاني - بتحقيق محمد سيد كيلاني (طبعة مزيدة من المحقق).
- **محاضرات في مقارنات الأديان: الأديان القديمة**، محمد أبو زهرة - مطبعة يوسف - مصر.
- **أديان العالم الكبرى**، لخصه عن الإنجليزية حبيب سعد.
- **الديانات والعقائد في مختلف العصور**، أحمد عبد الغفور عطار - مكة المكرمة - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

المراجع الأجنبية:

- Eneyclopedia Britannica 1968.
- Berey: Religions of the World.

٩٠ـ الطاوية

التعريف:

الطاوية إحدى أكبر الديانات(*) الصينية القديمة التي لا تزال حية إلى اليوم، إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، تقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفاً سلبياً من الحضارة والمدنية. كان لها دور مهم في تطوير علم الكيمياء منذ آلاف السنين وذلك من خلالها مسيرتها في البحث في إكسير الحياة ومعرفة سر الخلود.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يعتقد بأن لوتس Lootse الذي كان ميلاده عام ٥٠٧ ق.م هو صاحب مذهب الطاوية التي تُرجع بعض معتقداتها إلى زمن سحيق. وقد وضع كتابه طاو ـ تي ـ تشينغ Tao - te - ching أي كتاب **طريق القوة**. وقد التقى به كونفوشيوس فأخذ عنه أشياء وخالفه في أشياء أخرى.

● بقيت الطاوية خلال أكثر من ألفي سنة تؤثر في الفكر الصيني وفي التغيرات التاريخية الصينية.

● ظهر شوانغ تسو الذي يرجع إلى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد زاعماً بأن لوتس كان أحد المعلمين السماويين، كما قام بشرح كتاب معلمه لوتس مضيفاً إليه شيئاً من فلسفته.

● لقد نمت الطاوية المنظمة في منطقة جبال شي شوان قبل غيرها.

● في عام ١٤٢م زعم شانغ طاولينغ أنه قد جاءه الوحي(*) من الرب تعالى بأن يتحمل تبعات إصلاح الدين الطاوي، وأنه قد ارتقى وسمي المعلم السماوي. وقاد ذلك التنظيم الذي صار تبعاً لسلالته الذين عرفوا بالمعلمين السماويين.

● في القرن الثاني الميلادي انتشرت الطاوية الشعبية بفضل حركة السلم الكبير Tai - ping وقد كان للمعلمين السماويين دور كبير في نشرها.

● في عام ٢٢٠ م زالت أسرة هان مما أدى إلى انقسام الصينيين إلى ثلاثة أقسام، وهذا ما ترك أثره على الاختلافات الدينية الإقليمية فيما بينهم.

● عقب سقوط أسرة هان، وفي القرنين الميلاديين الثالث والرابع ظهرت الطاوية الجديدة.

● في عام ٤٠٦ ـ ٤٧٧م ظهر المصلح لوهيوشنغ الذي يرجع إليه مفهوم القانون الكنسي لجميع الكتب المقدسة الطاوية.

● مؤسسو أسرتي تانغ ٦١٨ـ٩٠٧م ومينغ ١٣٦٨ـ١٦٤٤م قد استخدموا التنبؤات الطاوية والسحر لكسب التأييد الشعبي.

● تدَّعي عائلة شانغ الحالية للمعلمين السماويين بأنها من سلالة شانغ طاو لينغ المعلم السماوي الأول الذي ظهر أيام أسرة هان.

الأفكار والمعتقدات:

الكتب:

ـ كتاب لوتس المسمى **طاو ـ تي تشينغ** لم يكن ليكتب لولا رجاء حارس الممر ين شي الذي طلب من المعلم الشيخ أن يدون أفكاره. وهذا الكتاب مجموعة قطع أدبية تحيط بطبيعة طاو، كما تشمل قواعد عامة وأمثلة للحاكم الذي يمتلك زمام أمر الطاو، وهو كتاب غامض في كثير من عباراته إذ إن ذلك الغموض مقصود لذاته.

ـ **شوانغ تسو**: بحث في النظرة الطاوية الفلسفية، كما أجرى مقابلة بين السماء والبشر، وبين الطبيعة والمجتمع، طالباً من الطاويين طرح كل الحيل المصطنعة، وفيه قصص عن بشر كاملين يستطيعون الطيران هم الخالدون الذين لا يتأثرون بالعناصر الطبيعية ولا يمسهم حر ولا قر، أصحاب أرواح تمتاز بحرية في تصرفها.

ـ كتاب **هوانغ ـ تي ـ ني ـ تشينغ** وهو من القرن الثالث قبل الميلاد، فيه تجارب على بعض المعادن والنباتات والمواد الحيوانية وذلك انطلاقاً من اهتمامهم بالمحافظة على الصحة وإطالة الحياة.

ـ كتاب **باو ـ بو ـ تسو** الذي انتهوا من تأليفه عام ٣١٧م يبحث في علوم الكيمياء القديمة، وفيه محاولات لتحويل المعادن إلى ذهب، وإطالة الحياة بواسطة بعض الأكاسير.

ـ لهم أدب فلسفي وديني سري، قسم منه يعود إلى القرن الرابع والقرن الثاني قبل الميلاد ويركز على إقناع الحكام، وقسم يبدأ منذ نهاية القرن الثاني الميلادي وهو يمثل حركات(*) دينية منظمة وينتقل من الشيخ إلى تلاميذه من أداء القسم للمحافظة على سريته.

● **فكرتهم عن الإله(*)**:

ـ الإله ـ لديهم ـ ليس بصوت، ولا صورة، أبدي لا يفنى، وجوده سابق وجود غيره

وهو أصل الموجودات، وروحه تجري فيها.

- إن طاو هو المطلق الكائن، وهو مراد الكون، إنه ليس منفصلاً عن الكون بل هو داخل فيه دخولاً جوهريًّا، انبثقت عنه جميع الموجودات..

- إنهم يؤمنون بوحدة الوجود(*) إذ إن الخالق والمخلوق شيء واحد لا تنفصل أجزاؤه وإلا لاقى الفناء.

- إن نظرتهم إلى الإله قريبة جدًّا من مذهب الحلولية الذي يذهب إلى أن الخالق حالٌّ في كل الموجودات، كما أن الخالق لا يستطيع أن يتصرف أو يعمل إلا بحلوله في الأشياء.

- يؤمنون بالقانون السماوي الأعظم الذي هو أصل الحياة والنشاط والحركة لجميع الموجودات في السماء والأرض.

- يرى شونغ تسي بأن الإنسان قد جاء إلى الوجود مع الكون، فهو يحب الله ولكنه يحب المصدر الذي جاء منه الله أكثر من حبه لله، فهو تصور يدل على أنهم يعتقدون بأن هناك مبدأ قبل الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

● **الاحتفالات الدينية والطقوس الطاوية:**

- هناك طقس شيو Chioo وهو أقدم الطقوس إذ هو تجديد لعلاقة الجماعة بالآلهة(*)، ولا يزال هذا الطقس موجوداً في تايوان إلى اليوم.

- هناك طقوس لتنصيب الكهنة(*)، وأخرى عند ميلاد الآلهة.

- بعض الكهنة يمارسون طقوساً معينة في مناسبات الدفن والزواج والولادة.

- من طقوسهم معالجة المريض وذلك بإدخاله إلى غرفة هادئة يقضي فيها بعض الوقت متأملاً منشغلاً بذنوبه، كما يقوم بعضهم باستعمال الوسطاء الذين يسترخون في سبات، ويزعمون أنهم يقومون بنقل آراء الآلهة أو الأموات أو الأقارب.

- حرق البخور موضوع أساسي لكل عبادة طاوية، فضلاً عن استعمال الخناجر والماء المسحور والموسيقى، والأقنعة والكتب المقدسة.

● **أفكار طاوية أخرى:**

- إنهم متصوفة، إذ إنه يجب على الطاوي أن ينظف نفسه من جميع المشاغل والشوائب ليوجد في داخله فراغاً هو في الحقيقة الامتلاء نفسه، وذلك بالوصول إلى الحقائق المجردة، ويتم ذلك عن طريق التجرد من الماديات ليصبح الإنسان روحاً خالصاً.

ـ أعلى مراتب التصوف هي مرحلة الوحدة التامة بين الفرد والقانون الأعظم، وذلك بحصول اندماج بين المتصوف والذات العليا لتصيرا شخصية واحدة.

ـ إذا ارتقى الإنسان إلى المعرفة الحقة عندها يستطيع أن يصل إلى الحالة الأثيرية، إذ لا موت ولا حياة.

ـ إن الطاوية تتجه اتجاهاً سلبياً ـ على عكس الكونفوشيوسية ـ ذلك لأن الفضيلة لديهم تكمن في عدم العمل والاقتصار على التأمل، داعين إلى الحياة على الجبال المقدسة وقرب الجزر النائية.

ـ إنهم يهاجمون الشرائع والقوانين والعلم وما إلى ذلك من مظاهر المدنية التي عملت على إفساد فطرة الإنسان الذي ولد خَيِّراً. إن مثلهم الأعلى في ذلك هو في العودة إلى النظام الطبيعي المتميز بنقاء الفطرة وسلامتها.

ـ اهتم الطاويون بطول العمر، ويعد التقدم في السن دليلاً على القداسة حتى صار من أهداف التصوف الطاوي السعي لإطالة العمر والخلود، وقد ذهب بعضهم إلى ادعاء إمكانية إطالة العمر مئات السنين. وأفضل الخالدين ـ في نظرهم ـ هم الذين يصعدون إلى السماء في وضح النهار، هذا الخلود الذي من الممكن أن يتم بوساطة تدريبات ورياضات خاصة جسدية وروحية كما يزعمون.

ـ هذا الاهتمام في البحث عن إكسير الحياة كان عاملاً مهمًّا في تقدم الطب والكيمياء على أيديهم، فضلاً عن السحر والشعوذة والدجل، مما أدى إلى ثراء الكهنة ثراءً فاحشاً.

ـ إنهم يؤكدون حرصهم على التعاليم الأخلاقية وعلى ضرورة المشاركة في الاحتفالات الجماعية الموسمية.

ـ ليس لديهم بعث ولا حساب، إنما يكافأ المحسن بالصحة وبطول العمر، بينما يجازى المسيء بالمرض وبالموت المبكر.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● المفاهيم الطاوية ترجع إلى زمن سحيق لكنها تبلورت على يد مؤسسها لوتس.

● هناك عوامل تأثر وتأثير بين الطاوية والكنفوشيوسية والبوذية بسبب توطن هذه الديانات(*) في منطقة واحدة متجاورة، إذ يمكن ملاحظة فكرة التصوف التي يعبر عنها

بأساليب مختلفة ولكن في مضمون واحد.

● الطاوية أقرب إلى الكنفوشيوسية منها إلى البوذية.

● أخذ الطاويون عن البوذيين بناء الأديرة وتقرير الرهبنة(*) والعزوبية.

● يذكر دوان في كتابه **خرافات التوراة**(*) **وما يماثلها في الديانات الأخرى** (ص ١٧٢)، بأن في الطاوية تثليثاً(*)، فطاو هو العقل(*) الأزلي الأول، انبثق من واحد، ومن هذا انبثق ثالث كان مصدر كل شيء.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● في عام ١٩٥٨م أُعلن أن ثلاثين ألفاً من الكهنة الطاويين لا يزالون ناشطين في مختلف أنحاء الصين. ومعلوم أن الثقافة الصينية التقليدية لا تزال الطاوية حية فيها.

● في عام ١٩٤٩م هرب آخر المعلمين السماويين شانغ اين بو إلى تايوان، وفي عام ١٩٦٠ م انبعثت هذه الديانة من جديد وظهرت المعابد الطاوية الضخمة كمعبد شهنان قرب تايبيه والذي يضم تمثال لو يونغ ين الذي تقمصته روح إله الطاو كما يزعمون، وفي عام ١٩٧٠م مات هذا المعلم السماوي ليخلفه ابنه شانغ يوان هسين.

● توجد فئات طاوية في بعض نواحي ماليزيا وبينانغ وسنغافورة وبانكوك.

● تعد اليابان من أوسع البلاد علماً بالطاوية في أيامنا الحالية.

● أما تايوان فهي أهم ملجأ للطاوية في القرن العشرين بسبب الهجرة الطاوية إليها في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

ويتضح مما سبق:

أن الطاوية ديانة(*) صينية مؤسسها الفيلسوف لوتس الذي رأى أن الخير في الزهادة والاعتزال والعفو والتسامح مع الناس وعدم مقابلة السيئة بالسيئة. ولم يثبت أنها ديانة سماوية.

مراجع للتوسع:

- **الملل والنحل للشهرستاني وذيله**، الكتاب من تأليف الشهرستاني لكن الذيل الملحق به من تأليف محمد سيد كيلاني ـ جـ ٢ ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

ـ الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار ـ ط ١ ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

المراجع الأجنبية:

- Encyclopaedia Britannica, 1968, 17.p. 1034 - 1054.

- Doane: Bible Myths and Their Parallels in other Religion.p. 172.

٩١ - الجينية

التعريف:

الجينية ديانة(*) منشقة عن الهندوسية، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد على يدي مؤسسها مهافيرا، ولا تزال إلى يومنا هذا. إنها مبنية على أساس الخوف من تكرار المولد، داعية إلى التحرر من كل قيود الحياة والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب والإثم والخير والشر. وهي تقوم على رياضات بدنية رهيبة وتأملات نفسية عميقة بغية إخماد شعلة الحياة في نفوس معتنقيها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يعتقد الجينيون أن ديانتهم ساهم في تأسيسها ٢٤ ترنكارا أو جينا، إذ يظهر كل منهم في نصف دورة زمنية بدأت منذ الأزل. وسوف تستمر إلى ما لا نهاية. كان أول هؤلاء هو ريشابها أو أديناثا. ويعد وجود هؤلاء الجينيات من قبيل الأساطير التي لم تثبت تاريخيًّا.

● نيميناثا أو أريشتمانيمي: هو الجيني الثاني والعشرون ويعتبرونه ابن عم كرشنا، ووصل إلى مرحلة النيرفانا(*) (الخلاص) في مدينة سوراسترا في ولاية كوجورات.

● برشفا ابن ملك فاراناس يعد الجيني الثالث والعشرين، وهو أول الشخصيات التاريخية. عاش في القرن الثامن قبل الميلاد.

● يعد مهافيرا المؤسس الحقيقي للجينية، وقد ولد عام ٥٩٩ ق.م وترهبن في سن الثلاثين، وعلى يديه تبلورت معتقداتها التي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، وقد سار بدعوته بنجاح حتى بلغ الثانية والسبعين من العمر، وتوفى عام ٥٢٧ق.م.

- ينحدر مهافيرا من أسرة من طبقة الكاشتر المختصة بشؤون السياسة والحرب.

- أبوه سدهارتها أمير مدينة في ولاية بيهار، ومهاويرا هو الابن الثاني له.

- عاش حياته الأولى في كنف والديه متمتعاً بالخدم والملذات العادية، وكان شديد التقدير والاحترام لوالديه، تزوج ورزق بابنة.

- لما توفى والده، استأذن أخاه في التخلي عن ولاية العهد والتنازل عن

الملك والألقاب.

ـ حلق رأسه ونزع حليَّه، وخلع ملابسه الفاخرة، وبدأ مرحلة الزهد والخلوة والتبتل، وكانت سنه آنذاك ثلاثين عاماً.

ـ صام يومين ونصف يوم، ونتف شعر جسده، وهام في البلاد عارياً مهتماً بالرياضات الصعبة والتأملات العميقة.

ـ اسمه الأصلي فردهامانا لكن أتباعه يسمونه مهافيرا، ويزعمون أن هذا الاسم من اختيار الآلهة له ومعناه البطل العظيم، ويطلقون عليه كذلك جينا أي القاهر لشهواته والمتغلب على رغباته المادية.

ـ يدعي أتباع هذه الطائفة بأن الجينية ترجع إلى ثلاثة وعشرين جينياً، ومهافيرا هو الجيني الرابع والعشرون.

ـ تلقى مهافيرا علومه على يدي بارسواناث الذي يعدونه الجيني الثالث والعشرين، وقد أخذ عنه مبادىء الجينية، وخالفه بعد ذلك في بعض الأمور، وزاد على هذه الطريقة شيئاً استخلصه من تجاربه وخبرته مما جعله المؤسس الحقيقي لها.

ـ غرق في تأملاته ورهبانيته وعرى جسده هائماً في البلاد لمدة ثلاثة عشر شهراً مداوماً على مراقبة نفسه في صمت مطبق، يعيش على الصدقات التي تقدم إليه. حصل بعدها على الدرجة الرابعة مباشرة إذ كان مزوداً بثلاثة منها أصلاً كما يقولون.

ـ تابع بعد ذلك رحلة عدم الإحساس حتى حصل على الدرجة الخامسة وهي كما يزعمون درجة العلم المطلق ووصوله إلى مرحلة النجاة.

ـ بعد سنة من الصراع والتهذيب النفسي فاز بدرجة المرشد، وبدأ بذلك مرحلة الدعوة لمعتقده، فدعا أسرته ثم عشيرته، ثم أهل مدينته، ومن ثم دعا الملوك والقواد، فوافقه كثير منهم لما في دعوته من ثورة على البراهمة(*).

ـ استمر في دعوته حتى بلغ الثانية والسبعين إذ توفى سنة ٥٢٧ ق.م مخلفاً وراءه خطباً وأتباعاً ومذهباً.

● أرياشاما: عاش في القرن الرابع بعد مهافيرا.

● كونداكاوندا أكياريا: تقدره فرقة الديجامبرا، وكتبَ بعض الكتب والشروح، عاش في القرون المسيحية(*) الأولى.

● انقسمت الجينية بعده إلى عدة أقسام وصلت إلى ثماني فرق أو أكثر، أهمها الآن:

ـ **ديجامبرا**: أي أصحاب الزيِّ السماوي العراة، وهم طبقة الخاصة الذين يميلون إلى التقشف والزهد، ومعظمهم من الكهان(*) والرهبان(*) والمتنسكين الذين يتخذون من حياة مهاويرا قدوة لهم، وقد انقسموا مؤخراً إلى عدد من الفرق.

ـ **سويتامبرا**: أي أصحاب الزي الأبيض، وهم طبقة العامة المعتدلون الذين يتخذون من حياة مهاويرا الأولى في رعاية والديه نبراساً لهم إذ كان يتمتع حينها بالخدم والملذات، إذ يفعلون كل أمر فيه خير، ويبتعدون عن كل أمر فيه شرّ أو إزهاق لأرواح كل ذي حياة، يلبسون الثياب، ويطبقون مبادىء الجينية العامة على أنفسهم.

● أقبل الملوك والحكام في الهند على اعتناق الجينية، مما سجل انتصاراً على العصر الويدي الهندوسي الأول، ذلك أنها تدعو إلى عدم إيقاع الأذى بذي روح مطلقاً، كما توجب أن يطيع الشعب حاكمه، وتقضي بذبح من يتمرد على الحاكم أو يعصي أوامره، فصار لهم نفوذ كبير في بلاط كثير من الملوك والحكام في العصور الوسطى.

ـ نالوا كثيراً من الاحترام والتقدير أيام الحكم الإسلامي للهند، وقد بلغ الأمر بالإمبراطور أكبر الذي حكم الهند من ١٥٥٦ ـ ١٦٠٥ م أن ارتد عن الإسلام واعتنق بعض معتقدات الجينية واحتضن معلم الجينية هيراويجياً مطلقاً عليه لقب معلم الدنيا.

الأفكار والمعتقدات:

الكتب:

ـ نزل مهاويرا قبل موته في مدينة بنابوري في ولاية تَبْنا وألقى خمساً وخمسين خطبة، وأجاب عن ستة وثلاثين سؤالاً. فهذه الخطب وتلك الأسئلة أصبحت كتابهم المقدس.

ـ يضاف إلى ذلك الخطب والوصايا المنسوبة للمريدين والرهبان والنسَّاك الجينيين.

ـ انتقل تراثهم مشافهة، وقد حاولوا تدوينه في القرن الرابع قبل الميلاد

لكنهم فشلوا في جمع كلمة الناس حول ما كتبوه، فتأجلت كتابته إلى سنة ٥٧م.

- في القرن الخامس الميلادي اجتمع كبار الجينيين في مدينة ويلابهي وقاموا بتدوين التراث الجيني باللغة السنسكريتية، في حين أن لغته الأصلية كانت أردها مجدى.

- ويوجد الآن عدد من الكتب والشروح والأساطير الكثيرة يختلف الاعتراف بها من طائفة إلى أخرى.

الإله(*):

- الجينية في الأصل ثورة على البراهمة، لذا فإنهم لا يعترفون بآلهة الهندوس وبالذات الآلهة الثلاثة (برهما(*) - فشنو(*) - سيفا(*))، ومن هنا سميت حركتهم بالحركة الإلحادية(*).

- لا تعترف الجينية بالروح الأكبر أو بالخالق الأعظم لهذا الكون؛ لكنها تعترف بوجود أرواح خالدة.

- كل روح من الأرواح الخالدة مستقلة عن الأخرى ويجري عليها التناسخ(*).

- لم يستطيعوا أن يتحرروا تحرراً كاملاً من فكرة الألوهية، فاتخذوا من مهافيرا معبوداً لهم وقرنوا به الجينيات الثلاثة والعشرين الآخرين، لتكمل في أذهانهم صورة الدين(*)، وليسدوا الفراغ الذي أحدثه عدم اعترافهم بالإله الأوحد.

- خلق المسالمة والمجاملة دفعهم إلى الاعتراف بآلهة الهندوس (عدا الآلهة الثلاثة) ثم أخذوا يجلّونها، لكنهم لم يصلوا بها إلى درجة تقديس البراهمة(*) لها، ودعوا كذلك إلى احترام براهمة الهندوس باعتبارهم طائفة لها مكانتها في الدين الهندوسي.

- لا توجد لديهم صلاة، ولا تقديم قرابين، ولا يعترفون بالطبقات، بل هم ثورة عليها، إذ ليس لديهم سوى طبقتي الخاصة والعامة. ولم يجعلوا لخاصتهم من الرهبان(*) أية امتيازات مما جعل الرهبنة ذات مشقة وتضحية وتكليف ذاتي.

● **من معتقداتهم الأخرى**:

● **الكارما**:

- الكارما لديهم كائن مادي يخالط الروح ويحيط بها ولا سبيل لتحرير الروح منها إلا بشدة التقشف والحرمان من الملذات.

ـ يظل الإنسان يولد ويموت مادامت الكارما متعلقة بروحه، ولا تطهر نفسه حتى تتخلص من الكارما، إذ تنتهي رغباته وعندها يبقى حيًّا خالداً في نعيم النجاة. وهي مرحلة النيرفانا(*) أو الخلاص التي قد تحصل في الدنيا بالتدريب والرياضة أو بالموت.

● **النجاة:**

ـ إنها تعني الفوز بالسرور الخالد الخالي من الحزن والألم والهموم، وتعني التطهر من أدران الحيوانية المادية، إنها ترمي إلى التخلص من تكرار المولد والموت والتناسخ(*).

ـ طريق الوصول إلى النجاة يكون بالتمسك بالخير والابتعاد عن الشرور والذنوب والآثام، ولا يصل إليها الإنسان إلا بعد تجاوز عوائق ومتاعب الحياة البشرية بقتل عواطفه وشهواته.

ـ الشخص الناجي مكانه فوق الخلاء الكوني، إنها نجاة أبدية سرمدية.

● **تقديس كل ذي روح:**

ـ يقدسون كل ما فيه روح تقديساً عجيباً.

ـ يمسك بعض الرهبان بمكنسة ينظف بها طريقه أو مجلسه خشية أن يطأ شيئاً فيه روح.

ـ يضع بعضهم غشاءً على وجهه يتنفس من خلاله خوفاً من استنشاق أي كائن حي من الهوام العالقة في الهواء.

ـ لا يعملون في الزراعة حذراً من قتل الديدان والحشرات الصغيرة الموجودة في التربة.

ـ لا يذبحون الحيوانات، ولا يأكلون لحومها وهم نباتيون.

ـ لا يشتركون في معركة ولا يدخلون في قتال خوفاً من إراقة الدماء وقتل الأحياء من البشر، فهم مسالمون بعيدون عن كل مظاهر العنف.

● **العواطف:**

ـ يجب قهر العواطف والمشاعر جميعاً، حتى لا يشعر الراهب بحب أو كره، بحزن أو سرور، بحرّ أو برد، بخوف أو حياء، بخير أو شرّ، بجوع أو عطش، فيجب أن يصل إلى درجة الخمود والجمود والذهول بحيث تقتل في نفسه جميع العواطف البشرية.

ـ ترى أحدهم ينتف شعر جسده دون أن يشعر بأي ألم في ذلك.

● العري:

ـ قمة قتل العواطف هي الوصول إلى مرحلة العري الذي يعد أبرز مظاهر الجينية، إذ يمشي الشخص في الشوارع بدون كساء يستر جسده من غير شعور بالحرج أو الحياء أو الخجل. وهذا تطبقه فرقة ديجامبرا من الجينية.

ـ الرهبان(*) يعيشون عراة، وذلك نابع من فكرة نسيان العار أو الحياء مما يمكنه من اجتياز الحياة إلى مرحلة النجاة والخلود.

ـ إذا تذكر الإنسان العاري الحياة والحسن والقبح فذلك يعني أنه مازال متعلقاً بالدنيا مما يحجبه عن الفوز والنجاة.

ـ الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم، وعدم الشعور بالحياء معناه عدم تصور الإثم. فمن أراد الحياة البريئة البعيدة عن الشعور بالآلام فما عليه إلا أن يعيش عارياً متخذاً من السماء والهواء كساء له.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الجينية ثورة على الهندوسية مستنكرة آلهتها وطبقاتها، لكنها لم تستطع أن تتحرر من طابعها العام ومن سماتها البارزة، فاتخذت لنفسها آلهة(*) خاصة بها.

● الفكر الجيني يقوم أصلاً على أفكار هندوسية كالانطلاق، والكارما، والنجاة، والتناسخ وتكرار المولد، والدعوة إلى السلبية مع صبغ هذه المفاهيم بالصبغة الجينية وتطويرها لتلائم المعتقد الجيني.

● تَدَّعي الجينية بأن فلسفتها ترجع إلى الجيني الأول الذي كان حيًّا في التاريخ البعيد، وإلى جيناتها الذين تتابعوا واحداً إثر الآخر حتى كان الجيني الثالث والعشرون بارسواناث، والرابع والعشرون مهافيرا الذي استقرت على يديه معالم هذه الديانة التي تشكلت خلال مرحلة طويلة من الزمن.

● كان ظهورها مواكباً لظهور البوذية، وكلتاهما ثورتان داخل الفكر الهندوسي.

● يعتقد بأن النصرانية قد أخذت عن الجينية فكرة الصيام عن كل ما فيه حياة، إذ إنهم يصومون عن اللحوم وعن جميع المشتقات الحيوانية لأيام معدودة ويعيشون خلال ذلك على الأطعمة النباتية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

لم تخرج الجينية من الهند، فمعابدهم منتشرة في كلكتا ودلوارا، ولهم معابد في كهجورا وجبل آبو، وهي تعدُّ من عجائب الدنيا زينة وزخرفة، وفي القرن الثاني قبل الميلاد نحتوا كهفهم العظيم المسمى هاتي كنبا في منطقة إدريسه، ولهم كهوف أخرى منتشرة في أنحاء الهند مما يدل على براعتهم في نحت التماثيل، ورسوخ قدمهم في فن معمار المعابد وزخرفتها وتزيينها بالنقوش العجيبة. يبلغ تعدادهم الحالي حوالي المليون نسمة يعملون في التجارة وإقراض البنوك، فمعظمهم من الأغنياء مما ساعدهم على نشر الكتب والتأثير على الثقافة الهندية.

ويتضح مما سبق:

أن الجينية حركة(*) عقلية متحررة مطبوعة بطابع الذهن الهندوسي العام، فمنشؤها الزهد والتقشف، وطريقتها الرياضة الشاقة، ومظهرها الرهبانية، وهم لايعترفون بآلهة الهندوس، ويعيشون شبه عراة، معرضين أجسامهم لظواهر الطبيعة، وأحياناً يلجأون إلى قطع الروابط بالحياة عن طريق الانتحار، ويعتبرونه غاية لا تتاح إلا للخاصة من الرهبان.

مراجع للتوسع:

- **حضارة الهند**، غوستاف لوبون.
- **مهافيرا**: مؤسس الجينية، ثقافة الهند ـ ديسمبر ١٩٥١ م.
- **الفلسفة الجينية**، محي الدين الألوائي.
- **تاريخ الإسلام في الهند**، عبد المنعم النمر.
- **فلسفة الهند القديمة**، مولانا محمد عبد السلام الرامبوري.
- **أديان الهند الكبرى**، د. أحمد شلبي ـ ط ٦ ـ النهضة المصرية.
- **حقائق عن الهند**، منشورات إدارة الاستعلامات الهندي.
- **أديان العالم الكبرى**، حبيب سعيد.
- **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**، العميد عبد الرزاق محمد أسود.

المراجع الأجنبية:

- H.G. Wells: A Short History of the World.
- Berry: Religions of the World.
- History of Budhist Thought: Edward Thomas.
- Weeche and Rylamds: The Peoples and Religions of India.

٩٢ـ الكونفوشيوسية

التعريف:

الكونفوشيوسية ديانة(*) أهل الصين، وهي ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مضيفاً إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم. وهي تقوم على عبادة إلٰه(*) السماء أو الإلٰه الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **كونفوشيوس:**

ـ يعد كونفوشيوس المؤسس الحقيقي لهذه العقيدة الصينية.

ـ ولد سنة ٥٥١ ق. م في مدينة تسو Tsou وهي إحدى مدن مقاطعة لو Lu.

ـ اسمه كونج Kung وهو اسم القبيلة التي ينتمي إليها، وفوتس Futze معناه الرئيس أو الفيلسوف، فهو بذلك رئيس كونج أو فيلسوفها.

ـ ينتسب إلى أسرة عريقة، فجدّه كان والياً على تلك الولاية، ووالده كان ضابطاً حربيًّا ممتازاً، وكان هو ثمرة لزواج غير شرعي، توفي والده وله من العمر ثلاث سنوات.

ـ عاش يتيماً، فعمل في الرعي، وتزوج في مقتبل عمره قبل العشرين، ورزق بولد وبنت، لكنه فارق زوجته بعد سنتين من الزواج، لعدم استطاعتها تحمل دقته الشديدة في المأكل والملبس والمشرب.

ـ تلقى علومه الفلسفية على يدي أستاذه الفيلسوف لوتس Laotse صاحب النِّحلة الطاوية، إذ كان يدعو إلى القناعة والتسامح المطلق، ولكن كونفوشيوس خالفه فيما بعد داعياً إلى مقابلة السيئة بمثلها وذلك إحقاقاً للعدل.

ـ عندما بلغ الثانية والعشرين من عمره أنشأ مدرسة لدراسة أصول الفلسفة(*)، تكاثر تلاميذه حتى بلغوا ثلاثة آلاف تلميذ، بينهم حوالي ثمانين شخصاً عليهم أمارات النجابة والذكاء.

ـ تنقل في عدد من الوظائف فقد عمل مستشاراً للأمراء والولاة، وعيّن قاضياً وحاكماً، ووزيراً للعمل، ووزيراً للعدل ورئيساً للوزراء في سنة ٤٩٦ ق.م إذ أقدم حينها على إعدام بعض الوزراء السابقين، وعدد من رجال السياسة وأصحاب الشغب، حتى صارت مقاطعة لو نموذجية في تطبيق الآراء والمبادىء الفلسفية المثالية التي ينادي بها.

ـ رحل بعد ذلك وتنقل بين كثير من البلدان ينصح الحكام ويرشدهم ويتصل بالناس يبث بينهم تعاليمه حاثًّا لهم على الأخلاق(*) القويمة.

ـ أخيراً عاد إلى مقاطعة لو فتفرغ لتدريس أصدقائه ومحبيه منكبًّا على كتب الأقدمين يلخّصها، ويرتبها، ويضمنها بعض أفكاره، وحدث أن مات وحيده الذي بلغ الخمسين من عمره، وفقد كذلك تلميذه المحبّب إليه هووي فبكى عليه بكاءً مرًّا.

ـ مات في سنة ٤٧٩ ق.م بعد أن ترك مذهباً(*) رسميًّا وشعبيًّا استمرّ حتى منتصف القرن العشرين الحالي.

● **صفاته الشخصية:**

ـ دمث، مرح، مؤدّب، يحبّ النكتة، يتأثر لبكاء الآخرين، يبدو قاسياً وغليظاً في بعض الأحيان، طويل، دقيق في المأكل والملبس والمشرب، مولع بالقراءة والبحث والتعلم والتعليم والمعرفة والآداب.

ـ مغرم بالبحث عن منصب سياسي بغية تطبيق مبادئه السياسية والأخلاقية لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها.

ـ خطيب بارع، ومتكلّم مفوّه، لا يميل إلى الثرثرة، وعباراته موجزة تجري مجرى الأمثال القصيرة والحكم البليغة.

ـ لديه شعور ديني، يحترم الآلهة التي كانت معبودة في زمانه، ويداوم على تأدية الشعائر الدينية، يتوجه في عباداته إلى الإله(*) الأعظم أو إله السماء، يصلي صامتاً، ويكره أن يرجو الإله النعمة أو الغفران، إذ إن الصلاة لديه ليست إلا وسيلة لتنظيم سلوك الأفراد، والدّين(*) ـ في نظره ـ أداة لتحقيق التآلف بين الناس.

ـ كان يغني، وينشد، ويعزف الموسيقى، وقد ترك كتاب **الأغاني** Book of Songs كما أنه كان مغرماً بالحفلات والطقوس، إلى جانب اهتمامه بالرماية وقيادة العربات والقراءة والرياضة (الحساب) ودراسة التاريخ.

● انقسمت الكونفوشيوسية إلى اتجاهين:

ـ مذهب(*) متشدد حرفي ويمثله منسيوس، إذ يدعو إلى الاحتفاظ بحرفية آراء كونفوشيوس وتطبيقها بكل دقة، ومنسيوس هذا تلميذ روحي لكونفوشيوس، إذ إنه لم يتلق علومه مباشرة عنه بل إنه أخذها عن حفيده وهو Tsesze الذي قام بتأليف كتاب **الانسجام المركزي** Central Harmony.

ـ والمذهب التحليلي، ويمثله هزنتسي Hsuntse ويانجتسي Yangtse، إذ يقوم مذهبهما على أساس تحليل وتفسير آراء المعلم واستنباط الأفكار باستلهام روح النص الكونفوشيوسي.

● أما أبرز الشخصيات إضافة إلى من سبق فهم:

ـ تسي كنج Tsekung ولد سنة ٥٢٠ م، وأصبح من أعظم رجال السلك السياسي الصيني.

ـ تسي هسيا Tsehsia ولد سنة ٥٠٧ م وأصبح من كبار المتفقهين في الدين الكونفوشيوسي.

ـ تسينكتنز Tsengtse كان أستاذاً لحفيد كونفوشيوس، ويأتي ترتيبه الثاني بعد منسيوس من حيث الأهمية.

ـ تشي هزيوان Chi - Husan عاش في عصر أسرة هان ١٢٧ ـ ٢٠٠ ميلادية.

ـ تشو هزي Cho - Hsi ١١٣٠ ـ ١٢٠٠ ميلادية قام بنشر الكتب الأربعة التي كانت تدرس في المدارس الأولية والابتدائية في الصين، ويعد الحجة الوحيدة.

ـ الفيلسوف موتزي Motze ٤٧٠ ـ ٣٨١ ق.م. أضاف فكرة جديدة وهي تشخيص إله(*) السماء بشخص عظيم يشبه الآدميين.

● في سنة ٤٢٢م أقيم معبد لكونفوشيوس في Chufu حيث قبره.

● في سنة ٥٠٥ م أقيم معبد آخر في العاصمة، وأصبحت كتبه تدرس في المدارس على أنها كتب مقدسة.

● في سنة ٦٣٠ م أمر أحد الأباطرة ببناء معابد مزودة بتماثيل لكونفوشيوس في جميع أنحاء الإمبراطورية، كما أمر بإنشاء كليات لتعليم آراء كونفوشيوس الذي أصبح رمزاً للوحدتين السياسية والدينية.

● في سنة ٧٣٥م منح كونفوشيوس لقب ملك.

● في سنة ١٠١٣ م منح لقب القديس الأعظم.

● في سنة ١٣٣٠ م منح الأفراد المنحدرون من سلالته رتبة الشرف وصاروا يعدّون من طبقة النبلاء.

● في سنة ١٥٣٠ م بدّلت التماثيل الموجودة في المعابد بصور ولوحات حتى لا تختلط الكونفوشيوسية بالوثنية.

● في سنة ١٩٠٥ م بدأ نجم الكونفوشيوسية في الأفول، إذ أُلغي الامتحان الديني الذي كان يعد ضرورياً للتعيين في الوظائف.

● في سنة ١٩١٠ م ظهر مذنب هالي Halley في الأجواء الصينية فاعتبر ذلك استياء من الآلهة(*) على أسرة مانتشو التي بلغ الفساد في عهدها قمته، مما أدى إلى ثورة(*) شعبية انتهت بتنازل الإمبراطور عن العرش سنة ١٩١٢م وتحول الصين إلى النظام الجمهوري(*)، مما أدى إلى اختفاء الكونفوشيوسية من الحياة الدينية والسياسية، لكنها بقيت ماثلة في الأخلاق(*) والتقاليد الصينية.

● في سنة ١٩٢٨م صدر قرار بتحريم تقديم القرابين لكونفوشيوس ومنع إقامة الطقوس الدينية له.

● عندما استولى اليابانيون على منشورياً عادت الصين إلى استنهاض الهمم بالعودة إلى الكونفوشيوسية، وعاد الناس في عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤م إلى تقديم القرابين مرة ثانية، كما أعيد تدريس الكونفوشيوسية في كل مكان لاعتقادهم بأن نكبتهم ترجع إلى إهمالهم تعاليم المعلم الأكبر، وسادت حركة إحياء جديدة بزعامة تشانج كاي شيك، وقد استمرت هذه الحركة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

● في عام ١٩٤٩م سيطرت الشيوعية على الصين، ولكن شيئاً فشيئاً بدأت الخلافات بين الصين والاتحاد السوفيتي في الظهور مما أوجد تبايناً بينهما، وبعد موت الزعيم الصيني الشيوعي الشهير ماو تسي تونج بدأ التراجع عن الشيوعية في الصين، وبدأت رياح الغرب تهب عليها.

● يعتقد الباحثون بأن الروح الكونفوشيوسية ستعمل على تغيير معالم الشيوعية، مما يجعلها أبعد ما تكون عن الشيوعية الروسية التي انهارت، لما للكونفوشيوسية من سيطرة روحية على الشعب الصيني.

الأفكار والمعتقدات:

● الكتب:

ـ هناك مجموعتان أساسيتان تمثلان الفكر الكونفوشيوسي فضلاً عن كثير من الشروح والتعليقات والتلخيصات، المجموعة الأولى تسمى الكتب الخمسة، والثانية تسمى الكتب الأربعة.

ـ الكتب الخمسة: وهي الكتب التي قام كونفوشيوس ذاته بنقلها عن كتب الأقدمين وهي:

١ ـ **كتاب الأغاني أو الشعر**: فيه ٣٥٠ أغنية إلى جانب ستة تواشيح دينية تغنى بمصاحبة الموسيقى.

٢ ـ **كتاب التاريخ**: فيه وثائق تاريخية تعود إلى التاريخ الصيني السحيق.

٣ ـ **كتاب التغييرات**: فيه فلسفة تطور الحوادث الإنسانية، وقد حوّله كونفوشيوس إلى كتاب علمي لدراسة السلوك الإنساني.

٤ ـ **كتاب الربيع والخريف**: كتاب تاريخي يؤرخ للفترة الواقعة بين ٧٢٢ ـ ٤٨١ ق.م.

٥ ـ **كتاب الطقوس**: فيه وصف للطقوس الدينية الصينية القديمة مع معالجة النظام الأساسي لأسرة تشو، تلك الأسرة التي لعبت دوراً مهماً في التاريخ الصيني البعيد.

ـ الكتب الأربعة: وهي الكتب التي ألفها كونفوشيوس وأتباعه مدوِّنين فيها أقوال أستاذهم مع التفسير تارة والتعليق أخرى، إنها تمثل فلسفة كونفوشيوس ذاته وهي:

١ ـ كتاب **الأخلاق**(*) **والسياسة**.

٢ ـ كتاب **الانسجام المركزي** Central Harmony.

٣ ـ كتاب **المنتجات** Analects ويطلق عليه اسم إنجيل كونفوشيوس.

٤ ـ كتاب **منسيوس**: وهو يتألف من سبعة كتب، ومن المحتمل أن يكون مؤلفها منسيوس نفسه.

● **المعتقدات الأساسية**:

ـ تتمثل المعتقدات الأساسية لديهم في الإلٰه(*) أو إلٰه السماء، والملائكة، وأرواح الأجداد.

١ ـ **الإلٰه**:

ـ يعتقدون في الإلٰه الأعظم أو إلٰه السماء ويتوجهون إليه بالعبادة، كما أن عبادته وتقديم القرابين إليه مخصوصة بالملك، أو بأمراء المقاطعات.

ـ للأرض إلٰه، وهو إلٰه الأرض، ويعبده عامة الصينيين.

ـ الشمس والقمر، والكواكب، والسحاب، والجبال.. لكل منها إلٰه وعبادتها

وتقديم القرابين إليها مخصوصة بالأمراء.

٢ ـ **الملائكة**: إنهم يقدسون الملائكة ويقدمون إليها القرابين.

٣ ـ **أرواح الأجداد**: يقدس الصينيون أرواح أجدادهم الأقدمين، ويعتقدون ببقاء الأرواح، والقرابين عبارة عن موائد يدخلون بها السرور على تلك الأرواح بأنواع الموسيقى، ويوجد في كل بيت معبد لأرواح الأموات ولآلهة المنزل.

● **معتقدات وأفكار أخرى**:

ـ لم يكن كونفوشيوس نبيًّا(*)، ولم يدّع هو ذلك، بل يعتقدون أنه من الذين وهبوا تفويض السماء لهم ليقوموا بإرشاد الناس وهدايتهم، فقد كان مداوماً على إقامة الشعائر والطقوس الدينية، وكان يعبد الإله الأعظم والآلهة الأخرى على غير معرفة بهم ودون تثبُّت من حقيقة الآراء الدينية تلك.

ـ كان كونفوشيوس مغرماً بالسعي لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها، وهي مدينة مثالية لكنها تختلف عن مدينة أرسطو الفاضلة، إذ إنّ مدينة كونفوشيوس مثالية في حدود واقعٍ ممكن التحقيق والتطبيق، فيما مدينة أرسطو تجنح إلى مثالية خيالية بعيدة عن مستوى التطبيق البشري القاصر. والفيلسوفان متعاصران.

ـ **الجنة والنار**: لا يعتقدون بهما، ولا يعتقدون بالبعث أصلاً، إذ إنّ همَّهم منصبّ على إصلاح الحياة الدنيا، ولا يسألون عن مصير الأرواح بعد خروجها من الأجساد. وقد سأل تلميذٌ أستاذه كونفوشيوس عن الموت، فقال: «إننا لم ندرس الحياة بعد، فكيف نستطيع أن ندرس الموت».

ـ **الجزاء والثواب**: إنما يكونان في الدنيا، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر.

ـ **القضاء والقدر**(*): يعتقدون بذلك، فإن تكاثرت الآثام والذنوب كان عقاب السماء لهم بالزلازل والبراكين.

ـ **الحاكم ابن للسماء**: فإذا ما قسا وظلم وجانب العدل فإن السماء تسلّط عليه من رعيته من يخلعه ليحلّ محلّه شخص آخر عادل.

ـ **الأخلاق**(*): هي الأمر الأساسي الذي تدعو إليه الكونفوشيوسية، وهي محور الفلسفة(*) وأساس الدين(*)، وهي تسعى إليه بتربية الوازع الداخلي لدى الفرد ليشعر بالانسجام الذي يسيطر على حياته النفسية، مما يخضعها للقوانين الاجتماعية بشكل تلقائي.

ـ تظهر الأخلاق في:

١ ـ إطاعة الوالد والخضوع له.
٢ ـ طاعة الأخ الأصغر لأخيه الأكبر.
٣ ـ إطاعة الحاكم والانقياد إليه.
٤ ـ إخلاص الصديق لأصدقائه.
٥ ـ عدم جرح الآخرين بالكلام أثناء محادثتهم.
٦ ـ أن تكون الأقوال على قدر الأفعال، وكراهية ظهور الشخص بمظهر لا يتفق مع مركزه وحاله.
٧ ـ البعد عن المحسوبية في الوساطة أو المحاباة.

ـ وتظهر أخلاق الحاكم في:
١ ـ احترام الأفراد الجديرين باحترامه.
٢ ـ التودّد إلى من تربطهم به صلة قربى وقيامه بالتزاماته حيالهم.
٣ ـ معاملة وزرائه وموظفيه بالحسنى.
٤ ـ اهتمامه بالصالح العام، مع تشجيعه للفنون النافعة والنهوض بها.
٥ ـ العطف على رعايا الدول الأخرى المقيمين في دولته.
٦ ـ تحقيق الرفاهية لأمراء الإمبراطورية ولعامة أفرادها.

ـ تحترم الكونفوشيوسية العادات والتقاليد الموروثة، فهم محافظون إلى أبعد الحدود، فيقدّسون العلم والأمانة، ويحترمون المعاملة اللينة من غير خضوع ولا استجداء لجبروت.

ـ يقوم المجتمع الكونفوشيوسي على أساس احترام الملكية الفردية، مع ضرورة رسم برنامج إصلاحي يؤدي إلى تنمية روح المحبّة بين الأغنياء والفقراء.

ـ يعترفون بالفوارق بين الطبقات، ويظهر هذا جليًّا حين تأدية الطقوس الدينية، وفي الأعياد الرسمية، وعند تقديم القرابين.

ـ النظام الطبقي لديهم نظام مفتوح، إذ بإمكان أي شخص أن ينتقل من طبقته إلى أية طبقة اجتماعية أخرى، إذا كانت لديه إمكانات تؤهله لذلك.

ـ ليس الإنسان إلا نتيجة لتزاوج القوى السماوية مع القوى الأرضية أي لتقمص الأرواح السماوية في جواهر العناصر الأرضية الخمسة. ومن هنا وجب على الإنسان أن يتمتع بكل شيء في حدود الأخلاق الإنسانية القويمة.

ـ يبنون تفكيرهم على فكرة «العناصر الخمسة»:

١ ـ فتركيب الأشياء: معدن ـ خشب ـ ماء ـ نار ـ تراب.
٢ ـ الأضاحي والقرابين خمسة.
٣ ـ الموسيقى لها خمسة مفاتيح، والألوان الأساسية خمسة.
٤ ـ الجهات خمس: شرق وغرب وشمال وجنوب ووسط.
٥ ـ درجات القرابة خمس: أبوّة ـ أمومة ـ زوجية ـ بنوّة ـ أخوّة.

ـ تلعب الموسيقى دوراً مهماً في حياة الناس الاجتماعية، وتسهم في تنظيم سلوك الأفراد وتعمل على تعويدهم الطاعة والنظام، وتؤدي إلى الانسجام والألفة والإيثار.

ـ الرجل الفاضل هو الذي يقف موقفاً وسطاً بين ذاته المركزية وبين انفعالاته ليصل إلى درجة الاستقرار الكامل.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ترجع الكونفوشيوسية إلى معتقدات الصينيين القدماء، تلك المعتقدات التي ترجع إلى ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد. وقد قبلها كونفوشيوس أولاً، والكونفوشيوسيون ثانياً، دون مناقشة أو جدال(*) أو تمحيص.

● في القرن الرابع قبل الميلاد حدثت إضافة جديدة وهي عبادة النجمة القطبية لاعتقادهم بأنها المحور الذي تدور السماء حوله، ويعتقد الباحثون بأن هذه النزعة قد وفدت إليهم من ديانة بعض سكان حوض البحر المتوسط.

● تغلبت الكونفوشيوسية على النزعة الشيوعية والنزعة الاشتراكية(*) اللتين طرأتا عليها في القرنين السابقين للميلاد وانتصرت عليهما. كما أنها استطاعت أن تصهر البوذية في القالب الكونفوشيوسي الصيني، وتنتج بوذية صينية خاصة متميزة عن البوذية الهندية الأصلية.

● لا تزال المعتقدات الكونفوشيوسية موجودة في عقيدة أكثر الصينيين المعاصرين على الرغم من السيطرة السياسية للشيوعيين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● انتشرت الكونفوشيوسية في الصين.

● منذ عام ١٩٤٩م أبعدت الكونفوشيوسية عن المسرحين السياسي والديني لكنها لا تزال كامنة في روح الشعب الصيني وهذا ما يؤمل أن يؤدي إلى تغيير ملامح الشيوعية الماركسية في الصين.

● لا تزال الكونفوشيوسية ماثلة في النظم الاجتماعية في فرموزا أو (الصين الوطنية).

● انتشرت كذلك في كوريا وفي اليابان إذ درست في الجامعات اليابانية، وهي من الأسس الرئيسة التي تشكل الأخلاق(*) في معظم دول شرق آسيا وجنوبها الشرقي في العصرين الوسيط والحديث.

● حظيت الكونفوشيوسية بتقدير بعض الفلاسفة الغربيين كالفيلسوف ليبنتز (١٦٤٦ـ١٧١٦ م) وبيتر نويل الذي نشر كتاب **كلاسيكيات كونفوشيوس** سنة ١٧١١م. كما ترجمت كتب الكونفوشيوسية إلى معظم اللغات الأوربية.

ويتضح مما سبق:

أن الكونفوشيوسية ليست ديناً(*) سماوياً معروفاً. وقد تتضمن بعض تعاليمها دعوة إلى خلق حميد أو رأي سليم أو سلوك قويم، ولكنها ليست مما يتقرب إلى الله به: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وهي تماثل البوذية والهندوسية وغيرها من الأديان الباطلة.

وعموماً فقد جبَّ الإسلام ما قبله من الأديان(*) ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ٩١]. وللحق فليس هناك ما ينفي أو يثبت ابتعاث رسول معين إلى الشعوب الأخرى، ودعوى ذلك لا تخلو من الحدس والتخمين والقرآن الكريم يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وقد كان المزج المحكم بين الفلسفة الخلقية والتعاليم الدينية على أتم وضوح في الكونفوشيوسية وصاحبها كونفوشيوس الذي لم يكن رسولاً(*) مبعوثاً ولا مدعياً لرسالة.

مراجع للتوسع:

ـ **الحوار**، كونفوشيوس فيلسوف الصين الأكبر، ترجمة محمد مكين ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ ١٣٥٤ هـ.
ـ **كونفوشيوس: النبي الصيني**، د. حسن شحاتة سعفان ـ مكتبة نهضة مصر.
ـ **الملل والنحل** للشهرستاني، الطبعة الثانية ـ دار المعرفة ـ بيروت. انظر الذيل الذي هو من تأليف محمد سيد كيلاني صفحة ١٩.
ـ **محاضرات في مقارنات الأديان**، محمد أبو زهرة ـ مطبعة يوسف ـ مصر.

المراجع أجنبية:

- Lin Yutang: The Wisdom of Confucius, N.Y. 1938.
- K. Wilhelm: Kungte, Leben und Lehre, 1925.
- Kuntse und Konfuzianismus, 1930.
- H.A. Giles: Confucianism and its Rivals, London 1915.
- M.G. Pouthie: Doetrine de confucius, Paris.
- P. Masson - oursel: la philosophieen Orient. 1938.
- Social Philosophers.
- Ch. luan: la philosophie Morale et pollitique de Mencius, 1927.

٩٣ ـ البوذية

التعريف:

هي فلسفة(*) وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني(*)، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألّهوه.

وهي تعد نظاماً أخلاقياً ومذهباً(*) فكرياً مبنياً على نظريات فلسفية، وتعاليمها ليست وحياً(*)، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني. وتختلف البوذية القديمة عن البوذية الجديدة في أن الأولى صبغتها أخلاقية، في حين أن البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطة بآراء فلسفية وقياسات عقلية عن الكون والحياة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا(*) ٥٦٠ ـ ٤٨٠ ق.م وبوذا تعني العالم ويلقب، أيضاً، بسكيا موني ومعناه المعتكف. وقد نشأ بوذا في بلدة على حدود نيبال، وكان أميراً فشبَّ مترفاً في النعيم وتزوج في التاسعة عشرة من عمره، ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته منصرفاً إلى الزهد والتقشُّف والخشونة في المعيشة والتأمل في الكون ورياضة النفس، وعزم على أن يعمل على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات، ثم دعا إلى تبني وجهة نظره حيث تبعه أناس كثيرون.

ـ اجتمع أتباع بوذا بعد وفاته في مؤتمر كبير في قرية راجاجراها عام ٤٨٣ ق.م، لإزالة الخلاف بين أتباع المذهب(*) ولتدوين تعاليم بوذا خشية ضياع أصولها وعهدوا بذلك إلى ثلاثة رهبان(*) هم:

١ ـ كاشيابا، وقد اهتم بالمسائل العقلية.

٢ ـ أويالي، وقد اهتم بقواعد تطهير النفس.

٣ ـ أناندا، وقد دون جميع الأمثال والمحاورات.

الأفكار والمعتقدات:

● يعتقد البوذيون أن بوذا(*) هو ابن الله، وهو المخلّص للبشرية من مآسيها وآلامها، وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم.

● يعتقدون أن تجسد بوذا قد تم بواسطة حلول روح القدس(*) على العذراء مايا.

● ويقولون إنه قد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه نجم بوذا.

● ويقولون، أيضاً، إنه لما ولد بوذا فرحت جنود السماء، ورتلت الملائكة أناشيد المحبة للمولود المبارك.

● وقد قالوا: لقد عرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته. ولم يمض يوم واحد على ولادته حتى حيَّاهُ الناس، وقد قال بوذا لأمه وهو طفل إنه أعظم الناس جميعاً.

● وقالوا: دخل بوذا مرة أحد الهياكل فسجدت له الأصنام. وقد حاول الشيطان إغواءه فلم يفلح.

● ويعتقد البوذيون أن هيئة بوذا قد تغيَّرت في آخر أيامه، وقد نزل عليه نور أحاط برأسه. وأضاء من جسده نور عظيم فقال الذين رأوه: ما هذا بشراً إن هو إلا إله(*) عظيم.

● يصلي البوذيون لبوذا ويعتقدون أنه سيدخلهم الجنة. والصلاة عندهم تؤدى في اجتماعات يحضرها عدد كبير من الأتباع.

● لما مات بوذا قال أتباعه: صعد إلى السماء بجسده بعد أن أكمل مهمته على الأرض.

● يؤمنون برجعة بوذا ثانية إلى الأرض ليعيد السلام والبركة إليها.

● يعتقدون أن بوذا هو الكائن العظيم الواحد الأزلي، وهو عندهم ذاتٌ من نور غير طبيعية، وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم.

● يعتقدون أن بوذا ترك فرائض ملزمة للبشر إلى يوم القيامة، ويقولون إن بوذا أسس مملكة دينية على الأرض.

● قال بعض الباحثين إن بوذا أنكر الألوهية والنفس الإنسانية وأنه كان يقول بالتناسخ(*).

الجانب الأخلاقي في الديانة البوذية:

- في تعاليم بوذا(*) دعوة إلى المحبة والتسامح والتعامل بالحسنى والتصدق على الفقراء وترك الغنى والترف، وحمل النفس على التقشف والخشونة، وفيها تحذير من النساء والمال، وترغيب في البعد عن الزواج.

- يجب على البوذيِّ التقيد بثمانية أمور حتى يتمكن من الانتصار على نفسه وشهواته:

١ ـ الاتجاه الصحيح المستقيم الخالي من سلطان الشهوة واللذة وذلك عند الإقدام على أي عمل.

٢ ـ التفكير الصحيح المستقيم الذي لا يتأثر بالأهواء.

٣ ـ الإشراق(*) الصحيح المستقيم.

٤ ـ الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان إلى ما يقوم به.

٥ ـ مطابقة اللسان لما في القلب.

٦ ـ مطابقة السلوك للقلب واللسان.

٧ ـ الحياة الصحيحة التي يكون قوامها هجر اللذات.

٨ ـ الجهد الصحيح المتجه نحو استقامة الحياة على العلم والحق وترك الملاذ.

- في تعاليم بوذا أن الرذائل ترجع إلى أصول ثلاثة:

١ ـ الاستسلام للملاذ والشهوات.

٢ ـ سوء النية في طلب الأشياء.

٣ ـ الغباء وعدم إدراك الأمور على وجهها الصحيح.

- **من وصايا بوذا:** لا تقض على حياة حي، لا تسرق ولا تغتصب، لا تكذب، لا تتناول مسكراً، لا تزن، لا تأكل طعاماً نضج في غير أوانه، لا ترقص ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء، لا تتخذ طيباً، لا تقتن فراشاً وثيراً، لا تأخذ ذهباً ولا فضة.

● **ينقسم البوذيون إلى قسمين:**

١ ـ **البوذيون المتدينون:** وهؤلاء يأخذون بكل تعاليم بوذا وتوصياته.

٢ ـ **البوذيون المدنيون:** هؤلاء يقتصرون على بعض التعاليم والوصايا فقط.

● الناس في نظر بوذا(*) سواسية لا فضل لأحد إلا بالمعرفة والسيطرة على الشهوات.

- وقد احتفظت البوذية ببعض صورها الأولى في منطقة جنوب آسيا وخاصة في

سيلان وبورما، أما في الشمال وعلى الأخص في الصين واليابان فقد ازدادت تعقيداً وانقسمت إلى مذهبين هما:

١ ـ مذهب ماهايانا (مذهب الشمال) ويدعو إلى تأليه بوذا وعبادته وترسُّم خطاه.

٢ ـ مذهب هنايانا (مذهب الجنوب) وقد حافظ على تعاليم بوذا، ويعتبر أتباع هذا المذهب أن بوذا هو المعلم الأخلاقي العظيم الذي بلغ أعلى درجة من الصفاء الروحي.

ـ وقد عبروا عن بلوغ النفس الكمال الأسمى والسعادة القصوى وانطلاقها من أسر المادة وانعتاقها من ضرورة التناسخ(*) بالنيرفانا(*)، وتعني الخلاص من أسر المعاناة والرغبة، واكتساب صفاء الدين(*) والروح، والتحرر من أسر العبودية واللذة، وانبثاق نور المعرفة عن طريق تعذيب النفس ومقاومة النزعات، مع بذل الجهد والتأمل والتركيز الفكري والروحي، وهو هدف البوذية الأسمى.

● علاقتهم بالمسلمين الآن لا تحمل طابع العداء العنيف، ويمكن أن يكونوا مجالاً خصباً للدّعوة الإسلامية.

● كتب البوذية: كتبهم ليست منزلة، ولا هم يدّعون ذلك، بل هي عباراتٌ منسوبة إلى بوذا أو حكاية لأفعاله سجلها بعض أتباعه، ونصوص تلك الكتب تختلف بسبب انقسام البوذيين، فبوذيو الشمال اشتملت كتبهم على أوهام كثيرة تتعلق ببوذا أما كتب الجنوب فهي أبعد قليلاً عن الخرافات.

ـ تنقسم كتبهم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ مجموعة قوانين البوذية ومسالكها.

٢ ـ مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا(*).

٣ ـ الكتاب الذي يحوي أصل المذهب(*) والفكرة التي نبع منها.

ـ وتعتمد جميع كتبهم على الآراء الفلسفية ومخاطبة الخيال، وتختلف في الصين عنها في الهند؛ لأنها تخضع لتغيرات الفلاسفة.

● شعار البوذية عبارة عن قوس نصف دائري وفي وسطه قائم ثالث على رأسه ما يشبه الوردة، وأمام هذا التمثال صورة مجسمة لجرة الماء، وبجوارها فيل يتربع عليه بوذا في لباسه التقليدي.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ليس هناك ما يثبت أن للبوذية جذوراً فكرية أو عقائدية، إلا أن الناظر في

الديانات الوضعية التي سبقتها أو عاصرتها يجد بينها وبين البوذية شبهاً من بعض الجوانب مثل:

- **الهندوسية**: في القول بالتناسخ(*) والاتجاه نحو التصوف.

- **الكونفوشيوسية**: في الاتجاه إلى الاعتناء بالإنسان وتخليصه من آلامه.

- ينبغي أن يلاحظ التشابه الكبير بينها وبين النصرانية وبخاصة فيما يتعلق بظروف ولادة المسيح(*) وحياته والظروف التي مرّ بها بوذا(*) مما يؤكد تأثر النصرانية بها في كثير من معتقدات هذه الأخيرة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● الديانة(*) البوذية منتشرة بين عدد كبير من الشعوب الآسيوية، إذ يدين بها أكثر من ستمائة مليون نسمة، ولهم معبد ضخم في كاتمندو بالنيبال، وهو عبارة عن مبنى دائري الشكل وتتوسطه قبة كبيرة وعالية وبها رسم لعينين مفتوحتين وجزء من الوجه، ويبلغ قطر المبنى ٤٠ متراً، أما الارتفاع فيزيد على خمسة أدوار مقارنة بالمباني ذات الأدوار، والبوذية مذهبان كما تقدم:

- **المذهب الشمالي**: وكتبه المقدسة مدونة باللغة السنسكريتية، وهو سائد في الصين واليابان والتبت ونيبال وسومطره.

- **المذهب الجنوبي**: وكتبه المقدسة مدونة باللغة البالية، وهو سائد في بورما وسيلان وسيام.

- ويمكن تقسيم انتشار البوذية إلى خمس مراحل:

١ - من مطلع البوذية حتى القرن الأول الميلادي، وقد دفع الملك آسوكا البوذية خارج حدود الهند وسيلان.

٢ - من القرن الأول وحتى القرن الخامس الميلادي، وفيها أخذت البوذية في الانتشار نحو الشرق إلى البنغال ونحو الجنوب الشرقي إلى كمبوديا وفيتنام ونحو الشمال الغربي إلى كشمير، وفي القرن الثالث اتخذت طريقها إلى الصين وأواسط آسيا ومن الصين إلى كوريا.

٣ - من القرن السادس حتى القرن العاشر الميلادي، وفيها انتشرت في اليابان ونيبال والتبت، وتعد من أزهى مراحل انتشار البوذية.

٤ - من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر، وفيها ضعفت البوذية واختفى كثير من آثارها، لعودة النشاط الهندوسي وظهور الإسلام في الهند، فاتجهت

البوذية إلى لاوس ومنغوليا وبورما وسيام.

٥ ـ من القرن السادس عشر وحتى الآن، وفيها تواجه البوذية الفكر الغربي بعد انتشار الاستعمار الأوروبي، وقد اصطدمت البوذية في هذه الفترة بالمسيحية(*)، ثم بالشيوعية بعد أن صار الحكم في أيدي الحكومات الشيوعية.

ويتضح مما سبق:

أن البوذية فلسفة(*) وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية، وقامت على أساس أن بوذا(*) هو ابن الله(*) ومخلص البشرية من مآسيها، وقد قال لأمه وهو طفل إنه أعظم الناس جميعاً، ولما مات بوذا قال أتباعه: إنه صعد إلى السماء بجسده بعد أن أكمل مهمته على الأرض وإنه سيرجع ثانية إلى الأرض ليعيد السلام والبركة إليها، ويقول البعض: إن بوذا أنكر الألوهية والنفس الإنسانية، وأنه كان يقول بالتناسخ(*)، وتعتمد جميع كتب البوذيين على الآراء الفلسفية ومخاطبة الخيال، وتختلف البوذية في الصين عنها في الهند بحسب نظرة الفلاسفة.

مراجع للتوسع:

ـ **الملل والنحل** جـ ٢، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.
ـ **مقارنة الأديان** (الديانات القديمة)، محمد أبو زهرة.
ـ **في العقائد والأديان**، د. محمد جابر عبد العال الحيني.
ـ **المجلة العربية**: مقال للدكتور محمد بن سعد الشويعر.
ـ **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**، للعميد عبد الرزاق أسود.

المراجع الأجنبية:

- Encyclopedia Britannica, Vol. 3,p. 369 - 414 (Press 1979).

٩٤ـ السيخية

التعريف:

السيخ: جماعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي داعين إلى دين(*) جديد، زعموا أن فيه شيئاً من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار «لا هندوس ولا مسلمون». وقد عادَوا المسلمين خلال تاريخهم، وبشكل عنيف، كما عادَوا الهندوس بهدف الحصول على وطن خاص بهم، وذلك مع الاحتفاظ بالولاء(*) الشديد للبريطانيين خلال فترة استعمار الهند. وكلمة سيخ كلمة سنسكريتية تعني المريد أو التابع.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● كابر، ولد من أبوين هندوسيين في بنارس، وعرف عنه نقده لديانة آبائه الهندوسية.

ـ المؤسس ناناك ويدعى غورو أي المعلم، ولد سنة ١٤٦٩ م في قرية ري بوي دي تلفندي التي تبعد ٤٠ ميلاً عن لاهور، كانت نشأته هندوسية تقليدية.

ـ لما شب عمل محاسباً لزعيم أفغاني في سلطانبور، وهناك تعرف على عائلة مسلمة ماردانا كانت تخدم هذا الزعيم. وقد أخذ ينظم الأناشيد الدينية، كما نظّم مقصفاً ليتناول المسلمون والهندوس الطعام فيه.

ـ درس علوم الدين، وتنقل في البلاد، كما قام بزيارة مكة والمدينة، وزار أنحاء العالم المعروفة لديه وتعلم الهندية والسنسكريتية والفارسية.

ـ ادعى أنه رأى الرب حيث أمره بدعوة البشر، ثم اختفى أثناء استحمامه في أحد الجداول، وغاب لمدة ثلاثة أيام ظهر بعدها معلناً «لا هندوس ولا مسلمون».

ـ كان يدّعي حب الإسلام، مشدوداً إلى تربيته وجذوره الهندوسية من ناحية أخرى، مما دفعه لأن يعمل على التقريب بين الديانتين، فكان أن أنشأ ديناً جديداً في القارة الهندية، وبعض الدارسين ينظرون إليه على أنه كان مسلماً في الأصل ثم ابتدع مذهبه(*) هذا.

ـ أنشأ المعبد الأول للسيخ في كارتاربور بالباكستان حاليًا، وقبل وفاته عام ١٥٣٩م عيّن أحد أتباعه خليفة له، وقد دفن في بلدة ديرة باباناناك من أعمال البنجاب الهندية الآن، ولا يزال له ثوب محفوظ فيه مكتوب عليه سورة الفاتحة وبعض السور القصيرة من القرآن.

● خلفه من بعده عشرة خلفاء معلمون آخرهم غوبند سنغ ١٦٧٥ ـ ١٧٠٨م الذي أعلن انتهاء سلسلة المعلمين.

● صار زعماؤهم بعد ذلك يعرفون باسم المهراجا، ومنهم المهراجا رانجيت سنغ المتوفى سنة ١٨٣٩م.

الأفكار والمعتقدات:

● **خلفية فكرية:**

ـ يدعون إلى الاعتقاد بخالق واحد، ويقولون بتحريم عبادة الأصنام، وينادون بالمساواة بين الناس.

ـ يؤكدون على وحدانية الخالق الحي الذي لا يموت، والذي ليس له شكل، ويتعدى أفهام البشر، كما يستعملون عدة أسماء للإله(*) منها واه غورو والجاب، وأفضلها عند ناناك «الخالق الحق» وكل ما عداه وَهْمٌ (مايا).

ـ يمنعون تمثيل الإله في صور، ولا يقرون بعبادة الشمس والأنهار والأشجار التي يعبدها الهندوس، كما لا يهتمون بالتطهر والحج إلى نهر الغانج، وقد انفصلوا تدريجيًّا عن المجتمع الهندوسي حتى صارت لهم شخصية دينية متميزة.

ـ أباح ناناك الخمر، وأكل لحم الخنزير، وقد حرم لحم البقر مجاراة للهنادكة.

ـ أصول الدين(*) لديهم خمسة بانج كهكها أي الكافات الخمس ذلك أنها تبدأ بحرف الكاف باللغة الكورمكية، وهي:

١ ـ ترك الشعر مرسلاً بدون قص من المهد إلى اللحد، وذلك لمنع دخول الغرباء بينهم بقصد التجسس.

٢ ـ أن يلبس الرجل سواراً حديدياً في معصميه بقصد التذلل والاقتداء بالدراويش.

٣ ـ أن يلبس الرجل تباناً وهو أشبه بلباس السباحة تحت السراويل رمزاً للعفة.

٤ ـ أن يضع الرجل مشطاً صغيراً في شعر رأسه، وذلك لتمشيط الشعر وترجيله وتهذيبه.

٥ ـ أن يتمنطق السيخي بحربة صغيرة أو خنجر على الدوام، وذلك لإعطائه قوة واعتداداً، وليدافع به عن نفسه إذا لزم الأمر.

ـ يُعتقد بأن هذه الأمور ليست من وضع ناناك بل هي من وضع الخليفة العاشر غوبند سنغ الذي حرّم، أيضاً، التدخين على أتباعه، ويقصد بهذه الأمور التميز عن جميع الناس.

ـ معلمو السيخ ينكرون المعجزات والقصص والخرافات ذات الأساطير، إلا أنه على

الرغم من ذلك فقد خلَّد السيخ معابد لهم غور دوارا مبنية على قصص تتحدث عن معجزات وقعت.

ـ للمعلم، ويسمى عندهم غورو، درجة دينية تأتي بعد مرحلة الرب، فهو الذي يدل ـ في نظرهم ـ على الحق والصدق، كما أنهم يتعبدون الإلٰه بإنشاد الأناشيد الدينية التي نظمها المعلمون.

ـ يعتقدون بأن ترديد أسماء الإلٰه(*) الناما يطهر المرء من الذنوب، ويقضي على مصادر الشر في النفوس، وإنشاد الأناشيد كيرتا والتأمل بتوجيه من معلم غورو كل هذا يؤدي إلى الاتصال بالإلٰه.

ـ يعتقدون بأن روح كل واحد من المعلمين تنتقل منه إلى المعلم التالي له.

ـ هناك بعض التنبؤات، واسمها ساوساكي المائة قصة، والمنسوبة إلى المعلم غوبند سنغ، والتي تدور حول الانقلابات في الحكم القائم ومجيء مخلص ينشر السيخية في جميع أنحاء العالم.

ـ يؤمنون بولادة الإنسان وموته ثم إعادة ولادته كارما، بحيث تتقرر حياة الإنسان المستقبلية على ضوء حياته السابقة، ويتوقف خلاصه على هذه المرحلة.

ـ إن توجيه المعلم غورو أساسي للوصول إلى مرحلة الانعتاق موكا.

ـ يقدسون العدد خمسة الذي له معنى صوفي في أرض البنجاب أي الأنهار الخمسة.

ـ الخلافات الدينية يحلها مجلس ديني يعقد في أمرتيسار، وقرارات هذا المجلس لها قوة روحية.

ـ ليس لديهم طبقة دينية مشابهة للبراهمة الهندوس، إذ إنهم ـ عموماً ـ يرفضون مبدأ الطبقات الهندوسي كما يعارضون احتكار طبقة البراهمة(*) للتعاليم الدينية.

ـ يقسمون أنفسهم على أساس عرقي. . منهم الجات (قبائل زراعية) وغير الجات، والمذاهبي، وهم المنبوذون، لكن وضعهم أفضل بكثير من وضع المنبوذين لدى الهندوس.

ـ يتزوجون من زوجة واحدة فقط.

ـ أعياد السيخ هي نفس أعياد هندوس الشمال في الهند، بالإضافة إلى عيد مولد أول وآخر غورو، وعيد ذكرى استشهاد الغورو الخامس والتاسع.

● **خالصادال (الباختا):**

ـ تعرض السيخ لاضطهاد المغول الذين أعدموا اثنين من معلميهم، وقد كان أشد المغول عليهم نادر شاه ١٧٣٨ ـ ١٨٣٩م الذي هاجمهم، مما اضطرهم إلى اللجوء إلى الجبال والشعاب.

ـ قام غوبند سنغ وهو المعلم العاشر بإنشاء منظمة الباختا أي خالصادال التي سمى رجالها «أسوداً» ونساءها «لبؤات».

ـ هدف شباب السيخ أن يصبحوا مؤهلين لأن يكونوا من رجال الخالصادال ويطلعوا على تعاليمها.

ـ إن الخالصادال مجموعة من الشباب الذين يرتبطون بنظام سلوكي ديني قاس، إذ ينصرفون إلى الصلاة والقتال من أجل الحق والعدل الذي يعتقدون به ممتنعين عن المخدرات والمسكرات والتبغ.

ـ صاروا بعد عام ١٧٦١م حكاماً للبنجاب، وذلك بعد ضعف المغول، إذ احتلوا لاهور عام ١٧٩٩م. وفي عام ١٨١٩م امتدت دولتهم إلى بلاد الباتان، وقد وصلت إلى ممر خيبر في عهد المهراجا رانجيت سنغ ت ١٨٣٩م متغلبين على الأفغان.

ـ عندما وصل الإنجليز حصلت مصادمات بينهم وبين السيخ، واضطروهم لأن يتراجعوا ويتوقفوا عند نهر سوتلج واعتبار ذلك حدوداً لدولة السيخ من الناحية الجنوبية الشرقية.

ـ انكسروا بعد ذلك وتراجعوا أكثر، وأجبرهم البريطانيون على دفع غرامة كبيرة وتسليم جامو وكشمير، كما عينوا في لاهور مقيماً بريطانياً يدير بقية مملكة السيخ.

ـ صاروا بعد ذلك شديدي الولاء(*) للإنجليز، بل ساعدوهم على احتلال البنجاب.

ـ تحول السيخ إلى أداة في أيدي الإنجليز يضطهدون بهم حركات التمرد ١٨٥٧م.

ـ حصلوا من الإنجليز على امتيازات كثيرة، منها منحهم أراضي زراعية وإيصال الماء إليها عبر قنوات، مما جعلهم في رخاء مادي يمتازون به عن جميع المقيمين في المنطقة.

ـ في الحرب العالمية الأولى كانوا يشكلون أكثر من ٢٠٪ من الجيش الهندي البريطاني.

ـ انضموا إلى حركة غاندي في طلب الحرية(*)، وذلك إثر قيام مشكلات بينهم وبين الإنجليز.

ـ بعد عام ١٩٤٧ م صاروا مقسمين بين دولتين: الهند والباكستان، ثم اضطر مليونان ونصف المليون منهم لأن يغادروا باكستان إلى الهند إثر صدامات بينهم وبين المسلمين.

ـ ألغت الحكومة الهندية الامتيازات التي حصل عليها السيخ من الإنجليز، مما دفعهم إلى المطالبة بولاية النبجاب وطناً لهم.

ـ على إثر المصادمات المستمرة بين الهندوس والسيخ أمرت أنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند في شهر يونيو ١٩٨٤م باقتحام المعبد الذهبي في أمرتيسار، إذ اشتبك الطرفان

وقتل فيه حوالي ١٥٠٠ شخص من السيخ و ٥٠٠ شخص من الجيش الهندي.

ـ وفي يوم ٣١ أكتوبر ١٩٨٤م أقدم السيخ على قتل رئيسة الوزراء هذه انتقاماً لاقتحام المعبد، وقد حصلت مصادمات بين الطرفين عقب الاغتيال قتل بسببها عدة آلاف من السيخ يقدرها بعضهم بحوالي خمسة آلاف شخص.

ـ اشتهر السيخ خلال حكمهم بالعسف والظلم والجور والغلظة على المسلمين، من مثل منعهم من أداء الفرائض الدينية والأذان وبناء المساجد في القرى التي يكونون فيها أكثرية، وذلك فضلاً عن المصادمات المسلحة بينهما، والتي يقتل فيها كثير من المسلمين الأبرياء.

كتبهم:

ـ كتاب **آدي غرانت** وهو مجموعة أناشيد دينية ألفها المعلمون الخمسة الأوائل، وتبلغ نحواً من ٦٠٠٠ نشيد ديني، كما ضم إليها المعلم الأخير غوبند سنغ ١١٥ نشيداً نظمها أبوه تيغ بهادور كما تحتوي على أناشيد نظمها شيوخ من الخالصادال الباختا، وبعض رجال الصوفية المسلمين من مثل ابن الفارض على وجه الخصوص، وبعض شعراء بلاط غورو، وهذا الكتاب هو الكتاب المقدس الذي يعد أساس السلطة الروحية لديهم.

ـ أقدم مصدر عن حياة ناناك كتب بعد وفاته بخمسين إلى ثمانين عاماً، ومعظم علماء السيخ يرفضون عدداً من القصص الواردة فيه.

ـ هناك كتابات تاريخية سيخية ترجع إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

ـ كتاب **راحت ناما** يحتوي على تقاليد الخالصادال وتعاليمهم.

ـ لهم كتاب مقدس مكتوب باللغة الكورمكية يسمونه **كرانته صاحب**.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ترجع حركتهم في الأصل إلى ظهور حركة فيسنافا باختي التي بدأت في الظهور بين الهندوس في منطقة التامل، ووصلت إلى الشمال على يد رامانوجا ١٠٥٠ ـ ١١٣٧م.

● وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وبعد الاحتكاك بالمسلمين، انتشرت هذه الحركة في سهل الغانج.

● لذا يقال بأن ناناك ١٤٦٩ ـ ١٥٣٨م لم يكن الأول في مذهبه(*) السيخي هذا، وإنما سبقه إليه شخص آخر صوفي اسمه كابير ١٤٤٠ـ١٥١٨م درس الدين(*) الإسلامي والهندوكي وكان حركة اتصال بين الدينين، إذ أراد أن يؤلف بينهما عن طريق التوجيه والتأمل الصوفي.

● كان كابير هذا يتساهل في قبول كثير من العقائد الهندوكية ويضمها إلى الإسلام

شريطة بقاء التوحيد أساساً، لكنه لم يفلح إذ انقرض مذهبه بموته مخلفاً مجموعة أشعار باللغة البنجابية تُظهر تمازج العقيدتين المختلفتين الهندوسية والإسلامية مرتبطتين برباط صوفي يجمع بينهما.

● أصل نظريتهم عن الكون مستمدة من النصوص الهندوسية.

● إنهم يحرقون موتاهم كالهندوس.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لهم بلد مقدس يعقدون فيه اجتماعاتهم المهمة، وهي مدينة أمرتيسار من أعمال البنجاب وقد دخلت عند التقسيم في أرض الهند.

● هناك أربعة عروش تتمتع بالقداسة عقل تخت وهي في أمرتيسار، وأناندبور، وباتنا، وباندد.

● لهم في مدينة أمرتيسار أكبر معبد يحجون إليه ويسمى دربار صاحب أي مركز ديوان السيد الملك، وأما سائر المعابد فتسمى كرو داوره أي مركز الأستاذ.

● أكثرية السيخ، وهم الأقلية الثالثة بعد الإسلام والمسيحية(*)، تقطن البنجاب، إذ يعيش فيها ٨٥٪ منهم، فيما تجد الباقي في ولاية هاريانا، وفي دلهي، وفي أنحاء متفرقة من الهند، وقد استقر بعضهم في ماليزيا وسنغافورة وشرق إفريقيا وإنجلترا والولايات المتحدة وكندا، ورحل بعضهم إلى دول الخليج العربي بقصد العمل.

● لهم لجنة تجتمع كل عام منذ سنة ١٩٠٨م، تنشىء المدارس وتعمل على إنشاء كراسي في الجامعات لتدريس ديانة السيخ ونشر تاريخها.

● انشق قسم من السيخ عن الاتجاه العام متبعين ابن ناناك الأكبر، وسموا أدواسي إذ يتجه هؤلاء نحو التصوف، أما الخالصادال فلا يؤمنون بانتهاء سلالة الغورو غوبند سنغ العاشر، بل يعتقدون بأن هنالك معلماً حياً بين الناس لا يزال موجوداً.

● لديهم اعتقاد راسخ بضرورة إيجاد دولة لهم، وأن ذلك أحد أركان الإيمان لديهم إذ ينشدون في نهاية كل عبادة نشيداً يقولون فيه: «سيحكم رجال الخالصادال» كما يحلمون بأن تكون عاصمتهم في شانديغار.

● يقدر عدد السيخ حاليًا بحوالي ١٥ مليون نسمة داخل الهند وخارجها.

ويتضح مما سبق:

أن عقيدة السيخ تعد إحدى حركات الإصلاح الديني التي تأثرت بالإسلام، واندرجت ضمن محاولات التوفيق بين العقائد، ولكنها ضلت الطريق إذ لم تتعرف على الإسلام بما فيه

الكفاية من ناحية، ولأن الأديان(*) ينزل بها الوحي(*) من السماء، ولا مجال لاجتهاد البشر بالتلفيق والتوليف واختيار عناصر العقيدة من هنا وهناك.

مراجع للتوسع:

ـ مجلة الدعوة المصرية، العدد ٩٥ ـ ذو الحجة ١٤٠٤ هـ سبتمبر ١٩٨٤ م.

المراجع الأجنبية :

- Encyclopaedia Britanica, 1974.
- J.D. Cunningham: History of the Sikhs, 2nd ed. (1953).
- M.A. Macauliffe: The Sikh Religion, 6 Vol. (1909).
- Sher Singh: Philosophy of Sikhism (1944).
- Khushwant Singh: A History of the Sikhs, 2 Vol, (1963 - 1966).
- W.H. Ncloed: Guru Nanak and the Sikh Religion (1968).

٩٥ـ المهاريشية

التعريف:

المهاريشية نحلة هندوسية دهرية ملحدة، انتقلت إلى أمريكا وأوربا متخذة ثوباً عصريًّا من الأفكار التي لم تخف حقيقتها الأصلية، وهي تدعو إلى طقوس كهنوتية من التأمل التصاعدي (التجاوزي)؛ بغية تحصيل السعادة الروحية، وهناك دلائل تشير إلى صلتها بالماسونية والصهيونية التي تسعى إلى تحطيم القيم والمثل الدينية، وإشاعة الفوضى الفكرية والعقائدية والأخلاقية بين الناس.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسسها فقير هندوسي لمع نجمه في الستينات واسمه مهاريشي ـ ماهيش ـ يوجي انتقل من الهند؛ ليعيش في أمريكا ناشراً أفكاره بين الشباب الضائع الذي يبحث عن المتعة الروحية بعد أن أنهكته الحياة المادية الصاخبة.

ـ بقي في أمريكا مدة ١٣ سنة إذ التحق بركب نحلته الكثيرون، ومن ثم رحل لينشر فكرته في أوربا وفي مختلف بلدان العالم.

● في عام ١٩٨١م انتسب إلى هذه الفرقة ابن روكفلر عمدة نيويورك السابق، وخصص لها جزءاً من أمواله يدفعها سنويًّا لهذه الحركة، ومعروف انتماء هذه الأسرة اليهودية إلى الحركة الصهيونية والمؤسسات الماسونية.

الأفكار والمعتقدات:

● لا يؤمن أفراد هذه النحلة بالله سبحانه وتعالى، ولا يعرفون إلا المهاريشي إلٰهاً(*) وسيداً للعالم.

● لا يؤمنون بدين(*) من الأديان السماوية، ويكفرون بجميع العقائد والمذاهب(*)، ولا يعرفون التزاماً بعقيدة إلا بالمهاريشية التي تمنحهم الطاقة الروحية ـ على حد زعمهم ـ وهم يرددون: لا رب.. لا دين.

● لا يؤمنون بشيء اسمه الآخرة أو الجنة أو النار أو الحساب.. ولا يهمهم أن يعرفوا مصيرهم بعد الموت لأنهم يقفون عند حدود متع الحياة الدنيا لا غير.

● حقيقتهم الإلحاد(*)، لكنهم يظهرون للناس أهدافاً براقة لتكون ستاراً يخفون بها تلك الحقيقة. فمن ذلك أنهم يدعون إلى التحالف من أجل المعرفة أو علم الذكاء الخلاق ويفسرون ذلك على النحو التالي:

ـ **علم**: من حيث دعوتهم إلى البحث المنهجي التجريبي.

ـ **الذكاء**: من حيث الصفة الأساسية للوجود متمثلاً في هدف ونظام للتغيير.

ـ **الخلاق**: من حيث الوسائل القوية القادرة على إحداث التغييرات في كل زمان ومكان.

ـ وهم يصلون إلى ذلك عن طريق (التأمل التجاوزي) الذي يأخذ بأيديهم ـ كما يعتقدون ـ إلى إدراك غير محدود.

ـ (التأملات التجاوزية) تتحقق عن طريق الاسترخاء، وإطلاق عنان الفكر والضمير والوجدان حتى يشعر الإنسان منهم براحة عميقة تنساب داخله، ويستمر في حالته الصامتة تلك حتى يجد حلاً للعقبات والمشكلات التي تعترض طريقه، وليحقق بذلك السعادة المنشودة.

ـ يخضع المنتسب للتدريب على هذه التأملات التصاعدية خلال أربع جلسات موزعة على أربعة أيام، وكل جلسة مدتها نصف ساعة.

ـ ينطلق الشخص بعد ذلك ليمارس تأملاته بمفرده على ألا تقل كل جلسة عن عشرين دقيقة صباحاً ومثلها مساءً كل يوم وبانتظام.

ـ من الممكن أن يقوموا بذلك بشكل جماعي، ومن الممكن أن يقوم به عمال في مصنع رغبةً في تجاوز إرهاقات العمل وزيادة الإنتاج.

ـ يحيطون تأملاتهم بجو من الطقوس الكهنوتية، مما يجعلها جذابة للشباب الغربي الغارق في المادة والذي يبحث عما يلبي له أشواقه الروحية.

ـ ينطلقون في الشوارع يقرعون الطبول، وينشدون، دون إحساس بشيء اسمه الخجل أو العيب أو القيم، ويرسلون شعورهم ولحاهم، ولعل بعضهم يكون حليق الرأس على نحو شاذ، وهيئتهم رثة، كل ذلك جذباً للأنظار، وتعبيراً عن تحللهم من كل القيود.

ـ استعاض المهاريشية عن النبوة(*) والوحي(*) بتأملاتهم الذاتية، واستعاضوا عن الله بالراحة النفسية التي يجدونها، وبذلك أسقطوا من اعتبارهم مدلولات النبوة والوحي والألوهية.

● يطلقون العنان لشبابهم وشاباتهم لممارسة كل أنواع الميول الجنسية الشاذة

والمنحرفة، إذ إن ذلك ـ كما يعتقدون ـ يحقق لهم أعلى مستوى من السعادة. وقد وجد بينهم ما يسمى بالبانكرز وما يسمى بالجنس الثالث.

● يدعون شبابهم إلى عدم العمل، وإلى ترك الدراسة، وإلى التخلي عن الارتباط بأرض أو وطن، فلا يوجد لديهم إلا عقيدة المهاريشي، فهي العمل وهي الدراسة وهي الأرض وهي الوطن.

● عدم إلزام النفس بأي قيد يحول بينها وبين ممارسة نوازعها الحيوانية الطبيعية.

● يحثون شبابهم على استخدام المخدرات كالماريجوانا والأفيون، حتى تنطلق نفوسهم من عقالها سابحة في بحر من السعادة الموهومة.

● يلزمون أتباعهم بالطاعة العمياء للمهاريشي وعدم الخضوع إلاّ له، إذ إنه هو الوحيد الذي يمكنه أن يفعل أي شيء.

● يلخصون أهدافهم ومجالات عملهم في سبع نقاط براقة تضفي على حركتهم جوًّا من الروح العلمية الإنسانية العالمية، وهي أهداف لا يكاد يكون لها وجود في أرض الواقع وهي:

١ ـ تطوير كل إمكانات الفرد.

٢ ـ تحسين الإنجازات الحكومية.

٣ ـ تحقيق أعلى مستوى تعليمي.

٤ ـ التخلص من كل المشكلات القديمة للجريمة والشر، ومن كل سلوك يؤدي إلى تعاسة الإنسانية.

٥ ـ زيادة الاستغلال الذكي للبيئة.

٦ ـ تحقيق الطموحات الاقتصادية للفرد والمجتمع.

٧ ـ إحراز هدف روحي للإنسانية.

● أما وسائلهم المعتمدة لتحقيق هذه الأفكار فهي:

١ ـ افتتاح الجامعات في الأرياف والمدن.

٢ ـ نشر دراسات عن علم الذكاء الخلاق، والدعوة إلى تطبيقها على المستوى الفردي والحكومي والتعليمي والاجتماعي وفي مختلف البيئات.

٣ ـ إيجاد تلفزيون ملون عالمي لبث التعاليم من عدة مراكز في العالم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إنها ديانة(*) هندوسية مصبوغة بصبغة عصرية جديدة من الحرية(*) والانطلاق.

● إنها مزيج من اليوغا(*) ومن الرياضات المعروفة عند الهندوس.

● خالطت معتقداتها طقوس صوفية بوذية هندية.

● تأثر مذهبهم بنظرية أفلوطين الإسكندري في الفلسفة الإشراقية.

● إن استشراف الحق عن طريق التأمل الذاتي نظرية قديمة في الفلسفة(*) اليونانية، وقد بعثت هذه النظرية من جديد على يد ماكس ميلر، وهربرت سبنسر، وبرجسون، وديكارت، وجيفونس، وأوجست، وغيرهم.

● كان لفلسفة فرويد ونظريته في التحليل النفسي ولآرائه في الكبت وطرق التخلص منه النصيب الوافر في معتقدات هذه النحلة، التي راحت تبحث عن سعادتها عن طريق الإرواء الجنسي بشتى صوره.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● مؤسسها هندوسي لم يجد له مكاناً في الهند لمضايقة الهندوس له لخوفهم من استقطابه الأتباع بسبب اتباعه سياسة الانفتاح الجنسي.

● انتقل إلى أمريكا وأنشأ جامعة في كاليفورنيا، ومن ثم انتقل إلى أوربا وصار له أتباع فيها، ورحل بحركته إلى أفريقيا ليقيم لها أرضية في ساليسبورغ، ووصلت دعوته إلى الخليج العربي ومصر، إذ يزرع الأتباع هنا وهناك ويتحرك فوق ثروة مالية هائلة.

● وتملك المهاريشية إمكانات مادية رهيبة تدعو إلى التساؤل والاستغراب، وتشير إلى الأيدي الصهيونية والماسونية التي تقف وراءها مستفيدة من تدميرها لأخلاق(*) وقيم الأمم.

● في عام ١٩٧١م أنشأ زعيمهم جامعة كبيرة في كاليفورنيا سماها (جامعة المهاريش العالمية). ويقول بأنه فعل ذلك بعد أن أحس بتقبل مذهبه في أكثر من ٦٠٠ كلية وجامعة في أنحاء العالم.

● وفي عام ١٩٧٤م أُعلن عن قيام الحكومة العالمية لعصر الانبثاق برئاسة مهاريشي - ماهيشي - يوجي ومقرها سويسرا، كما أن لهذه الدولة دستوراً ووزراء وأتباعاً وثروة طائلة واستثمارات في مختلف أنحاء العالم.

● في كانون الأول ١٩٧٨م ادعوا بأن حكومتهم المهاريشية قد أرسلت إلى إسرائيل بعثة من ٤٠٠ محافظ؛ ليقيموا دورة هناك لثلاثمائة رجل حتى تجعل الشعب أكثر اجتماعية وأقل حدة وتوتراً.

● يعد عام ١٩٧٨ م عام السلام لديهم إذ إنهم قد أعلنوا أنه لن تقهر أمة في العالم بعد ذلك. وقد دعوا في ذلك العام إلى عقد مؤتمر في ساليسبورغ لتكوين نظام عدم القهر لأية

أمة، كما أسس فيه المجلس النيابي لعصر الانبثاق.

● كتبهم ومطبوعاتهم تكتب بماء الذهب، وهم يمتلكون أكبر المصانع والعقارات في أوربا، وقد اشتروا قصر برج مونتمور في بريطانيا لتأسيس عاصمتهم الجديدة هناك.

● يحرصون دائماً على اعتبار مؤسستهم مؤسسة خيرية معفاة من الضرائب على الرغم من غناهم الفاحش.

● يخدم مع المهاريشي سبعة آلاف خبير، ويشتري هذا المهاريشي، الفقير أصلاً، عشرات القصور الفارهة فمن أين له ذلك؟

● إن اليهودية قد وجدت فيها خير وسيلة لنشر الانحلال والفوضى بين البشر، فتبنتها ووقفت وراءها مسخرة لها الأموال والصحافة، وعقدت لها المناقشات لطرح نظريتها والدعوة إليها.

● وصل بعضهم إلى دبي وعقدوا اجتماعاً في فندق حياة ريجنسي، يدعون فيها علانية لمذهبهم وقد ألقي القبض على هؤلاء الأشخاص الأربعة الذين قدموا إليها بتأشيرة سياحية ثم أُبعدوا عن البلاد.

● وصل بعضهم إلى الكويت وتقدموا بطلب للحصول على ترخيص لهم باعتبارهم مؤسسة خيرية غير تجارية، وقد نشروا في الصحافة الكويتية أكثر من مقال وبث لهم التلفزيون الكويتي بعض المقابلات قبل أن تتضح أهدافهم الحقيقية.

● نظموا دورة لموظفي وزارة المواصلات في الكويت في فندق هيلتون، وقد دعوا الموظفين أثناء الدورة إلى مراجعة مواريثهم العقائدية والفكرية.

● طُرد المهاريشي من ألمانيا بعد أن ظهر أثره السيىء على الشباب.

● نشرت رابطة العالم الإسلامي في مكة بياناً أوضحت فيه خطر هذا المذهب على الإسلام والمسلمين، مؤكدة ارتباطه بالدوائر الماسونية والصهيونية.

ويتضح مما سبق:

أن المهاريشية دين(*) هندوسي وضعي دهري ملحد، لا يعترف بالآخرة، ويدعو إلى إلغاء العقائد والأديان السابقة كافة، ويطالب بالتخلي عن كل القيود والتعاليم الخلقية، ويسعى لاستقطاب الشباب، وإغراقه في متاهات التأمل التجاوزي والانحلال الجنسي والسقوط فريسة سهلة للمخدرات.

والحقيقة أن المهاريشية ما هي إلا ضلالة جديدة انتهزت فرصة إخفاق النصرانية في احتواء الشباب، وظهور صرعات الهيبيز والخنافس وأبناء الزهور، فتقدمت لتملأ الفراغ،

تحت وهم جلب الراحة النفسية ومطاردة موجات القلق والاضطراب، عن طريق الرياضات الروحية، بعيداً عن طريق الوحي(*) والنبوات(*).

ولا يستبعد أن تكون ذراعاً جديداً للماسونية، ويرى الكثيرون في ماهيش يوغي مؤسس المهاريشية أنه راسبوتين العصر، لطابع الدجل والاستغلال والانحراف الذي يتحلى به.

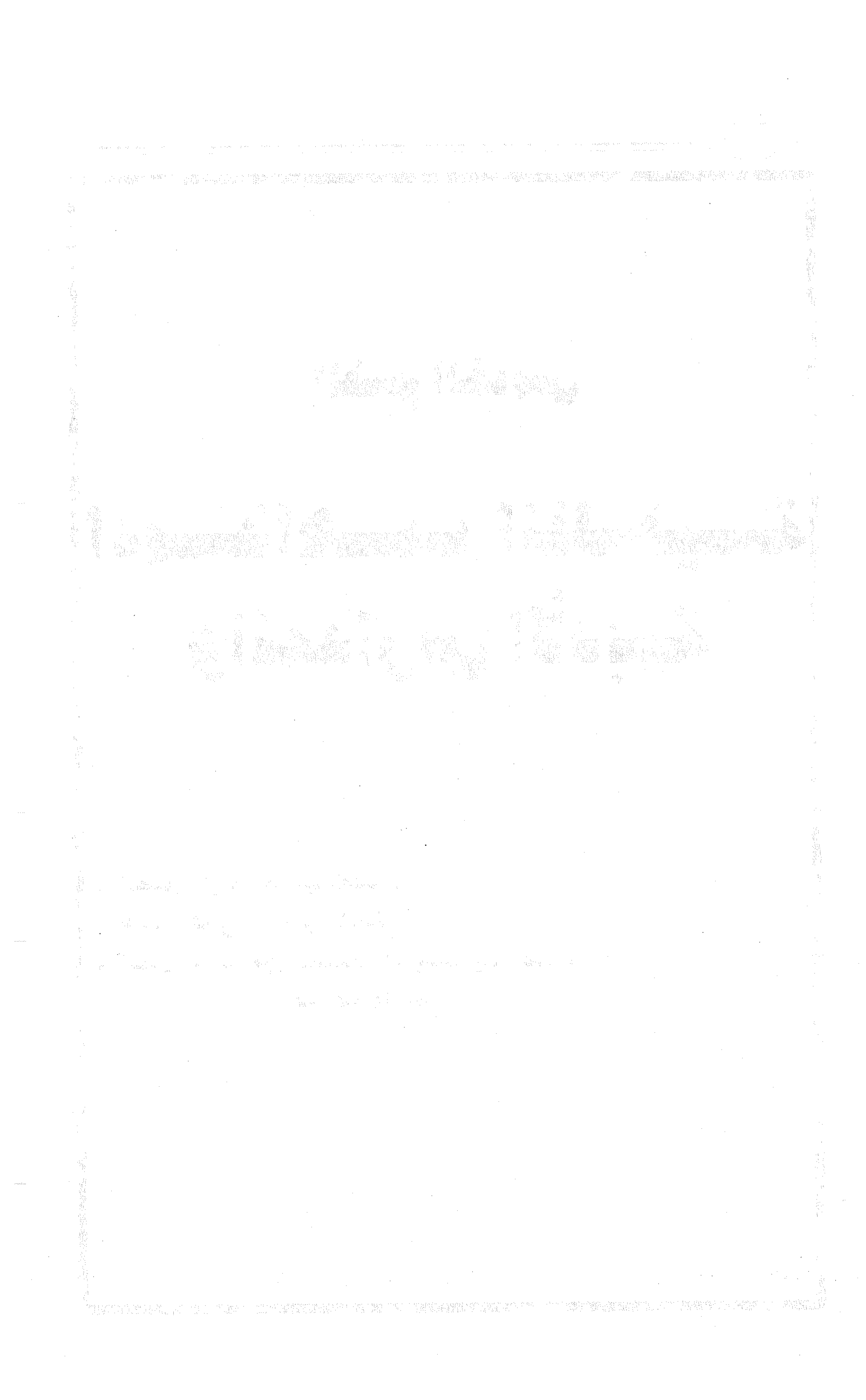
مراجع للتوسع:

- **مجلة المجتمع الكويتية**، العدد ٢٨٦ في ١٠ صفر ١٣٩٦ هـ.
- **مجلة المجتمع الكويتية**، العدد ٢٩٦ في ٢٠ ربيع الآخر ١٣٩٦ هـ/ ٢٠ إبريل ١٩٧٦ م.
- **مجلة المجتمع الكويتية**، العدد ٢٩٩ في مايو ١٩٧٦ م/ جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ.
- **مجلة نيوزويك**، العدد الصادر في ٨ مارس ١٩٧٦ م.
- **مجلة الإصلاح الاجتماعي**، الإمارات ـ شعبان ١٤٠٤ هـ/ مايو ١٩٨٤ م.
- **مجلة الجندي المسلم**، المملكة العربية السعودية ـ العدد ٣٥ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ.

القسم الخامس

المذاهب الفلسفية والمدارس الأدبية

- الفصل الأول: المذاهب الفلسفية .
- الفصل الثاني: المدارس الأدبية .
- الفصل الثالث: من الفلسفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية.



الفصل الأول

المذاهب الفلسفية

● مقدمة عامة ● وحدة الوجود ● اللذة ● الأفلاطونية الحديثة ● العقلانية ● الإنسانية ● الإلحاد ● النفعية ● الوضعية ● المثالية ● الوجودية ● التحليل النفسي (الفرويدية) ● الذرائعية ● الروحية الحديثة

مقدمة عامة

يعج العالم الآن، بركام هائل من ضباب الأفكار التي تحجب عنه الحق، وشتاتٍ متباين من المذاهب الفلسفية التي اختلط فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال والصحيح بالزائف، وتيارات ونحل تغزو الفكر والعقيدة، وبات الإنسان غير قادر على استظهار ما بها من شرور، واستنقاذ نفسه مما تدعو إليه من آثام، كتكريس الإلحاد(*) ونفي العقائد ونبذ الأخلاق(*)، فضلَّ الإنسان صراطه المستقيم، وعاش ضحية جدل(*) مذهبي عقيم، كان هو الشغل الشاغل لأصحاب هذه المذاهب(*).

ولقد نشأت هذه المذاهب بسبب الخواء الروحي الذي عاشه الإنسان بسبب تحريف الأديان السماوية السابقة على الإسلام، وهو التحريف الذي زرع بذور الشك(*) العقدي في نفوس المفكرين فاستجاب عقلهم الباطن لدعاوى الهدم وأصبح مستقراً لعدم اليقين، ومكمناً للاغتراب عن الدين(*).

كما نشأت هذه المذاهب، بسبب الانتكاسة التي أصابت تصور هؤلاء للدين، فلم يعد الدين وضعاً إلهيًّا يرشد إلى الحق في الاعتقاد، والخير في السلوك والإنصاف في المعاملات، على نحو ما يبينه النقل ولا يأباه العقل لتحقيق الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وإنما أصبح الدين عندهم مجرد ارتباط جماعة إنسانية بقوة غيبية لا دليل عليها، فعاد

هؤلاء إلى الأساطير الوثنية(*) عند الرومان واليونان، وغرقوا تبعاً لذلك في فلسفاتهم، ولذا بدأ فيلسوف متدين مثل أمينوس المتوفى سنة ٢٤٢ م يرتد عن المسيحية(*)، ويضع بذرة فلسفة إلحادية، وبدأ ظهور تيارات المذاهب الملحدة في الغرب والشرق، حيث التحلل الكلي من الإلزام العقدي، وتاه الفلاسفة في خضم الحياة، فمنهم من دعا إلى تسييد المادة، ومنهم من قدس الوجود، ومنهم من اهتم بالمثال دون أن يصل إلى حقيقة الله بل نأى عنها، ومنهم من قال بوحدة الوجود. وهكذا بدأت تتيه أقدام الفلاسفة على دروبٍ كلها زيف وخواء روحي.

ويلاحظ المتتبع لهذه المذاهب أنها تكاد تتشابه في جوهر فكرتها الأساسية وهي الدعوة إلى الإلحاد(*)، بوجه عام، ولعل مرد ذلك يكمن في غياب البعد الإيماني وانعدام التوجه الرباني عند أصحاب هذه المذاهب، التي انتقلت إلى العالم العربي والإسلامي إما عن طريق التسرب التلقائي العفوي، القائم أحياناً على حسن النية من جانب المتلقي، وذلك بسبب رغبة بعض البلدان في تقليد دول الغرب التي كانت تحتلها، وإما عن طريق الغزو الفكري المنظم الذي يستهدف استمرار تبعية الشعوب الإسلامية لفكر غيرها ممن لا يدين دينها ولا ينتهج سبيل الحق الذي هداها الله إليه.

ولا شك أن المسلمين بوجه عام، والشباب منهم بوجه خاص، يجب أن يحموا أنفسهم من هذه الفلسفات الملحدة، وأخطارها المحدقة، من خلال الرجوع إلى جوهر العقيدة الإسلامية، التي رسمت الصورة الدقيقة الحقيقية التي أرادها الله للإنسان في هذه الحياة الدنيا. فالعقيدة الإسلامية، هي المعيار الذي يكشف له عن خطر تلك الفلسفات التي ترتفع بالإنسان طوراً فتضفي عليه هالة من التقديس، أو تسفل به أطواراً وتنظر إليه نظرة احتقار وإهانة، أما عقيدة الإسلام فهي العقيدة التي تحرر الإنسان في نفسه من هذا الإفراط وذاك التفريط، وتعترف له بطبيعته البشرية بكل ما لها وما عليها، ففي الإنسان نقائصه وفيه فضائله، والإنسان الفاضل هو الذي يتخلص من رذائله وعيوبه في حدود طاقته، ويستجيب للحق ويعمل به مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، مسلماً أمره لله، مستجيباً لما دعاه إليه محمد ﷺ، وفي إطار ذلك تبدو قيمة الإنسان كمخلوق عاقل لا تجرفه التيارات الإلحادية، أو المذاهب الوثنية(*)، أو فكرة الآلهة المتعددة أو وحدة الوجود، أو الحلول(*)، أو غير ذلك من التصورات القاصرة.

ومن هنا حرصنا على أن تتناول الموسوعة(*) أهم المذاهب الفلسفية المعاصرة، ليرى فيها المسلم ـ من خلال ما تقدم ـ مدى ما تنطوي عليه من تحجيم للعقل(*)، على الرغم من زعمها أنها تكريم لهذا العقل، ومدى ما تغص به من إنكار للحقائق الفطرية ومنها الحقيقة الإيمانية.

ولذا عرضت هذه الموسوعة(*) أولاً لمذهب(*) الإلحاد(*) الذي يقوم على المقولة الباطلة التي تؤكد أن الكون وجد صدفة بلا خالق، ويسير نحو المجهول بلا غاية، وأنه لا وجود لله سبحانه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

كما تناولت الوجودية باعتبارها تياراً فلسفياً يغلو(*) في قيمة الإنسان، ويعتبره حراً حرية مطلقة بحيث لا يحتاج إلى موجه، ومن ثم يكرس هذا التيار الكفر بالله ورسله وكتبه وكل الغيبيات التي جاءت بها الأديان.

وعرضت الموسوعة كذلك للأفلاطونية الجديدة باعتبارها مجموعة من الآراء التي فسر بها بعض المفكرين الملاحدة فكرة الكون والإنسان والحياة من خلال خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية(*) واليهودية والنصرانية والأساطير وغيرها، وهي الأفكار المبنية على فكرة الفيض(*) الذي لا يتحدد بزمان ولا بتاريخ، ولا يتقيد بإرادة ولا ينقطع أبداً، إلى غير ذلك من الأفكار الملحدة.

ولما كانت المثالية مذهباً فلسفيًّا يشتمل على جانب كبير من المذاهب الميتافيزيقية(*)، التي ترى أن العقل هو الحقيقة الوحيدة النهائية وليس المادة، وأن الأرواح هي الفاعل، فقد قدمت الموسوعة فكرة متكاملة عن هذا المذهب.

وتناولت الموسوعة أيضاً مذهباً فلسفيًّا أخلاقيًّا ماديًّا لا دينيًّا هو مذهب الإنسانية أو الهيومانزم الذي يغلب وجهة النظر المادية الدنيوية على كل ما عداها.

وعرضت كذلك لمذهب المنفعة باعتباره مذهباً اجتماعياً أخلاقيًّا ينكر الأديان ويجعل من نفع الفرد والمجتمع معياراً وحيداً للسلوك، ويقول بأن الخير الأسمى هو في تحقيق السعادة لأكبر عدد من الناس بصرف النظر عن أي اعتبار آخر.

وعرضت الموسوعة لمذهب وحدة الوجود الذي يتفق مع كل المذاهب المتقدمة في نفي الدين(*)، ويقول إن الله والطبيعة(*) هما مجرد حقيقة واحدة.

كذلك تناولت الموسوعة مذهب اللذة الذي يرى أن اللذة وحدها هي المطلب الوحيد في هذا الوجود الذي ينبغي السعي إليه والاهتمام به.

وقدمت الموسوعة أيضاً فكرة مبدئية عن مذهب الذرائعية أو البراجماتية، ذلك المذهب الذي يثور ضد كل فكر نظري بعيد عن الواقع وعن الإنسان خاصة، ولا يخدم الإنسان في حياته العملية.

كذلك تناولت الموسوعة(*) بالبيان، المذهب(*) الفلسفي الملحد، المعروف باسم الوضعية الذي يرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية دون

سواها، وينكر هذا المذهب وجود أي معرفة نهائية تتجاوز التجربة.

كما عرضت الموسوعة لمذهب العقلانية الذي يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي(*) الإلهي.

ولما كانت المذاهب الفلسفية وثيقة الصلة بالمدارس النفسية والروحية، فقد عرضت الموسوعة لموضوع الفرويدية التي هي عبارة عن مدرسة للتحليل النفسي، تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسيًّا، وتجعل الجنس هو الدافع إلى كل تصرف، وترى أن القيم والعقائد هي حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي.

وتناولت، أيضاً، الدعوة الهدامة المسماة بالروحية الحديثة، وهي حركة تقوم على الشعوذة، وتدعي استحضار الموتى (تحضير الأرواح)(*) بأساليب علمية، وتهدف بالتالي إلى التشكيك في الأديان والعقائد، وتبشر بدين(*) جديد لا أساس له.

ولقد استعرضنا هذه المذاهب باذلين الوسع في تحري الدقة والموضوعية سعياً وراء الغاية الأم لهذه الموسوعة، والتي تتمثل في إضاءة الطريق أمام القارىء غير المتخصص؛ ليتعرف على ما في الساحة المعاصرة من مبادىء وفلسفات وأفكار، أفرزتها ظروف معينة وشغلت الناس على الرغم من أن معظمها ظاهر الفساد.

سائلين الله تعالى للجميع الفائدة والنفع والهداية.

٩٦ـ وحدة الوجود

التعريف:

● وحدة الوجود مذهب(*) فلسفي لا ديني يقول بأن الله والطبيعة(*) حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته.

ـ ونحن نوضح هذا المذهب لأن آثاره وبعض أفكاره ما زالت مبثوثة في فكر أكثر أهل الطرق الصوفية المنتشرة في العالم العربي والإسلامي، وفي أناشيدهم وأذكارهم وأفكارهم.

ـ والمذهب كما سنرى موجود في الفكر النصراني واليهودي، أيضاً، وقد تأثر المنادون بهذا الفكر من أمثال: ابن عربي، وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني، بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وبالعناصر التي أدخلها إخوان الصفا من إغريقية ونصرانية وفارسية الأصل، ومنها المذهب المانوي والمذهب الرزرادشتي وفلسفة(*) فيلون اليهودي وفلسفة الرواقيين(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات وأهم آرائها:

● إن فكرة وحدة الوجود قديمة جداً، فقد كانت قائمة بشكل جزئي عند اليونانيين القدماء، وهي كذلك في الهندوسية الهندية. وانتقلت الفكرة إلى بعض الغلاة من متصوفة المسلمين من أبرزهم: محي الدين بن عربي وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني. ثم انتشرت في الغرب الأوربي على يد برونو النصراني وسبينوزا اليهودي.

ومن أبرز الشخصيات وأفكارهم:

● **ابن عربي ٥٦٠ هـ ـ ٦٣٨ هـ:**

هو محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد الله العربي، الحاتمي، الطائي، الأندلسي وينتهي نسبه إلى حاتم الطائي، أحدُ مشاهير الصوفية، وعرف بالشيخ الأكبر، ولد في مرسية سنة ٥٦٠ هـ وانتقل إلى أشبيلية، إذ بدأ دراسته التقليدية بها ثم عمل في شبابه كاتباً لعدد من حكام الولايات.

ـ في سن مبكرة وبعد مرض ألم به كان التحول الكبير في حياته، إذ انقلب بعد ذلك زاهداً سائحاً منقطعاً للعبادة والخلوة، ثم قضى بعد ذلك حوالي عشر سنين في مدن الأندلس

المختلفة وشمالي إفريقية بصحبة عدد من شيوخ الصوفية.

ـ في الثلاثين من عمره انتقل إلى تونس، ثم ذهب إلى فاس إذ كتب كتابه المسمى: **الإسراء إلى مقام الأسرى** ثم عاد إلى تونس، ثم سافر شرقاً إلى القاهرة والقدس واتجه جنوباً إلى مكة حاجاً، ولزم البيت الحرام لعدد من السنين، وألف في تلك الفترة كتابه **تاج الرسائل**، **وروح القدس**، ثم بدأ سنة ٥٩٨ هـ في كتابة مؤلفه الضخم **الفتوحات المكية**.

ـ في السنين التالية نجد أن ابن عربي ينتقل بين بلاد الأناضول وسورية والقدس والقاهرة ومكة، ثم ترك بلاد الأناضول ليستقر في دمشق. وقد وجد ملاذاً لدى عائلة ابن الزكي وأفراد من الأسرة الأيوبية الحاكمة، بعد أن وجه إليه الفقهاء سهام النقد والتجريح، بل التكفير(*) والزندقة(*). وفي تلك الفترة ألف كتابه **فصوص الحِكَم**، وأكمل كتابه **الفتوحات المكية**. وتوفي ابن عربي في دار القاضي ابن الزكي سنة ٦٣٨ هـ ودفن بمقبرة العائلة على سفح جبل قسيون.

● مذهبه في وحدة الوجود:

ـ يتلخص مذهب ابن عربي في وحدة الوجود في إنكاره لعالم الظاهر، ولا يعترف بالوجود الحقيقي إلا لله، فالخلق هم ظل للوجود الحق، فلا موجود إلا الله فهو الوجود الحق.

ـ فابن عربي يقرر أنه ليس ثمة فرق بين ما هو خالق وما هو مخلوق، ومن أقواله التي تدل على ذلك:

«سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها».

ـ ويقول مبيناً وحدة الوجود وأن الله يحوي في ذاته كل المخلوقات:

يا خالق الأشياء في نفسه ... أنت لما تخلق جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه ... فيك فأنت الضيق الواسع

ـ ويقول، أيضاً:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا ... وليس خلقاً بذاك الوجه فاذكروا
جمّع وفرّق فإن العين واحدة ... وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذرُ

ـ وبناءً على هذا التصور فليس ثمة خلق ولا موجود من عدم، بل مجرد فيض(*) وتجلٍّ، وما دام الأمر كذلك، فلا مجال للحديث عن علة أو غاية، وإنما يسير العالم وفق ضرورة مطلقة ويخضع لحتمية(*) وجبرية(*) صارمة.

وهذا العالم لا يتكلم فيه عن خير وشر ولا عن قضاء(*) وقدر(*) ولا عن حرية(*) أو

إرادة، ومن ثم لا حساب ولا مسؤولية ولا ثواب ولا عقاب، بل الجميع في نعيم مقيم والفرق بين الجنة والنار إنما هو في المرتبة فقط لا في النوع.

- وقد ذهب ابن عربي إلى تحريف آيات القرآن لتوافق مذهبه(*) ومعتقده، فالعذاب عنده من العذوبة، والريح التي دمرت عاداً هي من الراحة؛ لأنها أراحتهم من أجسامهم المظلمة، وفي هذه الريح عذاب وهو من العذوبة:

- ومما يؤكد على قوله بالجبر(*) الذي هو من نتائج مذهبه الفاسد:

الحكم حكم الجبر والاضطرار ... ما ثم حكم يقتضي الاختيار
إلا الذي يعزى إلينا ففي ... ظاهره بأنه عن خيار
لو فكر الناظر فيه رأى ... بأنه المختار عن اضطرار

- وإذا كان قد ترتب على قول ابن عربي بوحدة الوجود قوله بالجبر ونفي الحساب والثواب والعقاب، فإنه ترتب على مذهبه، أيضاً، قوله بوحدة الأديان(*). فقد أكد ابن عربي على أن من يعبدُ الله ومن يعبد الأحجار والأصنام كلهم سواء؛ لأنهم في الحقيقة ما عبدوا إلا الله إذ ليس ثمة فرق بين خالق ومخلوق.

يقول في ذلك:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

- فمذهب وحدة الوجود الذي قال به ابن عربي يجعل الخالق والمخلوق وحدة واحدة سواء بسواء، وقد ترتب على هذا المذهب نتائج باطلة قال بها ابن عربي وأكدها، وهي قوله بالجبر ونفيه الثواب والعقاب وكذا قوله بوحدة الأديان.

- وقد تابع ابن عربي في القول بوحدة الوجود تلاميذ له أعجبوا بآرائه، وعرضوا لذلك المذهب(*) في أشعارهم وكتبهم من هؤلاء: ابن الفارض وابن سبعين والتلمساني.

● أما ابن الفارض فيؤكد مذهبه في وحدة الوجود في قصيدته المشهورة بالتائية:

لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صلَّت
كلانا مصل عابد ساجد إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي فلم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كل ركعة
وما زلت إياها وإياي لم تزل ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

فهو هنا يصرح بأنه يصلي لنفسه لأن نفسه هي الله. ويبين أنه ينشد ذلك الشعر لا في حال سُكْر(*) الصوفية، بل هو في حالة الصحو(*) فيقول:

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي إن تجلت تجلت

ـ والصوفية معجبون بهذه القصيدة التائية ويسمون صاحبها ابن الفارض بسلطان العاشقين، على الرغم مما يوجد في تلك القصيدة من كفر صريح والعياذ بالله.

● وأما ابن سبعين فمن أقواله الدالة على متابعة ابن عربي في مذهب وحدة الوجود:

قوله: رب مالك، وعبد هالك، وأنتم ذلك الله فقط، والكثرة وهم.

وهنا يؤكد ابن سبعين أن هذه الموجودات ليس لها وجود حقيقي فوجودها وهم وليس ثمة فرق بين الخلق وبين الحق، فالموجودات هي الله!!

● أما التلمساني وهو، كما يقول الإمام ابن تيمية، من أعظم هؤلاء كفراً، وهو أحذقهم في الكفر(*) والزندقة(*). فهو لا يفرق بين الكائنات وخالقها، إنما الكائنات أجزاء منه، وأبعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر، وأجزاء البيت من البيت، ومن ذلك قوله:

البحر لا شك عندي في توحده وإن تعدد بالأمواج والزبد

فلا يغرنك ما شاهدت من صور فالواحد الرب ساري العين في العدد

ـ ويقول، أيضاً:

فما البحر إلا الموج لا شيء غيره وإن فرقته كثرة المتعدد

ـ ومن شعره، أيضاً:

أحن إليه وهو قلبي وهل يرى سواي أخو وجد يحن لقلبه؟

ويحجب طرفي عنه إذ هو ناظري وما بعده إلا لإفراط قربه

ـ فالوجود عند التلمساني واحد، وليس هناك فرق بين الخالق والمخلوق، بل كل المخلوقات إنما هي الله ذاته.

ـ وقد وجد لهذا المذهب(*) الإلحادي(*) صدى في بلاد الغرب، بعد أن انتقل إليها على يد برونو الإيطالي ورَوّج له اسبينوزا اليهودي.

● **جيور وانو برونو ١٥٤٨ ـ ١٦١١م** وهو مفكر إيطالي، درس الفلسفة واللاهوت في أحد الأديرة الدينية، إلا أنه خرج على تعاليم الكنيسة(*) فرمي بالزندقة، وفرّ من إيطاليا، وتنقل طريداً في البلدان الأوربية، وبعد عودته إلى إيطاليا وشي به إلى محاكم التفتيش، فحكم عليه بالموت حرقاً.

● **باروخ سبينوزا ١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م**. وهو فيلسوف هولندي يهودي، هاجر أبواه من البرتغال في فترة الاضطهاد الديني لليهود من قبل النصارى، ودرس الديانة اليهودية والفلسفة كما هي عند ابن ميمون الفيلسوف اليهودي، الذي عاش في الأندلس وعند ابن جبريل، وهو

أيضاً، فيلسوف يهودي عاش في الأندلس كذلك.

ومن أقوال سبينوزا التي تؤكد على مذهبه في وحدة الوجود:

ـ ما في الوجود إلا الله، فالله هو الوجود الحق، ولا وجود معه يماثله لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان متماثلان.

ـ إن قوانين الطبيعة وأوامر الله الخالدة شيء واحد بعينه، وإن كل الأشياء تنشأ من طبيعة الله الخالدة.

ـ الله هو القانون الذي تسير وفقه ظواهر الوجود جميعاً بغير استثناء أو شذوذ.

ـ إن للطبيعة عالماً واحداً هو الطبيعة والله في آن واحد، وليس في هذا العالم مكان لما فوق الطبيعة.

ـ ليس هناك فرق بين العقل(*) كما يمثله الله وبين المادة كما تمثلها الطبيعة(*)، فهما شيء واحد.

● يقول الإمام ابن تيمية بعد أن ذكر كثيراً من أقوال أصحاب مذهب(*) وحدة الوجود «يقولون: إن الوجود واحد، كما يقول ابن عربي ـ صاحب الفتوحات ـ وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني وأمثالهم ـ عليهم من الله ما يستحقونه ـ فإنهم لا يجعلون للخالق سبحانه وجوداً مبايناً لوجود المخلوق. وهو جامع كل شر في العالم، ومبدأ ضلالهم من حيث لم يثبتوا للخالق وجوداً مبايناً لوجود المخلوق، وهم يأخذون من كلام الفلاسفة شيئاً، ومن القول الفاسد من كلام المتصوفة والمتكلمين شيئاً، ومن كلام القرامطة والباطنية(*) شيئاً فيطوفون على أبواب المذاهب ويفوزون بأخسِّ المطالب، ويثنون على ما يذكر من كلام التصوف المخلوط بالفلسفة» (**جامع الرسائل ١ ـ ص ١٦٧**).

● **الجذور الفكرية والعقائدية:**

ـ لقد قال بفكرة وحدة الوجود فلاسفة قدماء: مثل الفيلسوف اليوناني هيراقليطس فالله ـ سبحانه وتعالى ـ عنده نهار وليل، وصيف وشتاء، ووفرة وقلة، جامد وسائل، فهو كالنار المعطرة تسمى باسم العطر الذي يفوح منها.

ـ وقالت بذلك الهندوسية الهندية: إن الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي والروح الإنسانية جزء من الروح العليا، وهي كالآلهة(*) سرمدية غير مخلوقة.

ـ وفي القرن السابع الهجري قال ابن عربي بفكرة وحدة الوجود وقد سبق ذكر أقواله.

ـ وفي القرن السابع عشر الميلادي ظهرت مقولة وحدة الوجود لدى الفيلسوف اليهودي سبينوزا، الذي سبق ذكره، ويرجح أنه اطلع على آراء ابن عربي الأندلسي في وحدة

الوجود عن طريق الفيلسوف اليهودي الأندلسي ابن ميمون.

وقد أعجب سبينوزا بأفكار برونو الإيطالي الذي مات حرقاً على يد محاكم التفتيش، وخاصة تلك الأفكار التي تتعلق بوحدة الوجود. ولقد قال أقوالاً اختلف فيها المفكرون، فمنهم من عدُّوه من أصحاب وحدة الوجود، والبعض نفى عنه هذه الصفة.

- وفي القرن التاسع عشر الميلادي نجد أن مقولة وحدة الوجود قد عادت تتردد على ألسنة بعض الشعراء الغربيين مثل بيرس شلي ١٧٩٢ - ١٨٢٢م فالله سبحانه وتعالى في رأيه - تعالى عما يقول -: «هو هذه البسمة الجميلة على شفتي طفل جميل باسم، وهو هذه النسائم العليلة التي تنعشنا ساعة الأصيل، وهو هذه الإشراقة المتألقة بالنجم الهادي، في ظلمات الليل، وهو هذه الورود اليانعة تتفتح وكأنها ابتسامات شفاه جميلة إنه الجمال أينما وجد..».

- وهكذا فإن لمذهب وحدة الوجود أنصاراً في أمكنة وأزمنة مختلفة.

● **موقف الإسلام من المذهب:**

- الإسلام يؤمن بأن الله جل شأنه خالق الوجود منزَّه عن الاتحاد(*) بمخلوقاته أو الحلول(*) فيها. والكون شيء غير خالقه، ومن ثم فإن هذا المذهب(*) يخالف الإسلام في إنكار وجود الله، والخروج على حدوده، ويخالفه في تأليه المخلوقات وجعل الخالق والمخلوق شيئاً واحداً، ويخالفه في إلغاء المسؤولية الفردية، والتكاليف الشرعية، والانسياق وراء الشهوات البهيمية، ويخالفه في إنكار الجزاء والمسؤولية والبعث والحساب.

- ويرى بعض الدعاة أن وحدة الوجود عنوان آخر للإلحاد(*) في وجود الله، وتعبير ملتوٍ للقول بوجود المادة فقط، وأن هذا المذهب تكأة لكل إباحي يلتمس السبيل إلى نيل شهواته تحت شعار من العقائد، أو ملحد يريد أن يهدم الإسلام بتصيد الشهوات، أو معطل يحاول التخلص من تكاليف الكتاب والسنة.

يتضح مما سبق:

أن هذا المذهب(*) الفلسفي هو مذهب لا ديني، جوهره نفي الذات الإلهية، إذ يوحِّد في الطبيعة بين الله تعالى وبين الطبيعة(*)، على نحو ما ذهب إليه الهندوس أخذاً من فكرة يونانية قديمة، وانتقل إلى بعض غلاة المتصوفة كابن عربي وغيره، وكل هذا مخالف لعقيدة التوحيد في الإسلام، **فالله سبحانه وتعالى منزه عن الاتحاد بمخلوقاته أو الحلول فيها.**

مراجع للتوسع:

- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، مترجمة من الإنجليزية بإشراف زكي نجيب محمود دار القلم بيروت.
- **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، د. أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان ـ بيروت.
- **قصة الفلسفة الحديثة**، أحمد أمين، وآخر، لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة.
- **جامع الرسائل المجموعة الأولى**، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مطبعة المدني ـ القاهرة.
- **المنقذ من الضلال**، دراسة د. عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني بيروت ط. ١٩٧٩م.
- **فصوص الحكم**، ابن عربي.
- **الفتوحات المكية**، ابن عربي.
- **تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، ومعه نقد تائية ابن الفارض**، برهان الدين البقاعي.
- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ابن قيم الجوزية.

المراجع الأجنبية

- History of Philosphy by F.C. Copleston Burns - London 1947.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffding. London 1956.
- Ehtics by B. de Spinosa. tr. Boyle. London 1955.
- Political Works by B. de Spinosa with tr. A. Wornham. O.V.P. Oxford and New York 1958.
- Vindication of metaphysics: A study in the Philosophy of Spinosa by R.L. Saw Macmillan London 1951.

٩٧ـ اللــــذة

التعريف:

● **اللذة**: مذهب(*) غير أخلاقي فلسفي، يرى أن اللذة هي الشيء الخيِّر الوحيد في الوجود.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● اللذة مذهب قديم جديد في الوقت نفسه، فهو قد تأسس بالفعل في العهد اليوناني القديم، وظهر بثوبه الجديد في مذهب المنفعة الذي نادى به فلاسفة أوربا في الوقت الحاضر..

ومن أبرز شخصياته القديمة والجديدة:

● الفيلسوف أبيقور اليوناني ٣٤٣ ـ ٢٧٠ ق.م، ولد في أثينا في اليونان، وقد اختلف الكتَّاب في أفكاره وحياته الخاصة، فبعض الكتَّاب المتأخرين يصف حياته بالحياة المنعمة اللاأخلاقية، إلا أن البعض الآخر يقول بأن كل خطاباته تدل على أنه كان متواضعاً في طعامه، وأن مفهوم اللذة عنده لا يقصد به الإباحية الأخلاقية أو ما شابه ذلك من مفاهيم..

● جيرمي بنتام ١٧٤٨ ـ ١٨٢٣م وهو أول فيلسوف إنجليزي أبرز مذهب اللذة في القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك في كتابه **مقدمة لأصول الأخلاق والتشريع**.

● جون ستيوارت ميل ١٨٠٦ ـ ١٨٧٣م ـ وهو الفيلسوف الإنجليزي الذي نادى باللذة والمنفعة، أيضاً.

● جون لوك ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م وهو فيلسوف إنجليزي. قال بأن فكرة الخير: يجب أن تُعرّف بأنها هي نفسها كلمة اللذة، أو على الأقل تعرف تعريفاً يردها إلى اللذة، وعارض نظرية الحق الإلٰهي، وقال بأن الاختيار هو أساس المعرفة.

الأفكار والمعتقدات:

● يمكن إجمال الأفكار الأساسية لأصحاب مذهب(*) اللذة فيما يلي:

ـ إن اللذة هي وحدها الخير، وهي خير الدوام، ولا توجد اللذة إلا من خلال إقصاء الألم وكل ما يعكر صفو العقل(*). ولا يقصد باللذة لذَّات أصحاب الشهوات الحسية ولا إدمان الشراب.

ـ اللذة نوعان:

١ ـ لذة جسمية تبلغ أوج صورها في الصحة الجسمية الكاملة.

٢ ـ لذة عقلية، وتعني التحرر الكامل من الخوف والقلق.

ـ إن آلام العقل أقسى من آلام البدن التي يمكن تحملها والتي تنتهي لا محالة بالموت، والموت أمر طبيعي لا يوصف بأنه شر ولا بأنه خير كذلك.

ـ لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة سعيدة ما لم يقض هذه الحياة في كل ما هو فاضل بالفعل، والحياة الفاضلة هي مصدر اللذة، لأن الإنسان يقضيها في تحصيل العلم أساساً.

ـ اللذة هي الشيء الوحيد الذي «هو خير في ذاته». والألم هو الشيء الوحيد الذي هو «شر في ذاته»، والسعادة تشمل اللذة والتخلص من الألم، وإن رجحان كفة اللذة يعني صيرورة حياة الإنسان مصدراً للمزيد من اللذة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ـ إن كلمة Hedonism مشتقة من الكلمة اليونانية Hoedone ومعناها: "«اللذة» الحسية الدنيوية، وهي وحدها أساس اهتمام الفلاسفة الذين نادوا بها.

ـ فأبيقور كان فيلسوفاً عمليًا، إذ لم يهتم بالفلسفة النظرية التي كان معاصروه يهتمون بها.. فتوجه إلى البحث عن سر السعادة البشرية لاسيما أن الحياة اليونانية الوثنية(*) لا تهتم بالحياة الآخرة، وليس فيها أية قوانين خلقية روحية. وقد وجد أبيقور سر السعادة في اللذة، التي لا تعني إلا الخير.. ولذا فقد أساء البعض فهم اللذة عند أبيقور عندما تصوروا أنه لا يدعو إلا إلى اللذة الحسية.

ـ أما الفلاسفة المحدثون أمثال بنتام ولوك وميل الذين قالوا بالمنفعة، فهم من الفلاسفة الماديين الحسيين.. ولذا فإن قولهم بمذهب المنفعة(*)، لا يعني سوى المنفعة المادية الحسية.

يتضح مما سبق:

أن اللذة مذهب(*) غير أخلاقي فلسفي يرى أن اللذة هي الشيء الخيِّر الوحيد في الوجود، واللذة إما أن تكون جسمية وإما أن تكون عقلية، وإذا كانت آلام العقل أقسى من آلام البدن، فإن الإنسان يجب أن يحيا حياة فاضلة حتى يستشعر اللذة، لأن رجحان كفة اللذة التي هي مبعث السعادة، يعني صيرورة حياة الإنسان مصدراً للمزيد من اللذة.

مراجع للتوسع:

- الموسوعة الفلسفية المختصرة، مترجمة عن الإنكليزية.. دار القلم - بيروت.
- قصة الفلسفة الحديثة، أحمد أمين وآخر - لجنة التأليف والنشر - القاهرة - ١٩٧٨م.
- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي - مكتبة لبنان - بيروت.

المراجع الأجنبية :

- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns - London 1947.
- Ebficurus and his gods Y.A.J. Festugire tre. C.W. Chilton, Oxford 1955.
- Bentham, ed. W. Harrison Blackwell, Oxford and Macmillan, New York 1948.
- Two treatises of Government by J. Locke ed T. Cook, Hafner, London 1956.
- J. Looke by D.J. O'Connor, London 1952.

٩٨ ـ الأفلاطونية الحديثة

التعريف:

● الأفلاطونية الجديدة تسمية حديثة لآراء مجموعة من الفلاسفة والمفكرين الملاحدة تمتد من ٢٥٠ ق.م وحتى ٥٥٠م، وهذه الآراء تحاول إعطاء تفسير للكون والإنسان والحياة، لتلبية طموح الإنسان من النواحي الدينية والأخلاقية والعقلية. وهي تختلف اختلافاً جوهريًّا عن آراء أفلاطون اليوناني: إذ إنها تؤمن بإلٰه(*) مفارق للكون. وهذا الإلٰه يفيض(*) عنه الكون والوجود كله بما فيه من مخلوقات.

ـ والأفلاطونية الجديدة أثّرت كثيراً ـ في طور أحدث ـ بأفكار بعض الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا وغيره، ولا تزال تؤثر في كثير من الطرق الصوفية في العالم الإسلامي.. ومن هنا كان اهتمامنا بتوضيحها للقارىء المسلم.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تأسست الأفلاطونية الجديدة في مدينة الإسكندرية على يد أفلوطين ٢٠٥ ـ ٢٧٠م الذي درس الفلسفة(*) اليونانية واطلع على الديانات القديمة والأساطير والسحر والشعوذة.. وكتب كتابات كثيرة في مذهبه الذي سنوضح أفكاره لاحقاً.

● ثم جاء فرفرويوس ٢٣٤ ـ ٣٠٥م ونشر كتابات أفلوطين وهاجم النصرانية بكتابه **ضد المسيحيين** وله عدة مؤلفات أخرى.

● ثم أتى مبليخوس، توفي عام ٣٣٠م، الذي ألف عدة رسائل فلسفية، منها **أسرار مصرية** وهي تفسير فلسفي لطقوس مصر وتعاليمها الدينية قبل الإسلام.

● وجاء أبرقلس ٤١٠ ـ ٤٨٥م الرجل المدرسي في الأفلاطونية الجديدة الذي عرض المذهب في مؤلفين: **مبادىء اللاهوت، ولاهوت أفلاطون.**

● أما أوغسطين ٣٥٤ ـ ٤٤٠م القديس الذي ولد في الجزائر من أم نصرانية وأب وثني، فقد انتسب إلى الأفلاطونية الجديدة، وقارن بينها وبين النصرانية، وقال بأن النصرانية هي الفلسفة الحقة!!

الأفكار والمعتقدات:

● الأفلاطونية الجديدة خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية(*) واليهودية والنصرانية، والأساطير، وغيرها.

● تدعو الأفلاطونية إلى إلٰه(*) تفيض عنه الأشياء جميعاً بحيث لا تنفصل عنه،

فيضاً لا يتحدد بزمن أو تاريخ ولا يتقيد بإرادة ولا ينقطع، وهذا الفيض(*) لا ينقص مصدره، بل يظل كاملاً غير منقوص.

● وهذا الإله المبدأ الأسمى للوجود يطلق عليه واحد غير محدد، بسيط لا كَيف له، وهو الخير المطلق عندهم.

● عملية الفيض الأزلية تبدأ أولاً بالعقل(*) أو الروح، ثم النفس ثم الواقع الحسي في الزمان والمكان.

● عملية الفيض دقيقة موزونة بحيث لا تترك نقصاً أو ثغرات في الكون، أما النقص الذي في الإنسان أو الشر فهو ناتج عن ابتعاد الإنسان عن الخير أو عن الألوهية، وينتج عن ذلك الشوق إلى العودة إلى الله.

● الألوهية لا يمكن الوصول إليها عن طريق العقل، لأنه قاصر عن ذلك وإنما يمكن الوصول إليها عن طرق نوع آخر من المعرفة، لا يتوصل إليها إلا بعد القضاء على نوازع الجسم المادي، والتطهير، ثم الفناء(*) في الواحد، وهذه هي حالة الوجد أو النشوة التي يطمح أن يصل إليها الإنسان.

تأثير هذه الأفكار والمعتقدات:

● أثرت الأفلاطونية الجديدة في تفكير كثير من الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا والفارابي وغيرهما، وأخذوا عنها نظرية الفيض الإلهي، التي تدعي أن العالم يجيء صدوراً عن الله في صورة فيض، فمرتبة تفيض عن مرتبة.. وهكذا حتى تصل إلى أدنى المراتب.

ـ وأثرت الأفلاطونية الجديدة في التصوف الإسلامي، أيضاً، وخاصة في أولئك المتصوفة المتأثرين بالفلسفة(*).. ثم فشا تأثيرها في طرق التصوف. وخاصة فيما يتعلق بعملية التطهير أو التزكية للوصول إلى المعرفة الكاملة أو الإيمان الكامل، وهو سعي الإنسان جاهداً للوصول إلى المصدر الذي صدر عنه والفناء فيه، وما يحتاج إليه ذلك من مجاهدة شديدة الصلابة لإماتة نوازع الجسد المفطور عليها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● أخذت الأفلاطونية الجديدة من أفلاطون خيالاته في عالم المثل، ومن أرسطو تساؤلاته عن المعاني الكلية وهل لها وجود مستقل؟ ومن الرواقيين(*) السمو الخلقي والترقي الروحي، ومن النصرانية تأثيراتها الروحية والخلقية، ومن البوذية مسألة التطهير والتزكية والفناء(*) في المصدر الأول.

ـ إلا أن ما جاء به أفلوطين من أفكار وآراء حول عملية الفيض(*) أو الصدور عن الله يعد جديداً في بابه كما يرى كثير من المفكرين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تأسست الأفلاطونية الجديدة في الإسكندرية، وانتشرت في الفكر الأوربي اللاهوتي كله والفكر الصوفي النصراني والإسلامي.

● ولا شك أن هذه الآراء مرفوضة من وجهة النظر الإسلامية، وقد أبان مفكرو الإسلام تهافتها من أكثر من وجه.

ويتضح مما سبق: أن الأفلاطونية الجديدة، هي خلاصة آراء بعض الفلاسفة الملحدين، وهي خليط من الأفكار والفلسفات والمعتقدات الوثنية(*) واليهودية والنصرانية والأساطير وغيرها، تقول بوجود إلٰه(*) «هو المبدأ الأسمى للوجود، بسيط لا نظير له، وهو الخير المطلق عند أتباعها، وهذا الإلٰه تفيض عنه الأشياء جميعاً ولا تنفصل عنه، والعقل(*) هو الأساس الوحيد لإدراك حقيقة الألوهية التي لا يمكن الوصول إليها عن طريق نوع آخر من أنواع المعرفة». ولا شك أن هذه الآراء مرفوضة من وجهة النظر الإسلامية وقد أبان مفكرو الإسلام تهافتها من أكثر من وجه.

مراجع للتوسع:

ـ **تهافت الفلاسفة**، لأبي حامد الغزالي.

ـ **الإشارات والتنبيهات**، لابن سينا.

ـ **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، د. علي سامي النشار.

ـ **الأفلاطونية المحدثة عند العرب**، د. عبد الرحمٰن بدوي.

المراجع الأجنبية:

- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns, London 1947.

- The Phillosophy of Plotinus by W.R. Inge Logmans. London and New York, rev. ed. 1948.

- The Architecture of the Intelligible Universe in the Philosophy of Plotinus by A.H. Armstrong. C.U.P. Cambridge 1940.

- Complete English Translation by S. Mackenma rev. B.S. page Warner, London 1917 - 30.

- Saint Augustine by II. Marron. Longmans. London 1957.

- Avicenna on Theology by A.J. Arberry. Murray. London 1951.

٩٩ـ العقلانية

التعريف:

العقلانية مذهب(*) فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي(*) الإلٰهي أو التجربة البشرية، وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل(*) لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.

ويحاول المذهب إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدها من التجربة العملية الحياتية، أي أن الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد.

ـ التأسيس وأبرز الشخصيات:

● العقلانية مذهب قديم جديد في الوقت نفسه. برز في الفلسفة(*) اليونانية على يد سقراط وأرسطو، وبرز في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي فلاسفة، أثَّروا كثيراً في الفكر البشري أمثال: ديكارت وليبنتز وسبينوزا وغيرهم.

ـ رينيه ديكارت ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م فيلسوف فرنسي اعتمد المنهج(*) العقلي لإثبات الوجود عامة ووجود الله على وجه أخص، وذلك من مقدمة واحدة عُدت من الناحية العقلية غير قابلة للشك(*) وهي: «أنا أفكر فأنا إذن موجود».

ـ ليبنتز: ١٦٤٦ ـ ١٧١٦م فيلسوف ألماني، قال بأن كل موجود حي وليس بين الموجودات مِنْ تفاوت في الحياة إلا بالدرجة ـ درجة تميز الإدراك ـ والدرجات أربع: مطلق الحي أي ما يسمى جماداً، والنبات فالحيوان فالإنسان.

● وفي المجتمع الإسلامي نجد المعتزلة تقترب من العقلانية جزئيًّا، إذ اعتمدوا على العقل(*) وجعلوه أساس تفكيرهم، ودفعهم هذا المنهج إلى تأويل(*) النصوص من الكتاب والسنة التي تخالف رأيهم. ولعل أهم مقولة لهم قولهم بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح، ولو لم يرد بها شيء. ونقل المعتزلة الدين(*) إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية، وذلك لتأثرهم بالفلسفة(*) اليونانية.

ـ وقد فنَّد علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل، ثم جاء بعد ذلك ابن تيمية وردَّ عليهم رداً قويًّا في كتابه **درء تعارض العقل والنقل**، وبيّن أن صريح العقل(*) لا يمكن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل. وهناك من يحاول اليوم إحياء فكرهم

إذ يعدونهم أهل الحرية الفكرية في الإسلام، ولا يخفى ما وراء هذه الدعوة من حرب على العقيدة الإسلامية الصحيحة، وإن لبست ثوب التجديد(*) في الإسلام أحياناً.

العقائد والأفكار:

● تعتمد العقلانية على عدد من المبادىء الأساسية هي:

- العقل لا الوحي(*) هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود.

- يمكن الوصول إلى المعرفة عن طريق الاستدلال العقلي، وبدون لجوء إلى أية مقدمات تجريبية.

- عدم الإيمان بالمعجزات(*) أو خوارق العادات.

- العقائد الدينية ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● كانت العقلانية اليونانية لوناً من عبادة العقل وتأليهه وإعطائه حجماً أكبر بكثير من حقيقته. كما كانت في الوقت نفسه لوناً من تحويل الوجود إلى قضايا تجريدية.

● وفي القرون الوسطى سيطرت الكنيسة(*) على الفلسفة الأوربية، حيث سخَّرت العقل لإخراج تحريفها للوحي(*) الإلٰهي في فلسفة عقلية مسلَّمة لا يقبل مناقشتها.

- وفي ظل الإرهاب الفكري الذي مارسته الكنيسة انكمش نشاط العقل الأوربي، وانحصر فيما تمليه الكنيسة والمجامع المقدسة، واستمرت على ذلك عشرة قرون.

● وفي عصر النهضة(*)، ونتيجة احتكاك أوربا بالمسلمين - في الحروب الصليبية والاتصال بمراكز الثقافة في الأندلس وصقلية والشمال الإفريقي - أصبح العقل الأوربي في شوق شديد لاسترداد حريته في التفكير، ولكنه عاد إلى الجاهلية(*) الإغريقية، ونفر من الدين(*) الكنسي، وسخَّر العقل(*) للبعد عن الله، وأصبح التفكير الحر معناه الإلحاد(*)، وذلك أن التفكير الديني معناه عندهم الخضوع للقيد الذي قيدت به الكنيسة العقل، وحجرت عليه أن يفكر.

يتضح مما سبق:

أن العقلانية مذهب(*) فكري فلسفي يزعم أن الاستدلال العقلي هو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود، بدون الاستناد إلى الوحي(*) الإلٰهي أو التجربة البشرية، وأنه لا مجال للإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات، كما أن العقائد الدينية يمكن، بل ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي، وهنا تكمن علله التي تجعله مناوئاً ليس فقط للفكر الإسلامي، بل، أيضاً، لكل دين سماوي صحيح.

مراجع للتوسع:

- **مذاهب فكرية معاصرة**، محمد قطب، دار الشروق - بيروت ط ١٤٠٧ هـ.
- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، بإشراف د. زكي نجيب محمود دار القلم، بيروت.
- **قصة الفلسفة الحديثة**، أحمد أمين، زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٧٨ م.
- **تاريخ الفلسفة الحديثة**، يوسف كرم، دار المعارف - القاهرة.
- **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بتحقيق د. محمد رشاد سالم.

١٠٠ـ النزعة الإنسانية

التعريف:

النزعة الإنسانية هي اتجاه فكري عام يشترك فيه العديد من المذاهب(*) الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية، ظهرت النزعة الإنسانية في عصر النهضة(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ظهر المذهب الإنساني في إيطاليا في بداية عصر النهضة الأوربية.

ـ وأبجديات النزعة إنما تترجم الانتفاضة التي عبّرت عنها النهضة الأوربية باعتبارها تغيراً في الفكر، نجم عنه تغير في جميع شؤون الحياة. فالإنسان الأول كان مكبلاً بقيود الكنيسة(*) طوال فترة الإظلام الفكري المسماة بالعصور الوسطى، والتي استطالت إلى أكثر من عشرة قرون، إذ كان خلالها مطالباً بالطاعة العمياء لرجال الدين، وكان يُساق كما يساق القطيع، ويكفي أنه من طبيعة فاسدة بسبب الخطيئة الأصلية!! أما المرأة، فهي لا ينبغي أن تُحب لأنها سبب الخطيئة، لذا عزف رجال الدين عن الزواج بها. وإذا سمحوا لغيرهم بالارتباط بها بالزواج فذلك فقط باعتبارها وسيلة للإنجاب واستمرار البشرية. أما الرجال فهم وسيلة أيضاً لتحقيق أهداف الكنيسة، وكل من خرج على هذه الأهداف يواجه الموت حرقاً.

● ومن أسماء الرواد الأوائل للمذهب الإنساني بوجيو وبروني، والمحامي البارز مونتبلشيانو وكلهم عاشوا خلال القرن الخامس عشر الميلادي.

● أراسمس ولد في روتردام سنة ١٤٦٦م، ويعد من أكبر ممثلي المذهب الإنساني من ناحية معرفته بالأدب اليوناني واللاتيني.

● في فرنسا مثل المذهب ستيفانوس وسكاليجر ودوليه.

● ويعد رينيه ديكارت ١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م الفيلسوف الفرنسي من أنصار المذهب الإنساني ولكنه يؤمن بوجود الله تعالى.

● وكذلك سبينوزا ١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م الفيلسوف الهولندي وهو يشبه ديكارت في الاعتقاد.

ـ وكتابات جان جاك روسو ١٧١٢ ـ ١٧٧٨م تحمل الطابع الإنساني.

ـ وجون لوك ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م الفيلسوف الإنجليزي كان إنساني المذهب(*).

ـ والفيلسوف الألماني كانت ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤م في مذهبه الانتقادي كان إنساني المذهب.

ـ والفيلسوف شيلر المتوفى سنة ١٩٣٧م الإنجليزي الألماني الأصل.

ـ والكاتب الفرنسي فرانسيس بوتر، ألف كتاباً بعنوان **المذهب الإنساني بوصفه ديانة جديدة**.

ـ والأديب الإنجليزي ت. س. إليوت ١٨٨٨ ـ ١٩٦٥م يعتبر نفسه من أتباع المذهب الإنساني، وهو من أبرز ممثلي الشعر الحر.

الأفكار والمعتقدات:

● تأكيد الفردية الإنسانية:

ـ في مجال الدين(*): الاستجابة لحكم الفرد الخاص ضد سلطة الكنيسة(*) وتأييد فكرة ظهور الدول القومية.

ـ في مجال الفلسفة(*): تأكيد ديكارت للوعي الفردي عند المفكر وشدة الاعتماد على الفعل وتغليب وجهة النظر المادية الدنيوية.

● قصر الاهتمام الإنساني على المظاهر المادية للإنسان في الزمان والمكان.

● المذهب الإنساني أوحى بالأفكار التحررية لقادة الفكر في عصر النهضة(*) الأوربية ووصل إلى ذروته إبان الثورة(*) الفرنسية.

● الثقة بطبيعة الإنسان وقابليته للكمال، وإمكان حدوث التقدم المستمر.

● تأكيد أن الشرور والنقائض التي اعترضت طريق الإنسان لم يكن سببها الخطيئة كما تقرر النصرانية، وإنما كان سببها النظام الاجتماعي السيىء.

● الدفاع عن حرية(*) الفرد.

● إمكان مجيء العصر السعيد والفردوس الأرضي، ويكون ذلك بالرخاء الاقتصادي، وتحقيق ذلك يكون بتبديد الخرافات والأوهام ونشر التربية العملية.

● وقد نقد الفلاسفة والمفكرون الإنسانية ومن أهم ما جاء في نقدهم:

ـ إن تقدم العلم الحديث لم يصحبه تقدم في قدرة الإنسان على حسن استعمال العلم.

ـ وإن البشر وجهوا اهتماماتهم جميعاً إلى المسائل الدنيوية، ونسوا كل ما يسمو على ذلك وتركزت مطامعهم في الأشياء الزائلة التي يسرها لهم العلم، وحدث من جراء ذلك صدع بين تقدم الإنسان في المعرفة وتقدمه الأخلاقي.

ـ إن الإنسانية تؤكد على زيادة خطر الإسراف في الاعتماد على الآلة، فهذا الإسراف قد يقضي على الأصالة والابتكار.

ـ كما أن الأسس الأخلاقية لا تصلح إلا إذا استندت إلى الاعتقاد بوجود نظام أسمى من النظام الدنيوي، والإيمان بالمبادىء الخالدة المطلقة، أما إذا اقتصرت الآداب على أن تكون خاضعة للمواءمة بين الإنسان وبيئته، كلما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال، فإنها بذلك تفقد قيمتها العامة.

وطريق الخلاص هو رفع الأخلاق(*)، ولا يحدث هذا إلا بإيحاء من الإيمان الديني، أما الآداب العلمانية فلا تمنحنا الخلاص.

ـ إن المذهب الإنساني قدم للإنسانية وعوداً لم يحققها، كما أنه أفقد الناس الشعور بالحقائق الروحية، وجعل الناس عبيداً للقوى المادية(*) العمياء.

ـ إن وجود الشر ينقض أداء المذهب(*) الإنساني لصلاح الإنسان وقابليته للتقدم.

ـ وقد عزا الناقدون إخفاق عصبة الأمم في تسوية المشكلات في العالم وانتشار الفاشية والنازية إلى ظهور المذهب الإنساني.

ـ إن عيوب المدنية الغربية ترجع في الغالب الأعم منها إلى المذهب الإنساني في تياره الإلحادي(*).

ومن أهم الأفكار التي تبنتها النزعة الإنسانية ما يلي:

● يجب على الإنسان أن يبحث دائماً عن معنى وجوده وحياته.

● الحياة في حد ذاتها شيء رائع، ويستحق أن يعيشها الإنسان مهما احتوت على صراعات وتناقضات وآلام.

● على الإنسان أن يواجه الألم ويتسلح بالأمل في الوقت نفسه.

● على الإنسان أن يهتم بالمادة قبل الروح؛ لأنها الشيء الوحيد الذي يستطيع إدراكه والسيطرة عليه.

● إن الطريقة الوحيدة كي يحقق الإنسان إنسانيته هي في التمتع بكل الملذات الجسدية والحسية؛ لأنها الشيء الوحيد الذي يستطيع الإنسان لمسه وإدراكه.

● الإنسانية ترحب بالقومية والوطنية والمحلية، ولكنها تأبى العنصرية؛ لأنها امتهان صارخ لبقية العوامل المشكلة للنسيج الإنساني الشامل، والأدب العنصري ليس سوى جسم غريب في نسيج الأدب الإنساني سرعان ما يلفظه ويأباه.

الجذور الفكرية والعقائدية:

إن الحركة الفكرية التي نشأت في عصر النهضة(*) الأوربية هي الأساس في ظهور الإنسانية. وكان الوقود الذي أشعل هذه الحركة يحتوي على الفكر اليوناني الوثني(*) المعارض للفكر الديني، والآداب اليونانية واللاتينية، ومن هنا كان شعار الإنسانية كلمة الفيلسوف اليوناني القديم «إن الإنسان مقياس للأشياء جميعها»، فضلاً عن انغماس الإنسان في المادة عند بدايته، وحب اكتناز المال والثروات، والاستمتاع بالحياة الزائلة.

أماكن الانتشار:

انتشرت الإنسانية في أوروبا، ثم عمت الغرب والشرق، ومعظم سلبيات المدنية الغربية الحاضرة تعد ثمرة من ثمارها.

ويتضح مما سبق:

أن النزعة الإنسانية هي مذهب(*) فلسفي أدبي مادي لا ديني، يؤكد فردية الإنسان ضد الدين(*)، ويغلب وجهة النظر المادية(*) الدنيوية، وهو من أسس فلسفة(*) كونت الوضعية، وفلسفة بتنام النفعية، وكتابات برتراند راسل الإلحادية(*)، وهذا يعني فشل هذا المذهب على الصعيد العقدي، أما فشله على الصعيد العملي الواقعي المؤثر بصورة ملموسة في أسلوب سلوك الفرد، فدليله أنه منّى الإنسان بأمان كاذبة لم تتحقق على الإطلاق، ونسي أن طريق الخلاص لا يمكن أن يتم إلا من خلال العقائد الدينية. وهذا أمر ينبغي أن يتنبه له المسلم وهو يتعامل مع نتاج هذا المذهب، إذ إن الإسلام قد كرم الإنسان، وتعاليمه كلها إنسانية ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ. . . ﴾ [الإسراء: ٧٠].

مراجع للتوسع:

- **شيلر: من نوابغ الفكر الغربي**، د. عثمان أمين.
- **مجلة عالم الفكر**، المجلد الثاني العدد الثالث ١٩٧٤م. مقال بعنوان الهيومانزم.
- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، ترجمة فؤاد كامل ورفاقه، دار القلم - بيروت.

المراجع الأجنبية:

- Studies in Humanism by F.C.S. Schiller, Macmillan, London, 2nd ed. 1912.
- Humanism: Phillosophical Essays by F.C.S. Schiller, Macmillan. London 1912.
- Essay Concerning Human Understanding by J. Locke ed .R. Wilburn. London 1947.
- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns, London 1947.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffding, London 1956.

١٠١ـ الإلحاد

التعريف:

● الإلحاد(*) هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى:

ـ فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق.

ـ وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه.

ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة، جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● الإلحاد بدعة جديدة لم توجد في القديم إلا في النادر في بعض الأمم والأفراد.

● يعد أتباع العلمانية هم المؤسسين الحقيقيين للإلحاد، ومن هؤلاء: أتباع الشيوعية والوجودية والداروينية.

● الحركة الصهيونية أرادت نشر الإلحاد في الأرض، فنشرت العلمانية لإفساد أمم الأرض بالإلحاد والمادية(*) المفرطة والانسلاخ من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية؛ كي تهدم هذه الأمم نفسها بنفسها، وعندما يخلو الجو لليهود يستطيعون حكم العالم.

● نشر اليهود نظريات ماركس في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ(*) ونظريات فرويد في علم النفس، ونظرية دارون في أصل الأنواع، ونظريات دوركايم في علم الاجتماع، وكل هذه النظريات من أسس الإلحاد في العالم.

● أما انتشار الحركات الإلحادية بين المسلمين في الوقت الحاضر، فقد بدأت بعد سقوط الخلافة(*) الإسلامية.

● صدر كتاب في تركيا عنوانه: **مصطفى كمال** للكاتب قابيل آدم يتضمن مطاعن قبيحة في الأديان وبخاصة الدين الإسلامي. وفيه دعوة صريحة للإلحاد بالدين(*) وإشادة بالعقلية الأوربية.

● إسماعيل أحمد أدهم. حاول نشر الإلحاد في مصر، وألف رسالة بعنوان **لماذا أنا ملحد؟** وطبعها بمطبعة التعاون بالإسكندرية حوالي سنة ١٩٢٦م.

● إسماعيل مظهر أصدر في سنة ١٩٢٨ م **مجلة العصور** في مصر، وكانت قبل توبته تدعو للإلحاد والطعن في العرب والعروبة طعناً قبيحاً. معيداً تاريخ الشعوبية(*)، ومتهماً العقلية العربية بالجمود والانحطاط، ومشيداً بأمجاد بني إسرائيل ونشاطهم وتفوقهم واجتهادهم.

● أسست في مصر سنة ١٩٢٨م جماعة لنشر الإلحاد تحت شعار الأدب، واتخذت دار العصور مقراً لها واسمها رابطة الأدب الجديد، وكان أمين سرها كامل كيلاني.. وقد تاب إلى الله بعد ذلك.

ومن أعلام الإلحاد في العالم:

● أتباع الشيوعية: ويتقدمهم كارل ماركس ١٨١٨ - ١٨٨٣م اليهودي الألماني، وإنجلز ١٨٢٠-١٨٩٥م عالم الاجتماع الألماني والفيلسوف السياسي الذي التقى بماركس في إنجلترا، وأصدرا سوياً **المانيفستو أو البيان الشيوعي** سنة ١٨٤٨م.

● أتباع الوجودية: ويتقدمهم:

- جان بول سارتر.
- وسيمون دوبوفوار.
- وألبير كامي.

● وأتباع الداروينية.

● ومن الفلاسفة والأدباء:

- نيتشه/ فيلسوف ألماني.
- برتراند راسل ١٨٧٢ - ١٩٧٠م فيلسوف إنجليزي.
- هيجل ١٧٧٠ - ١٨٣١م فيلسوف ألماني قامت فلسفته على دراسة التاريخ.
- هربرت سبنسر ١٨٢٠ - ١٩٠٣م إنجليزي كتب في الفلسفة(*) وعلم النفس والأخلاق(*).
- فولتير ١٦٩٤ - ١٧٧٨م أديب فرنسي.

● في سنة ١٩٣٠ م ألف إسماعيل مظهر حزب الفلاح؛ ليكون منبراً للشيوعية والاشتراكية(*). وقد تاب إسماعيل إلى الله بعد أن تعدى مرحلة الشباب وأصبح يكتب عن مزايا الإسلام.

● ومن الشعراء الملاحدة الذين كانوا ينشرون في **مجلة العصور**.

- الشاعر عبد اللطيف ثابت الذي كان يشكك في الأديان في شعره..

ـ والشاعر الزهاوي ويعد عميد الشعراء المشككين في عصره.

الأفكار والمعتقدات:

● إنكار وجود الله سبحانه، الخالق البارىء، المصور، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

● إن الكون والإنسان والحيوان والنبات وجد صدفة، وسينتهي كما بدأ، ولا توجد حياة بعد الموت.

● إن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه.

● النظرة الغائية(*) للكون والمفاهيم الأخلاقية تعيق تقدم العلم.

● إنكار معجزات الأنبياء(*)؛ لأن تلك المعجزات لا يقبلها العلم، كما يزعمون. ومن العجب أن الملحدين الماديين(*) يقبلون معجزات الطفرة الوحيدة التي تقول بها الداروينية ولا سند لها إلا الهوس والخيال.

● عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال.

● ينظر الملاحدة للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل، وقصته لا تعني شيئاً.

● المعرفة الدينية، في رأي الملاحدة، تختلف اختلافاً جذريًّا وكليًّا عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي!!

● الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة(*) التي اكتشفتها العلوم، كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية.

● الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.

● نظريات ماركس في الاقتصاد، والتفسير المادي للتاريخ(*)، ونظرية فرويد في علم النفس، ونظرية دارون في أصل الأنواع، ونظرية دوركهايم في علم الاجتماع، من أهم أسس الإلحاد في العالم.. وجميع هذه النظريات هي مما أثبت العلماء أنها حدس وخيالات وأوهام شخصية، ولا صلة لها بالعلم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● نشأ الإلحاد الحديث مع العقلانية والشيوعية والوجودية.

● وقد نشر اليهود الإلحاد في الأرض، مستغلين حماقات الكنيسة(*) ومحاربتها للعلم، فجاؤوا بثورة العلم ضد الكنيسة، وبالثورة(*) الفرنسية والداروينية والفرويدية،

وبهذه الدعوات الهدامة للدين(*) والأخلاق(*) تفشىٰ الإلحاد في الغرب، والهدف الشرير لليهودية العالمية الآن هو إزالة كل دين على الأرض، ليبقى اليهود وحدهم أصحاب الدين!!

الانتشار وأماكن النفوذ:

● انتشر الإلحاد أولاً في أوربا، وانتقل بعد ذلك إلى أمريكا.. وبقاع من العالم.

● وعندما حكمت الشيوعية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي قبل انهياره وتفككه، فرضت الإلحاد فرضاً على شعوبه.. وأنشأت له مدارس وجميعات.

● وحاولت الشيوعية نشره في شتى أنحاء العالم، عن طريق أحزابها. وإن سقوط الشيوعية في الوقت الحاضر ينبىء عن قرب سقوط الإلحاد ـ بإذن الله تعالى.

● يوجد الآن في الهند جمعية تسمى جميعة النشر الإلحادية، وهي حديثة التكوين، وتركز نشاطها في المناطق الإسلامية، ويرأسها جوزيف إيدا مارك، وكان مسيحيًّا من خطباء التنصير، ومعلماً في إحدى مدارس الأحد، وعضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وقد ألف في عام ١٩٥٣ م كتاباً يدعى: **إنما عيسى بشر** فغضبت عليه الكنيسة(*) وطردته، فتزوج بامرأة هندوكية وبدأ نشاطه الإلحادي، وأصدر مجلة إلحادية باسم **إيسكرا** أي شرارة النار. ولما توقفت عمل مراسلاً لمجلة **كيرالا شبدم** أي صوت كيرالا الأسبوعية. وقد نال جائزة الإلحاد العالمية عام ١٩٧٨م، ويعد أول من نالها في آسيا.

يتضح مما سبق:

أن الإلحاد(*) مذهب(*) فلسفي يقوم على إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، ويذهب إلى أن الكون بلا خالق، ويعد أتباع العقلانية هم المؤسسين الحقيقيين للإلحاد الذي ينكر الحياة الآخرة، ويرى أن المادة(*) أزلية أبدية، وأنه لا يوجد شيء اسمه معجزات الأنبياء فذلك مما لا يقبله العلم في زعم الملحدين، الذين لا يعترفون، أيضاً، بأية مفاهيم أخلاقية(*)، ولا بقيم الحق والعدل ولا بفكرة الروح. ولذا فإن التاريخ عند الملحدين هو صورة للجرائم والحماقات وخيبة الأمل، وقصته لا تعني شيئاً، والإنسان مجرد مادة تطبق عليه القوانين الطبيعية(*) كافة وكل ذلك مما ينبغي أن يحذره الشاب المسلم عندما يطالع أفكار هذا المذهب الخبيث.

مراجع للتوسع:

ـ صراع مع الملاحدة، عبدالرحمٰن الميداني.

ـ الملل والنحل، للشهرستاني ط. (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م). بتحقيق محمد سيد كيلاني، وهي طبعة فريدة ـ لمذاهب جديدة.

- **الفلسفات الكبرى**، بياردوكاسيه - سلسلة زدني علماً - بيروت .
- **الإلحاد وعلاقته باليهود والنصارى**، مقال للدكتور محمد بن سعد الشويعر، نشر بمجلة البحوث الإسلامية العدد ١٤ .

المراجع الأجنبية :

- History of Philosophy by F.C. Copleston. Burne. London 1947.
- Existentialism and Humanism by J.P. Sartre, London 1955.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffding. London 1956.

١٠٢ـ المنفعة

التعريف:

المنفعة مذهب(*) أخلاقي اجتماعي لا ديني، يجعل من نفع الفرد والمجتمع مقياساً للسلوك، وأن الخير الأسمى هو تحقيق أكبر سعادة لأكبر عدد من الناس.

وفي مجال الاقتصاد يقرر مذهب المنفعة أن قيمة السلعة تتوقف على قدر منفعتها، وليس على نفقة العمل أو التكلفة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تأسس مذهب المنفعة في إنجلترا ومن أبرز شخصياته:

ـ جيرمي بنتام ١٧٤٨ ـ ١٨٣٢م ويعد زعيم القائلين بمذهب المنفعة، ولد في لندن، وقدم نظريته في المنفعة في كتابه مقدمة **لأصول الأخلاق والتشريع**.

ـ جون ستيوارت ميل ١٨٠٦ ـ ١٨٧٣م، وهو فيلسوف إنجليزي، ألف كتاب **مذهب المنفعة** ونادى بالحرية الفردية.

ـ هربرت سبنسر ١٨٢٠ ـ ١٩٠٣م وهو فيلسوف إنجليزي قال بتطور الأنواع قبل دارون.

ـ ج. أ. مور ١٨٧٣ ـ ١٩٥٨م وهو فيلسوف إنكليزي ـ ألف كتاب **أصول الأخلاق** وأدخل تعديلات على مذهب المنفعة إذ قبل الرأي القائل بأن صواب أي فعل من الأفعال يتوقف على النتائج الحسنة والسيئة التي تترتب عليه.

الأفكار والمعتقدات:

● يعد مذهب المنفعة نظرية في الأخلاق(*)، طبعت أتباعها بطابع مميز.. إذ كان كل همهم الاهتمام بالحياة الدنيا والاغتراف من لذاتها.

● **ويمكن تلخيص أفكاره فيما يلي:**

ـ إن صواب أي عمل من الأعمال، إنما يحكم عليه بمقدار ما يسهم في زيادة السعادة الإنسانية أو في التقليل من شقاء الإنسان، بصرف النظر عن السداد الأخلاقي لقاعدة ما، أو مطابقتها للوحي(*) أو للسلطة أو للتقليد أو للحس الأخلاقي أو للضمير.

ـ اللذة هي الشيء الوحيد الذي هو خير في ذاته، والألم هو الشيء الوحيد الذي هو شرٌّ

في ذاته، والسعادة تشمل اللذة والتخلص من الألم، وإن رجحان كفة اللذة قد يعود هو نفسه فيصبح مصدراً للمزيد من اللذة.

ـ يمكن دفع الناس إلى التصرف على نحو يؤدي إلى السعادة العامة من خلال ما يلي:

١ ـ القانون بقصاصه، والرأي العام بجزاءاته من ثواب وعقاب، فهما يحولان بين الناس وبين أن يأتوا من الأعمال ما يضاد الصالح العام.

٢ ـ المنفعة الذاتية المستنيرة تدل الناس على أن الصالح العام ينطوي في أغلب الأحوال على منفعتهم الخاصة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن لنظرية المنفعة جذوراً في الفكر اليوناني، وعند الفيلسوف أبيقور ٣٤٢ ـ ٢٧٠ ق. م بشكل خاص.

● ويمكن في الوقت الحاضر أن نجد جذور مذهب(*) المنفعة عند كل من:

ـ توماس هوبز ١٥٨٨ ـ ١٦٧٩م الفيلسوف الإنجليزي الذي يرى أن كلمة خير يقصد بها الشهوة، وكلمة شر يقصد بها النفور.

ـ وجون لوك ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م الفيلسوف الإنجليزي وفرنسيس هتشون ١٦٩٤ ـ ١٧٤٧م الفيلسوف الإيرلندي، ونظريته في الحس الأخلاقي تعبر في بعض جوانبها عن مذهب المنفعة إلا أنها ترتكز على الدين(*).

ـ كما نجد جذور مذهب المنفعة، أيضاً، عند ديفيد هيوم ١٧١١ ـ ١٧٧٦م الفيلسوف الإنكليزي الذي يرى أنه لا شيء يؤثر في الفعل الإرادي غير اللذة والألم، وقد يكون التأثير مباشراً.

ـ وعندما جاء جيرمي بنتام مؤسس مذهب المنفعة، استفاد من كل من سبقوه منتهياً إلى نظرية متكاملة، في رأيه، ومستخدماً إياها على أوسع نطاق.

يتضح مما سبق: أن المنفعة فكرة فلسفية لا تلتزم بالأصول الدينية، إذ تقيس صواب العمل بمقدار ما يحققه من منفعة وسعادة، بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق(*) أو مطابقته للدين، وترى أن كلَّ ما يُلزم به الدين، يمكن للقانون بقصاصه والرأي العام بجزاءاته أن يأتي به. ولا شك أن في هذا تجاوزاً يهدم أسس العقيدة، ويحول المجتمعات إلى غابة تتصارع فيها المنافع بلا ضابط أو رابط.

مراجع للتوسع:

ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل ورفاقه دار العلم ـ بيروت.

- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي بدوي مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٢م.
- تاريخ الفلسفة الحديثة، د. يوسف كرم. دار المعارف - القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- The Utility of Religion and Theism by John S. Mill Wath. London 1904.
- On Liberty: Representative Government and Utilitrarianism by John S. Mill, London, New York 1954.
- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns, London 1947.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffding, London 1936.

١٠٣ـ الوضعية

التعريف:

● المذهب(*) الوضعي مذهب فلسفي ملحد يرى أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية، ولا سيما تلك التي يتيحها العلم التجريبي. وينطوي المذهب على إنكار وجود معرفة تتجاوز التجربة الحسية، ولا سيما فيما يتعلق بما وراء المادة وأسباب وجودها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● تأسس المذهب الوضعي في فرنسا على يد الفيلسوف كونت، ومعظم من جاء بعده طبَّق منهجه في العلم والمعرفة. ومن أبرز شخصيات المذهب:

ـ أوغست كونت ١٧٩٨ ـ ١٨٥٧م وهو الفيلسوف الفرنسي المؤسس للمذهب، عمل أميناً للسر (سكرتيراً) للفيلسوف الاشتراكي(*) سان سيمون وبدأ بإلقاء محاضرات عن فلسفته الوضعية سنة ١٨٢٦م، ثم أصيب بمرض عقلي وحاول الانتحار.. وقد نشر كتابه بعد ذلك تحت عنوان: **محاضرات في الفلسفة(*) الوضعية**، بسط فيه نظريته في المعرفة والعلوم.

نادى بضرورة قيام دين(*) جديد هو الدين الوضعي، يقوم على أساس عبادة الإنسانية كفكرة تحل محل الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الأديان السماوية.

ـ سان سيمون.. وهو فيلسوف فرنسي اشتراكي النزعة.. في كتابه **مقال في علوم الإنسان** سنة ١٨١٣م، أطلق كلمة وضعي على العلوم القائمة على الوقائع الخاضعة للملاحظة والتحليل، والعلوم التي لم تؤسس على هذا النحو يسميها العلوم الظنية.

ـ ريتشاد كونجريف.. وهو مفكر إنجليزي ناصر الوضعية واعتنق أفكارها.

ـ زكي نجيب محمود وهو مفكر عربي مصري، تبع الفلسفة الوضعية الملحدة، وتبنى أفكارها.. وألف كتاب **المنطق الوضعي**.

ـ أ. إير فيلسوف إنجليزي.

ـ برتراندرسل فيلسوف إنجليزي.

الأفكار والمعتقدات:

● صاغ الفيلسوف الفرنسي كونت مبادىء وأفكار المذهب(*) الوضعي، ثم بلور من

جاء بعده من الوضعيين هذه الأفكار وسار على منهجها العلمي . .

● **وهذه خلاصة لتلك الأفكار مع نقد المفكرين والفلاسفة لها :**

● استحوذت على تفكير كونت فكرة التقدم الإنساني .

ـ وضع كونت قانون التقدم الإنساني، وهو قانون الحالات الثلاث، الذي يتقدم العقل(*) البشري بمقتضاه من المرحلة اللاهوتية إلى المرحلة الميتافيزيقية، ثم إلى المرحلة الوضعية الأخيرة .

ـ وقد قسم كونت المرحلة اللاهوتية إلى ثلاث مراحل :

ـ المرحلة الوثنية(*) ـ والمرحلة التعددية(*) ـ والمرحلة التوحيدية(*) وهي المرحلة الأخيرة التي بدأت بظهور النصرانية والإسلام .

ـ والمرحلة الوضعية بدأت بالثورة(*) الفرنسية، وهي المرحلة التي تفسر الظواهر عن طريق الاستقراء القائم على الملاحظة .

● ويطبق كونت هذا القانون في التطور على جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية مثل الحضارة والسياسة والفن والأخلاق(*) .

● **نقد القانون:**

ـ وقد نقد طائفة من المفكرين قانون الحالات الثلاث بما يلي :

١ ـ يعد كونت أن الإنسانية كلٌّ لا يتجزأ، وأنها خاضعة لقانون واحد، بينما نجد أن هناك مجتمعات لا تسير في تطورها وتقدمها على نمط واحد في فهم وإدراك الظواهر .

٢ ـ يختلف الطريق الذي سلكه العقل الإنساني عن ذلك الذي حدده كونت، ففي كثير من الأمور كان الفهم الوضعي للأمور يسير مع الفهم الديني أو الميتافيزيقي(*) ؛ ففي مجال فهم الحقائق الرياضية والفلكية، مثلاً، أمور كانت تسير مع الفهم الديني قديماً. ولا تزال بعض المجتمعات تفسر الحقائق العلمية القائمة تفسيراً دينيًا. على الرغم من أننا نجتاز حاليًا المرحلة الوضعية في نظر كونت .

٣ ـ لا يستمد قانون المراحل الثلاث حقائقه من التاريخ، وإنما هو فكرة فلسفية اختار لها كونت مجتمعات معينة حاول تطبيقها عليها دون استقراء لتاريخ المجتمعات الإنسانية .

٤ ـ يفسر هذا القانون الحضارة بأنها التقدم، بينما نجد الحضارة عبارة عن مستوى عام للحياة المادية(*) والروحية للمجتمع دون النظر إلى تقدمها أو تأخرها .

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد اعتبر فرنسيس بيكون ١٥٦١ ـ ١٦٢٦م نفسه داعية للعلوم الجديدة، وهي العلوم

التي كانت في طريقها إلى الانفصال عن الفلسفة(*) في القرنين الميلاديين السادس عشر والسابع عشر. وربما عدّ بيكون بادىء الوضعية وواضع الاسم الذي سميت به في القرن التاسع عشر، ففي كتابه **في المبادىء والأصول** ١٦٢٣م أطلق بيكون صفة وضعي على الحقائق الأولية التي يجب تقبلها إيماناً بصدق الخبرة.

- وقد كان بيكون موضع تقدير كبير من الفلاسفة التجريبيين في القرن التاسع عشر في كل من إنجلترا وفرنسا. وأصبحت كلمة وضعي تطلق على مناهج العلوم الطبيعية، نظراً لاعتماد هذه المناهج على الملاحظة واستخدامها للتجربة، ولقد سبق بيان كيف أن سان سيمون الذي عمل كونت في خدمته، قد أطلق كلمة وضعي في كتابه **مقال في علوم الإنسان** على العلوم القائمة على الوقائع الخاضعة للملاحظة والتجريب.. وقد اقتبس كونت هذه الأفكار وأقام عليها نظريته وقانونه الوضعي.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● زحف المذهب الوضعي من فرنسا إلى إنجلترا، واعتنق بعض الفلاسفة مبادىء المذهب الوضعي. إلا أن بعض كبار المفكرين والفلاسفة رفضوا متابعة كونت في مفهوم دين(*) الإنسانية الذي وضعه، وبالرغم من ذلك فقد أُنشئت جمعيات وضعية في أجزاء مختلفة من العالم، على غرار النموذج الذي أسسه كونت نفسه عام ١٨٤٨م. وفي هذه الجمعيات كانت الإنسانية هي موضوع الشعائر الدينية، واتخذ من علم الاجتماع سنداً لمثل هذه الديانة الاجتماعية، وقويت هذه الحركة بصورة خاصة في أمريكا اللاتينية، ولكنها ازدهرت لعدة سنوات في إنجلترا...

● وقد صدرت **المجلة الوضعية** التي أطلق عليها فيما بعد اسم **الإنسانية** من عام ١٨٩٣م إلى عام ١٩٢٥م. وقامت محاولات لإحياء الوضعية في إنجلترا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، من خلال أعمال الفلاسفة الإنجليز إبر وراسل.

يتضح مما سبق:

أن المذهب(*) الوضعي مذهب فلسفي ملحد، يركز المعرفة اليقينية في الظواهر التجريبية، وينكر وجود معرفة مطلقة، ويقول إن التقدم بدأ في العلوم الطبيعية وبدأ ينتقل للعلوم الاجتماعية وأن العقل البشري يتقدم من المرحلة اللاهوتية الدينية إلى المرحلة الميتافيزيقية(*) لكي يصل في النهاية إلى المرحلة الوضعية التي هي قمة التخلي عن كل العقائد الدينية. وبذا تتضح مخاطر هذا المذهب على كل مسلم.

مراجع للتوسع:

- **قصة الفلسفة الحديثة**، أحمد أمين، وآخر ـ مطبعة التأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٧٨ م.
- **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، د. أحمد زكي بدوي ـ مكتبة لبنان ـ بيروت.
- **تاريخ الفلسفة الحديثة**، د. يوسف كرم ـ دار المعارف ـ القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- Cours de Philosophie Positive Par A. Comte, paris. 1830.
- A Discourse on the Positive Spirit by A. Comte, tr. S. Beesley. Revres. London 1903.
- Dialogues Concerning Natural Religion by D. Hume. ed. N. Kemp Smith O.V.P. Oxford 1935.
- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns. London 1947.
- History of Modern Philosoph by H. Hoffding, London 1956.

١٠٤ـ المثالية

التعريف:

● المثالية مذهب(*) فلسفي يشمل جانباً كبيراً من المذاهب الميتافيزيقية(*) (ما بعد الطبيعة أو الغيبية)، وهي اتجاه فلسفي يبحث عن مسألة الوجود (أوْ الأنطولوجيا)، في حين أن العقلانية اتجاه مذهبي يبحث في أصل المعرفة، ويرد هذا الأصل إلى العقل فقط، وينكر دور الحواس أو المعرفة القلبية أو المعرفة عن طريق الوحي(*)، وعكس العقلانية التجريبية. وهذه الأخيرة تعتمد على التجربة الحسية فقط من دون العقل المجرد.

ـ وعكس المثالية «المادية»(*). والمثالية تعطي الأولوية في الوجود للروح على أن يكون وجود المادة ثانوياً، في حين أن المادية(*) تعطي الأولوية في الوجود للمادة، على أن تكون الروح انعكاساً للمادة وظلاً لها.

ـ وتقترب المثالية كثيراً من الفلسفة؛ لأنها تبلور مباحث الفلسفة الثلاثة الرئيسية: الحق والخير والجمال.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ظهرت المثالية في القرن الثامن عشر الميلادي، ومن أبرز الفلاسفة الذين أثروا المذهب، وكان لهم تأثير كبير في مجرى الفكر الأوربي عامة:

ـ جورج باركلي ١٦٨٥ ـ ١٧٥٣م وهو راهب(*) إيرلندي، كان على جانب كبير من النشاط والجاذبية الفطرية والقدرة على الإقناع، ويعد المؤسس الحقيقي للمثالية، وكانت أفكاره ذات تأثير كبير فيمن جاء بعده من المفكرين والفلاسفة.

ـ عمانوئيل كانت ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤م وهو فيلسوف ألماني، ألف كتباً مشهورة أهمها **نقد العقل(*) الخالص**، **ونقد العقل العملي**، وكان يعتقد أن هناك حجة أخلاقية كافية للبرهان على وجود الله هي القانون الأخلاقي.

ـ جوهان فيشته ١٧٦٢ ـ ١٨١٤م وهو فيلسوف ألماني، درس اللاهوت والفلسفة وتتلمذ على يد كانت، وكان لخطبه الشهيرة في برلين بين عامين ١٨٠٧ ـ ١٨٠٨م عميق الأثر في إحياء بروسيا بعد هزائمها على يد نابليون بونابرت القائد الفرنسي الشهير.

ـ جورج فلهلم هيجل ١٧٧٠ ـ ١٨٣١م وهو فيلسوف ألماني كان من أكبر الفلاسفة تأثيراً في فلسفات(*) عدة مثل الوجودية والماركسية والذرائعية، في مجال الديالكيتك

(الجدل)(*) وكان يعتقد أن الوجود المادي مظهر للروح.

- آرثر شوبنهور ١٧٨٨ - ١٨٦٠م وهو فيلسوف ألماني، تأثر كثيراً بفلسفة أفلاطون المثالية وكانت، من كتبه **العالم إرادة وفكرة**، وقد تأثر بالبوذية، لكنه لم يقبل مذهب(*) تناسخ الأرواح(*).

- ت. هـ. جرين ١٨٣٦ - ١٩٢٤م وهو فيلسوف إنجليزي، أثر تأثيراً كبيراً في إكسفورد، واهتم بشكل خاص بالربط بين المثالية والنصرانية وبين المثالية والأفكار السياسية الحرة.

- ف. هـ. برادلي ١٨٤٦ - ١٩٢٤م وهو فيلسوف إنجليزي، قال بأنه ينبغي علينا افتراض وجود مطلق يجاوز نطاق الفكر.

الأفكار والمعتقدات:

● إن جوهر الحقيقة روحي، والروح لا تستطيع أن تدرك نفسها إلا في علاقتها بعنصر مادي موضوعي، وهذا هو علة وجود المادة أو كما قال هيجل «المادة مظهر تتبدَّى به الروح».

● إن الأرواح هي الفاعل وهي التي تملك إرادة.

● إن الأشياء المادية المحسوسة ليست سوى مجموعات من الأفكار على حد تعبير باركلي، أو من المعطيات الحسية على حد تعبير من جاؤوا بعده. وإننا لا نستطيع أن نتصور الصفات التي ننسبها إلى الأشياء المادية مجردة من تجربتنا الحسية لها.

● إن الأشياء الطبيعية التي لا يدركها الإنسان موجودة في علم الله، (باركلي).

● إن معرفتنا مقتصرة على الظواهر، ولا نستطيع معرفة الأشياء في ذاتها، (كانت).

● ترى المثالية أن الشر شيء عارض وعابر في الحياة؛ والأدب المثالي يحاول الكشف دائماً عن الطبيعة الخيرة والجميلة للإنسان.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● مؤسس المثالية جورج باركلي الفيلسوف الإيرلندي كان راهباً(*) عاش طوال حياته متشبعاً بالفكر الديني مولعاً بالفلسفة والفكر اللاهوتي، ومدافعاً عن الإيمان الديني والإدراك الفطري السليم. فضلاً عن محاولته وهو في منتصف عمره، إقامة جامعة لتخريج مبشرين بالنصرانية.

- هذه الجذور الدينية العميقة كان لها أكبر الأثر في توجهه الفلسفي نحو القول بالمثالية. وأنه لا حقيقة إلا للروح ولخالقها، الله - تعالى - وأن الوجود المادي وجود ظاهري

يحس به الإنسان ويدركه بعقله فقط. ويظهر الأثر المباشر لآراء باركلي في الفيلسوف كانت الألماني.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشرت المثالية في أوربا عامة وألمانيا بصفة خاصة.

يتضح مما سبق:

أن المثالية مذهب(*) فلسفي، يرى أن العقل(*) هو أساس المعرفة وأنه هو الحقيقة النهائية، فالمادة مظهر تتبدَّى فيه الروح، والأرواح هي الفاعل وهي التي تملك إرادة، كما يقول المذهب النقدي عند الفيلسوف كانت.

مراجع للتوسع:

- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، ترجمة فؤاد كامل ورفاقه، دار القلم بيروت.
- **تاريخ الفلسفة الحديثة**، يوسف كرم ـ دار المعارف ـ القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- Dialogues between Hylar and Philonour by G. Berkeley, Collier, New York 1910.
- Philosophy of Right. G. Hegel, tr. T.M. Knox O.U.P. Oxford. 1942.
- Hegel: A Re - examination by J.N. Findlay, London 1958.
- History of Philosophy by F.C. Copleston Burns. London 1947.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffoling, London 1956.

١٠٥ـ الوجودية

التعريف:

الوجودية اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه. وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة(*) عن الموضوع. وتعد جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم. ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يرى رجال الفكر الغربي أن سورين كيركجورد ١٨١٣ ـ ١٨٥٥م هو مؤسس المدرسة الوجودية. ومن مؤلفاته: **رهبة واضطراب**.

● أشهر زعمائها المعاصرين: جان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي المولود سنة ١٩٠٥م وهو ملحد ويناصر الصهيونية، له عدة كتب وروايات تمثل مذهبه(*) منها: **الوجودية مذهب إنساني**، **الوجود والعدم**، **الغثيان**، **الذباب**، **الباب المغلق**.

● ومن رجالها كذلك: القس كبرييل مارسيل، وهو يعتقد أنه لا تناقض بين الوجودية والنصرانية.

● كارل جاسبرز: فيلسوف ألماني.

● بسكال بليز: مفكر وفيلسوف فرنسي.

● وفي روسيا: بيرد يائيف، شيسوف، سولوفييف.

الأفكار والمعتقدات:

● يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات وكل ما جاءت به الأديان(*)، ويعتبرونها عوائق أمام الإنسان نحو المستقبل. وقد اتخذوا الإلحاد مبدأ ووصلوا إلى ما يتبع ذلك من نتائج مدمرة.

● يعاني الوجوديون من إحساس أليم بالضيق والقلق واليأس والشعور بالسقوط والإحباط؛ لأن الوجودية لا تمنح شيئاً ثابتاً يساعد على التماسك والإيمان، وتعد الإنسان قد

أُلقي به في هذا العالم وسط مخاطر تؤدي به إلى الفناء.

● يؤمنون إيماناً مطلقاً بالوجود الإنساني ويتخذونه منطلقاً لكل فكرة.

● يعتقدون بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود وما قبله كان عدماً، وأن وجود الإنسان سابق لماهيته.

● يعتقدون أن الأديان والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الإنسان.

● يقولون: إنهم يعملون لإعادة الاعتبار الكلي للإنسان، ومراعاة تفكيره الشخصي وحريته وغرائزه ومشاعره.

● يقولون بحرية الإنسان المطلقة وأن له أن يثبت وجوده كما يشاء وبأي وجه يريد دون أن يقيده شيء.

● يقولون: إن على الإنسان أن يطرح الماضي وينكر كل القيود دينية كانت أم اجتماعية أم فلسفية أم منطقية.

● يقول المؤمنون منهم إن الدين(*) محله الضمير. أمَّا الحياة بما فيها فمقودة لإرادة الشخص المطلقة.

● لا يؤمنون بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الناس وتضبطه، إنما كل إنسان يفعل ما يريد، وليس لأحد أن يفرض قيماً أو أخلاقاً معينة على الآخرين.

● أدى فكرهم إلى شيوع الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية والتحلل والفساد.

● على الرغم من كل ما أعطوه للإنسان فإن فكرهم يتسم بالانطوائية الاجتماعية والانهزامية في مواجهة المشكلات المتنوعة.

● الوجودي الحق عندهم هو الذي لا يقبل توجيهاً من الخارج، إنما يسيِّر نفسه بنفسه، ويلبي نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود.

● لها الآن مدرستان: واحدة مؤمنة والأخرى ملحدة، وهي التي بيدها القيادة وهي المقصودة بمفهوم الوجودية المتداول على الألسنة، فالوجودية إذن قائمة على الإلحاد.

● الوجودية في مفهومها تمرد على الواقع التاريخي، وحرب على التراث الضخم الذي خلفته الإنسانية.

● تمثل الوجودية اليوم واجهة من واجهات الصهيونية الكثيرة التي تعمل من خلالها، وذلك بما تبثُّه من هدم للقيم والعقائد والأديان.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن الوجودية جاءت رد فعل على تسلط الكنيسة(*) وتحكمها في الإنسان بشكل متعسف باسم الدين(*).

● تأثرت بالعلمانية وغيرها من الحركات التي صاحبت النهضة الأوربية ورفضت الدين والكنيسة.

● تأثرت بسقراط الذي وضع قاعدة «اعرف نفسك بنفسك».

● تأثروا بالرواقيين(*) الذين فرضوا سيادة النفس.

● كما تأثروا بمختلف الحركات الداعية إلى الإلحاد والإباحية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● ظهرت في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، ثم انتشرت في فرنسا وإيطاليا وغيرهما. وقد اتخذت من بشاعة الحروب وخطورتها على الإنسان مبرراً للانتشار السريع. وترى حرية الإنسان في عمل أي شيء متحللاً من كل الضوابط. وهذا المذهب يعد اتجاهاً إلحاديًّا يمسخ الوجود الإنساني ويلغي رصيد الإنسانية.

● انتشرت أفكارهم المنحرفة المتحللة بين المراهقين والمراهقات في فرنسا وألمانيا والسويد والنمسا وإنجلترا وأمريكا وغيرها، إذ أدت إلى الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية واللامبالاة بالأعراف الاجتماعية والأديان.

ويتضح مما سبق: أن الوجودية اتجاه إلحادي(*) يمسخ الوجود الإنساني ويلغي رصيد الإنسانية من الأديان وقيمها الأخلاقية. وتختلف نظرة الإسلام تماماً عن نظرية الوجودية إذ يقرر الإسلام أن هناك وجوداً زمنياً بمعنى عالم الشهادة ووجوداً أبديّاً بمعنى عالم الغيب. والموت في نظر الإسلام هو النهاية الطبيعية للوجود الزمني، ثم يكون البعث والحساب والجزاء والعقاب.

ـ أما الفلسفة الوجودية فلا تسلم بوجود الروح ولا القوى الغيبية، وتقوم على أساس القول بالعدمية والتعطيل، فالعالم في نظرهم وجد بغير داع ويمضي لغير غاية، والحياة كلها سخف يورث الضجر والقلق، ولذا يتخلص بعضهم منها بالانتحار.

مراجع للتوسع:

ـ **الوجودية وواجهتها الصهيونية**، د. محسن عبد الحميد.

ـ **مباحث في الثقافة الإسلامية**، د. نعمان السامرائي.

- **سقوط الحضارة**، كولن ولسن.
- **دراسات في الفلسفة المعاصرة**، د. زكريا إبراهيم.
- **الوجودية المؤمنة والملحدة**، د. محمد غلاب.
- **عقائد المفكرين في القرن العشرين**، عباس محمود العقاد.
- **المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها**، د. عبد الرحمٰن عميرة.

١٠٦- التحليل النفسي (الفرويدية)

التعريف:

الفرويدية مدرسة في التحليل النفسي أسسها اليهودي سيجموند فرويد Sigmund Freud وهي تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسيًّا، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء. كما أنها تعد القيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي، مما يورث الإنسان عقداً وأمراضاً نفسية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **المؤسس وحياته:**

- ولد سيجموند فرويد في ٦ مايو ١٨٥٦ م في مدينة فريبورج بمقاطعة مورافيا بتشيكوسلوفاكيا الحالية من والديْن يهوديين.

- استقرت أسرة أبيه في كولونيا بألمانيا زمناً طويلاً.

- ولدت أمه بمدينة برودي في الجزء الشمالي من غاليسيا، ولما شبت تزوجت من جاكوب فرويد والد سيجموند فرويد إذ أنجبت له سبعة أبناء.

- وغاليسيا مدينة ببولندا جاء منها والد فرويد، وكانت معقلاً رئيسيًّا ليهود شرق أوربا، وبسبب ظروف الشغب رحلت الأسرة إلى برسلاو بألمانيا وعمر سيجموند حينها ثلاث سنوات، ثم رحلوا مرة أخرى إلى فيينا، حيث أمضى معظم حياته وبقي فيها إلى سنة ١٩٣٨ م ثم غادرها إلى لندن ليقضي أيامه الأخيرة فيها مصاباً بسرطان في خده وقد أدركته الوفاة في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩ م.

- تلقى تربيته الأولى وهو صغير على يدي مربية كاثوليكية دميمة عجوز متشددة كانت تصحبه معها أحياناً إلى الكنيسة(*) ، مما شكل عنده عقدة ضدّ المسيحية(*) فيما بعد.

- نشأ يهوديًّا، وأصدقاؤه من غير اليهود نادرون، إذ كان لا يأنس لغير اليهود ولا يطمئن إليهم.

- دخل الجامعة عام ١٨٧٣ م وعقَّب على ذلك بأنه يرفض رفضاً قاطعاً أن يشعر بالدونية والخجل من يهوديته. لكن هذا الشعور الموهوم بالاضطهاد ظل يلاحقه على الرغم من احتلاله أرقى المناصب.

ـ في سنة ١٨٨٥ م غادر فيينا إلى باريس، وتتلمذ على شاركوت Charcot مدة عام، إذ كان أستاذه هذا يقوم بالتنويم المغناطيسي لمعالجة الهستيريا، وقد أعجب فرويد به عندما أكَّد له بأنه في حالة من حالات الأمراض العصبية لا بد من وجود اضطراب في الحياة الجنسية للمريض.

ـ أخذ يتعاون مع جوزيف بروير ١٨٤٢ ـ ١٩٢٥م وهو طبيب نمساوي صديق لفرويد، وهو فيزيولوجي في الأصل لكنه انتقل إلى العمل الطبي، إذ كان ممن يستعملون التنويم المغناطيسي، أيضاً.

ـ بدأ الاثنان باستعمال طريقة التحدث مع المرضى، فنجحا بعض النجاح ونشرا أبحاثهما في عامي ١٨٩٣ و١٨٩٥م، وصارت طريقتهما مزيجاً من التنويم والتحدث، ولم يمض وقت طويل حتى انصرف بروير عن الطريقة كلها.

ـ تابع فرويد عمله تاركاً طريقة التنويم معتمداً على طريقة التحدث طالباً من المريض أن يضطجع ويتحدث مفصحاً عن كل خواطره، وسماها طريقة (الترابط الحر) سالكاً طريقة رفع الرقابة عن الأفكار والذكريات، وقد نجحت طريقته هذه أكثر من الطريقة الأولى.

ـ أخذ يطلب من مريضه أن يسرد عليه حلمه الذي شاهده في الليلة الماضية، مستفيداً منه في التحليل، وقد وضع كتاب **تفسير الأحلام** الذي نشره سنة ١٩٠٠ م، ثم كتاب **علم النفس المرضي للحياة اليومية**، ثم توالت كتبه وصار للتحليل النفسي مدرسة سيكولوجية صريحة منذ ذلك الحين.

ـ انضم عام ١٨٩٥م إلى جمعية بناي برث أي أبناء العهد، وكان حينها في التاسعة والثلاثين من عمره، وهذه الجمعية لا تقبل بين أعضائها غير اليهود.

ـ كان يعرف تيودور هرتزل الذي ولد عام ١٨٦٠ م، كما سعيا معاً لتحقيق أفكار واحدة لخدمة الصهيونية التي ينتميان إليها، مثل فكرة معاداة السامية التي ينشرها هرتزل سياسيًّا، ويحللها فرويد نفسيًّا.

● **من أصحابه وتلاميذه:**

ـ لارنست جونز، مؤرخ السيرة الفرويدية، مسيحي(*) مولداً، ملحد فكراً، يهودي شعوراً ووجداناً، حتى إنهم خلعوا عليه لقب: اليهودي الفخري.

ـ أوتو رانك ١٨٨٤ ـ ١٩٣٩م قام بوضع نظرية تقوم أساساً على أفكار فرويد الأصلية مع شيء من التعديل الهام.

ـ الفرِد آدلر: ولد في فيينا ١٨٧٠ ـ ١٩٣٧م، وقد انضم إلى جماعة فرويد مبكراً، لكنه افترق عنه بعد ذلك مؤسساً مدرسة سماها مدرسة علم النفس الفردي مستبدلاً بالدوافع الجنسية عند فرويد عدداً من الدوافع الاجتماعية، مع التأكيد على الإرادة القوية والمجهودات الشعورية.

ـ كارل جوستاف يونج ١٨٧٥ ـ ١٩٦١م ولد في زيوريخ، وهو مسيحي(*)، نصَّبه فرويد رئيساً للجمعية العالمية للتحليل النفسي، لكنه خرج على أستاذه معتقداً بأن هذه المدرسة التحليلية ذات جانب واحد وغير ناضجة، وكان لخروجه أثر بالغ على فرويد. وضع نظرية السيكولوجيا التحليلية مشيراً إلى وجود قوة دافعة أكبر هي طاقة الحياة، مؤكداً على دور الخبرات اللاشعورية المتصلة بالعِرق أو العنصر.

● **الفرويديون المحدثون:**

ـ حدث انسلاخ كبير عن الفرويدية الأصلية، وذلك عندما تكونت الفرويدية الحديثة التي كان مركزها مدرسة واشنطن للطب العقلي، وكذلك معهد إليام ألانسون هوايت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي مدرسة تتميز بالتأكيد على العوامل الاجتماعية معتقدة أن ملامح الإنسان الأساسية إيجابية، وهم يلحّون على نقل التحليل النفسي إلى علم الاجتماع؛ للبحث عن أصول الحوافز البشرية في تلبية مطالب الوضع الاجتماعي، ومن أبرز شخصياتهم:

ـ أريك فروم: ظهر بين ١٩٤١ ـ ١٩٤٧م. كان ينظر إلى الإنسان على أنه مخلوق اجتماعي بالدرجة الأولى، بينما ينظر إليه فرويد على أنه مخلوق مكتفٍ بذاته، تحركه عوامل غريزية.

ـ كارن هروني: استعملت طريقة فرويد خمسة عشر عاماً في أوربا وأمريكا، إلا أنها أعادت النظر فيها إذ وضعت نظرية جديدة، تحرر فيها التطبيق العلاجي من كثير من القيود التي تفرضها النظرية الفرويدية.

ـ وعلى الرغم من ذلك فإن الفرويديين المحدثين لا يزالون متمسكين بأشياء كثيرة من نظرية فرويد الأصلية مثل:

١ ـ أهمية القوى الانفعالية بوصفها مضادة للدفع العقلي والارتكاسات الأشراطية وتكوين العادات.

٢ ـ التداعي اللاشعوري.

٣ ـ الكبت والمقاومة وأهمية ذلك في التحليل أثناء العلاج.

٤ ـ الاهتمام بالنزاعات الداخلية وأثرها على التكوين النفسي.

٥ ـ التأثير المستمر للخبرات الطفولية المبكرة.

٦ ـ طريقة التداعي الحر، وتحليل الأحلام، واستعمال حقيقة النقل.

الأفكار والمعتقدات:

● **الأسس النظرية:**

ـ الأسس الثلاثة التي تركز عليها المدرسة التحليلية هي: الجنس ـ الطفولة ـ الكبت. فهي مفاتيح السيكولوجية الفرويدية.

ـ نظرية الكبت: هي دعامة نظرية التحليل النفسي، وهي أهم قسم فيه إذ إنه لا بد من الرجوع إلى الطفولة المبكرة وإلى الهجمات الخيالية التي يراد بها إخفاء فاعليات العشق الذاتي أيام الطفولة الأولى، إذ تظهر كل الحياة الجنسية للطفل من وراء هذه الخيالات.

ـ يعد فرويد مص الأصابع لدى الطفل نوعاً من السرور الجنسي الفمي، ومثل ذلك عض الأشياء، فيما يعد التغوط والتبول نوعاً من السرور الجنسي الأستي، كما أن الحركات المنتظمة للرجلين واليدين عند الطفل إنما هي تعبيرات جنسية طفولية.

ـ اللبيدو Libido طاقة جنسية أو جوع جنسي، وهي نظرية تعتمد على أساس التكوين البيولوجي للإنسان الذي تعتبره حيواناً بشرياً، فهو يرى أن كل ما نصرح بحبه أو حب القيام به في أحاديثنا الدارجة يقع ضمن دائرة الدافع الجنسي. فالجنس عنده هو النشاط الذي يستهدف اللذة، وهو يلازم الفرد منذ مولده إذ يصبح الأداة الرئيسة التي تربط الطفل بالعالم الخارجي في استجابته لمنبهاته.

ـ الدفع: يقول بأن كل سلوك مدفوع، فإلى جانب الأفعال الإرادية التي توجهها الدوافع والتمنيات هناك الأفعال غير الإرادية أو العارضة. فكل هفوة، مثلاً، ترضي تمنياً وكل نسيان دافعه رغبة في إبعاد ذلك الشيء.

ـ الشلل أو العمى لديه قد يكون سببه الهروب من حالة صعبة يعجز الإنسان عن تحقيقها، وهذا يسمى انقلاب الرغبة إلى عرض جسدي.

ـ الحلم عنده هو انحراف عن الرغبة الأصلية المستكنة في أعماق النفس، وهي رغبة مكبوتة يقاومها صاحبها في مستوى الشعور، ويعيدها إلى اللاشعور، وأثناء النوم عندما تضعف الرقابة تأخذ طريقها باحثة لها عن مخرج.

ـ يتكلم فرويد عن تطبيق مبدأين هما اللذة والواقع، فالإنسان يتجه بطبيعته نحو

مبدأ اللذة العاجلة لمباشرة الرغبة لكنه يواجه بحقائق الطبيعة المحيطة به فيتجنب هذه اللذة التي تجلب له آلاماً أكبر منها أو يؤجل تحقيقها.

ـ يفترض فرويد وجود غريزتين ينطوي فيهما كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك وهما غريزة الحياة وغريزة الموت. غريزة الحياة تتضمن مفهوم اللبيدو وجزءًا من غريزة حفظ الذات، أما غريزة الموت فتمثل نظرية العدوان والهدم موجهة أساساً إلى الذات ثم تنتقل إلى الآخرين.

ـ الحرب لديه إنما هي محاولة جماعية للإبقاء على الذات نفسياً، والذي لا يحارب إنما يعرض نفسه لاتجاه العدوان إلى الداخل، فيفني نفسه بالصراعات الداخلية، فالأولى به أن يفني غيره إذن، والانتحار هو مثل واضح لفشل الفرد في حفظ حياته. وهذا المفهوم إنما يعطي تبريراً يريح ضمائر اليهود أصحاب السلوك العدواني المدمر.

ـ اللاشعور: هو مستودع الدوافع البدائية الجنسية، وهو مقر الرغبات والحاجات الانفعالية المكبوتة التي تظهر في عثرات اللسان والأخطاء الصغيرة والهفوات، وأثناء بعض المظاهر الغامضة لسلوك الإنسان. إنه مستودع ذو قوة ميكانيكية دافعة وليس مجرد مكان تلقى إليه الأفكار والذكريات غير المهمة.

ـ الـ(هو): مجموعة من الدوافع الغريزية الموجودة لدى الطفل عند ولادته التي تحتاج إلى الشعور الموجه، وهي غرائز يشترك فيها الجنس البشري كافة. إنها باطن النفس، وقد نتجت عن (الأنا) إلا أنها تبقى ممزوجة بها في الأعماق أي حينما تكون (الأنا) لا شعورية، وهي تشمل القوى الغريزية الدافعة، فإذا ما كبتت هذه الرغبات فإنها تعود إلى الـ(هو) (Ego).

ـ (الأنا): بعد قليل من ميلاد الطفل يزداد شعوراً بالواقع الخارجي فينفصل جزء من مجموعة الدوافع الـ (هي) لتصبح ذاتاً، ووظيفتها الرئيسية هي اختيار الواقع حتى يستطيع الطفل بذلك تحويل استجاباته إلى سلوك منظم يرتبط بحقائق الواقع ومقتضياته، إنها ظاهرة النفس التي ترتبط بالمحيط.

ـ (الأنا العليا): هي الضمير الذي يوجه سلوك الفرد والجانب الأكبر منه لا شعوري، وهو ما نسميه بالضمير أو الوجدان الأخلاقي، لها زواجر وأوامر تفرضها على (الأنا)، وهي سمة خاصة بالإنسان، إذ إنها أمور حتمية صادرة من العالم الداخلي.

ـ النقل: وهي أن المريض قد ينقل حبَّه أو بغضه المكبوت في أعماق الذكريات

إلى الطبيب، مثلاً، خلال عملية المعالجة. وقد تعرض بروير لحب واحدة من اللواتي كان يعالجهن إذ نقلت عواطفها المكبوتة إليه، فكان ذلك سبباً في انصرافه عن هذه الطريقة، بينما تابع فرويد عمله بمعالجة الواحدة منهن بنقل عواطفها مرة أخرى والوصول بها إلى الواقع.

ـ استفاد كثيراً من عقدة أوديب تلك الأسطورة التي تقول بأن شخصاً قد قتل أباه وتزوج أمه وأنجب منها وهو لا يدري. ولما علم بحقيقة ما فعل سمل عينيه، فقد استغلها فرويد في إسقاطات نفسية كثيرة واعتبرها مركزاً لتحليلاته المختلفة.

ـ شخصية الإنسان هي حصيلة صراع بين قوى ثلاث: دوافع غريزية، واقع خارجي، ضمير، وهي أمور رئيسة تتحدد بشكل ثابت بانتهاء الموقف الأوديبي حوالي السنة الخامسة أو السادسة من العمر.

● **الآثار السلبية للفرويدية:**

ـ لم ترد في كتب وتحليلات فرويد أية دعوة صريحة إلى الانحلال ـ كما يتبادر إلى الذهن ـ وإنما كانت هناك إيماءات تحليلية كثيرة تتخلل المفاهيم الفرويدية تدعو إلى ذلك. وقد استفاد الإعلام الصهيوني من هذه المفاهيم لتقديمها على نحو يغري الناس بالتحلل من القيم، وييسر لهم سبله بعيداً عن تعذيب الضمير.

ـ كان يتظاهر بالإلحاد ليعطي لتفكيره روحاً علمانية، ولكنه على الرغم من ذلك كان غارقاً في يهوديته من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

ـ كان يناقش فكرة معاداة السامية وهي ظاهرة كراهية اليهود، هذه النغمة التي يعزف اليهود عليها لاستدرار العطف عليهم، وقد ردّ هذه الظاهرة نفسياً إلى اللاشعور وذلك لعدة أسباب:

١ ـ غيرة الشعوب الأخرى من اليهود؛ لأنهم أكبر أبناء الله وآثرهم عنده حاشا لله.

٢ ـ تمسّك اليهود بطقس الختان الذي ينبه لدى الشعوب الأخرى خوف الخصاء ويقصد بذلك النصارى لأنهم لا يختتنون.

٣ ـ كراهية الشعوب لليهود هو في الأصل كراهية للنصارى المسيحيين[*]، وذلك عن طريق النقل إذ إن الشعوب التي تُنزِل الاضطهاد النازي باليهود إنما كانت شعوباً وثنية[*] في الأصل، ثم تحولت إلى النصرانية بالقوة الدموية، فصارت هذه الشعوب بعد ذلك حاقدة على النصرانية، لكنها بعد أن توحدت معها نقلت الحقد إلى الأصل الذي تعتمد عليه النصرانية ألا وهو اليهودية.

- يركن إلى إشباع الرغبة الجنسية، وذلك لأن الإنسان صاحب الطاقة الجنسية القوية والذي لا تسمح له النصرانية إلا بزوجة واحدة؛ إما أن يرفض قيود المدنية ويتحرر منها بإشباع رغباته الجنسية، وإما أن يكون ذا طبيعة ضعيفة لا يستطيع الخروج على هذه القيود، فيسقط صاحبها فريسة للمرض النفسي ونهباً للعقد النفسية.

- يقول بأن الامتناع عن الاتصال الجنسي قبل الزواج قد يؤدي إلى تعطيل الغرائز عند الزواج.

- عقد فصلاً عن تحريم العذرة، وقال بأنها تحمل مشكلات وأمراضاً لكلا الطرفين، واستدل على ذلك بأن بعض الأقوام البدائية كانت تقوم بإسناد أمر فض البكارة لشخص آخر غير الزوج، وذلك ضمن احتفال وطقس رسمي.

- لقد برَّر عشق المحارم؛ لأن اليهود أكثر الشعوب ممارسة له بسبب انغلاق مجتمعهم الذي يحرم الزواج على أفراده خارج دائرة اليهود، وهو يرجع هذا التحريم إلى قيود شديدة كانت تغل الروح وتعطلها، وهو بذلك يساعد اليهود أولاً على التحرر من مشاعر الخطيئة، كما يسهل للآخرين اقتحام هذا الباب الخطير بإسقاط كل التحريمات واعتبارها قيوداً وأغلالاً وهمية. وقد استغل اليهود هذه النظرية وقاموا بإنتاج عدد من الأفلام الجنسية الفاضحة التي تعرض نماذج من الزنى بالمحارم.

- لم يعتبر التصعيد أو الإعلاء - كما يسميه - إلا طريقاً ضعيفاً للتخلص من ضغط الدافع الجنسي، إذ إن هذا الطريق لن يتيسر خلال مرحلة الشباب إلا لقلَّة ضئيلة من الناس وفي فترات متقطعة وبأكبر قدر من العنت والمشقَّة، أما الباقون - وهم الغالبية العظمى - فليس أمامهم إلا المرض النفسي يقعون صرعاه. كما أن أصحاب التصعيد هؤلاء إنما هم ضعاف يضيعون في زحمة الجماهير التي تنزع إلى السير بإرادة مسلوبة وراء زعامة الأقوياء.

- في كفاحه ضد القيود، والأوامر العليا الموجهة إلى النفس، صار إلى محاربة الدين(*) واعتباره لوناً من العصاب النفسي الوسواسي.

- تطورت فكرة الألوهية لديه على النحو التالي:

١ - كان الأب هو السيد الذي يملك كل الإناث في القبيلة ويحرمها على ذكورها.

٢ - قام الأبناء بقتل الأب، ثم التهموا جزءاً نيئاً من لحمه للتوحد معه؛ لأنهم يحبونه.

٣ ـ صار هذا الأب موضع تبجيل وتقدير باعتباره أباهم أصلاً.

٤ ـ ومن ثم اختاروا حيواناً مرهوباً لينقلوا إليه هذا التبجيل فكان الحيوان هو الطوطم(*).

٥ ـ الطوطمية أول صورة للدين في التاريخ البشري.

٦ ـ كانت الخطوة الأولى بعد ذلك هي التطوُّر نحو الإلٰه(*) الفرد، فتطورت معها فكرة الموت الذي صار بهذا الاعتبار خطوة إلى حياة أخرى يلقى الإنسان فيها جزاء ما قدم.

٧ ـ الله ـ إذن ـ هو بديل الأب أو بعبارة أصح هو أب عظيم، أو هو صورة الأب كما عرفها المرء في طفولته.

ـ نخلص من هذا إلى أن العقائد الدينية ـ في نظره ـ أوهام لا دليل عليها، فبعضها بعيد عن الاحتمال ولا يتفق مع حقائق الحياة، وهي تقارن بالهذيان، ومعظمها لايمكن التحقق من صحته، ولا بدّ من مجيء اليوم الذي يصغي فيه الإنسان لصوت العقل(*).

ـ حديثه عن الكبت فيه إيحاءات قوية وصارخة بأن الوقاية منه تكمن في الانطلاق والتحرر من كل القيود، كما يحرم الإدانة الخلقية على أي عمل يأتيه المريض، مركِّزاً على الآثار النفسية المترتبة على هذه الإدانة في توريثه العقد المختلفة مما يحرفه عن السلوك السوي.

● مما ساعد على انتشار أفكاره ما يلي:

١ ـ الفكر الداروني الذي أرجع الإنسان إلى أصول حيوانية مادية.

٢ ـ الاتجاه العقلاني الذي ساد أوربا حينذاك.

٣ ـ الفكر العلماني الذي صبغ الحياة بثورته ضد الكنيسة(*) أولاً وضد المفاهيم الدينية ثانياً.

٤ ـ اليهود الذين قدَّموا فكرة للإنسانية باستخدام مختلف الوسائل الإعلامية بغية نشر الرذيلة والفساد، وتسهيل ذلك على ضمير البشرية ليسهل عليهم قيادة هذه الرعاع من الشعوب اللاهثة وراء الجنس، المتحللة من كل القيود والقيم.

● من أكبر الآثار المدمرة لآراء فرويد، أن الإنسان حين كان يقع في الإثم كان يشعر بالذنب وتأنيب الضمير، فجاء فرويد ليريحه من ذلك، ويوهمه بأنه يقوم بعمل طبيعي لا غبار عليه، وبالتالي فهو ليس بحاجة إلى توبة، وبذلك أضفى على الفساد صفة أخلاقية إذا صح التعبير.

● ألَّف نحو ثلاثين كتاباً في الدراسات النفسية من أشهرها: **الذات والذات السفلى** والطواطم(*) **والمحرمات وتفسير الأحلام**، وثلاث مقالات في النظرية الحسية والأمراض النفسية المنتشرة في الحياة اليومية. وكلها تدور ـ من زوايا مختلفة ـ حول موضوع واحد مكرر فيها جميعاً هو التفسير الجنسي للسلوك البشري.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد دخل التنويم المغناطيسي إلى حقل العلم والطب على يد مسمر Mesmer ١٧٨٠م إلا أنه قد مزج بكثير من الدجل مما نزع بالأطباء إلى أن ينصرفوا عنه انصرافاً دام حتى أيام مدرستي باريس ونانسي.

● لقد كان الدكتور شاركوت Charcot ١٨٢٥ ـ ١٨٩٣م أبرز شخصيات مدرسة باريس، إذ كان يعالج المصابين بالهستيريا عن طريق التنويم المغناطيسي.

● من تلاميذ شاركوت بيير جانه Pierr Janet الذي اهتم بالأفعال العصبية غير الشعورية والتي سماها الآليات العقلية.

● ساهمت مدرسة نانسي بفرنسا في التنويم المغناطيسي المعتدل، وقالت إنه أمر يمكن أن يحدث لكل الأسوياء، ذلك لأنه ليس إلا حالة انفعال وتلقٍّ منشؤها الإيحاء، وقد استعملته هذه المدرسة في معالجة الحالات العصبية.

● أما فرويد فقد أخذ الأسس النظرية ممن سبقه، وأدخل أفكاره في تحليل التنويم المغناطيسي باستخدام طريقة التداعي الحرّ. لكن لهذا الوجه العلميِّ الظاهر وجه آخر هو التراث اليهودي الذي استوحاه فرويد، واستخلص منه معظم نظرياته التي قدمها للبشرية خدمة لأهداف صهيون.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت هذه الحركة في فيينا، وانتقلت إلى سويسرا، ومن ثم عمت أوربا، وصارت لها مدارس في أمريكا.

● وقد حملت الأيام هذه النظرية إلى العالم كله عن طريق الطلاب الذين يذهبون إلى هناك ويعودون لنشرها في بلادهم.

● تلاقي هذه الحركة اعتراضات قوية من عدد من علماء النفس الغربيين اليوم.

ويتضح مما سبق:

أن الفرويدية تدعو إلى التحرر من كل القيود لأنها تسبب العقد النفسية والاضطرابات العصبية، وبذلك تريد للمجتمع أن يكون بلا دين(*) ولا أخلاق(*) ولا

تقاليد فتتسع هوة الرذيلة والفساد، وتسهل لليهود السيطرة على الشعوب المتحللة خدمة لأهداف الصهيونية. وبطبيعة الحال فإنها تنادي بأن الدين الذي يضع الضوابط لطاقة الجنس لا يستحق الاتباع ولا يستوجب الاحترام.

مراجع للتوسع:

- **علم الأمراض النفسية والعقلية**، تأليف ريتشارد م. سوين - ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٩م.
- **مدارس علم النفس**، تأليف د. فاخر عاقل - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٤ - ١٩٧٩م.
- **التراث اليهودي الصهيوني في الفكر الفرويدي**، تأليف د. صبري جرجس - عالم الكتاب - طبعة ١٩٧٠م.
- كتاب **تاريخ حركة التحليل النفسي**، تأليف سيجموند فرويد - طبعة ١٩١٧م.

المراجع الأجنبية:

- Brown, J.A.C. Freud and The Post-Freudians, Penguin Books London 1962.
- Munroe, R.L. Schools of Psycho-analytic Thought, Mutchinson Medical Publications - London 1957.
- Fundametals of Behavior Pathology by Richard M. Suninn - New York 1970.
- Bakan. D. "Sigmund Freud and the Jewish Mystical Tradition". Van Nostrand, New York 1958.
- Encyclopedia Britannica, 1965 edition, Vol 1,2,3,4,9,17,21,24.

١٠٧ ـ الذرائعية (البرجماتية)

التعريف:

الذرائعية مذهب(*) فلسفي اجتماعي، يقول بأن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية: لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع. وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية مَّا: هو في كونها مفيدة للناس، وأن الفكر في طبيعته غائي.

وقد أصبحت الذرائعية طابعاً مميزاً للسياسة الأمريكية وفلسفة الأعمال الأمريكية كذلك، لأنها تجعل الفائدة العملية معياراً للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

نشأت الذرائعية (البرجماتية) كمذهب عملي في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية القرن العشرين: وقد وجدت في النظام الرأسمالي الحرّ الذي يقوم على المنافسة الفردية، خير تربة للنمو والازدهار.

ومن أبرز رموز المذهب وأغلبهم من الأمريكيين:

● تشارلس بيرس ١٨٣٩ ـ ١٩١٤م، ويعد مبتكر كلمة البرجماتية في الفلسفة المعاصرة. عمل محاضراً في جامعة هارفارد الأمريكية، وكان متأثراً بدارون ووصل إلى مثل آرائه.. وكان أثره عميقاً في الفلاسفة الأمريكيين الذين سنذكرهم فيما يلي:

ـ وليم جيمس ١٨٤٢ ـ ١٩١٠م، وهو عالم نفسي وفيلسوف أمريكي من أصل سويدي بنى مذهب الذرائعية البرجماتية على أصول أفكار بيرس، ويؤكد أن العمل والمنفعة هما مقياس صحة الفكرة ودليل صدقها. كان كتابه الأول: **مبادىء علم النفس** ١٨٩٠م هو الذي أكسبه شهرة واسعة ثم توالت كتبه: **موجز علم النفس** ١٨٩٢م **وإرادة الاعتقاد** ١٨٩٧م **وأنواع التجربة الدينية** ١٩٠٢م **والبراجماتية** ١٩٠٧م **وكون متكثر** ١٩٠٩م يعارض فيه وحدة الوجود. ويؤكد جيمس في كتبه الدينية أن الاعتقاد الديني صحيح؛ لأنه ينظم حياة الناس ويبعث فيهم الطاقة.

ـ جون ديوي ١٨٥٦ ـ ١٩٥٢م فيلسوف أمريكي، تأثر بالفلسفة الذرائعية، وكان

له تأثير واسع في المجتمع الأمريكي وغيره من المجتمعات الغربية، إذ كان يعتقد أن الفلسفة(*) مهمة إنسانية قلباً وقالباً، وعلينا أن نحكم عليها في ضوء تأثرها الاجتماعي أو الثقافي.

كتب في فلسفة ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا)(*) وفلسفة العلوم والمنطق(*) وعلم النفس وعلم الجمال والدين(*).

وأهم مؤلفاته: **دراسات في النظرية المنطقية** ١٩٠٣م، و**كيف تفكر** ١٩١٠م و**العقل الخالق** ١٩١٧ م و**الطبيعة الإنسانية والسلوك** ١٩٢٢م و**طلب اليقين** ١٩٢٩م.

ـ شيلر ١٨٦٤ ـ ١٩٣٧م، وهو فيلسوف بريطاني، كان صديقاً لوليم جيمس، وتعاطف معه في فلسفة الذرائعية: وقد آثر أن يطلق على آرائه وموقفه: المذهب الإنساني أو المذهب الإرادي(*).

الأفكار والمعتقدات:

من أهم أفكار ومعتقدات المذهب الذرائعي (البرجماتية) ما يلي:

● إن أفكار الإنسان وآراءه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولاً ثم السير نحو السمو والكمال ثانياً.

● إذا تضاربت آراء الإنسان وأفكاره وتعارضت كان أحقها وأصدقها أنفعها وأجداها، والنفع هو الذي تنهض التجربة العملية دليلاً على فائدته.

● إن العقل خُلق أداة للحياة ووسيلة لحفظها وكمالها، فليست مهمته تفسير عالم الغيب المجهول، بل يجب أن يتوجه للحياة العملية الواقعية.

● الاعتقاد الديني لا يخضع للبيئات العقلية: والتناول التجريبي الوحيد له هو آثاره في حياة الإنسان والمجتمع إذ يؤدي إلى الكمال، بما فيه من تنظيم وحيوية.

● النشاط الإنساني له وجهتان: فهو عقل، وهو إرادة، ونموه كعقل ينتج العلم، وحين يتحقق كإرادة يتجه نحو الدين(*)، فالصلة بين العلم والدين ترد إلى الصلة بين العقل والإرادة.

تقويم الذرائعية:

ـ تعرضت الذرائعية لانتقادات معينة، وعرضت على أنها تبرير لأخلاقيات رجال الأعمال الأمريكيين.

ـ أما عن فكرة الاعتقاد فمن رأي جيمس «أنها مفيدة لأنها صادقة» و«أنها صادقة لأنها مفيدة». وقد أنكر معظم الدارسين هذه المعادلة إذ إن موقف جيمس يسمح

بصدق الفكرة لأنها «مفيدة ونافعة» لشخص ما، ويكذبها لعدم وجودها عند الآخرين.

وهكذا فإن جيمس طرح الحقيقة على أنها لعبة ذاتية للأفكار التي تستهوي الإنسان فائدتها: فيعتقد في صدقها.

- إن الذرائعية اندثرت كحركة فكرية فردية، ولكنها كمجموعة أفكار ما زالت تعمل في الفكر البشري.. ومن أهم آثار هذه الأفكار تفسير الفكر والمعنى على أنهما من أشكال السلوك النائي عند الإنسان.

الجذور الفكرية والعقائدية:

إن البرجماتية أو الذرائعية ثورة ضد الفكر النظري البعيد عن الواقع وعن الإنسان خاصة، والذي لا يخدم الإنسان في حياته العملية. أما كلمة (برجماتية) فكانت قليلة الاستعمال في اللغة الإنجليزية ولم تكن تستعمل مطلقاً في سياق الحديث الفلسفي، حتى أدخلها الفيلسوف الأمريكي بيرس عام ١٨٧٨م كقاعدة منطقية: معرفاً البرجماتية بأنها النظرية القائلة: «بأن الفكرة إنما تنحصر فيما نتصوره لها من أثر على مسلك الحياة».

وقد استعار وليم جيمس ورفاقه الذرائعيون هذا المصطلح وأعطوه معاني جديدة وفق ما أوضحناه في أفكار ومعتقدات المذهب. مؤكدين على أن كل شيء حتى الفكر، لا بد أن يفهم في ضوء الغرض الإنساني.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تأسس المذهب(*) في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتقل إلى أوربا وبريطانيا بشكل خاص.

يتضح مما سبق:

أن الذرائعية أو البراجماتية مذهب فلسفي نفعي يرى أن الحقيقة توجد من خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية، وأن صدق قضية ما يكمن في مدى كونها مفيدة للناس، كما أن أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال. وعندما تتضارب الأفكار فإن أصدقها هو الأنفع والأجدى، والعقل لم يخلق لتفسير الغيب المجهول، ولذا فإن الاعتقاد الديني لا يخضع للبينات العقلية. ولما كان نشاط الإنسان يتمثل في العقل والإرادة، وكان العقل(*) ينتج العلم، وحينما يتحقق العلم كإرادة يتجه نحو الدين(*)، لذا فإن الصلة بين العلم والدين ترجع إلى الصلة بين العقل والإرادة. ومخاطر هذا المذهب الفلسفي على العقيدة واضحة

جلية فهو مذهب يحبذ إلغاء دور العقل في الإفادة من معطيات النقل أو الوحي(*).
وقد رأينا في واقعنا المعاصر كيف أفلست الذرائعية كما أفلست سواها من الفلسفات المادية(*)، وعجزت عن إسعاد الإنسان بعدما أدت إلى تأجيج سعار المادية، وأهدرت القيم والأخلاق السامية التي دعت إليها جميع الأديان السماوية.

مراجع للتوسع:

- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، ترجمة فؤاد كامل ورفاقه ـ دار القلم ـ بيروت.
- **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، د. أحمد زكي بدوي ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ١٩٨٢م.
- **تاريخ الفلسفة الحديث**، يوسف كرم ـ دار المعارف ـ القاهرة.
- **قصة الفلسفة الحديثة**، أحمد أمين وزكي نجيب محمود ـ مطبعة لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- Philosophy of John Dewey: by P.A Schelop, Chicago 1951.
- The Will to Belive: by W. James Dever New York.
- John Dewey an Intellectual Portriat: by S. Hook Day, New York. 1939.
- History of Philosophy: by F.C. Coplestion, Burns London 1947.
- History of Modern Philosophy by H. Hoffding London 1956.

١٠٨ـ الروحية الحديثة[1]

التعريف:

الروحية الحديثة دعوة هدامة وحركة مغرضة مبنية على الشعوذة. تدَّعي استحضار أرواح الموتى[*] بأساليب علمية وتهدف إلى التشكيك في الأديان[*] والعقائد، وتبشر بدين جديد وتلبس لكل حالة لباسها. ظهرت في بداية هذا القرن في أمريكا ومن ورائها اليهود ثم انتشرت في العالمين العربي والإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● لم يعرف لها مؤسس في أوربا وأمريكا، ولكن الدعوة إليها قد نشطت في بداية هذا القرن الميلادي من قبل عدة شخصيات منها:

ـ جان آرثر فندلي وكتابه المشهور: **على حافة العالم الأثيري**.

ـ أدين فردريك باورز وكتابه المشهور: **ظواهر حجرة تحضير الأرواح**.

ـ آرثر كونان دويل في كتابه: **حافة المجهول**.

ـ اليهودي المعروف: **دافيد جيد**.

ـ السيدة وود سمث.

ـ كما ظهرت لها في تلك البلاد عدة مؤسسات مثل: (المعهد الدولي للبحث الروحي) بأمريكا و(جمعية مارلبورن الروحية) بإنجلترا.

● أما في العالم الإسلامي فقد تحمس لها عدة أشخاص وحملوا رايتها منهم:

ـ الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير أمين عام (الجمعية المصرية للبحوث الروحية). وقد أصدر **مجلة عالم الروح**، وهي الناطقة باسم هذه الدعوة الهدامة، وقد بدأ نشاطه منذ سنة ١٩٣٧م وقام بترجمة كتابي فندلي وباورز سابقي الذكر.

ـ الأستاذ وهيب دوس المحامي ت ١٩٥٨م وهو رئيس الجمعية المذكورة.

ـ د. علي عبد الجليل راضي رئيس (جمعية الأهرام الروحية)، له كتاب بعنوان **مشاهداتي في جمعية لندن الروحية**.

ـ حسن عبد الوهاب وكان سكرتيراً للجمعية لفترة ثم اكتشف زيف الروحية الحديثة

---

(١) هناك جماعة من الروحية الحديثة تسعى لتأكيد أهمية الجانب الروحي في الإنسان. وقد نشأت رد فعل لطغيان المادية الحديثة. من أعلامها هنري برجسون.

وأزاح الله عن عينيه غشاوة الضلال واكتشف ما في هذه الدعوة الماكرة من سموم، وثبت له يقيناً الشخصيات التي تحضر في جلسات التحضير، وتزعم أنها أرواح من سبقونا من الأهل والأحباب إن هي إلا شياطين وقرناء من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون.

ـ الشاعر اللبناني حليم دموس الذي كان يقدس روحاً نصرانياً اسمه د. داهش ويرفعه إلى مقام النبوة(*) وله مقالات في مجلة **عالم الروح** بعنوان: الرسالة الدهشية. ود. داهش له أتباع في لبنان، وربما خارجه. كما أن له كتابات يمجد فيها الرسول، ﷺ، ويؤمن برسالته الخاتمة. وقد أنكر بعض أتباع د. داهش أن يكون قد ادعى النبوة بمعناها الديني الإسلامي.

الأفكار والمعتقدات:

● يقولون بأنهم يحضرون الأرواح(*) ويستدعون الموتى لاستفتائهم في مشكلات الغيب ومعضلاته والاستعانة بهم في علاج مرضى الأبدان والنفوس والإرشاد عن المجرمين والكشف عن الغيب والتنبؤ بالمستقبل.

● يزعمون أن هذه الأرواح تساعدهم في كشف الجرائم والدلالة على الآثار القديمة، كما يدعون أنهم يعالجون مرضى النفوس من هذه الأرواح كذلك.

● يدعون أنهم يستطيعون التقاط صور لهذه الأرواح بالأشعة تحت الحمراء.

● يحاولون إضفاء الجانب العلمي على عملهم، وهو في الواقع لا يخرج عن كونه شعوذة وخداعاً وتأثيراً مغناطيسياً على الحاضرين، واتصالاً بالجن.

● يقومون بهذا التحضير في حجرات خاصة شبه مظلمة وفي ضوء أحمر خافت وكل ما يدّعونه من التجسد للأرواح ومخاطبتها لا يراه الحاضرون، وإنما ينقله إليهم الوسيط وهو أهم شخص في العملية.

● «الوسيط» عندهم يرى غير المنظور، ويسمع غير المسموع، ويتلقى الكتابة التلقائية. وله قدرة على التواصل عن بعد (التلباثي)(*).

● لا يثبتون للأنبياء والرسل، عليهم الصلاة والسلام، إلا هذه الوساطة فقط.

● يتحكمون في حضور جلسة التحضير(*) من حيث الكم والنوع، وإذا وجد نساء يكون الجلوس: رجل، امرأة، . . . كما يعزفون الموسيقا أحياناً، وكل هذا لصرف أذهان الحضور عن حقيقة ما يجري، ويزعمون أن لكل جلسة روحاً حارساً يحرسها.

● يعتقدون أن معجزات الأنبياء هي ظواهر روحية كالتي تجري في غرفة تحضير الأرواح(*). ويقولون إن بإمكانهم إعادة معجزات الأنبياء.

● يرفضون الوحي(*) ويقولون إنه ليس في الأديان(*) ما يصح الركون إليه، ويسخرون من المتدينين.

● يقولون بأن إلٰههم أظهر من إلٰه(*) الرسل، وأقل صفات بشرية، وأكثر صفات إلٰهية.

● يلوحون بشعارات براقة كالإنسانية والإخاء والحرية(*) والمساواة للتمويه على السذج والبسطاء.

● كل عملهم منصب على زعزعة العقائد الدينية والمعايير الخلقية.

● يدَّعون أن الأرواح التي تخاطبهم تعيش في هناء وسعادة، على الرغم من أنها كافرة ليهدموا بذلك عقيدة البعث والجزاء، ويقولون إن باب التوبة مفتوح بعد الموت كذلك، وأن الجنة والنار حالة عقلية يجسمها الفكر ويصنعها الخيال.

● عندهم نصوص كثيرة تمجد الشيوعيين والوثنيين(*) والفراعنة والهنود الحمر ويقولون إنهم أقوى الأرواح.

● يبررون الجرائم بأن أصحابها مجبورون عليها، وبالتالي لا يعاقبون.

● يسعون لضمان سيطرة اليهودية على العالم لتقوم دولتهم على أنقاض الخراب الشامل.

● أعلنت مجلة **سينتفك أمريكان** عن جائزة مالية ضخمة لمن يقيم الحجة على صدق الظواهر الروحية، ولكنها لا تزال تنتظر من يفوز بها وكذلك الحال بالنسبة للجائزة التي وضعها الساحر الأمريكي دنجر لنفس الغرض. . . وهذا من أكبر الأدلة على بطلانها.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ثبت أن للروحية اتصالات شخصية وفكرية بالماسونية وشهود يهوه. كما أن نوادي الروتاري تشجع هذه الظاهرة، وتمد لها يد المساعدة، وتتولى ترويجها، كما أنها تأثرت باليهودية في كثير من معتقداتها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● لها نفوذ غريب وخاصة في أمريكا وأوربا إذ لا تكاد تخلو مدينة من فرع لهذه الدعوة. وهناك كثير من الصحف والمجلات التي تتكلم باسمها. وفي أمريكا يوجد المركز العالمي للبحوث الروحية، وكذلك في العالم العربي والإسلامي فإن سرعة انتشارها تدعو إلى العجب، وخاصة في مصر حيث توجد لها عدة جمعيات، وهناك عدة مجلات وصحف أخرى تروج لها مثل: مجلة **صباح الخير**، **آخر ساعة**، **المصور**، **المقتطف**، وصحيفة **الأهرام** فضلاً عن مجلة **عالم الروح** الخاصة بها.

ويتضح مما سبق:

على الرغم من التفسيرات المتنوعة التي يتناقلها علماء معاصرون عن الروح فإن أمرها من عالم الغيب كما ذكر القرآن الكريم ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد قام الدكتور عبد الله أليسون (آرثر أليسون رئيس قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة سيتي البريطانية) بإجراء تجارب معملية استخدم فيها جهاز «كيربلين» الذي يصور الهالة حول الجسم، فأثبت أن النوم هو الموت والروح تخرج من الجسم في الحالتين غير أنها تعود في حالة النوم. ولا تعود في حالة الموت وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢].

والذي يدعيه بعض علماء الغرب من تحضير أرواح(*) الموتى كذب وضلال قائم على السحر والشعوذة والاتصال بالجن والشياطين ولم يثبت بأي حال.

مراجع للتوسع:

- **مشاهداتي في جمعية لندن الروحية**، د. علي عبد الجليل راضي.
- **ظواهر حجرة تحضير الأرواح**، ترجمة أحمد فهمي أبو الخير.
- **على حافة العالم الأثيري**، ترجمة أحمد فهمي أبو الخير.
- **حافة المجهول**، آرثر كونان دويل.
- **الروحية الحديثة دعوة هدامة**، د. محمد محمد حسين.
- **المذاهب الفلسفية المعاصرة**، سماح رافع محمد.

الفصل الثاني
من المدارس الأدبية

● مقدمة عامة ● الإسلامية في الأدب ● الكلاسيكية ● الرومانسية ● الرمزية ● الحداثة ● الواقعية ● العدمية ● البرناسية ● الانطباعية ● الوجودية ● التعبيرية ● العبثية ● البنيوية ● السريالية ● الميتافيزيقيا

مقدمة عامة

يزخر العالم الآن بمدارس أدبية متعددة، لكل منها اتجاهاتها المستقلة ومفاهيمها المرتبطة بها، والتي يحاول المنتمون إليها التقيد التام بها، حتى تكون لهم الهوية الذاتية المستقلة، والتي تساعد القارىء والناقد على تحديد ماهية تلك المدرسة أو هذا الاتجاه.

ولا مراء في أن هذه المدارس الأدبية العالمية، قد استطاعت، بطريقة أو بأخرى أن تتسلل إلى معظم الآداب المعاصرة، وقد نقل كثير من المثقفين العرب تلك الاتجاهات إلى بلادهم، فاستعملوا الألفاظ نفسها، ورددوا التصورات نفسها، وتبنوا المفاهيم نفسها، دون بيان للأسس الأخلاقية التي تقوم عليها هذه المدارس.

وهكذا وجد القارىء المسلم نفسه، واقعاً تحت تأثير هذه المدارس، بل إنه ألزم بدراستها في الكليات المعنية بالدراسات الأدبية، وأعد فيها الرسائل العلمية، وبدت فلسفات هذه المدارس كما لو كانت جزءاً لا يتجزأ من طبيعة تكون الشباب المسلم في المجال الأدبي.

ولا شك أن المجال الأدبي مجال مؤثر، لأنه يعكس الاتجاهات الفلسفية والمنطقية والسياسية والاقتصادية، وهو أدنى إلى التحليل النفسي في بعض الفروض، إن لم يكن معظمها، وهو وثيق الصلة بعلم الجمال وعلم الأحياء والعلوم البحتة والتطبيقية والخيال العلمي، لذا كان من اللازم مد القارىء المسلم بفكرة محايدة عن هذه المدارس، يختفي فيها

الحكم عليها غالباً، ويبرز فيها العرض الوصفي للحقائق دائماً، حتى يعي طبيعة التصورات التي تصدر عنها الأعمال الأدبية، ذلك أن الإنتاج الأدبي لم يبق وليد التداعي الحر للخواطر، ولا التحليل المحايد للظواهر، وإنما أصبح ينطوي على محاولات للتوجيه من خلال أفكار كان لا بد لنا أن نضع أهم ملامحها أمام الشباب المسلم في أهم المدارس الأدبية وهي:

ـ الحداثة وتستمد أفكارها من الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية.

ـ والبنيوية وهي منهج فكري وأداة للتحليل تقوم على فكرة الكلية. وتقول إن كل ظاهرة إنسانية لا بد من تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها.

ـ والرمزية التي تعبر عن التجارب الأدبية بواسطة الرمز والإشارة.

ـ والسريالية وهي مذهب(*) أدبي يحاول التحلل من واقع الحياة الواعية.

ـ والتعبيرية وهي مذهب أدبي يعطي فيه الأديب للتجربة بعداً ذاتيًا ونفسيًا.

ـ والعبثية وهي مدرسة أدبية تعتبر الإنسان ضائعاً وليس لسلوكه معنى في الحياة.

ـ والانطباعية التي تعتبر الانطباع الشخصي هو الأساس في التعبير الأدبي.

ـ والميتافيزيقية(*) التي تبحث عن الظواهر بطريقة عقلية وتقدم أساليب أدبية من شتات من الأخيلة.

ـ والبرناسية التي تعتبر العمل الأدبي بعامة والشعر بخاصة غاية في ذاته لا وسيلة للتعبير عن الذات.

ـ والعدمية التي تهتم بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود.

ـ والوجودية التي تركز على الوجود الإنساني في العمل الأدبي باعتباره الحقيقة اليقينية الوحيدة.

ـ والرومانسية التي تهتم في العمل الأدبي بإبراز ما تزخر به النفس من عواطف ومشاعر.

ـ والكلاسيكية التي تحاول بلورة المثل الإنسانية في ثنايا الأعمال الأدبية مع توظيف العمل لخدمة الأخلاق والتقاليد والقيم.

ـ والواقعية كمذهب يصور واقع الحياة ويرفض عالم الغيب.

ولما كان القارىء المسلم يستمد تصوراته عن الكون والحياة من عقيدته الإسلامية ومنها التصورات الأدبية، لذا كان لا بد من إعطائه بداءة، فكرة واضحة عن الإسلامية في الأدب، حتى تكون هذه الفكرة بمثابة الضوء الكاشف الذي ينير له الدروب وهو يلج خضم المدارس الأدبية الأخرى بكل تعقيداتها ومنطلقاتها الملحدة غالباً، أو غير الملتزمة بالقيم

الأخلاقية ناهيك عن الدين، في معظم الأحيان.

وهكذا تتناول هذه الموسوعة(*) أولاً: الإسلامية في الأدب ثم تعرض بعد ذلك لأهم المدارس الأدبية العالمية المشار إليها آنفاً، ومن خلالها سيصل القارىء إلى الحقيقة المؤكدة وهي أن أي عمل بلا هدف أخلاقي لا قيمة له، ومن باب أولى فإن أي عمل لا يلتزم بمنهج عقدي لا وزن له.

وبهذه الملامح نقدم للقارىء المسلم من خلال هذه الموسوعة تلك المدارس الأدبية التي أشرنا إليها آنفاً وغيرها، مؤكدين أنه بعد أن تترسخ تلك الحقيقة في ذهن الشباب المسلم، فإنه لا يضيره إطلاقاً أن يأخذ في مدرسته الإسلامية بأي مسلك من مسالك تلك المدارس بعد أن يعزل منها الداء العضال أو السم الزعاف الذي تنطلق منه وتحاول أن تقدمه للقارىء في ثنايا عبارات غير ملتزمة أو أساليب غير مقبولة أو تراكيب غير عفيفة.

١٠٩ـ الإسلامية في الأدب

التعريف:

● الإسلامية (في الأدب) هي انطلاق الأديب في العملية الإبداعية من رؤية أخلاقية تبرز مصداقيته في الالتزام بتوظيف الأدب لخدمة العقيدة والشريعة والقيم وتعاليم الإسلام ومقاصده، وتبين إيجابيته عند معالجة قضايا العصر والحياة، التي ينفعل بها الأديب انفعالاً مستمراً، فلا يصدر عنه إلا نتاج أدبي متفق مع أخلاق الإسلام وتصوراته ونظرته الشاملة للكون والحياة والإنسان، في إطار من الوضوح الذي يبلور حقيقة علاقة الإنسان بالأديان(*)، وعلاقته بسائر المخلوقات فرادى وجماعات، وبشكل لا يتصادم مع حقائق الإسلام، ولا يخالفها في أي جزئية من جزئياتها ودقائقها.

● **معيار الإسلامية:**

ـ ينطوي التعريف المتقدم، على مجموعة معايير متكاملة، يؤدي توافرها إلى صيرورة العمل الأدبي متسماً بالإسلامية، وبعض هذه المعايير موضوعي يتعلق بجوهر العمل وبعضها عضوي أو شكلي يتعلق بإطار التعبير عن العمل، بحيث يتفاعل كل منهما مع الغاية من العمل الأدبي الممثل للإسلامية، وأهم هذه المعايير: الالتزام والمصداقية والوضوح والإيجابية والقدرة والاستمرارية.

١ ـ الالتزام:

ويعني وجوب تقيد الأديب بإشاعة الرؤية العقدية في تيار العمل الأدبي المتدفق خدمة للعقيدة والشريعة(*) والقيم الإسلامية والأخلاق(*) وكليات الإسلام ومقاصده، وأهدافه العامة بشرط ألا يخالف الإحساس الفطري بحقائق الإسلام.

٢ ـ المصداقية:

وتعني قدرة الأديب على إعطاء المتلقي إحساساً صادقاً في أعماله الأدبية كافة بأنها قد صدرت عن تصور إسلامي، ودعوة إلى مكارم الأخلاق، وإشاعة الخير والمعروف، ونأي عن كل ما هو منكر وغير مألوف في الوجدان الإسلامي، فإذا كانت بعض أعمال الأديب فقط هي التي تتسم بالمصداقية الإسلامية، فإن ذلك لا يكفي لرفعه إلى مصاف أنصار الإسلامية.

٣ ـ الوضوح:

الإسلامية جوهر ومظهر، أو مضمون وشكل، لذا يجب أن يكون مضمون العمل وشكله معاً من الوضوح، في الدلالة على الإسلامية، بحيث يتسنى لأي متلقٍ، أن يصنف الأديب، بسهولة، ضمن أنصار الإسلامية، بمجرد اطلاعه على مجمل أعماله.

٤ ـ الإيجابية:

وتعني أنه لا يكفي في الأديب المنتمي إلى الإسلامية، أن يلتزم بالتصور العقدي الإسلامي، ولا يخالفه، بل يجب عليه فضلاً عن ذلك، أن يكون إيجابياً في توجهه، فيقف مع الإسلام، ويدافع عنه، ويتصدى لمناهضيه، فكراً وقولاً وعملاً وسلوكاً، فالإسلامية تستلزم اتخاذ الأديب موقفاً لا تدع ظروف الحال شكاً في دلالته على دفاع صاحبه عن عقيدته في كل الظروف والأحوال.

٥ ـ القدرة:

وتعني قدرة الأديب على إفراغ العمل الأدبي في الإطار الشكلي الذي يخدم الموضوع، ويناسب المضمون، ويشد القارىء ويقنع المتلقي بوجه عام.

٦ ـ الاستمرارية:

وتعني وجوب قيام الأديب المنتمي للإسلامية بتعميق انتمائه باستمرار، فإن أصبح غير قادر على العطاء الإسلامي، فيجب ألا يصدر عنه ما يعارض صراحة أو ضمناً أعماله السابقة التي تتسم بالإسلامية، وقد يكون للاستمرارية معنى أخص، بالنسبة لمن كانوا غير ملتزمين من قبل ثم انتموا للإسلامية، إذ تعني الاستمرارية عدم عودتهم إلى مثل ما كانوا عليه قبل التزامهم، وقد نلمح هذا عند كعب بن زهير وحسان بن ثابت وغيرهما من الشعراء المخضرمين(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **كعب بن زهير رضي الله عنه:**

من الممكن توسيع دائرة الإسلامية في الأدب لتبدأ بكعب بن زهير، ذلك أن الإسلامية إطار عام، لا يمكن نسبته إلى شخص بعينه أو زمن بعينه في العالم الإسلامي، وعندما جاهد بعض علماء الإسلام في سبيل تكوين مدرسة للأدب الإسلامي فإنهم في الحقيقة، كانوا يريدون التعبير عن مضمون أعمق من مجرد الإطار الشخصي، هو النزعة الإسلامية في الأدب أو في كلمة واحدة «الإسلامية Islamism»، وهي نزعة يمكن أن نلمحها من لحظة إلقاء رسول(*) الله، ﷺ، بردته على كعب بن زهير عندما أنشده قصيدته اللامية في مدحه،

ﷺ، فسر بالتزامه ومصداقيته، وصحح له الشطرة التي تقول: «مهند من سيوف الهند مسلول» إلى «مهند من سيوف الله مسلول» فهذا شعر له هدف نبيل وغاية شريفة في مجال الدعوة بلا غلوٍ(*) ولا تجاوز، وهي نزعة حبذها الزمخشري في **الكشاف** بعبارات جلية.

● **حسان بن ثابت رضي الله عنه:**

حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، وكان من الشعراء المخضرمين(*) الذين حضروا الجاهلية(*) والإسلام، وقد أسلم مع السابقين من الخزرجيين، ومنذ شرح الله صدره للإسلام وهو شاعر العقيدة الذي يسجل أحداث المسلمين، ويمجد غزوات الرسول، ويرد على شعراء المشركين بجزالة، قال النثر(*) والنظم في بيان عظمة الإسلام والدعوة إلى التأدب بآدابه والعمل بأحكامه، وقد سفه قريشاً في أشعاره، ونوّه بالقرآن الكريم مصدراً أول للتشريع الإسلامي وأساساً لشريعة الحق ونبي الهدى، وبين بجلاء دور الأدب في بيان حقائق الإسلام، وقال أفضل أشعاره يوم قريظة، وفي غزوة الأحزاب وفي رثائه لنبينا محمد، ﷺ، بين أن قيمة الإسلام تكمن في التوحيد.

● **عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:**

كان أحد شعراء الرسول، ﷺ، الثلاثة الذين نافحوا عن الرسالة، وعلى الرغم من أنه استشهد في السنة الثامنة من الهجرة(*)، وأن ما وصل إلينا من شعره كان قليلاً، إلا أن ما كتبه كان يجسد أهم قيم الإسلام كالشجاعة النابعة من أعماقه، والحب لرسول الله، ﷺ، والحرص على التمسك بالدين والدفاع عنه، وطاعة الله تعالى ورسوله، ﷺ، ولذا فقد كان عبد الله بن رواحة - بحق - رائد شعر الجهاد(*) الإسلامي، تشهد على ذلك أشعاره. يقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر: «من اللفتات النبوية الكريمة استمد عبد الله بن رواحة التوجه إلى الطريق الأمثل، الذي يجب أن يسلكه الشعر الإسلامي، والإطار الذي يحسن أن يبرز فيه: صدق في التعبير، وسلامة في المقصد، وعدم الفحش في ذكر المثالب، أو النيل من الأعراض، واعتدال في القول».

● **عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

ربما كان العقاد من أكثر الكتاب التزاماً بالإسلامية في الأدب، في مواجهة تيار التغريب الذي قاده طه حسين، ولذا فإن كلام العقاد له وزنه في هذا الصدد. ومما قاله في عبقرية عمر:

كان عمر بن الخطاب أديباً مؤرخاً فقيهاً (ص ٣٤٤) عظيم الشغف بالشعر والأمثال والطرف الأدبية، وكان يروي الشعر ويتمثل به، ولم يزل عمر الخليفة هو عمر الأديب طوال حياته، لم ينكر من الشعر إلا ما ينكره المسؤول عن دين(*)، أو القاضي المتحرز الأمين، ولذا فقد نهى عن التشبيب بالمحصنات، ونهى عن الهجاء، وأعجبته الأشعار التي تنطوي على معان سامية، دعا إليها الإسلام، وكان يرى أن للشعر غاية تعليمية تربوية فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري قائلاً: مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب.. وقال لابنه يا بني.. احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك.. فإن من لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً ولم يقترف أدباً.

وفي معايير الإسلامية قال: «ارووا من الشعر أعفه، ومن الحديث أحسنه.. فمحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساويها».

ومما يؤكد تصور الإسلامية في الأدب عنده رضي الله عنه، أنه عزل النعمان بن عدي عندما تجاوز في شعره غايات الإسلام ومقاصده، بالرغم من أنه كان أحد ولاته، ولم يقبل اعتذاره وتعلله بأنه مجرد شاعر ولم يصنع شيئاً مما رواه في إحدى قصائده المبنية على الغزل الفاحش، كما سجن الحطيئة عندما هجا الزبرقان بن بدر، فلم يكن لمثل عمر أن يفعل غير ذلك فالإسلامية التزام إجباري إن صح التعبير، وإذا كانت الإسلامية التزاما فإنها تستلزم المسؤولية.

● **عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه:**

يعد عمر بن عبد العزيز من أبرز مؤسسي الإسلامية على الإطلاق؛ لأنه لم يكتف بالحديث عن وجوب الالتزام والتقيد التام بالإسلام عند مباشرة المعالجة الأدبية، بل قدم أسلوباً عمليًّا لذلك، في موقف كان يمكن أن يتقبل فيه الناتج الأدبي المنطوي على مدحه، ولكنه قدم درساً تطبيقياً في الحيلولة دون تخطي الأدب غاية الإسلامية، فقد منع الشعراء أن يمدحوه، فلما ألح عليه كثير بن عبد الرحمٰن في إنشاده، وضع معيار الحقيقة كأساس لقبول سماع الإبداع الشعري، فقد قال لكثير: نعم. ولا تقل إلا حقاً.

ومما يؤكد عدم تساهل عمر بن عبد العزيز في التزام الأدب بالأخلاق(*) والأهداف السامية قصته المشهورة مع الشعراء عندما تولى الخلافة(*)، وقيل له إنهم بالباب يريدون المثول بين يديه. وعندما توسط أحد جلسائه للشعراء وأخبره أن الرسول، ﷺ، قد سمع الشعر وأجاز الشعراء سأل من بالباب من الشعراء، وعندما أخبر بأسمائهم رفضهم واحداً تلو الآخر مع تبيان أسباب الرفض باستشهاد من أشعارهم، ولم يدخل إلا جريراً إذ وجده أقل

المجموعة فحشاً.

● **ابن قتيبة وآخرون:**

فضل ابن قتيبة الشعر الذي ينطوي على فائدة في المعنى، سواء تعلق هذا المعنى بالقيم الدينية أو الخلقية أو الحكم. ومثله كذلك مهلهل بن يموت بن المزرع، وابن وكيع التنيئسي والثعالبي وعمرو بن عبيد، ومسكويه وابن شرف القيرواني، وابن حزم الذي نهى عن الغزل وغالى في وضع القيود على الأدب لتحقيق الإسلامية حسبما تصورها، على الرغم من أنه خرج على ذلك أحياناً كثيرة في طوق الحمامة. ولا شك أن الشعر مجرد فن من فنون الأدب ولكن ضوابطه الإسلامية ومعاييرها بشأنه تصلح لكل فروع الأدب.

● **علي أحمد باكثير:**

يوصف بأنه من طلائع الإسلامية في الأدب في مجال الشعر والقصة والمسرحية، وكان لنشأته وبنائه الفكري واتساع أفقه وتنوع مصادره الثقافية أكبر الأثر في تكوين شخصيته وقلمه، ولذا كتب المسرحية الحديثة عن فهم ووعي، وعن دراسة وتعمق في معرفة أصول الصنعة المسرحية.

ولقد كان الموجه الرئيسي لباكثير في فنه الأدبي هو عقيدته الإسلامية وقيمها وتصوراتها الصائبة للحياة. يقول د. نجيب الكيلاني عن مسرحيته **حبل الغسيل** إنها كانت صرخة شجاعة أدانت فساد المنهج(*) وعفن الإدارة وانحراف المؤسسات الشعبية، حينما استبد الشيوعيون بمقاليد الأمور في مصر في النصف الأول من عقد الستينات، إذ صنعوا من الشعارات واجهة للبلاد، بينما هم يستغلونه وينفذون مخططاً موحى به إليهم من سادتهم خارج البلاد، وفي ذلك إدانة للفكر الماركسي وتجربته المشينة بمصر.

● **مصطفى صادق الرافعي:**

كانت الإسلامية في أدبه تياراً متدفقاً، فقرظ محمود سامي البارودي شعره الملتزم، وأثنى عليه مصطفى لطفي المنفلوطي، وحيَّاه الشيخ محمد عبده قائلاً: «أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق الباطل» وقد كان. ففي مؤلفاته وأشعاره ودراساته ونثره كافة، جعل الإسلام غايته وخدمة عقيدة التوحيد مقصده وبغيته. وقد وقف أمام مؤامرات الإنجليز ضد الإسلام ومؤامرات الصهيونية في فلسطين ومؤامرات الذين أرادوا إحياء العامية والقضاء على اللغة العربية، وأبرز قضايا الإسلامية عند الرافعي هي قضية إعجاز القرآن الكريم، وقضية البلاغة النبوية وقضية المقالات(*) الإسلامية.

● **أحمد شوقي :**

كانت الإسلامية واضحة في بعض أشعار أحمد شوقي ، ولم يكن يلتزم في هذه الأشعار بالمقاصد الإسلامية فقط ، بل إنه خاض بعض معارك الدفاع عن المبادىء الإسلامية وقضاياه ، فقد بيَّن أن الحرب في الإسلام لم تكن حرب عدوان وإنما كانت حرب جهاد(*) ودفاع ، وبيَّن أن الإسراء كان بالروح والجسد معاً ، وربط بين المفاهيم الدينية وبين قضايا النضال واليقظة والتحرر ودافع عن الفضائل الإسلامية والحرية(*) والنظام والشورى ، ويمكن القول كذلك إن حافظ إبراهيم على الرغم من ثقافته الأزهرية المتواضعة وأحمد محرم شاعر العروبة والإسلام كانا يستظلان كذلك بظل الإسلامية في أدائهما الملتزم .

● **محمد إقبال :**

وفكرة الإسلامية عند الشاعر محمد إقبال ١٨٧٣م تستلزم توافر ثلاث مراحل : الأولى : الوقوف على المقاصد الشرعية التي بيَّنها الدين(*) الإسلامي ، فهي حقائق أبدية لا تتغير ، والثانية : الجهاد(*) الديني في سبيل تحقيقها كل في مجاله ، وعلى الأديب أن يعتصم في سبيل ذلك بالصبر وهذا يستلزم الانقياد التام لأمر الله تعالى عن عقيدة ثابتة وإيمان راسخ ، ومحاربة نوازع النفس . وثالثها : انطلاق الذوات الإسلامية كلها لتحقيق أهداف الأمة الإسلامية .

● **الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي :**

في ٢ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ (٢٤/ ١١/ ١٩٨٤ م) أعلن الشيخ الأديب والمفكر الداعية أبو الحسن علي الحسني الندوي في لقاء ضم الكثير من مفكري وأدباء العالم الإسلامي عن ولادة رابطة الأدب الإسلامي ، التي أعطت الأدب الإسلامي كياناً متميزاً عن بقية المذاهب الأدبية الأخرى ، على أنه يجب ملاحظة أن مفهوم الإسلامية سبق الإعلان عن الرابطة بسنين طويلة ، فإنا نجد الدعوة للأدب الإسلامي في كتابات الداعية والأديب سيد قطب حينما كان يشرف على باب الأدب في الجريدة التي كان يرأس تحريرها في مصر عام ١٩٥٢ م . ونجدها ، أيضاً في كتابات أخيه محمد قطب عام ١٩٦١ م وخاصة في كتابه **منهج الفن الإسلامي** ، ونجدها أيضاً عند الدكتور نجيب الكيلاني سنة ١٩٦٣ م في كتابه : **الإسلامية والمذاهب الأدبية** ، ونجدها ، أيضاً ، عند الدكتور عماد الدين خليل عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) في كتابه : **النقد الإسلامي المعاصر** وكتابه : **محاولات جديدة في النقد الإسلامي** الذي أصدره عام ١٤٠١ هـ (١٩٨٢م) وفي كتابه : **فن الأدب الإسلامي المعاصر دراسة وتطبيق** وفي كتاباته الأدبية التي سبقت نشر هذا الكتاب ومنذ عام ١٩٦١ م في مجلة : **حضارة الإسلام** الدمشقية .

ولذا فإن الشيخ أبا الحسن علي الحسني الندوي رئيس جامعة ندوة العلماء في الهند

ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية يعد أحدث دعاة الإسلامية والمؤسسين لها، وإنه وإن كانت الرابطة لم تتشح باسم الإسلامية متخذة اسم الأدب الإسلامي، إلا أن الأمر مجرد اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاحات.

● **الدكتور عبد الرحمٰن رأفت الباشا:** ـ رحمه الله ـ.

نائب رئيس الرابطة للبلاد العربية، وكان أستاذاً للأدب والنقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويعد من أوائل من نظر للإسلامية ودافع عن الأدب الإسلامي.

● **الدكتور عبد القدوس أبو صالح:**

أستاذ الأدب والنقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ونائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب البلاد العربية.

● **الشيخ محمد الرابع الندوي:**

نائب رئيس الرابطة ورئيس مكتب الهند.

● **الأستاذ محمد حسن بريغش:**

أمين سر الرابطة للبلاد العربية وعضو مجلس الإفتاء في الرابطة.

● **الدكتور عدنان رضا النحوي:**

الشاعر والأديب السعودي وعضو مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

● **الأستاذ محمد قطب:**

المفكر والداعية المعروف، والأستاذ في جامعة الملك عبد العزيز وعضو الشرف في الرابطة، فقد تابع جهود شقيقه سيد قطب ـ يرحمه الله ـ في الإسلامية في الأدب.

● **الدكتور عبد الباسط بدر:**

الأستاذ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأمين سر مجلس أمناء الرابطة.

● **الدكتور حسن الأمراني:**

(مغربي): عضو رابطة الأدب الإسلامي ورئيس تحرير مجلة **المشكاة** التي تعنى بالأدب الإسلامي.

● **الدكتور محمد مصطفى هدارة:**

(مصري) عضو الرابطة والأستاذ في جامعة الإسكندرية.. وهو أول من أظهر حقيقة

مذهب(*) الحداثة الفكري والأدبي وأهدافه الهدامة.

● **الدكتور عبد الرحمٰن العشماوي:**

وهو يعد أبرز الأصوات الشابة الملتزمة بالإسلام والمدافعة عن القضايا الإسلامية والتصور الإيماني.

الأفكار والمعتقدات:

● جعل التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والكون والحياة، أهم أركان العمل الأدبي أيًّا كان نوعه.

● الالتزام بالتصور الإسلامي، لا يعني التوجيه القسري على غرار ما يفرضه أصحاب التفسير المادي للتاريخ(*) وإنما هو أخذ النفس البشرية بالتصور الإسلامي للحياة في سائر فنون الأدب، وبذا تتميز الإسلامية عن فكرة الالتزام عند كل من الواقعية الاشتراكية(*) والوجودية، فالالتزام عند الأولى هو الالتزام بقضايا الجماهير حسب المفهوم الماركسي المنهار، والالتزام عند الثانية ـ في النثر فقط دون الشعر ـ بقضايا الحرية حسب المفهوم الوجودي فحسب.

● التعبير المؤثر، له أهمية في مجال الأدب ولا يستغنى عنه بحجة سلامة المضمون، وبذلك يتميز الأدب عن الكلام العادي، فذلك مما يحقق غاية الإسلامية.

● وغاية الإسلامية هي وجود أدب هادف، فالأديب المسلم لا يجعل الأدب غاية لذاته كما يدعو أصحاب مذهب: (الفن للفن) وإنما يجعله وسيلة إلى غاية، وهذه الغاية تتمثل في ترسيخ الإيمان بالله عز وجل، وتأصيل القيم الفاضلة في النفوس.

● حرية التفكير والتعبير من متطلبات الإبداع(*) والصدق الأدبي، وهي وسيلة لإثراء الأدب كما وكيفاً.

● وقد وضع الإسلام حدوداً للحرية(*) في كل مجالاتها، ومنها مجال الأدب إذ إنه لا يعترف بحرية القول التي منحت للأدباء وغيرهم، إذا رأى فيها خطراً يهدد سلامة المجتمع وأمنه العقدي أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي.

● الأدب طريق مهم من طرق بناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح، وأداة من أدوات الدعوة إلى الله والدفاع عن الشخصية الإسلامية.

● الإسلامية حقيقة قائمة قديماً وحديثاً، وهي تبدأ من القرآن الكريم والحديث النبوي، ومعركة شعراء الرسول(*) ﷺ مع كفار قريش، وتمتد إلى عصرنا الحاضر لتسهم في الدعوة إلى الله ومحاربة أعداء الإسلام والمنحرفين عنه.

● الإسلامية هي أدب الشعوب الإسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها، وخصائصها هي الخصائص الفنية المشتركة بين آداب الشعوب الإسلامية كلها.

● ترفض الإسلامية أي محاولة لقطع الصلة بين الأدب القديم والأدب الحديث بدعوى التطور أو الحداثة أو المعاصرة، وترى أن الأدب الحديث مرتبط بجذوره القديمة.

● ترفض الإسلامية المذاهب(*) الأدبية التي تخالف التصور الإسلامي، والأدبَ العربي المزور، والنقد الأدبي المبني على المجاملة المشبوهة أو الحقد الشخصي، كما ترفض اللغة التي يشوبها الغموض وتكثر فيها المصطلحات الدخيلة والرموز المشبوهة، وتدعو إلى نقد واضح بناء.

● تستفيد الإسلامية من الأجناس الأدبية جميعها شعراً ونثراً، ولا ترفض أي شكل من أشكال التعبير، وتعنى بالمضمون الذي يحدد طبيعة الشكل الملائم للأداء.

● والإسلامية في الأدب تأبى الانحراف عن القيود الواردة في تعريف الإسلامية، فهي كما يقول أحد الباحثين تأبى، مثلاً، «تأليه الإنسان (كلاسيكيا)، وإغراقه الذاتي الأناني (رومنسيا)، وتمجيد لحظات الضعف البشري (واقعيًا)، وتصوير الانحراف الفكري أو النفسي أو الأخلاقي (وجوديًا)» فليس ثمة عبث وليس ثمة حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كما يرى (سارتر). وليس ثمة تناقضات نفسية لا نهاية لها تنتهي دائماً بالضياع كما يرى (ديستويفسكي).

● والإسلامية إطار واقعي للعمل الأدبي، فهي ليست مجالاً لتحقيق الخيال الجامح أو التعبير عن شطحات منبتة الصلة بالواقع، وواقع الإسلامية أنها فكرة غائية عقدية، وغايتها ليست تحقيق مصلحة ذاتية أو شخصية كإطار للبراجماتية، وإنما تحقيق مصلحة العقيدة وكل من يتمسك بهذه العقيدة، فالإسلامية إطار للحقيقة لا الزيف، والاستقامة لا الانحراف، ذلك أنها تدور مع وجود المسلم، وللوجود الإنساني غاية إسلامية كبرى هي الكدح والعمل والعبادة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] وهذه الواقعية توجد في القرآن الكريم ذاته، فإحدى معجزاته أنه قدم أمثلة عليا للأداء الفني المتجانس في القصة وغيرها، وما قصة يوسف، عليه الصلاة والسلام، عنا ببعيد.

● والإسلامية ليست قيداً على الإبداع(*). وإنما هي إطار موضوعي وشكلي لتحصين العمل الأدبي من الإسفاف الذي قد يقضي على الأديب، أما التحرر المطلق من كل القيم الذي ينهي وجود الأديب، أو الخروج عن منطق الأدب ذاته، فهذا أمر يفرغ العمل الأدبي من

مضمونه، فمنطق الإسلامية، ينبثق من حضارة إسلامية، تتيح للأديب فرصة التعبير عن كل ما يجول بخاطره، فيطرح المضمون الذي يريد في الشكل الذي يريد طالما كان في إطار التصور الإسلامي.

● وترتيباً على ما تقدم فإن الإسلامية تختلف عن سائر المضمونات الدينية البعيدة عن العقيدة الإسلامية سواء أكانت دينية سماوية أو دينية وضعية، ولذا فإن الانفتاح على الأعمال الأدبية يجب أن يتم من خلال وجدان إسلامي راق وحسّ إنساني مرهف، للتخفيف من هموم الإنسان ومعاناته لا دفعه في أتون الصراع اللانهائي بين العبث واللامعقول، والعدمية والوجودية، وغيرها من المذاهب التي لا تروي الظمأ الديني لدى المتلقي ولا تسمو بأحاسيسه ومشاعره، بل تلغي له الزمن في العمل الأدبي، وتفكك له الأحداث، وتلغي له الشخصيات، وتمس جوهر العمل، فمسخ العمل أو تشويهه ليس من طبيعة الإسلامية.

بل إن هذا العمل لا يمكن أن يرتطم بطبائع الأمور، ولا النظرة الإسلامية للكون والحياة والوجود، ومن أجل هذا فإنه، وإن كان لا يجوز دمج الإسلامية في غيرها من المذاهب، إلا أن الإسلامية لا تأبى التعايش مع أي نتاج أدبي عالمي، طالما لم تهدم الحواجز بين الأمرين، فخصوصية الإسلامية أنها وليدة الزمن والمكان، وأنها نسيج لقاء العقيدة بالإنسان، ولذا فإنها عالمية الأثر، كونية الرؤية، شمولية النزعة، توفق بين المنظور الواقعي والغيب اللامرئي، وتوائم بين المادي والروحي، وتجانس بين الثابت والمتغير، ولا يوجد فيها أي تنافٍ لوجود المحدود مع المطلق، ومعالجة الجزئي مع الكلي، طالما أن الهدف الأساسي للإسلامية هو صنع عالم سعيد لبني البشر، يعينهم على تجاوز متاعبهم، ويزيل المتاريس التي تقف أمام انطلاق عقيدتهم. ومن أمثلة هذه المتاريس النتاج الأدبي المتأثر بالنصرانية والذي نجده عند لويس شيخو، وسلامة موسى، وغالي شكري، ولويس عوض، وإيليا حاوي، وخليل حاوي، وسعيد عقل، وجبرا إبراهيم جبرا وغيرهم، وقد تأثر بهم بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور وغيرهم.

ـ والإسلامية، بصفتها بنياناً أدبياً عقدياً، تجد في الإسلام مجالاً رحباً، يقدم الأدباء من خلاله فكرهم البناء، وسلوكهم الهادف، وتصورهم الصائب، وقضايا الإنسان التي تحتاج إلى معالجة. والإسلامية تجعل كل هذه الأمور ذات بنيان متجانس السمات، غير متنافر الأهداف والغايات، ولا حجر في أن تكون الإسلامية فكرة عقدية، فليس المطلوب منا أن نذوب في غيرنا، أو أن نكون انعكاساً لحقائق أو أوهام تزرع في غير تربتنا، وحسبنا أن نعود إلى ماضينا لندرك عظمة توجيه الرسول(*)، ﷺ، الشعراء إلى الدفاع عن المجتمع

المسلم والجهاد بالكلمة، ولنعي أن البنية الخلقية الإسلامية.. أحدثت انقلاباً عميقاً في النفوس، ولذا عاشت الإسلامية، وأمكن استخلاصها من بطون الكتب، وكانت توجيهات الخلفاء الراشدين للشعراء بالالتزام بالبنية الأخلاقية الإسلامية، وفي العصر العباسي علت دعوة أبي العتاهية إلى الزهد، وهكذا.

أماكن الانتشار:

أصبح للإسلامية أنصار في جميع أنحاء العالم.. ولها مكتبات في الهند وفي البلاد العربية وعقدت رابطة الأدب الإسلامية العالمية عدة مؤتمرات في الهند وتركيا ومصر، واشترك فيها عدد كبير من أدباء العالم الإسلامي.

ويتضح مما سبق:

أن الإسلامية ذات مدلول شامل في الزمان والمكان، فهي قديمة قدم الدعوة الإسلامية، وممتدة مع الإسلام عبر الأزمان. وهي لا تختص باللسان العربي المسلم دون سواه، بل تتعلق بكل مسلم أياً كان مكان ولادته أو نشأته. والإسلامية ليست حبيسة صفحات الكتاب المتفرغين للأدب والمعنيين به، وإنما توجد في ثنايا كتابة تعرض لأي مسألة، حتى وإن كانت من مسائل العلم في شتى فروعه. ومن هذا المنطلق فإن المدرسة الأدبية الإسلامية الهندية أو الباكستانية أو الأندونيسية أو التشادية أو السنغالية أو غيرها تعد تجسيداً للإسلامية في الأدب، كما تعد الكتابات العلمية ذات الأسس الجمالية والبنيانات الفنية من هذا القبيل أيضاً، فآداب الشعوب الإسلامية غير العربية هي رافد من روافد الإسلامية مادامت في إطار التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، ولا تعرض ما يرفض الإسلام أو يتعارض مع منهجه الفكري.

مراجع للتوسع:

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، للدكتور عبد الرحمٰن رأفت الباشا. طـ. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **منهج الفن الإسلامي**، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

- **في الأدب الإسلامي المعاصر**، محمد حسن بريغش، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء.

- **الأدب في خدمة الحياة والعقيدة**، عبد الله حمد العويشق، طـ. كلية اللغة العربية بالرياض، ١٣٨٩هـ/ ١٣٩٠هـ.

- **نظرات في الأدب**، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **الأدب الإسلامي وصلته بالحياة**، محمد الرابع الندوي، مؤسسة الرسالة، ط ١ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **أدب الصحوة الإسلامية**، واضح الندوي، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **تعريف برابطة الأدب الإسلامي**، إصدار الرابطة عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- **مجلة المشكاة**. العدد ١٣ السنة الرابعة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- **النقد الأدبي أصوله ومفاهيمه**، سيد قطب، دار الشروق، بيروت.
- **الإسلامية والمذاهب الأدبية**، د. نجيب الكيلاني/ مؤسسة الرسالة ط ٢ (١٤٠١هـ).

١١٠ـ الكلاسيكية

التعريف:

الكلاسيكية مذهب(*) أدبي، ويطلق عليه، أيضاً، «المذهب الاتباعي» أو المدرسي . . وقد كان يقصد به في القرن الثاني الميلادي الكتابة الأرستقراطية(*) الرفيعة الموجهة للصفوة المثقفة الموسرة من المجتمع الأوربي.

أما في عصر النهضة(*) الأوربية، وكذلك في العصر الحديث: فيقصد به كل أدب يبلور المثل الإنسانية المتمثلة في الخير والحق والجمال، «وهي المثل التي لا تتغير باختلاف المكان والزمان والطبقة الاجتماعية»، وهذا المذهب له من الخصائص الجيدة ما يمكنه من البقاء وإثارة اهتمام الأجيال المتعاقبة. ومن خصائصه كذلك عنايته الكبرى بالأسلوب والحرص على فصاحة اللغة وأناقة العبارة ومخاطبة جمهور مثقف غالباً، والتعبير عن العواطف الإنسانية العامة وربط الأدب بالمبادىء الأخلاقية وتوظيفه لخدمة الغايات التعليمية واحترام التقاليد الاجتماعية السائدة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● يعد الكاتب اللاتيني أولوس جيليوس هو أول من استعمل لفظ الكلاسيكية على أنه اصطلاح مضاد للكتابة الشعبية، في القرن الثاني الميلادي.

● وتعد مدرسة الإسكندرية القديمة أصدق مثال على الكلاسيكية التقليدية، التي تنحصر في تقليد وبلورة ما أنجزه القدماء وخاصة الإغريق دون محاولة الابتكار والإبداع(*).

● وأول من طور الكلاسيكية الكاتب الإيطالي بوكاتشيو ١٣١٣ ـ ١٣٧٥م فألغى الهوة بين الكتابة الأرستقراطية والكتابة الشعبية، وتعود له أصول اللغة الإيطالية المعاصرة.

● كما أن رائد المدرسة الإنجليزية شكسبير ١٥٦٤ ـ ١٦١٦م طور الكلاسيكية في عصره، ووجه الأذهان إلى الأدب الإيطالي في العصور الوسطى ومطالع عصر النهضة(*).

● أما المذهب الكلاسيكي الحديث في الغرب، فإن المدرسة الفرنسية هي التي أسسته على يد الناقد الفرنسي نيكولا بوالو ١٦٣٦ ـ ١٧١١م في كتابه الشهير فن الأدب الذي ألفه عام ١٦٧٤م. إذ قنن قواعد الكلاسيكية وأبرزها للوجود من جديد، ولذا يعد مُنظر المذهب(*) الكلاسيكي الفرنسي الذي يحظى باعتراف الجميع.

● ومن أبرز شخصيات المذهب الكلاسيكي في أوربا بعد بوالو:

ـ الشاعر الإنجليزي جون أولدهام ١٦٥٣ ـ ١٧٧٣م وهو ناقد أدبي ومن المؤيدين للكلاسيكية.

ـ الناقد الألماني جوتشهيد ١٧٠٠ ـ ١٧٦٦م الذي ألف كتاب **فن الشعر ونقده**.

ـ الأديب الفرنسي راسين ١٦٣٩ ـ ١٦٩٩م وأشهر مسرحياته **فيدرا والإسكندر**.

ـ والأديب كورني ١٦٠٦ ـ ١٧٨٤م وأشهر مسرحياته **السيد ـ أوديب**.

ـ الأديب موليير ١٦٢٢ ـ ١٦٧٣م وأشهر مسرحياته **البخيل ـ طرطوف**.

ـ والأديب لافونتين ١٦٢١ ـ ١٦٩٥م الذي اشتهر بالقصص الشعرية وقد تأثر به احمد شوقي في مسرحياته.

الأفكار والمعتقدات:

● يقوم المذهب الكلاسيكي الحديث، الذي أنشأته المدرسة الفرنسية مؤسسة المذهب على الأفكار والمبادىء التالية:

ـ تقليد الأدب اليوناني والروماني في تطبيق القواعد الأدبية والنقدية وخاصة القواعد الأرسطية في الكتابين الشهيرين: **فن الشعر** و**فن الخطابة** لأرسطو.

ـ العقل(*) هو الأساس والمعيار لفلسفة الجمال في الأدب، وهو الذي يحدد الرسالة الاجتماعية للأديب والشاعر، وهو الذي يوحد بين المتعة والمنفعة.

ـ الأدب للصفوة المثقفة الموسرة وليس لسواد الشعب، لأن أهل هذه الصفوة هم أعرف بالفن والجمال، فالجمال الشعري خاصة لا تراه كل العيون.

ـ الاهتمام بالشكل وبالأسلوب وما يتبعه من فصاحة وجمال وتعبير.

ـ تكمن قيمة العمل الأدبي في تحليله للنفس البشرية والكشف عن أسرارها بأسلوب بارع ودقيق وموضوعي، بصرف النظر عما في هذه النفس من خير أو شر.

ـ غاية الأدب هو الفائدة الخلقية من خلال المتعة الفنية، وهذا يتطلب التعلم والصنعة، ويعتمد عليها أكثر مما يعتمد على الإلهام والموهبة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ارتبط المذهب(*) الكلاسيكي بالنظرة اليونانية الوثنية، وحمل كل تصوراتها وأفكارها وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها.

● والأدب اليوناني ارتبط بالوثنية(*) في جميع الأجناس الأدبية من نقد أدبي وأسطورة إلى شعر ومسرح.

● ثم جاء الرومان واقتبسوا جميع القيم الأدبية اليونانية وما تحويه من عقائد وأفكار وثنية.

● وجاءت النصرانية وحاربت هذه القيم باعتبارها قيماً وثنية، وحاولت أن تصبغ الأدب في عصرها بالطابع النصراني، وتستمد قيمها من الإنجيل(*) إلا أنها فشلت، وذلك لقوة الأصول اليونانية وبسبب التحريف الذي أصابها.

● وبعد القرن الثالث عشر الميلادي ظهرت في إيطاليا بداية حركة إحياء للآداب اليونانية القديمة، وذلك بعد اطلاع النقاد والأدباء على كتب أرسطو في أصولها اليونانية وترجماتها العربية، التي نقلت عن طريق الأندلس وصقلية وبلاد الشام بعد الحروب الصليبية.

● وازدهر المذهب الكلاسيكي في الأدب والنقد بعد القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

الكلاسيكية الحديثة:

تطورت الكلاسيكية في الوقت الحاضر إلى ما أطلق عليه النقاد (النيوكلاسيكية) أو الكلاسيكية الحديثة، والتي حاولت أن تنظر إلى الأمور نظرة تجمع بين الموضوعية الجامدة للكلاسيكية القديمة والذاتية المتطرفة للرومانسية الجديدة. وقد بدأت هذه المدرسة في الظهور على يد كل من ت. س. إليوت الكاتب والأديب الأمريكي، وأ. أ. ريتشاردز وغيرهما من النقاد المعاصرين.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تعد فرنسا البلد الأم لأكثر المذاهب الأدبية والفكرية في أوربا، ومنها المذهب الكلاسيكي، وفرنسا ـ كما رأينا ـ هي التي قننت المذهب ووضعت له الأسس والقواعد النابعة من الأصول اليونانية.

● ثم انتشر المذهب(*) في إيطاليا وبريطانيا وألمانيا.. على يد كبار الأدباء مثل بوكاتشيو وشكسبير.

ويتضح مما سبق:

أن الكلاسيكية مذهب أدبي يقول عنه أتباعه إنه يبلور المثل الإنسانية الثابتة كالحق والخير والجمال، ويهدف إلى العناية بأسلوب الكتابة وفصاحة اللغة وربط الأدب بالمبادىء الأخلاقية، ويعد شكسبير رائد المدرسة الكلاسيكية في عصره، ولكن المذهب الكلاسيكي الحديث ينسب إلى المدرسة الفرنسية، إذ تبناه الناقد الفرنسي نيكولا بوالو ١٦٣٦ ـ ١٧١١م في كتابه الشهير **علم الأدب**. ويقوم المذهب الكلاسيكي الحديث على أفكار مهمة منها، تقليد الأدب اليوناني والروماني من بعض الاتجاهات، واعتبار العقل(*) هو الأساس

والمعيار لفلسفة الجمال في الأدب، فضلاً عن جعل الأدب للصفوة المثقفة الموسرة وليس لسواد الشعب، مع الاهتمام بالشكل والأسلوب وما يستتبع ذلك من جمال التعبير، على نحو تتحقق معه فكرة تحليل النفس البشرية والكشف عن أسرارها بأسلوب بارع ودقيق وموضوعي.

● ومن أهم الجوانب التي تستحق التعليق في الكلاسيكية أنها تعلي من قدر الأدبين اليوناني والروماني مع ارتباطهما بالتصورات الوثنية، وعلى الرغم مما فيهما من تصوير بارع للعواطف الإنسانية فإن اهتماماتهما توجه بالدرجة الأولى إلى الطبقات العليا من المجتمع، وربما استتبع ذلك الانصراف عن الاهتمام بالمشكلات الاجتماعية والسياسية.

مراجع للتوسع:

- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا.
- مذاهب الأدب الغربي، د. عبد الباسط بدر.
- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، د. نبيل راغب - مكتبة مصر - القاهرة.
- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال - دار العودة - بيروت.
- المدخل إلى النقد الحديث، د. محمد غنيمي هلال - دار العودة - بيروت.
- المذاهب الأدبية، د. جميل نصيف التكريتي - دار الشؤون الثقافية العامة.
- مقالات عن شعر الكلاسيكية والرومانتيكية والبرناسية في: **المجلة** أعداد يوليو وأغسطس وسبتمبر ١٩٥٩م.

المراجع الأجنبية:

- Braunschvig: Notre Litterature Etudiée dans le Texte. Paris 1949.
- Lanson: Histoire de la litterature Francaise paris 1916.
- De Segur (Nicola): Histoire de la littrature Européenne 1959.

١١١ـ الرومانسية

التعريف:

● الرومانسية أو الرومانتيكية مذهب(*) أدبي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلة، أياً كانت طبيعة صاحبها مؤمناً أو ملحداً، مع فصل الأدب عن الأخلاق(*). ولذا يتصف هذا المذهب بالسهولة في التعبير والتفكير، وإطلاق النفس على سجيتها، والاستجابة لأهوائها. وهو مذهب متحرر من قيود العقل(*) والواقعية اللذين نجدهما لدى المذهب الكلاسيكي الأدبي، وقد زخرت بتيارات لا دينية وغير أخلاقية.

ـ ويحتوي هذا المذهب على جميع تيارات الفكر التي سادت في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وأوائل القرن التاسع عشر.

ـ والرومانسية أصل كلمتها من: رومانس Romance باللغة الإنجليزية ومعناها قصة أو رواية تتضمن مغامرات عاطفية وخيالية، ولا تخضع للرغبة العقلية المتجردة، ولا تعتمد الأسلوب الكلاسيكي المتأنق، وتعظم الخيال المجنح، وتسعى للانطلاق والهروب من الواقع المرير، ولهذا يقول بول فاليري: «لا بد أن يكون المرء غير متزن العقل إذا حاول تعريف الرومانسية».

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بدأت الرومانسية في فرنسا عندما قدّم الباحث الفرنسي عام ١٧٧٦م ترجمة لمسرحيات شكسبير إلى الفرنسية، واستخدم الرومانسية كمصطلح في النقد الأدبي.

● ويعد الناقد الألماني فريدريك شليجل أول من وضع الرومانسية كنقيض للكلاسيكية.

● ثم تبلورت الرومانسية مذهباً أدبياً، وبدأ الناس يدركون معناها الحقيقي التجديدي وثورتها ضد الكلاسيكية.

● وترجع الرومانسية الإنجليزية إلى عام ١٧١١م، ولكن على شكل فلسفة فكرية.. ونضجت الرومانسية الإنجليزية على يد توماس جراي ووليام بليك.

● ولا شك أن الثورة(*) الفرنسية ١٧٨٩م هي أحد العوامل الكبرى التي كانت باعثاً ونتيجة في آن واحد للفكر الرومانسي المتحرر والمتمرد على أوضاع كثيرة،

أهمها الكنيسة(*) وسطوتها والواقع الفرنسي وما فيه.

● وفي إيطاليا ارتبط الأدب بالسياسة عام ١٨١٥م وأصبح الاصطلاح الرومانسي في الأدب يعني ليبراليا (أي: حراً أو حرية) في السياسة.

● **ومن أبرز المفكرين والأدباء الذين اعتنقوا الرومانسية:**

- المفكر والأديب الفرنسي جان جاك روسو ١٧١٢ - ١٧٨٨م ويعد رائد الرومانسية الحديثة.

- الكاتب الفرنسي شاتو بريان ١٧٦٨ - ١٨٤٨م ويعد من رواد المذهب الذين ثاروا على الأدب اليوناني القائم على تعدد الآلهة.

- مجموعة من الشعراء الإنجليز، امتازوا بالعاطفة الجياشة والذاتية والغموض، على الرغم من أنهم تغنوا بجمال الطبيعة وهم: توماس جراي ١٧١٦ - ١٧٧١م ووليم بليك ١٧٥٧ - ١٨٢٧م وشيلي ١٧٦٢ - ١٨٢٢م كيتس ١٧٩٥ - ١٨٢١م وبايرون ١٧٨٨ - ١٨٢٤م.

- الشاعر الألماني جيته ١٧٤٩ - ١٨٣٢م مؤلف **رواية آلام فرتر** عام ١٧٨٢م و**فاوست** التي تظهر الصراع بين الإنسان والشيطان.

- الشاعر الألماني شيلر ١٧٥٩ - ١٨٠٥م ويعد، أيضاً، من رواد المذهب(*).

- الشاعر الفرنسي بودلير ١٨٢١ - ١٨٦٧م الذي اتخذ المذهب الرومانسي في عصره شكل الإلحاد(*) بالدين(*).

الأفكار والمعتقدات:

● لقد كانت الرومانسية ثورة ضد الكلاسيكية، وهذا ما نراه واضحاً من خلال أفكارها ومبادئها وأساليبها التي قد لا تكون واحدة عند جميع الرومانسيين، ويمكن إجمال هذه الأفكار والمبادىء فيما يلي:

- الذاتية أو الفردية: وتعد من أهم مبادىء الرومانسية، وتتضمن الذاتية عواطف الحزن والكآبة والأمل، وأحياناً الثورة على المجتمع. فضلاً عن التحرر من قيود العقل والواقعية والتحليق في رحاب الخيال والصور والأحلام.

- التركيز على التلقائية والعفوية في التعبير الأدبي، لذلك لا تهتم الرومانسية بالأسلوب المتأنق، والألفاظ اللغوية القوية الجزلة.

تنزع بشدة إلى الثورة وتتعلق بالمطلق واللامحدود.

- الحرية الفردية أمر مقدس لدى الرومانسية، لذلك نجد من الرومانسيين من هو

شديد التدين مثل: شاتوبريان، ونجد منهم شديد الإلحاد مثل شيلي. ولكن معظمهم يتعالى على الأديان والمعتقدات والشرائع التي يعدها قيوداً.

ـ الاهتمام بالطبيعة(*)، والدعوة إلى الرجوع إليها إذ فيها الصفاء والفطرة السليمة، وإليها دعا روسو.

ـ فصل الأدب عن الأخلاق، فليس من الضروري أن يكون الأديب الفذ فذ الخلق. ولا أن يكون الأدب الرائع خاضعاً للقوانين الخلقية.

ـ الإبداع(*) والابتكار القائمان على إظهار أسرار الحياة من صميم عمل الأديب، وذلك خلافاً لما ذهب إليه أرسطو من أن عمل الأديب محاكاة الحياة وتصويرها.

ـ الاهتمام بالمسرح؛ لأنه هو الذي يطلق الأخيلة المثيرة التي تؤدي إلى جيشان العاطفة وهيجانها.

ـ الاهتمام بالآداب الشعبية والقومية، والاهتمام باللون المحلي الذي يطبع الأديب بطابعه، وخاصة في الأعمال القصصية والمسرحية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تعد الرومانسية ثورة ضد الكلاسيكية المتشددة في قواعدها العقلية والأدبية، وكذلك ثورة ضد العقائد اليونانية المبنية على تعدد الآلهة(*).. ومن جذور هذه الثورة ظهور التيارات الفلسفية التي تدعو إلى التحرر من القيود العقلية والدينية والاجتماعية. فضلاً عن اضطراب الأحوال السياسية في أوربا بعد الثورة(*) الفرنسية الداعية إلى الحرية(*) والمساواة وما يتبع ذلك من صراع على المستعمرات، وحروب داخلية.. كل هذه الأمور تركت الإنسان الأوربي قلقاً حزيناً متشائماً، فانتشر فيه، مرض العصر، وهو الإحساس بالكآبة والإحباط ومحاولة الهروب من الواقع، وكان من نتيجة ذلك ظهور اتجاهات متعددة في الرومانسية، إذ توغلت في العقيدة والأخلاق(*) والفلسفة(*) والتاريخ والفنون الجميلة.

ـ ودخلت الرومانسية في الفلسفة وتجلت في نظرية الإنسان الأعلى (السوبرمان) عند نيتشه ١٨٤٤ ـ ١٩٠٠م ونظرية الوثبة الحيوية عند برجسون ١٨٥٩ ـ ١٩٤١م.

● **الرومانسية الجديدة:**

● انحسرت الرومانسية في مطلع القرن العشرين عندما أعلن النقاد الفرنسيون هجومهم عليها ـ وذلك لأنها تسلب الإنسان عقله ومنطقه ـ وهاجموا روسو الذي نادى بالعودة إلى الطبيعة(*). وقالوا: لا خير في عاطفة وخيال لا يحكمهما العقل(*) المفكر

والذكاء الإنساني والحكمة الواعية والإرادة المدركة.

وكان من نتيجة ذلك نشوء الرومانسية الجديدة ودعوتها إلى الربط بين العاطفة التلقائية والإرادة الواعية في وحدة فكرية وعاطفية، ومن ثم نشأت الرومانسية الجديدة حاملة معها أكثر المعتقدات القديمة للرومانسية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● تعد فرنسا موطن المذهب(*) الرومانسي، ومنها انتقل إلى ألمانيا ومنها إلى إنجلترا وإيطاليا.

ويتضح مما سبق:

أن الرومانسية أو الرومانتيكية مذهب أدبي يقول أنصاره إنه يهدف إلى سبر أغوار النفس البشرية واستظهار ما تزخر به من عواطف ومشاعر وأحاسيس وأخيلة، للتعبير من خلال الذاتية عن عواطف الحزن والأسى والكآبة والألم والأمل، ومن خلال العفوية الخالية من تأنق الأسلوب وجزالة اللفظ ودقة التراكيب اللغوية، مع الاهتمام بالطبيعة وضرورة الرجوع إليها، وفصل الأخلاق(*) عن الأدب، والاهتمام بالآداب الشعبية.

وقد اعتنق كثير من الحداثيين الرومانسية، بل عدها بعضهم أحد اتجاهات الحداثة.

● تعقيب:

ومن وجهة النظر الإسلامية فإن أي تيار أدبي لا بد أن يكون ملتزماً بالدين(*) والأخلاق بصفتها جزءاً من العقيدة، وإذا كانت ملازمة الحزن والتعبير عنه لها سلبيات كثيرة، فإن الإسلام يتطلب من معتنقيه مواجهة الظروف التي يتعرضون لها بشجاعة والتسليم بقضاء الله وتلمس الأسباب للخروج من الأزمات، دون يأس أو إحباط، وكل إنسان مسؤول عن تصرفاته ومحاسب عليها بين يدي الله، طالما كان يملك أهلية التصرف، أما المكره فهو معذور وتسقط عنه الأوزار فيما يرتكبه قسراً، ولكنه لا يعذر في التعبير الحر عما ينافي العقيدة ويتعارض معها.

مراجع للتوسع:

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا ـ طـ. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض.
- **مذاهب الأدب الغربي**، د. عبد الباسط بدر/ نشر دار الشعاع ـ الكويت.

- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، د. نبيل راغب - مكتبة مصر - القاهرة.
- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال - دار العودة - بيروت.
- المدخل إلى النقد الحديث، د. محمد غنيمي هلال - القاهرة: ١٩٥٩ م.
- الرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال - القاهرة: ١٩٥٥م.
- الأدب المقارن، ماريوس فرنسوا غويار - (سلسلة زدني علماً).
- المذاهب الأدبية الكبرى، فيليب فان تيغيمة (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- Braunschvig: Notre Litterature Etudiée dans le Texte. paris 1949.
- Lanson: Histoire de la Litterature Francaise. Paris. 1960.
- De Segur (Nicola): Histoire de la Litterature Europieénne, Paris, 1959.

١١٢ - الرمزية

التعريف:

● الرمزية مذهب(*) أدبي فلسفي ملحد، يعبر عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة بواسطة الرمز أو الإشارة أو التلميح.

- والرمز معناه الإيحاء، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى اللغة على أدائها أو لا يراد التعبير عنها مباشرة.

- ولا تخلو الرمزية من مضامين فكرية واجتماعية، تدعو إلى التحلل من القيم الدينية والخلقية، بل تتمرد عليها؛ متسترة بالرمز والإشارة.

- وتعد الرمزية الأساس المؤثر في مذهب الحداثة الفكري والأدبي الذي خلفه.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● على الرغم من أن استعمال الرمز قديم جداً، كما هو عند الفراعنة واليونانيين القدماء، إلا أن المذهب الرمزي بخصائصه المتميزة لم يعرف إلا عام ١٨٨٦م، إذ أصدر عشرون كاتباً فرنسيًّا بياناً نشر في إحدى الصحف يعلن ميلاد المذهب الرمزي، وعرف هؤلاء الكتّاب حتى مطلع القرن العشرين بالأدباء الغامضين. وقد جاء في البيان: إن هدفهم «تقديم نوع من التجربة الأدبية تستخدم فيها الكلمات لاستحضار حالات وجدانية، سواء كانت شعورية أو لا شعورية، بصرف النظر عن الماديات المحسوسة التي ترمز إلى هذه الكلمات، وبصرف النظر عن المحتوى العقلي الذي تتضمنه، لأن التجربة الأدبية تجربة وجدانية في المقام الأول».

● **ومن أبرز الشخصيات في المذهب الرمزي في فرنسا وهي مسقط رأس الرمزية:**

- الأديب الفرنسي بودلير ١٨٢١ - ١٨٦٧م وتلميذه رامبو.
- وما لا راميه ١٨٤٢ - ١٨٩٨م ويعد من رموز مذهب الحداثة، أيضاً.
- بول فاليري ١٨٧١ - ١٩٤٥م.
- وفي ألمانيا ر. م. ريلكه وستيفان جورج.
- وفي أمريكا يمي لويل.
- وفي بريطانيا: أوسكار وايلد.

الأفكار والمعتقدات:

من الأفكار والآراء التي تضمنتها الرمزية:

● الابتعاد عن عالم الواقع وما فيه من مشكلات اجتماعية وسياسية، والجنوح إلى عالم الخيال بحيث يكون الرمز هو المعبر عن المعاني العقلية والمشاعر العاطفية.

● البحث عن عالم مثالي مجهول يسد الفراغ الروحي، ويعوضهم عن غياب العقيدة الدينية، وقد وجد الرمزيون ضالتهم في عالم اللاشعور والأشباح والأرواح.

● اتخاذ أساليب تعبيرية جديدة واستخدام ألفاظ موحية، تعبر عن أجواء روحية، مثل لفظ الغروب الذي يوحي بمصرع الشمس الدامي والشعور بزوال أمر ما، والإحساس بالانقباض. وكذلك تعمد الرمزية إلى تقريب الصفات المتباعدة رغبة في الإيحاء مثل تعبيرات: الكون المقمر، الضوء الباكي، الشمس المرة المذاق.. إلخ.

● تحرير الشعر من الأوزان التقليدية، فقد دعا الرمزيون إلى الشعر المطلق مع التزام القافية أو الشعر الحر وذلك لتساير الموسيقى فيه دفعات الشعور.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد انبثقت الرمزية عن نظرية المثل لدى أفلاطون، وهي نظرية تقوم على إنكار الحقائق الملموسة، وتعبر النظرية عن حقائق مثالية، وتقول: إن عقل(*) الإنسان الظاهر الواعي عقل محدود، وإن الإنسان يملك عقلاً غير واعٍ أرحب من ذلك العقل.

● وفي أواخر القرن التاسع عشر تجمعت عوامل عقدية واجتماعية وثقافية لولادة الرمزية على يد: بودلير وغيره من الأدباء:

- **العوامل العقدية**: وتتمثل في انغماس الإنسان الغربي في المادية(*) التي زرعتها الفلسفة(*) الوضعية، ونسيان كيانه الروحي، وقد فشلت المادية والإلحاد(*) في ملء الفراغ الذي تركه عدم الإيمان بالله.

- **العوامل الاجتماعية**: وتتمثل في الصراع الاجتماعي الحاد بين ما يريده بعض الأدباء والمفكرين من حرية مطلقة وإباحية أخلاقية، وبين ما يمارسه المجتمع من ضغط وكبح لجماحهم، مما زاد تأثرهم بنظرية المثل الأفلاطونية وكتابات الكاتب الأمريكي إدجار آلان بو - الخيالية المتميزة.

- **العوامل الفنية**: وذلك باعتقادهم أن اللغة عاجزة عن التعبير عن تجربتهم الشعورية العميقة، فلم يبق إلا الرمز ليعبر فيه الأديب عن مكنونات صدره.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت الرمزية في فرنسا حيث ولدت أكثر المذاهب(*) الأدبية والفكرية، ثم انتشرت في أوربا وأمريكا.

● ويكاد يكون هذا المذهب نتيجة من نتائج تمزق الإنسان الأوروبي وضياعه؛ بسبب طغيان النزعة المادية وغيبة الحقيقة، والتعلق بالعقل البشري وحده للوصول إليها، من خلال علوم توهم بالخلاص عند السير في دروب الجمال، ولا شك أن الرمزية ثمرة من ثمرات الفراغ الروحي والهروب من مواجهة المشكلات باستخدام الرمز في التعبير عنها.

ويتضح مما سبق:

أن الرمزية مذهب أدبي يتحلل من القيم الدينية، ويعبر عن التجارب الأدبية الفلسفية من خلال الرمز والتلميح، نأياً عن عالم الواقع وجنوحاً إلى عالم الخيال، وبحثاً عن مثالية مجهولة تعوض الشباب عن غياب العقيدة الدينية، وذلك باستخدام الأساليب التعبيرية الجديدة، والألفاظ الموحية، وتحرير الشعر من جميع قيود الوزن التقليدية. ولا شك في خطورة هذا المذهب على الشباب المسلم إن درسه دون أن يكون ملما سلفاً بأسسه المتقدمة والتي تهدر القيم الدينية.

مراجع للتوسع:

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، د. عبد الرحمن رأفت الباشا.
- **مذاهب الأدب الغربي**، د. عبد الباسط بدر، نشر دار الشعاع - الكويت.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب.
- مقالة: «**الحداثة في الأدب العربي المعاصر هل انفض سامرها**»، للدكتور محمد مصطفى هدارة - **مجلة الحرس الوطني** عدد ربيع الآخرة ١٤١٠هـ.
- **الأدب الرمزي**، تأليف هنري بير - ترجمة هنري زغيب.
- **السريالية**، إيف دوليس (سلسلة زدني علماً).
- **الأدب المقارن**، مايوس فرانسوا غويار (سلسلة زدني علماً).
- **المعجم الأدبي**، جبور عبد النور - دار العلم للملايين - بيروت.

المراجع الأجنبية:

- Clourad (H): Histoire de la litterature Francaise du symbolisme a nor jours. Paris 1944 - 1949.
- Cazamian (L): Symbolisme et Poesie. L'Exemple anglais. Paris 1947.
- G. Kahon: ler originer du symbolisme, Paris, 1936.
- De Segur: Historire de la litterature Europieénne, paris 1959.
- P. Mortino, Parnasse et. Symbolisme, Paris, 1947.
- Lanson: Histoire de la litterature Europieénne, paris 1960.
- Stphane Mallarme, Qeurres Completer, Paris. Ed. de la pleiade. 1951.
- Guy Michaud Message Poetique du symbolisme paris 1947.
- Enqete de jules Huret, in Mallarme et le - Symbolisme, classiquer Larousse 1972.

١١٣ـ الحداثة

التعريف:

● الحداثة مذهب(*) فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية. . . وغيرها.

● وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين(*)، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، بحجة أنها قديمة وموروثة؛ لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية(*)، والنفاذ إلى أعماق الحياة. والحداثة خلاصة مذاهب خطيرة ملحدة، ظهرت في أوربا كالمستقبلية والوجودية والسريالية، وهي من هذه الناحية شر؛ لأنها إملاءات اللاوعي في غيبة الوعي والعقل(*)، وهي صبيانية المضمون وعبثية في شكلها الفني، وتمثل نزعة الشر والفساد في عداء مستمر للماضي والقديم، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوربي ولظهور الشك(*) والقلق في حياة الناس، مما جعل للمخدرات والجنس تأثيرهما الكبير.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● بدأ مذهب الحداثة منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً في باريس على يد كثير من الأدباء السرياليين والرمزيين والماركسيين والفوضويين والعبثيين، ولقي استجابة لدى الأدباء الماديين والعلمانيين والملحدين في الشرق والغرب. حتى وصل إلى شرقنا الإسلامي والعربي.

● ومن أبرز رموز مذهب(*) **الحداثة من الغربيين**:

ـ شارل بودلير ١٨٢١ ـ ١٨٦٧م وهو أديب فرنسي، أيضاً، نادى بالفوضى الجنسية والفكرية والأخلاقية، ووصفها بالسادية، أي مذهب التلذذ بتعذيب الآخرين. له ديوان شعر باسم **أزهار الشر** مترجم للعربية من قبل الشاعر إبراهيم ناجي، ويعد شارل بودلير مؤسس الحداثة في العالم الغربي.

ـ الأديب الفرنسي غوستاف فلوبير ١٨٢١ ـ ١٨٨٠م.

ـ مالا راميه ١٨٤٢ـ١٨٩٨م وهو شاعر فرنسي ويعد، أيضاً، من رموز المذهب الرمزي.

- الأديب الروسي مايكوفسكي، الذي نادى بنبذ الماضي والاندفاع نحو المستقبل.

● **ومن رموز مذهب(*) الحداثة في البلاد العربية:**

- يوسف الخال - الشاعر النصراني، وهو سوري الأصل، رئيس تحرير **مجلة شعر** الحداثية. وقد مات منتحراً أثناء الحرب الأهلية اللبنانية.

- أدونيس (علي أحمد سعيد) نصيري سوري، ويعد المُروِّج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربية، وقد هاجم التاريخ الإسلامي، والدين(*) والأخلاق(*) في رسالته الجامعية التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة «القديس يوسف» في لبنان وهي بعنوان **الثابت والمتحول**، ودعا بصراحة إلى محاربة الله عز وجل. وسبب شهرته فساد الإعلام بتسليط الأضواء على كل غريب.

- د. عبد العزيز المقالح - وهو كاتب وشاعر يماني، وهو الآن مدير لجامعة صنعاء وذو فكر يساري.

- عبد الله العروي - ماركسي مغربي.

- محمد عابد الجابري مغربي.

- الشاعر العراقي الماركسي عبد الوهاب البياتي.

- الشاعر الفلسطيني محمود درويش - عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي أثناء إقامته بفلسطين المحتلة، وهو الآن يعيش خارج فلسطين.

- كاتب ياسين ماركسي جزائري.

- محمد أركون جزائري يعيش في فرنسا.

- الشاعر المصري صلاح عبد الصبور - مؤلف مسرحية **الحلاج**.

الأفكار والمعتقدات:

● نجمل أفكار ومعتقدات مذهب الحداثة كما هي عند روادها ورموزها، وذلك من خلال كتاباتهم وشعرهم فيما يلي:

- رفض مصادر الدين(*)، الكتاب والسنة والإجماع(*)، وما صدر عنها من عقيدة إما صراحة أو ضمناً.

- رفض الشريعة(*) وأحكامها كموجه للحياة البشرية.

- الدعوة إلى نقد النصوص الشرعية، والمناداة بتأويل جديد لها يتناسب والأفكار الحداثية.

- الدعوة إلى إنشاء فلسفات حديثة على أنقاض الدين.

- الثورة(*) على الأنظمة السياسية الحاكمة، لأنها في منظورها رجعية متخلفة أي غير حداثية، وربما استثنوا الحكم البعثي.

- تبني أفكار ماركس المادية(*) الملحدة، ونظريات فرويد في النفس الإنسانية وأوهامه، ونظريات دارون في أصل الأنواع وأفكار نيتشه، وهلوسته، والتي سموها فلسفة، في الإنسان الأعلى (السوبرمان).

- تحطيم الأطر التقليدية والشخصية الفردية، وتبني رغبات الإنسان الفوضوية والغريزية.

- الثورة على جميع القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية، حتى الاقتصادية والسياسية.

- رفض كل ما يمت إلى المنطق والعقل.

- اللغة - في رأيهم - قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف التراكمي السلطوي، لذا يجب أن تموت، ولغة الحداثة هي اللغة النقيض لهذه اللغة الموروثة، بعد أن أضحت اللغة والكلمات بضاعة عهد قديم يجب التخلص منها.

- الغموض والإبهام والرمز - معالم بارزة في الأدب والشعر الحداثي.

- ولا يقف الهجوم على اللغة وحدها ولكنه يمتد إلى الأرحام والوشائج حتى تتحلل الأسرة، وتزول روابطها، وتنتهي سلطة الأدب وتنتصر إرادة الإنسان وجهده على الطبيعة والكون.

● ومن الغريب أن كل حركة جديدة للحداثة تعارض سابقتها في بعض نواحي شذوذها وتتابع في الوقت نفسه مسيرتها في الخصائص الرئيسة للحداثة.

● إن الحداثة هي خلاصة سموم الفكر البشري كله، من الفكر الماركسي إلى العلمانية الرافضة للدين(*)، إلى الشعوبية(*)، إلى هدم عمود الشعر، إلى شجب تاريخ أهل السنة كاملاً، إلى إحياء الوثنيات(*) والأساطير.

● ويتخفى الحداثيون وراء مظاهر تقتصر على الشعر والتفعيلة والتحليل، بينما هي تقصد رأساً هدم اللغة العربية وما يتصل بها من مستوى بلاغي وبياني عربي مستمد من القرآن الكريم، وهذا هو السر في الحملة على القديم وعلى التراث وعلى السلفية(*).

تطور مذهب الحداثة في الغرب وفي البلاد العربية:

● إن حركة الحداثة الأوربية بدأت قبل قرن من الزمن في باريس بظهور الحركة البوهيمية فيها بين الفنانين في الأحياء الفقيرة.

ـ ونتيجة للمؤثرات الفكرية، والصراع السياسي والمذهبي والاجتماعي شهدت نهاية القرن التاسع عشر الميلادي في أوربا اضمحلال العلاقات بين الطبقات، ووجود فوضى حضارية انعكست آثارها على النصوص الأدبية. وبلغت التفاعلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أوربا ذروتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وبقيت باريس مركز تيار الحداثة الذي يمثل الفوضى الأدبية.

ـ وقد تبنت الحداثة كثيراً من المعتقدات والمذاهب الفلسفية والأدبية والنفسية أهمها:

١ ـ **الدادائية**: وهي دعوة ظهرت عام ١٩١٦م، غالت في الشعور الفردي ومهاجمة المعتقدات، وطالبت بالعودة للبدائية والفوضى الفنية الاجتماعية.

٢ ـ **السريالية**: واعتمادها على التنويم المغناطيسي، والأحلام الفرويدية، بحجة أن هذا هو الوعي الثوري للذات، ولهذا ترفض التحليل المنطقي، وتعتمد بدلاً عنه الهوس والعاطفة.

٣ ـ **الرمزية**: وما تتضمنه من ابتعاد عن الواقع والسباحة في عالم الخيال والأوهام، فضلاً عن التحرر من الأوزان الشعرية، واستخدام التعبيرات الغامضة والألفاظ الموحية برأي روادها.

ـ وقد واجهت الحداثة معارضة شديدة في كل أنحاء أوربا، حتى في باريس مسقط رأسها، من المدافعين عن اللغة والتراث وممن ينيطون بالأدب مهمة التوصيل في إطار العقل والوعي الإنساني.

ـ وكثير من أدباء القرن العشرين لم يعترفوا بالحداثة، ولا بما جاءت به من تجريد جمالي وثورة وعدم تواصل، وعدَّ كثير من المفكرين الغربيين الحداثة نزوة عابرة في تاريخ الفكر الغربي.

● والحداثة العربية هي حداثة غربية في كل جوانبها وأصولها وفروعها، إلا أنها تسللت إلى العالم العربي دون غرابة، وذلك لأنها اتخذت صورة العصرية، والاتجاه التجديدي(*) في الأدب، وارتباط مفهوم الحداثة في أذهان بعض المثقفين بحركة ما يسمى بالشعر الحر أو شعر التفعيلة.

ـ اصطلاح الحداثة بمفهومه الغربي، لم يقتحم الأدب العربي إلا في فترة السبعينات، بينما تسربت مضامينه منذ الثلاثينات من هذا القرن، وذلك في محاولات الخروج على علم العروض العربي، وفي الأربعينات ظهرت بعض ظواهر التمرد والثورة والرفض وتجريب بعض الاتجاهات الأدبية الغربية كالتعبيرية والرمزية والسريالية.

ثم ظهرت **مجلة شعر** التي رأس تحريرها في لبنان يوسف الخال عام ١٩٥٧م وتوقفت عام ١٩٦٤م للتمهيد لظهور حركة(*) الحداثة بصفتها حركة فكرية، لخدمة التغريب، وصرف العرب عن عقيدتهم ولغتهم الفصحى.. لغة القرآن الكريم.

وبدأت تجربتها خلف ستار تحديث الأدب، فاستخدمت مصطلح الحداثة عن طريق ترجمة شعر رواد الحداثة الغربيين أمثال: بودلير ورامبو ومالارامیه، وبدأ رئيس تحريرها ـ أي: **مجلة شعر** ـ بكشف ما تروج له الحداثة الغربية حين دعا إلى تطوير الإيقاع الشعري، وقال بأنه ليس للأوزان التقليدية أي قداسة، ويجب أن يعتمد في القصيدة على وحدة التجربة والجو العاطفي العام، لا على التتابع العقلي والتسلسل المنطقي، كما أنه قرر في مجلته أن الحداثة موقف حديث في الله والإنسان والوجود.

● كان لعلي أحمد سعيد (أدونيس) دور مرسوم في حركة الحداثة وتمكينها على أساس ما دعاه من الثبات والتحول فقال: «لا يمكن أن تنهض الحياة العربية ويبدع الإنسان العربي إذا لم تتهدم البنية التقليدية السائدة في الفكر العربي ويتم التخلص من المبنى الديني التقليدي الاتباعي». استخدم أدونيس مصطلح الحداثة الصريح ابتداءً من نهاية السبعينات عندما أصدر كتابه: **صدمة الحداثة** عام ١٩٧٨م، وفيه لا يعترف بالتحول إلا من خلال الحركات الثورية السياسية والمذهبية، وكل ما من شأنه أن يكون تمرداً على الدين(*) والنظام تجاوزاً للشريعة(*).

ـ لقد أسقط أدونيس مفهوم الحداثة على الشعر الجاهلي وشعراء الصعاليك وشعر عمر ابن أبي ربيعة، وأبي نواس وبشار بن برد وديك الجن الحمصي، كما أسقط مصطلح الحداثة على المواقف الإلحادية لدى ابن الراوندي وعلى الحركات الشعوبية(*) والباطنية(*) والإلحادية المعادية للإسلام أمثال: ثورة الزنج والقرامطة.

ـ ويعترف أدونيس بنقل الحداثة الغربية حين يقول في كتابه **الثابت والمتحول**: «لا نقدر أن نفصل بين الحداثة العربية والحداثة في العالم».

● **أهم خصائص الحداثة:**

ـ محاربة الدين(*) بالفكر وبالنشاط.
ـ الحيرة والشك(*) والقلق والاضطراب.
ـ تمجيد الرذيلة والفساد والإلحاد.
ـ الهروب من الواقع إلى الشهوات والمخدرات والخمور.
ـ الثورة على القديم كله وتحطيم جميع أطر الماضي، إلا الحركات الشعوبية

والباطنية(*).

ـ الثورة على اللغة بصورها التقليدية المتعددة.

ـ امتدت الحداثة في الأدب إلى مختلف نواحي الفكر الإنساني ونشاطه.

ـ قلب موازين المجتمع والمطالبة بدفع المرأة إلى ميادين الحياة بكل فتنتها، والدعوة إلى تحريرها من أحكام الشريعة(*).

ـ عزل الدين ورجاله واستغلاله في حروب عدوانية.

ـ تبني المصادفة والحظ والهوس والخيال لمعالجة الحالات النفسية والفكرية، بعد فشل العقل في مجابهة الواقع.

ـ امتداد الثورة على الطبيعة(*) والكون ونظامه، وإظهار الإنسان بمظهر الذي يقهر الطبيعة.

ـ ولذا نلمس في الحداثة قدحاً في التراث الإسلامي، وإبرازاً لشخصيات عرفت بجنوحها العقدي كالحلاج والأسود العنسي ومهيار الديلمي وميمون القداح وغيرهم. وهذا المنهج يعبر به الأدباء المتحللون من قيم الدين والأمانة، عن خلجات نفوسهم وانتماءاتهم الفكرية.

ويتضح مما سبق: أن الحداثة تصور إلحادي جديد ـ تماماً ـ للكون والإنسان والحياة، وليست تجديداً(*) في فنيات الشعر والنثر وشكلياتها. وأقوال سدنة الحداثة تكشف عن انحرافهم باعتبار أن مذهبهم يشكل حركة مضللة ساقطة لا يمكن أن تنمو إلا لتصبح هشيماً تذروه الرياح، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ [الزمر: ٢١].

حسبنا في التدليل على سعيهم لهدم الثوابت أن نسوق قول أدونيس، وهو أحد رموز الحداثة في العالم العربي، في كتابه **فن الشعر ص ٧٦**: «إن فن القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاج إليها الجمهور العربي ليست تلك التي تسليه أو تقدم له مادة استهلاكية، وليست تلك التي تسايره في حياته الجادة، وإنما هي التي تعارض هذه الحياة! أي تصدمه، وتخرجه من سُباته، تفرغه من موروثه وتقذفه خارج نفسه، إنها التي تجابه السياسة ومؤسساتها، الدين ومؤسساته، العائلة ومؤسساتها، التراث ومؤسساته، وبنية المجتمع القائم. كلها بجميع مظاهرها ومؤسساتها، وذلك من أجل تهديمها كلها! أي من أجل خلق الإنسان العربي الجديد، يلزمنا تحطيم الموروث الثابت، فهنا يكمن العدو الأول للثورة والإنسان».

ولا يعني التمرد على ما هو سابق وشائع في مجتمعنا إلا التمرد على الإسلام وإباحة كل

شيء باسم الحرية(*).

ـ فالحداثة إذن هي منهج(*) فكري عقدي يسعى لتغيير الحياة ورفض الواقع، والردة عن الإسلام بمفهومه الشمولي، والانسياق وراء الأهواء والنزعات الغامضة والتغريب المضلل.

وليس الإنسان المسلم في هذه الحياة في صراع وتحد مع الكون كما تقول كتابات أهل الحداثة، وإنما هم الذي يتنصلون من مسؤولية الكلمة عند الضرورة، ويريدون وأد الشعر العربي، ويسعون إلى القضاء على الأخلاق والسلوك باسم التجريد، وتجاوز جميع ما هو قديم وقطع صلتهم به.

ـ ونستطيع أن نقرر أن الحداثيين فقدوا الانتماء لماضيهم، وأصبحوا بلا هوية ولا شخصية. ويكفي هراء قول قائلهم حين عبر عن مكنونة نفسه بقوله:

لا الله أختار ولا الشيطان ... كلاهما جدار

كلاهما يغلق لي عيني ... هل أبدل الجدار بالجدار

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

مراجع للتوسع:

ـ الحداثة في الأدب العربي المعاصر، مقال مطول للدكتور محمد مصطفى هدارة **مجلة الحرس الوطني** ـ ربيع الآخر ١٤١٠هـ.

ـ **الحداثة في ميزان الإسلام**، عوض القرني.

ـ **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا.

ـ **الأدب المقارن**، د. محمد غنيمي هلال.

١١٤ـ الواقعية

التعريف:

الواقعية مذهب(*) أدبي فكري مادي(*) ملحد، إذ يقتصر في تصويره الحياة والتعبير عنها على عالم المادة، ويرفض عالم الغيب والإيمان بالله، ويصور الإنسان بالحيوان الذي تسيره غرائزه لا عقله.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● ارتبطت نشأة المذهب الواقعي بالفلسفات الوضعية والتجريبية والمادية(*) الجدلية(*) التي ظهرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر وما بعده، وسارت الواقعية في ثلاثة اتجاهات: الواقعية النقدية والواقعية الطبيعية والواقعية الاشتراكية. وللواقعية أعلام في شتى فروعها:

● **أعلام الواقعية النقدية:**

ـ القصّاص الفرنسي أنوريه دي بلزاك ١٧٩٩ ـ ١٨٥٠م ومن قصصه روايته المشهورة **الملهاة الإنسانية** في ٩٤ جزءاً، صور فيها الحياة الفرنسية بين عام ١٨٢٩ ـ ١٨٤٨م.

ـ الكاتب الإنجليزي شارل ديكنز ١٨١٢ ـ ١٨٥٠م وله الرواية المشهورة **قصة مدينتين**.

ـ الأديب الروسي تولستوي ١٨٢٨ ـ ١٩١٠م وله القصة المشهورة **الحرب والسلام**.

ـ الأديب الروسي دستوفسكي مؤلف **الجريمة والعقاب**.

ـ والأديب الأمريكي أرنست همنجواي ١٨٩٩ ـ ١٩٦١م وله القصة المشهورة **العجوز والبحر** وقد مات منتحراً.

● **أعلام الواقعية الطبيعية:**

ـ أميل زولا الأديب الفرنسي ١٨٤٠ ـ ١٩٢٠م مؤلف قصة **الحيوان البشري** وفيها يطبق نظريات دارون في التطور، ونظريات مندل في الوراثة، وكلود برنار في الطب.

ـ جوستاف فلوبير ١٨٢١ ـ ١٨٨٠م الأديب الفرنسي ومؤلف القصة المشهورة **مدام بوفاري**.

● **أعلام الواقعية الاشتراكية(*):**

ـ مكسيم جوركي ١٨٦٨ ـ ١٩٣٦م كاتب روسي، عاصر الثورة(*) الروسية الشيوعية، ومؤلف **قصة الأم**.

ـ ماياكو فسكي ١٨٩٢ـ١٩٣٠م وهو شاعر الثورة الروسية الشيوعية، وقد مات منتحراً.
ـ لوركا ١٨٩٨ ـ ١٩٣٦م وهو شاعر إسباني.
ـ بابللو نيرودا ١٩٠٤ ـ ١٩٧٣م وهو شاعر تشيلي.
ـ جورج لوكاش ـ وهو كاتب فرنسي حديث.
ـ كما كان من أعلامها: روجيه جارودي ـ وهو مفكر فرنسي اهتدى إلى الإسلام وسمى نفسه رجاء جارودي، وإن كان مازال يتأرجح بين ماضيه وحاضره.

الأفكار والمعتقدات:

● تشعب المذهب(*) الواقعي، كما تقدم، إلى ثلاثة اتجاهات.

ـ الواقعية النقدية ومن أفكارها:

١ ـ الاهتمام بنقد المجتمع ومشكلاته.
٢ ـ التركيز على جوانب الشر والجريمة.
٣ ـ الميل إلى التشاؤم واعتبار الشر عنصراً أصيلاً في الحياة.
٤ ـ المهمة الرئيسية للواقعية النقدية الكشف عن حقيقة الطبيعة.
٥ ـ اختيار القصة وسيلة لبث الأفكار التي يريدونها.

ـ الواقعية الطبيعية:

تتفق مع الواقعية في جميع آرائها وأفكارها وتزيد عليها:
١ ـ التأثر بالنظريات العلمية والدعوة إلى تطبيقها في مجال العمل الأدبي.
٢ ـ الإنسان في نظرها حيوان تسيره غرائزه، وكل شيء فيه يمكن تحليله، فحياته الشعورية والفكرية والجسمية ترجع إلى إفرازات غددية.

ـ الواقعية الاشتراكية:

وقد نادت بها الماركسية ومن أفكارها:
١ ـ إن النشاط الاقتصادي(*) في نشأته وتطوره هو أساس الإبداع(*) الفني، لذلك يجب توظيف الأدب لخدمة المجتمع حسب المفهوم الماركسي.
٢ ـ العمل الأدبي الفني عليه أن يهتم بتصوير الصراع الطبقي بين طبقة العمال والفلاحين وطبقة الرأسمالية والبرجوازيين(*)، وانتصار الأولى التي تحمل الخير والإبداع على الثانية التي هي مصدر الشرور في الحياة.
٣ ـ رفض أي تصورات غيبية، وخاصة ما يتعلق منها بالعقائد السماوية.
٤ ـ استغلال جميع الفنون الأدبية لنشر المذهب(*) الماركسي.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● إن الأسس التي قامت عليها الواقعية هي المذاهب الفلسفية المادية(*)، مثل الفلسفة(*) الوضعية التي انتشرت في فرنسا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ورائدها الفيلسوف الفرنسي كونت التي ترفض كل ما هو غيبي، وتقتصر على عالم المادة والحس.

ـ وكذلك تعد الفلسفة التجريبية التي تلتقي مع الوضعية في رفض الغيبيات من جذور الواقعية.

ـ ومن الجذور الفكرية العميقة للواقعية الاشتراكية(*): الفلسفة المادية الجدلية(*) التي نادى بها ماركس وإنجلز التي تعد العقيدة الرسمية للشيوعية الدولية والتي من مفاهيمها أن المادة هي الوجود الحقيقي، وأن القيم العقلية انبثقت من العلاقات المادية بين الناس.

ـ وكذلك ترتبط الواقعية بالنظرية الفلسفية التي ترى أن الحياة تنبت على الشر، وأن ما يبدو من مظاهر الخير ليس إلا طلاءً زائفاً يموه واقع الحياة الفكرية ويخفي طبيعة الإنسان الحقيقية.

ـ وقد عبر الفيلسوف الإنجليزي هوبز عن هذا الاتجاه بقوله: «إن الإنسان ذئب لا هم له إلا الفتك بالإنسان».

ـ وقد عمل دعاة الواقعية على ربط الإنسان الغربي بغرائزه وحيوانيته، وتوجيه نظره إلى التراب لا إلى السماء، وزادوا في ماديته، وساعدوا على إفساده وإيقاظ شهوته.

ـ أما دعاة الواقعية الاشتراكية أو الشيوعية، الذين سطروا الكتب والمقالات والقصص والمسرحيات والأشعار في تمجيد الشيوعية، والزعم أنها الحقيقة للسعادة البشرية، فقد زادوا الإنسانية شقاء وتعاسة ومعيشة ضنكا، وقد تحطمت فلسفتهم في أوربا الشرقية تحت مطارق الواقع المؤلم.. كما نرى بأم أعيننا الآن، إذ بدأت تتراجع بخطى سريعة إلى عفن التاريخ الذي لا يرحم، وتفكك ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي، وعاد الإسلام إلى الدول الإسلامية.

● والإسلام يدعو إلى الاهتمام بالدنيا «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً» ويرفض النظر بتشاؤم إلى تصاريف القدر وليس ثمة ما يمنع الإنسان من التأثير والتغيير في حياته والمجتمع الذي يعيش فيه. وقد كرم الإسلام الإنسان ولم يضعه في مصاف القرود، واهتم بجانبه الروحي باعتباره ـ أي الإنسان ـ جسداً وروحاً، ولكلٍّ مطالبه التي لا يجوز إغفالها ولا الاقتصار على أحدها دون الآخر. والمسلم يرفض النظرية الفلسفية التي تقول: «إن الحياة قد بنيت على الشر» والأديان(*) عموماً جاءت للقضاء على الشر والنهوض بالنفس البشرية.

ويتضح مما سبق:

أن الواقعية مذهب(*) أدبي فكري مادي ملحد، يصور الحياة مادة، ويرفض عالم الغيب ولا يؤمن بالله، ويرى أن الإنسان عبارة عن مجموعة من الغرائز الحيوانية، ويتخذ كل ذلك أساساً لأفكاره التي تقوم على الاهتمام بنقد المجتمع وبحث مشكلاته مع التركيز على جوانب الشر والجريمة، والميل إلى النزعات التشاؤمية وجعل مهمة النقد مركزة في الكشف عن حقيقة الطبيعة(*) كطبيعة بلا روح أو قيم. ومن هنا كانت آثار هذا المذهب الأدبي المدمرة على الشباب المسلم، إذا لم يضع هذه الأمور في حسبانه وهو يتعامل مع الإفرازات الأدبية لهذا المذهب.

مراجع للتوسع:

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا ـ ط. جامعة الإمام ـ الرياض.
- **مذاهب الأدب الغربي**، د. عبد الباسط بدر ـ نشر دار الشعاع ـ الكويت.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب ـ مكتبة مصر ـ القاهرة.
- **الأدب المقارن**، د. محمد غنيمي هلال ـ دار الثقافة ـ بيروت.
- **الأدب المقارن**، ماريوس فرانسوا غويا، (سلسلة زدني علماً).
- **المذاهب الأدبية الكبرى**، فيليب فان تيفيم (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- Lanson: Histoire de la litterature francaise. Paris 1960.
- De segur: Histoire de la letterature Europiéenne, 1959.

١١٥ـ العدمية

التعريف:

العدمية مذهب(*) أدبي وفلسفي ملحد، اهتم بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود، بل هو نهاية الوجود، وبه نعرف حقيقة الحياة بعيداً عن النظرة المثالية والنظرة الواقعية السطحية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● من أهم الشخصيات العدمية في مجال الأدب ديستوفسكي الروائي الروسي، وفي مجال الفلسفة نيتشه صاحب مقولة (موت الإله) والعدمية ترى أن الوجود الإلٰهي وعدمه سواء ولا يحسن أن يجهد الناس أنفسهم في هذا الموضوع. والمؤرخون يفرقون بين الإلحاد والعدمية من حيث أن الملحد يختار جانب الإلحاد(*) الصريح (سارتر، مثلاً) أما العدمي فيرى أن المسألة سواء (يستوي الوجود الإلٰهي وعدمه) وديستوفسكي يرى أنه إذا كان الإله(*) غير موجود فكل شيء مباح ولا معنى للأخلاق(*).

● وهذا المذهب مرفوض إسلاميًّا لأننا مطالبون أولاً بتقرير الوجود الإلٰهي والتوحيد الخالص. وثانياً تقرير ارتباط قيام الأخلاق على التشريع الإسلامي في مصدريه الأساسيين، فالأديب والفيلسوف العدمي يناقضان الإسلام.

● برزت العدمية في روايات الواقعية النقدية لجوستاف فلوبير ١٨٢١ ـ ١٨٨٠م وأنوريه دي بلزاك ١٧٩٩ ـ ١٨٥٠م وفي أعمال الطبيعة الانطباعية لأميل زولا ١٨٤٠ ـ ١٩٠٢م في القرن التاسع عشر. إلا أن الأديب الفرنسي جوستاف فلوبير هو المعبر الأول عن العدمية في رواياته، ثم أصبحت مذهباً أدبياً لعدد كبير من الأدباء في القرن التاسع عشر.

● ويعد الشاعر والناقد جوتفريد بن ١٨٨٦ ـ ١٩٥٦م من أبرز العدميين الذين وضحوا معنى العدمية كمذهب أدبي، إذ قال بأن العدمية ليست مجرد بث اليأس والخضوع في نفوس الناس، بل مواجهة شجاعة وصريحة لحقائق الوجود.

● وقد رحب هذا الشاعر بالحكومة النازية عندما قامت في الثلاثينات من هذا القرن على أساس أنها مواجهة حاسمة للوجود الراكد. إلا أنه عُدَّ عدواً للنازية؛ لأنه قال بأن البشر متساوون أمام العدم والفناء وليس هناك جنس مفضل على غيره. وقد صودرت جميع أعماله الأدبية عام ١٩٣٧م.

الأفكار والمعتقدات:

● إن الإنسان خُلق وله إمكانات محدودة، وعليه لكي يثبت وجودَه، أن يتصرف في حدود هذه الإمكانات، بحيث لا يتحول إلى يائس متقاعس أو حالم مجنون.

● إن البشر يتصارعون، وهم يدركون جيداً أن العدم في انتظارهم وهذا الصراع فوق طاقتهم البشرية، لذلك يتحول صراعهم إلى عبث لا معنى له.

● ينحصر التزام الأديب العدمي في تذكرة الإنسان بحدوده، حتى يتمكن من استغلال حياته على أحسن وجه.

● العمل الأدبي يثبت أن لكل شيء نهاية، ومعناه يتركز في نهايته التي تمنح الدلالة للوجود، ولا يوجد عمل أدبي عظيم بدون نهاية وإلا فقد معناه، وكذلك الحياة تفقد معناها إذا لم تكن لها نهاية.

● الرومانسية المثالية في نظر الأديب العدمي مجرد هروب مؤقت، لا يلبث أن يصدم الإنسان بقسوة الواقع وبالعدم الذي ينتظره، وقد يكون في هذا الاصطدام انهياره أو انحرافه.

● يهدف الالتزام الأدبي للعدمية إلى النضوج الفكري للإنسان ورفعه من مرتبة الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم.

● تهدف العدمية إلى إلغاء الفواصل المصطنعة بين العلم والفن، لأن المعرفة الإنسانية لا تتجزأ في مواجهة قدر الإنسان، وإذا اختلف طريق العلم عن طريق الفن فإن الهدف يبقى واحداً وهو: المزيد من المعرفة عن الإنسان وعلاقته بالعالم.

● إن اتهام العدمية بالسلبية وإشاعة روح اليأس، يرجع إلى الخوف من لفظ العدم ذاته وهذه نظرة قاصرة، لأن تجاهل العدم لا يلغي وجوده من حياتنا.

● العدمية ليست مجرد إبراز الموت والبشاعة والعنف والقبح، ولكن الأديب العدمي هو الذي ينفذ من خلال ذلك إلى معنى الحياة، وبذلك يوضح بأن العدم هو الوجه الآخر للوجود، ولا يمكن الفصل بينهما؛ لأن معنى كل منهما يكمن في الآخر.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● ترجع العدمية في أفكارها إلى مسرحيات الإغريق القدامى، التي تصور الإنسان وصراعه مع الأقدار وكأنه صراع ضد فكرة العدم.

● وكذلك العقائد النصرانيّة وما تتضمنه من معاني الموت، ونهاية العالم، واليوم الآخر، والحساب.. إلخ.

● إلا أن العدمية لم تبلور العقيدة الدينية في الحياة والموت.. في الإيمان الذي يبعث

على عمل الخير والجد، والاجتهاد لإعمار الأرض لتكون الحياة عليها سعيدة مطمئنة. وإنما اقتصرت على تصوير معاني العدم والجانب السلبي في الحياة، على نحو يوحي بأن العدم هو الوجود الخالد، وطالما كان الأمر كذلك فإن الإلحاد يحيط بالعدمية من كل جانب.

أماكن الانتشار:

● انتشرت العدمية في فرنسا وإنجلترا بشكل خاص والعالم الغربي عامة.

ويتضح مما سبق:

أن العدمية مذهب(*) أدبي ملحد يعتبر العدم نهاية الوجود، ووفقاً لهذا المذهب ينحصر التزام الأديب العدمي في تذكير الإنسان بحدوده حتى يستغل حياته استغلالاً عدميًا، ينضج معه فكر الإنسان، حسب زعم هذا المذهب، نضجاً يرفعه من مرتبة الحيوان الذي لا يدرك معنى العدم إلى مرتبة الأديب المدرك له، والذي يلغي الفواصل المصطنعة بين العلم والفن، فالأديب العدمي هو الذي ينفذ من خلال الموت والبشاعة والعنف والقبح إلى معنى الحياة العدمية، فالعدم هو الوجه الآخر للوجود. ولا شك أن هذه الأفكار لا تخدم أية فكرة أخلاقية أو دينية، بل إنها تتنافى كلية معهما.

مراجع للتوسع:

- **المدخل إلى النقد الأدبي الحديث**، د. محمد غنيمي هلال ـ ط ٢ ـ القاهرة ١٩٦٢م.
- **الأدب المقارن**، د. محمد غنيمي ـ ط ٢ ـ القاهرة ١٩٦٢م.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب ـ مكتبة مصر ـ القاهرة.
- **المذاهب الأدبية الكبرى**، فليب فان تيغيم ـ (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- Braunschvig. La Literature Contemporaine Etudiée dans les textes.
- Braunschvig: Notre Litterature Etudieé dans le texte. Paris 1949.
- Lanson: Histoire de la Litterature Francaise, Paris. 1916.
- De Segur (Nicola): Histoire de la Litterature Européenne. 1959.

١١٦ـ البرناسية (مذهب الفن للفن)

التعريف:

البرناسية مذهب(*) أدبي فلسفي لا ديني قام على معارضة الرومانسية من حيث إنها مذهب الذاتية في الشعر، وعرض عواطف الفرد الخاصة على الناس شعراً واتخاذه وسيلة للتعبير عن الذات، بينما تقوم البرناسية على اعتبار الفن غاية في ذاته، لا وسيلة للتعبير عن الذات، وهي تهدف إلى جعل الشعر فناً موضوعيًّا همه استخراج الجمال من مظاهر الطبيعة، أو إضفاؤه على تلك المظاهر، وترفض البرناسية التقيد سلفاً بأي عقيدة أو فكر أو أخلاق(*) سابقة.

وهي تتخذ شعار «الفن للفن».

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أطلق أحد الناشرين الفرنسيين على مجموعة من القصائد لبعض الشعراء الناشئين اسم «البرناس المعاصر» إشارة إلى جبل البرناس الشهير باليونان الذي تقطنه «آلهة الشعر» كما كان يعتقد قدماء اليونان، إلا أن الاسم ذاع وانتشر للتعبير عن اتجاه أدبي جديد. وإن كان دعاة هذا المذهب قد انتسبوا إلى مذاهب أدبية أخرى تشكلت فيما بعد ومنهم:

ـ شارل بودلير ١٨٢١ ـ ١٨٦٧م وهو شاعر فرنسي، نادى بالفوضى الجنسية، ووصف بـ«السادية» أي التلذذ بتعذيب الآخرين.

ـ ومنهم تيوفيل جوتييه ١٨١١ ـ ١٨٧٢م وهو من أكبر طلائع البرناسية.

ـ ومنهم لو كنت دي ليل ويعد رئيس هذا المذهب، وقد تبلورت مبادئه بعد منتصف القرن التاسع عشر، وانتهى به الأمر إلى أن ترك النصرانية إلى البوذية.

ـ ومالارامیه ١٨٤٢ ـ ١٨٩٨م وهو شاعر فرنسي، ويعد من أشد المدافعين عن هذا المذهب. ومن أعمدة المذهب الرمزي، أيضاً.

الأفكار والمعتقدات:

● اعتبار الأدب والفن غاية في ذاتيهما، وأن مهمتهما الإمتاع فقط لا المنفعة، وإثارة المشاعر وإلهاب الإحساس ليتذوق الإنسان الفن الجيد.

● تحطيم القديم وتدميره لبناء العالم الجديد الخالي من الضياع، حسب زعمهم،

والقديم في رأيهم، هو كل ما ينطوي على العقائد والأخلاق والقيم.

● يحقق الإنسان سعادته عن طريق الفن لا عن طريق العلم.

● استبعاد التعليم والتوجيه التربوي عن الشعر والفن عامة. والاهتمام بالشكل والتعبير الأدبي أكثر من اهتمامهم بالمضامين الفنية والأدبية.

● إن الحياة تقليد للفن وليس العكس.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● كان أرسطو الفيلسوف اليوناني ٣٨٣ ـ ٣٢٢ ق. م أول من هاجم الاتجاه التعليمي والأخلاقي في الشعر، وكان يرد بذلك على أفلاطون الذي قرر أن الشعر خادم الفلسفة(*) الأخلاقية وفكرة الإرشاد التعليمي.

● وبعد سقوط الإمبراطورية الإغريقية، وسيطرة الإمبراطورية الرومانية بكل اتجاهاتها العملية والنفعية، سيطر الاتجاه التعليمي على الأدب.

سيطرت الكنيسة(*) على الفلسفة والأدب وبقي الاتجاه التعليمي في الشعر هو السائد. ومع ذلك وجد من يتذوق الشعر من أجل القيم الجمالية، كالقديس أوغسطيوس في كتابه **النظرية المسيحية**(*)، إذ يؤكد على المتعة الفنية التي تذوقها هو في الأسلوب الأدبي الذي كتبت به الأناجيل(*).

● وعلى الرغم من تطور النقد الأدبي في القرن السادس عشر، إلا أنه لم يتغلب على الاتجاه التعليمي في الأدب.

● وفي القرن السابع عشر يؤكد بيركورني أن الهدف الأساسي في الشعر المسرحي هو المتعة الفنية.

● وبمرور الزمن ازداد الهجوم على الجانب التعليمي للفن من قبل ورد زورث ١٧٧٠ ـ ١٨٥٠م والشاعر شيللي ١٧٩٢ ـ ١٨٢٢م ورواد المدرسة الرمزية أمثال بودلير ومالا راميه.

● وفي مطلع القرن العشرين اعتبر النقاد نظرية الفن للفن.. دفاعاً مستميتاً عن الفن حتى لا تستخدم في الأغراض النفعية المؤقتة.

● والواقع أن المضمون الفكري والعقائدي لهذا المذهب(*) ـ غير الصورة الخارجية المتعلقة بالمتعة الفنية ـ هو رفض كل فكرة وعقيدة وأخلاق سابقة وخاصة ما يتعلق بالدين(*) وإن كان هذا الأمر لم يكن واضحاً في آثار أصحاب المذاهب.

● لذلك كان الهجوم على مدرسة الفن للفن، بعد انحرافها الكبير عن الحياة الواعية العاقلة من قبل بعض النقاد أمثال ت. س. إليوت الذي اتهم أصحابها بالخطأ وقصر النظر،

وقرر أنه لا بد من الالتزام للأديب أو الشاعر. وأن غاية الشعر والنقد تُلزم كل شاعر وناقد أن تكون الكتابة ذات نفع اجتماعي ما للقارىء.

الانتشار ومناطق النفوذ:

● مذهب(*) الفن للفن مثل بقية المذاهب الأدبية نشأ في أوربا، وأشد المتحمسين له كانوا في فرنسا، أم المذاهب تقريباً، ولكن كان له أنصار في ألمانيا وإيطاليا، ووصل المذهب إلى أمريكا وغيرها من الدول.

إلا أنه تقلص بعد ذلك وتقوقع على نفسه بعد أن وجه له النقد الشديد؛ لانحرافه عن كثير من الأصول التي بني عليها، والقيم التي كان يلزمه التقيد بها.

● **ملاحظة:**

ـ يلاحظ أن البرناسية تعزل الأدب عن قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية، وتجعله غاية في حد ذاته، والإسلام يحدد غايات الإنسان في الحياة، ولا يقبل أن يكون الأدب غاية في ذاته، كما يرفض الإسلام الأدب المكشوف الذي يستخدم كأداة للانحراف، ويقيس قيمته بموازين الخير والشر، وإذا صدر الأدب عن تصور يرفض القيم الدينية فهو مرفوض شكلاً وموضوعاً، مهما سمت قيمته الأدبية وفقاً لمقاييس الصياغة أو حسن التعبير.

ويتضح مما سبق:

أن البرناسية مذهب أدبي فلسفي لا ديني، يعارض الرومانسية من حيث إنها مذهب الذاتية في الشعر، وهو يعتبر الأدب والفن غاية في حد ذاتيهما، لا وسيلة للتعبير عن الذات، ويرنو إلى تحطيم كل ما هو قديم وتدميره من أجل بناء العالم الجديد الخالي من الضياع، حسب زعم أنصار المذهب. ولما كان القديم في هذا المذهب يعني كل ما ينطوي على العقائد والأخلاق(*) والقيم، فإن تحطيم القديم يعني في هذا المذهب(*) وجوب تحطيم الدين(*) والقيم الأخلاقية وهذا ما يجب أن يتنبه له الشباب المسلم وهو يدرس هذا المذهب ويتعامل مع حصاده الفكري.

● **الرد الإسلامي على نظرية الفن للفن:**

ـ الأدب في الإسلام والفن يجب أن يكون ملتزماً بالقيم الإسلامية وبمراعاة مبدأ التوحيد الخالص، وبمراعاة نهي الإسلام عن التصوير والتجسيد، أما الفن للفن فاتباع للهوى! وقد يؤدي بالفنان إلى تصوير ما يثير الشهوات ويفسد الأخلاق، وذلك مناقض لما تجب مراعاته من ضرورة الالتزام بأصول الفقه وأهم قواعده (لا ضرر ولا ضرار) والفن للفن يؤدي إلى إضرار أو إلى عدم منفعة وكلاهما موقف غير إسلامي.

مراجع للتوسع:

- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د. نبيل راغب - مكتبة مصر القاهرة.
- المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية، د. نبيل راغب - مكتبة مصر - القاهرة.
- مذاهب الأدب الغربي، د. عبد الباسط بدر - مكتبة البيت - الكويت.
- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال - دار الثقافة - بيروت.

المراجع الأجنبية:

- De Segur: Histoire de la litterature Européenne. Paris. 1959.
- Lanson: Histoire de la litterature Francaise Paris. 1960.
- The Oxford Companion to English Literature. Edited by Margaret Drabble.
- The Cambridge Guide to Literature in English, edited by Ian Ousby.
- Encyclopedia Britanicca V 10 literature - Westing.

١١٧ـ الانطباعية (التأثرية)

التعريف:

الانطباعية مذهب(*) أدبي فني، ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، وهو يعتبر الإحساس، والانطباع الشخصي الأساس في التعبير الفني والأدبي، لا المفهوم العقلاني للأمور. ويرجع ذلك إلى أن أي عمل فني بحت لا بد أن يمر بنفس الفنان أولاً، وعملية المرور هذه هي التي توحي بالانطباع أو التأثير الذي يدفع الفنان إلى التعبير عنه.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● أطلقت الانطباعية في البداية على مدرسة في التصوير، ترى أن الرسام يجب أن يعبر في تجرد وبساطة عن الانطباع الذي ارتسم فيه حسياً، بصرف النظر عن كل المعايير العلمية، وبخاصة في ميدان النقد الأدبي، فالمهم هو الانطباع الذي يضفيه الضوء، مثلاً، على الموضوع لا الموضوع نفسه.

● **ومن أهم شخصياتها:**

ـ أناتول فرانس ١٨٤٤ ـ ١٩٢٤م ـ الأديب الفرنسي، وهو يعد رائد الانطباع في الأدب، بعد أن انتقل المصطلح من الرسم إلى الأدب، ويرى أن قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارىء وهذا الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي.

ـ إنطونان بروست: ويعد من أبرع من جسد الانطباعية الأدبية فهو حين يصف مشهداً أو ينقل أحاسيسه إزاء مشهد، تتجسد أمامنا لوحة انطباعية.

الأفكار والمعتقدات:

● طالما أن قيمة أي عمل أدبي تكمن في نوعية الانطباعات التي يتركها في نفس القارىء، فإن على الأديب أن يضع هذه الحقيقة نصب عينيه، لأن الانطباع هو الدليل الوحيد على الوجود الحي للعمل الأدبي.

● إن الفنان يحس أو يتأثر أولاً، ثم ينقل هذا الانطباع أو التأثير عن طريق التعبير. ولا يكترث للمعايير المتبعة للنقد الأدبي.

● الانطباعية تقول: (أنا أحس إذن أنا موجود) بدلاً من العقلانية التي تقول على لسان

ديكارت: (أنا أفكر إذن أنا موجود).

● كل معرفة لم يسبقها إحساس بها لا تجدي..

● المضمون هو المهم لا الشكل الفني عند الأديب الانطباعي في نقل انطباعه الذاتي للآخرين.

● العالم الخارجي مجرد تجربة خاصة وأحاسيس شخصية، وليس واقعاً موضوعيًّا موجوداً بشكل مستقل عن حواس الفرد.

● من النقد الذي وجه للانطباعيين أنهم جروا وراء التسجيل الحرفي للانطباع ونسوا القيمة الجمالية التي تحتم وجود الشكل الفني في العمل الأدبي.

● وأن أدب الاعترافات والخطابات الأدبية اللذين أدت إليهما الانطباعية، إذ يعبر فيهما الأدباء عن مكنونات صدورهم، تحولا إلى مجرد مرآة لحياة الأديب الداخلية، أي أن هؤلاء ينظرون للأدب على أنه مجرد ترجمة ذاتية أو سيرة شخصية للأديب.

● وهكذا فقد أصبح النقد الأدبي والتذوق الفني مجرد تعبير عن الانفعالات الشخصية والأحاسيس الذاتية التي يثيرها العمل الأدبي في الناقد.

● والفرق بين الانطباعية الشكلية والانطباعية الأدبية هو أن الانطباعية الشكلية تهتم بالشكل (تسليط الضوء على الإطار الخارجي)، بينما تهتم الانطباعية الأدبية بالمضمون الأدبي من خلال تأثير الأديب الانطباعي على القارىء.

الجذور الفكرية والعقائدية:

إن العالم الحديث وما يتضمنه من أنانية فردية، وذاتية غير أخلاقية هو الذي أفرز مذهب الانطباعية إذ فرض على الفرد العزلة، فأصبحت أفكاره تدور حول ذاته، وليس العالم عنده سوى مجموعة من المؤثرات الحسية العصبية، والانطباعات والأحوال النفسية، ولا يهمه الاهتمام بالعالم وإصلاحه أو تغييره إلى الأفضل.

الانتشار وأماكن النفوذ:

بدأت الانطباعية في فرنسا، ثم انتشرت في أوربا.. وهي اتجاه يدخل في جميع المدارس الأدبية، إذ الانطباع عنصر أولي في أي عمل فني، ولكنه ليس كل شيء.. ولذلك اندثرت عندما اقتصرت على فكرة أن الانطباع هو الهدف الوحيد والمادة الخام التي يتشكل منها أي عمل فني.

ويتضح مما سبق:

أن الانطباعية أو التأثيرية مذهب(*) أدبي فني ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، ومضمونه اعتبار الانطباع الشخصي والإحساس، بمثابة الأساس في التعبير الفني والأدبي، بحيث تكمن قيمة العمل الأدبي في نوعية الانطباعات التي يتركها هذا العمل في نفس القارىء، الأمر الذي يستلزم تبني الأديب أو الفنان لهذه الحقيقة، فالإحساس وليس العقل(*) والتفكير، هو معيار وجود الإنسان وفق هذا المذهب، وكل معرفة لا يسبقها إحساس بها فهي معرفة غير مجدية، والعبرة بمضمون العمل الفني وليس بشكله، ولا يعبأ هذا المذهب بإصلاح أحوال الناس أو تغيير العالم إلى الأفضل. ومن هنا كانت الثغرات الأخلاقية والاجتماعية في هذا المذهب الأدبي ذات أثر كبير على كل من يطلع على نتاجه دون أن يكون ملماً سلفاً بفكرته تلك؛ لأن الفنان الانطباعي غير ملتزم إلا بالرؤية الحسية وتصوير ما انطبع على حواسه حتى لو لم يره الآخرون، وحتى لو عارضت انطباعاته القيم السامية وأدت من ثم للإضرار بالناس.

مراجع للتوسع:

- **الأدب المقارن**، د. محمد غنيمي هلال - دار الثقافة - بيروت.
- **المدخل إلى النقد الأدبي الحديث**، د. محمد غنيمي هلال - القاهرة ١٩٥٩م.
- **الانطباعية**، تأليف موريس سيرولا - ترجمة هنري زغيب - منشورات عويدات.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب - مكتبة مصر.
- **النقد الجمالي**، أندريه ريشار - ترجمة هنري زغيب (سلسلة زدني علماً).
- **الجمالية الفوضوية**، أندريه رستسلر - ترجمة هنري زغيب (سلسة زدني علماً).
- **الفن الانطباعي**، موريس سيرولا - (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- J. Leymarie, L'Impressionmisme. Paris 1959. 2 Vol.
- G. Moore, Modern Painting, London - New York - 1893.

١١٨- الوجودية

التعريف:

● الوجودية مذهب(*) فلسفي أدبي ملحد، وهو أشهر مذهب استقر في الآداب الغربية في القرن العشرين.

● ويركز المذهب على الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة في رأيه، ولا يوجد شيء سابق عليها، ولا بعدها، وتصف الوجودية الإنسان بأنه يستطيع أن يصنع ذاته وكيانه بإرادته ويتولى خلق أعماله وتحديد صفاته وماهيته باختياره الحر دون ارتباط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته، وعليه أن يختار القيم التي تنظم حياته.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● دخل المذهب الوجودي مجال الأدب على يد فلاسفة فرنسيين: هم جبرييل مارسيل المولود عام ١٨٨٩م. وقد أوجد ما أسماه الوجودية المسيحية(*)، ثم جان بول سارتر الفيلسوف والأديب الذي ولد ١٩٠٥م. ويعد رأس الوجوديين الملحدين والذي يقول: إن الله خرافة ضارة. وهو بهذا فاق الملحدين السابقين الذين كانوا يقولون إن الله خرافة نافعة. . ـ تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً ـ ومن قصصه ومسرحياته. **الغثيان، الذباب، الباب المغلق**.

● ومن الشخصيات البارزة في الوجودية: سيمون دي بوفوار وهي عشيقة سارتر. التي قضت حياتها كلها معه دون عقد زواج تطبيقاً عمليًّا لمبادىء الوجودية التي تدعو إلى التحرر من كل القيود المتوارثة والقيم الأخلاقية.

الأفكار والمعتقدات:

● الوجود اليقيني للإنسان يكمن في تفكيره الذاتي، ولا يوجد شيء خارج هذا الوجود ولا سابقاً عليه، وبالتالي لا يوجد إله(*) ولا توجد مثل ولا قيم أخلاقية متوارثة لها صفة اليقين، ولكي يحقق الإنسان وجوده بشكل حر فإن عليه أن يتخلص من كل الموروثات العقدية والأخلاقية.

● إن هدف الإنسان يتمثل في تحقيق الوجود ذاته، ويتم ذلك بممارسة الحياة بحرية مطلقة.

● الالتزام في موقف ما ـ نتيجة للحرية(*) المطلقة في الوجودية ـ من مبادىء الأدب

الوجودي الرئيسة . . حتى سميت الوجودية : أدب الالتزام أو أدب المواقف . . أي الأدب الذي يتخذ له هدفاً أساسياً أصحابه هم الذين يختارونه . وبذلك جعلوا القيمة الجمالية والفنية للأدب بعد القيمة الاجتماعية الملتزمة .

● ولقد نتج عن الحرية(*) والالتزام في الوجودية، القلق والهجران واليأس :

ـ القلق نتيجة للإلحاد(*) وعدم الإيمان بالقضاء والقدر(*) . . ونبذ القيم الأخلاقية والسلوكية .

ـ والهجران الذي هو إحساس الفرد بأنه وحيد لا عون له إلا نفسه .

ـ واليأس الذي هو نتيجة طبيعية للقلق والهجران، وقد حاول سارتر معالجة اليأس بالعمل، وجعل العمل غاية في ذاته لا وسيلة لغرض آخر، وحسب الوجودي أن يعيش من أجل العمل وأن يجد جزاءه الكامل في العمل ذاته وفي لذة ذلك العمل .

الجذور الفكرية:

● ترجع بذور مذهب(*) الوجودية إلى الكاتب الدانمركي كيركا جورد ١٨١٣ ـ ١٨٥٥م وقد نمَّى آراءه وتعمق فيها الفيلسوفان الألمانيان مارتن هيدجر الذي ولد عام ١٨٨٩م، وكارك يسبرز المولود عام ١٨٨٣م .

وقد أكد هؤلاء الفلاسفة أن فلسفتهم ليست تجريدية عقلية، بل هي دراسة ظواهر الوجود المتحقق في الموجودات .

● والفكر الوجودي لدى كيركاجورد عميق التدين، ولكنه تحول إلى ملحد إلحاداً صريحاً لدى سارتر .

ـ ومهما حاول بعض الوجوديين العرب، وغيرهم، تزيين صورة الوجودية، إلا أنها ستبقى مذهباً هداماً للأديان والعقائد والقيم الأخلاقية .

أماكن الانتشار:

● انتشرت الوجودية الملحدة في فرنسا بشكل خاص، وكانت قصص ومسرحيات سارتر من أقوى العوامل التي ساعدت على انتشارها .

ويتضح مما سبق:

أن الوجودية مذهب فلسفي أدبي ملحد، وهو أشهر المذاهب الأدبية التي استقرت في الآداب الغربية في القرن العشرين ويرى أن الوجود الإنساني هو الحقيقة اليقينية الوحيدة عند الوجوديين، بحيث إنه لا يوجد شيء سابق على الوجود الإنساني كما أنه لا يوجد شيء لاحق له، ولذا فإن هدف الإنسان يتمثل في تحقيق الوجود ذاته، ويتم ذلك بممارسة الحياة بحرية

مطلقة. وقد أفرز هذا المذهب(*) أموراً عديدة منها القلق واليأس نتيجة للإلحاد وعدم الإيمان وهما من ركائز هذا المذهب. لذا يجب أن يعي الشباب المسلم حقيقة هذا المذهب وهو يتعامل مع إفرازاته.

ولا شك أن الإسلام يرفض الوجودية بجميع أشكالها، ويرى فيها تجسيداً للإلحاد(*). كما أن قضايا الحرية(*) والمسؤولية والالتزام التي تدعو إليها الوجودية غير مقيدة بأخلاق(*) أو معتقدات دينية. وهي تنادي بأن الإنسان لا يدري من أين جاء ولا لماذا يعيش؟! وهذه جميعها أمور محسومة في الإسلام، وواضحة كل الوضوح في عقل وضمير كل مسلم آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً(*) نبيًّا(*) وقدوة وإماماً.

مراجع التوسع:

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، للدكتور عبد الرحمٰن رأفت الباشا ـ طـ. جامعة الإمام ١٤٠٥هـ.
- **الأدب المقارن**، للدكتور محمد غنيمي هلال.
- **الأدب ومذاهبه**، للدكتور محمد مندور ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة.
- **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، لمجموعة من المؤلفين ـ دار القلم ـ بيروت.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، للدكتور نبيل راغب ـ مكتبة مصر ـ القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- Existentialism and Humanism by J.P. Sartre, London, 1955.
- Literary and Philosophical Essays by J.P. Sartre, London, 1955.
- Histoire de la litterature Francaise Paris 1960.

١١٩ـ التعبيرية

التعريف:

● التعبيرية مذهب(*) أدبي فلسفي تجريبي لا انطباعي، إذ يعطي الأديب فيه للتجربة بعداً ذاتيًا ونفسيًا، وذلك على عكس الانطباعية التي تركز على التعبير عن الانطباع الخارجي عن الذات.

● وقد اهتمت التعبيرية بالمسرح كما اهتمت بضروب الأدب الأخرى.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● لقد تفرعت المدرسة التعبيرية إلى اتجاهات متعددة وهي:

ـ **الاتجاه التطبيقي**: ويقول أصحاب هذا الاتجاه: إن مهمة الأدب هي تنشيط عقل الإنسان ووجدانه، ومنعهما من الركود والبلادة، وليس مجرد تقديم صورة لما يراه الإنسان بالفعل في حياته اليومية.

ومن شخصيات هذا الاتجاه توللر وهاسين كليفر وبيتشر وكابر والأمريكي جون هاورد لوسون.

ـ **الاتجاه اللاعقلاني**: ويقول أصحاب هذا الاتجاه إن المعقول هو ما اتفق عليه الناس، وعلى المسرح أن يعالج ما لم يتفق عليه الناس بعد.

● **ومن شخصيات هذا الاتجاه**:

ـ صمويل بيكيت المولود سنة ١٩٠٦م وهو روائي ومسرحي إيرلندي الأصل. كان يكتب مسرحياته بالفرنسية.

ـ أونسكو المولود سنة ١٩١٢م وهو مسرحي روماني الأصل، ويعد من أركان مسرح اللامعقول.

ـ ومن رموز التعبيرية، أيضاً، كافكا وأونيل الذي بلغت التعبيرية قمتها في إحدى مسرحياته المتأخرة **أيام بلا نهاية**.

الأفكار والمعتقدات:

● يتركز هدف الفن التعبيري في التجسيد الموضوعي الخارجي للتجربة النفسية المجردة، عن طريق توسيع أبعادها، وإلقاء أضواء جديدة عليها، لكي تكشف عن الأشياء

التي يخفيها الناس، أو التي لا يستطيعون رؤيتها لقصر نظرهم.

● وتجسد التعبيرية جوهر الأشياء، دون إظهار خارجها، ولذلك فهي لا تعترف بأن هناك تشابها بين الظاهر والباطن.

● تهتم التعبيرية بالإنسان كله، ولذا فإن الشخصيات في المسرح التعبيري تتحول إلى مجرد أنماط أكثر منها أناس من لحم ودم. وأحياناً تتحول إلى مجرد أرقام أو مسميات عامة.

ـ تقوم المسرحية التعبيرية على شخصية محورية تمر بأزمة نفسية أو عاطفية، لذلك يستعين المؤلف بعلم النفس في أحيان كثيرة حتى يبلور مأساة الشخصية الداخلية.

● ركز أصحاب المذهب(*) التعبيري على مهمة الأدب التقليدي الذي غالباً ما يتميز بالمحدودية والغباء وضيق الأفق.

● الاتجاه اللاعقلاني في التعبيرية يعد الابن الشرعي للمذهب السريالي الأم. ولذلك يعد ثورة على منطق الحياة وعلى العقل، لهذا لا يخضع لقواعد الفن. ويعتقد بأن الحياة في جوهرها وفي حقيقتها التجريدية شيء لا معقول أي غير مفهوم وغير قابل للفهم أو للتفسير.

ـ ويعد هذا الاتجاه، أيضاً، من أمراض العصر الحاضر المملوء بالقلق واليأس من الحياة، والمصير المظلم الذي ينتهي بالموت.

● **نقد للاتجاه اللاعقلاني في التعبيرية:**

ـ هاجم الناقد الفرنسي: مورياك.. في كتابه **الأدب المعاصر** أدب بيكيت اللامعقول. فقال: «إننا لا نعرف من بيكيت شيئاً محققاً أو واضحاً ولا نفهم شيئاً مما يقول على حقيقته».

ـ وكذلك هاجم أدب اللامعقول، الناقد أندريه مارسيل فقال: «يبدو أن الهدف الرئيسي لبيكيت هو كتابة العمل الأدبي الذي لا يكتب، والذي لا يمكن تأليفه، إنها محاولة نحو المستحيل، وهي مأساة فشل لا مفر منه، ومجرد أكوام من الحطب المحترق التي تملأ الجو دخاناً في أرض مبهمة مجهولة».

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تعد الحرب العالمية الثانية، وما تركته من دمار في الأرض، ودمار في النفوس والأفكار المحضن الحقيقي للاتجاه اللاعقلاني في الأدب، لذلك كان اليأس والتشاؤم والقلق هو الغالب على مسرحيات هذا الاتجاه، إذ إن كثيراً من المفكرين والأدباء الأوربين فقدوا الأمل في الفكر العقلاني الواعي، لأن ما جرى خلال الحرب ينافي العقل(*) والمنطق(*) في رأيهم.

الانتشار وأماكن النفوذ:

نشأت التعبيرية في فرنسا وألمانيا وانتشرت بعد ذلك في أوربا والعالم الغربي كله.

يتضح مما سبق:

أن التعبيرية مذهب(*) أدبي فلسفي، يهتم بالتجربة الإنسانية، ويعطيها بعداً ذاتيًّا ونفسيًّا، فالعبرة فيه بجوهر الشيء لا بمظهره؛ لأنه لا يوجد أي تشابه بين الظاهر والباطن. وفي مجال المسرح يركز هذا المذهب على فكرة الشخصية المحورية التي تجتاز أزمة نفسية أو عاطفية ويتم تحليل أبعادها الخارجية من خلال معطيات علم النفس وأدواته. ويعد هذا المذهب مظهراً من مظاهر أمراض العصر الذي يغصّ بالقلق واليأس من الحياة والمصير المظلم الذي يسود كثيراً من دول الغرب، وينتهي بكثير من الناس إلى فقدان الإحساس بقيمة الحياة والقيم الروحية التي تثريها وتجعل للإنسان فيها هدفاً ولوجوده معنى.

● تعقيب:

ـ الإسلام لا يمنع التعبير عن مكنونات النفس إذا كان ذلك لا يتعارض مع معطيات الشرع، كالإفضاء بأسرار الحياة الزوجية، مثلاً، أو الدعوة إلى الإباحية وهكذا، وفي الوقت نفسه يحبب حياة الجد والعمل والاجتهاد، ويمحو مفاهيم الفوضى والعدمية واللامعقول من عقول الناس حتى لا تسيطر عليها وتحيل الحياة إلى جحيم لا يطاق.

مراجع للتوسع:

ـ **الأدب ومذاهبه**، د. محمد مندور دار نهضة مصر ـ القاهرة.
ـ **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب ـ مكتبة مصر ـ القاهرة.
ـ **المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا**، فليب فان يتغيم، ترجمة فريد أنطوانيوس ـ (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- De Segur: Histoire de la litterature Europieenne. Paris 1959.
- Lanson: Histoire de la litterature Francaise Paris 1960.

١٢٠ـ العبثية

التعريف:

العبثية مدرسة أدبية فكرية، تدعي أن الإنسان ضائع لم يبق لسلوكه معنى في الحياة المعاصرة، ولم يبق لأفكاره مضمون وإنما هو يجتر أفكاره؛ لأنه فقد القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي، نتيجة للرغبة في سيطرة الآلة على الحياة لتكون في خدمة الإنسان، إذ انقلب الأمر فأصبح الإنسان في خدمة الآلة، وتحول الناس إلى تروس في هذه الآلة الاجتماعية الكبيرة. وجاءت مدرسة العبث كمرآة تعكس وتكبِّر ما يعاني منه إنسان النصف الثاني من القرن العشرين، عن طريق تجسيده في أعمال مسرحية ورواية شعرية، لعله ينجح في التخلص من هذا الانفلات في حياته، ويفتح الطريق أمام ثورة هائلة في الإمكانات، ومن التجديد في وسائل التعبير فيتولد لديه الانسجام والفهم لما يحدث.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● نشأ مذهب(*) العبث في الأدب الأوربي وانتقل إلى الآداب العالمية المعاصرة بصفة عامة، والدول التي عانت من الحربين العالميتين الأولى والثانية بصفة خاصة، وهي الدول التي فقدت ثقتها في مجرد المسلك العقلي المنطقي الذي يمكن أن يدمر في لحظات كل ما يبنيه الإنسان من مدنية عندما تحكمه شهوة السيطرة والتدمير، كما فعل هتلر في الحرب العالمية الثانية.

● ومن العبث التفتيش عن معنى للسلوك الإنساني، في رأي أصحاب مذهب العبث؛ فإن الآلة التي اخترعها الإنسان قد سيطرت عليه، وأصبح هو نفسه ترساً فيها، مما أدى إلى إحساسه بالعبث والضياع في المضحك المؤلم.

● ومن أبرز شخصيات مذهب العبث الفرنسيان:

ـ صامويل بيكيت ١٩٠٦ م ـ ٠٠٠ الرائد الأول لمذهب العبث، وقد ألف في جميع الأشكال الأدبية، ومنح جائزة نوبل عام ١٩٦٩م.

ـ أوجين يونسكو ١٩١٢م ـ ٠٠٠ وهو كاتب فرنسي ويعد من أركان مسرح اللامعقول.

الأفكار والمعتقدات:

● يمكن إجمال أفكار ومعتقدات مذهب(*) العبثية الأدبي والفكري فيما يلي:

ـ انعدام المعنى والمضمون وراء السلوك الإنساني في العالم المعاصر، وذلك نتيجة لما

قيل إنه الفراغ الروحي، والابتعاد عن الإيمان الذي لا يكون للحياة معنى وغاية بدونه.

ـ إن الآلة التي سيطرت على الإنسان في المدنية الغربية، أدت إلى تحلل المجتمع وتفككه، ولم يبق هناك روابط أسرية أو اجتماعية.

ـ إن تصوير الحياة المعاصرة وما فيها من تشتت وفقدان للرؤية الواضحة ورتابة مملة، وقلق وعدم أمان، يحول الحياة إلى وجود لا طعم فيه ولا معنى.

ـ التأثر بآراء فرويد في علم النفس التحليلي وما فيه من إيحاءات وأحلام وخيالات وأوهام.

ـ الخوف والرهبة من الكون، وهذا الخوف يقضي على كل تفكير عقلاني متماسك.

ـ اتباع أسلوب الألغاز والغموض في التعبير، بحيث لا يفهم النقاد ما ينتجون من أدب وشعر.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تعد مدرسة السريالية الفرنسية الأساس لمذهب العبث، وذلك لما تحويه من شطحات العقل الباطن، وهلوسة عالم الأحلام الزاخر بالهواجس والآلام والآمال.

● كما تعد المدرسة الرمزية من جذور مذهب العبث، وما تحويه من صور مشوشة مضطربة تجمع بين الجمال والقبح والأسطورة والواقع، كذلك فإن آراء فرويد النفسية وما تحويه من إيحاءات وأحلام نتيجة تحليله النفسي للمرضى والمعتوهين، تعد من الجذور الفكرية لمذهب العبث.

أماكن الانتشار:

بدأ مذهب العبثية في فرنسا ثم انتشر في جميع أنحاء أوربا والعالم الغربي خاصة.

ويتضح مما سبق:

أن العبثية مدرسة أدبية فكرية لا تقيد نفسها بكثير من القيم الإنسانية، ولا ترى أن هناك أي مضمون حقيقي وراء السلوك الإنساني، الذي تحلل في المجتمع الغربي بسبب سيطرة الآلة على مسارات الحياة حتى أنها جعلت الإنسان ترساً في هذه الآلة الضخمة. وقد تأثرت هذه المدرسة بآراء فرويد في علم النفس التحليلي وما فيه من أحلام وأوهام وخيالات، وترى وجوب اتباع أسلوب الغموض والألغاز في التعبير بحيث لا يفهم النقاد نتاج هذه المدرسة التي يقوم فكرها على أساس الخوف من الكون والرهبة منه وهو خوف يقضي على كل تفكير عقلاني. ومع كل ما تقدم فإنها ترجع ضياع الإنسان في الغرب إلى الفراغ الروحي، ولكنها لا تلزم نفسها بأية قيم دينية سلفاً، ولذا وجب النظر إلى نتاجها الفكري بحذر واهتمام.

مراجع للتوسع:

- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، للدكتور. نبيل راغب مكتبة مصر - القاهرة.
- **الأدب المقارن**، د. محمد عفيفي هلال، دار العروة، بيروت.
- **في الأدب**، د. محمد مندور.
- **الأدب ومذاهبه**، د. محمد مندور.
- **المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا**، ترجمة فريد أنطونيوس (سلسة زدني علماً).
- **الفوضوية**، هنري أرفون (سلسلة زدني علماً).
- **الجمالية الفوضوية**، أندرية رستسلر (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- De Segur. Histoire de la letterature Européenne. Paris. 1959.
- Lanson: Histoire de la letterature Francaise, Paris, 1960.
- Caramian (L) Symbolisme et poesie, l'Exemple anglais. Paris. 1947.
- Clouard (H). Histoire de la letterture Francaise du Symbolisme a nos jours. Paris 1944
- 1949.

١٢١ـ البنيوية

التعريف:

● البنيوية: منهج(*) فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم. اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة.

ـ اشتق لفظ البنيوية من البنية إذ تقول: كل ظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية، تشكل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها (أو نفككها) إلى عناصرها المؤلفة منها، من دون أن ننظر إلى أية عوامل خارجية عنها.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● كانت البنيوية في أول ظهورها تهتم بجميع نواحي المعرفة الإنسانية ثم تبلورت في ميدان البحث اللغوي والنقد الأدبي وتعد الأسماء الآتية هم مؤسسي البنيوية في الحقول المذكورة:

ـ ففي مجال اللغة برز فريدنان دي سوسور الذي يعد الرائد الأول للبنيوية اللغوية الذي قال ببنيوية النظام اللغوي المتزامن، إذ إن سياق اللغة لا يقتصر على التطورية Diachronie، وإن تاريخ الكلمة، مثلاً، لا يعرض معناها الحالي، ويكمن في وجود أصل النظام أو البنية، بالإضافة إلى وجود التاريخ، ومجموعة المعاني التي تؤلف نظاماً يرتكز على قاعدة من التمييزات والمقابلات، إذ إن هذه المعاني تتعلق ببعضها، كما تؤلف نظاماً متزامناً إذ إن هذه العلاقات مترابطة.

ـ وفي مجال علم الاجتماع برز كل من: كلود ليفي شتراوس ولوي إلتوسير اللذين قالا: إن جميع الأبحاث المتعلقة بالمجتمع، مهما اختلفت، تؤدي إلى بنيويات؛ وذلك أن المجموعات الاجتماعية تفرض نفسها من حيث إنها مجموع وهي منضبطة ذاتياً، وذلك للضوابط المفروضة من قبل الجماعة.

ـ وفي مجال علم النفس برز كل من ميشال فوكو وجاك لا كان اللذين وقفا ضد الاتجاه الفردي Test is Contest في مجال الإحساس والإدراك، وإن كانت نظرية الصيغة (أو الجشتلت) التي ولدت سنة ١٩١٢م تعد الشكل المعبر للبنيوية النفسية.

الأفكار والمعتقدات:

إن دراسة أي ظاهرة أو تحليلها من الوجهة البنيوية. يعني أن يباشر الدارس أو المحلل وضعها بحيثياتها وتفاصيلها وعناصرها بشكل موضوعي، من غير تدخل فكره أو عقيدته الخاصة في هذا، أو تدخل عوامل خارجية (مثل حياة الكاتب، أو التاريخ) في بنيان النص. وكما يقول البنيويون: «نقطة الارتكاز هي الوثيقة لا الجوانب ولا الإطار Test is Contest وأيضاً: «البنية تكتفي بذاتها. ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي من العناصر الغريبة عن طبيعتها».

وكل ظاهرة ـ تبعاً للنظرية البنيوية ـ يمكن أن تشكل بنية في حد ذاتها؛ فالأحرف الصوتية بنية، والضمائر بنية، واستعمال الأفعال بنية.. وهكذا.

● تتلاقى المواقف البنيوية عند مبادىء عامة مشتركة لدى المفكرين الغربيين، وفي شتى التطبيقات العملية التي قاموا بها، وهي تكاد تندرج في المحصلات التالية:

ـ السعي لحل معضلة التنوع والتشتت بالتوصل إلى ثوابت في كل مؤسسة بشرية.

ـ القول بأن فكرة الكلية أو المجموع المنتظم هي أساس البنيوية، والمردُّ الذي تؤول إليه في نتيجتها الأخيرة.

ـ لئن سارت البنيوية في خط متصاعد منذ نشوئها، وبذل العلماء جهداً كبيراً لاعتمادها أسلوباً في قضايا اللغة، والعلوم الإنسانية والفنون، فإنهم ما اطمأنوا إلى أنهم توصلوا، من خلالها، إلى المنهج الصحيح المؤدي إلى حقائق ثابتة.

● في مجال النقد الأدبي، فإن النقد البنيوي له اتجاه خاص في دراسة الأثر الأدبي يتلخص في: أن الانفعال والأحكام الوجدانية عاجزة تماماً عن تحقيق ما تنجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، لذا يجب أن تفحصه في ذاته، من أجل مضمونه، وسياقه، وترابطه العضوي، فهذا أمرٌ ضروري، لا بد منه لاكتشاف ما فيه من ملامح فنية مستقلة في وجودها عن كل ما يحيط بها من عوامل خارجية.

● إن البنيوية لم تلتزم حدودها، وآنست في نفسها القدرة على حل جميع المعضلات وتحليل كل الظواهر، حسب منهجها، وكان يخيل إلى البنيويين أن النص لا يحتاج إلا إلى تحليل بنيوي؛ كي تنفتح للناقد كل أبنية معانيه المبهمة أو المتوارية خلف نقاب السطح. في حين أن التحليل البنيوي ليس إلا تحليلاً لمستوى واحد من مستويات تحليل أي بنية رمزية، نصيّة كانت أم غير نصيّة. والأسس الفكرية والعقائدية

التي قامت عليها، كلها تعد علوماً مساعدة في تحليل البنية أو الظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية.

● لم تهتم البنيوية بالأسس العَقَديَّة والفكرية لأي ظاهرة إنسانية أو أخلاقية أو اجتماعية، ومن هنا يمكن تصنيفها مع المناهج(*) المادية(*) الإلحادية(*)، مثل مناهج الوضعية في البحث، وإن كانت هي نفسها ليست عقيدة، وإنما منهج وطريقة في البحث.

الجذور الفكرية والعقائدية:

تعد الفلسفة(*) الوضعية لدى كونت، التي لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية ـ التي تقوم على الوقائع التجريبية ـ الأساس الفكري والعقدي عند البنيوية.

فهي تؤمن بالظاهرة على أنها بنية منعزلة عن أسبابها وعللها، وعما يحيط بها.. وتسعى لتحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية، وذلك لفهمها وإدراكها.. ومن هنا كانت أحكامها شكلية كما يقول منتقدوها، ولذا فإن البنيوية تقوم على فلسفة غير مقبولة من وجهة نظر تصورنا الفكري والعقدي.

أماكن الانتشار:

البنيوية منهج مستورد من الغرب، وتعد أوربا وأمريكا أماكن انتشارها، وأرضها الأصلية. وهي تنتشر ببطء في باقي بلاد العالم، ومنها البلاد العربية.

يتضح مما سبق:

أن البنيوية منهج فكري نقدي مادي ملحد غامض، يذهب إلى أن كل ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تشكل بنية، لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها، ويتم ذلك دون تدخل فكر المحلل أو عقيدته الخاصة، ونقطة الارتكاز في هذا المنهج(*) هي الوثيقة، فالبنية، لا الإطار، هي محل الدراسة، والبنية تكفي بذاتها ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي عنصر من العناصر الغريبة عنها. وفي مجال النقد الأدبي، فإن الانفعال أو الأحكام الوجدانية عاجزة عن تحقيق ما تنجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، ولذا يجب فحصه في ذاته من أجل مضمونه وسياقه وترابطه العضوي، والبنيوية، بهذه المثابة، تجد أساسها في الفلسفة الوضعية لدى كونت، وهي فلسفة لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية، ومن هنا كانت خطورتها.

مراجع للتوسع:

- **البنيوية**، تأليف جان بياجيه - ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري - منشورات عويدات - بيروت - باريس، ط٤، ١٩٨٥م. سلسلة زدني علماً.

- **المعجم الأدبي**، تأليف جبور عبدالنور - دار العلم للملايين - بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

- **جريدة الحياة**، العددان (١٠٣٨٠ و ١٠٣٨١) ٢٦ و٢٧ ذو الحجة ١٤١١هـ مقال بعنوان: البنيوية كما يراها ثلاثة نقاد.

المراجع الأجنبية:

- 0. Ducrot. T. Todorov. et... qu'est ce que le Structuralism. Paris 1968.
- Z. S. Harris, Methods in Structural Linguistics, Chicago, 1951.

١٢٢ ـ السريالية

التعريف:

● السريالية «أي ما فوق الواقعية أو ما بعد الواقع» هي مذهب(*) أدبي فني فكري، أراد أن يتحلل من واقع الحياة الواعية، وزعم أن فوق هذا الواقع أو بعده واقع آخر أقوى فاعلية وأعظم اتساعاً، وهو واقع اللاوعي أو اللاشعور، وهو واقع مكبوت في داخل النفس البشرية، ويجب تحرير هذا الواقع وإطلاق مكبوته وتسجيله في الأدب والفن. وهي تسعى إلى إدخال علاقات جديدة ومضامين غير مستقاة من الواقع التقليدي في الأعمال الأدبية. وهذه المضامين تستمد من الأحلام، سواء في اليقظة أو المنام، ومن تداعي الخواطر الذي لا يخضع لمنطق السبب والنتيجة، ومن هواجس عالم الوعي واللاوعي على السواء، بحيث تتجسد هذه الأحلام والخواطر والهواجس المجردة في أعمال أدبية. وهكذا تعد السريالية اتجاهاً يهدف إلى إبراز التناقض في حياتنا أكثر من اهتمامه بالتأليف.

ـ يعتبر مسرح العبث الابن الشرعي للسريالية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● في أعقاب الحرب العالمية الأولى، أصابت الإنسان الأوربي صدمة هزت النفوس وبلبلت الأفهام، نتيجة للدمار الكامل وإزهاق الأرواح بلا حساب، فنشأت نزعة جارفة للتحلل من القيم الأخلاقية(*)، وتحرير الغرائز والرغبات المكبوتة في النفس البشرية، وامتدت هذه النزعة إلى الفن والأدب مما أدى إلى ظهور المذهب المعروف بالسريالية في فرنسا سنة ١٩٢٤ م التي بدأت بالسريالية النفسية، ثم دخلت السريالية مجالات الأدب والاجتماع والاقتصاد(*) والفن، ومن أبرز الشخصيات السريالية:

ـ أندريه بريتون ١٨٩٦ ـ ١٩٦٦م وهو عالم نفس وشاعر فرنسي يعده النقاد مؤسس السريالية.

ـ ثورنتون وأيلور وهو كاتب مسرحي، ألف مسرحية **جلد الإنسان بين الأسنان** سنة ١٩٤٢م، وهي مسرحية تجنح إلى الخيال والعنف الناتج عن اللاشعور عند شخصيات المسرحية.

ـ سلفادور دالي ولد سنة ١٩٠٤م وهو رسام إسباني، ويعد من أبرز دعاة السريالية، وقد أضاف إليها إضافات كثيرة أبرزها أسلوبه الذي تميز به الذي دعاه «النقد المبنى على الهلوسة» وكان يؤكد دائماً أنه أقرب إلى الجنون منه إلى الماشي نوماً، والمعرفة عنده تقوم على التداعي والتأويل.

الأفكار والمعتقدات:

● يمكن إجمال أفكار ومعتقدات السريالية فيما يلي:

ـ الاعتماد الكلي على الأمور غير الواقعية: مثل الأحلام والأخيلة.

ـ الكتابة التلقائية الصادرة عن اللاوعي، والبعيدة عن رقابة العقل، بدعوى أن الكلمات في اللاوعي لا تمارس دور الشرطي في رقابته على الأفكار، ولهذا تنطلق هذه الأفكار نشيطة جديدة.

ـ إهمال المعتقدات والأديان(*) والقيم الأخلاقية(*) السائدة في المجتمع.

ـ التركيز على الجانب السياسي، والبحث عن برنامج وضعي (مادي ومحسوس)، يصلح لتطوير المفاهيم الاجتماعية، لذلك تودد السرياليون للحزب الشيوعي، وبذلوا جهوداً كبيرة من أجل توسيع مجال تطبيق المادية الجدلية الماركسية(*).

ـ الثورة لتغيير حياة الناس، وتشكيل مجتمع ثوري بدلاً من المجتمع القائم، وشملت الثورة ثورة على اللغة التقليدية، وإحداث لغة جديدة.

ـ تزيت السريالية بأزياء مختلفة، فتارة تظهر كمجموعة من السحرة، وتارة تبدو كعصابة من قطاع الطرق، وتظهر تارة أخرى كأعضاء في خلية ثورية، فهي حركة سرية هدفها تقويض الوضع الراهن.

ـ ويعد الغموض في التعبير الأدبي أو الفني في مجال الرسم، هدفاً ثابتاً للسرياليين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تأثرت السريالية بآراء فرويد عالم النفس اليهودي في تحليله للنفس الإنسانية، وخاصة تلك التي تتحدث عن اللاشعور والأحلام، والكبت ودعوته إلى تحرير الغرائز الإنسانية والرغبات المكبوتة في النفس البشرية، وإشباع الغرائز والرغبات إشباعاً حراً حتى لا تصاب بالأمراض النفسية كما يدَّعي. وهذه الآراء تتلاءم مع دعوتهم إلى التحلل الأخلاقي في المجتمع البشري.

● وكذلك تأثرت السريالية بالفكر الماركسي الشيوعي، ودعوته إلى الثورة(*) لتغيير المجتمع، واستخدام العنف في سبيل ذلك.. وبظهور المزاج الثوري حلت الفوضى السياسية والصراع الكامل محل النظام والانسجام.

● وقد تأثرت السريالية، أيضاً، بحركة سبقتها تدعى الدادية التي ولدت في زيورخ بسويسرا سنة ١٩١٦م. وهي حركة فوضوية تكفر بالقيم السائدة والمعتقدات والتقاليد الاجتماعية، وتدعو إلى العودة إلى البداية. ورائد هذه الحركة هو ترستان تزارا الذي يصفه كاتب أوربي بأنه «المروِّج للفوضوية الفنية والاجتماعية».

ولذا عد النقاد السريالية وريثة هذه الحركة الدادية في أفكارها وتوجهاتها وأسلوبها.

● **بداية السريالية ونهايتها:**

ـ بدأت السريالية بمجال النفس البشرية، ثم دخلت مجالات الأدب والفكر والسياسة والاجتماع والفن، ثم اقتحمت بشذوذها الثوري مجال العقيدة الدينية والتقاليد الاجتماعية واللغة، وأثارت جدالاً عنيفاً بين أقصى الكاثوليكية في الغرب وأقصى الشيوعية في الشرق.

ـ وأخذت السريالية في الانكماش والتقوقع بعد ربع قرن من نشوئها، وشعر دعاتها بعجزهم عن تحقيق أي هدف، وبعقم ثورتهم ضد القيم والمعتقدات الدينية، وإخفاقهم في إيجاد مسيحية(*) جديدة، تخلص الإنسان من عذابه وضياعه ـ حسب زعمهم ـ وتحول عددٌ منهم بعد الحرب العالمية الثانية إلى الشيوعية والإلحاد، وجُنَّ بعضهم وأدخل المصحات العقلية والنفسية، وتحول البعض الآخر إلى العبثية في الأدب المعبر عن انعدام المعنى العام وراء السلوك الإنساني في العالم المعاصر.

ـ أما أفكارها ومبادئها فقد تبناها مذهب الحداثة الأدبي الفكري، إذ صبت جميع جداول السريالية في مستنقعه الكبير.

وهكذا انتهت السريالية، المعبرة عن فقدان الإنسان الغربي العقيدة الصحيحة، واعتماده على ضلالات فرويد النفسية في اللاشعور والأحلام. هذه الضلالات التي أدت إلى التحلل الأخلاقي وإطلاق الغرائز من عقالها، مما أودى بها بعد ربع قرن من نشوئها.

ويتضح مما سبق:

أن السريالية مذهب(*) أدبي فني فكري غير ملتزم بالأديان(*)، يهدف إلى التحلل

من واقع الحياة الواعية، والرنو إلى واقع آخر هو واقع اللاوعي أو اللاشعور المكبوت في النفس البشرية، بحيث يتم تسجيل هذا الواقع في الأدب والفن، من خلال الاعتماد الكلي على الأمور غير الواقعية، والكتابة التلقائية الصادرة عن اللاوعي، وإهمال الأديان والمعتقدات والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، والتركيز على الجانب السياسي وإذكاء الثورة(*) لتغيير حياة الناس، وتشكيل مجتمع ثوري بدلاً من المجتمع القائم، وتقويض الوضع القائم في المجتمع. وكل تلك الخصائص والغايات تبرر مدى خطورة مثل هذا المذهب الأدبي على القيم الدينية.

مراجع للتوسع

- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، د. عبد الرحمٰن رأفت الباشا. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٥هـ.
- **مذاهب الأدب الغربي**، د. عبد الباسط بدر، دار الشعاع، الكويت.
- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب ـ مكتبة مصر ـ القاهرة.
- **الأدب ومذاهبه**، د. محمد مندور.
- **السريالية**، إيف دوبليس (سلسلة زدني علماً).
- **الأدب الرمزي**، هنري بير.

المراجع الأجنبية:

- Braunschvig: Notre litterature Etudiée dans le texte. Paris 1949.
- Lanson: Histoire de la litterature Francaise Paris 1961.
- Segur (Nicola): Histoire de la litterature Européene 1959.

١٢٣ ـ الميتافيزيقية

التعريف:

الميتافيزيقية(*) اتجاه أدبي وفلسفي يبحث في ظواهر العالم بطريقة عقلية، وليست حدسية صوفية، ويمزج العقل بالعاطفة، ويبتدع أساليب أدبية تجمع بين المختلف والمؤتلف من الأخيلة الفكرية والظواهر الطبيعية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● جون دن ١٥٧٢ ـ ١٦٣١م الشاعر الإنجليزي الذي أسس المدرسة الميتافيزيقية في الشعر الإنجليزي، مع باقي الشعراء في القرن السابع عشر من أمثال، جون هيربرت، وهنري فون، وروبرت كرشوا وأندرو مارفيل وإبراهام كاولي، وهم الشعراء الذين ساروا على نهج جون دن في أسرار الوجود.

● جون درايدن: شاعر إنجليزي نقد جون دن، وقال إن شعره مفعم بالفلسفة العويصة الفهم. . . والشعر المرهف الرقيق لا يستطيع حمل الأفكار الفلسفية الثقيلة.

● هـ. ج. س. جريرسون: ناقد إنجليزي من الكلاسيكية الحديثة، أحيا المدرسة الميتافيزيقية في كتابه عن **الأشعار الميتافيزيقية** سنة ١٩٢١م.

● ت. س. إليوت ناقد وأديب إنجليزي، أحيا الميتافيزيقية بعد أن كادت تندثر في كتابه **الشعراء الميتافيزيقيون** ودراسة خاصة عن الشاعر الميتافيزيقي **أندرو مارفيل** سنة ١٩٢١م.

● وفي مجال الفلسفة هيجل وبرادلي وصمويل ألكسندر وغيرهم.

الأفكار والمعتقدات:

● محاولة تفسير الظواهر الميتافيزيقية، بأساليب تجسيدية تقرب بينها وبين الظواهر الطبيعية كتشبيه الحب بعلم التجميع، وتشبيه الروح بقطرة الذل.

● إن الإنسان يستطيع أن يقترب من القوى الميتافيزيقية عندما يجدها متجسدة في أعمال مسرحية وشعرية وروائية.

● الميتافيزيقيا(*) في مجال الفلسفة تعتمد على العقل(*) في إنشاء نظرية إلٰهية ـ عن الوجود الإلهي ـ بديلة عن التثليث(*)، من ذلك فلسفة(*) هيجل **الروح المطلق**

وكلها مذاهب يعارضها التوحيد الخالص معارضته للصليبية نفسها.

● الشعر الميتافيزيقي يعد نموذجاً لتحليل الشعور الإنساني، وليس لتجسيده والبحث عن الفلسفة الكامنة وراء الحب بكل أنواعه، وليس تعبيراً عن التجربة النفسية التي يخوضها المحبون.

● تأكيد الدلالات الدينية والأخلاقية الكامنة وراء القوى الميتافيزيقية، والشعر هو خير أداة للتعبير عن هذه الدلالات عن طريق إثارة قوى التفكير والتأمل لدى الإنسان العادي.

● الأسلوب السهل والتعبير الجميل هو الوسيلة الوحيدة لنقل الأفكار العميقة إلى القراء والتأثير فيهم، وإن أدى إلى المبالغة الشعرية.

● يختلف الشعر الميتافيزيقي عن الشعر الصوفي الذي يدعو إلى وحدة الوجود، وإلى الحب الإلٰهي الذي يسمو على الحب المادي الفاني، والذي ينتهي بحدود الزمان والمكان.

الجذور الفكرية والعقائدية:

يرى بعضهم أن العقائد الدينية النصرانية هي الخلفية الفكرية للمذهب الميتافيزيقي الأدبي.. ولعل عجز الإنسان عن فهم الأمور الغيبية في الحياة، دفعه إلى التعبير عن جميع الظواهر الغيبية مثل الروح والحياة، والقدر والموت.. عن طريق الشعر والرواية والمسرحية.. لعل الإنسان يستطيع التوصل إلى فهم كنه هذه الظواهر.

أماكن النفوذ والانتشار:

بدأ المذهب(*) الميتافيزيقي في إنجلترا... وإن كانت أفكاره أثرت تأثيراً كبيراً في أدباء الكلاسيكية الجديدة في أوربا كلها والعالم الغربي برمته.

ويتضح مما سبق:

أن الميتافيزيقية هي اتجاه أدبي، يبحث عن ظواهر العالم بطريقة عقلية ممزوجة بالعاطفة، من أجل الجمع بين كل ما هو مؤتلف ومختلف من الأخيلة الفكرية والظواهر الطبيعية، وإبرازه في أعمال مسرحية وشعرية وروائية تجسد الفلسفة الكامنة وراء الحب، بأسلوب سهل وتعبير سلس. ومع أن هذا الاتجاه يؤكد الدلالات الدينية والأخلاقية الكامنة وراء القوى الميتافيزيقية، إلا أنه يتبنى، كالخيال الصوفي الجامح، فكرة وحدة الوجود، ومن هنا كانت خطورة التعبيرات الأدبية في هذا الاتجاه على الشباب المسلم الذي يجب أن يعيها بدقة، ويعرف أبعادها قبل أن ينجرف مع تيارها

عندما يتعامل مع إفرازات هذا المذهب الأدبي.

مراجع للتوسع:

- **المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية**، د. نبيل راغب ـ نشر مكتبة مصر.
- **طبيعة الميتافيزيقا**، تأليف جماعة من الفلاسفة الإنجليز. (سلسلة زدني علماً).
- **الأدب المقارن**، د. محمد غنيمي هلال ـ دار العودة ـ بيروت.
- **الأدب المقارن**، ماريوس فرانسوا غويار (سلسلة زدني علماً).
- **فلاسفة إنسانيون**، كارل ياسبر (سلسلة زدني علماً).

المراجع الأجنبية:

- Braunschvig: Notre Litterature Etudiée dans le texte. Paris 1949.
- Lanson: Histoire de la Litterature Francais Paris 1916.
- De Segur (Nicola): Histoire de la Litterature Europièenne.

الفصل الثالث

من الفلسفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية

● مقدمة عامة ● الرأسمالية
● الشيوعية ● الداروينية

مقدمة عامة

الإنصاف صفة من صفات الكتابة العلمية المحايدة، ولذا فإن أي كاتب منصف متجرد عن الهوى، وخال من الغرض، لا يمكن أن يختار الكلمات التي توافق هواه فحسب، والعبارات التي تنتصر لفكرته أيا كانت، كما هو الشأن بالنسبة لكثير من المستشرقين الذين طالما نظروا إلى الإسلام نظرة غير منصفة، عندما فضلوا عليه النظريات الاقتصادية والسياسية الملحدة كالشيوعية أو غير الملحدة كالرأسمالية، أو التي نشأت في كنف الرأسمالية كالعلمانية أو حتى مجرد الحركات الاجتماعية كحركة تحرير المرأة أو تلك التي مهدت لذيوع الشيوعية ومحاربة القيم الدينية كالدارونية.

ومن منطق الإنصاف لا الإجحاف،، تعيد هذه المقدمة كفتي الميزان إلى الاعتدال، وتقدم للقارىء نبذة عما سيقرؤه من تلك النظريات التي شغلت العالم وسيطرت عليه ثم تهاوت، كالشيوعية والدارونية، أو كادت كالرأسمالية أو العلمانية.

● إن الشيوعية التي عالجناها هي مذهب(*) فكري يقوم على الإلحاد وينظر إلى المادة على أنها أساس لكل شيء، ويفسر التاريخ من خلال صراع الطبقات، ويدير الاقتصاد على أساس خرافات تنظر إلى الدين(*) باعتباره أفيون الشعوب، فهل نجحت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي أم أنها كانت السبب الرئيس في تفكك الاتحاد السوفيتي؟ وما دامت الشيوعية قد انهارت أفلا يكون ذلك مدعاة لتمسك المسلم بعقيدته ودينه وعدم الاهتزاز أمام الأفكار الهدامة؟

● أما الرأسمالية التي تناولناها بعد ذلك، فهي نظام اقتصادي يقوم على فكرة تحقيق أقصى إشباع ممكن لحاجات الإنسان الأساسية والكمالية، معتمداً على سياسة

فصل الدين نهائيّاً عن الحياة، ولقد كانت الرأسمالية سبباً في إلحاق ويلات كثيرة بشتى دول العالم، نتيجة اعتمادها على المنفعة واللذة كمعيارين أساسيين لسعادة الإنسان، بصرف النظر عن العقائد والأديان(*)، وهو ما أدى إلى اهتزاز هذه النظرية، وقيام الدول التي كانت تأخذ بها إلى إعادة النظر فيها، بل إن بعض الدول الإسلامية قد هجرتها وتبنت نظرية إسلامية نابعة من عقيدتها، وهو ما يؤكد ضرورة العودة إلى عرين الدين.

ولما كانت الرأسمالية تفصل بين الدين والدولة فقد كان من المناسب معالجة موضوع العلمانية باعتباره دعوة إلى إقامة الحياة على العلم البحت، والعقل المجرد، مع فصل الدين كلية عن الدولة استناداً إلى فكرة نصرانية تقول إن المسيح، عليه الصلاة والسلام، قال: «أعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله». وأياً ما كان الأمر فإن هذه النظرية بدأت تتهاوى تحت مطارق الشمول الإسلامي في الدول الإسلامية بوجه خاص، وبدأ الاتجاه من جديد صوب الإسلام الذي هو عقيدة وشريعة(*) ودين ودولة.

● أما الدارونية وهي مما عالجناه على هذا الصعيد، فهي فكرة علمية تنسب إلى شارلز دارون، صاحب نظرية النشوء والارتقاء المعروفة، التي حاول أن يزعزع بها جميع القيم الدينية في الشرق والغرب. وقد انهارت بدورها على أثر ظهور نظريات علمية أثبتت خطلها وفسادها.

ـ وبهذه الملامح نقدم لهذا الموضوع الذي سيستخلص منه القارىء أنه يسير على الطريق المستقيم في ظل دينه الحنيف، وأنه بالنأي عن هذه النظريات يحمي قيمه وعقيدته.

١٢٤- الرأسمالية

التعريف:

الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم الحرية، معتمداً على سياسة فصل الدين(*) نهائيّاً عن الحياة. ولقد ذاق العالم بسببه ويلات كثيرة نتيجة إصراره على كون المنفعة واللذة هما أقصى ما يمكن تحقيقه من السعادة للإنسان. ولا تزال الرأسمالية تمارس ضغوطها وتدخلها السياسي والاجتماعي والثقافي وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● كانت أوربا محكومة بنظام الإمبراطورية الرومانية التي ورثها النظام الإقطاعي Feudal System.

● لقد ظهرت ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر الطبقة البورجوازية(*) Bourgeois تالية لمرحلة الإقطاع ومتداخلة معها.

● تلت مرحلةَ البورجوازية مرحلةُ الرأسمالية وذلك منذ بداية القرن السادس عشر ولكن بشكل متدرج.

● فقد ظهرت أولاً الدعوة إلى الحرية(*) Libération وكذلك الدعوة إلى إنشاء القوميات اللادينية.

● ظهر المذهب الحر (الطبيعي(*)) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في فرنسا إذ ظهر الطبيعيون Les Phisiocrates ومن أشهر دعاة هذا المذهب:

- فرنسوا كنزني Francois Quensnay ١٦٩٤ - ١٧٧٨م ولد في فرساي بفرنسا، وعمل طبيباً في بلاط لويس الخامس عشر، لكنه اهتم بالاقتصاد وأسس المذهب الطبيعي، فلقد نشر في سنة ١٧٥٦م مقالين عن الفلاحين وعن الجنوب، ثم أصدر في سنة ١٧٥٨م الجدول الاقتصادي Tableau Economique ، وشبَّه فيه تداول المال داخل الجماعة بالدورة الدموية. وقد قال ميرابو حينذاك عن هذا الجدول بأنه: «يوجد في العالم ثلاثة اختراعات عظيمة هي الكتابة والنقود والجدول الاقتصادي».

- جون لوك Jonn Locke ١٦٣٢ - ١٧٠٤م صاغ النظرية الطبيعية الحرة إذ

يقول عن الملكية الفردية: «وهذه الملكية حق من حقوق الطبيعة، وغريزة تنشأ مع نشأة الإنسان، فليس لأحد أن يعارض هذه الغريزة».

ـ ومن ممثلي هذا الاتجاه، أيضاً، تورجو Turgot وميرابو Mirabou وجان باتست ساي J.B.Say وباستيا.

● ظهر بعد ذلك المذهب(*) الكلاسيكي الذي تبلورت أفكاره على أيدي عدد من المفكرين من أبرزهم:

ـ آدم سميث A.Smith ١٧٢٣ ـ ١٧٩٠م وهو أشهر الكلاسيكيين على الإطلاق، ولد في مدينة كيركالدي في أسكوتلنده، ودرس الفلسفة(*)، وكان أستاذاً لعلم المنطق(*) في جامعة جلاسجو. سافر إلى فرنسا سنة ١٧٦٦م والتقى هناك بأصحاب المذهب الحر. وفي سنة ١٧٧٦م أصدر كتابه **بحث في طبيعة وأسباب ثروة الأمم** هذا الكتاب الذي قال عنه أحد النقاد وهو أدمون برك: «إنه أعظم مؤلَّف خطه قلم إنسان».

ـ دافيد ريكاردو David Ricardo ١٧٧٢ ـ ١٨٢٣م قام بشرح قوانين توزيع الدخل في الاقتصاد(*) الرأسمالي، وله النظرية المعروفة باسم **قانون تناقص الغلة**. ويقال بأنه كان ذا اتجاه فلسفي ممتزج بالدوافع الأخلاقية لقوله: «إن أي عمل يعتبر منافياً للأخلاق ما لم يصدر عن شعور بالمحبة للآخرين».

ـ جون استيوارت مل J.Stuart Mill ١٨٠٦ـ١٨٧٣م يعدُّ حلقة اتصال بين المذهب الفردي والمذهب الاشتراكي(*) ، فقد نشر سنة ١٨٣٦م كتابه **مبادىء الاقتصاد السياسي**.

ـ اللورد كينز Keyns ١٨٨٣ ـ ١٩٤٦م صاحب النظرية التي عرفت باسمه التي تدور حول البطالة(*) والتشغيل، وقد تجاوزت غيرها من النظريات إذ يرجع إليه الفضل في تحقيق التشغيل الكامل للقوة العاملة في المجتمع الرأسمالي. وقد ذكر نظريته هذه ضمن كتابه **النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنقود** الذي نشره سنة ١٩٣٦ م.

ـ دافيد هيوم ١٧١١ ـ ١٧٧٦م صاحب نظرية النفعية Pragmatism التي وضعها بشكل متكامل والتي تقول بأن «الملكية الخاصة، تقليد اتبعه الناس وينبغي عليهم أن يتبعوه لأن في ذلك منفعتهم».

ـ أدمون برك من المدافعين عن الملكية الخاصة على أساس النظرية التاريخية أو نظرية تقادم الملكية.

الأفكار والمعتقدات:

● **أسس الرأسمالية:**

ـ البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب، إلا ما تمنعه الدولة لضرر عام كالمخدرات، مثلاً.

ـ تقديس الملكية الفردية، وذلك بفتح الطريق لأن يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته وحمايتها، وعدم الاعتداء عليها، وتوفير القوانين اللازمة لنموها واطرادها، وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن.

ـ المنافسة والمزاحمة في الأسواق Perfect Competition.

ـ نظام حرية الأسعار Price System ، وإطلاق هذه الحرية وفق متطلبات العرض والطلب، واعتماد قانون السعر المنخفض في سبيل ترويج البضاعة وبيعها.

● **أشكال رأسمالية:**

ـ الرأسمالية **التجارية** التي ظهرت في القرن السادس عشر إثر إزالة الإقطاع، إذ أخذ التاجر يقوم بنقل المنتجات من مكان إلى آخر، حسب طلب السوق، فكان بذلك وسيطاً بين المنتج والمستهلك.

ـ الرأسمالية **الصناعية** التي ساعد على ظهورها تقدم الصناعة، وظهور الآلة البخارية التي اخترعها جيمس وات سنة ١٧٧٠م، والمغزل الآلي سنة ١٧٨٥م، مما أدى إلى قيام الثورة الصناعية في إنجلترا أولاً، وفي أوربا عامة إبان القرن التاسع عشر. وهذه الرأسمالية الصناعية تقوم على أساس الفصل بين رأس المال وبين العامل، أي بين الإنسان وبين الآلة.

ـ نظام الكارتل Cartel System الذي يعني اتفاق الشركات الكبيرة على اقتسام السوق العالمية فيما بينها، مما يعطيها فرصة احتكار(*) هذه الأسواق وابتزاز الأهالي بحرية تامة. وقد انتشر هذا المذهب في ألمانيا واليابان.

ـ نظام الترست Trust System والذي يعني تكون شركة من الشركات المتنافسة؛ لتكون أقدر في الإنتاج وأقوى في التحكم والسيطرة على السوق.

أفكار ومعتقدات أخرى:

● إن المذهب الطبيعي الذي هو أساس الرأسمالية إنما يدعو إلى أمور منها:

ـ الحياة الاقتصادية تخضع لنظام طبيعي ليس من وضع أحد، إذ يحقق بهذه

الصفة نمواً للحياة وتقدماً تلقائيّاً لها.

- إنه يدعو إلى عدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، وأن تقصر مهمتها على حماية الأفراد والأموال والمحافظة على الأمن والدفاع عن البلاد.

- الحرية الاقتصادية لكل فرد، إذ إن له الحق في ممارسة واختيار العمل الذي يلائمه. وقد عبروا عن ذلك بالمبدأ المشهور: «دعه يعمل دعه يمر» Laisser Fair, Laisser Passer.

- إن إيمان الرأسمالية بالحرية(*) الواسعة أدى إلى فوضى في الاعتقاد وفي السلوك، مما تولدت عنه هذه الصراعات الغريبة التي تجتاح العالم معبرة عن الضياع الفكري والخواء الروحي.

- إن انخفاض الأجور وشدة الطلب على الأيدي العاملة دفع الأسرة لأن يعمل كل أفرادها، مما أدى إلى تفكك عرى الأسرة وانحلال الروابط الاجتماعية فيما بينها.

- من أهم آراء آدم سميث أن نمو الحياة الاقتصادية وتقدمها وازدهارها إنما يتوقف على الحرية الاقتصادية، وتتمثل هذه الحرية في نظره فيما يلي:

- الحرية الفردية التي تتيح للإنسان حرية اختيار عمله الذي يتفق مع استعداداته، ويحقق له الدخل المطلوب.

- يرى الرأسماليون أن الحرية Liberation ضرورية للفرد من أجل تحقيق التوافق بينه وبين المجتمع، ولأنها قوة دافعة للإنتاج، لكونها حقاً إنسانياً يعبر عن الكرامة البشرية.

● **عيوب الرأسمالية:**

الرأسمالية نظام وضعي يقف على قدم المساواة مع الشيوعية وغيرها من النظم التي وضعها البشر، بعيداً عن منهج الله الذي ارتضاه لعباده ولخلقه من بني الإنسان، ومن عيوبها:

- **الأنانية**: إذ يتحكم فرد أو أفراد قلائل في الأسواق؛ تحقيقاً لمصالحهم الذاتية، دون تقدير لحاجة المجتمع أو احترام للمصلحة العامة.

- **الاحتكار**(*): إذ يقوم الشخص الرأسمالي باحتكار البضائع وتخزينها، حتى إذا ما فقدت من الأسواق نزل بها ليبيعها بسعر مضاعف يبتز به المستهلكين الضعفاء.

- لقد تطرفت الرأسمالية في تضخيم شأن الملكية الفردية، كما تطرفت الشيوعية في إلغاء هذه الملكية.

ـ **المزاحمة والمنافسة**: إن بنية الرأسمالية تجعل الحياة ميدان سباق مسعور إذ يتنافس الجميع في سبيل إحراز الغلبة، وتتحول الحياة عندها إلى غابة يأكل القوي فيها الضعيف، وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى إفلاس المصانع والشركات بين عشية وضحاها.

ـ **ابتزاز الأيدي العاملة**: ذلك أن الرأسمالية تجعل الأيدي العاملة سلعة خاضعة لمفهومي العرض والطلب، مما يجعل العامل معرضاً في كل لحظة لأن يُستبدَل به غيره، ممن يأخذ أجراً أقل أو يؤدي عملاً أكثر أو خدمة أفضل.

ـ **البطالة**(*): وهي ظاهرة مألوفة في المجتمع الرأسمالي، وتكون شديدة البروز إذا كان الإنتاج أكثر من الاستهلاك، مما يدفع بصاحب العمل إلى الاستغناء عن الزيادة في هذه الأيدي التي تثقل كاهله.

ـ **الحياة المحمومة**: وذلك نتيجة للصراع القائم بين طبقتين إحداهما مبتزة يهمها جمع المال بكل السبل، وأخرى محروقة تبحث عن المقومات الأساسية لحياتها، دون أن يشملها شيء من التراحم والتعاطف المتبادل.

ـ **الاستعمار**(*): ذلك أن الرأسمالية بدافع البحث عن المواد الأولية، وبدافع البحث عن أسواق جديدة لتسويق المنتجات، تدخل في غمار استعمار الشعوب والأمم استعماراً اقتصاديّاً أولاً، وفكريّاً وسياسيّاً وثقافيّاً ثانياً، وذلك فضلاً عن استرقاق الشعوب وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتها.

ـ **الحروب والتدمير**: فلقد شهدت البشرية ألواناً عجيبة من القتل والتدمير؛ وذلك نتيجة طبيعية للاستعمار الذي أنزل بأمم الأرض أفظع الأهوال وأشرسها.

ـ الرأسماليون يعتمدون على مبدأ الديمقراطية في السياسة والحكم، وكثيراً ما تجنح الديمقراطية مع الأهواء بعيدة عن الحق والعدل والصواب، وكثيراً ما تستخدم لصالح طائفة الرأسماليين أو من يسمون، أيضاً، (أصحاب المكانة العالية).

ـ إن النظام الرأسمالي يقوم على أساس ربوي، ومعروف أن الربا هو جوهر العلل التي يعاني منها العالم أجمع.

ـ إن الرأسمالية تنظر إلى الإنسان على أنه كائن مادي، وتتعامل معه بعيداً عن ميوله الروحية والأخلاقية، داعية إلى الفصل بين الاقتصاد وبين الأخلاق.

ـ تعمد الرأسمالية إلى حرق البضائع الفائضة، أو تقذفها في البحر خوفاً من أن تتدنى الأسعار لكثرة العرض، وبينما هي تقدم على هذا الأمر تكون كثير من الشعوب أشدَ معاناة وشكوى من المجاعات التي تجتاحها.

ـ يقوم الرأسماليون بإنتاج المواد الكمالية، ويقيمون الدعايات الهائلة لها، دونما التفات إلى الحاجات الأساسية للمجتمع؛ ذلك أنهم يفتشون عن الربح والمكسب أولاً وآخراً.

ـ يقوم الرأسمالي في أحيان كثيرة بطرد العامل عندما يكبر، دون حفظ لشيخوخته، إلا أن أمراً كهذا أخذت تخف حدته في الآونة الأخيرة بسبب الإصلاحات التي طرأت على الرأسمالية، والقوانين والتشريعات التي سنتها الأمم لتنظيم العلاقة بين صاحب رأس المال والعامل.

● **الإصلاحات التي طرأت على الرأسمالية:**

ـ كانت إنجلترا حتى سنة ١٨٧٥ م من أكبر البلاد الرأسمالية تقدماً. ولكن في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ظهرت كل من الولايات المتحدة وألمانيا، وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت اليابان.

ـ في عام ١٩٣٢ م باشرت الدولة تدخلها بشكل أكبر في إنجلترا، وفي الولايات المتحدة زاد تدخل الدولة ابتداء من سنة ١٩٣٣ م، وفي ألمانيا بدءًا من العهد الهتلري، وذلك لأجل المحافظة على استمرارية النظام الرأسمالي.

ـ لقد تمثل تدخل الدولة في المواصلات والتعليم ورعاية حقوق المواطنين وسن القوانين ذات الصبغة الاجتماعية، كالضمان الاجتماعي والشيخوخة والبطالة(*) والعجز والرعاية الصحية وتحسين الخدمات ورفع مستوى المعيشة.

ـ لقد توجهت الرأسمالية هذا التوجه الإصلاحي الجزئي؛ بسبب ظهور العمال قوة انتخابية في البلدان الديمقراطية؛ وبسبب لجان حقوق الإنسان، ولوقف المد الشيوعي الذي يتظاهر بنصرة العمال ويدعي الدفاع عن حقوقهم ومكتسباتهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● تقوم جذور الرأسمالية على شيء من فلسفة الرومان القديمة، يظهر ذلك في رغبتها في امتلاك القوة وبسط النفوذ والسيطرة.

● لقد تطورت متنقلة من الإقطاع إلى البروجوازية(*) إلى الرأسمالية، وخلال ذلك اكتسبت أفكاراً ومبادىء مختلفة تصب في تيار التوجه نحو تعزيز الملكية الفردية والدعوة إلى الحرية.

● قامت في الأصل على أفكار المذهب الحر والمذهب الكلاسيكي.

● إن الرأسمالية تناهض الدين(*)، متمردة على سلطان الكنيسة(*) أولاً، وعلى

قانون الأخلاق أخيراً.

● لا يهم الرأسمالية من القوانين الأخلاقية إلا ما يحقق لها المنفعة، ولاسيما الاقتصادية منها على وجه الخصوص.

● كان للأفكار والآراء التي تولدت نتيجة للثورة الصناعية في أوربا دور بارز في تحديد ملامح الرأسمالية.

● تدعو الرأسمالية إلى الحرية(*)، وتتبنى الدفاع عنها، لكن الحرية السياسية تحولت إلى حرية أخلاقية واجتماعية، ثم تحولت هذه بدورها إلى إباحية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● ازدهرت الرأسمالية في إنجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية وفي معظم العالم الغربي.

● كثير من دول العالم تعيش في جو من التبعية إما للنظام الشيوعي وإما للنظام الرأسمالي، وتتفاوت هذه التبعية بين التدخل المباشر وبين الاعتماد عليهما في الشؤون السياسية والمواقف الدولية.

● وقف النظام الرأسمالي، مثله مثل النظام الشيوعي، إلى جانب إسرائيل دعماً وتأييداً بشكل مباشر أو غير مباشر.

ويتضح مما سبق:

أن الرأسمالية مذهب(*) مادي جشع يغفل القيم الروحية في التعامل مع المال، مما يزيد الأغنياء غنى والفقراء فقراً. وتعمل أمريكا الآن باعتبارها زعيمة هذا المذهب(*) على ترقيع الرأسمالية في دول العالم الثالث، بعد أن انكشف عوارها ببعض الأفكار الاشتراكية(*)، محافظة على مواقعها الاقتصادية، وكي تبقى سوقاً للغرب الرأسمالي وعميلاً له في الإنتاج والاستهلاك والتوزيع. وما يراه البعض من أن الإسلام يقترب في نظامه الاقتصادي من الرأسمالية خطأ واضح يتجاهل عدداً من الاعتبارات:

● أن الإسلام نظام رباني يشمل أفضل ما في الأديان والمذاهب من إيجابيات، ويسلم مما فيها من سلبيات، إذ إنه شريعة الفطرة تحلل ما يصلحها وتحرم ما يفسدها.

● أن الإسلام وجد وطبق قبل ظهور النظم الرأسمالية والاشتراكية، وهو نظام قائم بذاته، والرأسمالية تنادي بإبعاد الدين(*) عن الحياة، وهو أمر مخالف لفطرة الإنسان، كما تزن أقدار الناس بما يملكون من مال، والناس في الإسلام يتفاضلون بالتقوى.

● ترى الرأسمالية أن الخمر والمخدرات تلبي حاجات بعض أفراد المجتمع، وكذلك الأمر بالنسبة لخدمات راقصة الباليه، وممثلة المسرح، وأندية العراة، ومن ثم تسمح بها دون اعتبار لما تسببه من فساد، وهي أمور لا يقرها الضمير الإسلامي. وفي سبيل تنمية رأس المال تسلك كل الطرق دونما وازع أخلاقي مانع فالغاية عندهم دائماً تبرر الوسيلة.

● النواحي الاقتصادية في الإسلام مقيدة بالشرع وما أباحه أو حرمه، ولا يصح أن نعتبر الأشياء نافعة لمجرد وجود من يرغب في شرائها، بصرف النظر عن حقيقتها واستعمالها من حيث الضرر أو النفع.

● القول بأن الندرة النسبية هي أصل المشكلة الاقتصادية قول مخالف للواقع، فالمولى سبحانه وتعالى خلق الكون والإنسان والحياة وقدر الأقوات، بما يفي بحياة البشرية، وقدّر الأرزاق وأمر بالتكافل بين الغني والفقير.

● أدى النظام الرأسمالي إلى مساوىء وويلات، وأفرز ما يعانيه العالم من استعمار ومناطق نفوذ وغزو اقتصادي، ووضع معظم ثروات العالم في أيدي الاحتكارات(*) الرأسمالية وديون تراكمية.

مراجع للتوسع:

- **أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة**، تأليف أبي الأعلى المودودي - ترجمة محمد عاصم حداد - ط ٣ - ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م - مطبعة الأمان - لبنان.
- **المذاهب الاقتصادية الكبرى**، تأليف جورج سول - ترجمة راشد البراوي.
- **الأنظمة الاقتصادية في العالم**، د. أحمد شلبي - ط ١ - النهضة المصرية - ١٩٧٦م.
- **معركة الإسلامية والرأسمالية**، سيد قطب - ط ٢ - مطبعة دار الكتاب العربي - ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- **الاقتصاد في الإسلام**، حمزة الجميعي الدهومي - ط ١ - مطبعة التقدم بالقاهرة - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.
- **الاقتصاد الإسلامي، مفاهيم ومرتكزات**، د. محمد أحمد صقر - ط ١ - مطابع سجل العرب - نشر دار النهضة العربية بالقاهرة - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- **اقتصادنا**، محمد باقر الصدر - دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.
- **فلسفتنا**، محمد باقر الصدر - دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان - ١٣٧٩هـ.

- الاقتصاد الإسلامي، المركز العالمي للأبحاث والاقتصاد - ط ١ - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - ط ٢ - ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- حكم الإسلام في الرأسمالية، د. محمود الخالدي.

المراجع الأجنبية:

- D. Villey: A La Recherche d'une Doctrine Economiques, Ed.; Genen, Paris, 1967.
- J. Marchal: "Cours d'économie politique" paris 1956.
- J.M. Kenes, General Theory of Employment Interest and Money (Harcourt, Brace and Company, 1933).
- George N. Halm, Economic: A Comparative Analysis, Hotlt, Rinchart & Winston Ltd. New York.
- Gunnar Myrdal, Against The Stream, published by Pantheon press, Cambridge University Press 1972.
- Lord Bowdan and S.T.S Al - Hasani "The profit and the loss or a fair share of the proceeds. The Guradian, Thursday, June 5 - 1975.
- Abdul - Hamid Ahmad Abu Sulayman: The Theory of the Economics of Islam, Proceedings of the Third East Coast Regional Conference. Theme Contermporary Aspects of Economic and social Thinking in Islam, Moslem Students Association, Holiday Hills, April 12, 1968. PP. 26 - 83.
- Adam Smith, The Wealth of Nations.
- Encyclopaedia Britannica, Vol 2, P. 535, 1976.

١٢٥ ـ الشيوعية

التعريف:

الشيوعية مذهب(*) فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات، وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية(*) التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ، ولكن الشيوعية أصبحت الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفيتي، الذي تفكك بدوره إلى دول مستقلة، تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● وضعت أسسها الفكرية النظرية على يد كارل ماركس اليهودي الألماني ١٨١٨ ـ ١٨٨٣م وهو حفيد الحاخام اليهودي المعروف مردخاي ماركس، وكارل ماركس شخص قصير النظر متقلب المزاج، حاقد على المجتمع، مادي النزعة، ومن مؤلفاته:

- **البيان الشيوعي** الذي صدر سنة ١٨٤٨م.
- **رأس المال** ظهر سنة ١٨٦٧م.

● ساعده في التنظير للمذهب فردريك إنجلز ١٨٢٠ ـ ١٨٩٥م وهو صديق كارل ماركس الحميم وقد ساعده في نشر المذهب كما أنه ظل ينفق على ماركس وعائلته حتى مات، ومن مؤلفاته:

- **أصل الأسرة.**
- **الثنائية في الطبيعة.**
- **الاشتراكية الخرافية والاشتراكية العلمية(*).**

● لينين: واسمه الحقيقي: فلاديمير أليتش بوليانوف، وهو قائد الثورة البلشفية الدامية في روسيا ١٩١٧م وديكتاتورها المرهوب، وهو قاسي القلب، مستبد

برأيه، حاقد على البشرية. ولد سنة ١٨٧٠م، ومات سنة ١٩٢٤م، وهناك دراسات تقول بأن لينين يهودي الأصل، وكان يحمل اسماً يهودياً، ثم تسمى باسمه الروسي الذي عرف به، مثله مثل تروتسكي في ذلك.

ـ ولينين هو الذي وضع الشيوعية موضع التنفيذ. وله كتب كثيرة وخطب ونشرات أهمها ما جمع فيما يسمى **مجموعة المؤلفات الكبرى**.

● ستالين: واسمه الحقيقي جوزيف فاديونوفتش زوجا شفلي ١٨٧٩ ـ ١٩٥٤م وهو سكرتير الحزب الشيوعي ورئيسه بعد لينين، اشتهر بالقسوة والجبروت والطغيان والديكتاتورية وشدة الإصرار على رأيه، يعتمد في تصفية خصومه على القتل والنفي، كما أثبتت تصرفاته أنه مستعد للتضحية بالشعب كله في سبيل شخصه. وقد ناقشته زوجته مرة فقتلها.

● تروتسكي: ولد سنة ١٨٧٩م واغتيل سنة ١٩٤٠م بتدبير من ستالين، وهو يهودي واسمه الحقيقي بروشتاين. له مكانة مهمة في الحزب، وقد تولى الشؤون الخارجية بعد الثورة(*)، ثم أسندت إليه شؤون الحزب.. ثم فصل من الحزب بتهمة العمل ضد مصلحة الحزب؛ ليخلو الجو لستالين الذي دبر اغتياله للخلاص منه نهائياً.

الأفكار والمعتقدات:

● إنكار وجود الله تعالى وكل الغيبيات، والقول بأن المادة هي أساس كل شيء، وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، الدين(*)، الملكية الخاصة، عليهم من الله ما يستحقون.

● فسروا تاريخ البشرية بالصراع بين البورجوازية(*) والبروليتاريا(*) (الرأسماليين والفقراء)، وينتهي هذا الصراع حسب زعمهم بديكتاتورية البروليتاريا.

● يحاربون الأديان، ويعتبرونها وسيلة لتخدير الشعوب، وخادماً للرأسمالية والإمبريالية(*) والاستغلال، مستثنين من ذلك اليهودية لأن اليهود شعب مظلوم يحتاج إلى دينه ليستعيد حقوقه المغتصبة!!

● يحاربون الملكية الفردية، ويقولون بشيوعية الأموال وإلغاء الوراثة.

● تتركز اهتماماتهم في كل ما يتعلق بالمادة وأساليب الإنتاج.

● إن كل تغيير في العالم في نظرهم إنما هو نتيجة حتمية(*) لتغيّر وسائل الإنتاج، وإن الفكر والحضارة والثقافة هي وليدة التطور الاقتصادي.

● يقولون بأن الأخلاق(*) نسبية، وهي انعكاس لآلة الإنتاج.

● يحكمون الشعوب بالحديد والنار ولا مجال لإعمال الفِكر، والغاية عندهم تبرر الوسيلة.

● يعتقدون بأنه لا آخرة ولا عقاب ولا ثواب في غير هذه الحياة الدنيا.

● يؤمنون بأزلية المادة، وأن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات.

● يقولون بديكتاتورية الطبقة العاملة، ويبشرون بالحكومة العالمية.

● تؤمن الشيوعية بالصراع والعنف، وتسعى لإثارة الحقد والضغينة بين العمال وأصحاب الأعمال.

● الدولة هي الحزب(*) والحزب هو الدولة.

● تكون المكتب السياسي الأول للثورة(*) البلشفية(*) من سبعة أشخاص كلهم يهود إلا واحداً، وهذا يعكس مدى الارتباط بين الشيوعية واليهودية.

● تنكر الماركسية الروابط الأسرية، وترى فيها دعامة للمجتمع البرجوازي، وبالتالي لا بد من أن تحل محلها الفوضى الجنسية.

● لا يحجمون عن أي عمل مهما كانت بشاعته في سبيل غايتهم، وهي أن يصبح العالم شيوعياً تحت سيطرتهم. قال لينين: «إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء، إنما الشيء المهم هو أن يصبح الربع الباقي شيوعيّاً». وهذه القاعدة طبقوها في روسيا أيام الثورة وبعدها، وكذلك في الصين وغيرها، إذ أبيدت ملايين من البشر، كما أن اكتساحهم لأفغانستان بعد أن اكتسحوا الجمهوريات الإسلامية الأخرى كبُخارى وسمرقند وبلاد الشيشان والشركس، إنما ينضوي تحت تلك القاعدة الإجرامية.

● يهدمون المساجد، ويحولونها إلى دور ترفيه ومراكز للحزب، ويمنعون المسلم من إظهار شعائر دينه، أما اقتناء المصحف فهو جريمة يعاقب عليها بالسجن لمدة سنة كاملة.

● لقد كان توسعهم على حساب المسلمين، فكان أن احتلوا بلادهم وأفنوا شعوبهم وسرقوا ثرواتهم، واعتدوا على حرمة دينهم ومقدساتهم.

● يعتمدون على الغدر والخيانة والاغتيالات؛ لإزاحة الخصوم ولو كانوا من أعضاء الحزب.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لم تستطع الشيوعية إخفاء تواطئها مع اليهود وعملها لتحقيق أهدافهم، فقد صدر منذ الأسبوع الأول للثورة قرار ذو شقين بحق اليهود:

ـ يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه القانون.

ـ الاعتراف بحق اليهود في إنشاء وطن قومي في فلسطين.

● يصرح ماركس بأنه اتصل بفيلسوف الصهيونية وواضع أساسها النظري وهو موشيه هيس أستاذ هرتزل الزعيم الصهيوني الشهير.

ـ جدُّ ماركس هو الحاخام اليهودي المشهور في الأوساط اليهودية مردخاي ماركس.

● تأثرت الماركسية إضافة إلى الفكر اليهودي بجملة من الأفكار والنظرات الإلحادية منها:

ـ مدرسة هيجل العقلية المثالية.

ـ مدرسة كونت الحسية الوضعية.

ـ مدرسة فيورباخ في الفلسفة(*) الإنسانية الطبيعية.

ـ مدرسة باكونين صاحب المذهب(*) الفوضوي المتخبط.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● حكمت الشيوعية عدة دول منها:

ـ الاتحاد السوفياتي، والصين، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، وبلغاريا، وبولندا، وألمانيا، ورومانيا، ويوغسلافيا، وألبانيا، وكوبا، وفيتنام.

ومعلوم أن دخول الشيوعية إلى هذه الدول كان بالقوة والنار والتسلط الاستعماري. ولذلك فإن جل شعوب هذه الدول أصبحت تتململ بعد أن عرفت الشيوعية على حقيقتها، وأنها ليست الفردوس الذي صور لهم، وبالتالي بدأت الانتفاضات والثورات تظهر هنا وهناك، كما حدث في بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا، كما أنك لا تكاد تجد دولتين شيوعيتين في وئام دائم.

● أما في العالم الإسلامي فقد استفاد الشيوعيون من جهل بعض الحكام وحرصهم على تدعيم كراسيهم، ولو على حساب الدين(*)، إذ اكتسحت الشيوعية أفغانستان وشردت شعبها المسلم كما تحكمت في بعض الدول الإسلامية الأخرى بواسطة عملائها.

● تقوم الدول الشيوعية بتوزيع ملايين الكتيّبات والنشرات مجاناً في جميع أنحاء

العالم داعية إلى مذهبها.

● أسست الشيوعية أحزاباً لها في كل الدول العربية والإسلامية تقريباً، فنجد لها أحزاباً في مصر، وسورية، ولبنان، وفلسطين، والأردن، وتونس وغيرها.

● إنهم يؤمنون بالأممية، ويسعون لتحقيق حلمهم بالحكومة العالمية التي يبشرون بها.

● **انهيار الماركسية:**

ـ انهارت الشيوعية في معاقلها بعد قرابة السبعين عاماً من قيام الحكم الشيوعي، وبعد أربعين عاماً من تطبيق أفكارها في أوربا الشرقية، وأعلن كبار المسؤولين في الاتحاد السوفيتي قبل تفككه أن الكثير من المبادىء الماركسية لم تعد صالحة للبقاء، وليس بمقدورها أن تواجه مشكلات ومتطلبات العصر مما تسبب في تخلف البلدان التي تطبق هذا النظام عن مثيلاتها الرأسمالية. وهكذا يتراجع دعاة الفكر المادي الشيوعي عن تطبيقه؛ لعدم واقعيته وتخلفه عن متابعة التطور الصناعي والعلمي، وتسببه في تدهور الوضع الاقتصادي، وهدم العلاقات الاجتماعية، وإشاعة البؤس والحرمان والظلم والفساد، ومصادمة الفطرة ومصادرة الحريات ومحاربة الأديان[*]. وقد تأكد بوضوح بعد التطبيق لهذه الفترة الطويلة أن من عيوب الماركسية أنها تمنع الملكية الفردية وتحاربها وتلغي الإرث الشرعي، وهذا مخالف للفطرة وطبائع الأشياء، ولا تعطي الحرية للفرد في العمل وناتج العمل، ولا تقيم العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وأن الشيوعي يعمل لتحقيق مصلحته ولو هدم مصالح الآخرين، وينحصر خوفه في حدود رقابة السلطة وسوط القانون، وأن الماركسية تهدم أساس المجتمع وهو الأسرة فتقضي بذلك على العلاقات الاجتماعية.

ـ اقتنع الجميع بأنها نظرية فاسدة يستحيل تطبيقها، إذ تحمل في ذاتها بذور فنائها. وقد ظهر لمن مارسوها عدم واقعيتها وعدم إمكانية تطبيقها، ومن أكبر ناقدي الماركسية من الماركسيين أنفسهم الفيلسوف الأمريكي أريخ مزوم في كتابه **المجتمع السليم**، ومن غير الماركسيين كارل بوبر صاحب كتاب **المجتمع المفتوح**، وغيرهما، ويجيء جورباتشوف في كتابه **البيروستريكا أو إعادة البناء** ليفضح عيوب تطبيق الشيوعية في الاتحاد السوفيتي.

وتبين بعد انهيارها أنها لم تفلح في القضاء على القوميات المتنافرة، بل زادتها اشتعالاً، ولم تسمح بقدر ولو ضئيل من الحرية، بل عمدت دائماً إلى سياسة الظلم والقمع والنفي والقتل وحولت أتباعها إلى قطيع من البشر. وهكذا باءت جميع نبوءات كارل ماركس بالفشل، وأصبح مصير النظرية إلى مزبلة التاريخ، ثم انتهى الأمر بتفكك الاتحاد السوفيتي ذاته، وأصبح اسمه مجرد أثر في تاريخ المذاهب الهدامة.

ويتضح مما سبق:

أن الشيوعية مذهب(*) إلحادي يعتبر أن الإنسان جاء إلى هذه الحياة بمحض المصادفة، وليس لوجوده غاية، وبذلك تصبح الحياة عبثاً لا طائل تحته، ويحرم معتنقها من سكينة النفس ونعيم الروح. ومن ثم فلا يمكن أن يجتمع الإسلام والماركسية في قلب رجل واحد؛ لأنهما متناقضان كل التناقض في العقيدة والفكر والمنهج(*) والسلوك.

مراجع للتوسع:

- **السرطان الأحمر**، د. عبد الله عزام.
- **بلشفة الإسلام**، د. صلاح الدين.
- **حقائق الشيوعية**، نهاد الغادري.
- **الشيوعية والشيوعيون في ميزان الإسلام**، د. عبد الجليل شلبي.
- **السراب الأكبر**، أسامة عبد الله الخياط.
- **المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها**، د. عبد الرحمن عميرة.
- **حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون**، عبد الحليم خفاجي.
- **لهذا نرفض الماركسية**، د. عبد الرحمن البيضاني.
- **الشيوعية وليدة الصهيونية**، أحمد عبد الغفور عطار.

١٢٦ـ الداروينية

التعريف:

تنتسب الحركة(*) الفكرية الداروينية إلى الباحث الإنجليزي شارلز داروين الذي نشر كتابه **أصل الأنواع** سنة ١٨٥٩م وطرح فيه نظريته في النشوء والارتقاء مما زعزع القيم الدينية، وترك آثاراً سلبية على الفكر العالمي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● شارلز داروين: صاحب هذه المدرسة ولد في ١٢ فبراير ١٨٠٩م وهو باحث إنجليزي نشر في سنة ١٨٥٩ م كتابه **أصل الأنواع**، وقد ناقش فيه نظريته في النشوء والارتقاء معتبراً أصل الحياة خلية كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين. وقد تطورت هذه الخلية ومرت بمراحل منها، مرحلة القرد، انتهاء بالإنسان، وهو بذلك ينسف الفكرة الدينية التي تجعل الإنسان منتسباً إلى آدم وحواء ابتداء.

● آرثر كيت: دارويني متعصب، يعترف بأن هذه النظرية لا تزال حتى الآن بدون براهين، فيضطر إلى كتابتها من جديد وهو يقول: «إن نظرية النشوء والارتقاء ما زالت بدون براهين، وستظل كذلك، والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر وهذا غير وارد على الإطلاق».

● جليان هكسلي: دارويني ملحد، ظهر في القرن العشرين، وهو الذي يقول عن النظرية:

ـ «هكذا يضع علم الحياة الإنسان في مركز مماثل لما أنعم به عليه كسيد للمخلوقات كما تقول الأديان(*)».

ـ «من المسلَّم به أن الإنسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات، ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر».

ـ ويزعم أن الإنسان قد اختلق فكرة الله إبان عصر عجزه وجهله، أما الآن فقد تعلم وسيطر على الطبيعة بنفسه، ولم يعد بحاجة إليه، فهو العابد والمعبود في آنٍ واحد.

ـ يقول: «بعد نظرية داروين لم يبق الإنسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً».

● ليكونت دي نوى: من أشهر التطوريين المحدثين، وهو في الحقيقة صاحب نظرية تطورية مستقلة.

● د. هـ. سكوت: دارويني شديد التصعب، يقول: «إن نظرية النشوء جاءت لتبقى، ولا يمكن أن نتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد».

● برتراند راسل: فيلسوف ملحد، يشيد بالأثر الدارويني مركزاً على الناحية الميكانيكية في النظرية، فيقول: «إن الذي فعله جاليليو ونيوتن من أجل الفلك فعله داروين من أجل علم الحياة».

الأفكار والمعتقدات:

● نظرية داروين: تدور هذه النظرية حول عدة أفكار وافتراضات هي:

- تفترض النظرية تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد.

- تتدرج هذه الكائنات من الأحط إلى الأرقى.

- الطبيعة(*) وهبت الأنواع القوية عوامل البقاء والنمو والتكيف مع البيئة لتصارع الكوارث وتتدرج في سلم الرقي، مما يؤدي إلى تحسن نوعي مستمر ينتج عنه أنواع راقية جديدة كالقرد، وأنواع أرقى تتجلى في الإنسان، بينما نجد أن الطبيعة قد سلبت تلك القدرة من الأنواع الضعيفة فتعثرت وسقطت وزالت. وقد استمد داروين نظريته هذه من قانون الانتقاء الطبيعي لمالتوس.

- الفروق الفردية داخل النوع الواحد تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة.

- الطبيعة تعطي وتحرم بدون خطة مرسومة، بل خبط عشواء، وخط التطور ذاته متعرج ومضطرب لا يسير على قاعدة مطردة منطقية.

- النظرية في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد ما تكون عن النظريات الفلسفية.

- تقوم النظرية على أصلين كل منهما مستقل عن الآخر:

١ - المخلوقات الحية وجدت في مراحل تاريخية متدرجة ولم توجد دفعة واحدة، وهذا الأصل من الممكن البرهنة عليه.

٢ - هذه المخلوقات متسلسلة وراثيّاً ينتج بعضها عن بعض بطريقة التعاقب خلال عملية التطور البطيئة الطويلة. وهذا الأصل لم يتمكنوا من البرهنة عليه حتى الآن لوجود حلقة أو حلقات مفقودة في سلسلة التطور الذي يزعمونه.

- تفترض النظرية أن كل مرحلة من مراحل التطور أعقبت التي قبلها بطريقة

حتمية(*)، أي أن العوامل الخارجية هي التي تحدد نوعية هذه المرحلة، أما خط سيرها ذاته بمراحله جميعها فهو خط مضطرب، لا يسعى إلى غاية مرسومة أو هدف بعيد؛ لأن الطبيعة التي أوجدته غير عاقلة ولا واعية، بل إنها تتخبط خبط عشواء.

الآثار التي تركتها النظرية:

- قبل ظهور النظرية كان الناس يدعون إلى حرية الاعتقاد بسبب الثورة(*) الفرنسية، ولكنهم بعدها أعلنوا إلحادهم الذي انتشر بطريقة عجيبة وانتقل من أوربا إلى بقاع العالم.

- لم يعد هناك أي معنى لمدلول كلمة: آدم، وحواء، الجنة، الشجرة التي أكل منها آدم وحواء، الخطيئة (حسب اعتقاد النصارى بأن المسيح(*) قد صلب ليخلص البشرية من أغلال الخطيئة الموروثة التي ظلت ترزح تحتها من وقت آدم إلى حين صلبه).

- سيطرت الأفكار المادية(*) على عقول الطبقة المثقفة، وأوحت كذلك بمادية الإنسان وخضوعه لقوانين المادة.

- تخلت جموع غفيرة من الناس عن إيمانها بالله تخلياً تامّاً أو شبه تام.

- عبادة الطبيعة(*)، فقد قال داروين: «الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق». ولكن لم يبين ما هي الطبيعة وما الفرق بين الاعتقاد بوجود الله الخالق ووجود الطبيعة؟

وقال: إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت.

- لم يعد هناك جدوى من البحث في الغاية والهدف من وجود الإنسان لأن داروين قد جعل بين الإنسان والقرد نسباً، بل زعم أن الجد الحقيقي للإنسان هو خلية صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين.

- أهملت العلوم الغربية بجملتها فكرة الغائية(*) بحجة أنها لا تهم الباحث العلمي ولا تقع في دائرة علمه.

- استبد بالناس شعور باليأس والقنوط والضياع، وظهرت أجيال حائرة مضطربة ذات خواء روحي، حتى أن القرد - جدهم المزعوم - أسعد حالاً من كثير منهم.

- طغت على الحياة فوضى عقائدية، وأصبح هذا العصر عصر القلق والضياع.

● كانت نظرية داروين إيذاناً لميلاد نظرية فرويد في التحليل النفسي، ونظرية برجسون في الروحية الحديثة، ونظرية سارتر في الوجودية، ونظرية ماركس في المادية، وقد استفادت هذه النظريات جميعاً من الأساس الذي وضعه داروين واعتمدت عليه في

منطلقاتها وتفسيراتها للإنسان والحياة والسلوك.

● (فكرة التطور) أوحت بحيوانية الإنسان، و (تفسير عملية التطور) أوحت بماديته.

● نظرية التطور البيولوجية انتقلت لتكون فكرة فلسفية داعية إلى التطور المطلق في كل شيء، تطور لا غاية له ولا حدود، وانعكس ذلك على الدين(*) والقيم والتقاليد، وساد الاعتقاد بأن كل عقيدة أو نظام أو خلق هو أفضل وأكمل من غيره ما دام تالياً له في الوجود الزمني.

● استمد ماركس من نظرية داروين مادية الإنسان، وجعل مطلبه في الحياة ينحصر في الحصول على (الغذاء والسكن والجنس)، مهملاً بذلك جميع العوامل الروحية لديه.

● استمد فرويد من نظرية داروين حيوانية الإنسان، فالإنسان عنده حيوان جنسي، لا يملك إلا الانصياع لأوامر الغريزة، وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب.

● استمد دور كايم من نظرية داروين حيوانية الإنسان وماديته وجمع بينهما بنظرية العقل الجمعي.

● استفاد برتراند راسل من ذلك بتفسيره لتطور الأخلاق(*) الذي تطور عنده من المحرم (التابو) إلى أخلاق الطاعة الإلٰهية، ومن ثم إلى أخلاق المجتمع العلمي.

● والتطور عند فرويد أصبح مفسِّراً للدين(*) تفسيراً جنسيّاً: «الدين هو الشعور بالندم من قتل الأولاد لأبيهم الذي حرمهم من الاستمتاع بأمهم ثم صار عبادة للأب، ثم عبادة الطوطم(*)، ثم عبادة القوى الخفية في صورة الدين السماوي، وكل الأدوار تنبع وترتكز على عقدة أوديب».

● **دور اليهود والقوى الهدامة في نشر هذه النظرية:**

ـ لم يكن داروين يهوديّاً، بل كان نصرانيّاً، ولكن اليهود والقوى الهدامة وجدوا في هذه النظرية ضالتهم المنشودة، فعملوا على استغلالها لتحطيم القيم في حياة الناس.

ـ تقول بروتوكولات حكماء صهيون(*): «لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ولاحظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد».

● **نقدها:**

ـ نقدها آغاسيز في إنجلترا، وأوين في أمريكا: «إن الأفكار الداروينية مجرد خُرافة علمية، وأنها سوف تنسى بسرعة». ونقدها كذلك العالم الفلكي هرشل ومعظم أساتذة الجامعات في القرن الماضي.

ـ كريسي موريسون: «إن القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة (الجينات) وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقاً، أعني عند الخلية».

ـ أنتوني ستاندن صاحب كتاب **العلم بقرة مقدسة** يناقش الحلقة المفقودة وهي ثغرة عجز الداروينيون عن سدها فيقول: «إنه لأقرب من الحقيقة أن تقول: إن جزءاً كبيراً من السلسلة مفقودة وليس حلقة واحدة، بل إننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها».

ـ ستيوارت تشيس: «أيد علماء الأحياء جزئيّاً قصة آدم وحواء كما ترويها الأديان، وأن الفكرة صحيحة في مجملها».

ـ أوستن كلارك: «لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أياً من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيرها، إن كل مرحلة لها وجودها المتميز الناتج عن عملية خلق خاصة متميزة، لقد ظهر الإنسان على الأرض فجأة، وفي الشكل نفسه الذي تراه عليه الآن».

ـ أبطل باستور أسطورة التوالد الذاتي، وكانت أبحاثه ضربة قاسية لنظرية داروين.

● **الداروينية الحديثة:**

ـ اضطرب أصحاب الدراوينية الحديثة أمام النقد العلمي الذي وجه إلى النظرية، ولم يستطيعوا أمام ضعفها إلا أن يخرجوا بأفكار جديدة تدعيماً لها وتدليلاً على تعصبهم الشديد حيالها، فأجروا سلسلة من التبديلات منها:

ـ إقرارهم بأن قانون الارتقاء الطبيعي قاصر عن تفسير عملية التطور واستبدلوا به قانوناً جديداً أسموه قانون التحولات المفاجئة أو الطفرات، وخرجوا بفكرة المصادفة.

ـ أرغموا على الاعتراف بأن هناك أصولاً عدة تفرعت عنها كل الأنواع، وليس أصلاً واحداً كما كان سائداً في الاعتقاد.

ـ أجبروا على الإقرار بتفرد الإنسان بيولوجياً على الرغم من التشابه الظاهري بينه وبين القرد، وهي النقطة التي سقط منها داروين ومعاصروه.

ـ كل ما جاء به أصحاب الداروينية الحديثة ما هو إلا أفكار ونظريات هزيلة أعجز من أن تستطيع تفسير النظام الحياتي والكوني الذي يسير بدقة متناهية بتدبير الحكيم (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).

الجذور الفكرية والعقائدية:

● لقد عرفت هذه الفكرة قبل داروين، وقد لاحظ العلماء أن الأنواع المتأخرة في الظهور أكثر رقياً من الأنواع المتقدمة ومن هؤلاء: رأي باكنسون، لينو.

ـ قالوا: «بأن التطور خطة مرسومة فيها رحمة للعالمين»، ولكن نظريتهم وصفت بأنها لاهوتية فنسيت داخل معامل الأحياء.

● استوحى داروين نظريته من علم دراسة السكان، ومن نظرية مالتوس بالذات، فقد استفاد من قانونه في الانتخاب أو الانتفاء الذي يدور حول إفناء الطبيعة للضعفاء لمصلحة الأقوياء.

● استفاد من أبحاث ليل الجيولوجية حيث تمكن من صياغة نظرية ميكانيكية للتطور.

● صادفت هذه النظرية جواً مناسباً إذ كان ميلادها بعد زوال سلطان الكنيسة والدين، وبعد الثورة(*) الفرنسية والثورة الصناعية، إذ كانت النفوس مهيأة لتفسير الحياة تفسيراً ماديّاً بحتاً، ومستعدة لتقبل أي طرح فكري يقودها إلى مزيد من الإلحاد والبعد عن التفسيرات اللاهوتية، مصيبة كانت أم مخطئة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● بدأت الداروينية سنة ١٨٥٩ م، وانتشرت في أوربا، وانتقلت بعدها إلى جميع بقاع العالم، ولا تزال هذه النظرية تدرّس في كثير من الجامعات العالمية، كما أنها قد وجدت أتباعاً لها في العالم الإسلامي بين الذين تربوا تربية غربية، ودرسوا في جامعات أوربية وأمريكية.

● والواقع أن تأثير نظرية داروين قد شمل معظم بلدان العالم، كما شمل معظم فروع المعرفة الإنسانية من علمية وأدبية وغيرها. ولم يوجد في التاريخ البشري نظرية باطلة صبغت مناحي الفكر الغربي كما فعلت نظرية النشوء والارتقاء الداروينية.

ويتضح مما سبق:

أن نظرية داروين دخلت متحف النسيان بعد كشف النقاب عن قانون مندل الوراثي، واكتشاف وحدات الوراثة (الجينات(*)) باعتبارها الشفرة السرية للخلق، واعتبار أن الكروموسومات تحمل صفات الإنسان الكاملة وتحفظ الشبه الكامل للنوع.

ولذا يرى المنصفون من العلماء أن وجود تشابه بين الكائنات الحية دليل واضح ضد النظرية لأنه يوحي بأن الخالق واحد ولا يوحي بوحدة الأصل، والقرآن الكريم يقرر بأن مادة الخلق الأولى للكائنات هي الماء ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥] ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. [الأنبياء: ٣٠].

وقد أثبت العلم القائم على التجربة بطلان النظرية بأدلة قاطعة وأنها ليست نظرية

علمية على الإطلاق.

والإسلام والأديان السماوية كافة تؤمن بوجود الله الخالق البارىء المدبر المصور الذي أحسن صنع كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من سلالة من طين ثم خلقه من نطفة في قرار مكين، والإنسان يبقى إنساناً بشكله وصفاته وعقله لا يتطور ولا يتحول ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

مراجع للتوسع:

- **أصل الأنواع**، تشارلز داروين - ترجمة إسماعيل مظهر - بيروت ١٩٧٣ م.
- **سلسلة تراث الإنسانية**، مجموعة من الأساتذة - الهيئة العامة للكتاب مصر.
- **الطريق الطويل للإنسان**، روبرت ل. ليرمان - ترجمة ثابت جرجس بيروت - ١٩٧٣ م.
- **معركة التقاليد**، محمد قطب - مصر.
- **العلم وأسراره وخفاياه**، هارولد شابلي وزميلاه - ترجمة الفندي وزميله - مصر ١٩٧١ م.
- **تاريخ العالم**، جمع جون أ. هخامرتن - ترجمة إدارة الترجمة - مصر.
- **مصير الإنسان**، ليكونت دي نوي - ترجمة خليل الجر - المنشورات العربية.
- **الديناميكا الحرارية**، د. إبراهيم الشريف - مصر ١٩٧٠ م.
- **العلم يدعو إلى الإيمان**، كريس موريسون - ترجمة محمود صالح الفلكي - مصر ١٩٦٢.
- **العلمانية**، سفر بن عبد الرحمٰن الحوالي - مكة المكرمة ١٤٠٢/ ١٩٨٢ م.
- **الإنسان والعلاقات البشرية**، ستيوارت تشيس - ترجمة أحمد حمودة مصر ١٩٥٥ م.
- **معالم تاريخ الإنسانية**، هـ. ج. ويلز - ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد - القاهرة - ١٩٦٧م.
- **نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها**، قيس القرطاس - بيروت - ١٣٩١ هـ.
- **التطور والثبات**، محمد قطب.
- **اللامنتمي**، كولن ولسون - ترجمة أنيس زكي حسن - بيروت ١٩٥٨ م.
- **أثر العلم في المجتمع**، برتراند راسل - ترجمة تمام حسان - مصر.
- **منازع الفكر الحديث**، تأليف حود - ترجمة عباس فضلي - العراق ١٣٧٥هـ.
- **الإنسان بين المادية والإسلام**، محمد قطب - مصر ١٩٥٧ م.
- **العقل والدين**، وليم جيمس - ترجمة محمود حسب الله - مصر ١٣٦٨ هـ.
- **العقل والمادة**، برتراند رسل - ترجمة أحمد إبراهيم الشريف - القاهرة - ١٩٧٥ م.
- **مذهب النشوء والارتقاء**، منيرة علي القادياني - تقديم محمد البهي - مصر ١٣٩٥ هـ.

- **بروتوكلات حكماء صهيون**، ترجمة محمد خليفة التونسي - مصر.
- **معالم التحليل النفسي**، سيجموند فرويد - ترجمة عثمان نجاتي القاهرة ١٩٦٦م.
- **ما أصل الإنسان**، موريس بوكاي (إصدار مكتب التربية العربية لدول الخليج).

خاتمة

بهذا الفصل نصل إلى ختام فصول **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** في طبعتها الثالثة. ونود في هذا المقام أن نشير لأمر جد مهم: إن توقف فصول الموسوعة وما حوته من حقائق ومعارف وأفكار، لا يعني بالضرورة كمال ما سقناه أو اكتماله، أو شموله لكل النحل والأحزاب والمذاهب التي يزخر بها عالمنا المعاصر، إذ تظل تلك في اتجاهاتها ومناهجها ودعواتها في تمدد وانكماش قد تصعب معهما المتابعة بل تستحيل. ومن ثم تتسم جميع الجهود المبذولة لتقديم وصف شمولي لهذه المذاهب والمدارس والفلسفات بالنقص والقصور وعدم الشمول. ونحن، وإن كنا قد توخينا الحرص على الدقة في التسجيل العددي في إطار الإيجاز المنشود للموسوعة، إلا أننا لم نقصد الكمال إذ يقود ذلك حتماً إلى توسع لا تحتمله هذه الموسوعة الميسرة المختصرة كما أسلفنا. هذا بالإضافة إلى يقيننا وقناعتنا بأن الكمال لرب الكمال وحده. وتبقى سائر الأعمال البشرية مشوبة بالنقص والخلل بدرجات متفاوتة.

ونضيف إلى ما سبق ما تؤكده جميع شواهد العصر، من استمرار توالد وجود هذه المذاهب والأحزاب والنحل ـ كماً ونوعاً وكيفاً ـ بسبب حركة الحياة البشرية على هذا الكوكب من جهة، واستمرار الخواء الروحي الناتج عن معاداة قيم السماء والإفراط في المادية واللهث وراء الحياة الفانية والهوى والغرائز من جهة أخرى. هذا الخواء الروحي الذي أفرز كل ما ذكرنا وما لم نذكر من نحل ضالة وأفكار هدّامة، مستمر في إفراز المزيد والمزيد ما لم يرجع الناس إلى الجادة، ويستنيروا بمنهج الله الخالق البارىء، الذي خلق الإنسان في هذا الكون لعبادته وأرسل الرسل لتقويمه وهدايته في الحال والمآل.. في الآخرة والأولى. هذا المنهج الذي كان في الأصل فحوى رسالات السماء كافة ـ قبل أن تعبث بها الأيدي وتنالها الأهواء ـ قد جاء كاملاً شاملاً محفوظاً من التحريف والتبديل في رسالة الإسلام الخاتمة الخالدة التي ننعم في ظلالها الوارفة، ونقطف ثمارها اليانعة.

نسأل الله لها الدوام والعز، ولنا وللناس كافة التوفيق للسير بمقتضاها لننعم بما فيها من خير وهداية ربانية يحتاجها الجميع.

القسم السادس

معجم المصطلحات

المقدمـة

بات من المتفق عليه بين الكثير من الباحثين والمفكرين أن أحد مظاهر أزمتنا الفكرية المعاصرة هو: اختلاط المفاهيم، واضطراب الدلالات، وتميع التصورات التي طالت ـ للأسف الشديد ـ الكثير من المصطلحات الشرعية التي أصبح يعبر عنها بالمفاهيم والعقائد البدعية أو الشركية أحيانًا. ومما زاد الطين بلة ظهور شرذمة من السوفسطائيين الجدد الذين سعوا جاهدين في إسقاط مصطلحات ومفاهيم بعض الفلسفات والمذاهب المنحرفة على مصطلحاتنا ومفاهيمنا الإسلامية، إما جهلاً منهم أو استلاباً لمضامينها الشرعية، كما فعل أسلافهم من الباطنية والزنادقة من قبل.

ومساهمة منا في إزالة التشويش والبلبلة عن بعض هذه المصطلحات، ومحاولة بعث معانيها الكلية، بإحياء مضامينها الشرعية، رأينا أن نلحق بهذه الطبعة من الموسوعة الميسرة معجمًا تعريفيًّا حوى ما يقارب ٢٠٠ مصطلح متنوع، مما قد ورد ذكره داخل الموسوعة مشارًا إليه بالعلامة (*)، وهذه المصطلحات إما شرعية وسياسية واقتصادية، وإما فلسفية وصوفية ونصرانية ويهودية وديانات شرقية، أو مصطلحات تتعلق ببعض الفرق وأهل الأهواء من المنتسبين إلى الإسلام. ولم نكتف في هذا المعجم بالتعريف الحدي لهذه المصطلحات، بل حاولنا تتبع طرف من سيرة المصطلح من حيث نشأته وأهم مراحل تطوره، مع إيراد مفهوم أهل السنة والجماعة للمصطلح نفسه دون التوسع في إيراد الخلافات المذهبية، أو التعرض لأدلة وشبهات الخصوم حول المصطلح. وقد أخذنا في الاعتبار الاختصار والإيجاز قدر المستطاع، إلا ما رأينا أن الحاجة ماسة للتوسع اليسير فيه. مع العناية بالإشارة إلى مواضع الآيات القرآنية الكريمة والتخريج المختصر للأحاديث النبوية الشريفة في هامش المعجم.

ومما تجدر الإشارة إليه:

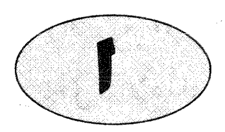
ـ أن المصطلحات التي تكرر ذكرها داخل المعجم، وقد تم تعريفها في مكان آخر، قد أشير إليها بالعلامة (*).

ـ تتم الإحالة إلى المصطلحات ذات العلاقة بكلمة «راجع» أو «انظر» في الغالب.

ـ نظرًا لاشتراك العديد من المصطلحات المذهبية، وبخاصة التي تمثل اتجاهًا واحدًا بشكل عام في عدد مشترك من المراجع، فقد اكتفينا بإضافة المراجع في نهاية المعجم وراعينا فيها تقسيم المراجع على حسب موضوعات المصطلحات الواردة في المعجم، مع الإشارة إلى بعضها أثناء البحث بخط غامق. وقد قام بإعداد هذا المعجم الأخ الأستاذ/ حمدي عبيد جزاه الله خيرًا. وقد اقتصر عملي على الإضافة أو الحذف أو بعض الاقتراحات المحددة لتحسين هذا المعجم. فجزى الله الأخ حمدي على ما بذل من جهد وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وختامًا نرجو أن نكون قد وفقنا في إضافة موسوعة أخرى مصغرة للألفاظ والمصطلحات إلى هذه الطبعة.

د. مانع بن حماد الجهني



الآب: من مصطلحات النصارى التي يُراد بها الله تعالى رب العالمين، فهو الإله* الذي يعطي ويحمي ويربي، وقد وضعه اليهود لما رأوا أن لفظة «ألوهيم» تدل على الله رب بني إسرائيل الذي إليه دعا إبراهيم وموسى الناس. وفي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد أرادوا أن يجعلوا شريعة التوراة* لهم وحدهم لا للأمم، والله لهم وحدهم لا للأمم، فصاغوا التوراة على هذا الرأي وتحدثوا عن أنفسهم بأنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، فأطلقوا على الله تعالى الآب بالمعنى المجازي. يقول المفسر اليهودي موسى بن ميمون: «كل أسماء الله الواردة في الأسفار* المقدسة مأخوذة عن أعمال يقوم بها ما عدا اسم يهوه* . . .»، ولما ترجم الإنجيل* إلى اللغة اليونانية وضعت كلمة الآب العبرانية كما هي للدلالة على ذات الله، فإلى الله الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن* عند النصارى، ومن قبل أطلق لفظ الآب على كثير من الأرباب في الديانات الوثنية القديمة تقول دائرة المعارف الكتابية عن فكرة الإله الآب: «ولم تكن هذه الفكرة مجهولة تمامًا في الديانات الوثنية*، فاليونان والرومان عرفوا الآب زيوس أو جوبيتر باعتباره خالق الطبيعة* وحافظها، وعلى علاقة خاصة بالناس». والأصل في الإسلام أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية أي موقوفة على ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، ولا يجوز أن يشتق من أفعاله شيء من أسمائه وصفاته.

الإبداع: الإبداع هو الإيجاد المسبوق بعدم، ويقابله الصنع الذي هو الإيجاد من مادة سابقة، وعلى مثال سابق، ولذلك يخطيء من يصف الله تعالى من الفلاسفة بالصنع على أنه صانع الخلق، وبوجه عام فإن الإبداع هو القدرة على استحداث عمل أو فكر ما، أو ابتكار حلول جديدة لمشكلة ما على غير مثال سابق، وعُرِّف، أيضًا، بأنه أساليب جديدة للتعبير الفني. والإبداع يكون في العمل والتفكير والعلاقات الإنسانية والاجتماعية، إلا أنه في التفكير العلماني يرتبط بالتخلي عن اتباع العقائد الدينية والهدي الرباني. وقد تأثر بذلك المستغربون من أبناء المسلمين فنادوا بنبذ الإسلام عقيدة ومنهاجًا شرطًا للإبداع والرقي. وفي الواقع أنه في ظل الإسلام لا تضاد بين الاتباع الصحيح والإبداع بل إن العلاقة بينهما

طردية، فلا إبداع بدون اتباع صحيح، والتاريخ الإسلامي خير شاهد على ذلك. ويرى دالاس أن العملية الإبداعية تمر بأربع مراحل: الإعداد وهو تكوين فكرة عامة عن المشكلة وما يرتبط بها من تصورات، والكمون حين يواصل الذهن مجهوده نحو الحل، والاستبصار أو الإلهام حين يصل الفرد إلى الحل بطريقة مفاجئة، والتحقيق وهي مرحلة اختبار الحل لتحديد مدى صحته أو خطئه. وقد توسع في استعمال مصطلح* الإبداع لنعت الأعمال الأدبية الفنية التي ينتجها الأدباء. وعلى هذا النحو يرى ابن رشيق ت ٤٦٣هـ أن الإبداع عبارة عن إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجر العادة بمثله في لفظ بديع. ويراه ابن أبي الأصبع ت ٦٥٤هـ بأن تكون مفردات البيت من الشعر أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة المتضمنة بديعًا، بحيث يأتي في البيت الواحد والقرينة الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جمله، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان فصاعدًا من البديع، وما لم تكن كل كلمة على هذا النحو فليس ذاك بإبداع. وفي كثير من الأحيان تسمى بعض الأعمال إبداعية لمجرد مخالفتها لمألوف الناس من اعتقاد وعادات ومفاهيم دينية راسخة، وفي هذه الحالة يصبح الإبداع ابتداعًا* وشرًّا ينبغي رفضه.

الأبدال: جمع بدل، والأبدال إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء* عند الصوفية، ولا يعرفهم عامة الناس، ويزعمون أن لهم اقتدارًا له أثره في حفظ نظام الكون، وسموا البدلاء؛ لأن البدل إذا ما فارق مكانه خلفه فيه شخص آخر على صورته إذ لا يشك الرائي أنه البدل. كما زعموا أن لهم القدرة على التطور والتشكل في أشكال عديدة حتى أشكال بعض الحيوانات.

وترتيب الأبدال في اعتقادهم يأتي على ترتيب السموات السبع بحيث يحكم البدل الأول الإقليم الأول للسماء السابعة وهكذا. ويزعم غلاة المتصوفة أن طبقتهم تنحدر من القطب الأعظم فإذا مات قطب خلفه أحد الأبدال، ويرى بعضهم أن الأبدال في سوريا والشام، والنجباء* بمصر، والعصائب بالعراق، والنقباء* بخراسان، والأوتاد* بسائر الأرض، ويسمون في سوريا الرقباء، ويزعمون أن مقامهم مقام عال، فبتوسلهم وشفاعتهم يستنزل المطر ويستجلب النصر على العدو وتتقى النكبات العامة، وبهم يحفظ الله العالم

والكون، ويزعم الشعراني أنه بالإضافة إلى ما سبق تتنزل عليهم العلوم يوميًّا، استدلالاً بحديث منكر أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، وأبو نعيم في الحلية عن طريق ثابت بن عباس الأحدب عن ابن مسعود مرفوعًا إلى النبي، ﷺ: «لا يزال أربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، يدفع الله بهم عن أهل الأرض البلاء، يقال لهم: الأبدال. . . الحديث»، قال العلماء: لم يصح في الأبدال حديث. ويوجد خلاف كبير بين الصوفية حول عدد الأبدال، فيرى البعض منهم أنهم أربعون، ويقول أبو طالب المكي في **قوت القلوب** إنهم ثلاثمائة، بينما يقول ابن عربي **في الفتوحات** إنهم سبعة. وإذا رجعنا إلى أصل الفكرة نرى أن ابن خلدون يؤكد أن فكرة الأبدال مأخوذة عن فكرة النقباء عند الشيعة* ولا يخفى ما في هذا الاعتقاد من الشرك والضلال، فالإسلام يرفض كل هذه الأقوال بل ويرفض فكرة الأبدال بهذا المعنى. وقد ورد عن الإمام أحمد ـ يرحمه الله تعالى ـ ما يصحح مفهوم هذه الفكرة إذ قال: «إن لله أبدالاً في الأرض، قيل: من هم: قال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أعرف لله أبدالاً» بمعنى أنه كلما مات منهم عالم أُبدل به آخر.

أبروشيات: تطلق الأبروشية على المنطقة التي يتولاها الأسقف* ويعتبر أهلها بالنسبة إليه رعيته. وهي في العادة مدينة بها عدد من الكنائس* يديرها كهنة* (رعاة) لخدمة أبناء الكنيسة.

الابن: أحد مصطلحات النصارى ويقصد به عندهم المسيح* عيسى ابن مريم، عليه السلام، وأقنوم* الابن عند النصارى القائلين بالتثليث* يعني أنه ابن الله تعالى الذي يحمل صفات الألوهية التي حلت في جسد بشري من تجسد الروح القدس* ومريم العذراء فصار جسدًا واحدًا وحدة ذاتية جوهرية، بزعم أنه أرسله الله ليحمل خطايا البشر من بني إسرائيل، وأنه قام من موته وصعد إلى السماء ليجلس على يمين الرب وأنه سيحاسب العباد يوم القيامة. وإلى الله الابن عندهم يكون الفداء ـ تعالى وتقدس عن الولد والشريك علوًّا كبيرًا ـ أما عند الموحدين منهم (آريوس وغيره) فإنها تفيد المعنى المجازي. وبهذا المعنى المجازي وردت في مزامير داود ٢/ ٧ «قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك» يشير إلى ما يشبه الحماية والرعاية والتبني على حد قول أندريه نايتون أستاذ مقارنة الأديان الفرنسي، كما ورد في

إنجيل يوحنا ٨/ ٤٤ من أن كل من يعمل عمل الشيطان من فساد وعصيان فهو ابن للشيطان لا على الحقيقة، ولكن على سبيل المجاز ولذلك يقول لليهود: «أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تبتغون أن تعملوها». وقد وردت نصوص أخرى تعضد نفس المعنى مثل ما ورد في إنجيل لوقا من أن آدم ابن الله أي أن الله خلق آدم، وما ورد في رؤيا يوحنا ٢١/ ٧ «من يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهًا، ويكون لي ابنًا». وايضًا، ما ورد على لسان المسيح في إنجيل متى ٥/ ٩ «طوبى لصانعي السلام؛ لأنهم أبناء الله يدعون»، بينما يشير جينيبر أستاذ اللاهوت الفرنسي إلى احتمال أن المسيح، عليه الصلاة والسلام، قدم نفسه لبني إسرائيل على أنه «عبدالله» وكلمة «عبد» تعني في العبرية «خادم» وأيضًا، تعني «طفل» مما أثار تلك البلبلة.

وقد استعار بولس هذه الفكرة وهذا المعتقد من ديانة متراس التي كانت منتشرة في عصره، كما استعار فكرة اتصال الإله* بالأرض عن طريق الكلمة The Logos أو ابن الإله The Son of God أو الروح القدس The Holy Ghost من الفلسفة اليونانية*. وفكرة ابن الإله كانت منتشرة بين المصريين القدماء، واليهود الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وامتلأت كتبهم بها، ودليل ذلك أن شمعون الساحر حسب بعض الروايات اللاهوتية كان يلقب نفسه في فلسطين بابن الله الذي له قوة الخلق، وقد شاعت هذه العقيدة، أيضاً، وانتشرت في فينيقيا وفلسطين في نهاية القرن الثاني الميلادي.

ويقول أصحاب كتاب **الأصول الوثنية للمسيحية** أندريه نايتون، إدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ: «فإن عبارة ابن الله كانت سببًا في هزيمة الديانة المسيحية* بين اليهود الذين اعتبروا هذه العبارة كفرًا* وتجديفًا، بينما كانت سببًا في انتشارها ـ أي المسيحية ـ بين الوثنيين* وعبدة الأصنام الذين كانوا يعايشون هذه الفكرة منذ فترات سحيقة، وخاصة بين وثنيي* البلدان الهلينية».

وأخيرًا فهذا نص قاطع ينقله برنابا في **إنجيله*** على لسان المسيح*، عليه الصلاة والسلام، يجتث جذور هذا البهتان والإفك العظيم، يقول المسيح «إني أشهد أمام السماء، أشهد كل ساكن على الأرض، أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر،

لأني بشرٌ مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر، عرضة للشقاء العام» الإصحاح ٩٤ : ١ـ٢ . ويؤكد ذلك بقوله «إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه تعبد» **لوقا ٤ : ٨٤**.

ولذلك يدعوهم الله تعالى في كتابه الكريم ـ **القرآن العظيم** ـ إلى التوبة والاستغفار وعدم الغلو في الدين بافترائهم الكذب عليه ـ جل وعلا ـ، يقول تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ [المائدة: ٧٤ـ٧٧].

الاتحاد: من العقائد الوثنية الدخيلة على عالمنا الإسلامي، إذ تلغي الفرق بين الخالق والمخلوق على اعتبار أنه لا موجود في الوجود إلاَّ الله ـ تعالى الله عن كفرهم ـ وتعتبر كتب «الفيدانت» المقدسة عند الهندوس من مصادرها الأولى. يقول الدكتور/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه **فصول في أديان الهند** عن غاية الفكر الهندي كما وضحتها «الفيدانت»:

الخطوة الأولى: أن تعرف الخالق بمعرفة مخلوقاته.

الخطوة الثانية: أن تميز بين الخالق وطبيعة الكون.

الخطوة الثالثة: أن ترى الوحدة بين الخالق وطبيعة الذرة التي خلق منها هذا الكون.

الخطوة الرابعة: وهي الغاية العظمى عند الهنادك، أن ترى أن ذرة التخليق تتلاشى في ذات الخالق، لأنها هي هيولى الكائنات، ومصيرها الاتحاد بعلة العلل. وفي العصر الحديث ظهر فيلسوف هندي من مشاهير شراح «الفيدانت» اسمه «شنكرجاريا» (٧٨٨ـ٨٢٠م) وروج لعقيدة الاتحاد ووحدة الوجود* بين الناس حتى ذاعت وانتشرت بين الهندوس والبوذيين والجينيين، ومن أقواله «إن الروح وبرهما* والكون شيء واحد، ولكن نحن فرقناهم وميزناهم لعدم معرفتنا بهم...» وبهذه الترهات قال نانك مؤسس السيخ.

وبعد ترجمة كتب «الفيدانت» في عهد المأمون انتقلت هذه العقيد الفاسدة إلى فلاسفة

المتصوفة ويؤكد شيخ مشايخ الطرق الصوفية السابق في مصر الدكتور أبو الوفا التفتازاني قول المستشرق جولد تسهير إن ابن عربي صاحب نظرية الاتحاد أسس طريقته في الهند في القرن السادس الهجري، ومع ذلك فقد اختلف فلاسفة الصوفية في صوره فمنهم من يراه:

ـ اتحاد ذاتين معنويًا مع تغايرهما ماديًا، بحيث لا تتحد عين إحداهما وصفاتها بعين الأخرى وصفاتها، بل يبقى الخالق خالقًا والمخلوق مخلوقًا، فكل منهما متميز عن الآخر وإن لم يكن منفصلاً عنه. ويوافق التلمساني قول يعقوبية النصارى من السودان والقبط* في قولهم إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا، وهو الاتحاد الخاص وعليه لا يثبت التعدد بحال.

ـ الاتحاد العام الكامل بأن يصبح الله ـ تعالى عن قولهم ـ عين وجود المخلوقات من إنس وجن وشياطين ونجاسات وكلاب وخنازير، وإلا انتفى معنى الاتحاد بلا وسيط. ولا يتم ذلك إلا عن طريق الفناء* عن النفس والتجرد عن الحس. وهو ما يشبه قول ملكية النصارى في المسيح بأن اللاهوت والناسوت* صارا جوهرًا واحدًا له أقنومان* . وبه قال ابن عربي وابن سبعين، كما ينسب إلى أبي يزيد البسطامي.

ومذهب هؤلاء قريب من سلب وتعطيل الجهمية*، وقريب من الزندقة* الفلسفية، إذ اعتمادهم على مباحثها الكلامية، ومن الآثار السيئة لهذه النظرية أنها انبثقت عنها عدة نظريات مثل: نظرية الفناء* ، ووحدة الأديان* ، ووحدة الوجود* وعقيدة الإله* الإنساني، أو نظرية قدم النور المحمدي، على أنه أول خلق الله تعالى، بل أنه خُلق من نور الله تعالى وتجلى في الأنبياء قبله، فكان كل منهم محمدًا مع الاختلاف في الأسماء والألقاب. نعوذ بالله من مقالات أهل الأهواء والضلال، إذ ينبغي أن يتنزه الرب سبحانه وتعالى أن يجري اللسان في حقه بمثل هذه الترهات. ويورد الإمام أبو حامد الغزالي في نقض شبهات أهل الاتحاد ثلاثة احتمالات:

١ـ إما أن تظل كل ذات من الذاتين موجودة، وهذا لا يكون اتحادًا.
٢ـ وإما أن تفنى إحداهما وتبقى الأخرى وبالتالي لا يكون هناك اتحاد بين موجود ومعدوم.
٣ـ وإما أن يفنيا جميعًا وهذا يكون انعداماً لا اتحاداً.

الاجتهاد: يعرف الاجتهاد بأنه بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بالأحكام الشرعية

بطريقة الاستنباط. ومن هذا يتبين أنه لا يقوم به إلا من فهم خطاب العرب، ومعاني مفردات كلامهم، وأساليبهم في التعبير، بالإضافة إلى معرفته بالقرآن الكريم، إذ يرجع إليه كل دليل. وينبغي للمجتهد أن يعرف آياته جميعًا معرفة إجمالية، وأن يعرف آيات الأحكام معرفة تفصيلية، وكذلك ناسخه ومنسوخه، وأسباب نزول آياته المتعلقة بالأحكام. كما عليه أن يعرف السنة النبوية من حيث درجة صحتها وحال رواتها. ومدى عدالتهم وضبطهم وورعهم، وأن يفهم معانيها، وأن يعرف قواعد الترجيح فيما بينها، والناسخ والمنسوخ منها، ولا يشترط حفظها جميعًا، بل يكفيه حفظ أو معرفة مواضع أحاديث الأحكام منها. كما يجب عليه المعرفة بأصول الفقه*، إذ به يعرف أدلة الشرع، وترتيبها، وطرق استنباط الأحكام منها، وقواعد الترجيح بينها. وأن يكون عارفًا بمواضع الإجماع*، حتى يكون على بينة منه، وعارفًا بمقاصد الشريعة، وعلل الأحكام، ومصالح الناس، وأعرافهم، وعاداتهم. مع وجود الاستعداد الفطري عند المجتهد، بالإضافة إلى أن تتوافر لديه العقلية الفقهية.

والاجتهاد في الأحكام الشرعية لا يكون إلا في الأحكام التي ليس فيها دليل قطعي، أي التي وردت فيها نصوص ظنية الثبوت أو الدلالة، أو التي لم يرد نص من الشارع بشأنها. والاجتهاد بابه مفتوح، وباق إلى يوم القيامة، ولا يتقيد بزمان مخصوص، ولا بمكان دون مكان، بشرط أن تتوافر في الشخص أدوات الاجتهاد وشروطه، ولو في مسألة دون غيرها، أو في باب دون غيره. وذهب بعض أهل العلم بمنع التجزؤ في الاجتهاد، والقول الأول هو الراجح كما تدل عليه سير المجتهدين القدامى. وعليه فلا يجوز أن يخلو الزمان من مجتهد قائم يبين للناس أمور دينهم. ولذلك فهو واجب على من توافرت فيه شروطه، وتهيأت له أسبابه ووسائله، وليس للمجتهد أن يقلد غيره، بل عليه أن يعمل بما أدى إليه اجتهاده، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد.

الإجماع: أحد مصادر التشريع بعد القرآن والسنة، ويعني اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول* ﷺ، على حكم شرعي في واقعة معينة. ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقوله ﷺ: «**إن الله تعالى قد أجار أمتي**

من أن تجتمع على ضلالة»[١] .

وقد طبقه الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، حيث كانا إذا نزلت نازلة استدعى الخليفة من عرفوا بالتفقه في الدين* ، فيعرض عليهم الأمر، فإذا اتفقوا على رأي كان إجماعًا ملزمًا لمن بعدهم. وقد وقع اجتهادهم في مسائل عديدة مثل توريث الجدة الصحيحة السدس إذا انفردت، وإجماعهم على جمع القرآن في المصاحف.

وينقسم الإجماع إلى: **إجماع صريح**: وفيه يبدي المجتهدون آراءهم صراحة ثم يجمعون على رأي واحد، أو يقضي مجتهد في مسألة بحكم معين ويوافقه عليه باقي المجتهدين قولاً أو إفتاءً أو قضاءً. **وإجماع سكوتي**: وصورته أن يبدي المجتهد رأيه في مسألة ما، ويعرف هذا الرأي ويشتهر ويبلغ الآخرين فيسكتون ولا ينكرونه صراحة أو لا يوافقون عليه صراحة، ولا يكون ذلك إلا بشرط انتفاء الموانع المختلفة عنهم من خوف أو إكراه أو غيره. وقد اختلف العلماء في حجية هذا النوع إذ منعه المالكية والشافعية. وقال بظنيته بعض الشافعية والحنفية، والراجح أنه حجة قوية قاطعة إذ يحرم على المجتهد السكوت في موضع الحاجة، ولا سيما إذا كان الرأي باطلاً، وبه قال الحنابلة والحنفية.

بينما ينكر الإجماع بعض الشيعة* ، إذ يشترط الجعفرية منهم لوقوعه تحقق العلم بدخول شخص الإمام المعصوم ضمن المجمعين، أو بتحقق العلم بموافقته على ما أجمعوا عليه. ويرى الإباضية من الخوارج* الإجماع حجة ومصدرًا من مصادر الاستدلال عندهم، ولا يكون ذلك إلا بإجماع مجتهديهم وأهل الاستقامة منهم.

ومن الواضح أن وقوع الإجماع أكثر تيسيرًا في هذا العصر لتقدم الوسائل العلمية ووسائل الاتصال الحديثة.

أحاديث الآحاد: كل خبر لم تتوافر فيه شروط المتواتر* ، وقد ينفرد به واحد فيكون غريبًا* ، أو يعزز برواية اثنين فأكثر فيكون عزيزًا* ، أو يستفيض فيكون مشهورًا* ، إلا أن الحنفية يخرجون المشهور من الآحاد ويجعلونه في مرتبة أعلى منه.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٨٢) عن كعب بن عاصم وحسنه الألباني.

والصحيح أنه يجب العمل به متى توافرت فيه شروط القبول. واختلف العلماء في إفادته الظن أو القطع، والعمل به من عدمه على أقوال منها:

- يرى بعض الروافض* وبعض المعتزلة عدم وجوب العمل بحديث الآحاد لزعمهم إفادته الظن مطلقًا، وقد اختلفوا في ذلك، أيضًا، بين استحالته العقلية وبين عدم استحالته العقلية والشرعية، ورأى بعضهم التوقف لعدم ورود دليل قطعي يفيد العمل به.

- ذهب القاضي عبدالجبار المعتزلي ومن وافقه إلى أن خبر الآحاد إذا ورد بشرائطه فإنه يجوز العمل به وذلك في المسائل العملية، أما في المسائل الاعتقادية فقد اشترط موافقته للعقل*، ومع ذلك فإنه يرى العمل بموجب هذا الدليل العقلي لا بموجب الخبر نفسه. وإذا لم يؤيده الدليل العقلي أول الخبر أو رده على أن النبي* ﷺ، لم يقله.

- بينما يذهب أبو الحسن الأشعري والبيهقي ومن وافقهما من متكلمة الأشاعرة الأوائل إلى الاحتجاج والعمل بأحاديث الآحاد إذا صح وتقبلته الأمة بالقبول، لا فرق في ذلك بين مسائل الأحكام ومسائل الاعتقاد.

- أما إمام الحرمين أبو المعالي الجويني من متأخرة الأشاعرة فإنه يرى أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم بنفسها إلا إذا وافقها دليل عقليٌّ أو أيدتها معجزة أو قول مؤيد بمعجزة، أو تلقتها الأمة بالقبول، وأحيانًا يجزم بأن تلقي الأمة لها بالقبول لا يفيد العلم. كما يرى أنه إذا احتفت بها القرائن بالإضافة إلى صحتها فإنه يلحقها بالمتواتر في إفادتها العلم، بشرط عدم مخالفتها دلالة العقل، وإلا فإنه يتأولها أو يفوضها، سواءً أكان في الأحكام أو الاعتقادات. وأخيرًا فإن أهل السنة والجماعة* يرون أن أحاديث الآحاد تفيد العلم القطعي اليقيني كالمتواتر تمامًا، ولكن لا في نفسها بل بشرط أن تحتف بها القرائن. ومنها تلقي الأمة لها بالقبول تصديقًا أو عملاً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري والأسفراييني وابن فورك» **مجموع الفتاوى** ١٨/ ٤١. ولا فرق في ذلك بين العقـائد والأحكام لتوافر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة، إذ يقول الله تعالى:

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]. والطائفة تصدق على الرجل الواحد أو بالاثنين كما قال مجاهد والشافعي. وقد كان النبي* ﷺ، يرسل الأفراد إلى الأمصار ليعلموا الناس أمور العقيدة والأحكام على حد سواء، مثلما أرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى أهل اليمن، ومصعب بن عمير إلى أهل المدينة، وبهذا القول قال أهل السنة والجماعة*.

الاحتكار: مصطلح اقتصادي يعني سيطرة منتج واحد، فردًا كان أو شركة، على إنتاج سلعة أو تسويقها بقصد تحقيق أقصى ربح ممكن، أو من باب التحكم بهذه السلعة لغرض غير إنساني، وكثيرًا ما يؤدي ذلك إلى استغلال المستهلك بفرض ثمن مرتفع لا يملك إلا قبوله. وقد ينشأ الاحتكار في صناعة من الصناعات لنمو أحد المشروعات نموًّا كبيرًا واستيلائه على المشروعات الأخرى بدمجها في المشروع الكبير، وهو ما يعرف باسم «الترست». وقد ينشأ الاحتكار في بلد معين أو في مجموعة من الدول، باتفاق بين المشروعات في صناعة معينة على تحديد الثمن أو تقسيم الأسواق فيما بينْهم، ويعرف ذلك باسم «الكارتل». وقد يكون الاحتكار احتكار شراء (طلب)، إذ يتآمر المحتكرون على بخس أثمان المواد الخام التي تنتجها البلاد النامية بخاصة. ويعرفه الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ بقوله: «كل ما أضر الناس حبسه فهو احتكار». ولذلك حرّمه الإسلام إذا توافرت في المحتكر ثلاثة شروط هي:

(أ) أن يكون الشيء المحتكر فاضلاً عن حاجته وحاجة من يعولهم سنة كاملة.

(ب) الانتظار حتى تغلو السلع ليبيعها بالثمن الفاحش لشدة الحاجة إليها.

(جـ) أن يكون الاحتكار في الوقت الذي يحتاج الناس فيه إلى المواد المحتكرة من الطعام والثياب وغيره مما يحتاج إليه الناس. وللدولة الحق في التدخل لمنعه تحقيقًا للمصلحة العامة.

الأخلاق: يعرفها علماء النفس بأنها: الفلسفة العملية التي تبحث فيما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني. وعليه فإنها تنقسم إلى أخلاق عملية تبحث في الجوانب الخلقية للفرد والجماعة في حياتهم المهنية والسياسية، وأخلاق نظرية تبحث في نظرية السلوك. وبالجملة

فإن الأخلاق في النظرية الغربية ما هي إلا ظواهر اجتماعية تملى على الأفراد من دون أن يكون لهم دخل في بنائها على أنها نتاج بيئتها وبنت عصرها. بينما يراها فريق من علماء التربية المسلمين انطلاقًا من المكانة السامية التي وضعها فيها الإسلام بأنها: ميثاق كامل يشمل كل أعمال الإنسان، وأنها القيم العليا التي يتقيد بها الإنسان في تصرفاته والتي يسعى لإقامة الحياة البشرية على أساسها، والتي لا يكون إنسانًا إلا بها، وبقدر ما يفقد منها يفقد من إنسانيته. وما بعث النبي* ﷺ، إلا ليتمم صالح الأخلاق[1] التي هي جزء أصيل من الإسلام، فقوام الإسلام على العقيدة والشريعة* والأخلاق والمنهاج*، وغاية الأخلاق الأساسية هي بناء مفهوم التقوى في النفوس وهذا ما يجعل الخوف من الجليل أقوى من الخوف من القوانين، والسلطان للتنزيل لا للضمير، مع الاستعداد ليوم الرحيل حيث الجزاء. فجاءت الأخلاق بذلك منسجمة مع خصائص الإسلام من حيث الشمولية والتوازن مع الثبات والمرونة، وهو ما تفتقده النظرية الغربية حيث إن الأخلاق فيها بلا التزام ولا مسؤولية وبناء على هذا فإن الدين هو الذي يحدد معايير الأخلاق التي تأتي في صورة أوامر وزواجر من عند الله ليبين ما هو حسن منها وما هو قبيح، وما هو حلال وما هو حرام، وليس الضمير على قول الماديين.

قال ابن القيم «الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين» **مدارج السالكين ج ٢ ص ٣٠٧** .

وبظهور الاتجاهات والمدارس الفلسفية اختلف مفهوم الأخلاق، فمثلاً، ترى المدارس المثالية (أنصار مذهب* الحاسة الخلقية، والنزعة العقلية وفلسفة كانط والأفلاطونية الجديدة في كمبردج) أن الأخلاق: علم يضع القوانين التي ينبغي أن يسير بمقتضاها السلوك الإنساني بما يحقق ذاتية الإنسان بما هو إنسان، وبالتالي فإنها غاية لا وسيلة، متبعين في ذلك فلسفة سقراط وأفلاطون من فلاسفة اليونان. بينما ينكر دعاة الفلسفة الوضعية المنطقية (برتراند رسل، وأوجست كونت، ودوركايم، وليفي بريل) أن يكون لعلم الأخلاق أسس وقواعد نظرية، وإنما الأخلاق علم وضعي تجريبي يبحث الواقع المحسوس

---

(١) لحديث رواه الإمام أحمد في مسنده «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

الذي يعيشه الإنسان من عادات وتقاليد وشرائع، ولذلك فإن الأخلاق عندهم نسبية وليست مطلقة وتخضع لظروف المجتمع وأحواله، في الوقت الذي تنفي فيه النظرية المادية صلة الأخلاق بالدين، بزعم أنها عبارة عن استجابة النفس للبيئة مثلها مثل السياسة والقوانين التي تخضع للظروف والأحوال الاقتصادية والسياسية لكل مجتمع، وقد رتبوا على ذلك إقصاء الدين والاكتفاء برقابة الضمير الإنساني.

ومع زحف العلمانية على الحياة الأوربية أزيحت الأخلاق عن شتى مجالات الحياة، وما بقي منها فهو نفعي بحت، فالعلاقات الجنسية، مثلاً، قيل إنها مسألة بيولوجية لا علاقة لها بالأخلاق ولا يوجد لها ضابط، وبالتالي تم تفريغ الأخلاق من مضمونها حتى قيل إنها ليست إلا انعكاسات للأوضاع المادية والاقتصادية، وأنها من صنع العقل الجمعي، وأنها غير ثابتة بل تتغير على الدوام، على أنها نتاج البيئة، تختلف باختلاف الأمم والعصور ومتغيرات المجتمع. بينما في المجتمع الإسلامي فإن القيم الأخلاقية ثابتة؛ لأنها جزء من الإسلام على ما مر بيانه سواء كان المجتمع رعويًا أو زراعيًا أو صناعيًا.

إخوان الصفا: جماعة سرية باطنية* مزجت الفلسفة اليونانية* والعقيدة الباطنية بالعقيدة الإسلامية في خليط متضارب، وبالتالي فهي أولى ثمار الحركة* الباطنية التي استغلت التشيُّع* والتصوُّف الفلسفي ستارًا لنشر رسائلهم وأفكارهم، وكان أول ظهورها في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

وقد ألفوا ما يقارب الخمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة عمليًا وعلميًا، وأفردوا لها فهرسًا وسموها **رسائل إخوان الصفا**، وهي تعتبر برنامج العمل السري الذي يستهدف القضاء على الإسلام ودولته لتأسيس دولتهم التي تضم شتى العقائد الوثنية* والمجوسية* والإباحية.

وكان للمذهب* الأفلاطوني الجديد تأثيره البالغ في هذه الرسائل، فقالوا بوحدة الوجود* على قول أفلوطين، وقالوا إن الإمام إلهي الذات وإنه معصوم، بينما لا يرى الإسلام معصومًا سوى الرسول محمد بن عبدالله، ﷺ، بما عصمه الله تعالى فيه. وأيضًا، دعوا إلى وحدة الأديان* وإلغاء التعصب للدين* على أنه لا حاجة للخاصة للشرائع، وإلى التحلل من الفرائض إلا في حق العامة. وقالوا إن العلم له باطن وظاهر، وغير ذلك مما يدل على انحرافهم وخروجهم على مفهوم الإسلام الأصيل، هدمًا لمفاهيم الإسلام الأساسية وهدمًا

للنبوة* وحربًا للإسلام وطعنًا في الصحابة.

وأهم أعلامهم: محمد بن مشير البستي، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، ومحمد بن أحمد النهرجوري، والعوضي، وزبير بن رفاعة.

الأدفنتست «السبتيون»: انظر السبتيون

الإرادة الشرعية: عند أهل السنة والجماعة* عبارة عن الأمر والنهي الشرعي، وعلى ذلك يمكن فهم أن الله سبحانه وتعالى يحب فعل الطاعة من العبد ويرضى به ويريده منه شرعًا سواء وجد أو لم يوجد. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]. ويكره الكفر* والفسوق والعصيان ولا يريده وإنما أوجده بمقتضى إرادته الكونية*. ودخول الجنة والنار لا يكون إلا بناء على هذه الإرادة الشرعية فمن وافقها وعمل بشرع الله كان من أهل الجنة، ومن خالفها فهو من أهل النار. وعليه فإن الإرادة الشرعية والكونية تجتمعان في إيمان المؤمن وتفترقان في كفر* الكافر، فهو كافر بمشيئة الله وليس قهرًا من الله، بل هو مخالف لما أراد الله منه بإرادته الشرعية.

أما المعتزلة القدرية* فقد قصروا معنى الإرادة على الإرادة الشرعية فقط وأنكروا الإرادة الكونية، أنكروا أن يريد الله أفعال عباده من الكفار والعصاة، وأنكروا قدرته على خلق الشر، وما ذلك إلا لخلطهم بين المحبة والرضى الملازم للإرادة الشرعية وبين الإرادة الكونية التي لا يكون شيء في الأرض ولا في السموات بدونها ـ انظر القدرية، القضاء والقدر ـ.

الإرادة الكونية: الإرادة الكونية عند أهل السنة والجماعة*: هي التي تقع على أساسها كل الأفعال التي تحدث في الكون خيرها وشرها وما أحب الله منها وما أبغضه، وما مدحه وما ذمه. وهي الإرادة التي يسير بمقتضاها الكون حسب السنن الربانية، فخلق كلًّا لحكمة يعلمها، وقد يطلع بعض خلقه على بعضها، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقصر الجبرية* معنى الإرادة والمشيئة على الإرادة الكونية فقط، وأنكروا الإرادة الشرعية* فألزموا العباد بأفعالهم ـ انظر الجبرية ـ.

الإرادية: منهج* فكري يؤكد على الإرادة وعلى أهمية الخيار الفردي في اتخاذ القرار (العامل الذاتي)، وأيضًا، في نشأة الأحكام الفكرية، وبالتالي فإنه يقلل من أثر العوامل الخارجية «العامل الموضوعي».

والإرادية نقيض الحتمية* التي تعتبر أن للعوامل الخارجية الدور الأساسي في التصرف الإنساني، وتستبعد الإرادة كعامل سببي في التجربة الفردية الاجتماعية. وتعد النظرة البراجماتية «الذرائعية» للمعرفة ظاهرة تخضع للعمل، وكذلك نظرتها للمفاهيم على انها أدوات لتلبية الرغبات الإنسانية نظرة إرادية، وكذلك فإن فلسفة سارتر الوجودية فلسفة إرادية؛ لأنها تعلي من قيمة الإرادة الفردية في تحقيق ذاته وإشباع أقصى رغباته.

والإسلام في نظرته لهذا الأمر وسط بين النقيضين، إذ يعتبر الإنسان مسؤولاً عن أفعاله، ولكن لا ينكر تأثير المجتمع والقضايا التي تحيط بالإنسان لإجراء قدر* الله تعالى.

الأرستقراطية: كلمة يونانية تعني سلطة خواص الناس، وفي العلوم السياسية تعني الحكم بواسطة خير المواطنين لصالح الدولة، وهي بصفتها فكرة سياسية تدين في تكوينها لأفلوطين في كتابه **الجمهورية**، إذ كان يكره الحكم الديمقراطي، ويرغب أن يحكم البلاد طبقة من الأرستقراطيين، أو كما يسميهم «بالطبقة الذهبية». ولكن مفهوم أفلاطون للروح الأرستقراطية مفهوم قيمي لا طبقي. وقد صنفها أرسطو ضمن النظم السياسية وحددها بأنها سلطة الحكماء التي لا تلبث أن تنحط وتصبح أوليفارشية أي حكم بعض الأسر التي ترتكز تاريخيًا على الأراضي المملوكة والموروثة.

استثمار: مصطلح* اقتصادي يقصد به: توفير أدوات الإنتاج التي تستخدم بقصد إنتاج سلع الاستهلاك أو أدوات إنتاج جديدة، على أن الحافز على الاستثمار في ظل النظام الرأسمالي ينبثق من:

١ـ الأرباح التي يأمل أصحاب المشروع الحصول عليها.

٢ـ سعر الفائدة المبنية على تقدير أن نسبة الكسب المنتظر إلى نفقات الحصول على أدوات الإنتاج وصيانتها تكون أعلى من سعر الفائدة الجاري.

وهناك نوع من الاستثمار لا يكون معياره الأساسي الربح، كالذي تتولاه الدولة في ظل

النظام الاشتراكي أو بعض المشروعات التي تقوم بها الدولة في ظل النظام الرأسمالي. والاستثمار من وجهة النظر الإسلامية لابد أن يكون في مشروعات مباحة شرعًا، وتعود بالنفع المادي والمعنوي على المستفيد.

الاستحسان: اعتبره كثير من العلماء دليلاً من أدلة الأحكام، وأنكره بعضهم كالشافعية، ويعرف الاستحسان عند الإمام أحمد أنه عدول المجتهد بحكم المسألة عن نظيرها لدليل خاص من الكتاب والسنة. وصورته: أن تعرض للمجتهد مسألة يتنازعها قياسان الأول ظاهر جلي يقتضي حكمًا معينًا والثاني قياس خفي يقتضي حكمًا آخر، وقد قام في نفس المجتهد دليل يقتضي ترجيح القياس الثاني على القياس الأول والعدول عن مقتضى القياس الجلي إلى مقتضى القياس الخفي، هذا يسمى استحسانًا. أو إذا عرضت على المجتهد مسألة تندرج تحت قاعدة عامة أو أصل كلي، ووجد المجتهد دليلاً خاصًا يقتضي استثناءها من الأصل الكلي والعدول بها عن الحكم الثابت بنظائرها إلى حكم آخر، فإن هذا العدول يسمى استحسانًا. وقد أخذ به الإمام مالك والإمام أبو حنيفة على أنه يثبت بالاستناد إلى النص أو القياس* الخفي أو المصلحة الظاهرة أو العرف* أو الإجماع* أو الضرورة، وأنكر الإمام الشافعي منه ما لا يبنى على قياس (دليل) إذ لا ضابط له. والحاصل أنه لا خلاف بين القائلين بالاستجسان على رد هذا النوع؛ لأنه سيكون استحسانًا وتشريعًا بالهوى، ولأن الاستحسان عندهم لا يعدو أن يكون ترجيحًا لدليل على دليل آخر.

الاستعمار «الإمبريالية»: ظاهرة سياسية اقتصادية وعسكرية ظهرت بظهور الإمبراطوريات منذ العصر القديم آشور وبابل وفارس.. وظهرت في أوربا في العصر الحديث بظهور القوميات وحركة الكشوف الجغرافية وقيام المذهب التجاري، متأثرة في أصولها الفكرية برواسب الفلسفة الأرسطية في العقلية الأوروبية، حيث نبرة استعلاء الجنس الآري وتميزه وأن من عداه فهو عبد وله عقلية العبيد، وينبغي أن يعامل بما تعامل به البهائم، وقد عبر عن هذه النظرة الشاذة المتطرفة رديارد كنج في العصر الحديث بقوله: إن غير الأوربي هو من السلالات الأدنى التي لا قبل لها بالقانون، فكل من لم يكن أبيض أو بريطانيًا فهو في مرتبة أدنى. وتتجسد الظاهرة الاستعمارية في قدوم موجات متتالية من سكان البلدان

الاستعمارية إلى المستعمرات قبل الاحتلال أو بعده بقصد الهيمنة على الحياة الاقتصادية والثقافية، واستغلال ثروات البلاد. وترافق هذه الظاهرة حملات عسكرية، ويأخذ الاستعمار أشكالاً عدة منها:

ـ الاستعمار الاستيطاني: وفيه يتم الاستيلاء على الأرض بمزاعم عديدة، منها أحقيتهم وملكيتهم لها أو بالشراء الصوري أو الحقيقي أو بالحرب، وعادة ما يتسم الاستعمار الاستيطاني بممارسة ضروب التمييز العنصري ضد أهل البلاد.

ـ الاستعمار الجديد: ويتمثل في فرض السيطرة الأجنبية سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا على دولة ما، مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها، دون استخدام أساليب الاستعمار التقليدية، من خلال عقد اتفاقات ثنائية غير متكافئة، تحد من حريات الدول وتكبلها وتستغل مشكلاتها الاقتصادية والإدارية للتدخل في شؤونها، والضغط عليها من خلال القروض والمعونات المشروطة، وإقامة القواعد العسكرية، وإثارة الاضطرابات الداخلية سواء كانت طائفية أو عرقية أو إقليمية.

وعلى ذلك فإن في تسميته بالاستعمار مغالطة وتشويش على المعنى الحقيقي له فالأولى تسميته: استعبادًا لا استعمارًا.

الأسفار: وتسمى أسفار الأنبياء* الذين جاءوا من بعد موسى، عليه السلام، وكتبوا كتبًا (أسفارًا) تحوي تواريخ الأمة الإسرائيلية وبعض جيرانها، وتنبؤات عن المستقبل ووصايا وإرشادات، وتضم إلى أسفار التوارة* الخمسة، وتسمى جميعًا بالتوراة مجازًا. والأسفار غير مقدسة عند السامريين، ولا عند الصدوقيين من العبرانيين، وهي مقدسة عند الفريسيين اليهود فقط وعند النصارى.

وقد اختلف علماء اللاهوت اليهودي ونقاد الكتاب المقدس حول كُتّاب هذه الأسفار، كما اختلفوا حول وقت كتابتها، فقد دونت على مراحل مختلفة وظروف سياسية مضطربة قد تزيد على الألف عام، واختلفوا أيضًا في اللغة الأولى التي كُتبت بها، هل هي الآرامية أم العبرية القديمة. وتشير بعض الدراسات حول الأسفار المقدسة ـ للدكتور صابر طعيمة ـ إلى أنه اشترك علماء اللاهوت اليهودي ـ الماسوراتيين ـ وعلى رأسهم الحبر كبيا ت ١٣٥م في

ضبط نصوص أسفار العهد القديم* على مقتضى قواعد اللغة العبرية، وعلى ضوء هذا تم حرق وإتلاف كل الأسفار التي تخالف النسخة التي وضعها العلماء الماسوراتيون. وفي القرن التاسع الميلادي، وعلى ضوء نفس القواعد كتب ابن أشير ومعه آخرون نسخة محفوظة في المتحف البريطاني، ونسخة أخرى قيل إنها كتبت عام ٨٢٧م عُرفت بمخطوط القاهرة.

وفي الوقت نفسه كان ابن نفتالي يكتب نسخة عبرية أخرى عرفت بالبابلية، وتعد من أقدم المخطوطات على ضوء القواعد الماسوراتية، ويذكر، أيضًا، أن أول علاقة للكتاب المقدس ـ عند اليهود والنصارى ـ باللغة العربية كانت في الأندلس، إذ ترجمه من اللاتينية أسقف من أساقفة* إشبيلية عام ٧٥٠م على مراحل عدة. وفي عام ٨٩٢م قام رجل يدعى سعد جدوغان الفيومي بترجمة الأسفار الخمسة الأولى وبعض كتب العهد القديم* مستعينًا بالترجمة السبعينية اليونانية. وأول ما طبعت في باريس، وطبعت مرة أخرى عام ١٦٤٥م في لندن، وأيضًا، عام ١٦٥٧م ككتاب مكتمل بأسفاره المختلفة.

وحال هذه الأسفار مثل حال باقي كتب العهدين القديم* والجديد*، مشحونة بالغلط والتبديل والتحريف*، وإضافة المفاهيم الوثنية* لذات الله تعالى، والانتقاص من مقام الأنبياء*، عليهم الصلاة والسلام، بالإضافة إلى التناقض وعدم الدقة في التعبير، مما يفقدها مصداقية اتصالها بالوحي*، فضلاً عن أنها كتبت من ذاكرة الرجال بعد محنة أنطويوكس عام ١٦١ق.م، تيطس عام ٧٠ م.

إسقاط التكاليف: اصطلاح باطني استخدمه غلاة الصوفية كأحد لوازم وآثار القول بوحدة الوجود*، قال به إخوان الصفا*، والهاشمية أتباع أبي هاشم محمد بن علي العباسي، من غلاة الشيعة* متأولين قول الله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾[المائدة: ٩٣]، فقال: «إن من وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم، ووصل إلى الكمال والبلاغ». كما قال بعض غلاة الصوفية، واختلفت طوائف الصوفية في تقرير مبدأ إسقاط التكاليف، فذهب البعض منهم إلى أن العارف الواصل تسقط عنه التكاليف بفضل من الله ورحمة، فقد بلغ درجة استحق معها إعفاءه من مشقة هذه التكاليف إذ وصل إلى مقام الفناء* في الله، وهو الفتح وهو أعلى المقامات و«لا هجرة بعد

الفتح»[(١)]، فلا أجر ولا معنى للسير إلى الله، إذ ليس أكثر من الفناء في الله. يقول الشعراني: «سيدي شريف رضي الله عنه ورحمه، كان يأكل في نهار رمضان ويقول أنا معتوق وأعتقني ربي». ويقول بعضهم: إنما التكليف على الإنسان مادام عبدًا، فإذا ترقى في منزلة العبودية إلى منزلة الحرية سقط عنه التكليف، فلا يبقى عليه التكليف؛ لأن الحر لا تكليف عليه. بينما يرى الإمام الغزالي أن سقوط التكاليف عن الصوفي حالة من الشعور الجديد الذي به تزول مشقة العمل وتحل محلها حلاوة المذاق فتصير العبادة قرة عينه، وغذاء روحه بحيث لا يصبر عنها. ويقول: «والتكليف مرتفع عن الولي* بهذا المعنى، لا بمعنى أنه لا يصوم ولا يصلي ويشرب ويزني».

ويرى فريق آخر من جمهور الصوفية أن التكاليف لا تسقط بأي حال عن المكلف حتى لو بلغ درجة الوصول. ويرى الجنيد أن السارق والزاني ومرتكب المعاصي أفضل حالاً ممن يقول بإسقاط التكاليف. ولاشك أن هذا هو الحق، فلو سقطت التكاليف عن إنسان لكماله ووصوله لسقطت عن الأنبياء* والرسل* ، عليهم الصلاة والسلام، من باب أولى.

الأسقف: أصل كلمة الأسقف يونانية [أبيسكوبوس] ومعناها مشرف. وكانت تستخدم أحيانًا لدى الجماعات الوثنية كمرادف لكلمة إيبيمليتس أي مندوب أو وكيل، ولم يظهر النظام الأسقفي في عهد المسيح، عليه السلام، وإنما ظهر في القرن الثاني فيما بين عام ١٣٠ـ١٥٠م. والأسقف رتبة دينية عند النصارى فوق رتبة القسيس* ودون رتبة البطريرك* والمطران* . وتذكر **دائرة المعارف الكتابية** أنها استخدمت في الترجمة السبعينية بمعنى نظار أو رقباء أو وكلاء فيما يختص بالكنيسة* أو الجيوش. كما تشير الدائرة، أيضًا، إلى أن كلمة الأسقف قد استعملت في اللغة اليونانية الكلاسيكية إذ استخدمها هوميروس في الإلياذة* فيما يختص بالآلهة* . وفي أثينا كانت تطلق على حكام الولايات التي يفتحونها.

ويذكر عوض سمعان في كتابه **الكهنوت** نقلاً عن موسيهم في كتابه **تاريخ الكنيسة**: «بأنه بعد سنوات من وفاة الجيل الأول من رسل النصرانية، استحسن كثير من القسوس أن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٣) ومسلم (١٨٦٤).

يقيموا لهم رئيسًا مشهورًا بالرزانة والتقوى والفطنة؛ لكي يوزع عليهم أعمالهم، ويوحد صفوفهم، وقد أطلقوا على هذا الشخص وحده لقب الأسقف، واحتفظوا لأنفسهم بلقب القسوس، ومن ثم أصبح الأسقف هو رئيس القسوس الذي يقوم بتعيينهم في وظائفهم وصرف مرتباتهم وتأديبهم عند تقصيرهم». فيتضح من ذلك أنه لم يكن يفرق بين الأسقف والقسيس في العصور الأولى للنصرانية وهو ما أشار إليه الراهب الأرثوذكسي متى المسكين في كتابه **المواهب الكنسية** بقوله: «وبمرور الزمن صار من المحتم إقامة واحد من بين القسوس يتقدمهم، وصار هذا المتقدم له اختصاصات النظارة العليا، فاختص بلقب الأسقف دون غيره، ومن هنا بدأت كلمة أسقف تأخذ معنى مفضلاً عن القس، وبالتالي بدأت اختصاصات الأسقف تتميز عن اختصاصات القس باعتبار الأسقف رئيسًا على الكنيسة كلها ولكن في البدء لم يكن هناك تفريق بين كلمة القس وكلمة الأسقف في شيء» معتمدين على ما أكده المؤرخ الكاثوليكي جيروم ت ٤٢٠م بقوله «كان القسيس عند القدماء هو الأسقف، ولكن بالتدرج نبتت بذور النزاع بين القسوس، فوضعت مهمة القيادة في يد شخص واحد، دعي وحده الأسقف».

وقد استخدمت الكلمة نفسها في العهد الجديد مرة واحدة لتشير إلى المسيح* ، عليه الصلاة والسلام، نفسه «كنتم كخراف ضالة لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها» ١٠ بط ٢: ٢٥.

وفي رسائل بولس تأتي الكلمة مرادفة للشيخ أو القسيس* ، يقول إكليمندس الروماني وإيريناوس وإمبروزيوس ويوحنا فم الذهب: «إن الشيوخ كانوا يسمون قديمًا أساقفة . . . والأساقفة شيوخًا»، ولكن هناك من يفرق بينهما مثل «هاتس» من أكسفورد، و «هارناك» من برلين على أساس أن الشيوخ مسؤولون عن تنفيذ القانون والنظام في الكنيسة، بينما مسؤولية الأساقفة رعاية الكنيسة والوعظ والعبادة. والواقع أن هذه التفرقة دخلت مؤخرًا في النظام الكهنوتي* للكنيسة* ، أما الأولى فكانت مرادفة للشيخ، إذ استقاها بولس مما هو موجود في المجامع اليهودية، بل قد أخذ بنفس الشروط الواجب توافرها في رئيس الشيوخ، وجعلها من واجبات الأسقف، مثل أن يكون أبو العائلة غير مرتبط بأعمال أخرى، له صيت حسن، بالإضافة إلى أن يكون قادرًا على التعليم وغير ذلك من الشروط.

الاشتراكية العلمية: مذهب* اقتصادي وسياسي نادي به ماركس في القرن التاسع عشر، ردًّا على الاشتراكية التي سماها الخيالية والتي دعا إليها سان سيمون ولويس بلان وروبرت أدين وغيرهم، إذ إن الاشتراكية عنده ليست دعوة تقبل أو ترفض، إنما هي مرحلة حتمية* تؤول إليها الرأسمالية بناءً على تفاعل قوانين لا قبل للأفراد بمعارضتها أو الوقوف في طريقها. وهذا ما أثبت التاريخ بطلانه إذ إن هناك دولاً رأسمالية تنبأ ماركس بتحولها إلى الاشتراكية مثل بريطانيا، وقد خاب ظنه ولم تتحول، بل قد انهارت الاشتراكية وانحرفت عن مسارها في بلادها.

وقد بنى ماركس نظريته هذه بناءً على تفاعل قوانين سماها بالحتمية التي لا قبَل للأفراد بمعارضتها أو الوقوف في سبيلها. وتسمى الاشتراكية العلمية بالماركسية، أيضًا، وقد عارضتها الاشتراكية التطورية أو الديمقراطية وكذلك الاشتراكية النقابية والاشتراكية المسيحية.

الإشراق: مذهب* الإشراق هو جماع آراء وتيارات راجت في الديانات* القديمة الإغريقية والفارسية. ولذا فهو فرع من فروع الفلسفة اليونانية* والأفلاطونية الجديدة على وجه الخصوص. ويقوم في جملته على القول: بأن مصدر الكون هو: النور، فهو يعبر عن الله سبحانه وتعالى بالنور الأعلى، ويصف العوالم بأنها أنوار مستمدة من النور الأول والمعرفة الإنسانية في مفهوم الإشراقيين «إلهام» من العالم الأعلى، يصل بواسطة عقول الأفلاك، وهو ما يسمى بالكشف* أو الإشراق، أي ظهور الأنوار العقلية للنفوس بعد تجردها.

ولذلك فإن **المعجم الفلسفي** لجميل صليبا يعرف الإشراق بأنه «هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها على النفس، عند تجردها من المواد الجسمية، ففيضان هذه الأنوار على النفس يسمى إشراقًا».

ولا يتحصل على ذلك الإشراق عندهم إلا من خلال البصيرة التي تنفرد عند الإشراقيين بمعرفة حقيقة الذات الإلهية، وحقائق الأسماء والصفات، وتعلق فعل الله تعالى بخلقه، وحقائق اليوم الآخر والروح والملائكة، إذ يرتفع الإشراقي إليها ويندمج فيها ويتفاعل معها تفاعلاً كاملاً، ولا يتم ذلك إلا بعد القضاء على الجانب المادي في الإنسان بما فيه العقل*

ومختلف الحواس، مع التسامي بالجانب الروحي والنفسي فيه عن طريق ما يسمى بالنرفانا* أو الفناء* . بينما البصيرة هذه ملكة من الملكات محدودة القدرة، قد تتأثر بالكثير من المؤثرات حولها، وبالتالي لا يصح الاعتماد عليها وحدها كمصدر من مصادر المعرفة. أما القضاء على الجانب المادي في الإنسان والتسامي بالجانب الروحي من خلال العزلة والخلوة والتخفف من الأكل والشرب فقد تكون مباحة، بشرط عدم التفريط في مطلوب من الدين ولا ارتكاب منهي عنه، أما إذا كانت ستؤدي إلى حرام أو عدم فعل المفروض واستبدال العبادات الشرعية بالعبادات والأذكار البدعية، كما عند الصوفية، فهو أمر مردود لقوله، ﷺ، «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[1]. ويأخذ الإشراق عند المتصوفة المنتسبين إلى الإسلام شكلاً آخر يتمثل في المعراج الصوفي بمقاماته المتعددة، وطريقه الطويل الذي لا يتم السير فيه إلا من خلال اتخاذ مرشد من الشيوخ يستسلم له استسلامًا تامًّا، إذ يأمره بالاقتصار على الفرائض والرواتب . . . وألا يفرق فكره بقراءة القرآن، ولا بالتأمل في تفسيره، ولا بكتب الحديث بل يجتهد ألا يخطر بباله سوى الله، إذ يجلس في مكانه خاليًا يردد لفظ الجلالة «الله» حتى يقف لسانه، ويكررها قلبه حتى تنمحي حروفها في قلبه فلا يبقى إلا معناها، وعند ذلك يتحقق له الإشراق.

بينما يقوم مذهب* شهاب الدين السهروردي ـ المقتول ردة ـ في الإشراق على أساس فكرة نور الأنوار المستمدة من الفكر الأفلاطوني متأثرًا بنظرية الصدور والفيوضات. وعلى ذلك يتضح أن للإشراق أصوله الفلسفية عند أفلاطون ـ رئيس الإشراقيين ـ وفيثاغورس من فلاسفة اليونان، إذ قررا أن النفس إذا صقلت بالرياضة وتطهرت من التعلق بالمحسوسات، استطاعت معرفة حقائق الأشياء. كما وجُدت النظرية الإشراقية عند البراهمة الهنود وعند كهنة قدماء المصريين، وتأثر بها القديس أوغسطين من النصارى.

وعن طريق أصحاب الحركات* الباطنية وغلاة الصوفية أمثال السهروردي وغيره، تسلل هذا المذهب إلى طوائف تنتسب إلى الإسلام.

وهناك فرق بين الإلهام والتحديث والرؤيا والكشف* ، كما وضحته النصوص من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

الكتاب والسنة، مما يأتي متوافقًا معهما ويبين زيف ما وضعه الباطنيون والمتصوفون من قواعد للكشف* والإشراق. والنبي* ﷺ، الذي صعد إلى السموات العلى ورأى من آيات ربه ما رأى، قال عن نفسه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقال عن نفسه فيما جاء به القرآن الكريم: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

الاصطلاح: ومنها المصطلح وهو إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين، وقيل هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقله عن موضعه الأول.

ويختلف مفهوم المصطلح الواحد من طائفة لأخرى ومن بلد إلى بلد ومن عصر إلى عصر ومن دين* ومذهب* إلى آخر، بل أحيانًا داخل المذهب أو الدين الواحد قد يتعدد مفهوم المصطلح الواحد، وذلك على ما مر وما سيأتي من مصطلحات متفقة في مسمياتها مختلفة في حدها ـ تفسيرها ومفهومها ـ فمثلاً العدل عند المعتزلة هو نفي القدر*، بينما معناه مختلف تمامًا عند أهل السنة*، وكذلك التوحيد والتنزيه* . . . ومن هذه المصطلحات ما يعرف حدها ومسماها بالشرع إذ تتعلق بها الأحكام مثل: الصلاة والزكاة والصيام والإيمان والإسلام والكفر وغير ذلك.

ومنها ما يعرف حدها باللغة كالشمس والقمر والسماء والأرض، ومنها ما لم يحدها الشرع بحد، وكذلك ليس لها حد واحد يشترك فيه جميع أهل اللغة بل يختلف باختلاف عادات الناس ـ العرف ـ مثل البيع والنكاح والدرهم والدينار يقول ابن الجوزي في **الإيضاح لقوانين الاصطلاح** «إن لأرباب كل صناعة ألفاظًا يتداولونها بينهم في مجاراتهم، وقد وضعوها بإزاء مسميات يحتاجون إليها في محاوراتهم، فلا يقف غيرهم على موضوعها إلا بتوقيف منهم». وما انتهى عصر الصحابة والتابعين حتى ترجمت علوم اليونان وفلسفاتهم وعن طريقها دخل الكثير من المصطلحات الغريبة ذات المفاهيم الخاطئة والتي تلقفها أهل الأهواء من الفلاسفة والزنادقة* والباطنيين* تحت دعاوى التوفيق بين الفلسفة* والدين* كما فعل الكندي وإخوان الصفا* ومن تابعهما، وذلك لتفريغ المصطلحات الشرعية عن معانيها

التي بها قوام العقيدة والأحكام. وللأسف الشديد فقد تأثر كبار علماء الكلام بمناهجهم* بإيرادهم المصطلحات الموهمة للحق والباطل، ثم يخاطبون بها الناس، ويجعلون مراد الله ورسوله، ﷺ، من جنس ما أرادوا فحدث بذلك الإلحاد* والتحريف* من تبديل الأحكام والحقائق الشرعية بجلب الحقائق الفاسدة وتبريرها بالأسماء الشرعية؛ ليسارع المسلمون إلى تقبلها، والوقوع في شركها كتسمية الربا «قرضًا» وتسميته «ضمانًا» وتسميته «فائدة» ونحو ذلك، على حد قول الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في **فقه النوازل** ١/ ١٥٦، ومن هنا اهتم العلماء بتحديد حدود ومسميات المصطلحات، وبخاصة الشرعية منها، وأفردوا لها المصنفات التي تعالج الألفاظ القرآنية والنبوية، والتي تبين حدود اضطلاحات الفنون والعلوم والآداب المختلفة. وبعد أن وضح شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه **الرد على المنطقيين** أن حقيقة الحد ـ أي: حدود الألفاظ والأنواع ـ هي: بيان التعريف بالمسمى «المحدود» لتميزه عن غيره، وأن فائدته تنبيه المخاطب وتمييز المحدود مثل ما تفيد الأسماء وأن ذلك من جنس الترجمة بلفظ عن لفظ ويدخل في هذا الباب ذكر غريب القرآن والحديث وغيرهما، مخالفاً بذلك رأي أهل المنطق اليوناني من أنه يفيد تصوير المسمى «المحدود».

ثمّ يقرر شيخ الإسلام أن معرفة هذه الحدود فرض عين وأحيانًا فرض كفاية، فيقول «فإن من قرأ كتب النحو والطب أو غيرهما، لابد أن يعرف مراد أصحابها بتلك الأسماء، ويعرف مرادهم بالكلام المؤلف. وكذلك من قرأ كتب الفقه والكلام والفلسفة وغير ذلك. وهذه الحدود معرفتها من الدين، في كل لفظ هو في كتاب الله تعالى وسنة رسوله، ﷺ، ثم قد يكون معرفتها فرض عين، وقد تكون فرض كفاية. ولهذا ذم الله تعالى من لم يعرف هذه الحدود بقوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٩٧]، والذي أنزله على رسوله فيه ما قد يكون الاسم غريبًا بالنسبة إلى المستمع كلفظ «ضيزى» و «قسورة» و «عسعس» وأمثال ذلك . . . وبالجملة فالحاجة إلى معرفة هذه الحدود ماسة لكل أمة وفي كل لغة، فإن معرفتها من ضرورة التخاطب الذي هو النطق الذي لابد منه لبني آدم» ص ٤٩، ٥١. ولذا اهتم العلماء بوضع القواعد والضوابط الشرعية التي تمثل صورًا على الطريق، وذلك كالتالي:

أولاً: ما كان منها من ألفاظ الكتاب والسنة، لا يجوز التعبير عنها بألفاظ مبتدعة موهمة أو

ذات دلالات منحرفة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «والأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهة؛ لما فيها من لبس الحق بالباطل مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة بخلاف الألفاظ المأثورة والألفاظ التي تثبت معانيها، فإن كان مأثورًا حصلت به الألفة، وما كان معروفًا حصلت به المعرفة. . .» **درء تعارض العقل ١/ ٢٧١**.

ثانيًا: ما كان منها محدثًا، مع الأخذ في الاعتبار أن السلف لم يذموا المصطلحات الغريبة المحدثة لكونها محدثة، ولكن لاشتمالها على معانٍ مجملة، ولذلك يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أهمية الوقوف على معانيها فيقول: «ونحن نحتاج إلى معرفة اصطلاحهم وهذا جائز بل حسن، بل قد يجب أحيانًا. .» **بغية المرتاد** ص ٢٣٤ بل يضع في ذلك قاعدة كلية بقوله «ومعرفتنا بلغات الناس واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا مقاصدهم، ثم نحكم فيها كتاب الله تعالى، فكل من شرح كلام غيره وفسره وبين تأويله فلابد له من معرفة حدود الأسماء التي فيه» **مجموع الفتاوى ٩/ ٦٦، ٦٧**.

ومع ذلك فإن هذه المصطلحات المحدثة لا تخلو من أحد الأمور التالية:

(أ) إما أن يكون اللفظ محدثًا ولكنه صحيح المعنى موافق للكتاب والسنة، وعندئذ فلا مانع من استعماله إذ لا مشاحة في الاصطلاح، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في حدود الضرورة، إذ لا تعلق لمسائل العقيدة ودلائلها على تلك المصطلحات المحدثة.

(ب) أو أن يكون المعنى باطلاً مخالفًا للكتاب والسنة واللفظ لا يدل عليه، ففي هذه الحالة لا يصح إضافته واستعمال المصطلح له.

(جـ) أما إذا كان المعنى صحيحًا واللفظ مبتدعًا لا يدل عليه وفيه تلبيس، إذ يحتمل حقًّا وباطلاً، فلا ينفى لعدم نفي ما به من حق، وكذلك لا يثبت لعدم إثبات ما به من باطل، وذلك حتى يتبين مراد المتكلم به، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «ويجعلون ـ السلف والأئمة ـ العبارات المحدثة المجملة المتشابهة ممنوعًا من إطلاق نفيها وإثباتها، لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه إلا بعد الاستفسار والتفصيل، فإنه إذا تبين المعنى أثبت حقه ونفي باطله، بخلاف كلام الله ورسوله، فإنه يجب قبوله وإن لم يفهم معناه، وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه» **درء تعارض العقل والنقل ١/ ٧٥**، وقد فصَّل

الدكتور/ عبدالله الحوشاني هذه القواعد الأخيرة في كتابه **منهج ابن تيمية في الدعوة** ١/ ٧٤: ٨٠، كما أشار إليها الدكتور/ أحمد بن عبداللطيف في كتابه «**منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة** ١٢٥ ؛١٣٧ .

أصول الفقه: هي مجموعة القواعد والأدلة الإجمالية التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الفقهية. فهو مجموعة القواعد والأصول التي يجب أن يلتزم بها الفقيه في استخراج الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، كطرق استخراج الأحكام من الألفاظ والمنهاج السليم في القياس* . . على وجه يسلم به المجتهد من الخطأ والعثار.

وكان هذا العلم معروفًا عند كبار الصحابة والتابعين، من أمثال عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وسعيد بن المسيب وعلقمة النخعي والشعبي والحسن البصري وغيرهم، رضي الله عنهم جميعًا، فكانوا على دراية بأصول هذا العلم وقواعده من معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والإجماع* والقياس .

وأول من دون هذا العلم وجمع قواعده وأصَّلها في مؤلف سماه (**الرسالة**) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي ـ يرحمه الله ـ المتوفى عام ٢٠٤ هـ جوابًا على رسالة للإمام عبدالرحمن بن مهدي.

وهناك أكثر من طريقة للكتابة في هذا العلم، فكتب فيه المتكلمون وألفوا فيه العديد من الكتب وأكثروا فيها من الفروض النظرية والمناحي الفلسفية، سواء كانوا ممن يمثلون مذاهب* الشافعية والمالكية والحنابلة أو المعتزلة وعلماء الجعفرية في أول تدوينهم لأصول الفقه. وقد جمع الرازي ما كتبوه بعد أن لخصه ونقحه في كتابه **المحصول**، والآمدي في كتابه **الإحكام في أصول الأحكام**.

وهناك طريقة المذهبية، واستعملها الحنفية، إذ يؤصلون القواعد الأصولية على ضوء الفروع الفقهية، ومن أشهر مؤلفاتهم في ذلك **أصول الفقه** للجصاص، ورسالة **تأسيس النظر** لعبيد الله بن عمر الدبوسي.

وهناك طريقة ثالثة للذين ألفوا في هذا العلم، دون الاعتماد على أي من الطريقتين السابقتين، إذ اعتمدوا على الأدلة وترجيح ما يرونه صوابًا دون التعصب لمذهب* معين.

وتمثل كتابات ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية، وكذلك **الموافقات في أصول الشريعة** لأبي إسحاق الشاطبي، وكتاب **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول** للإمام محمد بن علي الشوكاني، أبرز كتابات أصحاب هذه الطريقة.

وعلم الأصول من العلوم الضرورية لكل مجتهد ومفت وكل طالب علم، فهو يعين على دراسة وفهم سائر العلوم الأخرى. والأصول المعتبرة عند أئمة السلف هي الأصول الشرعية التي دل عليها الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة، لا الأقوال الفلسفية ولا التخريجات الكلامية.

الأصولية: حركة* فكرية بروتستانتية "Fundamentalism" ظهرت في الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، بعد مؤتمر نياجرا عام ١٨٩٥م لتحيي من جديد أفكار أصحاب عقيدة المجيء الثاني للمسيح*، مجيئًا حقيقيًا حرفيًا. وقد ظهرت لهم كتيبات بعنوان الأصوليات دعوا فيها إلى: التمسك بالتعاليم الدينية القديمة، والقول بألوهية المسيح*، وعصمة الكتاب المقدس عن الخطأ، ووجوب الأخذ به حرفيًا، وولادته، عليه الصلاة والسلام، من مريم، كما دعوا إلى الفدية عن الأعمال المنكرة، وإلى الإيمان بقيامة المسيح من بين الأموات بجسمه، وعودة تجسده ثانيًا، بالإضافة إلى رفض كل النظريات العلمية الحديثة في علم اللاهوت، وكذلك الدراسات التي تنتقده أو تناقض ما فيه ـ ولذلك عرفت بمذهب* العصمة الحرفية ـ كما ترفض الفصل بين الدين* والدولة ـ مما أدى إلى زيادة اهتمامها بالجانب السياسي، والسعي إلى تكوين الأحزاب* السياسية للوصول إلى السلطة؛ بغية سن القوانين والشرائع المؤيدة لمذهبهم. ويمكن، أيضًا، إضافة اعتقادهم بالنبوءات الإنجيلية التي تقود حسب اعتقادهم إلى استيلاء اليهود على فلسطين والقدس شرطًا للعودة الثانية للمسيح*.

وبذلك تتعارض الأصولية مع الليبرالية أو الحداثة التي تسعى إلى قراءة النص وتفسيره على حسب الواقع. وللأصولية في الغرب تنظيماتها ومؤسساتها ووسائل إعلامها القوية التي تدعو إلى مبادئها. ومن أشهر مؤتمراتها ما عقد في عام ١٩٨٥م في مدينة بال بسويسرا. وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية المركز الرئيس للاتجاهات الأصولية الإنجيلية التي

ينتمي إليها معظم رؤسائها .

وقد سبقت هذه الحركة في الغرب حركات أخرى عرفت بالأصولية أيضًا ، وإن كانت أقل انتشارًا منها : methodism ، وهي حركة* بروتستانتية نشأت في أكسفورد بريطانيا ، على يد الأخوين جون ، وشارلي وسلي عام ١٧٣٩م تحت اسم النادي المقدس "Holyclub" ، للدعوة إلى التمسك الحرفي بالتعليمات المسيحية* ، على أساس الإعلاء من نصوص العهد القديم* في مقابل التقليل من شأن تعاليم الكنيسة* . كما تدعو إلى اعتبار المسيحية* رسالة سماوية ونظام حياة ، وقد اشتدت الدعوة إليها حتى وصل عدد أعضائها في بريطانيا في عام ١٩٥٧م إلى ١,٢٠٠,٠٠٠ عضو . وأصبح لها رئيس ينتخب سنويًا ، كما أصبح لها عدة تنظيمات إدارية هرمية ، ومن ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأصبح لها فيها شأن كبير . ومنها حزب Integrism السياسي الإسباني الذي تأسس في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي بعيدًا عن الكنيسة ، للدعوة إلى الحفاظ على التقاليد الإسبانية ، ومن ثم دخل هذا التيار المحافظ إلى الكنيسة الكاثوليكية ؛ ليشكل تيارًا معارضًا لدعوات التجديد* في التعاليم الكنسية ، وبخاصة ماله علاقة بالطقوس التعبدية .

وعبر وسائل الإعلام الغربية أسقط مصطلح الأصولية* ظلمًا وعدوانًا على تيار الصحوة الإسلامية الجارف في العالم الإسلامي ؛ للحد من تدفق مسيرته ، وللأسف الشديد تلقفه أذنابهم من المنتسبين إلى الإسلام للتحريض تارة والتشويش تارة أخرى على العاملين للإسلام .

هذا مع أن مصطلح* الأصولية في الإسلام مصطلح محمود غير مذموم ، فهو يطلق على العالم بأصول الفقه* أو أصول الدين (علم العقيدة والتوحيد) ، فيقال عالم أصولي كما يقال فقيه ومفسر ومحدث .

وعلى ذلك فالأصولية بمعنى العودة إلى الأصول ترادف السلفية* ، وهي العودة إلى الأصول الصحيحة للإسلام ، والاجتماع عليها والعمل بها والدعوة إليها ، على ما كان عليه سلف الأمة الصالح رضي الله عنهم .

ومن باب التحريض والتشويش أصبح يطلق عليهم «النصية» ، «الحرفية» ، «التطرف» ، وفي الواقع أن هذه المعاني واللوازم للأصولية تلزمها بمعناها عند الغرب ، فما نشأت عندهم

إلا تفسيرًا لأخطاء في تاريخ الكنيسة، وبالتالي فلا دخل لها، ولا وجه للتشابه بينها وبين الطوائف المنعوتة بها في بلاد المسلمين، إذ الاختلاف بيِّن بين الإسلام والنصرانية المحرفة، وهذا ما أكده المنصفون من علماء الغرب، والحق ما شهدت به الأعداء.

يقول المستشرق الروسي ميتالي نارومكسين: «إن مصطلح* الأصولية الإسلامية مصطلح أطلق في الغرب». وهو ما أكده جاك بيرك بقوله: «إن تعبير الأصولية آت من النزعات داخل الكنيسة»* . وأخيرًا يقول المستشرق الفرنسي دومينيك شوفاليين بعد أن أقر بأن التطرف ميز الحركة* الأصولية في الدين* النصراني بقوله: «إن الحركة الأصولية الإسلامية مختلفة تمامًا، ولا مجال للمقارنة بين الحركتين».

ومما تحسن الإشارة إليه أن هناك طائفة من الشيعة* الإمامية الاثني عشرية يطلق عليهم الأصولية وليست، أيضًا، على نفس المعنى الكنسي السابق، ولكنها تطلق مقابل الأخبارية من الشيعة الإمامية الاثني عشرية، والأصوليون الشيعة هم الذين يأخذون بأدلة العقل* مثل: البراءة الأصلية والاستصحاب وغير ذلك، مقابل الأخبارية الذين يتقيدون بما ورد في الكتاب والسنة التي يرويها أئمتهم الاثنا عشر فقط.

ومن أهم رموز الأصوليين الشيعة: السيد دلدار علي، والطباطبائي، ومحسن الحكيم، والخوئي، وشريعت مداري والخميني.

وعمومًا فإن الأصولية بمعنى العودة إلى الأصول ظاهرة عالمية بين مختلف أصحاب الديانات، حتى غير السماوية منها، ويرجع بعض الباحثين ذلك إلى فشل النظريات الوضعية من مادية وغيرها.

الأقانيم: جمع أقنوم وهي كلمة سريانية معناها شخص أساسي أو شخص رئيس أو كيان ذاتي أو في الذات أو مبدأ الأشياء. وهي قريبة من الكلمة اليونانية Norms . والأقانيم عند النصارى هي الآب* والابن* والروح القدس* ، والرابطة التي تربط بينهم تسمى اللوغوس، أي الإله* باعتباره القانون الفعَّال الذي يقود العالم. والأقانيم فكرة وردت في الفلسفة اليونانية* تأثر بها يوحنا صاحب الإنجيل* وأحد طلاب مدرسة الإسكندرية الفلسفية التي أخذت على عاتقها الجمع بين الفلسفة اليونانية والنصرانية* الجديدة كما هو واضح في إنجيله.

والأقانيم على مذهب* الأرثوذكس عبارة عن مراحل انقلب فيها الإله* إلى إنسان في زعمهم، واتخذ جسد إنسان فأصبح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. بينما هي على مذهب الكاثوليك والبروتستانت ذوات متميزة، لأن السيد المسيح على حسب كلام إثناسيوس «مساو للآب بحسب اللاهوت* ، ودون الآب بحسب ناسوته»* ، على أنه إله واحد في الجملة لا باختلاط الجوهر بل بوحدانية الأقنوم ـ تعالى وتقدس ربنا عن قول الكافرين علوًّا كبيرًا.

وقد أشار القرآن الكريم إلى كل من المذهبين* في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٧١] ، وإلى مذهب* الأرثوذكس بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ. . . ﴾ [المائدة: ٧٢]، وإلى مذهب الكاثوليك بقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ. . . ﴾ [المائدة: ٧٣].

ذهبت بعض فرق النصارى الأخرى إلى أن هذه الأقانيم* ما هي إلا صور مختلفة أعلن الله ـ تعالى سبحانه عن قولهم ـ بها عن نفسه للناس، وأن الابن ليس أزليًّا بل هو مخلوق منه. وذهب آريوس إلى أن الآب* أخرج الابن* من العدم بإرادته، كما ذهبت النسطورية إلى أن مريم لم تكن إلهًا وبذلك فإن ما يولد من الجسد لا يكون إلا جسدًا. وذهب آخرون أن لكل من الأقانيم الثلاثة وجودًا خاصًّا، وأن للثلاثة معًا وجودًا رابعًا عامًّا، وتسمى هذه الفرقة أصحاب الرابوع. وتعتقد فرقة أخرى أن الروح القدس* منبثق من الآب* والابن* معًا لا من الآب وحده.

وهكذا يصدق على النصارى القول القائل: بأنه لو تناقش اثنان من النصارى في حقيقة عقيدة من عقائد دينهم لخرجوا بثلاثة آراء أو عقائد مختلفة.

الاقتصاد: يعرِّفه اقتصاديو القرن التاسع عشر: بالعلم الذي يبحث عن الأسباب المؤدية إلى الرفاه المادي وزيادة ثروة الشعوب، والذي يعالج مشكلتي الإنتاج والتوزيع. ويعرِّفه اقتصاديو القرن العشرين بالعلم الذي يدرس سلوك الإنسان في حله للمشكلة

الاقتصادية. وقد حدد القرآن الكريم مدلول كلمة الاقتصاد في أكثر من آية تحديدًا دقيقًا متوازناً يدل على التوسط بين الإسراف والتقتير مع التحذير من مخاطرهما، في الوقت الذي اعتني فيه بتوزيع الثروات وبيان أصحابها وغير ذلك. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] وقوله تعالى ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

وانطلاقاً من هذه الأسس القرآنية الكريمة يعرف الدكتور محمد أحمد صقر الاقتصاد الإسلامي بأنه «العلم الذي يبحث في كيفية إدارة واستغلال الموارد الاقتصادية النادرة، لإنتاج أمثل ما يمكن إنتاجه من السلع والخدمات، لإشباع الحاجات الإنسانية - من متطلباتها المادية - التي تتسم بالوفرة والتنوع، في ظل إطار معين من القيم (الإسلامية) والتقاليد والتطلعات الحضارية للمجتمع. وهو، أيضًا، العلم الذي يبحث في الطريقة التي يوزع بها هذا الناتج الاقتصادي بين المشتركين في العملية الإنتاجية بصورة مباشرة (وغير المشتركين بصورة مباشرة في ظل الإطار الحضاري نفسه) **الاقتصاد الإسلامي مفاهيم ومرتكزات** ص٢٦ نقلاً عن **مبادىء الاقتصاد الإسلامي** للأستاذ/ محمود بن إبراهيم الخطيب ص١٣.

ويؤكد الأستاذ محمود بن إبراهيم الخطيب في كتابه **مبادىء الاقتصاد الإسلامي** أن ظهور الاقتصاد الإسلامي مرتبط بظهور الإسلام نفسه، إذ وضع الإسلام نظامًا شاملاً متكاملاً متوازنًا للحياة جمع فيها بين النواحي المادية والروحية التي تحض على تحكيم الأخلاق والقيم الإسلامية في النواحي الاقتصادية قبل تحكيم المادة، وعليه فإن دعوة الإسلام إلى الطيبات من الرزق تواكبها الدعوة إلى الطيب من الإنتاج، والطيب من الثمن، وذلك بعكس التشريعات الوضعية التي تستبعد ربط الأخلاق - راجع الأخلاق - والقيم بالاقتصاد.

وقديماً كُتب في قضايا الاقتصاد الإسلامي العديد من الدراسات، المبثوثة في ثنايا كتب الفقه مثل: كتاب **الكافي** في فقه أهل المدينة المالكي لابن عبدالبر القرطبي، أو **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** في الفقه الحنفي للكاساني، ومنها كتاب **الأم** للإمام الشافعي وكتاب **المغني** في الفقه الحنبلي للموفق بن قدامة المقدسي، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الاقتصادية المتخصصة نذكر منها: كتاب الخراج لأبي يوسف، وكتاب الخراج

ليحيى بن آدم، وكتاب الأموال لأبي عبيدالقاسم بن سلام، وكتاب **الأموال** لابن زنجويه، هذا بالإضافة إلى مقدمة ابن خلدون التي يقول عنها الأستاذ الخطيب «مقدمة ابن خلدون التي ظهرت سنة ٨٧٤ هـ والتي سبقت آدم سميث (أبو الاقتصاد حسب الزعم الغربي) بخمسة قرون فقد وضع آدم سميث كتابه ثروة الأمم عام ١٧٧٦م، الذي يعد صورة مشوهة **لمقدمة ابن خلدون**، فقد بحث ابن خلدون، في مقومات الحضارة ونشوئها، وإنتاج الثروة وصور النشاط الاقتصادي المختلفة، ونظريات القيمة وتوزيع السكان، وأنه لا يختلف الكتابان إلا اختلافًا بيئيًّا وزمنيًّا. اهـ. من مبادىء الاقتصاد الإسلامي ص ١٥.

الاقتصاد الحر: هو النظام الاقتصادي القائم على الحرية* المطلقة والملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ومبدأ المنافسة والمبادرة الذاتية. وقد ارتبط هذا النظام ارتباطًا وثيقًا بنشوء الرأسمالية، وإن كان موجودًا قبلها، وهو المذهب* السائد في أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. بينما الاقتصاد في الإسلام مبني على الحرية الاقتصادية المقيدة بحدود الحلال والحرام. على أن هذه القيود لا تتعلق بتحديد سقف أعلى للملكية، وإنما تتعلق بكيفية الحصول عليها، بالإضافة إلى اعتبار الملكية الاقتصادية المزدوجة. ولذا فهو وسط بين الرأسمالية حيث تطلقها للأفراد، وبين الاشتراكية حيث تسلبها، فالإسلام أقر الملكية الفردية وحق التصرف فيها والانتفاع بها، كما أقر الملكية العامة وأوجدها مثل المساجد والأوقاف المختلفة والحمى بالإضافة إلى الحاجات الأساسية من الماء والكلأ والنار، والزكاة والخراج والجزية والخمس من المغنم والركاز .. والركن الثالث للاقتصاد في الإسلام هو تحقيق التكافل بين أفراد المجتمع المسلم، بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ولا يؤدي الحرص على مصلحة الجماعة إلىٰ تضييع حق الفرد.

الأقطاب: أحد مراتب الترتيب الطبقي للأولياء* عند الصوفية ويعرِّفها مؤسس التيجانية: «أنها الخلافة عن الحق مطلقًا فلا يصل إلى الخلق شيء من الحق [الله] إلا بحكم القطب».

ويرى السهروردي أن الأقطاب أو الأئمة هم الدعائم التي يقوم عليها صرح الوجود، وهم الواسطة بين عالم الأمر وعالم الخلق.

ويزعم بعضهم أن عدد الأقطاب سبعة على عدد القارات السبع لحفظها، والقطب لا يقوم مقامه أحد، فهو الروح المصطفوي الذي يسري في الكون سريان الروح في الجسد. والأقطاب على نوعين:

١ـ نوع ظاهر مسؤول له مقاليد الأمور السياسية، فيصبح عصره نورانيًا أي عصر ازدهار وتقدم.

٢ـ نوع آخر خفي غير مسؤول، خامل الذكر ليس له أي تأثير في الشؤون الزمانية، وعند ذلك تخلو الأرض من التدبير الإلهي، وتغلب عليها الظلمات أي التأخر والانحطاط. ويستخلف القطب بدلاً [أحد الأبدال*] عنه حال موته. وأكبر الأقطاب «قطب الأقطاب» يعرف بالغوث الأكبر، والذي يعرفه ابن عربي بأنه عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل، عليه السلام، ويزيد القاشاني صاحب **معجم اصطلاحات الصوفية**: بأنه لا يكون إلا لورثة النبي*، ﷺ، حيث إن ختم الولاية* يكون باطن النبوة. ويدل هذا المعنى دلالة قوية على مذهب* متفلسفة الصوفية أو صوفية الفلاسفة بشأن الحقيقة المحمدية، باعتبار أن النبي محمد ﷺ عندهم هو المخلوق الأول الذي خلقه الله تعالى، وكان واسطة لكل ما في العالم من الكائنات الروحية والمادية والتي ما خلقت إلا لأجله في زعمهم. ويورد صاحب **ألفاظ الصوفية ومعانيها** بأن للغوث نائبين وهما مساعدا الغوث ونائباه في أمور الحكومة الباطنية، ولهما وجود فعلي في الدنيا، ولا يصح أن يعلم بهما أحد على الإطلاق، وهما اللذان يحفظ بهما الله عالم الغيب والشهادة.

ولا يخفى على العاقل ما في اعتقاداتهم هذه من الشرك والبهتان العظيم.

الأكليروس: هو النظام الكهنوتي الخاص بالكنائس* النصرانية، ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي متأثرًا بالرتب الكهنوتية عند الجماعات الوثنية* ، وكذلك بالنظم اليهودية، مستخدمًا نفس الألقاب والأسماء للرتب حسب لغاتها الأصلية مثل: بربسبيتروس أي شيخ، وأيبسكوس بمعنى مشرف، ودياكونوس أي خادم وهكذا، ثم ما لبثت أن تطورت هذه الألقاب في القرون التالية إلى أن أخذت الأسماء المعروفة مثل: قس* وأسقف* وشماس*.

وللكهنوت في الكنيسة* ثلاث درجات هي: الأسقف والقس والشماس، وهناك

درجات أخرى هي: المطران* والخوري والقمص والقارىء والراهب.

تتفق الكنيسة الكاثوليكية مع الكنائس الأرثوذكسية في درجات النظام الكهنوتي، إلا أن البابا في الكنيسة الكاثوليكية يتمتع بسلطات أعلى من نظيره في الكنيسة الأرثوذكسية. أما البروتستانت فلا يعترفون إلا بدرجتين فقط من درجات هذا النظام وهما: القس، الشماس. كما يرفضون تميز أشخاص معينين بسلطات خاصة، إذ يعتقدون أن الجميع عندهم متساوون في الحقوق، لأن المسيح* جعل الكل إخوة. كما يختلف رجال الأكليروس في الكنيسة الكاثوليكية عنهم في الكنيسة البروتستانتية، إذ يمتنع رجال الأكليروس في الكنيسة الكاثوليكية عن الحقوق الزوجية التي يترتب على مخالفتها العقوبات الصارمة، بينما لا تعترف الكنيسة البروتستانتية بذلك. أما في الكنيسة الأرثوذكسية القبطية فيحظر على البطريرك والراهب فقط الزواج.

الإلحاد: هو إنكار وجود الله، أو الميل بنصوص الكتاب والسنة عن الحق الثابت لها، كالإلحاد في الآيات الشرعية مثل تسميته تعالى بما لا يليق كتسمية النصارى له أبًا*، أو تسمية الفلاسفة إياه بالعلة الفاعلة، ومن الإلحاد، أيضًا، تسمية بعض المخلوقين باسمه تعالى كتسمية اللات من الإله*، أو وصف الله تعالى بما يتنزه عنه كقول اليهود (الله فقير)، أو تعطيل* أسمائه وصفاته عن معانيها وجحد حقائقها كمن يجعل أسماءه تعالى علات محضة لا تدل على الكمال، أو تشبيه الخالق بالمخلوق ذاتًا وصفاتٍ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. ويأتي الإلحاد، أيضًا، بنسبة الآيات الكونية إلى غير خالقها سبحانه ـ الدهريون ـ كنسبة نزول المطر للنجم، مثلاً، أو التكذيب بالبعث والجنة والنار ـ الطبيعيون ـ، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط. فالإلحاد هو الكفر* بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد. ويمثل الإلحاد اليوم ظاهرة عالمية إذ ينص عليه في كل الدساتير الأوربية أو الأمريكية باسم «العلمانية» تارة أو «اللادينية» تارة أخرى، وأصبح له دول وحكومات تدافع عنه كما في دول أوربا الشرقية وروسيا والصين.

وأول ظهور للإلحاد بهذا المعنى كان في القرنين الأخيرين ردة فعل للفساد العقدي والأخلاقي للكنيسة* الأوربية وظهور المذهب* الرأسمالي واستغلاله لطبقة العمال وتأييد الكنيسة له باسم الدين*، وقد تلا ذلك ظهور المذاهب الإلحادية وبخاصة الشيوعية والتي زاد نفوذها بزيادة نفوذ العلم والظن بأن امتلاك أوربا لناصيته، وبروز الاتحاد السوفيتي قوة عظيمة كان نتيجة لتنحية الدين* ورفعه للإلحاد بديلاً له. وهذا ما سبب الكثير من الأمراض النفسية، وظهور الأنانية التي أثرت على الأسرة والمجتمع على حدٍ سواء، ومن آثار ذلك زيادة الإجرام السياسي وظهور القسوة في معاملة الشعوب، مع امتلاك الأسلحة الفتاكة والذرية واستخدامها دون رحمة ولا خوف من الجزاء، مما دفع الناس إلى العقد النفسية والأمراض العصبية والانحراف واللجوء إلى المخدرات والمسكرات.

الإله: الإله عند أهل السنة والجماعة* يعني المحبوب والمعبود بحق الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له وتذل له، وتخافه وترجوه وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده رب العالمين صاحب الملك والأمر، صاحب الأسماء الحسنى، الموصوف بصفات الكمال العليا المعلومة معانيها كما أثبتها لنفسه من غير تحريف* أو تعطيل* أو تمثيل* أو تكييف*، وكل من صرف أيًا من ذلك لغيره ـ سبحانه وتعالى ـ فقد ألّهه.

بينما الإله عند بعض فرق أهل الكلام يعني أنه القادر على الاختراع والخلق، وفي ذلك قلب لحقيقة معنى توحيد الألوهية إلى معنى توحيد الربوبية.

وإله الفلاسفة جعلوه علة نهائية أو قوة كامنة غير عاقلة ليست له صلة بالعالم، ومنها الخلق الذي جعلوه للعقول والأفلاك التي فاضت عنه، كما نزهوه عن العلم بالجزئيات الكائنة. بينما الإله في المفهوم الأفلاطوني هو الصانع وليس الخالق، وبينهما فرق كبير فالخالق الذي يوجد الشيء من العدم، بينما الصانع هو الذي يصنع الشيء من المادة الموجودة على مثال سابق. وعليه فإنه على حسب هذا المفهوم فإن الإله لم يبدع خلق الكون بل نظمه وصوره على ما هو ثابت في عالم المثل الأزلي. ولذلك فإن الرب عند أرسطو

وأتباعه يسمىٰ عقلاً وجوهرًا، وأنه لا يعلم شيئًا سوى نفسه ولا يريد شيئًا، ولذا يسمونه بالمبدأ والعلة الأولى. والإله أو العقل* عند الرواقيين* هو النار المبثوثة في كل جزء من أجزاء العالم، فهي جوهر العالم ومنها خلقت جميع المخلوقات، وذلك متابعة لهيراقليطس.

ودعت الفلسفة الوجودية ـ اتباعًا لفلسفة أبيقور ـ إلى إنكار الآلهة والبعث، بل دعوا إلى تأليه الذات الإنسانية. بينما دعت الفلسفات* المادية* إلى تأليه الطبيعة* على أن المادة أصل كل شيء، إلا أن النظريات العلمية الحديثة وجهت ضربة قاصمة للماديين بإثباتها قابلية الذرة للتجزؤ وتحولها إلى طاقة.

والإله عند المجتمعات الوثنية* سواء اليونانية أو المصرية القديمة أو عند مجتمعات الهنود والصين والفرس آلهة وثنية* متعددة بتعدد وظائفها. فهناك إله الآلهة جوبيتر عند اليونان، وآمون عند المصريين، وبرهما* عند الهنود. وهناك آلهة الحب والجمال والخير والشر والقتال والشمس والخلق والمعرفة والصناعة، وقد جعلوا لهم أسماء وصفات بشرية من الأكل والشرب والغضب والألم والخيانة والحسد والحقد، كما ألهوا الملوك لاعتقاد أنهم من نسل الآلهة كما عند اليابانيين وغيرهم.

ولا ترتفع التصورات اليهودية بعد الانحراف عن التوحيد الصحيح عن تلك التصورات الوثنية*، فجعلوا العجل لهم إلهًا كما سوَّل لهم السامري، وشبهوا الله تعالى بصفات المخلوقين فنسبوا له الولد والجهل والحزن والخيانة والندم والبكاء والهزل واللعب. أما عند النصارى فانحرف تصورهم إلى التصورات الوثنية في البوذية والهندوسية، إذ جعلوا له ثلاث خصائص فهو الإله الأب* وهو الإله الابن* وهو الإله الروح القدس*، ونسبوا له الولد كفرًا وعدوانًا.

إلياذة: إحدى ملحمتي هوميروس وتقع في ٢٤ جزءًا تتناول حروب طروادة بين اليونان وطروادة، والخلاف بين أجاممنون قائد الحملة اليونانية، وأخيل أشجع أبطال اليونان، مما أدى إلى تدخل صديقه باتروكلوس الذي حارب بدلاً من أخيل، وارتدى درعه وقتل على يد هكتور. ثم يصفح أخيل عن قائد الحملة اليونانية، وينتقم من هكتور ويقتله، وتنتهي بانتصار اليونان على طروادة بعد دخولهم إليها بحيلة «حصان طروادة». وتعد الإلياذة والأوديسة* أشهر القصائد الملحمية التي أصبحت نموذجًا يحتذى به في الشعر الملحمي.

الإمبريالية: راجع الاستعمار

الأمم المتحدة: منظمة دولية أنشئت عقب الحرب العالمية الثانية لتحل محل عصبة الأمم، ومقرها الدائم نيويورك منذ ١٩٥٢م، وتقوم فلسفتها على فكرة إقامة الحكومة العالمية التي سبق أن نادى بها فلاسفة اليونان القدامى، والتي تابعهم عليها إخوان الصفا والفارابي من الفلاسفة المسلمين، وقد عادت للظهور مرة أخرى في أدبيات الحركة الفكرية الغربية على أثر ظهور القوميات، وبرزت في شكل الكونسرت الأوربي الذي ظهر بعد مؤتمر شاتيون في فبراير ١٨١٤م، كما ظهرت الدعوة لإقامة الحكومة العالمية بشكل واضح في دعاوى البهائية. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وفشل عصبة الأمم في منع الحروب، تبنت الولايات المتحدة الأمريكية فكرة إقامة تنظيم دولي جديد يعمل على حفظ السلام والأمن الدوليين، بالإضافة إلى تحقيق التعاون الدولي في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفق عدد من المبادىء منها:

١ـ المساواة بين الدول.

٢ـ تنفيذ الالتزامات الدولية.

٣ـ فض المنازعات الدولية بالطرق السلمية.

٤ـ عدم استعمال القوة في العلاقات الدولية.

٥ـ الامتناع عن مساعدة أية دولة يتخذ إزاءها عمل من أعمال القمع.

والجدير بالذكر أنه قد وضع الاتحاد السوفيتي وبريطانيا والصين والولايات المتحدة الأمريكية ميثاق الأمم المتحدة في مؤتمر دومبارتين أوكس في سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٤٤م، إذ كان أول اجتماع دعت إليه في أول مارس عام ١٩٤٥م، وحضره مندوبو ٥١ دولة، وعقد في مدينة سان فرانسيسكو. والأجهزة الرئيسية للأمم المتحدة هي:

الجمعية العامة: وتمثَّل فيها جميع الدول الأعضاء، وتعقد دورة سنوية تبدأ يوم الثالث من شهر سبتمبر، ولها أن تعقد دورات استثنائية عند الضرورة.

مجلس الأمن: الذي يتألف من خمسة أعضاء دائمين: الاتحاد السوفيتي، بريطانيا، الصين، فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية، وعشرة أعضاء غير دائمين يتم اختيارهم مرة

كل عامين، ولكل عضو دائم حق الفيتو (الاعتراض) عند التصويت ليمنع المجلس من إصدار القرار، ولمجلس الأمن الحق في استعمال القوة مع أي دولة تعمل على تهديد السلم من وجهة نظره. وبقية الأجهزة هي:

الأمانة العامة، والمجلس الاقتصادي الاجتماعي، ومجلس الوصايا ومحكمة العدل الدولية. كما انبثق عن الأمم المتحدة عدد من المنظمات التي تعنى بالصحة والثقافة مثل: منظمة الصحة العالمية واليونسكو بالإضافة إلى ١٥٠ منظمة ولجنة وهيئة مبعثرة في جميع أنحاء العالم، تحت مسميات مختلفة. وتحسن الإشارة هنا إلى تغلغل اليهود والبهائيين في مختلف المناصب الحساسة لتلك المنظمات والهيئات التابعة، مما أفقد الأمم المتحدة ومنظماتها حيادها تجاه القضايا الإسلامية المختلفة، وما قضية فلسطين ولا البوسنة وكشمير عنا ببعيد، أضف إلى ذلك اكتشاف بؤر عديدة للفساد وتبديد الأموال داخل أروقة الأمم المتحدة، ولذلك يقول تشارلز ليشنتشتاين السفير الأمريكي الأسبق لدى المنظمة الدولية: إن الأمم المتحدة قطار يجري خارج نطاق السيطرة تماماً تقريباً.

الأمميون: هي الترجمة العربية للكلمة العبرية «الجويم» وهي أحد المصطلحات* التي يطلقها اليهود على غير اليهودي، وتعني عندهم الكفرة، والوثنيين*، والأنجاس، والحيوانات.

وقد صوَّر القرآن الكريم هذه التفرقة بقوله ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥]، أي أنهم غير ملزمين بأية شريعة في معاملة غيرهم، فلهم قتل غير اليهودي وسرقة ماله وانتهاك عرضه.

أمير المؤمنين: لقب للحاكم المسلم، وأول من لقب به عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، منعًا لتكرار كلمة خليفة، فقد كانوا ينادونه: خليفة خليفة رسول الله، ﷺ، وبقي لقب أمير المؤمنين سائدًا طوال عهد الأمويين. وفي الصدر الأول من أيام العباسيين، إذ كان يتولى الخلفاء بأنفسهم إمامة المسلمين، وحذا حذوهم الفاطميون.

وفي المغرب الإسلامي اتخذ لقب أمير المؤمنين بنو رستم وبنو حماد، والموحدون

وبنو حفص، والمرينيون وأشراف المغرب، وقد انتهى هذا اللقب شكلاً.

الأنثروبولوجيا «علم الإنسان»: ويدرس أصل النوع الإنساني وكل الظواهر المتعلقة به، كما يدرس الثقافة. وتنقسم الأنثروبولوجيا إلى فرعين كبيرين هما: الأنثروبولوجيا الطبيعية والأنثروبولوجيا الثقافية. وتشمل الأنثروبولوجيا الثقافية: الأركيولوجيا، وهي دراسة الثقافات البائدة، والأنثولوجيا التي تهتم بدراسة الأجناس البشرية سواء الموجودة الآن، أو التي اختفت من عهد قريب، كما تهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية في المجتمع البدائي، وتنتهج في ذلك منهجًا تاريخيًا بقصد التعرف على نشأة الظاهرة أو النظام بتتبع المراحل المختلفة التي مر بها. بينما تتناول الأنثروبولوجيا الطبيعية: دراسة المشكلات الخاصة بالتطور الإنساني، والبانثولوجيا «علم الإنسان القديم» ودراسة الأجناس البشرية، وتكوين جسم الإنسان. ومع أن الإسلام دين العلم الصحيح ويشجع عليه، إلا أن من ضمن تفسيرات علم الأجناس ما يرفضه الإسلام مثل اعتقادهم أن التوحيد تطور عن أصول وثنية* ، واحتمال وجود أكثر من سلالة بشرية بدأت في مناطق ومراحل مختلفة، فالواضح إسلاميًا أن الأصل كان التوحيد ثم طرأ الشرك على المجتمعات، كما أن أصل الإنسان واحد كما بيّن ذلك القرآن الكريم، يقول ابن عباس: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد ثم نشأ فيهم الشرك فبعث الله إليهم نوحًا»[١].

الإنجيل: كلمة معرَّبة من الكلمة اليونانية* «إفاجيلويون» ومعناها البشارة بالخير أو بالخبر السار والمفرح، واللفظ الدال على الإنجيل gospel وهو في الإنجليزية القديمة goaspel أي أخبار طيبة. والإنجيل كتاب أنزله الله تعالى على عيسى ابن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة يقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦] وقد وردت كلمة إنجيل في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة. وبعد رفع المسيح* وضياع الإنجيل الرباني المنزَّل عليه كتبت أناجيل كثيرة زادت على المائة فاختارت الكنيسة* منها أربعة وهي المقصودة بكلمة الإنجيل عند النصارى* الآن. وهذه الأناجيل هي «متى،

(١) البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس.

ومرقس، ولوقا، ويوحنا» ويشير بولس الرجل الأول في النصرانية المحرفة بعد المسيح، عليه الصلاة والسلام، إلى أنه في العهود الأولى للنصرانية وجدت أناجيل كثيرة، ففي رسالته إلى أهل غلاطية الإصحاح ١/ ٦: «إنني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر» بزعم أن ما يدعو إليه هو إنجيل المسيح!!! كما يطلق الإنجيل مجازًا على العهد الجديد* الذي يشتمل على هذه الأناجيل* والرسائل الملحقة به التي في قبولها خلاف كبير بين الكنائس* النصرانية.

تعرض الإنجيل (العهد الجديد) كما تعرض العهد القديم* للعديد من الدراسات النقدية من علماء اللاهوت النصارى، ومن علماء المسلمين على حد سواء، لتثبت الدراسات انقطاع أسانيده فضلاً عن وقوع كُتّابه في الكثير من التناقضات، بالإضافة إلى ركاكة الأسلوب، مما يفقد نصوصه مصداقية صلتها بالوحي*، وهذا ما يؤكد، أيضًا، عدم صلة أناجيل العهد الجديد الحالي بإنجيل عيسى، عليه الصلاة والسلام، وأنها عبارة عن آراء وأفكار كاتبيها مختلطة بما تبقى من الإنجيل الأول. يقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، على ما بينا في مبحث النصرانية من قبل. ويبقى الحكم والتفريق بين مافي الأناجيل من تحريف وتنزيل راجعًا إلى القرآن الكريم المحفوظ إلى يوم القيامة، المنزه عن التحريف والتبديل يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وعلى ذلك فكل ما وافق القرآن الكريم من نصوص الأناجيل والتوراة فذلك حق، وكل ما خالفها فذلك باطل وتحريف وتزييف. ويدلل الكثير من النقاد على أن أقرب هذه الأناجيل إلى إنجيل عيسى، عليه الصلاة والسلام، هو إنجيل برنابا الذي يرفضه النصارى.

أهل السنة والجماعة: أهل السنة والجماعة هم الذين على هدي الرسول، ﷺ، وأصحابه علمًا واعتقادًا وقولاً وعملاً وأدبًا وسلوكًا، وهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة، وعلى أئمتهم وأئمة الهُدى المتبعين لهم، وكل من سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل والسلوك إلى يوم

الدين، مثل الأئمة الأربعة، وسفيان الثوري، وابن عيينة، والأوزاعي، وابن المبارك، وابن تيمية، وابن القيم ومن سار على دربهم، وهم الذين استقاموا على الاتباع وجانبوا الابتداع في كل مكان وزمان، فهم باقون ظاهرون منصورون إلى يوم القيامة، قال ابن حزم في **الفصل** «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ـ ومن عداهم فأهل البدعة ـ فأهل الحق هم: الصحابة رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم» ج ٢ ص ١١٣. كما يطلق عليهم السلف الصالح، وأهل الحديث، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وأهل الاتباع، وأهل الجماعة، وبهذا المعنى الخاص فإن مصطلح أهل السنة والجماعة يرادف مصطلح السلفية* الذي نشأ عندما تنازعت الفرق الكلامية وأهل الأهواء مصطلح أهل السنة وتسموا بـ «الخلفية» فبرز مصطلح السلفية للتمييز والدلالة على المتمسكين بالأمر الأول ـ انظر السلفية ـ.

وبالمعنى العام يدخل في أهل السنة والجماعة كل من ليس برافضي. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ «لأن الرافضة هم المشهورون عندهم بمخالفة السنة فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي، فإذا قال أحدهم: أنا سني فإنما معناه: لست رافضيًا» **مجموع الفتاوى** ٣/ ٣٥٦ ويزيد ـ يرحمه الله تعالى ـ الأمر تفصيلاً في **منهاج السنة النبوية** فيقول: «فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به: أهل الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة» ٢/ ١٦٣، وبذلك يندرج تحت المعنى العام الأشاعرة والماتريدية. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في **نقض التأسيس** عن الأشاعرة: «فإنهم أقرب أهل الكلام إلى السنة والجماعة، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم». فهم أهل السنة فيما وافقوهم فيه، وهو في الأوائل فيهم أكثر من متأخريهم، حيث خرج كثير منهم عن قول الأشعري نفسه إلى قول المعتزلة أو

الجهمية أو الفلاسفة على ما بينا في مبحث الأشاعرة بالموسوعة.

وقد ظهرت في العصر الحديث أقوال تشوش على حقيقة مفهوم أهل السنة والجماعة مثل: أنها فرقة من الفرق، أو مذهب* طارىء محدث نشأ خلال التاريخ الإسلامي كما يزعم الدكتور زكي نجيب محمود، والدكتور مصطفى الشكعة بقوله في إسلام بلا مذاهب «إن تسمية جمهرة المسلمين بأهل السنة متأخرة ترجع إلى القرن السابع الهجري» وقد تابعهم غيرهم في الزعم فقالوا بأن مؤسس مذهب أهل السنة والجماعة هو الإمام أحمد بن حنبل أو الإمام أبو الحسن الأشعري أو شيخ الإسلام ابن تيمية أو الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ـ يرحمهم الله جميعًا ورضي عنهم. والحق كما يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية. أن مذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، وأنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، وإنما اشتهرت التسمية به عندما ظهر الابتداع، فأطلقت السنة مقابل البدعة، والجماعة مقابل الافتراق، وتكفير* المسلمين بالذنوب والخروج بالسيف على أئمتهم أئمة الحق. وهذه بعض آثار سلفية تدحض مزاعم المشوشين على تاريخ المصطلح. أخرج اللالكائي ت ٤١٨هـ بسنده: عن ابن عباس في **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمرة: ١٠٦] قال ابن عباس: «فأما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم: فأهل البدع والضلالة» ١/ ٧٢ رقم ٧٥، وأورد عن أيوب السختياني ٦٨ـ١٣١هـ قوله: «إني أخبر بموت رجل من أهل السنة كأني أفقد بعض أعضائي» ١/ ٦٠ رقم ٢٩، وكذلك عن سفيان الثوري ت ١٦١هـ قوله: «استوصوا بأهل السنة خيرًا فإنهم غرباء» ١/ ٦٤ رقم ٤٩ وقوله: «ما أقل أهل السنة والجماعة» ١/ ٦٤ رقم ٥٠ .

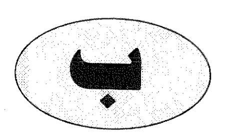
الأوتاد: مرتبة من المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء* عند الصوفية، ويرى بعض أئمة الصوفية كابن عربي أن الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة لا خامس لهم، وهم أخص من الأبدال*، والإمام أخص منهم، والقطب* أخص الجماعة.

ويرى الحكيم الترمذي أن الأوتاد واحد في اليمن، وواحد في الشام، وواحد في المشرق، وواحد في المغرب، والله سبحانه وتعالى يدير القطب في الآفاق الأربعة من أرجاء الدنيا، كدوران الفلق في أفق السماء. ويزعم بعضهم أنهم يمثلون عيسى وإدريس وموسى وهارون والخضر، عليهم الصلاة والسلام، على أنهم وزراء الغوث ومساعدوه في أمور الحكومة الباطنية، ويحفظ الله بهم الجهات الأربع: الجنوب والشمال والشرق والغرب.

الأوديسة: إحدى ملحمتي هوميروس (الأخرى الإلياذة*) والتي تحكي عن محاولة تليماخوس البحث عن أبيه أوديسيوس وعثوره عليه، ومحاولتهما الانتقام من الخُطّاب الذين ضايقوا بيلوبا في غياب زوجها، ثم يسترد الأب حكمه ويعيش آمنًا في وطنه. وقد جاء فيها ذكر لشعب خرافي يسكن شمال أفريقيا، ويعيش على أكل زهور اللوتس التي تسبب النسيان والتراخي، فأكل جنود أوديسيوس هذا الطعام فنسوا أصدقاءهم وبلادهم مما اضطرهم إلى سحبهم إلى السفينة والعودة بهم إلى بلادهم. وعلى الرغم من أن الأوديسة والإلياذة هما عملان أدبيان رائعان إلا أنهما حوتا الكثير من الأساطير والخرافات المبنية على الشرك والوثنية*.

أيديولوجية: مصطلح لاتيني الأصل استخدمه لأول مرة الفيلسوف الفرنسي دي تراسي في مطلع القرن التاسع عشر بمعنى «علم الأفكار» بصفته مقابلاً للمحسوس وربما مناقض له ويراد به، أيضًا، العلم الذي يهتم بدراسة الأفكار والآراء والتصورات من حيث أصولها ونشأتها وخصائصها وأشكالها وقوانينها وعلاقاتها بالعلامات والألفاظ الدالة عليها. وعرفها بعض الباحثين: بأنها ما يذهب إليه الدين* في شؤون الوجود والكون والإنسان والحياة.

واستخدمه ماركس بمعنى مجموعة الأفكار والمعتقدات، دون الواقع الحي، التي تسود مجتمعًا ما بفعل الظروف الاقتصادية والسياسية القاهرة. وتطور مفهوم المصطلح على أيدي علماء الاجتماع بمفاهيم مختلفة، إلا أنه يمكن تعريف الأيدلوجية على أساس أنها نتاج عملية تكوين نسق فكري عام يفسر الطبيعة* والمجتمع والفرد، مما يحدد موقفًا فكريًا وعمليًا معينًا لمعتنق هذا النسق الذي يربط ويكامل بين الأفكار في مختلف الميادين السياسية والأخلاقية* والفلسفية.



البابا: كلمة مشتقة من الكلمة القبطية بي أبا أي البابا أو الأب، هو الرئيس الأول في الديانة النصرانية الكاثوليكية، وكان في بادىء الأمر يسمونه البطريرك* ، وأول من تسمى بالبطريرك هو حنانيا تلميذ مرقس الإنجيلي، وكان الأساقفة* يدعون البطريرك* بالأب، تعظيمًا له، فاشتبه الأمر عليهم في العصور المتقدمة، وأرادوا أن يميزوا بين البطريرك والأسقف، فدعوا البطريرك بابا، ومعناه أبو الآباء. أول ظهور لهذا اللقب كان في مصر، ثم نقل إلى صاحب كرسي بطرس الرسول في روما، وفي سنة ١٠٨١م قرر المجتمع اللاتراني بأن مطران روما له السلطة التامة على سائر المطارنة، وهو وحده يحمل لقب البابا الذي معناه المطران العام وفي سنة ١٨٧٠م قرر المجمع الفاتيكاني عصمة البابا من الخطأ. ولا تعترف له طائفتا البروتستانت والأرثوذكس بمنصب البابوية ولا سلطته الروحية على سائر الكنائس.

الباطنية: هي تلك الفرقة المتسترة بالتشيُّع وحب آل البيت للوصول إلى الناس مع إبطان الكفر* المحض، وقد خلطت بين التصوف والفلسفة* ، وسميت بذلك؛ لأنها ترى أن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلاً. ويقصد بالظاهر ما جاء به محمد، ﷺ، ويسمى بالتنزيل، ويقصد بالباطن علم التأويل* الخاص بعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لب الدعوة عندهم، ولذلك فمن عرف عندهم معنى العبادة سقط عنه فرضها ـ راجع إسقاط التكاليف ـ.

يقول البغدادي في **الفرق بين الفرق** «ذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين* الباطنية كانوا من أولاد المجوس* ، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم . . . منهم من صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا* آيات القرآن وسنة النبي، * ﷺ، على موافقة أسسهم». ويقول «فقد ذهب أكثر المتكلمين إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس». ـ راجع المجوس ـ.

ويذكر بعض المؤرخين أن أقدم دعاة الباطنية هو ميمون بن ديصان اليهودي الذي أسلم عام ١٧٦هـ رغبة منه في إفساد عقيدة المسلمين، فجعل لكل آية تفسيرًا، ولكل حديث

تأويلاً، بل ذهب إلى أن الفرائض والسنن رموز وإشارات.

يقول الإمام الشاطبي في **الاعتصام**: «إن اعتماد فعل هذه الفرق على التأويل* إنما أرادوا به ضرب شوكة الإسلام في تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم» ج ٢ ص ٦٨. وأورد صاحب كتاب **المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة** ـ يوسف الصديق ـ أن الباطنية «كلمة حديثة من اليونانية eso أي (من الداخل)، وتدل على المذاهب أو المدارس الفكرية التي كانت عند الإغريق تبث المعرفة في حدود قلة من الطلاب وداخل هيئة سرية أو شبه سرية (فيثاغورس، مثلاً)».

البداء: هي إحدى العقائد التي وضعها أئمة الرافضة* لشيعتهم حتى لا يظهر على أئمتهم كذب أبدًا، وتعني تغيير الإرادة، وتبديل العزم تبعًا لتغير العلم. وهي بهذا المعنى إن نسبت إلى الله ـ تعالى ـ تؤدي إلى الكفر*، فهي عقيدة يهودية ضالة وردت في نص التوراة* المحرَّفة، وانتقلت إلى السبئية*، ثم أخذ بها المختار بن أبي عبيدالله الثقفي، ثم انتقلت إلى الشيعة*.

ويعدد الشهرستاني في **الملل والنحل** صور البداء كالآتي:

١ـ **البداء في العلم**، وهو أن يظهر له خلاف ما علم.

٢ـ **البداء في الأمر**، وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك، ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة.

٣ـ **البداء في الإرادة**، وهو أن يظهر له الصواب على خلاف ما أراد وحكم.

البدعة: اختلف العلماء في تعريف البدعة اصطلاحًا إلى أقوال عديدة منها ما قاله الإمام الشاطبي ت ٧٩٠هـ في أن البدعة: «هي طريقة في الدين* مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه». وبهذا التعريف يمكن تقسيم البدعة إلى قسمين: قسم في العادات: كابتداع الآلات والمخترعات الحديثة، وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة إلا بنص.

وقسم آخر في الدين*: وقسمه العلماء تقسيمات مختلفة، فمنهم من قسمها إلى

واجب ومندوب ومباح ومكروه، ولا شك أن هذا باطل لمخالفته قول النبي،* ﷺ، «كل بدعة ضلالة»[١]، ومنهم من قسمها إلى عملية تتعلق بأعمال الجوارح، واعتقادية تتعلق بأعمال القلوب، وقد قسمها الإمام الشاطبي تقسيمًا يُعد جامعًا إلى:

بدعة حقيقية: وهي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع* ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل، مثل تحريم الحلال، أو تحليل الحرام، واختراع عبادة ما أنزل الله بها من سلطان، سواء بالزيادة أو بالنقص.

بدعة إضافية: وهي ما لها شائبتان إحداهما لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة، والأخرى ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية فهي سنة من وجه وبدعة من وجه آخر، مثل تخصيص أوقات بعينها لعبادة دون غيرها، مع أن تلك العبادة مندوبة في باقي الأوقات، كتخصيص يوم ما بكذا من الركعات على سبيل العادة.

وكان الجهل بأحكام الدين، واتباع الهوى، والتعصب للآراء والرجال، بالإضافة إلى التشبُّه بالكفار من أكبر أسباب انتشار البدع وظهورها. والبدع في الدين كلها مذمومة، وكلها حرام على القول الراجح لعموم قوله، ﷺ: «وكل بدعة ضلالة»[٢]، ولكنها تتفاوت في التحريم. فمنها ما هو كفر* متفق عليه، كبدع المنافقين وغلاة الجهمية* وبدعة العلمانية والديمقراطية وفصل الدين عن الدولة، ومنها ما هو كفر مختلف فيه، كبدع الخوارج* والقدرية*، ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل، ومنها ما هو مكروه، وبالتالي فإن عقوبة البدعة تكون بحسب حكم البدعة.

كما يحسن التفريق هنا بين البدعة الشرعية والسنة الحسنة ـ البدعة اللغوية ـ حيث إن السنة الحسنة عبارة عمن بدأ عمل شيء ورد في الشرع في موقفٍ ما أو بلدٍ ما فتبعه الناس عليه على عكس البدعة التي هي أمر محدث في الدين يقصد بها التقرب إلى الله تعالى، وأيضاً، بين البدعة والمعصية، فالمعصية أمر ورد في الدين وصفها بالسوء والذم والتحذير منها أما البدعة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٤٤) و أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وغيرهم عن العرباض بن سارية وصححه الألباني صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٢) انظر المرجع السابق.

من هذا القبيل فلم ترد في النصوص في مقام الذم ولا المدح مع اقترانها بقصد التقرب إلى الله تعالى، مع الأخذ في الاعتبار أن البدعة يأثم صاحبها على حسبها مثل المعصية تمامًا، وكذلك فإن بين البدعة والمصلحة المرسلة* فرقاً، وهو أن البدعة أمر جديد في الدين* والدنيا لم يشرعه الله، عز وجل، ولم يكن المقتضي لها موجودًا في زمن رسول الله، ﷺ، بينما المصلحة المرسلة هناك ضرورة اقتضتها للحفاظ على الضرورات الخمس (العقل*، الدين، النفس، المال، العرض) أو إحداها، مثال ذلك جمع القرآن الكريم بعد موت معظم حفظة كتاب الله تعالى. وتختلف عنها البدعة في هذا الجانب في أن المقتضي للبدعة كان موجودًا في زمن النبي، ﷺ، ومع ذلك لم يفعلها. ـ راجع المصلحة المرسلة ـ.

والمقصود بالبدعة عند النصارى كل ما استحدث من العقائد والأفعال والطقوس المخالفة لما عليه الفرقة ذاتها، ولذلك فإن كل فرقة من فرقهم ترمي غيرها بالابتداع إذا خالفتها في ذلك، وتسميها «هرطقة».

البراء: في المصطلح* الشرعي يعني: البعد عن الكفار، وترك مودتهم، والتخلص من مبادئهم وباطلهم، والإنذار لهم، ومقاطعتهم وبغضهم وبغض ما هم عليه من الكفر* والقبائح.

ويقتضي ذلك أمورًا منها:

ـ ترك اتباع أهوائهم ومتابعتهم في أي أمر من أمورهم.

ـ النهي عن التلقي عن الكفار في الرأي والمشورة، وعدم طاعتهم فيما يشيرون ويأمرون به.

ـ ترك الركون إلى الكفار والظالمين والطواغيت* والاطمئنان إليهم.

ـ ترك مودة أعداء الله ومحبتهم.

ـ ترك التشبه بالكفار في أفعالهم الظاهرة وفيما هو من خصائصهم؛ لأنها تورث نوعًا من المودة والمحبة الباطنة.

والبراء أحد لوازم ومقتضيات التوحيد، يقول ـ تعالى ـ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وهناك براء جزئي يكون للمبتدعة والعصاة كل حسب بدعته ومعصيته.

براهما: براهما اسم الإله* في اللغة السنسكريتية، وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته الذي لا تدركه الحواس إنما يدركه العقل*، فهو في اعتقادهم مصدر الكائنات كلهاالذي لا حد له، وهو الأصل الأزلي المستقل، الذي منه يستمد العالم وجوده ومن معاني براهما عندهم رب الصلاة (أي الذي لا توجه الصلاة إلا إليه).

البراهمية: هي الاسم الآخر للهندوكية، وهي نسبة إلى براهما* الذي يمثل عند الهندوك القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيرًا من العبادات: كقراءة الأدعية، وإنشاد الأناشيد، وتقديم القرابين والبراهمية مشتقة من البراهما لتكون علمًا على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، ولذا لا يجوز ذبح الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم.

البرجوازية: كلمة فرنسية الأصل أطلقت هذه الكلمة أصلاً على سكان بعض المدن الفرنسية، ثم أطلقت بعد ذلك على كل طبقة اجتماعية ارتبطت تاريخيًا من حيث نشأتها بالمدن أو القرى الكبيرة ذات الأسواق التجارية. على أن طبقة البرجوازية متميزة عن طبقتي العمال والنبلاء؛ لأنها ترمز إلى طبقة التجار وأصحاب الأعمال والمحلات العامة، ولقد قاومت البرجوازية الإقطاع وأصحاب «الحق الإلهي» في أوربا، وقامت على أنقاضهما وازدهرت مع ازدياد التجارة الدولية بين الشرق والغرب، على إثر الحروب الصليبية، وأفادت من الثورة الصناعية في تسلم زمام القيادة السياسية والاقتصادية في فرنسا، ومنها انتقلت إلى أوربا وازدهرت في القرن التاسع عشر، وأسهمت في إفراز الدولة القومية الحديثة، والديمقراطية الليبرالية* والبرلمانية*، إلى حانب الفاشية والنازية والإمبريالية الحديثة، وتطلق في الاشتراكية على أصحاب الطبقة الرأسمالية التي تملك وسائل الإنتاج، التي هي عندهم في صراع دائم مع طبقة العمال ـ البروليتاريا*، وفي القرن العشرين أصبحت طرق الحياة البرجوازية المثل الأعلى لجميع الطبقات في كل أنحاء العالم. وتطلق البرجوازية أحيانًا على كل روح خالية من صفات الإقدام، وحب المخاطرة والعزة والأنفة. ولا مكان

للصراع في الإسلام بين الطبقات، ولا وجود فيه لصراع العنصريات والقوميات، إذ الصراع فيه منحصر بين الحق والباطل والإيمان والكفر، هذا في الوقت الذي لا ينكر فيه الإسلام وجود الطبقات والفوارق الاجتماعية التي تعيش في ظل منهج* سماوي ونظام متكامل من لدن حكيم عليم، متميز بربانية المصدر والوجهة والغاية، وإنسانية الشريعة*، إذ تخاطب الإنسان وتكرمه وتوائم وتلائم بين الجانب الروحي والمادي فيه، وتوازن بين الحقوق والواجبات، فهو منهج* ونظام وسطي يتميز بالوضوح التام في الأصول والمعتقدات، والشرائع والغايات والأهداف، وأيضًا، في المناهج والطرق، ذلك كله مع الثبات على الأصول والكليات، والأهداف والغايات والمرونة في الفروع والجزئيات والأساليب والوسائل، ولذلك فهو منهج ونظام شامل يحقق الإخاء والعدل والمساواة بين الملتزمين به في كل زمان ومكان.

برلمان: اصطلاح استعمل في اللغتين الفرنسية والإنجليزية في القرن الثالث عشر، للإشارة إلى أي اجتماع للمناقشة. والكلمة مشتقة من الفعل الفرنسي "Parler" بمعنى يتكلم، كما أطلق الاصطلاح على المكان الذي كان ينعقد فيه الاجتماع، وأطلقت كلمة «برلمان» في اللغة الإنجليزية على الهيئة التشريعية العليا التي تتكون من مجلس العموم ومجلس اللوردات، وبحكم نفوذ الإنجليز في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، انتقلت التسمية والنظام إلى مناطق كثيرة أخرى من العالم. ووظيفة البرلمان في النظم السياسية البرلمانية هي تشريع وإقرار القوانين والميزانية، ومراقبة نشاط السلطة التنفيذية ومنحها الثقة أو حجبها عنها، والبرلمان هيئة ينتخبها الشعب لتمارس الوظيفة التشريعية نيابة عنه، ويتكون من مجلس واحد أو مجلسين، بينما نجد في الإسلام أن السلطة التشريعية حق خالص لله جلا وعلا بما شرع في كتابه أو على لسان رسول الله، ﷺ، وفيما عدا ذلك فهو عفو منه سبحانه وتعالى غير نسيان. وبالتالي فإنه يجوز الاجتهاد فيه على ضوء ضوابطه المعروفة ـ راجع الاجتهاد ـ.

وعلى ذلك فالتشريع في الإسلام له صورتان وهما:

١ـ إيجاد شرع جديد ولا يكون إلا لله تعالى بما شرع في كتابه أو على لسان رسوله محمد، ﷺ.

٢ـ بيان حكم تقتضيه شريعة قائمة، وهذا ما يسمى بالتشريع ابتناء لا استقلالاً.

ومن صور هذا النوع الثاني ـ التشريع ابتناء ـ:

(أ) التشريعات واللوائح التنظيمية، وذلك لتنظيم أمور الجماعة وحمايتها وسد حاجتها، وذلك فيما ليس فيه نص شرعي، وبما لا يخالف نصوص الشرع.

(ب) التشريعات واللوائح التنفيذية، بهدف تنفيذ النصوص الشرعية على أكمل وجه، وهناك يكون الالتزام بنصوص الشرع ومقاصده.

(جـ) التشريعات واللوائح المستقلة، فيما لا نص فيه، وهو ما يطلق عليه حق أولي الأمر في تقييد المباح. على أنه ينبغي التفريق بين ما ورد إباحته بنص شرعي، وبين ما هو خاضع للإباحة الأصلية باعتبار أن الأصل في الأشياء الإباحة، فيجري التقييد فيما لم يرد بإباحته نص شرعي.

وعلى ذلك نعلم أن السيادة في الإسلام للقرآن لا للبرلمان، وأن الشريعة هي التي تصنع الأمة، وأن الأمة هي التي تقيم الشريعة بعكس النظم البرلمانية. وأول ظهور للبرلمان كان في القرن الثالث عشر الميلادي فيما عرف بالمجلس الإقطاعي المسمى بالمجلس الكبير، الذي مر بتطورات متتابعة حتى تحول إلى أحد مجالس البرلمان الإنجليزي (مجلس اللوردات) ثم انقسم بعد ذلك إلى مجلسين: مجلس اللوردات ومجلس العموم الذي يضم ممثلي الشعب ـ انظر الديمقراطية النيابية ـ.

بروتوكولات حكماء صهيون: جمع بروتوكول، وهي كلمة مستعملة في المصطلح الدبلوماسي للوثائق الرسمية أو الاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة، ولكنها ليست معاهدة أو اتفاقًا رسميًّا، وإنما تعني أن هناك أمورًا قد تم عليها الاتفاق. **وبروتوكولات حكماء صهيون** اسم كتاب كثر حوله اللغط بين مشكك في صدق نسبته إلى اليهود، وبين مثبت لذلك. ويرى بعض المترجمين له ـ الدكتور إحسان حقي ـ أنها من صنع جماعة من اليهود، أو أنها من صنع وتأليف أحد اليهود الذي كتبها في صورة محاضرات أو بحوث، ثم تلقفها اليهود وتبنوها وصنعوا حولها الدعاية لترويجها، ولبثّ الرعب في قلوب مخالفيهم، إلا أنهم أحيانًا يتبرؤون منها. كما يعترض كذلك على صحة تسميتها بـ«بروتوكولات» لعدم مطابقتها للمعنى الدقيق للبروتوكولات، إذ وردت في الترجمة الفرنسية بعنوان «جلسات أو

اجتماعات»، بينما يرى الدكتور حسن ظاظا أنه لا يمكن تبرئة اليهود من البروتوكولات إلا من ناحية التبويب والصياغة فقط، حيث إنها أفكار يهودية مائة في المائة، وضعها وجهاء اليهود بلغات مختلفة خلال اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي الصهيوني عام ١٨٩٥م، واستطاعت مخابرات قيصر روسيا الحصول عليها ثم تسلمها أحد مطارنة* الكنيسة* الروسية الأرثوذكسية، وترجمها إلى اللغة الروسية، ومن ثم بوبها ورتبها ووضع لها عنوانًا **حقيراً يريد أن يكون عظيمًا**. وظهرت الطبعات الأولية من هذا الكتاب في روسيا باللغة الروسية سنتي ١٩٠١، ١٩٠٥م بعد سرقته من أحد المحافل الماسونية في فرنسا، ثم اختفت بعد ذلك عن الأنظار. ويوجد منها نسخة في المتحف البريطاني في لندن تحت رقم ١٧/٣٩٣٦ منذ عام ١٩٠٦م، ثم عادت للظهور في طبعات كثيرة بعد انهيار القيصرية الروسية على أيدي البلاشفة الروس، الذين كان بينهم عدد كبير من اليهود ممن كانوا وراء هذا الانهيار الذي بات يهدد المدنية النصرانية* ، وطبع الكتاب في لندن بعد ذلك بعنوان **الخطر اليهودي**.

وتحتوي هذه البروتوكولات على أربعة وعشرين بروتوكولاً، تتلخص في كيفية تدمير غير اليهود «الجويم» بنشر الرذائل والمنكرات بينهم، وإفساد الرأي العام من خلال افتعال الأزمات الاقتصادية والحروب الكونية، وإقامة المذاهب* والأفكار التي تمهد لإلغاء الديانات* غير اليهودية لإقامة مملكة اليهود العالمية، وتنصيب ملك اليهود المنتخب من الله في زعمهم.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية تحت عنوان **بروتوكولات حكماء صهيون** أكثر من مرة، ومن أشهرها ترجمة الأستاذ خليفة التونسي، والأستاذ عجاج نويهض والدكتور إحسان حقي.

البروليتارية: تعبير قانوني روماني يطلق على المواطن الذي ليست له صفة سوى إنجاب الذرية، وأطلقه المفكر الاشتراكي الخيالي سان سيمون على من لا يملكون نصيبًا من الثروة، ولا يتمتعون بأي ضمانات في الحياة. وقامت التنظيمات والنقابات البروليتارية رد فعل على ازدهار الطبقة البرجوازية* وبدعم من أصحاب النظريات الاشتراكية ـ راجع البرجوازية ـ وقد استخدمت النظرية الاشتراكية العلمية* «الماركسية» مفهوم البروليتاريا في إنشاء مجتمع الملكية

العامة اللاطبقي الذي ادعت إمكانية إنشائه، وكذبها الواقع والتاريخ في ذلك.

البطالة: مصطلح اقتصادي يعني تعطل الشخص عن العمل، وهناك أربعة أنواع من البطالة: موسمية وخصوصًا في الزراعة ـ وبطالة فنية تنشأ من إحلال الآلات محل الأيدي العاملة ـ وبطالة دورية ترجع إلى هبوط مستوى الطلب العام على السلع ـ وبطالة مقنعة، وفيها لا يكون الشخص عادة متعطلاً ولكن عمله لا يكون منتجًا إنتاجًا كافيًا، أو بحيث يقوم عدد من الأفراد بعمل يمكن أن يقوم به شخص واحد.

البطريرك: كلمة معرَّبة عن اليونانية معناها الأب الرئيس، ويطلقه النصارى على بعض الرؤساء الدينيين من القساوسة* والكهان* ويذكر عوض سمعان في كتابه **الكهنوت** ص ٣٣١، ٣٣٢ نقلاً عن **اللآلىء النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة** أن لفظ البطريك لم يعرف قبل القرن الثالث الميلادي، إذ انتخب أساقفة كل قطر رئيسًا لهم دعي «رئيس الأساقفة» وبعضهم سمى نفسه بطريركًا أي رئيس العشيرة، وهو نفس اللقب الذي كان يطلق على نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب قبل اليهودية، هذا في الوقت الذي دعا آخر نفسه بابا بدلاً من بطريركًا أي بمعنى أب الآباء مستعيرًا لها من اليهودية إذ كان داود النبي،* عليه الصلاة والسلام، يدعى رئيس الآباء ـ أعمال ٢ : ٩ ، وقد استحسن بعضهم لقب حبر أي عالم وهو ما كان يطلق من قبل على كبار العلماء الوثنيين* . والبطريركيات في الأصل ثلاث: الغربية وعلى رأسها أسقف* روما، وأنطاكية والإسكندرية، ويطلق اسم بطريرك في الكنيسة* الكاثوليكية تشريفًا على أربعة أساقفة: في الهند ولشبونة والبندقية والهند الغربية، وفي سنة ١٥٨٩م أنشئت بطريركية موسكو للكنيسة الأرثوذكسية الرومية، بينما أنشئت بطريركية الأقباط الأرثوذكس في العهود الأولى للنصرانية عام ٦٣م بمصر لتشمل مصر والسودان وأثيوبيا وجنوب أفريقيا. ويلقب البطريرك في مصر بصاحب الغبطة، والقداسة بابا* وبطريرك الإسكندرية. . وسائر أقاليم الكرازة المرقسية، وبينما يتصدر بابا روما المجمع المسكوني فإن بابا الإسكندرية ـ البطريرك ـ يحمل لقب قاضي المسكونة، في الوقت الذي كان يحمل فيه لقب القاضي بين البطاركة، وتعترف الكنيسة القبطية بثلاثة بطاركة فخريين بالإضافة إلى ما سبق وهم: بطاركة أورشليم وبغداد وأثيوبيا. ويشترط في البطريرك أن يكون حر المولد وابنا

لأم متوجة ـ أي لم تتزوج إلا مرة واحدة ـ صحيح البدن غير متزوج، وألا يقل عمره عن خمسين عامًا، وأضافوا أنه يجب أن يكون عالمًا وحياته بلا لوم، مستقيم الرأي، وأن يكون من ساكني الصحراء، وألا يكون أسقفًا، وهو الشرط الذي تشددت فيه الكنيسة القبطية منذ عهودها الأولى، بينما لم تتشدد في شرط الرهبانية* . ولذلك فقد انتخب أكثر من شماس* وقس* بطريركًا للكنيسة، وإذا المرشح لم يجز أية رتبة كنسية خلاف رتبة الرهبنة، فإنه يجب أن يمر ببقية الرتب الضرورية من شماس وقس وقمص ورئيس كهنة* قبل يوم رسامته، ولا يمر برتبة مساعد الشماس، ولا تجري رسامته أسقفًا*، وإن كان قبل أن يرسم قد حصل على رتبة الشماس أو القس فينبغي أن يرسم راهبًا وذلك بطقوس معينة على حسب قوانينهم الكنسية.

البلشفية: كانت البلشفية تعني في أول أمرها الأغلبية التي تقابل كلمة المنشفيك التي تعني الأقلية ـ بعد انقسام الحزب الاشتراكي الديمقراطي للعمال الروسي على نفسه سنة ١٩٠٣م ـ ولكنها تطورت وأصبحت بعد ذلك تعني الكراهية الموجهة ضد المجتمع البُرجوازي* ، وبصفة خاصة ضد الغرب الرأسمالي، وقد أصبحت أخيرًا مرادفة للشيوعية في استعمالها العام.

بوذا «غوتاما بوذا»: تعني عند البوذية العارف المستيقظ، والعالم المتنور أي بتكونات العالم وتقلباته ومباديه ومناحيه، والعارف بمنابع الآلام، والمستوعب منابت البؤس، والمكتشف مقاليد السرور، والذي استيقظ شعوره وتنورت بصيرته، وذلك بعد أن استمر سبع سنوات يجاهد نفسه بألوان من الرياضات النفسية القاسية، مما أهله للزعامة على أقرانه، وذلك بغية اكتشاف سر الكون ـ في زعمه ـ.

البيعة: عقد من العقود الشرعية، تعقد بين طرفين، كأن كل واحدٍ منهما قد باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه، وطاعته، ودخيلة أمره.

ويراد بالبيعة أحد أمرين: أولهما: البيعة الكبرى الكلية العامة والتي لا تكون إلا لإمام المسلمين الأكبر الذي اجتمع عليه الناس كلهم، لاستيفاء شروط الإمامة أو لكفاءته أكثر من غيره أو لتغلبه. قال الإمام الشاطبي في **الاعتصام** «قيل ليحيى بن يحيى: البيعة مكروهة، قال: لا ، قيل له: فإن كانوا أئمة جور. فقال: قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان،

وبالسيف أخذ الملك، أخبرني بذلك مالك عنه أنه كتب إليه أمر له بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه» ج ٢ ص ١٢٨ ولا تكون إلا بمبايعة أهل الحل والعقد للمرشح للإمامة، وعليه فإن أداءها واجب على الأمة كافة، ويعد من نقضها باغيًا، والتارك لها من غير تأول يموت ميتة جاهلية*، كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية[١].

وهذه البيعة لا تقبل التعدد بحال من الأحوال لقوله، ﷺ، «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[٢]، كما أن هذا النوع هو المقصود عند إطلاق لفظ «البيعة»، وعليه إجماع علماء المسلمين. وتنخرم هذه البيعة ويسقط واجب الطاعة إذا ما طرأ على الإمام الكفر* البواح الذي عندنا فيه من الله تعالى البرهان، أو طرأ عليه أمر يعجز معه عن القيام بأعبائها كالجنون ونحوه.

أما عند الشيعة* الإمامية فإنه لا بيعة إلا للقائم المنتظر ـ الغائب المنتظر ـ الذي يجددون له البيعة كل يوم بأدعية أصبحت كالورد لديهم منها «دعاء العهد» وفيه «اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهدًا أو عقدًا أو بيعةً له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبدًا». ودعاء آخر يردد بشكل يومي «اللهم هذه بيعة له في عنقي إلى يوم القيامة».

ثانيهما: والمقصود به مطلق العهد على الطاعة، ويطلق عليها بعض العلماء البيعة الصغرى الجزئية الخاصة، بينما يتحرز فريق آخر من هذا الإطلاق؛ لئلا يلتبس مع أمر البيعة الكبرى، ويضيع ما بين البيعتين من فوارق لا سيما مع ندرة العلماء المحققين، وغلبة الجهل وسيطرة الأهواء والتحزب والتعصب للأسماء والرايات، ولذلك يطلقون عليها: التعاقد أو التعاهد.

وللعلماء في هذا النوع من التحالف والعهد على طاعته تفصيل على النحو التالي:

١ ـ إذا كان موضوع التحالف مخالفًا للشرع كالتعاون، مثلاً، على غير ما أمر الله به أو التبديل لدين الله بما لُبِّس من الحق والباطل، وتكفير من عداهم من المسلمين والبراءة منهم وما يستتبع ذلك من لوازم، أو ظلمهم وأكل أموالهم بالباطل فإن هذا التعاهد «البيعة» باطل؛ لأن الوسائل لها حكم المقاصد يقول تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾

(١) لحديث النبي، ﷺ، «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم (١٨٥١).
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٥٣).

[المائدة: ٢] ويقول، ﷺ: «من اشترط شرطًا ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرطه أوثق»(١).

قال ابن تيمية «ليس لأحد منهم أن يأخذ عهدًا بموافقته على كل ما يريده، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله. . .» **مجموع الفتاوى** ج ٢٨ ص ١٦ وبطلان هذا النوع محل اتفاق بين العلماء.

٢ـ أن يكون العقد على أمر شرعي كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون العهد على طاعة من يرتضونه لعلمه أو كفايته، وهذه الحالة محل اجتهاد بين العلماء حيث إنها متفرعة أصلاً عن اجتهادهم حول مسألة مشروعية التحالف ـ انظر التنظيم ـ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «وإنما وقع النزاع في مؤاخاة يكون مقصودهما بها التعاون على البر والتقوى، بحيث تجمعهما طاعة الله، وتفرق بينهما معصية الله، كما يقولون: تجمعنا السنة وتفرقنا البدعة، فهذه التي وقع فيها النزاع:

ـ فأكثر العلماء لا يرونها استغناء بالمؤاخاة الإيمانية التي عقدها الله ورسوله، فإن تلك كافية محصلة لكل خير، فينبغي أن يجتهد في تحقيق أداء واجباتها. ومنهم من سوغها على الوجه المشروع إذا لم تشتمل على شيء من مخالفة الشريعة». **مجموع الفتاوى** ج ٣٠ ص ٩٦، وعليه فإن من العلماء من أنكرها: استغناءً بالمؤاخاة الإيمانية، ومنهم من رأى أن مشروعية الأحلاف منسوخة في الإسلام، وبالتالي قالوا بعدم جواز قيام الأحلاف وقد ردّ عليهم الإمام النووي ـ يرحمه الله تعالى ـ بقوله: «قال القاضي: قال الطبري: لا يجوز الحلف اليوم، فإن المذكور في الحديث، والموارثة به وبالمؤاخاة، كله منسوخ لقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]: وقال الحسن: كان التوارث بالحلف فنسخ بآية المواريث. قلت: أما ما يتعلق بالإرث فيستحب فيه المخالفة عند جماهير العلماء. وأما المؤاخاة في الإسلام والمحالفة على طاعة الله، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق، فهذا باقٍ لم ينسخ، وهذا معنى قوله، ﷺ، «لا حلف في الإسلام»(٢)

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٤).

فالمراد به حلف التوارث. والحلف على ما منع الشرع منه. والله أعلم». شرح صحيح مسلم ج ١٦ ص ٨٢ .

ومن المعاصرين يرى الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد: أن البيعة في الإسلام واحدة من ذوي الشوكة (أهل الحل والعقد) لولي أمر المسلمين وسلطانهم، وأما ما دون ذلك من البيعات الطرقية والحزبية في بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة فكلها بيعات لا أصل لها في الشرع، لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله، ﷺ، ولا عمل صحابي ولا تابعي فهي بيعات مبتدعة* وكل بدعة ضلالة، وكل بيعة لا أصل لها في الشرع، فهي غير لازمة العهد فلا حرج ولا إثم في تركها ونكثها، بل الإثم في عقدها». **حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات الإسلامية** ص ١٦٣ .

ـ وهناك من سوغها على غير أمر الإمامة العظمى سواءً كانت من الإمام لبعض الرعية أو بين الرعية بعضهم مع بعض، يورد على ذلك الدكتور/ عبدالرحمن بن معلا اللويحق في كتابه **الغلو في الدين** عددًا من الأدلة منها:

(ا) ما ورد من أمر مبايعة النبي، ﷺ، لبعض أصحابه على أمر خاص. ومثال ذلك: يقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه «بايعنا النبي، ﷺ، ألا ننتهب».

(ب) ومنها ما ورد من أمر مبايعة النبي، ﷺ، للنساء على ألا يشركن بالله شيئًا، ولا يسرقن ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، وألا يعصينه في معروف، قال ولي الله الدهلوي في شرح هذا الحديث فيه دليل على أن البيعة غير مقصورة على قبول الخلافة.

(جـ) ومنها ما وقع من المبايعة على أمر خاص من بعض الصحابة رضي الله عنهم يقول الإمام مسلم باب استحباب مبايعة الجيش للإمام عند إرادة القتال:

عن عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال كما كان زمن الحرة أتاه آت فقال له: إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت. فقال: لا أبايع على هذا أحدًا بعد رسول الله ﷺ.

٣ ـ ما وقع من أمر هذه المبايعة الخاصة من بعض السلف كأمر أبي حنيفة رضي الله عنه

مع فقيه مرو إبراهيم الصائغ الذي سأله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد أن اتفقا على فرضيته، قال له: مد إلي يدك أبايعك، قال الإمام أبو حنيفة: فأظلمت الدنيا بيني وبينه، ثم قال: دعاني إلى حق من حقوق الله فامتنعت عليه. قال له ابن المبارك: إن قام به رجل وحده قتل، ولم يصلح للناس أمر، ولكن إن وجدنا عليه أعوانًا صالحين، ورجلاً يرأس عليهم، مأمونًا على دين الله لا يحول. «انظر الجصاص في **أحكام القرآن ٢/ ٣٣ الطبقات السنية في تراجم الحنفية** ١/ ٢٤٦». انظر كتاب **الغلو في الدين** فإنه مهم.

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية مشروعية هذا التعاهد بعد بيان حرمة التعاهد على الموالاة المطلقة بقوله «ولكن يحسن أن يقول لتلميذه عليك عهد الله وميثاقه، أن توالي من والى الله ورسوله، وتعادي من عادى الله ورسوله، وتعاون على البر والتقوى ولا تعاون على الإثم والعدوان، وإن كان الحق معي نصرت الحق، وإن كنت على الباطل لم تنصر الباطل، فمن التزم هذا كان من المجاهدين في سبيل الله تعالى» **مجموع الفتاوى**. ج ٢٨/ ٢٠-٢١.

وقد اشترط هذا الفريق الذي يرى مشروعية التعاهد على الطاعة الخاصة عدة شروط لوقوعها وهي:

١- أن يكون أصل التحالف على أمر شرعي.
٢- أن تكون الحاجة إلى التحالف قائمة.
٣- أن تكون غير ناقضة لبيعة الإمام الأعظم للمسلمين ولا يقصد منها منازعته.
٤- ألا ينتسب لغير شعار السنة والجماعة، ولا يتحزب على أصل بدعي يخالف منهجهم وألا يعقد الولاء والبراء على أساس هذا الانتساب.

كما فرقوا بين النوع الأول والثاني من أمر البيعة بفروق نجملها في الآتي:

١- أن البيعة الكبرى قد ورد الأمر بها والتحذير من نقضها أحاديث خاصة بها. أما البيعة الصغرى فالوفاء بها داخل تحت النصوص العامة التي تحض على مطلق الوفاء بالعهود.

٢- الطاعة في الأولى مطلقة ما أقام كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. أما الثانية فإنها مقيدة فيما صفقت عليه اليد وتم عليه العقد.

٣ـ أداء البيعة الكبرى واجب، والتارك لها غيرَ متأول يموت ميتة جاهلية، أما الأخرى فأداؤها اجتهادي.

٤ـ يعقد البيعة الأولى أهل الحل والعقد في الأمة لمن استوفى شروطها، أما الأخرى فيعقدها فريق من المسلمين لمن يرتضونه لعلمه أو كفايته على عمل أو أكثر من أعمال الخير.

٥ـ تجب البيعة الكبرى ابتداءً بالشرع وتلزم المسلمين كافة، أما في الصغرى فإنه لا يلتزم بها إلا من دخل فيها، والتزم الطاعة في الحدود التي تم الاتفاق عليها.

ويرى الدكتور صلاح الصاوي في كتابه **الثوابت والمتغيرات** انطلاقًا من نظرته إلى أمر البيعة الصغرى بأنها من مظان الاجتهاد بين العلماء سواءً سميت بأمر البيعة الصغرى أو بالتعاقد على الخير والتزام الطاعة للقائم عليها، ويرى أنه يمكن تقييد هذا الفعل بزمن أو بلدٍ ما، وكذلك إمكانية التقايل منها عند الاقتضاء، كما يمكن الجمع بين أكثر من بيعتين لجماعتين إن لم يكن بينهما تعارض، ولم يؤد الجمع بينهما إلى الإضرار بإحداهما.

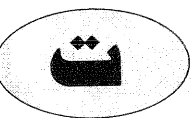
وقد غالت بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة في أمر هذا النوع من البيعة «الصغرى الجزئية» إذ أطلقت البيعة الصغرى على البيعة الكبرى، بزعم أنها جماعة المسلمين، وأميرها هو إمام المسلمين، ومنهم من أعطاها لمجهول العين والحال عن طريق وسائط، كما غالت فيها الطرق الصوفية من جعل المبايع تابعًا لشيخه في الحق والباطل، وفي نشر مذهبه وطريقته، والموالاة المطلقة له على ذلك.

يقول ابن تيمية في **جامع الرسائل** «وهذا الموضع غلط فيه كثير من الفقهاء بتحريم عقود وشروط لم يحرمها الله، كما كثر في الأول غلط كثير من العباد والعلماء بابتداع دين لم يشرعه الله، وإيجابه بالتعاقد عليه، حتى يوجبون طاعة شخص معين ميت أو حي من العلماء في كل شيء، ويحرمون طاعة غيره في كل شيء نازعه فيه، لمجرد عقد العامي الذي انتسب إلى هذا دون هذا» ج ٢ ص ٣١٧.

وأخيرًا يلفت إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ـ يرحمه الله ـ النظر في كتابه **غياث الأمم في التياث الظلم** إلى ما ابتليت به معظم ديار المسلمين في زماننا هذا، فيقول: «وقد قال

بعض العلماء: لو خلا الزمان عن السلطان فحق على قطان كل بلدة وسكان كل قرية أن يقدموا من ذوي الأحلام والنهى وذوي العقول والحجا ممن يلتزمون امتثال إشارته وأوامره، وينتهون عن مناهيه ومزاجره» ص ٣٨٨، ويقصد بذوي الأحلام والنهى وذوي العقول والحجا العلماء.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «وكل قوم لا تجمعهم طاعة مطاع في جميع أمورهم، فلابد من التعاقد والتحالف فيما لم يأمرهم به المطاع... وإذا لم يكونوا على شريعة منزلة من عند الله، فإما أن يكونوا على شريعة غير منزلة أو سياسة وضعها بعض المعظمين فيهم بنوع قدرة وعلم ونحو ذلك، وما بقدرة من هذه الأمور الجامعة أوجب التحالف بينهم فإنه لا ينتظم لهم أمر إلا بطاعة آمر متحالفين عليه، أو يأمرهم به من يطيعونه...» جامع الرسائل ج ٢ ص ٣٠٩.



التأويل: يأتي التأويل في كلام العرب بمعنى التفسير والمرجع والمصير، كما يقول ابن جرير الطبري في تفسيره، بينما يأتي في الاصطلاح* عند السلف حسبما ورد في القرآن الكريم على معنيين:

١- تفسير اللفظ وبيان معناه وشرحه، وهو معنى قول النبي*، ﷺ، لابن عباس رضي الله عنهما، : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»(١) وفي رواية «اللهم علمه الكتاب»(٢).

٢- بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام أو الشيء، ووقوعه على ما هو عليه، ووجوده في الأمر نفسه، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠].

يقول الدكتور محمد السيد الجليند في **الإمام ابن تيمية وموقفه من التأويل** «إن كلمة التأويل كانت تستعمل على ألسنة اللغويين من رواة المحدثين حتى بداية القرن الخامس الهجري في معنى المرجع والمصير والعود، حيث لم يرد إلينا في المعاجم التي وضعت في هذه الفترة ما يخالف ذلك» ص ٣٠ .

وعلى هذا المعنى فإن تأويل الأمر يكون بعمل المأمور به، وتأويل النهي بترك المنهي عنه، وتأويل الخبر يفيد وجود حقيقة المخبر به فإن كان وعدًا فوقوع نفس الموعود به وإن كان وعيدًا فوقوع نفس المتوعد به، وعليه فإن ما أخبر به تعالى عن اليوم الآخر هو ما سيكون في اليوم الآخر نفسه، وكذلك تأويل ما أخبر به عن نفسه هو نفسه المقدسة تبارك وتعالى والموصوفة بصفاته العليا، وهذا النوع من التأويل ممدوح وغير مذموم، ولذلك يعرف بالتأويل الصحيح. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنا لا نذم كل ما يسمى تأويلاً مما فيه كفاية، وإنما نذم تحريف الكلم عن مواضعه، ومخالفة الكتاب والسنة، والقول في القرآن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٣٥) بسند صحيح. وفي رواية «اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥، ٢٧٥٦، ٧٢٧٠).

بالرأي». وقد وضع العلماء لهذا النوع شروطًا وضوابط يمكن إجمالها في الآتي:

ـ أن يكون اللفظ المراد تأويله قابلاً للتأويل، ومحتملاً للمعنى الذي صرف إليه، لغة أو عرفًا أو شرعًا.

ـ أن تدل دلالة تركيب الكلام والسياق على ذلك التأويل واحتماله له.

ـ أن يقوم الدليل على أن المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذي حمل عليه إذا كان لا يستعمل كثيرًا فيه.

وبناء عليه فإن قاعدة أهل السنة في الأسماء والصفات أنه يؤمن بها «من غير تحريف...» ولا يقال «من غير تأويل...» لأن المنفي والمذموم في القرآن الكريم على كل حال هو التحريف، يقول تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣] ولم يقل يؤولون، وأصلهم في ذلك أن الألفاظ الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة أولى من إحداث ألفاظ أخرى؛ ولأن ما جاء به الشرع أشد وأقوى، كما يقول الشيخ محمد الصالح بن عثيمين ـ راجع الاصطلاح ـ.

ويعرّف التأويل عند المتأخرين من أهل الكلام والفلاسفة* بتعريفات شتى من أشملها وأدقها تعريف الآمدي، إذ يقول: «أما التأويل فهو: حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتماله له» بمعنى أنه صرف للفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به أو متأخر عنه أو مطلق دليل. والتأويل بهذا المعنى لم يعرفه السلف الصالح ولا أهل اللغة الأوائل، بل لقد أطلق عليه العلماء اسم التأويل الفاسد أو المجازي أو تأويل التحريف* وأحيانًا يطلقون عليه الإلحاد* ، وذلك في مقابل النوع الأول، ويرجح بعض الباحثين أن أسباب هذا النوع من التأويل في زعم المتكلمين والفلاسفة يرجع إلى توهمهم أن نصوص الصفات قد توهم ما لا يليق بالله تعالى من التجسيم والتشبيه* ، وما هو من صفات المخلوقين بما يوجب الكفر* والضلال، أو لما ظنوه من مخالفتها للعقل* ، أو أن هذه النصوص نفسها متعارضة ـ تعالى الله وتقدس أن يكون في كلامه تناقض أو تعارض ـ إنما التعارض والتناقض في عقولهم القاصرة وأصولهم الفاسدة التي دفعتهم إلى هذه التوهمات التي لم تطرأ على ذهن

الرسول* ، ﷺ ، وصحابته الكرام، وفيهم من فيهم من النساء والعامة، ممن قد يلتبس عليه الأمر، ومع ذلك لم يؤولوها بل علموا معانيها وآمنوا بها وفوضوا أمر كيفيتها إلى الله تعالى، وإن من لوازم هذا الاعتقاد الفاسد اتهام الله ورسوله بعدم البيان أو لرسوله والسلف الصالح بالجهل ـ والعياذ بالله تعالى ـ أو أنهم فهموا ولم يقوموا بواجب البيان والبلاغ، وكل هذا من سبل الضلال والغواية.

والحقيقة كما يقول ابن القيم في **الصواعق المرسلة** أن كل طائفة ـ أي من أهل الأهواء ـ أصَّلت أصولاً جعلتها نحلتها ومذهبها* ، وردت أو أولت كل ما خالفها من نصوص فيقول «وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها، فالمعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه، والقواعد التي أصلتها، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه وما خالفها فإن أمكنهم دفعه، وإلا تأولوه».

وتعد المعتزلة أول فرقة استخدمت التأويل في الأمة الإسلامية منهجاً عامًّا لتقرير أصولهم الفاسدة ولمواجهة خصومهم، وفتحت بذلك باب شر فرّق شمل الأمة، وذاعت وانتشرت بسببه التأويلات المتعسفة والممقوتة، وكان وسيلة لأن يدخل من يشاء ما يشاء في دين الله تعالى.

وهناك نوع آخر من التأويل الفاسد يعرف بالتأويل الرمزي، الذي يتأول أصحابه النصوص فيجعلونها رموزًا لحقائق باطنة، وأصحاب هذا الاتجاه هم الفلاسفة والباطنية* وغلاة الشيعة* ، وعن طريق ابن سبأ ويهود حران وأنطاكية دخل هذا النوع من التأويل، إذ عمد اليهود وبخاصة يهود الإسكندرية إلى تأويل نصوص التوراة* ، لجعلها مقبولة عند اليونانيين، متأثرين في ذلك بشرح الفيثاغورسيين والأفلاطونيين والرواقيين* لقصص الميثالوجيا وعبادات الأسرار، وعلى يد الفيلسوف اليهودي السكندري فيلون ٢٠ أو ١٠ ق.م. ـ ٤٥م أصبح التأويل عندهم مذهبًا* ومنهجًا* .

وفي النصرانية استخدم عدد كبير من آباء الكنيسة* منهج التأويل في تأويل النصوص، ومن هؤلاء كليمنت الإسكندري ١٥٠ـ٢١٥م وأوريجون ١٨٥ـ٢٥٤م وأغسطين ٣٥٤ـ٤٣٠م، ويوحنا الدمشقي ٧٠٠ـ٧٥٤م.

التثليث: أحد المعتقدات الدينية المعروفة عند قدماء المصريين وعند الهنود والصينيين والآشوريين والبابليين والفرس. وقد أقام بطليموس الأول ـ اليوناني ـ معبد السرابيوم ليعبد فيه ثالوث الأرباب المكون من أوزوريس وإيزيس وحورس على أنهم هيئات لإله* واحد.

ويرجح الدكتور محمد البهي في كتابه **الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي** أن التثليث نشأ في النصرانية على يد بولس المتأثر بالفلسفة* الإغريقية، متأثرًا بفلسفة أفلاطون، إذ جعل المثل أصل الوجود، وهذا الوجود ما هو إلا ظلالها وشبيهًا بها، وهو ما قال به أفلوطين المصري فيما بعد.

ويعتقد البوذيون بأن الإله* فشنو* تجسد في صور متعاقبة، وأن بوذا* هو الصورة الثالثة له. يعتقد النصارى بأن الله ـ تعالى ـ ثلاثة أقانيم* وهي: الله الآب*، والله الابن* [الذي هو عيسى ابن مريم في زعمهم] والله الروح القدس*، وأنهم متساوون من حيث الأزلية، وجوهر الإلهية والقدرة. وعلى ذلك فإن التثليث موضع اتفاق بين الكنائس* كلها، ولكن موضع الخلاف هو العنصر الإلهي في المسيح*: أهو الجسد الذي تكوَّنَ من الروح القدس* ومن مريم والذي باختلاطه بالعنصر الإلهي صار طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، أم أن الأقنوم الثاني له طبيعتان ومشيئتان وقد أشار القرآن الكريم إلى كلا المذهبين بقوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ [النساء: ١٧١]، وأشار إلى مذهب* الأرثوذكس بقوله ـ تعالى ـ ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وأشار إلى مذهب الكاثوليك بقوله ـ تعالى ـ ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ [المائدة: ٧٣] ولم ترد كلمة التثليث في الكتاب المقدس. ويظن أن أول من استعملها ترتلبان في القرن الثاني الميلادي بعد أن بذر بولس بذورها الأولى بادعائه بنوة عيسى، عليه الصلاة والسلام، لله تعالى مما ترتب عليه القول بالطبيعة الثنائية لعيسى ـ اللاهوتية* والناسوتية* ـ، ثم أصَّلها أثناسيوس، واعتمدت في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. وقد اكتملت أركان التثليث في مجمع القسطنطنية (٣٨١م) بادعاء ألوهية الروح القدس* ردًّا على مقالة مكدنيوس. وبذلك صار التثليث قانونًا للإيمان عند النصارى.

قال ابن البطريق: «زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا الذين اجتمعوا في نيقية: الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب* الذي هو من الآب والابن* مسجود له وممجد، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة وجوه وثلاثة خواص، وحْديةٌ في تثليث، وتثليث في وحْدية». وقد تصدى لدعوى التثليث الموحدون من النصارى على مر العصور.

(وسبق أن فُصِّل القولُ في تاريخ التحريف الذي لحق بالعقيدة النصرانية، من خلال المجامع المختلفة في مباحث النصرانية ومذاهبها الرئيسة الثلاثة بالموسوعة فليراجع).

والأدلة النقلية والعقلية من نصوص الكتاب والسنة متواترة على إبطال هذه العقيدة، بل ومن نصوص كتابهم المقدس ما يؤكد ذلك، منها: ما ورد في سفر* **أشعيا** إصحاح ٤٤ «أنا الأول، وأنا الآخر ولا إله غيري . . . أنا الرب صانع الكل، ناشر السموات وحدي وباسط الأرض بنفسي».

وأيضًا، في الإصحاح ٤٥ من السفر نفسه «أنا الرب وليس آخر، ليس من دوني إله . . . أنا الرب وليس آخر، أنا مبدع النور، وخالق الظلمة، ومجري السلام . . . أنا صنعت الأرض وخلقت البشر عليها».

ومنها ما جاء في **إنجيل يوحنا** على لسان عيسى، عليه الصلاة والسلام، «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (١٧ : ٣)، وايضًا، ما جاء في إنجيل لوقا «إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه تعبد» (٤ : ٨)، وقال عن نفسه «أنتم تدعونني معلمًا وسيدًا، وحسنًا تقولون لأني أنا كذلك» **يوحنا** ١٣ : ١٣.

ولقد تنبأ المسيح، عليه الصلاة والسلام، بهؤلاء الذين سيؤلهونه على ما يذكر **إنجيل متى** ٧ : ٢١-٢٣ بقوله: «ليس كل من يقول يارب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين . . فحينئذ أصرح لهم أني لا أعرفكم قط. اذهبوا عني يافاعلي الإثم». يقول الله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧].

ونختم القول بما ذكرته **دائرة المعارف الأمريكية** عن التثليث بقولها «لقد بدأت عقيدة

التوحيد بداية مبكرة جدًا في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين ـ بل إن عقيدة التوحيد هي الأصل الذي انحرفت عنه البشرية إلى الوثنية ـ . . . إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول، فيما يختص بطبيعة الله. لقد كانت على العكس من ذلك انحرافًا عن هذا التعليم».

التجديد (١): ويقصد به هنا تجديد الدين* ، ويختلف تعريف التجديد في المصطلح* الإسلامي عن تعريفه في المفاهيم الغربية، وعند من تأثر بهم من المنتسبين للإسلام.

أولًا ـ التجديد في الاصطلاح الإسلامي: قائم على مفهوم حديث رسول الله، ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(٢)، وعلى ذلك فإن التجديد هو: إحياء وبعث معالم الدين* العلمية بحفظ النصوص الصحيحة نقية، وتمييز ماهو من الدين مما هو ملتبس به، وتنقيته من الانحرافات والبدع* النظرية والعملية والسلوكية، وبعث مناهج النظر والاستدلال لفهم النصوص على ما كان عليه السلف الصالح، وبعث معالمه العملية بالسعي لتقريب واقع المجتمع المسلم في كل عصر إلى المجتمع النموذجي الأول من خلال: وضع الحلول الإسلامية لكل طارىء، وجعل أحكام الدين نافذة مهيمنة على أوجه الحياة، ووضع ضوابط لاقتباس النافع الصالح من كل حضارة، على ما أبانته نصوص الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

ثانيًا ـ التجديد في الاصطلاح الغربي: يعني وجهة نظر في الدين* مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة، واعتبار أن الدين صحيح مادام لا يتعارض مع التطور.

وتعد حركات* التجديد والتطور والعصرانية الغربية إحياءً لفلسفة* الطبيعيين من فلاسفة اليونان وعودة إلى التراث الوثني* الفلسفي القديم، وردَّ فعل على تسلط الكنيسة* وموقفها الشديد من العلم ومكتشفاته الحديثة. وأول ظهور لهذه الدعوة كان في القرن التاسع

---

(١) ولخطورة هذا المصطلح سنفصل فيه القول على غير المعتاد.

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥٢٢) وغيرهما عن أبي هريرة، وقال الألباني حديث صحيح في صحيح الجامع (١٨٧٤).

عشر وأوائل القرن العشرين على يد أحبار اليهود في ألمانيا أولاً مثل: هولدهايم، وأبراهام جايجر، ثم بدأت في فرنسا على يد الراهب* الكاثوليكي الفرنسي لوايزي ١٨٥٧ـ١٩٤٠م، ومنها انتشرت إلى باقي دول أوربا وأمريكا، إذ تأسست لها الجمعيات*، وعقدت باسمها المؤتمرات، وأصدرت الصحف والنشرات التي تدعو لمبادئها. واتخذت حركات* التجديد الغربية سواءً اليهودية أو النصرانية الغربية (كاثوليك وبروتستانت) مظاهر عديدة مشتركة منها:

١ـ الدعوة لعدم الالتزام الحرفي بنصوص الكتاب المقدس، وإطلاق حرية الاختيار بينها وفقًا لما تمليه ظروف ومتغيرات العصر.

٢ـ أن الشريعة الإلهية موقوتة بظروفها التي ظهرت فيها، وأنها ليست دائمة، فلا يجب الالتزام بها، وينبغي إعادة تأويلها بإيجاد تشريعات بديلة.

٣ـ الدعوة إلى التفريق بين ما هو بشري وما هو غير بشري في حجية نصوص التعاليم الإلهية.

٤ـ أن الاكتشافات والمعارف الحديثة ما هي إلا أحد صور الوحي* المتطور.

٥ـ عدم القبول من الشريعة الموسوية إلا أحكامها الأخلاقية، ورفض كل ما لا يتلاءم مع أفكار وسلوك الحضارة المعاصرة، وتحويل الكنيسة* إلى مؤسسة اجتماعية.

٦ـ إخضاع نصوص الكتاب المقدس وقيمه للمنهج* النقدي التاريخي الذي انتهى إلى أن نصوص الكتاب المقدس بها الكثير من التناقضات والاختلافات في الأسلوب مما يدفع بعدم قدسيتها، ولذا ينبغي إعادة كتابتها على ضوء ما يثبته الحس والتجربة والعلوم العصرية، وهذا الذي أدى، أيضًا، إلى القول بنسبية الحقيقة.

٧ـ القول بنسبية الحقيقة الدينية، على أن المعرفة الدينية تبقى بالضرورة خاضعة للتحول الذي يحكم تجليات الحياة والفكر الإنساني.

٨ـ الضمير الإنساني وحده الحاكم على حقائق الدين*.

٩ـ تجديد صور وهيئات بعض العبادات مثل الصلاة، واستحداث طرق ووسائل جديدة لتأديتها لتتلاءم مع مفاهيم العصر.

ثالثاً ـ التجديد عند المعاصرين من المنتسبين للإسلام: بدأت الدعوة إلى تجديد

الدين* وفق المفهوم الغربي للتجديد، وذلك في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي مع خضوع العالم الإسلامي لسيطرة الغرب، على يد ثلة من أبناء المسلمين المتأثرين بالفلسفة* الغربية، واتخذت دعوتهم عددًا من الأسماء البراقة، مثل العصرانية أو التنوير* أو اليسار الإسلامي أحيانًا. وقد ظهرت لدعوتهم منابر صحفية ومراكز ثقافية، ومن أبرز ممثلي هذا التيار على تفاوت بينهم في تبني مبادىء هذه الدعوة: سيدأحمد خان ـ مؤسس جامعة عليكرة بالهند ـ وتلميذه: سيدأمير علي، والشيخ محمد عبده وتلميذه: قاسم أمين، محمد إقبال، عباس العقاد، والشيخ عبدالله العلايلي والدكتور حسن الترابي وراشد الغنوشي، والدكتور أحمد كمال أبو المجد، وفهمي هويدي، والدكتور محمد سليم العوا، وغيرهم.

ويمكن تلخيص أهم أفكار ومبادىء بعض المغالين من أصحاب هذه الدعوة كالتالي:

١ - التجديد في أصول الدين *:

(أ) تجديد أصول الدين على ضوء الفلسفة الغربية المعاصرة، مما دفع بعضهم إلى القول بوحدة الوجود*.

(ب) نقض عقيدة البعث والحياة الآخرة على المفهوم الصحيح، والقول بأنها حالات نفسية تطورت من حالة إلى حالة أعلى، لا مكانان حسيان كما وصفهما القرآن الكريم.

(جـ) موافقة عقيدة الجهمية* والقدرية* والمعتزلة في القدر*، وأن الله ـ جل وعلا ـ لم يخلق أفعال العباد، وأنه لا يعلم الأشياء إلا إجمالاً.

(د) القول بأن النبوة* ملكة إنسانية وموهبة طبيعية، واستعداد فطري ينميه الفرد كما ينمي الشاعر مواهبه، أو أنهاحالة من الهوس يصاحبها توتر روحي يعرف بالوحي* على أنه مرحلة عليا من مراحل الإدراك والإحساس الغريزي التي توجد عند كل إنسان حي حتى عند الحيوانات والحشرات، مما أدى إلى قولهم بإنكار المعجزات.

(هـ) وأن الملائكة ما هم إلا قوى الخير داخل كل إنسان، وأن الشيطان يمثل قوى الشر.

(و) القول بتطور الإنسان على قول التطوريين، بداية من مرحلة الجماد ثم النبات ثم الحيوان، موافقة لنظرية دارون، بل قالوا أيضًا بتطور الأديان* تبعًا لتطور المجتمعات، وينادي بعضهم بوحدة الدين* الإلهي.

٢ - تجديد مناهج النظر والاستدلال، وتتمثل في:

(أ) دعوى الاكتفاء بالقرآن الكريم، ويدَّعي حسين أحمد أمين كفرًا وزورًا أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قد حذف ٥٠٠ آية من القرآن الكريم.

(ب) استخدام مناهج* النقد العصرية لإعادة كتابة الأحاديث النبوية بما فيها الصحاح تقليدًا لرأي بعض المستشرقين أمثال جولدزيهر، إذ يرى الدكتور محمد عمارة وغيره أن المحدثين اهتموا فقط بدراسة الأسانيد، ولم يعتنوا بنقد متون الأحاديث، ويوافقه الشيخ محمد الغزالي في القول بقلة فقه علماء الحديث بالمرويات.

(جـ) تقسيم الأحاديث من حيث الحجية والإلزام ـ باعتبار بشرية الرسول،* ﷺ، إلى أحاديث تشريعية خاصة بأمور العبادات من صلاة وصيام تكون ملزمة، وأحاديث غير تشريعية خاصة بأمور تنظيم الدنيا وسياسات المجتمعات غير ملزمة، ولا تدخل في نطاق مهمة الرسول، لأنها خاصة بظروف عصره. كما يدعون إلى عدم الأخذ بأحاديث الآحاد*، حيث إن القرآن الكريم أولى بالاتباع، أو ما يوافقه فقط من السنة النبوية، ويصرح محمد النويهي بأن نصوص القرآن والسنة الخاصة بمسائل العقيدة والعبادة هي التي تقبل أما غيرها فتخضع للتعديل والإضافة والحذف. وتمثل هذه الدعوة اختراقاً للإسلام من العلمانية في ثوب جديد. وكان من آثار هذه الدعاوى ظهور طوائف تنكر السنة مثل برويز غلام أحمد ـ تلميذ سيدأحمد خان ـ وعليه دعوا إلى تعطيل معظم السنن بدعوى أن أغلبها روي بمقتضى السنة غير التشريعية، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه: سيد أحمد خان وتلميذه: برويز غلام أحمد، وممن قال بالتفريق بين السنة التشريعية وغير التشريعية، الدكتور أحمد كمال أبو المجد، والدكتور محمد سليم العوا.

(د) تفسير القرآن الكريم بما يتوافق مع المعارف الغربية السائدة في العصر، ومن أشهر من قال بهذا المبدأ الشيخ محمد عبده ومحمد أسد، ومن معاصريهم من دعا إلى العمل بعكس القاعدة المشهورة في تفسير الآيات القرآنية من أن «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» إلى «العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ» ومن أبرزهم المستشار محمد سعيد العشماوي.

٣ - تجديد أصول الفقه*: على وصف أحد دعاتهم إلى أصول واسعة لفقه اجتهادي، لأنه كما

يقول الدكتور الترابي مطبوع بأثر الظروف التاريخية التي نشأ فيها، ومن أبرز هذه الأصول التي يدعو إلى تجديدها وتطويرها على نحو لم يقل به علماء الأمة الراسخون من السابقين أو المعاصرين:

(أ) الإجماع* : بأن يحل إجماع الأمة المسلمة أو الشعب المسلم، أي الاستفتاء، محل إجماع الصحابة أو علماء عصر من العصور باعتبار إجماعهم غير ملزم.

(ب) أمر الحاكم: حق الحاكم في الأمر بإنشاء الأحكام الشرعية.

(جـ) القياس* : بالدعوة إلى تبديل القياس الذي به ضوابط وقيود نص عليها الأصوليون إلى قياس واسع عفوي غير متقيد بتلك القواعد والضوابط.

(د) الاستصحاب: ويقصد به عندهم «الاستصحاب الواسع»، بحيث يتخلص من القيود والضوابط التي وضعها الأصوليون له.

(هـ) فتح باب الاجتهاد* لكل المسلمين، وإعادة تدوين كتب الفقه* على ضوء معارف العصر فيما يسميه الترابي الفقه الشعبي.

(و) القول بعدم النسخ في القرآن الكريم.

ومن أشهر من دعا إلى هذه المبادىء أو بعضها: محمد إقبال، والدكتور حسن الترابي، وراشد الغنوشي، والدكتور أحمد كمال أبو المجد، والدكتور جمال الدين عطية، وغيرهم.

٤ - التجديد في مفاهيم العبادات:

(أ) إن الجهاد* شرع فقط في حالة اعتداء الكافرين على المسلمين، وممن قال بهذا السيد أحمد خان، الشيخ محمد عبده، الدكتور محمد عمارة، محمد عابد الجابري، فهمي هويدي.

(ب) الدعوة لتقييد الطلاق، ورفض تعدد الزوجات، والدعوة لسفور المرأة، إذ ينكر حسين أحمد أمين مشروعية الحجاب مدعيًا أنه عادة فارسية تركية، وأن القرآن الكريم لم ينص على حرمة السفور، بينما يقصر الترابي الحجاب على زوجات النبي، ﷺ، فقط، على أن الحشمة هي المعيار على ما تحدده عادات وتقاليد المجتمعات. وممن صرح بذلك الدكتور محمد فتحي عثمان والدكتور محمد عمارة.

(جـ) عدم معاقبة المرتدين وإنكار حد الردة.

(د) جواز زواج المسلمة من اليهودي والنصراني، بل بالغ بعضهم مثل محمد على القادياني بجواز زواج المسلم من الهندوسية باعتبار أن لها ديانة وكتبًا مقدسة.

(هـ) إباحة الاختلاط بين الجنسين، وممن أباح ذلك الدكتور حسن الترابي.

(و) اعتبار أن الربا المحرم هو الذي يدفعه الفقير مقابل دينه، أما فوائد البنوك والفائدة البسيطة على المعاملات التجارية، وصناديق التوفير، فليست ربا، وينسب هذا الرأي إلى رواد المدرسية الإصلاحية «الشيخ محمد عبده».

(ز) رفض حدود رجم الزاني المحصن، وشرب الخمر، وعقوبة الحرابة، والسرقة.

(ح) القول بأن العقوبات المنصوصة ليست مقصودة بأعيانها حرفيًا، بل المقصود غاياتها، وعليه فإن كل ما يؤدي إلى القيام بالغاية والمقصود هو الوسيلة المطلوبة شرعًا. على ما صرح به الشيخ عبدالله العلايلي إذ لا ينفذ الحد إلا في حالة الإصرار أي المعاودة والتكرار، وقد قرر ذلك: أبو زيد الدمنهوري، مصطفى كمال المهدوي ـ الدكتور مصطفى محمود، حسين أحمد أمين.

(ط) القول بأن الخلافة* بالمفهوم الشرعي غير ملزمة، وكذلك القضاء، ووظائف الحكم، وكل الخطط السياسية لا شأن لكل هذا بالدين* . ويمكن أن تعتمد الحكومة على أي نظام سياسي سواء أكان ديمقراطيًا أو اشتراكيًا فاشيًا، محل الخلافة* ، إذ يرى محمد أحمد خلف الله أن نظام الحكم في الإسلام مصدره الاجتهاد* وليس بالنص.

(ي) أن أحكام الشريعة* غير ثابتة، بينما الثابت هو روح الدين، أي روح التشريع، وأي حكم أو وسيلة تحققه فإنها من أحكام الدين* ، وفي ذلك يقول الدكتور حسن حنفي إن العلمانية هي أساس الوحي* ، ويرى الدكتور محمد عمارة أن الدين مفاهيم ومثل عليا وأن الناس يحددون ويشرعون ويطورون حياتهم وفق المصلحة بعد ذلك.

(ك) حقوق المرأة السياسية والاجتماعية تستوحى من البيئة الاجتماعية لا من النظريات الفقهية، وممن صرح بذلك الدكتور محمد فتحي عثمان، الدكتور محمد عمارة.

(ل) الدعوة إلى تقديم المصلحة على النص إذا اقتضى الأمر ذلك.

(م) القول بنسبية حقائق الدين على أنها تختلف باختلاف البيئات والمجتمعات.

(ن) إلغاء أحكام أهل الذمة على أنها كانت لظروف خاصة قد خلت بتطور العصر، فهم مواطنون لا ذميون على رأي فهمي هويدي.

(س) بالإضافة إلى تحريفهم للتاريخ الإسلامي باعتبار حروب الردة حروبًا سياسية، وأن الفتوحات الإسلامية ما كانت إلا غزوات استعمارية على قول أحمد أمين، وعبدالمنعم ماجد حسين، ولم تسلم غزوات الرسول،* ﷺ، من مقالات نفاقهم إذ يصفونها بأنها كانت تصفية للحسابات مع قريش، كما اتهموا صلاح الدين الأيوبي بأنه كان إقطاعيًا بارزًا حرّكه* الدافع القومي في حروبه.

(ع) أخيرًا عملوا على تمجيد وإحياء جميع العقائد الوثنية* والحركات المنحرفة من خوارج* ومعتزلة وباطنية*، على أنهم يمثلون الجناح اليساري في الإسلام، وأن ثوراتهم* كانت بسبب الظلم الاجتماعي، ولذلك يعلون من شأن دعاتها أمثال ابن عربي والحلاج والقاضي عبدالجبار بن أحمد المعتزلي وعمرو بن عبيد وحركة الزنج ودولتهم، وجمال الدين الأفغاني وتنظيماته* السرية، وكتبهم طافحة بذلك وزيادة.

التحريف: في المصطلح* الشرعي يعني العدول بالكلام عن وجهه، وصوابه إلى غيره، بمعنى تغيير معاني الكتاب والسنة إلى معان أخرى تدل عليها، كتبديل اللفظ بلفظ آخر، كقول بني إسرائيل: حنطة بدلاً من حطة، أو كالتحريف في المعنى، وكلا النوعين من أنواع التحريف الأصل فيهما اليهود ـ لعنهم الله تعالى ـ فقد حرفوا ألفاظ ومعاني التوراة، حتى اختصهم الله تعالى بهذه الصفة في مقام الذم دون غيرهم قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ... ﴾ الآية [المائدة: ١٣] ولذلك فإن التحريف مذموم مطلقًا.

وقد اتبع آثارهم في الأمة الإسلامية الرافضة* والجهمية* بتحريف نصوص الأسماء والصفات كالقول بأن معنى الاستواء في قوله ـ تعالى ـ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[طه: ٥] هو الاستيلاء، والتحريف في هذا الباب يكون في النصوص، بينما التعطيل يكون في المعتقد، والتكييف والتمثيل يكونان في الصفات. ومن أنواع التحريف الآيات الكونية كالقول بأن الملائكة هم القوى الروحية، وأن الشياطين هي القوى الشريرة داخل الإنسان،

وغير ذلك على قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام قديمًا وحديثًا.

التحسين والتقبيح: في المصطلح الشرعي الحكم بحسن الشيء أو قبحه بناء على اعتبارات خاصة، ومصدر الحكم بالحسن أو بالقبح هو العقل* عند المعتزلة والإمامية والزيدية، ورتبوا على ذلك أن الإنسان مثاب على ما يفعله من حسنات ومعاقب على ما يقترفه من سيئات حتى دون إرسال الرسل*، وأن للعقل الحكم النهائي في قبول ما ورد من أحاديث تحسن بعض الأشياء وتقبح بعضها أو ردها حسب ما يقتنع به العقل.

ويرى الأشاعرة أن الحسن ما طلبه الشرع، والقبيح ما منعه أو نهى عنه، أما الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة* ووافقهم عليه أبو منصور الماتريدي أنه مما لا شك فيه أن بعض الأمور يمكن للعقل* إدراك حسنها أو قبحها، وإن من الأمور ما لا يدرك حسنها وقبحها بالعقل، وأنه لا ثواب ولا عقاب إلا بالشرع إذ يثبت الحل والحرمة، وبهذا فصل بين الحسن والحل وبين القبح والحرمة. يقول ابن القيم «والحق الذي لا يجد التناقض إليه سبيلا، أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة، كما أنها نافعة وضارة، ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون العمل القبيح موجبًا للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو غاية القبح، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل، فالسجود للشيطان والأوثان والكذب والزنا والظلم والفواحش كلها قبيحة في ذاتها، والعقاب عليها مشروط بالشرع» مدارج السالكين ج١ ص ٢٧.

تحضير الأرواح: أو سبرتزم بمعنى الاتصال بالعالم الروحي غير المنظور، اعتقادًا بأن الروح تبقى بعد الموت، وأن لها ـ في زعمهم ـ اتصالاً بالأحياء بواسطة فعل ـ مادة أو روحٍ ـ متمثلاً في ظواهر روحانية مختلفة من كشف وتخاطر وكلام ورؤية، أو في ظواهر أخرى فيزيقية مثل تحرك المنضدة أو الكتابة الآلية. ويعرف صاحب **كشف الظنون** بأن هذا العلم هو: استنزال الأرواح واستحضارها في قوالب الأشباح، ويقول إنه من فروع علم السحر، فتسخير الجن من غير تجسدها وحضورها عندك يسمى علم العزائم بشرط تحصيل مقاصدك بواسطتها، أما حضور الجن عندك وتجسدها في حسك فيسمى علم الاستحضار، ولا يشترط فيه تحصيل مقاصدك بها. ولا يتم تحضير هذه الأرواح بزعمهم إلا من خلال وسيط ذي

مواصفات واستعدادات جسدية ونفسية خاصة، من خلال الاجتماع في مكان يسوده الظلام به غرفة خاصة معزولة لا يعرف ما يجري بداخلها، على أن يشهد العملية عدد يتراوح ما بين العشرة إلى الخمسة عشر شخصًا، ويشترط لنجاح الجلسة عندهم مواظبة نصف العدد على الحضور بصفة دائمة.

ويرجح الأستاذ محمد فريد وجدي في **دائرة معارف القرن العشرين** أن بداية تحضير الأرواح بهذا المعنى كان على إثر حادثة وقعت لأحد الأمريكان سنة ١٨٤٦م في نيويورك من اتصال بعض الأرواح به، ثم تكررت أكثر من مرة مع غيره، مما دفع العديد من الجمعيات* العلمية لدراسة هذه الظاهرة، وهذا ما أدى إلى انعقاد مؤتمر برشلونة سنة ١٩٣٥م. وعن طريق بعض الذين سافروا إلى الغرب وتأثروا بالروحية الحديثة تسللت هذه الجمعيات - تحضير الأرواح - إلى مصر والعالم الإسلامي، وقامت لها جمعيات تتبناها وتدافع عنها مثل «جمعية* الأهرام الروحية»، وقد أصبح لهم صوت يعبر عن أفكارهم - مجلة **عالم الروح**. ويرجح بعض الباحثين أن انتشارها كان رد فعل للمادية* والمذاهب الإلحادية* وتطرفها. وعلى كل فقد انخدع بها أعلام لهم مكانتهم العلمية والفكرية في زمنهم، أمثال: الأستاذ محمد فريد وجدي، والدكتور علي عبدالجليل راضي، والأستاذ أحمد فهمي أبو الخير، والقانوني الدكتور رؤوف عبيد، والشيخ الطنطاوي جوهري صاحب التفسير، والأستاذ حسن عبدالوهاب - قبل توبته وتخليه عن مبادئها.

والتعامل مع الأرواح بدعوى رجعة الروح إلى الحياة الدنيا وتجسدها مرة ثانية أمر ليس بالجديد، فقد كان معروفًا عند الأمم الوثنية* القديمة - قدماء المصريين، الصينيين، الهنود وغيرهم - وقد اشتهرت الصابئة باستخدام الروحانيات عن طريق تقديم الطقوس والابتهالات، والتقرب إليها بالقرابين، وتبخير البخور، كما يعتقد غلاة المتصوفة بهذه العقيدة فيما يعرف عندهم بالديوان الذي يجتمع كل أسبوع تحت رئاسة السيدة زينب، ويحضره جميع الأولياء* لمناقشة تدبير أمور الكون.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي وعلى ضوء فلسفتها نشأت حركة* الثيوصوفية.

والإسلام يقضي باستحالة تحضير الأرواح بعد مفارقتها للجسد في الحياة الدنيا،

فالأرواح بعد الموت لها ناموس خاص يخالف ناموس الدنيا، وفيه لا يكون لها ارتباط إلا بجسد صاحبها فقط، مثل ارتباط الروح بجسد النائم، تنتقل إليه سواء مما أعد لها من نعيم في الجنة إلى الجسد في القبر لرد سلام أو عرض أعمال ـ كما هو خاص بالنبي، * ﷺ، أو الصلاة كما للأنبياء، ومنها ما تتلظى في العذاب ثم ترجع إلى الجسد في البرزخ لتتلقى معه العذاب، أيضًا.

وعلى كل حال فإن الروح لا تفارق صاحبها كليًا في الحياة الدنيا، وقد فصل ابن قيم الجوزية في كتابه **الروح** وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الجزء الرابع من **مجموع الفتاوى** هذا الأمر تفصيلاً ينسف الأساس الذي قامت عليه هذه الفكرة الخبيثة التي يُراد بها تمييع عقيدة الإيمان بالغيب واليوم الآخر.

وبعدما بانت واتضحت هذه الحقيقة لبعض المخدوعين بها مثل الأستاذ حسن عبدالوهاب، سكرتير الجمعية قال: «ولقد ثبت لي أخيرًا ثبوتًا قاطعًا لا شك فيه أن الشخصيات التي تحضر في جلسات التحضير، وتزعم أنها أرواح من سبقونا من الأهل والأحباب، إن هي إلا شياطين وقرناء من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون». وصدق الله تعالى إذ يقول واصفًا أصحاب هذه الأفكار الخبيثة: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

التشبيه: هو التسوية بين الخالق والمخلوق فيما يختص بأحدهما سواء كانت التسوية فيما هو من خصائص المخلوق أو من خصائص الخالق، وفي كلتا الحالتين فإنه يضاد الكمال المقدس للرب جل وعلا. والتشبيه داءٌ سرى بين الأمم القديمة إذ شبهوا آلهتهم* بأوصاف وأشكال المخلوقات، وكان لطائفة (القراؤون) من اليهود نصيب من ذلك، بل وقع النصارى، أيضًا، في اعتقادهم بتجسد الإله* سبحانه في عيسى، عليه الصلاة والسلام.

وأول من قال بالتشبيه في الإسلام البيانية وهم من غلاة الروافض*، وأول من نشر التشبيه في الأمة هو هشام بن الحكم الرافضي ت ١٧٩هـ أو ١٩٠هـ، وإليه تنسب الهشامية من الروافض. وعلى كل فإن الرافضة أول من قالوا به، ومن قال بالتشبيه من أهل السنة* :

مقاتل بن سليمان البلخي ت ١٥٠هـ وإبراهيم بن يحيى الأسلمي ت ١٨٤هـ وغيرهما، وعلى ذلك فإن المشبهة على فريقين:

أحدهما: يشبه ذات الله تعالى بذات مخلوقاته كالهشامية والسبيئة سواء في كل خصائصها أو بعضها.

ثانيهما: يشبه صفات رب العالمين بصفات غيره من المخلوقات مثل معتزلة البصرة، بل إن كل المؤولة أو المعطلة لأسماء الله تعالى وصفاته في الأصل مشبهة إذ سبق إلى تفكيرهم التشبيه مما دفعهم في زعمهم إلى التأويل* أو التعطيل*. والتعبير بلفظ عدم التمثيل* في أسماء الله تعالى وصفاته أولى وأدق من التعبير بلفظ التشبيه، إذ إن لفظ التشبيه لفظ مجمل يحتمل معنيين بينهما قدر مشترك وقدر مميز وهما:

١ـ الاتفاق في أصل المعنى ـ المطلق الكلي ـ.

٢ـ المماثلة في الواجبات والخصائص وهو أمر ممتنع في حق الله تعالى، إذ لا يلزم الاتفاق في أصل المعنى وقوع المماثلة في الواجبات والخصائص.

ولذلك لا يصح نفيه أو إثباته على الإطلاق بل لا بد من تقيده بما ورد في الكتاب والسنة.

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين «فالتعبير بالتمثيل أولى لأمور:

أولاً ـ أنه موافق للفظ القرآني في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾ [النحل: ٧٤] ولم يقل ليس كشبهه شيء، ولا قال فلا تضربوا لله الأشباه.

ثانيًا ـ أن التشبيه صار وصفًا يختلف الناس في فهمه فعند بعض الناس إثبات الصفات يسمى تشبيها، ويسمون من أثبت صفة لله مشبهًا، فتجد عند المعتزلة كما يقول الزمخشري في تفسيره الكشاف: وقالت المشبهة، ويقصد أهل السنة والجماعة*.

ثالثًا ـ أن نفي التشبيه على الإطلاق بين صفات الخالق والمخلوق لا يصح، لأنه ما من صفتين ثابتتين إلا وبينهما اشتراك في أصل المعنى، وهذا الاشتراك نوع من المشابهة، فالعلم، مثلاً: للإنسان علم، وللرب سبحانه علم. فاشتركا في أصل المعنى، لكن لا يستويان. أما التمثيل فيصح أن تنفيه نفيًا مطلقًا». **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**

ج ١ص ١٨٠ .

التعددية: اتجاه فلسفي يرد الواقع إلى ماهيات متعددة لا ترجع إلى مبدأ واحد، ومن أمثلته المذهب* الذري عند ديمقراطيس ومذهب الذرات الروحية عند لينبتز، ويمثلها في الفلسفة* المعاصرة وليم جيمس وبرتراند راسل، والتعددية تقابل الوحدانية.

التعطيل: في المصطلح* الشرعي يعني نفي دلالة نصوص الكتاب والسنة عن المراد بهما، ويأتي التعطيل على ثلاثة أنواع: تعطيل الباري عن كماله المقدس بنفي صفاته أو أسمائه أو كليهما، ومن مقالاتهم المبتدعة في ذلك: إن الله تعالى ليس بمتحيز ولا جسم ولا جوهر ولا هو في جهة ولا مكان. ـ راجع موقف السلف من الاصطلاحات المحدثة في الاصطلاح ـ وأيضًا، قولهم بأنه، تعالى عن كفرهم، ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا فوق العرش ولا عليه. (انظر الجهمية)، أو تعطيل معاملته بترك عبادته أو عبادة غيره معه، أو تعطيل المصنوع عن صانعه كنسبة بعض خلقه أو كله لغيره، وهذه الأنواع كلها كفر بالله تعالى. وهناك نوع آخر يعرف بتعطيل التأويل وهو محل خلاف بين العلماء في تكفير صاحبه من عدمه حيث قد يكون قائله مبتدعًا غير كافر أو مبتدعًا كافراً على حسب ما تقتضيه النصوص الشرعية. والتعطيل بوجه عام شرٌّ وبلاء إذ إن المعطل جاحد للذات أو لكمالها وهو جحد لحقيقة الألوهية؛ لأن المعطل للأسماء والصفات منكر لمعانيها ومدلولاتها، ولا توجد الصفات بدون الذات، ولا الذات بدون الصفات كما اتفق عليه العقلاء. وأول من أظهر التعطيل في الإسلام الجعد بن درهم.

التعميد: فريضة مقدسة عند النصارى يتم فيها الغسل بالماء باسم الآب* والابن* والروح القدس*، لتطهير النفس ـ في زعمهم ـ من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح*، بعد اعترافهم جهارًا أمام الكنيسة* بإيمانهم وطاعتهم للآب والابن والروح القدس معبودهم الوحيد. واختلفت وجهات نظر النصارى في التعميد، فجعله بعضهم بالتغطيس الكامل ثلاث مرات، وأغلبهم يكتفي برش الماء على الوجه، وبعضهم جعله للكبار البالغين، وأغلبهم يوجب تعميد الأطفال وخصوصًا في اليوم الذي قبل عيد الفصح أو العنصرة. أما عند الضرورة فإنهم يعمدون الأطفال والفتيان في كل حين على حد سواء، ويسمى التعميد

بالاعتماد والاصطباغ والمعمودية. ويعد التعميد عند الصابئة أحد دعائم دينهم، ولا يكون إلا في الماء الحي الذي لا تتم الطقوس إلا به، ولا يكون إلا على أيدي رجال الدين، وأما أوقات التعميد عندهم فهي: في حالات الولادة، والزواج، وعماد الجماعة، وعماد الأعياد.

التفسير الاقتصادي للتاريخ: يعني إرجاع التغيرات الأساسية التي طرأت على التطور التاريخي والأحداث التي مر بها المجتمع الإنساني إلى تأثير التغيرات المادية والنوعية الحاصلة في قاعدته الاقتصادية بالدرجة الأولى، التي تنشأ لطبيعة علاقات الإنتاج بين الطبقات المتصارعة في المجتمع. وقد ارتبط التفسير الاقتصادي للتاريخ بالنظرة المادية للتاريخ* ، مع إغفال العوامل الأخرى. وعليه فإن **التفسير الإسلامي للتاريخ** يقوم على أساس أن الإنسان بمجموع حالاته هو صانع التاريخ لا بجانب واحد منه، سواء كان في حالات الهدى أو حالات الضلال، في حالات تفاعله مع الكون المادي بأفكاره وقيمه ومبادئه وضغوطه، أو بدافع من أحلامه ودوافعه الداخلية وتطلعاته، لذلك يستنكر على التفسير المادي الجاهلي أنه يركز على الجانب المادي فقط من الإنسان مع إغفاله الجانب الروحي.

كما يرى التفسير الإسلامي للتاريخ أن الصراع في المجتمعات الإيمانية بين الحق والباطل، وأما في المجتمعات الجاهلية* فالصراع يكون فيها بين الباطل وأهله. يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولذلك ينكر التفسير الإسلامي للتاريخ الحتميات* المادية* ، ويفسر أحداث التاريخ المختلفة بما فيها قيام الأمم والحضارات وسقوطها، حسب السنن الإلهية التي لا تحابي ولا تجامل، ومع ذلك يؤكد على أن تمكين العقيدة في القلوب يرفع الإنسان فوق الضغوط المادية والاقتصادية، فينجو من ثقلها ويصوغ حياته وفق عقيدته وقيمه، أما عند عدم تمكنها من القلوب فإن الإنسان يصارع الضغوط المادية فيصرعها وتصرعه، وعند عدم وجودها أصلاً فإن الإنسان يقع تحت الضغوط المادية ويصبح أسيرًا لها، هذا هو ما ركز عليه التفسير المادي* الجاهلي للتاريخ، وبذلك يتسم التفسير الإسلامي للتاريخ بالواقعية.

التفويض: يعرف بوجه عام بأنه رد كل ما عجز العقل* عن إدراكه أو الإحاطة به إلى الله عز وجل، إذ يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] ويقصد به عند السلف تحديدًا تفويض العلم بكيفية ذات الله تعالى، وكيفية صفاته سبحانه وتعالى، وأيضًا، تفويض تفاصيل حكمته ـ سبحانه ـ من أوامره ونواهيه الشرعية إلى الله عز وجل، إذ لا يلزم عندهم من عدم العلم بها عدمها؛ لأن عدم العلم بالشيء ليس علمًا بعدمه، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية.

أما معناه عند الخلف ـ أهل الكلام قديمًا وحديثًا ـ فإنه تفويض معاني النصوص الشرعية الثابتة التي تعارض قواعدهم وعقائدهم، التي لم يجدوا لها تأويلاً* ولم يستطيعوا ردها، مع اعتقادهم أن ظاهر النص غير مراد.

وعلى هذا يتبين الفرق في معنى التفويض بين السلف والخلف، فالسلف يعلمون معاني النصوص ويؤمنون بها، إذ دل عليها ظاهر النص، وإنما يفوضون أمر الكيفية إلى الله تعالى على عكس الخلف، ويلخص الإمام مالك ـ يرحمه الله ـ منهج السلف في التفويض بإجابته لمن سأله عن الاستواء قائلاً: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب، وبذلك يتبين لنا خطأ من قال «إن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع. . .» إذ لم يعرف القول بالتفويض في القرون الثلاثة الأولى وإنما ظهر في القرن الرابع الهجري، ومن أوائل من قال به في بعض نصوص الصفات الاختيارية أبو منصور الماتريدي ـ يرحمه الله ـ (ت ٣٣٣هـ)، وأبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ (ت ٣٢٤هـ) في محاولة للتوسط بين منهج* السلف في إثبات النصوص وبين المنهج العقلي المستمد من الفلسفة* اليونانية الذي اعتمده المتكلمون وحسبوا قطعيته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «وإنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات. فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر. .» «مجموع الفتاوى ٥/ ١٠٢٩».

وكان من أسباب انتشار تلك المقولة إطلاق دعوة إلزام العوام بالتفويض تحت دعوى الخوف على عقائد العوام مما أثر على تجهيلهم وصرفهم عن العلم بمعبودهم سبحانه وتعالى.

ولخطورة هذا المسلك في التعامل مع النصوص نبين شيئًا من لوازمه الخطيرة التي صرح بها بعض المتكلمين من أن الاعتقاد في ظاهر ما دلت عليه النصوص كفر*، وبالتالي يلزم رد معاني الآيات الدالة على التدبر وإضاعة الاستفادة من آياته الكريمات التي هي ... وشفاء ورحمة للمؤمنين، كما يلزم، أيضًا، عدم العمل بهذه النصوص أو التحاكم إليها، وفي القول بأن التفويض مذهب* السلف الصالح ذم للنبي،* ﷺ، وصحابته - رضي الله عنهم - واتهامهم بعدم معرفة معاني آيات وأحاديث الصفات. ويبطل ابن تيمية هذا الزعم في **أساس التقديس** بقوله «الدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول إن القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول،* ﷺ، وأصحابه، وفيه مدح من ذمهم الله تعالى من الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني. يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]».

وأخيرًا من لوازم هذا المسلك الخطير - التفويض - القدح في سلف الأمة الذين تكلموا في معاني نصوص الصفات واعتقدوا ظاهرها على الوجه اللائق بالله تعالى، مما يلزم معه إبطال الإجماع* من أصله. ويطلق أصحاب المقالات التفويض على بعض الأصناف الغالية من الروافض* يقول عبدالقادر البغدادي - يرحمه الله - في **الفرق بين الفرق**:

«أما المفوضة من الرافضة* فقوم زعموا أن الله تعالى خلق محمدًا ثم فوض إليه خلق العالم وتدبيره.. ثم فوض محمد تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب فهو المدبر الثاني.

وهذه الفرقة شر من المجوس*.. وشر من النصارى.. فمن عد مفوضة الرافضة من فرق الإسلام، فهو بمنزلة من عد المجوس والنصارى من فرق الإسلام» ص ٢٥١.

تقليد: قبول قول الآخر بلا حجة ولا دليل معتقدًا للحقيقة من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الآخر أو فعله قلادة في عنقه، فالأخذ بقول النبي* ﷺ أو بالإجماع* لا يسمى تقليدًا؛ لأن ذلك هو الدليل نفسه، ولم يخالف في جواز التقليد للعاجز عن الاجتهاد* والنظر إلا بعض القدرية*. وللعامي أن يستفتي من غلب على ظنه أنه من أهل

الفتوى، إذ لا يلزم سؤال عالم بعينه، ولا أن يتقيد بواحد معين إذ لا إلزام بلا ملزم شرعي، ولأن الشريعة الإسلامية* ـ نصوص القرآن والسنة ـ أكبر وأوسع من أي مذهب* كان.

وقد اختلف العلماء في حكم التقليد على ثلاثة أقوال: الأول: المنع مطلقًا إذ أوجبوا على كل مكلف الاجتهاد وتعلم وسائله وأدواته، والثاني: الجواز مطلقًا سواء كان قادرًا على الاجتهاد أم كان عاجزًا عنه، والثالث: التفصيل إذ الجواز في حق العاجز عن الاستدلال والاجتهاد والتحريم في حق المجتهد القادر وهو القول الراجح.

ويقول ابن القيم في أنواع التقليد التي يحرم العمل بها والافتاء بها :

أحدها: الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه، اكتفاء بتقليد الآباء.

الثاني: تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله.

الثالث: التقليد بعد قيام الحجة، وظهور الدليل على خلاف قول المقلد».

وقد ذم الله تعالى هذه الأنواع الثلاثة في أكثر من موضع من كتابه الكريم. وللأسف فإن التقليد يمثل الاتجاه السائد ليس بين أتباع الديانات* فحسب، بل بين أتباع الكثير من أئمة المذاهب الفقهية والمفكرين والأدباء والفلاسفة والسياسيين من حزبيين وغيرهم، ولكن المنهج* الأحمد في هذا المجال هو الإفادة من آراء السابقين، وأخذ الراجح منها والأقوى دليلاً، وعدم الجمود على رأي واحد بعينه، وترك ما ظهر ضعفه منها، وجعل الدليل من الكتاب والسنة هو الحكم في الأمور، والإضافة إليها في حدود النصوص، والقاعدة في ذلك أن «كل أهل العلم أقوالهم يحتج لها ولا يحتج بها إلا إذا حصل إجماع المسلمين» خصوصًا في المنهج* الإسلامي الذي لا يلزم أحدًا باتباع أحد غير الرسول* الكريم، ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين المهديين رضوان الله عليهم.

التَّقيَّة: عرفها الحافظ ابن حجر العسقلاني بأنها «الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير» وذلك خوفًا من وقوع ضرر هالك، فيظهر للمخالف اللين في الكلام والموهم بالمحبة ويضمر في قلبه خلافه، وأن يُعِّرض في كل ما يقول. ويعرفها الشيخ المفيد من الشيعة* بأنها «كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدنيا والدين».

والتقية عند أهل السنة* رخصة جائزة في حال الضرورة بالقول واللسان، وإن كانت العزيمة أعظم أجرًا عند الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وعلى هذا انعقد إجماع أهل السنة. يقول ابن المنذر «أجمعوا على أن من أكره على الكفر* حتى خشي على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يحكم عليه بالكفر». ودليلهم على ذلك الاستثناء في قوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ وقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وللحد من الإسراف في العمل بالتقية وتطبيقاتها وضع علماء أهل السنة* للأخذ بها عدة ضوابط منها:

ـ إن كان المسلم بين قوم كفار يخاف على نفسه أو ماله فله أن يظهر الموالاة لهم، ورأى الإمام الشافعي أنه إن شابهت حالته بين المسلمين حالته بين الكفار حلت له التقية، ويقول ابن حزم: «لا فرق بين إكراه السلطان أو اللصوص، أو من ليس سلطانًا، كل ذلك سواء».

ـ العزيمة أفضل وأعظم أجرًا عند الله تعالى من الأخذ بالتقية، ويرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام.

ـ التقية جائزة باللسان فقط، أما أن يعود الضرر إلى الغير كالقتل والجرح والضرب والزنا وغصب الأموال والأعراض وشهادة الزور، فحرام وغير جائزة على الإطلاق، بل يلزم القود والضمان؛ لأنه أتى محرمًا عليه إتيانه كما قال ابن حزم في **المحلى**.

كما وضعوا للتقية باللسان ضوابط تفرق بين المكره وغير المكره ممن يعيش بين ظهراني المشركين مع العجز عن الهجرة*، فالأول له النطق بكلمة الكفر* إن اضطر إليها، أما الثاني فعليه إما أن يظهر دينه بينهم وإما أن يكتمه ولا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، وبالتالي لا يوافقهم على دينهم كله، وغايته أن يكون كمؤمن آل فرعون. قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا...﴾ الآية [النحل: ١٠٦].

ويرفض عامة الخوارج* وبخاصة الأزارقة التقية عمومًا سواءً كانت في القول أو في العمل. يقول نافع بن الأزرق: «التقية لا تحل...»، بينما غالت النجدات من الخوارج في الأخذ بها في القول والعمل، وإن أدى ذلك إلى قتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق، وتوسطت الصفرية والأباضية فأجازوا التقية في القول واللسان دون الفعل.

وأجاز بعض المعتزلة الأخذ بالتقية عند تحقق الخطر الهالك وتلف النفس. يقول أبو الهذيل العلاف: «إن المكره إذا لم يعرف التعريض والتورية فيما أكره عليه، فله أن يكذب ويكون وزره موضوعًا عنه».

أما التقية عند الشيعة* فهي ركن من أركان الدين* عندهم. يقول ابن بابويه: «اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة»، بل قالوا إن جعفر بن محمد قال: «إن تسعة أعشار الدين في التقية من دين الله، ولا دين* لمن لا تقية له» **الكافي من الأصول** ٢/٢١٧، ٢١٩. وهي بذلك ليست حالة طارئة كما عند أهل السنة وغيرهم من الفرق، ولكنها حالة مستمرة وإن لم يوجد ما يبررها، وتظل ملازمة للشيعي في ديار المسلمين التي يسميها بديار التقية أو دولة الباطل أو دولة الظالمين.

يقول ابن بابويه في **الاعتقادات**: «والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامة، وخالف الله ورسوله والأئمة».

وبذلك، وبناءً على ما سبق ذكره فإن التقية عند الشيعة لا تعدو أن تكون نوعًا من الكذب والنفاق الذي ينهى عنه الإسلام. ويرجع بعض الباحثين إلى أن هذه الفكرة ـ التقية ـ تسربت لبعض المسلمين عن طريق أهل الكتاب الذين برعوا في استخدامها فترات اضطهادهم، وبخاصة عند الفريسيين من اليهود، ويدلل على ذلك بما ورد في **التلمود** «على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينًا كاذبة، ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما»، و «غير مصرح لليهودي أن يوجه السلام إلى الكافر إلا إذا كان يخشى ضرره أو عداوته، والنفاق جائز، ولا بأس في ادعاء محبة الكافر إذا خاف اليهودي من أذاه»، وأيضًا، ما ورد في **الإنجيل*** عندما أنكر بطرس تلميذ المسيح* الكبير المسيح ثلاث مرات، وبما قاله بولس في

رسالة كورنثوس ٩/ ١٩-٢٢ : «إني إذ كنت حرًّا مع الجميع، استعبدت نفسي للجميع، لأربح الأكثرين، فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس . . . » .

التكفير: انظر الكفر

التكييف: في المصطلح الشرعي يعني حكاية كنه وحقيقة ما لا يعلمه إلا الله تعالى من المعاني، كأن يحكي حقيقة الذات الإلهية أو حقيقة صفاتها. وهذا من القول على الله تعالى بلا علم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تعالى ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤] وعلى هذا فبين التكييف والتمثيل عموم وخصوص ـ انظر التمثيل . .

التلباثي: أحد الملكات النفسية التي تتجاوز ما تألفه الحواس الإنسانية وتعرف بالشعور عن بُعد، وقد يطلق عليها تراسل الأفكار أو البصر المغناطيسي.

وتعني هذه الملكة: أن أناسًا يستحضرون في أخلادهم سيرة إنسان بعيد بغير سبب يعلمونه، فإذا هو ماثل أمامهم ساعة استحضاره، أو يقلقون لغير سبب في لحظة من اللحظات، ثم يعلمون بعد ذلك أن إنسانًا عزيزًا عليهم كان يتألم. وقد أجرى كثير من العلماء تجارب على هذه الملكة، وعرض العقاد نماذج تمثل النزعات المختلفة لهؤلاء العلماء، وناقش هذه الآراء وفندها في كتابه (الله) . والتلباثي إحدى صور الإلهام، وتعرف في الإسلام بمقام التحديث لما رواه البخاري ومسلم واللفظ له عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي، ﷺ، كان يقول: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمر بن الخطاب منهم»[1] ويقول الحافظ ابن حجر في **فتح الباري**: «ومن ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدث به غيره، وهو الذي ألهم بالصواب الذي يلقى على فيه»، وهو كرامة لعباد الله المتقين واستدراج لغيرهم، ومنه ما وقع لأبي بكر الصديق بإخبار زوجته بما في بطنها أنها أنثى، وكذلك قصة عمر بن الخطاب المشهورة عندما نادى يا سارية الجبل وهو

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) عن أبي هريرة ومسلم (٢٣٩٨) عن عائشة .

يخطب يوم الجمعة في المدينة، فسمع سارية قوله أثناء قتاله مع أعدائه في العراق.

التمائم: تعاويذ يلبسها الإنسان أو يعلقها لاعتقاد أنها تدفع الآفات والمقادير وتطرد الشر وتحقق الشفاء من الأمراض، وقد استعملها المصريون القدماء والعبرانيون بوضع نصوص من التوراة* فيها، واستعملها النصارى* في القرن الرابع الميلادي بضم أشياء مقدسة عندهم إليها من الصلبان والنصوص الدينية، وتستعملها المجتمعات الوثنية* بوضع أسنان الحيوان أو الأحجار الكريمة وتنقش عليها رموز عجلات إله* الشمس والصليب المعقوف.

وقد عرفها العرب في الجاهلية* وذكروها في آدابهم، إلا أن الإسلام أبطلها وحرم التمائم الشركية أو التي تؤدي إلى الشرك مما فيه استغاثة واستعانة بغير الله تعالى، أما إذا كان المعلق قرآنًا ففيه ثلاثة أقوال: الجواز مطلقًا، أو المنع مطلقًا، أو الجواز بشرط أن يكون بعد نزول البلاء. أما قبله فلا تجوز، والراجح المنع مطلقًا، والله أعلم.

التمثيل: هو مساواة غير الله بالله في الذات والصفات أو العكس، كقياس ذات الله على ذات المخلوق، أو أن يجعل بعض صفات الخالق كبعض صفات المخلوق والعكس، أو أن يدخل الخالق والمخلوق تحت قاعدة كلية يستوي أفرادها مثل قولهم كل موجود فهو جسم أو كل من له صفة فهو مخلوق.

والتمثيل أخص من التكييف؛ لأنه تكييف مقيد بمماثلة. وتكمن خطورة هذا الأصل من أن تمثيل الخالق جل وعلا بالمخلوق يلزم منه أنه يجوز لأحد المثلين ما يجوز على الآخر، ويجب له ويمتنع عليه ما يجب ويمتنع على الآخر، أيضًا، وهذا مستحيل عقلاً وشرعًا، ويؤدي هذا الأصل إلى القول: بتأليه بعض البشر أو حلول* الله تعالى فيهم وادعاء غيبتهم وإنكار موتهم وإلا لقالوا بموت الإله* على حسب قانون التماثل السابق، وكذلك أدى إلى القول بنفي كل الأسماء والصفات أو بعضها للفرار من التمثيل على حسب ظنهم - راجع التعطيل*، الجهمية* - كما أدى إلى القول بالتأويل* لنفس الشبهة السابقة، وقد عصم الله أهل السنة والجماعة* من الزيغ والضلال حيث آمنوا بهذه الأسماء والصفات من غير تحريف* ولا تعطيل* ولا تكييف* ولا التمثيل الذي نفوه عن الله تعالى نفيًا مطلقًا لقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] لأن الأصل عندهم أن الاتفاق في أصل المعنى لا يلزم منه وقوع المماثلة في الواجبات والخصائص ـ راجع التشبيه ـ.

التناسخ: من العقائد الفاسدة التي يقصد بها انتقال الروح من بدن قد مات صاحبه إلى بدن آخر لمخلوق حي، إنسانًا كان أم حيوانًا، وذلك لمنح الروح الفرصة بعد الفرصة لكي تتطهر من أدرانها على أساس أن الحياة قصيرة ولابد من إعطاء الروح وقتًا كافيًا لكي تتحرر من أخطائها. ويعرف التناسخ بتجوال الروح، أو تكرار المولد.

ويرى فيثاغورس تناسخ الأرواح بين الإنسان والحيوان، وفي الديانات الهندية ـ الهندوسية والبوذية والجينية ـ أن الروح لا تُحاسَب بعد حياتها الأولى مباشرة إذ لا قيامة ولا حساب ولا جزاء في الآخرة، إذ لا دار إلا الدار الدنيا، أما القيامة فهي خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر، إن خيرًا فخير بداخل الأجسام الإنسية المنعمة، وإن شرًا فشر بداخل الأجسام الرديئة من الكلاب والخنازير.

يعد قانون الجزاء الهندوسي (الكارما) هو الأساس الفلسفي الذي قامت عليه عقيدة التناسخ بزعم أن الرب والروح ومادة الخلق أزلية، وبالتالي فالروح على ذلك لا تفنى فناءً كاملاً، ولذلك يتم لها ما يسمى بتكرار المولد حتى تتطهر روح الإنسان وتنتهي رغباته عند ذاك، وعلى ذلك تتوقف حياة الإنسان المادية فيبقى الإنسان بعدها روحًا خالدًا متحدًا مع برهما. أما البوذية فتؤمن بالتناسخ، أيضًا، ولكن ليس بتناسخ الأرواح التي تنكر وجودها، ولكن بتناسخ الكرما التي اعتبرتها أساس كل شيء في الوجود، وعلى أساسها ينتقل الإنسان إلى حياة جديدة. وقد تأثر المانوية من المجوس* بعقيدة التناسخ، وكان من أكبر لوازمها عندهم الاعتقاد بعدم انقطاع النبوة* والرسالة* ، فيعتقدون أنه إذا ما مات رسول حلت روحه في بدن آخر مختار لحمل الرسالة وتولي أدائها، وهذا ما ترك آثاره السيئة على الأمة الإسلامية فظهرت دعاوى النبوة المزعومة في التاريخ الإسلامي وبخاصة بين غلاة الشيعة ـ راجع المجوس ـ.

وأول من قال بتناسخ الأرواح بعد الإسلام السبئية* «أصحاب عبدالله بن سبأ» وذلك في محاولة منهم لتزييف المفاهيم الأساسية لحدود العلاقات بين الله تبارك وتعالى والنبي،* ﷺ ،

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتبنى القول بهذه العقيدة الفرق الباطنية* من أمثال النصيرية والدروز، إلا أنه يقتصر على الأجسام الإنسية فقط عند الدروز، وكانت من أهم الآثار الاعتقادية لنظرية التناسخ القول بالحلول* .

التنجيم: المقصود به الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهو نوعان:

١ـ علم التأثير: وهو ما يدَّعيه أهل التنجيم لمعرفة الغيب اعتمادًا على النظرية القائلة بتأثير النجوم في شؤون السفليات بما فيها الإنسان والحرب والسلم، والسعد والنحس. واختلط التنجيم في العصور الوسطى بعلمي الكيمياء القديمة والسحر، وانفصل عن علم الفلك بعد ظهور كوبرنيكوس.

ويدَّعي أصحاب معرفة حوادث المستقبل وكشف الطالع أن ما يحدث في الكون وما يجري للإنسان ذو اتصال سببي بحركات النجوم ومواقعها. ولهذا فهو ضرب من ضروب السحر وشعبة من شعب الكهانة* . ويقول رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد»(١). وقد اشتهر به في القديم الصابئة عباد الكواكب الذين بنوا لها الهياكل وعبدوها وعظموها، وكذلك الفلاسفة الذين عدوا هذه الكواكب عقولاً فاضت عن العقل الفعال وهي تفيض على باقي المخلوقات. وقد تأثر بهذا النوع العرب بعد ترجمة المؤلفات الإغريقية اليونانية والهندية والفارسية الخاصة بهذا العلم، فضلاً عن الاعتقادات التي كانت شائعة بين عرب الجزيرة وأهل مصر والشام وشمال أفريقيا، وأصبح المنجمون مستشارين في بلاط بعض السلاطين. ومن أشهر من اشتغل به أبو معشر البلخي صاحب المصنفات العديدة في هذا الباب، وإلى اليوم ما زال للتنجيم رجاله ودعاته في الدول الأوربية والإسلامية على حد سواء، بل أصبح له اتحاد عالمي في باريس، وتخصص له بعض الصحف أبوابًا ثابتة يوميًا تحت عنوان «أنت والنجوم» أو «حظك اليوم»، وهذا النوع من التنجيم باطل، ويعد شركًا أكبر مُخرجًا من الملة* إن ادَّعى أن النجوم والكواكب فاعلة أو مؤثرة، وإن اعتقد أنها مقارنة للحوادث الأرضية لا تفارقها، فهو مشرك شركًا أصغر يخل

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٦) ومسلم (١٧٠٩).

بكمال التوحيد، لدعوى مشاركة الله تعالى في علم الغيب يقول تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥] ويقول جل شأنه ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] ويقول سبحانه وتعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] بالإضافة إلى ما يتضمنه هذا التنجيم من تقديم أنواع العبادة المختلفة من دعاء وتعظيم ـ إلى النجوم مما يعد شركًا أكبر، يقول ابن تيمية مبينًا خطورة التنجيم والمنجمين «فإن هؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت بإجماع المسلمين، وثبت عن النبي،* ﷺ، برواية الصديق عنه أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[1]، وأي منكرٍ أنكر من عمل هؤلاء الأخباث، سوس الملك، وأعداء الرسل، وأفراخ الصابئة عبَّاد الكواكب، فهل كانت بعثة الخليل، صلاة الله وسلامه عليه، إمام الحنفاء إلا إلى سلف هؤلاء، وهل عبدت الأوثان في غالب الأمر إلا من رأي هذا الصنف الخبيث، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله» **مجموع الفتاوى** ٣٥/ ١٩٥، ويعرف المشتغل به بـ «المنجم» و «الكاهن»* وأحيانًا يطلق عليه «عرَّاف».

٢ـ علم التسيير «علم الفلك»: أي كيف تسير النجوم والكواكب، فهو علم طبيعي ينظر في النجوم والكواكب من حيث مواضعها وحركاتها، بالإضافة إلى انتقال الشمس في البروج، أو يبحث في كسوف الشمس وخسوف القمر للاستدلال على اتجاه القبلة والأوقات والجهات الأصلية وهذا جائز شرعًا، ولا بأس به بل كثيرٌ منه نافع ووسيلة إلى معرفة العبادات ويهتدي بها المسافر، كما يحسب بها التقاويم ويعرف به بروج الشتاء والصيف، وهبوب

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد رقم (١) وابن ماجة (٤٠٠٥) وأبو داود (٤٣١٧) والترمذي (٣٠٥٧) وغيرهم عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إنه سمع رسول الله، ﷺ، يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»، وإني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون أن يغيروا ولا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب» قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (١/ ١٥٣) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة تحت رقم (٣٢٣٦) (٢/ ٣٦٧).

الرياح، وإصلاح الثمار، يقول تعالى ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، ويعرف المشتغل به باسم «الفلكي».

التنزيه: حقيقته عند أهل السنة والجماعة* أن ينفي عن الله ما لا يليق به شرعًا وعقلاً، كالولد والوالد والشريك والند، ونفي التمثيل* والتجسيم وغير ذلك مما نزه الله تعالى عنه نفسه في كتابه أو على لسان رسوله* ﷺ، وذلك لكماله في ذاته وصفاته وفي وحدانيته وقيوميته، ولغناه المطلق عن كل من سواه في الوقت الذي يحتاج إليه كل ما عداه. يقول تعالى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ويقول تعالى ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥] ويقوم التنزيه عند أهل السنة والجماعة على أربعة أصول:

الأصل الأول: أن يكون التنزيه بلا تعطيل* للصفات الثبوتية، ولا يكون ذلك عند أهل السنة* إلا بإثبات الصفات الثابتة لله تعالى، والتنزيه فيها بنفي مماثلتها لصفات الخلق، بالإضافة إلى تنزيه الخالق جل وعلا عن صفات النقص ونفيها نفيًا مطلقًا. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «فإن هذه النقائص يجب نفيها مطلقًا، وأما صفات الكمال فيجب نفي التشبيه* والتمثيل* فيها» **نقض التأسيس** ج ١ ص ٥٧.

الأصل الثاني: اتباع طريقة القرآن الكريم في الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات؛ لأن النفي كلما أجمل كان أدل على التنزيه من كل وجه كما قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]. وذلك عكس قاعدة الأشاعرة في التنزيه من التفصيل في النفي مع الإجمال في الإثبات على غير طريقة القرآن الكريم والسنة المطهرة في النفي والإثبات بالإضافة إلى أصلهم الثاني في التنزيه والمبني على أساس مخالفة الله تعالى للحوادث موافقة للمعتزلة مما استلزم ذلك منهم نفي بعض صفات الكمال الثابتة لله جل وعلا بالسمع ـ الشرع ـ والعقل معًا مثل ـ العلو وغيره ـ .

الأصل الثالث: إثبات كمال ضد ما ينفى وينزه الله عنه؛ لأن النفي المحض لا يكون كمالاً. يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفى تعالى عن نفسه النوم والنعاس لكمال حياته وقيوميته جل وعلا.

الأصل الرابع: اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في النفي إذ ينفي عنه تعالى كل ما ضاد صفات كماله واستلزم نقصًا أو عجزًا، كما ينفي عنه سبحانه كل ما نفاه عن نفسه تفصيلاً.

أما ما لم يرد في الكتاب والسنة من الاصطلاحات* الحادثة المتعلقة بالله جل وعلا والمتضمنة للحق والباطل في معناها فلا تنفى مطلقًا حتى يتبين وجه الحق منها فيقر ووجه الباطل فيها فينفى ـ راجع الاصطلاح ـ.

أما التنزيه عند المعتزلة فهو الإيمان بذات الله تعالى مجردة عن جميع الصفات بل وموصوفة بأنواع من السلوب التي تجعل وجود الله تعالى وجودًا ذهنيًا لا حقيقة له في الخارج أو مجردًا أشبه بالموجود الذي وصفه أرسطو.

التنظيم: هو تكوين يضم مجموعة من الناس من ذوي الاتجاه الواحد والنظرة المتماثلة والمبادىء المشتركة والهدف المتفق عليه والسعي على تنفيذه، ويرتبط أفراد التنظيم بعضهم ببعض بقواعد تنظيمية مقبولة ومتفق عليها تحدد علاقاتهم في اثناء العمل والنشاط كما تحدد أسلوبهم في تحقيق هدفهم.

ويأخذ التنظيم شكل حزب أو اتحاد أو هيئة أو جماعة أو جمعية* أو منظمة، على أن تتوافر عناصر التنظيم الرئيسية من:

١ـ أفراد ذوي اتجاه واحد.

٢ـ قاعدة تنظيمية يترابطون على أساسها.

٣ـ هدف مشترك يسعون لتحقيقه.

بعد سقوط الخلافة* الإسلامية، وانفراط عقد دولة الإسلام، واستبدال القوانين الوضعية* بالشريعة الإسلامية*، نشأت عدة تنظيمات إسلامية في شكل جمعيات* أو هيئات متعددة تسعى إلى سد حاجة المسلمين ورعاية شؤونهم، بالإضافة إلى تولي واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تعددت وسائلها في الدعوة إلى الله جل وعلا بهدف السعي لإقامة دولة الإسلام، ومما تجدر الإشارة إليه أن أول هذه الجمعيات الحديثة ظهورًا

في الدول العربية كانت جمعية* الشبان المسلمين والتي أسسها الأستاذ السلفي/ محب الدين الخطيب الذي يصفه الشيخ/ على الطنطاوي في كتابه **طرق الدعوة إلى الإسلام** بقوله:

٤ـ «الدعوة عن طريق الصحف والمجلات . . . كما فعل (محب الدين الخطيب)، وهو أبو الحركة الإسلامية الجديدة في مصر، كان قلمه أول قلم دعا إليها، وكانت مطبعته (ومكتبته) السلفية أول مطبعة وقفت عليها وكانت مجلته «الفتح» أول مجلة إسلامية في مصر . . . وقد شاركه الأساتذة / محمود شاكر، وعبدالمنعم خلاف، وعبدالسلام هارون، والشيخ الخضر حسين شيخ الأزهر، والشيخ أحمد تيمور» وقد تلاها العديد من الجمعيات التي أشير إلى بعضها في هذه الموسوعة* ، وبالإشارة إلى ما مر بيانه عند معالجة مصطلح* البيعة* أن التحالف أو إنشاء التنظيمات بقصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مظان الاجتهاد* بين العلماء، فمن العلماء من رأى عدم مشروعيتها اكتفاءً بجماعة المسلمين العامة ورابطة التآخي بينهم أو لدعوى نسخها، وكذلك لما قد يترتب عليها من تفريق لكلمة الأمة وظهور للحزبيات والعصبيات المنهي عنها، الأمر الذي ترتب عليه التهارج والتلاعن الذي أوجب الفشل وذهاب الريح وتسلط الأعداء على أمة الإسلام في فترات معينة من تاريخنا الإسلامي. ـ راجع البيعة ـ ومنهم من رأى مشروعية قيام الأحلاف حتى داخل الدولة الإسلامية شريطة عدم التحيز والانفصال عن جماعة المسلمين، بل هناك من أوجبها عند شغور الزمان من دولة الإسلام، وشرع مطاع من باب مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

يقول الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في **حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية** «باب الخلاصة: الخلاصة لأبحاث حكم الانتماء. . .

٥ ـ الانحياز والانفصال من فرد أو جماعة عن (جماعة المسلمين) (أهل السنة والجماعة)* بمخالفة شرعية في اعتقاد أو تعبد أو سلوك، مخترعة شعاراً أو أصولاً أو قواعد تجعلها قوانين للجماعة والمنتمين إليها، وتعقد الولاء* والبراء* عليها وعلى جماعتها، وعلى شعارها وحمله، أو بشيء من ذلك، فهذا انفصال عن جماعة المسلمين، تعتمده فرقة من الفرق البدعية تقترب من الصراط، وتبتعد بقدر ما لديها من مخالفة أو مخالفات» يشير فضيلته إلى ما أصّله الإمام الشاطبي من قاعدة كلية للحكم على تجمع ما أنه من الفرق الضالة

وذلك بمخالفته أهل السنة في أصل كلي، موافقًا بذلك بعض الفرق أو بدع جزئية متعددة فإنه يلحق بتلك الفرقة التي وافقها ـ انظر الخوارج ـ * ثم يقول:

٦ـ منابذة كل جماعة منحرفة عن الإسلام وإن أعلنته شعارًا كالقاديانية وغيرها.

أما أي جماعة خلطت عملاً صالحًا وآخر سيئًا فنواليها بقدر ما لديها من صلاح، ونتبرأ مما لديها من مخالفات، ولا يجوز بحال من الأحوال الانتماء إليها، ونعمل جاهدين إلى استصلاح حالها بدعوتها إلى راية التوحيد وترك التحزب. . .

٧ـ إذا تجاوزنا تشقيق جماعة المسلمين إلى أحزاب وجماعات، وانطلقنا من قاعدة التعاون والنصرة في الإسلام فاعلم أن الدعوة إلى الله بمفهومها العام، كما تكون من الفرد تكون بتعاون جماعة المسلمين، أو من شاء الله منهم. . . ويمكن تصنيفها حسب أحوال المسلمين اليوم كالتالي:

(أ) إذا كان المسلم في بلد إسلامي ولايته شرعية، والشريعة فيه قائمة، ودعوة التوحيد فيه ظاهرة، فأهله هم (جماعة المسلمين) في تلك البلاد، وعلى أهل العلم منهم واجب الدعوة والبلاغ، وألا يكونوا بمعزل عن واقع أمتهم. . . وليهبوا أفرادًا وجماعات كل بما يسر الله له، وما يكون الأصلح للأحوال، والأنفع للأمة، فجماعة للحسبة، وجماعة للدعوة والإرشاد، وأخرى لمتابعة الغزو الفكري وصده، وهكذا. . . سواء كانوا بذلك جماعة أو جماعات، أو أفردًا، ولكن ذلك مشروط ـ وايم الله ـ بألا يكون فيه تحيز وانفصال عن جماعتهم الأصل (جماعة المسلمين أهل السنة والجماعة*) فلا يجوز لأحد بحال أن ينفصل وينحاز عن جماعة المسلمين هذه، بدعوة يعقد الولاء* والبراء* على ما انفصل فيها. . .» ص١٧٥، ١٨٧.

ومن العلماء من قال بمشروعية تلك التنظيمات قياسًا على جماعة السفر التي قال عنها النبي* ﷺ «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»[1] سواءً أخذت هذه التنظيمات شكل

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٨) عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قال الألباني: حديث صحيح انظر صحيح أبي داود (٢٢٧٢) وصحيح الجامع الصغير (٥٠٠) وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٢٢).

جمعية* أو هيئة أو منظمة أو جماعة بل ذهب بعضهم إلى القول بوجوبها، وبخاصة عند شغور الزمان من إمام مطاع وشرع متبع من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، يقول إمام الحرمين الجويني في **غياث الأمم عن التياث الظلم** «ولو سعى عند شغور الزمان طوائف من ذوي النجدة والبأس في نفض طرق السعاة في الأرض بالفساد فهو من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وإذا لم يصادف الناس قوّامًا بأمورهم يلوذون به فيستحيل أن يؤمروا بالقعود عما يقتدرون عليه من دفع الفساد، فإنهم لو تقاعدوا عن الممكن عمّ الفساد البلاد والعباد» ص ٣٨٦-٣٨٧. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في **جامع الرسائل** «وكل قوم لا تجمعهم طاعة مطاع في جميع أمورهم، فلابد من التعاقد والتحالف فيما لم يأمرهم به المطاع... وإذا لم يكونوا على شريعة منزلة من عند الله، فإما أن يكونوا على شريعة غير منزلة أو سياسة وضعها بعض المعظمين فيهم بنوع قدرة وعلم ونحو ذلك، وما بقدرة من هذه الأمور الجامعة أوجب التحالف بينهم...» ج ٢ ص ٣٠٩.

وقد سُئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز: هل تعتبر قيام جماعات إسلامية في البلدان الإسلامية لاحتضان الشباب وتربيتهم على الإسلام من إيجابيات العصر؟

فأجاب قائلاً: «وجود هذه الجماعات الإسلامية فيه خير للمسلمين، ولكن عليها أن تجتهد في إيضاح الحق مع دليله، وألا تتنافر مع بعضها، وأن تجتهد بالتعاون فيما بينها، وأن تحب إحداها الأخرى، وتنصح لها وتنشر محاسنها، وتحرص على ترك ما يشوش بينها وبين غيرها، ولا مانع أن تكون هناك جماعات إذا كانت تدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ». (مجلة **البحوث الإسلامية**) العدد ٤٠ عام ١٤١٤هـ ص ١٥٢.

ومن هذا يتبين أنهم قد اشترطوا لمشروعية قيام هذه التنظيمات شروطًا منها:

١- ألا تتحزب على أصل كلي أو بدع* جزئية كثيرة تخالف أصول أهل السنة والجماعة*.

٢- ألا تعقد ولاءها* وبراءها*، وتمتحن غيرها على أساس الانتساب إلى هذا الاجتماع.

٣- الانتماء إلى جماعة المسلمين بمفهومها الشامل.

يقول الدكتور صلاح الصاوي في **الثوابت والمتغيرات** «فكل جماعة تكرس لدى أفرادها مفهوم التمايز والانفصال وتزكي لديهم روح التشرذم والتهارج مع الآخرين، جماعة

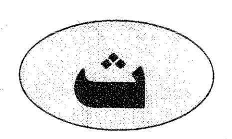
بدعية ضالة، لأن التزام الجماعة بمفهومها العام الشامل هو المخرج من الفتنة بنص الحديث. «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، حتى لو تميزت تنظيماتهم بأسماء لا تخرجهم عن شعار السنة والجماعة شريطة ألا يتعصب ولا يتحزب على هذا الاسم».

(ب) وقد انحرفت بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة بمخالفة شرط من هذه الشروط أو أكثر، فمنهم من خالفهم في أصول كلية مثل موافقتهم لمعتقدات الصوفية أو الروافض* من الشيعة*، أو تكفير* عموم المسلمين وعقد الولاء* والبراء* على ذلك، أو وضع أصول وقواعد ما أنزل الله بها من سلطان وامتحان الناس بها، أو زعم أنها وحدها جماعة المسلمين، أو أنها الجماعة الأم التي يجب الانضواء تحت لوائها. يقول الدكتور يوسف القرضاوي في **فتاوى معاصرة** «وهناك على النقيض من هذه الفكرة فكرة أخرى: ترى العمل الجماعي فريضة وتحصر هذه الفريضة في جماعة معينة ترى أنها وحدها تمثل الحق الخالص، وما سواها هو الباطل ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]. وبعبارة أخرى تصف هذه الفئة نفسها بأنها «جماعة المسلمين» وليست «جماعة من المسلمين» . . . ومن هؤلاء من يجعل الحق مع جماعته أو حزبه دون غيره، لمبررات موضوعية يسبغها على حزبه أو جماعته وحدها، وينفيها عن غيرها . . . وثمت آخرون يجعلون التقدم الزمني هو المعيار الأوحد، فمن سبق غيره فهو الجدير بأن يكون هو صاحب الحق، أو محتكر الحق والحقيقة. حتى زعم بعض الأحزاب في بعض البلاد الإسلامية أنه وحده يمثل الحق، لأنه الحزب الأول الذي أخذ زمام المبادرة، وكل حزب يشكل بعد ذلك يجب أن يلغي نفسه، ولا حق له في البقاء. . . » ص ٦٦٤، ٦٦٥.

التوراة: لفظة التوراة كلمة مستعربة عن أصلها العبري تورا، بمعنى القانون والتعليم والشريعة، وهي الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى، عليه الصلاة والسلام، في طور سيناء، مشتملة على العقيدة والشريعة، كتب موسى منها ثلاث عشرة نسخة، وأعطى لكل سبط نسخة، ووضع نسخة في التابوت، وتطلق على الأسفار* الخمسة الأولى من العهد القديم («**سفر التكوين**» «**سفر الخليقة**»، و«**سفر الخروج**»، و«**سفر الأحبار**» «**سفر اللاويين**»، و«**سفر العدد**»، و«**سفر التثنية**»). وظلت التوراة على حالها مع بني إسرائيل إلى سنة

٥٨٦ ق.م. عندما هزم ملك بابل نبوخذ نصَّر بني إسرائيل، وساق الأعيان والوجهاء منهم إلى بابل، ظن علماؤهم أن ملكهم أوشك على الزوال، وأن النبي* المنتظر من آل إسماعيل على وشك الظهور، فعمدوا إلى تحريف التوراة بكتابتها من جديد، وجعلوا نصوص النبوءات عن النبي المنتظر من آل إسماعيل محتملة لمعنيين في نظر العوام: إما أن تدل على النبي المنتظر، وإما أن تدل على نبي يظهر من آل إسرائيل. وقد أعيدت كتابة التوراة في بابل تحت إشراف «عزرا» الورّاق المعروف في القرآن الكريم باسم «عزير»، وبعد أن حدث الخلاف بين عزرا واليهود السامريين عمد السامريون إلى تحريف* نصوص التوراة لاتهام العبرانيين بالتحريف، وسميت توراتهم بالسامرية على أن توراة عزرا سميت بالعبرانية.

وفي سنة ٢٨٥ـ٢٤٧ ق.م. في عهد بطليموس فيلادلفوس، وفي مدينة الإسكندرية ترجمت التوراة العبرانية (الأسفار* الخمسة) إلى اللغة اليونانية على يد سبعين عالمًا من علماء اليهود، وحدث بها تغيير لبعض معاني الآيات، وسميت بالتوراة السبعينية أو اليونانية، التي يقدمها النصارى على غيرها بعد اعتراف الرومان بالنصرانية سواء كانوا كاثوليك (ملكانية)، أو أرثوذكس (يعاقبة)، إلا أن البروتستانت أتباع مارتن لوثر رفضوا التوراة اليونانية واعتبروها مزيفة، ورجعوا إلى التوراة العبرانية. وتطلق التوراة مجازًا على العهد القديم* ، وتسمى في كتب العهدين باسم الناموس، وقد وردت كلمة التوراة في القرآن الكريم ١٨ مرة وتم تعريبها في عهد الرشيد على يد أحمد بن عبدالله بن سلام إلى العربية، وقيل غير ذلك.



الثنوية: مذهب* ديني فلسفي قديم يمثل أحد أطوار الديانة* المجوسية* ، شاع في بلاد فارس قبل النصرانية وبعدها، وانتسبت إليه فرق تحمل أسماء أصحابها، ومن أقدمها الزرادشتية والديصانية والمانوية والمزدكية.

وحاولت طائفة «المرقونية» المزج بين النصرانية والثنوية، ويقوم مذهب* الثنوية على أساس أن العالم مركب من أصلين قديمين أزليين وممتزجين هما: النور والظلمة، ويختلفان في الجوهر والطبع والصفات والفعل، فجوهر النور: الصفاء والنقاء والجمال، وجوهر الظلمة: القبح واللؤم. وفعل النور: الخير والصلاح، وفعل الظلمة: الشر والفساد والفوضى.

إلا أن طوائف الثنوية* تختلف في تقرير طريقة هذا الامتزاج، ولم يتأثر من المسلمين بالثنوية إلا قلة يسيرة اتهمت بالزندقة*.

الثورة: حركة* جماعية تضم مختلف عناصر الشعب أو الأمة، بما فيهم الدهماء والغوغاء في حركة خروج عن الأوضاع القائمة المضطربة والمنهارة. يطلق بعض الكتاب مصطلح الثورة للدلالة على:

١ـ تغييرات فجائية وجذرية، تتم في ظروف اجتماعية وسياسية معينة، أي عندما يتم تغيير الحكم القائم والنظام الاجتماعي والقانوني المصاحب له بحكم آخر بصورة فجائية، وأحيانًا عنيفة، وهي بذلك وضع قانوني وسط بين الانقلاب والعصيان والتمرد من ناحية والحرب الأهلية من ناحية أخرى.

٢ـ تغييرات ذات طابع جذري غير سياسية حتى وإن تمت هذه التغييرات ببطء ودون عنف مثل الثورة العلمية والثورة الثقافية. وقد اهتم علماء السياسة والاجتماع بظاهرة الثورة وشرح مراحل العملية الثورية وأسبابها والنتائج التي تؤول إليها.

ويرى الأستاذ أنور الجندي أن مصطلح الثورة مصطلح غربي دخيل على المفاهيم الإسلامية التي تقر كلمة «الإصلاح»، كما تصور رسالات الأنبياء أنها دعوة إلى الإصلاح

وإلى تغيير الواقع الفاسد ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ . . . ﴾ الآية [هود: ٨٨] وقد أشار القرآن الكريم إلى التغيير ووضع قاعدته في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

وما كانت الثورات في العالم الإسلامي إلا تقليدًا للثورة الفرنسية وما تلاها من ثورات في أوربا في العصر الحديث، وبذلك كانت من دعائم التغريب والغزو الفكري. وأحيانًا يعبر السلف عن الفتنة بالثورة، مثل قولهم: الثورة على عثمان ويقصدون بها فتنة عثمان، رضي الله عنه، وكثيرًا ما يعبرون عنها بمصطلح الخروج مثل: خروج الحسين بن علي، رضي الله عنهما، وخروج الزنج على الدولة العباسية، وخروج ابن الأشعث. وهكذا، إذن المصطلح* الشرعي للثورة هو الخروج سواءً أكان بحق أو بغير حق، وبما أن الخروج على الحكام أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر كما يقول ابن القيم، فقد وضع الشرع له شروطه وضوابطه ورتب على مخالفتها أحكامًا وتشريعات، ويستوي في ذلك من خرج بغير تأويل* كقُطّاع الطريق، أو من خرج بتأويل سائغ أو غير سائغ، أو كانت لهم شوكة وهم البغاة، أو من خرج بلا تأويل أو بتأويل باطل، مثل: الناكثون للعهد من ذميين ومستأمنين، والخارجون لمجرد العصبية الجاهلية. أو من منع حقًا ثابتًا بلا تأويل لمجرد العناد والمكابرة وكذلك الأحزاب* السياسية العلمانية وغير المسلمة. فهؤلاء ليسوا بغاة ولكنهم من المرتدين فيقاتلون حتى يعودوا إلى الحق أو يتوبوا. على ما ذكر الدكتور عبدالله بن إبراهيم الطريقي في كتابه **مفهوم الطاعة والعصيان**.

وهناك نوع آخر يذكره لا خلاف عليه بين علماء المسلمين، وهو من خرج على الحاكم الكافر الكفر البواح الذي فيه من الله تعالى برهان لحديث عبادة بن الصامت «. . . إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان»(١) وهذا يقدره العلماء أهل الاجتهاد في الدين والسياسة والأمور العسكرية. . ولا يترك للعواطف والحماسة ولا للآحاد لما يترتب عليه من المفاسد المتعلقة بمصير الأمة، وذلك بشرط أن يكون القصد منه إعلاء كلمة الله وإعزاز الدين وأهله، وأن تكون الراية بيد أهل الحق لا بيد المارقين، مع الأخذ في الاعتبار في ذلك كله أنه إذا كانت المصلحة راجحة رجحانًا ظاهرًا جاز الخروج أو وجب، وإلا فلا.

---

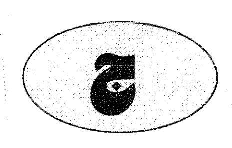
(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٨٤١) وأبو داود (٣٩٠٥) وغيرهما وصححه النووي في رياض الصالحين.

كما فرق الشارع بين أنواع المخروج عليهم: فإن كان مسلمًا عدلاً فتجب طاعته ومؤازرته وتعظيمه ولا يجوز الخروج عليه، ولا خذلانه ولا إهانته، وأما إن كان جائرًا أو فاسقًا أو ظالمًا أو مبتدعًا بدعة لا تخرجه من الإسلام فاختلف في حقه العلماء على أقوال كثيرة منها: جواز الخروج عليه إن لم تحدث فتنة، ومنهم من قال: لا يجوز الخروج مطلقًا. وجمهور المحدثين والفقهاء على أن الفسق أو الظلم ليس من مسوغات الخروج على الحاكم لعموم قوله، ﷺ: «من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه»[١]. وقوله «.. اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم»[٢]. ولا يعني الصبر عندهم عدم تقديم النصيحة ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال النووي في شرح صحيح مسلم «وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين» ج ١٢ ص ٢٢٩. أما الأخير فقد سبقت الإشارة إليه وهو الحاكم الذي ظهر منه الكفر البواح الذي فيه من الله تعالى برهان فيجب الخروج عليه بعد مناصحته والإنكار عليه مع مراعاة الضوابط السابق ذكرها في حق الخارجين عليه وإلا فلا.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٣٥) ومسلم (١٨٤٩) عن ابن عباس.
(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٦) عن وائل.



الجاهلية: تعني فكرًا وأوضاعًا وحالات للفرد والمجتمع التي تشمل عقيدته وفكره ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية، وكل ما ينظم أمور حياته غير المنبثقة من كتاب الله وسنة نبيه، ﷺ، وبذلك فهي حالة ووصف يقابل وصف الإسلام.

وقد انقطعت الجاهلية العامة بمبعث النبي، ﷺ.

والجاهلية بمعناها الخاص غير مرتبطة بعصر من العصور أو بحقبة تاريخية معينة أو بلد ما، وإنما هي حالة تنسحب على كل من تلبَّسَ بها سواء كان فرداً أو مجتمعًا. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما بعد مبعث النبي*، ﷺ، فقد تكون في مصر دون مصر، كما هي ديار الكفر، وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار إسلام» **اقتضاء الصراط المستقيم** ج ١ ص ٢٢٧.

ولا يستلزم اتصاف من ثبت إسلامه بخصلة من خصال الجاهلية غير المكفرة، تكفيره* وخروجه من الإسلام، ولكنها في هذه الحالة تخل بكمال إيمانه كما ثبت ذلك في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلا أن يستحل تلك الخصلة الجاهلية. وقد ورد لفظ الجاهلية في القرآن الكريم في أربعة مواضع مقيدة فيها مجال أو عمل مثل: «جاهلية الحكم والسلوك» في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وجاهلية السلوك الاجتماعي ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وجاهلية السلوك الفردي ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ...﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]، وجاهلية الروابط الاجتماعية ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]. وبالتالي لا يصح تجهيل مجتمعات المسلمين وإطلاق الحكم بتكفير أفرادها لتلبسهم بخصلة من خصالها.

جبرية: من الفرق الكلامية المنحرفة التي تقول بالجبر، بمعنى أن العباد مجبورون على أعمالهم، وأن الله تعالى يخلق أفعالهم على الحقيقة، ولا دور لهم فيها، وإنما تضاف إليهم على سبيل المجاز. وأول من قال بهذه المقالة في الإسلام الجعد بن درهم، وأخذها

عن بيان بن سمعة اليهودي عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم زوج ابنته عن يهودي باليمن. وأول من أظهرها تلميذه الجهم بن صفوان بمدينة ترمذ في أوائل المائة الثانية للهجرة، ولذلك فإن الجهمية* أول من حمل لواء هذه الدعوة.

والجدير بالذكر هنا أن لفظ الجبر لفظ محدث لم يرد في النصوص الشرعية لما يتضمنه من معاني العجز، حيث إن العاجز هو الذي يجبره غيره، وتعالى الله وتقدس عن أن يجبر أحدًا وإنما خلق الله تعالى الفعل وجعل للعبد إرادة ومحبة واختيارًا جعلها الله تعالى مناط التكليف. وأما اللفظ الذي وردت به النصوص الشرعية فهو لفظ «الجبل» ودليل ذلك أن النبي، ﷺ، قال لأشج عبدالقيس «إن فيك لخلَّتين يحبهما الله: الحلم والحياء. قلت: قديمًا كان في أو حديثًا؟ قال: بل قديمًا قلت: الحمد لله الذي جبلني على خلَّتين يحبهما الله ورسوله»[1].

ومن هذا يتضح أن بين لفظي الجبر والجبل فرق كبير من حيث المعنى، ومن حيث النهج السلفي العام في التعامل مع المصطلحات* ـ راجع الاصطلاح ـ فلفظ الجبل وردت به النصوص بينما لفظ الجبر لفظ محدث على حسب قاعدتهم في الألفاظ المحدثة.

قال ابن القيم في **التبيان** «والنبي*، ﷺ، أخبر بمثل ما أخبر به الرب تبارك وتعالى: أن العبد ميسر لما خلق له، لا مجبور، فالجبر لفظ بدعي، والتيسير لفظ القرآن والسنة...» ص٤١، ولهذا أنكر الأئمة على من قال «جبر الله العباد» كالثوري، والأوزاعي، والزبيدي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، وقالوا: الجبر لا يكون إلا من عاجز، كما يجبر الأب ابنته على خلاف مرادها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية الأمر الذي دعاهم إلى منع إطلاق الإثبات والنفي للجبر على حسب قاعدتهم في الألفاظ المحدثة.

ويرجع بعض الباحثين سبب انتشار القول بالجبر، إلى الصراع الشديد بين المعتزلة القائلة بخلق العباد لأفعالهم ـ راجع القدرية ـ وبين الزنادقة، وقد ظهرت هذه النزعات في عهد الصحابة ولكنهم استطاعوا بفضل الله وأدها في مهدها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٤/ ٢٠٥ وأبو داود (٥٢٢٥) وابن أبي شيبة (٨: ٣٣٤، ١٢: ٢٠٢) وأبو نعيم في الحلية. والحديث في مسلم الإيمان (٢٥، ٢٦) بلفظ إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

وكما كان للقول بالجبر أنصاره في اليهودية والنصرانية والفرق الكلامية، فإنه ما زال له دعاته إلى يومنا هذا في شكل مدارس ومذاهب* كلامية وفلسفية معاصرة تركت آثارًا سيئة على واقع الأمة الإسلامية ومسيرتها الحضارية ـ انظر **القضاء والقدر** ـ.

ومما يجب التنبه إليه أن البعض يساوي بين الجبرية والحتمية*، والواقع أن بينهما فرقًا كبيرًا، فالجبرية ترد كل شيء إلى الله تعالى، بينما الحتمية ترد كل شيء إلى قانون الطبيعة*.

الجدل: انظر الديالكتيك

الجفر: أحد ركائز المعتقدات الباطنية*، إذ يطلق عندهم على علم من العلوم الغيبية المبنية على أسرار الحروف، ومنها يستدل على الحوادث المستقبلية حتى قيام الساعة ويدَّعي المشتغلون به كذبًا وبهتانًا أنه علم أسرَّه النبي* ﷺ، إلى الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وأمره بتدوينه، فكتبه الإمام حروفًا متفرقة، أخذه جعفر الصادق عنه. والحق أن واضع هذا الكتاب هو هارون بن سعيد العجلي رأس الزيدية في عصره الذي ادعى روايته عن جعفر الصادق. وعلم الجفر في زعمهم يحيط بكل شيء، ويستدل منه على تفسير معاني القرآن على أساس باطن الكلمات والعبارات، لا على ظاهر معناها، وسمي الكتاب باسم الجفر على اسم جلد ولد الماعز ـ الجفر ـ ومن الافتراء ما يرويه الكليني عن أبي عبدالله جعفر الصادق أنه قال «وإن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟ فقيل له: ما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل» هذا في الوقت الذي تبرأ فيه علي ابن أبي طالب أن يكون اختص هو أو أحد من ذريته بأي علم خاص. يروي البخاري «أنه قيل لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي، إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه، إلا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن. وما في هذه الصحيفة قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل (الدية)، وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر»[١].

ومع ذلك يجعل الكليني الجفر في كتابه **أحد المصادر الأربعة الرئيسة للآثار عند الشيعة* الاثني عشرية**. والواقع أن عقيدة الجفر التي تقوم على حساب الحروف قد تسربت إلى الشيعة عن طريق اليهود وطريقتهم في حساب الجمّل، وإن كان أصلها يرجع إلى الفلسفة

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٧).

الفيثاغورسية في الأعداد وأول من قال بها الشيعة الخطابية كما يقرر ذلك الشيخ محمد أبو زهرة متابعًا للمقريزي في ذلك.

كما تعتقد بعض الطرق الصوفية وبخاصة الرفاعية في عقيدة الجفر. وعقيدة الجفر عقيدة باطلة؛ لأنها حسب قولهم من العلوم الغيبية التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، حتى إن رسوله ومصطفاه، ﷺ، أمره مولاه جل وعلا بتقرير ذلك بنفيه علم الغيب عن نفسه إلا بما يوحى إليه من ربه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ. . .﴾ الآية [الأعراف: ١٨٨]، فما بالك بغيره، ﷺ؟

جمعية: تعبير سياسي اجتماعي يطلق عادة على تجمع عدة أشخاص للدفاع عن مصالحهم المشتركة، أو تحقيق فكرة مشتركة ضمن حدود معينة وواضحة. ونصت بعض القوانين على استبعاد الربح ومبدأ المشاركة في تحديد اصطلاح الجمعية مثل القوانين الفرنسية والبلجيكية والإيطالية والإسبانية وغيرها من قوانين البلدان اللاتينية، وكذلك قانون الجمعيات الصادر في لبنان في عهد الدولة العثمانية في ٣ أغسطس ١٩٠٩م، إذ ورد في مادته الأولى: «الجمعية هي مجموع مؤلف من عدة أشخاص لتوحيد معلوماتهم أو مساعيهم بصورة دائمة والغرض لا يقصد به اقتسام الربح».

جمعية الاتحاد والترقي: جمعية* تركية نشأت في أوربا (يقال إنها تأسست عام ١٨٩٨م ـ ١٣١٦هـ تقريبًا) كحركة مناوئة لنظام الخلافة الإسلامية* العثمانية تحت ستار التجديد* والتحديث في الدولة العثمانية. وتكونت في البدء تحت اسم جمعية تركيا الفتاة (تأسست قبل عام ١٨٦٥م ـ ١٢٨٢هـ)، التي ركزت على النشاط الفكري، ثم تدرج العمل فيها، فكونت الجمعية خلايا سرية في الآستانة، حيث طاردهم رجال السلطان عبدالحميد، فنقلوا نشاطهم إلى باريس وسالونيك فانضم إلى صفوفهم العديد من يهود الدونمة، الذين أصبحوا من قيادات الحركة* بعد قيامهم بالانقلاب على الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م، وأعلنوا دستورًا جديدًا للبلاد، ثم ما لبثوا أن نحَّوا السلطان عن العرش، وفي عام ١٩٢٤م تم إلغاء الخلافة الإسلامية* وإعلان الطوارنية* كقومية تركية، وعملوا على التتريك ومعاداة العرب. ومن أشهر قادة الحركة* : طلعت، وجاويد، وجمال السفاح، وأنور، ونيازي، كما

انضم إليهم بعض العرب مثل: هادي العمري، وحقي العظم، وياسين الهاشمي، وطالب النقيب، وعزيز المصري، وعبدالرحمن الشهبندر، ويسلم الجزائري إلا أنهم سرعان ما خابت آمالهم نتيجة تبني قادة الحركة لتيار معاداة العرب فانفصلوا عنها. وقد كان للجمعية* فروعٌ في معظم الولايات العربية.

الجهاد: اسم جامع لسلوك كل سبب ووسيلة لإعلاء كلمة الدين* ومقاومة الأعداء والحذر والتحرز منهم. وعند الإطلاق يراد به قتال الكفار، وقد يراد به مقاومة الشر والسعي في إبطاله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصوره المختلفة، وعليه فإن الجهاد نوعان:

أولًا: جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم* وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية وتربيتهم العلمية والعملية، وهو أصل الجهاد وعليه يتأسس النوع الثاني.

ثانيًا: جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدين، ومقاومتهم، وهو نوعان:

١ـ جهاد بالحجة والبرهان واللسان وهو خاص بالمنافقين والمتكلمين والمجادلين من أعداء الدين، وقد يكون بالمال والأقوال والأفعال، أو بالمباشرة وإعانة المباشرين، أو بالتحريض والتشجيع، كلٌّ بحسب قدرته واستطاعته إذ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٨٦].

٢ـ جهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان وهو على أحوال:

(أ) إذا كان للمسلمين دار وسلطان ومنعة فإنه ينقسم إلى:

ـ جهاد ابتداء وطلب لتعقب الكفار في عقر دارهم لدعوتهم وهدايتهم إلى الإسلام، لا إلى القضاء عليهم، ولذا فإن لم يستجيبوا يقاتَلوا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وهذا النوع هو فرض كفاية، لا يقوم به آحاد المسلمين بل تقوم به الأمة، إلا إذا استنفر الإمام شخصًا بعينه أو أهل بلد بعينها، أو حضر المسلم عند تلاحم الصفوف، فإنه يصبح فرض عين عليه.

ـ جهاد دفاع: ويتعين بغلبة العدو على قطر من أقطار المسلمين، وحكمه فرض عين على المسلمين عمومًا حتى يندفع شر الأعداء، وهذا بإجماع* علماء المسلمين.

(ب) إذا لم يكن للمسلمين دار ولا سلطان ولا مَنعة فإنه يؤخذ بمراحل تشريع الجهاد التي

مرت بها سيرة النبي* ، ﷺ ، فيسلكون المسلك نفسه .

وبذلك يعلم أن الجهاد ليس مرادفًا للحرب والقتال، بل معناه أوسع وأعم، وأنه كحكم من الأحكام الشرعية يخضع لضوابط الشرع، وتحقيق شروطه . ومنها القدرة والاستطاعة .

أما عند الشيعة* الإمامية فيقول محمد جواد مغنية في كتابه **فقه الإمام جعفر الصادق** : «قسم الفقهاء ـ فقهاء الشيعة ـ الجهاد إلى نوعين : الأول جهاد الغزو في سبيل الله لنشر الإسلام . . . وهذا النوع من الجهاد لابد فيه من إذن الإمام، والثاني جهاد الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين وعن النفس والمال والعرض . . . » وهذا الدفاع لا يشترط فيه إذن الإمام ولا نائبه الخاص أو العام، في الوقت الذي يسقط فيه الخميني الجهاد في غيبة الإمام، على أن للفقهاء الجامعين لشرائط الفتوى، القضاء وإجراء السياسات وسائر ما للإمام إلا البداءة بالجهاد .

هذا ولا معنى للجهاد وإقامة الحدود عند الجهمية* والجبرية*، إذ لا معنى للثواب والعقاب عندهم وقد تأثر بدعوتهما قطاعات كبيرة من الصوفية .

وفي العصر الحديث حرمت القاديانية والبهائية الجهاد . يقول ميرزا غلام أحمد : «اتركوا الآن فكرة الجهاد؛ لأن القتال للدين* قد حرم، وجاء الإمام والمسيح* ، ونزل نور من السماء، فلا جهاد، بل الذي يجاهد في سبيل الله الآن هو عدو الله ومنكر للنبي* . . . »، ويقول البهاء : «البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالم محو حكم الجهاد من الكتاب» .

وقد تعرض مصطلح الجهاد كمصطلح شرعي نطقت به آيات الكتاب الكريم وأحاديث النبي* ، ﷺ، إلى ما تعرض إليه الكثير من المصطلحات الشرعية من محاولة تفريغ مضمونها وتحريف غاياتها نتيجة للغزو الفكري ـ راجع الاصطلاح ـ ولذلك فقد استبدل بمصطلح الجهاد هذه الألفاظ المستورده : الكفاح، والنضال، والمنهج الثوري والمنهج* الانقلابي . . . فليتنبه لذلك .

الجهمية: إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، قامت على البدع* الكلامية والآراء المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة*، متأثرة بعقائد وآراء اليهود والصابئة والمشركين والفلاسفة الضالين . وأول من قال بهذه العقيدة الفاسدة وإليه تنسب هو : الجهم

ابن صفوان، الذي أخذها عن الجعد بن درهم الذي أخذها عن أبان بن سمعان اليهودي.
وأول ما ظهرت بدعتهم ظهرت في بلدة ترمذ بخراسان بلد الجهم بن صفوان، وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الجهمية إلى درجات ثلاث:

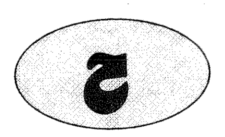
الأولى: وهم الجهمية الغالية النافون لأسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته، وإن سموه بشيء من الأسماء الحسنى، قالوا: هي مجاز. ـ راجع التعطيل ـ.

الثانية: وهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى، لكنهم ينفون صفاته جل وعلا ولا يعني ذلك أنهم جبرية في القول بالقدر ـ راجع الجبرية ـ.

الثالثة: وهم الكثير من الفرق الكلامية وطائفة من أهل الحديث، كمحمد بن كلاب ومن اتبعه وأبي الحسن الأشعري وطوائف من أهل الفقه والتصوف، وهم يقرون بأسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته في الجملة، ولكنهم يردون طائفة من الأسماء والصفات الخبرية وغير الخبرية ويؤولونها ـ راجع التأويل ـ.

وتتلخص آراء الجهمية العقدية في: إنكار جميع أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته، وجعلها جميعًا من باب المجاز، وفي القول بالإرجاء* في فعل الإنسان، وأن القرآن الكريم مخلوق، بالإضافة إلى نفي عذاب القبر والصراط والميزان ورؤية الله تعالى، والكثير من أمور اليوم الآخر. بالإضافة إلى قولهم إن الله ـ تعالى ـ في كل مكان، ومع كل أحد بذاته، وهو ما بنى عليه أهل الحلول* والاتحاد* مذهبهم*، ولا يزال لآرائهم وجود إذ تتبناها طوائف من العصريين الجدد، وتعمل على إحيائها تحت دعاوى وشعارات براقة.

جينات: جمع جينة، وهي الوحدة الأساسية التي جعلها الله ـ تعالى ـ سببًا لانتقال الصفات الوراثية في الكائنات الحية وتسمى المورثة. وهي عبارة عن أحماض نووية توجد على الصبغيات في ترتيب حلزوني وتتحكم في تكوين الصفات المورفولوجية النوعية، وذلك بضبط التفاعلات الكيميائية الحيوية، التي تتكاثر بصفة مستمرة. ولذلك يعارض علم الجينات فكرة نشوء الأجناس الجديدة من الأنواع المتطورة التي تقوم على أن الصفات الخاصة بكل جنس ثابتة وغير قابلة للنقص أو الزيادة، إذ أثبتت الجينات أن تغير تلك الصفات الوراثية تغيرًا جذريًا ينقلها إلى جنس جديد.



الحتمية التاريخية: مذهب* فلسفي مادي* سياسي قائم على القول بأن الحوادث التاريخية وجميع حوادث العالم، وبخاصة أفعال الإنسان، مرتبطة ببعضها بعضًا ارتباطًا محكمًا، وأن للعالم نظامًا كليًا دائمًا لا يشذ عنه شيء في الزمان ولا المكان، وأن كل شيء فيه ضروري. كما أنه من المحال أن يكون اطراد الأشياء ناشئًا عن المصادفة والاتفاق، فالطبيعة* مبرأة من كل إمكان خاص وجواز عام، وليس فيها ابتداء مطلق، ولا علة أولى، ولا طفرة، ولا معجزة*، بل حتمية* مطلقة، وبذلك أخفقت في التفسير الصحيح لتاريخ البشرية.

وكان هذا المفهوم الجبري* شائعًا في الفكر الشرقي القديم وفي الفكر اليوناني القديم، وبين الفلاسفة اللاهوتيين من النصارى «الأسقف* الفرنسي بوسويه» الذي قال: «إن الله هو الذي يتحكم بمجرى التاريخ مباشرة، وعبر مراسيم ربانية». ورينون نيبور الذي قال بدور العناية الإلهية في تحديد «بنية الوجود» ثم تطور هذا المفهوم إلى مفهوم الحتمية التاريخية، كما عرفته الأدبيات الفلسفية والسياسية في الأزمنة الحديثة، ومع بدايات عصر التنوير* الأوربي تبناه ماركس ودعا إليه. ومن ذلك يبدو مدى خطورة هذا المفهوم الذي يعني الإلغاء الكامل لكيان الإنسان الإيجابي وإرادته وفاعليته، بل وإلغاء القيم الأخلاقية كلها، مما يترتب عليه إلغاء المسؤولية التي يحملها الإنسان. بينما يتجلى المفهوم الإسلامي للحتمية في السنن الربانية غير القابلة للتبديل ولا التحويل، التي تحكم حياة البشر على الأرض، ولا تفرض سلوكًا قهريًا معينًا، وإنما تفرض نتائج حتمية على السلوك الذي يتخذه باختياره. مع العلم أن كل ما يجري في الكون هو بأمر الله ـ تعالى ـ ومشيئته، وعلمه المطلق.

الحديث الحسن: هو خبر الآحاد* الذي اتصل سنده براو عدل خف ضبطه من غير شذوذ ولا علة. وعلى ذلك يعد الحديث الحسن في مرتبة أقل من مرتبة الحديث الصحيح، وأعلى من الحديث الضعيف. وينقسم الحديث الحسن إلى نوعين: حسن لذاته وهو ما سبق تعريفه لتوافر جميع شروط حسنه فيه، ولا نتيجة شيء خارج عنه، ويرتقي إلى مرتبة الصحيح لغيره إذا روي من وجه آخر، أو عضد بعاضد. والحسن لغيره: وهو الحديث الذي أصله

ضعيف لوجود راو مستور، ليس مغفلاً كثير الخطأ فيما يرويه، ولا متهمًا بالكذب في الحديث، ولا بسبب آخر مفسق، فإذا عضد بعاضد، براوية متابع أو شاهد صار حسنًا لغيره. ويحتج بالحديث الحسن بنوعيه ويعمل به، ومظان وجوده في كتب السنن والمسانيد، فلم يفرد له العلماء مصنفات خاصة كما أفردوا للصحيح* .

ويعد الإمام الترمذي أول من نشر وأذاع تقسيم الحديث إلى: صحيح وحسن وضعيف* ، حيث كان العلماء قبله يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف فقط. وينقسم الضعيف عندهم إلى نوعين: ضعيف ضعفًا لا يمتنع العمل به وهو الحسن في اصطلاح* الترمذي، وضعيف يجب تركه وهو الواهي.

الحديث الصحيح: الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي إلى رسول* الله، ﷺ ، أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه، ولا يكون شاذًا ولا معللاً بعلة قادحة في صحته. ومظانه كتب الصحاح ومن أصحها صحيح البخاري وصحيح مسلم.

الحديث الضعيف: هو ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح* ولا صفات الحسن* ، كأن يكون قد سقط من إسناده الصحابي (المرسل)* أو سقط من إسناده رجل أو ذكر رجل مبهم (المنقطع) أو سقط منه راويان بشرط التوالي (المعضل)، أو لم يصح سماع أحد رواته ممن عاصره ولقيه (مدلس)، أو اكتشف فيه علة تقدح في صحته وإن كان في الظاهر سليمًا من العلل (المعلل).

الحديث المتواتر: وهو ما رواه جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه، على ألا يختل هذا الجمع في أي طبقة من طبقات السند. والمتواتر على نوعين: متواتر لفظي وهو الذي رواه جمع عن جمع مثله من أول السند ووسطه وآخره بلفظ واحد وصورة واحدة مثل حديث «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[1]، والمتواتر المعنوي وهو ما اتفق رواته على معناه من غير مطابقة في اللفظ ومن أمثاله أحاديث رفع اليدين في الدعاء.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٠) ومسلم (٣) عن أبي هريرة.

الحديث المرسل: أحد أقسام الحديث الضعيف، ويعرّف:

أولًا ـ عند المحدثين: هو ما رفعه التابعي إلى الرسول* ، ﷺ ، من قول أو فعل أو تقرير، صغيرًا كان التابعي أو كبيرًا، وقيده البعض بما يرفعه التابعي الكبير.

ثانيًا ـ عند الفقهاء والأصوليين: ما رفعه غير الصحابي إلى النبي*، ﷺ ، ويعد الحديث المرسل حُجة عند جماهير العلماء والمحدثين إذا جاء من وجه آخر صحيح مسندًا عن غير رجال الأول. واختلف العلماء في قبول مرسل التابعي إلى عدة أقوال منها:

١ـ أنه يحتج به مطلقًا، وهو قول الإمام أبي حنيفة والإمام مالك وقول للإمام أحمد.

٢ـ لا يحتج به مطلقًا، حكاه الإمام النووي عن جماهير المحدثين وعن الإمام الشافعي وكثير من الفقهاء والأصوليين.

٣ـ يحتج به إذا عضد بعاضد بأن يروى مرسلاً من وجه آخر أو مسندًا، أو يعمل به بعض الصحابة أو أكثر أهل العلم.

أما مراسيل صغار الصحابة فيما يروونه عن النبي*، ﷺ ، وهو ما يعرف بـ «مرسل الصحابي» مما لم يسمعوه أو يرووه بل نقلوه عن الصحابة عن النبي، ﷺ، فإنه عند أهل العلم في حكم الموصول، لأن الصحابة يروي بعضهم عن البعض وجهالتهم لا تضر.

الحديث المشهور: أولًا ـ عند علماء الحديث: هو ما اشترك في روايته ثلاثة أو أكثر عن شيخ، أو ماله طرق محصورة بأكثر من اثنين ولم يبلغ حد التواتر.

ثانيًا ـ عند الفقهاء: يعرف المشهور باسم المستفيض، ومن الفقهاء من يغاير بينهما بأن يجعل المستفيض في ابتدائه وانتهائه سواء، والمشهور أعم منه، ومنهم من قال بالعكس.

ثالثًا: عند علماء الأصول: ما رواه من الصحابة عدد لم يبلغ حد التواتر* ثم تواتر بعدهم.

فمن المشهور ما هو صحيح* وحسن* وضعيف* تبعًا لحال رواته، وكذلك المستفيض حيث إن شهرته نسبية، فقد يكون الحديث مشهورًا عند علماء الحديث خاصة مثل حديث أنس بن مالك في الصحيح (أن رسول* الله، ﷺ ، قنت شهرًا بعد الركوع يدعو على رعل وذكوان)[1] ، أو مشهورًا عند الفقهاء مثل حديث «أبغض الحلال إلى الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠٣) عن أبي مجلز عن أنس بن مالك.

الطلاق»[١]، أو مشهوراً عند الأصوليين مثل «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٢]، أو مشهوراً على الألسن عند العوام «مداراة الناس صدقة»[٣]. ومنها ما هو مشهور عند العلماء بوجه عام والعوام، مثل حديث «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله»[٤]. ومثال المشهور الذي ليس له أصل «يوم صومكم يوم نحركم»[٥].

الحركة: في لغة السياسة هي التيار العام الذي يدفع طبقة من الطبقات أو فئة اجتماعية معينة إلى تنظيم صفوفها، بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، أو تحسينها جميعًا. وقد أصبحت كلمة الحركة تطلق الآن على كثير من التنظيمات* الاجتماعية والفكرية مثل الحركات الإسلامية، وحركات التحرير التي قامت في كثير من بلاد العالم.

حركة التنوير: هي تلك الحركة* الفلسفية التي برزت في ألمانيا أولاً باسم autklauun ، ثم انتقلت إلى فرنسا وإنجلترا وباقي دول أوربا على امتداد القرون: السابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر مصاحبة لعصر النهضة الأوربية، وقد أخذت شكل الثورة على تقاليد الكنيسة؛ بسبب محاربتها العلم، مستخدمة العقل* والأساليب التجريبية في تغير نمط الحياة بما فيها من علم ودين* وأخلاق* وسياسة دون اعتبار للعادات والتقاليد، أو ما تراه السلطة السياسية بحجة الكشف عن الحقيقة وتأمين السعادة، وإعادة تشكيل المؤسسات على نحو يكون أشد قدرة على توفير التقدم الاجتماعي والانسجام. وكان تأثير الحضارة الإسلامية، وبخاصة كتب الفلسفة* والعلوم الرياضية والتطبيقية على العقلية الأوربية من

---

(١) (أبو داود ٢١٧٨) ابن ماجه (٢٠١٨) وغيرهما وضعفه الألباني ضعيف الجامع (٤٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ «وضع عن أمتي. . .» عن ثوبان قال الشيخ الألباني حديث صحيح. صحيح الجامع (٣٥١٥).

(٣) أخرجه ابن حبان والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان. ضعفه الشيخ الألباني السلسلة الضعيفة (٤٥٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٠) ومسلم (٤٠) عن ابن عمرو.

(٥) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤٧٤) لا أصل له كما قال أحمد وغيره.

أهم أسباب تنور العقلية الأوربية وتسليحها بسلاح العلم والمعرفة مقابل نظريات الكنيسة* الجامدة، إذ تلقى قادة هذه الحركة* أمثال روجر بيكون صاحب المنهج* التجريبي في أوربا علومه في الأندلس، وكذلك علامة الغرب في علم الرياضيات ليونارد بيزانو تلقى علومه عن طريق المسلمين بالقسطنطينية وغيرها. بالإضافة إلى ما نقل عن طريق الحروب الصليبية وجزيرتي صقلية ومالطا من العلوم والمعارف الفكرية والحربية والتجارية والإدارية. وفي هذا يقول الدوميلي: «فقد كان لحركة نقل العلم العربي إلى العالم المسيحي أعمق الأثر، إذ تحقق هناك التطور الحاسم الذي كان لابد أن يعتمد عليه تجديد العلم الأوربي».

ويطلق التنوير على حسب تعريف الدكتور عبدالرحمن بن زيد الزنيدي: على الاتجاه الذي يتركز على المنهج التجريبي بصفته منهج* العلم الوحيد، مقرًا ما يقره هذا المنهج كوجود الله ـ تعالى ـ مثلاً، ـ ولكن لا علاقة لله تعالى عندهم ولا لتعاليمه بالحياة الدنيا ـ وهو منهج نيوتن وجون لوك وغيرهما، ولكن بعد ذلك صارت تطلق على الفلسفات التي تحارب العالم الغيبي واصفة إياه بالظلام، ومن أشهر قادة هذه الحركة فولتير، وروسو، وهيوم. وفي العالم الإسلامي ظهرت دعاوى التنوير، وأصبح لها منابر ودعاة على الرغم من اختلاف الأسباب الداعية لذلك، انطلاقًا من التقليد والتبعية تارة، أو ردة فعل لبعض مظاهر الجمود لدى بعض من ينتسبون إلى الإسلام تارة أخرى، ومنشأ ذلك كله الجهل بحقيقة الإسلام، وقد سلكت دعاوى التنوير في العالم الإسلامي عدة مسالك:

أولًا: مسلك الدعوة الصارخة والفرض الحاكم للاندفاع في حاضرة العصر، والتضحية في سبيل ذلك بالدين* والتقاليد وبكل من يعارض هذا الاتجاه. وتم ذلك بقوة الحكم والتطبيق العملي، كما فعل أتاتورك وعبدالناصر وبورقيبة وأحزاب البعث وغيرهم، أو بانعكاسات دعوة بعض التغربيين من أبناء المسلمين أمثال الدكتور طه حسين والشيخ علي عبدالرازق وزكي نجيب محمود ومحمد أركون وصادق جلال العظم والدكتور فؤاد زكريا وغيرهم من الوضعيين واليساريين والوجوديين والليبراليين* .

ثانيًا: مسلك العصرنه العملية التخطيطية، وذلك بعصرنة شؤون وسياسات ونظم الدولة المختلفة، كلٌّ في مجاله، بما يعود على عصرنة حياة الناس في مختلف جوانبها.

ثالثاً: مسلك يرمي أصحابه إلى تطويع النصوص الشرعية ذات الدلالات الحاسمة على شخصية الأمة وتميزها ومفارقتها الشكلية والضمنية للأمم الكافرة، وبخاصة المتعلقة بمجالات الحكم والسياسة والاقتصاد والمرأة والقضاء وحد الردة، ومن أبرز سماتهم رفع رايات التعايش السلمي بين الأمم المسلمة والكافرة، والدعوة إلى أن الجهاد* في الإسلام إنما شرع للدفاع فقط، بل وصل الأمر ببعضهم إلى الدعوة إلى أخوة اليهود والنصارى للمسلمين، والتشكيك في كفرهم على أنهم أهل كتاب سابق، وكذلك إنكار حد الردة.

ويعد هذا المسلك أخطر من المسلكين السابقين، إذ يلبس أصحابه الذين كان لهم سابق فضل وجهاد ضد أهل القومية والمادية* والإلحاد* ، مسوح أهل الإسلام في الوقت الذي يدعون فيه إلى العصرنه والتنوير تحت دعاوى تجديد الدين مستخدمين طاغوت* التحريف* ضد النصوص المخالفة لأهوائهم، كما سلط سلفهم من المعتزلة طاغوت التأويل تجاه نصوص الاعتقاد، وكما صنع الباطنية* تجاه نصوص الميعاد وغيرها، في محاولة لإيجاد نموذج ملفق للإسلام يجمع بين الإسلام وبعض مظاهر الجاهلية* الحديثة ـ راجع تجديد الدين ـ .

ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره، بأن يقيض لحمل هذا العلم من كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كما قال، ﷺ،[1] وفي النهاية تبقى الحقيقة الناصعة أن الإسلام بمفهومه الصحيح أفضل منهج* للتنوير، إذ أخرج الناس من الظلمات إلى النور.

الحرية: حقيقة مفهوم الحرية عند المسلمين إنما هو تحرير الإنسان من أشكال العبودية لغير الله تعالى كافة، سواءً ما كان منها للشهوات أو للأهواء والمذاهب* والوثنيات* أو للأفكار التي تتعارض مع التوحيد الخالص لله تعالى، وذلك في إطار متوازن يجمع بين الحرية والمسؤولية، والحق والواجب كما يجمع بين الحقوق الفردية والجماعية. ومن هنا

(١) فيه الإشارة إلى حديث النبي، ﷺ، «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» رواه ابن عدي والعقيلي والخطيب وحسنه الحافظ العلائي ومال إلى تقويته الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ٢٤٨ .

جعل الإسلام الحرية أساس المسؤولية، ولذلك حرر الإنسان من الحتمية والجبرية الانهزامية واليأس والضعف، جاعلاً له إرادة واختياراً في حدود الحق والواجب، مرتبًا على تعديهما الحدود والتشريعات الرادعة حفاظًا على تلك الحرية التي هي مناط التكليف.

ويتجلى ذلك في رفع القيود والأغلال التي كبلت الإنسان في مختلف العصور والفلسفات من قيود العبودية والرق الفكري والجسدي، بالإضافة إلى قيود الجهل والخرافة، مرتفعًا به إلى أعلى مقامات الحرية والتكريم بأن جعله عبدًا خالصًا لله جل وعلا وحده لا شريك له، مستعليًا به فوق الأقليات الضيقة أو العنصرية البغيضة، إذ لا فرق بين عربي وأعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى.

بينما نجد أن مفهوم الحرية في الفكر الغربي [Free-Liberty] يختلف تمامًا سواء كانت حرية نقابية [Freedom of assiclatijn] أو حرية جنيسة [Free Lave] أو حرية الإرادة [Free will] أو حتى أحرار الفكر [Free thinkers] أو إباحية [Libretinism] إذ تعني جميعًا «القدرة الذاتية على الاختيار دون أدنى جبر أو إكراه». وبمعنى آخر تعني «انسلاخ الفرد من كل ما تعارف عليه المجتمع من آداب وقوانين لتحقيق أقصى رغباته وشهواته دون قيد أو شرط أو إكراه من أي جهة كانت». وذلك دون أدنى اعتبار لحريات الآخرين. وتأتي الحرية عندهم في صور متعددة: ففي المفهوم السياسي هي ضد الاحتلال والاستعمار، وفي المفهوم الاجتماعي ضد الاستغلال والطغيان، وفي المفاهيم المادية والوجودية ضد القيود والضوابط أيًا كانت، فهي حرية الفكر والبرهان العلمي، وعليه فإن الحرية الفكرية عندهم ضد الثوابت من العقائد والقيم إذا خالفت البرهان العلمي، ولذلك جاءت نظرية هيجل في التحول المطلق ضد نظرية الثبات المطلق الأرسطية، وضد تلك المفاهيم الأفلاطونية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، والتي تقضي بأن الأوصياء وحدهم هم الذين يجب أن يفكروا، أما العبيد فعليهم اتباع قادتهم مثل قطيع الغنم. هذه المفاهيم والنظريات التي أدت إلى الاستعلاء الكنسي والاستبداد الملكي والقول بأن «روما سادة وما حولها عبيد» جاءت نظرية هيجل لتحطمها، خاصة أنها صاحبت ظهور الثورة الصناعية مما جعل العقلية الأوربية تندفع نحو تحطيم كل الضوابط والقيود لكل ما هو ثابت ومطلق وروحي، والذي قاد في ظنهم إلى التخلف

والجمود. وفي الواقع أن هذه المفاهيم للحرية قد جرتهم من جديد لعبودية أشد، إذ استعبدتهم الشهوات، وسرت فيهم الشبهات، ونشأت بينهم مذاهب الشك الفلسفي واللاأدرية من جديد، وظهرت عدة أوثان عصرية دفعت بالإنسان الأوربي إلى الحياة البهيمية، مما أحدث عنده خواء روحيًا واضطراباً نفسيًا، تمثل في جماعات الهيبز وتزايد حالات الانتحار. ويمكن رد كلمة «الحرية» في تطورها الفلسفي إلى الثورة* الفرنسية التي قادها رجال المحافل الماسونية، وتمثل ذلك بعدة مراحل بدأت بفصل الدين* عن الدنيا، ثم بفصله عن العلم، ثم بفصل الدين عن الأخلاق*، من أجل تحطيم القيم والأخلاق، وتدمير قوى الأمم وشبابها ومقدراتها، لتحقيق الأهداف الصهيونية وتحرير اليهود من القيود المفروضة عليهم من المجتمعات الأوروبية، من حيث التعامل وإقامة العبادات وغير ذلك. يقول البروتوكول* الأول من بروتوكولات حكماء صهيون:

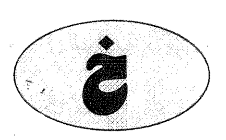
«كنا أول من نادى في جماهير الشعب بكلمة (الحرية ـ العدالة ـ المساواة)، وهي كلمات لم تزل تتردد إلى اليوم ويرددها من هم بالببغاوات أشبه، ينقضون على طعم الشَرَك من كل جو وسماء، فأفسدوا على العالم رفاهيته، كما أفسدوا على الفرد حريته الحقيقية، وكانت من قبل في حرز من عبث الدهما». ويقول: «كلمة حرية تجر الجماعات إلى مقاتلة كل قوة وسلطة، حتى إنها لتقاتل الله وتقاوم سننه في الطبيعة* . . .».

ويتبنى هذه المفاهيم للحرية للأسف الشديد بعض الذين يدَّعون التنور والعصرانية في مجتمعاتنا، متناسين أنه كان لهذه الدعوة في الغرب ما يبررها إلى حد ما، إذ عبودية الإنسان لتشريعات ومفاهيم الكنيسة* المتسلطة ورجالها واستبداد الملوك ورجال الإقطاع، بينما حرر الإسلام الإنسان من أشكال الرق كافة، ووصل به إلى مقام أرفع من مقام الحرية وهو مقام التكريم ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الآية [الإسراء: ٧٠] بما يقتضيه ذلك التكريم من احترام إنسانيته، ورعاية لحقوقه من قبل دولته ومجتمعه وأفراده.

الحلول: تجسد الخالق في المخلوق بحلوله في بعض بني الإنسان، وامتزاجه به امتزاجًا كاملاً في الطبيعة والمشيئة، بحيث تتلاشى الذات الإنسانية في الذات الإلهية،

الاثنينية والتغاير في وحدة غير منفصلة بين ذاتين كانتا متميزتين، فصارتا متحدتين ومتجانستين وهو ما يعرف بالحلول السرياني. وقد عرفت هذه الفكرة في النصرانية بفكرة اتحاد* اللاهوت* بالناسوت*، أو حلول اللاهوت في الناسوت، إذ يزعمون أن الله حل في المسيح* الإنسان؛ ليتكون المسيح الإله* من طبيعتين، وبهما تأثرت الصوفية. وأول من تأثر بها هو الحلاج الذي قتل بسبب قوله بالحلول على هذا المعنى، إذ قال عن نفسه «أنا الحق» مدعيًا. وقد تأثر بالفلسفة* الطبيعية عند اليونان كما تأثر بهذا الاعتقاد الغلاة من الشيعة*، الذين يعتقدون بحلول الله ـ تعالى ـ في جعفر الصادق، وكذلك السبئية* والنصيرية الذين يدَّعون حلول الله ـ تعالى ـ في علي ـ رضي الله عنه ـ، وتأثرت به الباطنية* مثل الإسماعيلية الذين يعتقدون حلول الله ـ تعالى ـ في شخص الحاكم بأمر الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

الحواريون: هم الذين خُلصُوا ونُقُّوا من كل عيب، وقيل في سبب تسمية أصحاب عيسى بالحواريين لأنهم كانوا قصارين يغسلون الثياب ويبيضونها، أو لأنهم كانوا خلصاءه وأنصاره، وقد تتلمذوا عليه وتعلموا منه، وانتشروا في القرى يبشرون بني إسرائيل بدعوته. وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم على هذا المعنى، وعددهم اثنا عشر على حسب رواية الأناجيل، ولكن النصارى يدّعون أن هؤلاء رسل* المسيح الذين اختارهم ليعاينوا حياته على الأرض ويروه بعد قيامته ويشهدوا له أمام العالم بعد حلول روح القدس* عليهم.



الخبر : يعرف عند علماء الحديث كما يقول الحافظ ابن حجر في شرح نخبة الفكر : «الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث، فيطلقان على المرفوع، وعلى الموقوف، والمقطوع». وبذلك يشمل كل ما جاء عن الرسول*، ﷺ، وعن الصحابة والتابعين، وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر ولا عكس. وقد يسمي المحدثون المرفوع والموقوف من الأخبار (أثرًا)، ويسمي فقهاء خراسان الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر.

الخلافة: مصطلح قرآني ورد بمعان متعددة، تتلخص في معنيين :

١ـ **خلافة كونية** : يشترك فيها الناس جميعًا لعبادة الله ـ تعالى ـ طواعية بالتزام هديه وطاعة أوامره، وينشأ عن ذلك ضبط السلوك الإنساني في علاقته مع الله والكون والمخلوقات من حوله، والإصلاح وإعمار الأرض. يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴾ الآية [البقرة: ٣٠].

٢ـ **خلافة شرعية** : خاصة بالمؤمنين وحدهم سواء كانت (خلافة الأرض) على مستوى الأمم بوراثة الأمم الصالحة الأمم الكافرة بعد هلاكها، وقد انتهت هذه الخلافة إلى أمة النبي* ﷺ (أمة الدعوة). يقول تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ... ﴾ الآية [الأنعام: ١٦٥]، أو خلافة الخلفاء على مستوى الأفراد من أتباع الأنبياء بعد انقضاء الأمة الصالحة، وهي خاصة بأمة الاستجابة من أمة النبي ﷺ. يقول تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾ الآية [النور: ٥٥] وهي خلافة كسبية اختيارية يستطيع الإنسان الحصول عليها بالسعي إذا ما سلك إليها طريقها وقام بتكاليفها وحقق شروطها. وهي واجبة شرعًا لخلافة النبوة* وحراسة الدين*، بحفظه وإقامته وسياسة الدنيا به من إقامة العدل بين الناس، وإشاعة الأمن والاستقرار، وتهيئة ما يحتاجه الناس، واستثمار خيرات البلاد بما يحقق للرعية الرفاه الاقتصادي والعيش الكريم، وذلك لقول النبي، ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...»[1] الحديث.

---

(١) سبق تخريجه في مصطلح البدعة.

ولا تقوم هذه الخلافة إلا من خلال سلطة تنفيذية تستند إليها، وحكومة تقوم بتنفيذ متطلباتها، وقيادة تشرف عليها وتتحمل تكاليفها وأعباءها، يقول تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [ص: ٢٦]. ويقوم بها الأنبياء والرسل*، عليهم الصلاة والسلام، حال وجودهم، ويقوم بعدهم الخلفاء والأمراء الذين يقع عليهم الاختيار، من قبل أتباع الأنبياء من أهل الحل والعقد والعلماء وأهل الشورى، ثم يبايع جماهير المؤمنين على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، ما داموا ملتزمين بطاعة الله وتنفيذ شرعه. ولا يجوز الخروج على الخليفة المسلم أو عزله إلا لمبرر شرعي، مثل عجزه عن القيام بمهام الخلافة، أو ما يوجب اختلال أحوال المسلمين، وانتكاس أمور الدين*، أو إصابته بجنون مطبق أو أسره بيد العدو على وجه لا يُرجى خلاصه، أو طروء الكفر* البواح الذي فيه من الله تعالى برهان. على أنه يجب مراعاة ضوابط المصلحة والمفسدة في كل ذلك. ويقول أهل السنة والجماعة بأن الخليفة من قريش إن توافرت شروطه، بينما يقرر ابن خلدون نظرية جديدة في عدم اشتراط القرشية المطلقة، واشتراط العصبية المطلقة بدلاً من ذلك، وذهب الخوارج* إلى أنها حق لكل عربي مسلم عدل، في الوقت الذي تكونت فيه عند الفلاسفة نظرية خاصة في ذلك متأثرة بفلسفة* اليونان، وبخاصة فلسفة أفلاطون في جمهوريته الفاضلة، والتي عبر عنها الفارابي في كتابه **آراء أهل المدينة الفاضلة** وإخوان الصفا في رسائلهم، ويتبنى المعتزلة وأتباعهم في العصر الحاضر القول بأنه يختار الأصلح دون التقيد بقرابة أو فرقة أو قبيلة. بينما الروافض* والشيعة* يقولون بأنها وراثية في آل بيت النبي، ﷺ.

وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت الخلافة بعد النبي، ﷺ، بصورها المختلفة، إذ انتشر الإسلام وقويت شوكة المسلمين في ظلها إلى أن انفرط عقد الخلافة ثم سقطت عام ١٩٢٤م على يد الكماليين الأتراك، بعد أن فقدت مقومات قيامها من الالتزام بالتوحيد الخالص لله تعالى، وطاعة أوامره، وانتشار البدع* والخرافات، وانحرافهم عن منهج* الله تعالى، وإدخال الكثير من النظم الغربية في أساليب الحكم والإدارة، فوقعت بذلك فريسة سهلة للقوى المتآمرة، وانفرطت إلى عدد من الدول المتعددة والمتناحرة.

ولن تعود الخلافة مرة أخرى إلا باتباع منهج* الأنبياء، فهو المنهج الوحيد المؤهل

لذلك بدليل قول النبي*، ﷺ: «ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»[١] وهو المنهج الذي وضحه الله تعالى بقوله ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقوله جل شأنه ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الخوارج: يعرفهم الشهرستاني بقوله: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيًا، سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو غيرهم من التابعين لهم بإحسان».

وكان بعض السلف يسمي كل أصحاب الأهواء خوارج. والخوارج من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام، إلا أنها انقسمت إلى عدة فرق تجاوزت العشرين فرقة، ولكن عدّ أهل المقالات كبار فرق الخوارج سبع فرق وهي: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والثعالبة، والعجاردة، والأباضية، والصفرية. ولم تتجاوز أصولها الأولى مسائل معدودة مثل: تكفير* مرتكب الكبيرة*، وبسبب وضعهم الدليل في غير مايدل عليه، فقد رتبوا على حكم تكفير مرتكب الكبيرة استحلال قتل المسلمين وفي ذلك يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «ذهبوا إلى الآيات التي أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين»، ومن عقائدهم الأساسية وجوب الخروج على الأئمة المسلمين لارتكاب الفسق أو الظلم، وإنكار الشفاعة، وتكفير بعض الصحابة كأهل التحكيم «عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وكل من رضي بالتحكيم»، وتكفير أصحاب الجمل بمن فيهم عائشة أم المؤمنين، وهذه المسائل على خلاف بينهم إلا في مسألتي تكفير مرتكب الكبيرة ومن رضي بالتحكيم وأهل الجمل، ومع ذلك لم يكن لهم كلام في مسائل القدر* والصفات والسمعيات.

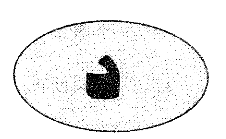
ولكن مع اختلاط الفرق وتجاري الأهواء بهم، ازدادت أصولهم وأصبحوا إحدى الفرق الكلامية إذ تأثروا بكلام الجهمية* في القرآن والرؤية، وبقول المعتزلة في الصفات، وخاضوا في مسائل القدر والسمعيات، وقالوا بعدم حجية خبر الآحاد* في العقائد على قول متأخري الأشاعرة والماتريدية بالإضافة إلى ردهم بعض الأحاديث التي يرون كفر راويها من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦).

الصحابة وما زعموا مخالفتها لكتاب الله تعالى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في **الفرقان بين الحق والباطل**: وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه، لكن خرجوا عن السنة والجماعة، فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن، كالرجم ونصاب السرقة وغير ذلك»، كما قالوا بوجوب الخروج على الإمام الجائر، ولا يشترطون الإمامة في قريش ـ راجع الخلافة ـ. ومع هذا لم يحكم عليهم السلف بالكفر*، ولكن عدوهم من الفرق الهالكة الضالة النارية الاثنتين والسبعين التي أخبر عنها النبي* في حديث الافتراق المشهور. وفي زماننا هذا لم يعد لفرق الخوارج وجود سوى فرقة الأباضية، وتنتشر في سلطنة عُمان وجنوب ليبيا وبلاد المغرب العربي وزنجبار. كما تتبنى بعض أصولها بعض جماعات الغلو* المعاصرة المنتسبة لأهل السنة مثل جماعات التكفير والهجرة في مصر واليمن والأردن وباكستان وغيرها.

ومن المفيد هنا أن نذكر ما أصّله الإمام الشاطبي ـ يرحمه الله تعالى ـ من قاعدة كلية وأصل جامع في الحكم على تجمع معين بأنه ينسب إلى فرقة من الفرق الضالة بقوله: «وذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقًا بخلافها للفرقة الناجية وأهل السنة والجماعة*، في معنى كلي في الدين*، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات. . .» إلى قوله «ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة».



الديالكتيك (الجدل): طريقة في المناقشة والاستدلال، تختلف معانيها وأنواعها في المدارس الفلسفية والفكرية المختلفة. فعند سقراط تعني مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب، ولا يشترط أن يشترك فيها أكثر من شخص واحد، إذ يستطيع الشخص الواحد أن يلقي على نفسه السؤال ثم يجيب لنفسه عنه. أما عند أفلاطون فهي منهج* في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع بحيث يصبح علم المبادىء الأولى والحقائق الأزلية.

أما عند أرسطو ومناطقة المسلمين فإنها تعبر عن قياس مؤلف من مشهورات ومسلمات. وأطلق على طريقتهم في البرهنة على الميتافيزيقا* للتفريق بينها وبين المعرفة المستمدة من الظواهر.

ويعتبره كانط منطقيًا ظاهريًا في سفسطة* المصادرة على المطلوب وخداع الحواس، وانتقل به هيجل نقلة مختلفة عن سابقيه إذ لم يعده مجرد عملية استدلال، بل عده طريق سير لا في التدليل العقلي فقط، وإنما في تفسير التاريخ* والكون كله. ولذلك فإن الجدل عنده هو انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما، وهكذا حتى تصل إلى المطلق. وزعم أن هذه الطريقة هي نفسها طريقة التاريخ في سيره، واستعار ماركس المفهوم الجدلي لهيجل، ولكنه عكسه بأن جعل الحركة الجدلية تقوم أولاً بين أوضاع اقتصادية مادية قبل أن تكون منطقًا عقليًا، وعليه أقام نظريته المادية* .

والجدل عند علماء المسلمين هو المعرفة بالقواعد والحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه كما يقول ابن خلدون في مقدمته، أو كما يعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية «أن تقول كلامًا حقًّا يلزمك ويلزم المنازع لك أن يقوله، وإلا ظهر عناده وظلمه» **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** ج ٢ ص ٤٣، وهو الجدال بالتي هي أحسن حسب الأمر القرآني لإقامة الحجة على المخالفين. على أن الجدل لا يكون وسيلة للدعوة،

وإنما هو فقط من باب دفع الصائل، وأحيانًا يكون الجدال واجبًا أو مستحبًا لمن يكون قادرًا عليه إحقاقًا للحق، وإقامة للحجة الإسلامية، وتبليغ رسالات الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد وضع له القرآن الكريم آدابًا وفصلها العلماء في كتب أدب المناظرة.

ديمقراطية نيابية: من مظاهر النظم الديمقراطية التي يمارس فيها الشعب مظاهر السيادة بواسطة مجلس منتخب من نواب من الشعب ـ راجع البرلمان ـ، وفيها يحتفظ الشعب بحق التدخل المباشر لممارسة بعض مظاهر السيادة عن طريق وسائل مختلفة أهمها:

١ـ حق الاقتراع الشعبي: بأن يقوم عدد من أفراد الشعب بوضع مشروع للقانون مجملاً أو مفصلاً، ثم يناقشه المجلس النيابي ويصوت عليه.

٢ـ حق الاستفتاء الشعبي: بأن يعرض القانون بعد إقرار البرلمان* له على الشعب ليقول كلمته فيه.

٣ـ حق الاعتراض الشعبي: وهو حق لعدد من الناخبين يحدده الدستور، للاعتراض في خلال مدة معينة من صدوره، ويترتب على ذلك عرضه على الشعب في استفتاء عام، فإن وافق عليه نُفذ وإلا بطل، وبه تأخذ معظم الدساتير المعاصرة.

ولا شك في أن النظم الديمقراطية أحد صور الشرك الحديثة في الطاعة والانقياد، أو في التشريع، إذ تلغي سيادة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ وحقه في التشريع المطلق وفي توجيه الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً أو تخييرًا أو وضعًا، وتجعلها من حقوق المخلوقين، والله تعالى يقول ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]، ويقول تعالى ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] وفي هذا يقول الدكتور صلاح الصاوي في **الثوابت والمتغيرات** «فإن هذا الأمر لا يكون إلا لله وحده، لا يشاركه فيه أحد، كما قال تعالى ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]، وهذه النقطة تمثل مفترق الطرق بين المنهج* الإسلامي والمناهج العلمانية المعاصرة التي فصلت الدولة عن الدين*، ونقلت مصدرية الأحكام

والتشريعات إلى الأمة، تمارسها من خلال نوابها في المجالس النيابية، بحيث تستطيع بهذه السلطة أن تحل ما تشاء، وأن تحرم ما تشاء، لا سلطان عليها في ذلك لأحد، ولا رقابة عليها من أحد.

أما سلطة الأمة في الإسلام فهي تدور في فلك سيادة الشريعة، وليس لها ولو اجتمعت في صعيد واحد أن تحل شيئًا مما حرم الله، أو أن تحرم شيئًا مما أحل الله، أو أن تشرع شيئًا من الدين لم يأذن به الله» ص ٢٣٧ .

الدين: هو جملة المبادىء التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادًا أو عملاً.

في الاصطلاح العام: يعرف بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم للصلاح في الحال، والفلاح في المآل. وبهذا المعنى يختلف عن معنى الفلسفة* حيث إنها عمل إنساني يعتريه ما في طبيعة الإنسان من نقص وقابلية للتغير والتقلب بين الهدى والضلال.

وفي الاصطلاح الإسلامي الشرعي: التسليم والاستسلام لله تعالى وحده، وعبادته بما شرعه على لسان أنبيائه*، من العقائد والأحكام والآداب وكل شؤون المعاش. فهو منهج* للحياة، وهو ملة* الإسلام، ودين جميع الأنبياء والمرسلين* فالأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد وأمهاتهم شتى، يقول تعالى ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ . . . ﴾ الآية [الشورى: ١٣].

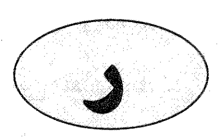
وهو الإسلام الرسالة الخاتمة التي لا يقبل الله تعالى غيرها، يقول تعالى ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقد ورد في القرآن الكريم بمعان عديدة منها: الخضوع والطاعة، والمذهب* والطريقة التي يسير عليها المرء نظريًا أو عمليًا، والملك والتصرف، والحكم والسلطان، فالكلمة تشير عند العرب إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له.

وفي الاصطلاح* الغربي: فإنه يختلف تمامًا عن معناه في الاصطلاح* الإسلامي، إذ يقوم المنهج* الغربي على إقصاء الدين عن مجالات التأثير الاجتماعي، بزعم أن الدين في تصورهم مرحلة زمنية في حياة الأمم تجاوزتها أوربا بفضل العلم ومعطيات العقل البشري.

ولهذا وصف القاموس الفرنسي رجل الدين بأنه لا يصلح لفهم أمور المعاش؛ بسبب انقطاعه عن صحبة الناس. ويؤكد ذلك بعض مفكري الغرب مثل جيبو بقوله: «إن الدين لا علاقة له بشؤون المعاش»، فيعرف الدين بأنه معنى جمع أو ربط ـ أي بمعنى ارتباط جماعة إنسانية بإله* أو آلهة. وتطرف بعضهم مثل فولتير وروسو بقولهم إن الدين من صنع الدهاة الماكرين من الكهنة* والقساوسة*، لعلاج أمراض المجتمع بكل حيلة.

وللحق فقد رد عليهم الكثير من علماء الغرب، ففي معجم **لاروس للقرن العشرين**: إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية . . . . . . وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية.

وعلى هذه المعاني السابقة سار التغريبيون من أبناء المسلمين، ونادوا بذلك في أدبياتهم ووسائل إعلامهم، متغافلين عن الفروق الجوهرية بين المعنى في الاصطلاحين الإسلامي والغربي، فالإسلام لم يعارض العلم وإنما حض عليه وفتح للمسلمين آفاق البحث، والقرآن الكريم هو المنطلق الحقيقي لظهور المنهج* العلمي التجريبي.



الرافضة: هي تلك الطائفة من الشيعة* التي تعتقد بأحقية أهل البيت في الإمامة على باقي الصحابة، بمن فيهم الشيخان ـ رضي الله عنهما ـ، على أن هذه الإمامة ركن من أركان الدين بنص النبي*، ﷺ، وأن الأنبياء والأئمة معصومون. ويشمل، أيضًا، كل من يقول بالبداء والرجعة* والغيبة والتولي والتبري إلا في حالة التقية*.

ويرجح العلماء سبب التسمية لرفضهم إمامة الشيخين وأكثر الصحابة، وقد أطلق عليهم هذا الاسم بعد رفضهم إمامة زيد بن علي، وتفرقهم عنه؛ لعدم موافقته على أفكارهم، وكانت تسمى من قبل الخشبية والإمامية، ومن أشهر فرقهم الاثنا عشرية.

راهب: الراهب من النصارى هو ساكن الدير، والجمع رهبان، والرهبانية هي حياة جماعية تُقضى في أديرة خاصة لغرض ديني، أساسها نذر مثلث «الطاعة والفقر والتبتل». وتشمل النساء والرجال بزعم أن مؤسس الرهبنة هو المسيح*، عليه الصلاة والسلام، وهو زعم باطل نفاه الله تعالى عن نبيه* ورسوله* عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، وأوضح أنه من جملة البدع التي ابتدعوها، ومع ذلك ما رعوها حق رعايتها. قال تعالى ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

وقد عرفت الديانات* الهندية [الهندوسية والبوذية والجينية] الرهبانية من قبل انطلاقاً من رؤيتهم، أن الدنيا هي مصدر الشر، بينما تنكرها السيخية، وتحث أتباعها على الاشتغال وكسب الرزق، وعرفها كذلك الرومان، إذ كانوا يرغمون العذارى على عدم الزواج لتكريسهن لخدمة النار المقدسة، كما كان لنظام الرهبنة وجود بين اليونانيين واليهود وقدماء المصريين، ولذا يرى بعض الباحثين أنه عن طريق هؤلاء أو بعضهم انتقلت الرهبنة إلى النصرانية، حيث بدأت في القرن الرابع الميلادي في صحراء مصر، ومنها انتقلت إلى فلسطين، ونصارى

الغرب. وتقتصر الرهبانية على الأرثوذكسية والكاثوليكية في الوقت الذي تحاربها البروتستانتية بشدة، وتسير الكنائس* الأرثوذكسية على نظام القديس باخوميوس «أبو الشركة» في مصر، أما رهبنة الغرب فمتنوعة ومتطورة، ولا يلزم الراهب أن يكون كاهنًا* والعكس بالعكس. وتشترط الكنيسة القبطية مرور ثلاث سنوات من الإعداد قبل منح رتبة الرهبنة، ثم يمر المرشح للرهبنة بطقوس معينة مثل انبطاحه على الأرض أمام رئيس الدير الذي يقرأ عليه صلاة التجنز. ويقص شعر رأسه على شكل صليب مرتديا أثناء ذلك ملابس معينة، لكل قطعة منها صلاة خاصة بها.

والإسلام ينكر الرهبانية لقوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ . . . ﴾ الآية [الحديد: ٢٧]، وفي الحديث «لا رهبانية في الإسلام»[(١)].

ربّيّ: أو رابي أورَبيٍّ أو ربوني وجمعها رِبيون وفيها معنى التقدير والاحترام بين اليهود، وتعني في مخاطبتهم معلمًا دينيًّا ممن يستنبطون الأحكام التشريعية من نصوص التوراة*، وورد بنفس المعنى في إنجيل* **يوحنا** ٢٠/ ١٦.

الرسول: هو من بعثه الله تعالى إلى قوم وأنزل عليه كتابًا أو لم ينزل عليه كتابا، ولكن أوحي إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله، على الراجح من أقوال العلماء. ومقام الرسالة فوق مقام النبوة*، فالرسل سفراء الله تعالى إلى خلقه، وهم حملة وحيه*، ومهمتهم الأولى البلاغ والبيان المبين للأوامر والنواهي والمعاني والعلوم، التي أوحاها الله من غير تبديل ولا تغيير لإقامة الحجة على الناس.

ومن أجّل مهماتهم إصلاح النفوس وتزكيتها بتعبيدها لله جل وعلا من خلال تقويم الفكر المعوج والعقائد الزائفة. ولذلك فإن الرسل هم ساسة أممهم في السلم والحرب، ويلون شؤون القضاء، ويقومون على رعاية مصالح الناس. قال الله تعالى: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقد ذكر القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًّا* ورسولاً، وأشار

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة بنص «إن سياحة أمتي الجهاد . . . لا رهبانية في الإسلام»، وقد ورد في مسند الإمام أحمد في قوله ﷺ لعثمان بن مظعون «ياعثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا».

إلى أن هناك رسلاً لم يقصصهم على النبي، ﷺ . ومن أشهر الرسل على الإطلاق أولو العزم منهم، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، صلى الله وسلم عليهم جميعًا.

ومن لم يؤمن بالرسل على ما ذكر فقد ضل ضلالاً بعيدًا، يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

والرسول في العقيدة النصرانية: هو أحد الرسل، وهم تلاميذ المسيح* الذين قاموا بنشر رسالته من بعده، فمنهم أربعة كتبوا الأناجيل* ـ في زعمهم ـ وخمسة كتبوا الرسائل كما يدعون، والباقون اقتصروا على التبشير ونشر الدعوة في أنحاء العالم، ومنهم: متى الذي سار إلى الحبشة، ومرقس الذي سار إلى مصر وإليه تنسب كنيستها* ، ويوحنا الذي سافر إلى الأناضول، وبولس الذي سافر إلى قبرص واليونان، وبطرس كبيرهم الذي سافر إلى روما وإليه تنسب كنيستها، وفيليبس الذي سافر إلى أفريقيا، وسمعان الذي سافر إلى فارس، وإندراوس الذي سافر إلى بيزنطة، وتوماس الذي سافر إلى الهند. هذا مع أن دعوة المسيح، عليه الصلاة والسلام، كما أكدها هو، هي دعوة محلية إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، يقول إنجيل* متى ١٠ : ٥، ٦ «إلى طرق الأمم لا تتجهوا، ومدن السامريين لا تدخلوا، بل انطلقوا بالحري إلى الخراف الضالة من آل بني إسرائيل».

الرواقية: مدرسة فلسفية يونانية أسسها زينون، ومنها انتقلت إلى روما في القرن الثاني قبل الميلاد، وترى أن ماهية الإنسان جزء من الوحدة الجامعة بين الله والطبيعة* ، وأن الكون تسري فيه روح كلية، وأن خالق هذا الكون ليس مفارقًا له، بل هو كامن فيه. وبهذا ترى أنها أول من وضعت بذور عقيدة وحدة الوجود* ، ولذلك كان للمدرسة الرواقية أكبر الأثر في انتقال هذه العقيدة إلى الصوفية والفلاسفة، كما دعت إلى تحكم الإرادة في الانفعالات الإنسانية من أجل تحقيق السعادة. وقد اجتذبت أعلامًا مثل سنكا وأبتكتاتوس وماركوس وأورليوس.

الروح القدس: يقصد به جبريل، عليه السلام، وهو ملك ذو رتبة رفيعة خلقه الله تعالى واتخذه رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحيًا من خلقه، أو أمرًا كونيًا. وأصل

الكلمة في العبرانية «رواه» بمعنى الريح، ولذلك فإن الكلمة ـ الروح القدس ـ تأتي بمعان مجازية عديدة في التوراة* مثل: النسمة، التنفس، الشجاعة، القوة، الحكمة، نفس الإنسان، إذ تعوّد اليهود أن ينسبوا إلى الله تعالى ما كان يتعدى فهمهم، ويجهلون أسبابه الطبيعية، كقولهم في العاصفة غضب الله.

ويطلق على جبريل ـ الذي هو اسم عبري بمعنى رجل الله ـ عندهم في **التوراة** «روح الرب» كما في **سفر*** **أشعيا** ١١ : ٢ «ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب».

وقد ورد ذكر تسميته بالروح القدس في **سفر المزامير** ٥١ : ٩ـ١٠ «استر وجهك على خطاياي وامح كل آثامي . . . وروحك القدس لا تنزعه مني».

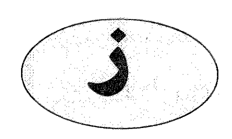
وللروح القدس في **الإنجيل*** معان عديدة بمثل ما جاء في **التوراة***: كالقدرة، والشجاعة ومنزل الوحي على الأنبياء*، ومحرك الناس، وهاديهم، ومطهرهم، وهو ملاك الرب جبريل الذي بشر مريم بالمسيح*، عليه الصلاة والسلام، والذي سبق أن فسر لدانيال رؤياه والمذكور في المزامير بالروح القدس، ونتيجة لسوء الفهم تارة وللتحريف والتبديل الذي لحق بالأناجيل تارة أخرى اختلف النصارى حول حقيقة الروح القدس، فالموحدون منهم كآريوس ومقدنيوس ومن تبعهما قالوا بأنه مخلوق وليس بإله، بينما يراه المثلثون منهم أنه الأقنوم* الثالث الذي هو روح الله وحياته ـ انظر التثليث ـ قال ثيموثاوس بطريرك* كنيسة* الإسكندرية الذي تزعم القول بألوهيته في مجمع القسطنطنية الأول عام ٣٨١م «ليس روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله غير حياته . . .» وعلى ذلك تم الزيادة في قانون إيمانهم السابق إقراره في مجمع نيقية عام ٣٢٥م أن الروح القدس هو الرب المحيي المنبثق من: الآب* وحده، وله طبيعته وجوهره، وهو روح الله، وحياة الكون، ومصدر الحكمة والبركة فيه على أن الله، تعالى عن قول الأرثوذكس، قبل التجسد كان يعرف بالآب وبعد التجسد عرف بالابن* وبعد القتل في زعمهم عرف بأقنوم الروح القدس. وبسبب الخلاف حول حقيقة الروح القدس حدث النزاع والشقاق الذي سبب الانفصال بين الكنيسة* الشرقية ـ القسطنطنية ـ التي ترى أن الروح القدس منبثق من الآب* وحده، وبين كنيسة روما الغربية التي تراه منبثقا عن الآب والابن معًا.

وهذا الأمر ـ أقنوم الروح القدس ـ ينكره أتباع شهود يهوه، إذ يعد عندهم ليس أكثر من قدرة الله التي يرسلها إلى المخلوقات لإتمام مقاصده.

ومن المفيد هنا أن نذكر رد شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي في كتابه **الأجوبة الفاخرة** على تلك الفرية «إن روح القدس عندهم هو حياة الله تعالى، وتجسد المسيح* منها يقتضي انقلاب الحقائق، فإن الحياة معنى من المعاني كالإرادة والعلم، وصيرورة الحياة جسدًا كصيرورة اللون رائحة والطعم حركة والأعراض أجسامًا، وذلك كله محال، فالقول بتجسيد الروح القدس محال. . .». كما جاء الروح في الإنجيل* بمعنى النبوة* بدليل ما جاء في الإصحاح الرابع من رسائل **يوحنا**. . : «أيها الأحباب لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من عند الله؛ لأن الأنبياء الكذبة كثيرون. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه جاء في الجسد فهو من الله»، كما جاء عندهم بلفظ المعزي وروح الله وروح الحق. ويرجع بعض الباحثين السبب الرئيسي لتعدد هذه الأسماء إلى أن النساخ والكتاب والمترجمين للأناجيل* يعمدون إلى الأسماء الواردة ويترجمونها حسب ما تدل عليه بأكثر من لفظ، مما سبب لهم الحيرة والاضطراب، ولا يسلم نقاد الكتاب المقدس لهم نسبة الروح القدس، إلى المعزي والفارقليط، لا من ناحية سياق النصوص التي تؤكد على أنه ليس هو الروح القدس، الذي كان موجودًا وسبق أن نزل على المسيح* على حد زعمهم على شكل حمامة يوم العماد، أو على التلاميذ على شكل ألسنة النار، ولكنه معزٍّ آخر يأتي بعد انطلاق المسيح ويحمل نفس أوصافه البشرية من الكلام والسمع، وأنه سيخبرهم بما لم يحتملوه في عصر المسيح موضحًا أنه «يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» يوحنا ١٦ : ٧ ـ١٣. وفي هذه النصوص دلالة واضحة على تبشير المسيح*، عليه الصلاة والسلام، ببعثة نبينا* محمد، ﷺ، حيث ذكرت من أوصافه وأوصاف شريعته الكثير، على أنه المعزي أو الفارقليط. أما لفظة الروح القدس فيرى الدكتور موريس بوكاي أنها أقحمت على النص في **إنجيل* يوحنا**. «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب. . .» ١٤/ ٢٦.

ونزيد أنه في **الإنجيل** نفسه الإصحاح ١٥ الفقرة ٢٦ أقحمت، أيضًا، أنه منبثق من الآب* «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق فهو يشهد لي». فإن كان الروح القدس منبثقًا من الآب وحده وبهذا الوضوح فلماذا عقد مجمع القسطنطنية الأول إذن ؟!!

وإذا انتقلنا إلى **القرآن الكريم** نجد أنه قد تحدث عن الروح القدس في أكثر من موضع موضحًا أنه جبريل أمين الوحي، مثبتًا أنه غير الله تعالى، لا يماثله ولا يشابهه، فالله تعالى وتنزه عن فساد معتقداتهم ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ . . . ﴾ الآية [البقرة: ٨٧] ويقول تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢] ويقول تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤] وكما لم يترك القرآن الكريم بيان حقيقة الروح القدس للعقول* البشرية القاصرة، فإنه، أيضًا، قد وضح صفاته من أنه كريم جميل المنظر، بهي الصورة، كثير الخير، ذو قوة شديدة، يطيعه الملائكة المقربون في الملأ الأعلى، له القدرة على التشكل إذ ظهر للرسول، ﷺ، ومريم ابنة عمران على صورة إنسان كامل، وقد وضح القرآن الكريم أن من ضمن وظائفه، عليه السلام، تأييد الرسل، وحمايته لهم ولأتباعهم يقول تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢] وكان جبريل يلقى الرسول ﷺ، في كل ليلة من رمضان ويدارسه فيها القرآن، بالإضافة إلى حب جبريل لعباد الله تعالى الطائعين وبغضه للعاصين منهم.



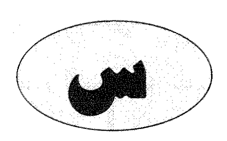
الزندقة: لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعُرِّب. وفي البداية كانت تطلق الزندقة على من يؤمن بكتاب المجوس* المقدس **الزندافست**، ومن ثم نسب إليه، ثم توسعوا في استعمالها على كل إنسان يتشكك في الدين*، أو يجحد شيئًا مما ورد فيه، أو يتهاون في أداء عباداته، أو يهزأ بها أو يتجرأ على المعاصي والمنكرات ويعلن بها، أو يقول بمقالة بعض الكفار ويؤمن ببعض عقائدهم، وقد عد الإمام الملطي فرق الزنادقة خمس فرق: المعطلة، والمانوية، والمزدكية، والعبدكية، والروحانية. ثم فشت الزندقة في النصارى حتى قال الجاحظ: إنا لم نر أهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى، واستخدم اللفظ في الإسلام بمعان متعددة، فبعضهم يطلقه على الثنوية* المجوس*، والبعض يطلقه على الدهرية أو من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، والفقهاء يطلقونه على المنافق الذي يبطن الكفر* ويظهر الإسلام، والبعض من علماء السلف يطلقه على الجهمية*، والإمام أحمد يطلقه على علماء المعتزلة، وقد يرمى صاحب المجون والفحش بالزندقة ـ انظر علم الكلام، المنطق ـ . ولا يوجد لفظ الزندقة هذا في **القرآن الكريم**، ولكن ورد في حديث عن رسول* الله ﷺ من حديث ابن عمر مرفوعًا: «إنه سيكون في أمتي مسخ وقذف، وهو في الزندقية والقدرية»(١) .

وقد انتشرت حركة* الزندقة ـ المجوسية الأصل ـ في أول العصر العباسي، وقد تجلت في وضع الأحاديث المختلفة لإفساد الدين، وفي نظم الشعر* الذي فيه مجاهرة بالتهتك والخلاعة، وبغض العرب والنيل منهم، وفي الرفع من شأن العقل* وتقديمه على النقل، واستغلت لذلك الحركة الشعوبية*، كما تجلت في بعض الثورات* والتمردات على دولة الخلافة*، وقد حاربت دولة الخلافة كل من بلغتها أخباره في ذلك بشدة ومتابعة حتى قضت عليها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٣٧، الترمذي ٢١٥٢، ٢١٥٣ بلفظ آخر. وقال حديث حسن صحيح غريب وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ١/ ٢٨٤، قال الألباني في حاشية مشكاة المصابيح سنده حسن.

ومن أهم عقائدهم وسماتهم: القول بالحلول* ، وتأليه البشر، وتشبيه* الله بخلقه، وإنكار النبوة* أو ادعاؤها، والقول بالتناسخ* وإنكار القيامة والجنة والنار، وجحد الواجبات، وقد كانت لهم آثار سيئة على الأمة الإسلامية فأشعلوا فيها نار الفتن والثورات* السياسية، كما فعلت القرامطة والإسماعيلية وغلاة الشيعة* والزيديه. والخوارج* وغيرهم.



السبئية: إحدى حلقات المؤامرة والكيد اليهودي للإسلام، والذي تولى كبر هذه المؤامرة عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء المتستر بالإسلام، في محاولة منه لتقويض أركانه، وتحريف أصوله، بعد أن هاجر من اليمن أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، إلى البصرة. ولما أخرج منها ألحق بالكوفة ثم بالشام فمصر لإثارته الفتن دائمًا بين المسلمين وطعنه في الولاة، فكان سببًا مباشرًا في مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وبالجملة فإن السبئية كانت وراء الأحداث العظام التي حدثت في الإسلام مثل قتل الخليفة عثمان بن عفان بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك وقعة الجمل ومحاولات تحريف* أصول الدين بإشاعة عقيدة رجعة النبي*، ﷺ، كما سيرجع عيسى ابن مريم، عليه الصلاة و السلام، كما قالوا برفع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بعد وفاته كما رُفع إلياس، وبنوا على ذلك عقيدتهم في الرجعة. وبذلك فإن عبدالله بن سبأ أول من وضع لأهل هذه الملة* القول بالرجعة والغيبة والتناسخ*، بل هو أول من سن قول الشيعة في الإمامة، والتبرؤ من الخلفاء الراشدين قبل علي ولعنهم، إذ أشاع أن عليًا هو وصي النبي* محمد، ﷺ، وأن الخلفاء قبله انتزعوا حقه في الإمامة، لذا أظهر الطعن فيهم والتبرؤ منهم.

وهكذا استمرت محاولاته لتحريف أصول الدين، بادعائه النبوة، ثم الألوهية لشخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مما دعا عليًا رضي الله عنه، إلى تحريق أتباعه ونفيه إلى المدائن. وهناك استمرت معه أفكاره الخبيثة التي أخفاها إلى ما بعد مقتل علي بن أبي طالب ثم أخذ يجاهر بالدعوة إليها، فاستجاب لها مدَّعو التشيُّع من أهل العراق وغيرهم. ويطلق عليهم السبئية والكيسانية والمختارية. ومن آثار دعوة ابن سبأ والسبئية:

١ـ تكوين جمعيات* سرية يهودية باسم الإسلام تحت راية ابن سبأ مثل القرامطة.

٢ـ إظهار الحب والولاء* والمشايعة لعلي وأولاده، والانضمام إلى شيعته، وإظهار الحقد والبغض لأصحاب رسول* الله، ﷺ.

٣ـ تأليب الناس وتحريضهم على عثمان رضي الله عنه، وإحداث الفرقة والشقاق بين الأمة الواحدة.

٤- ترويج العقائد اليهودية والنصرانية والمجوسية* بين المسلمين، مثل قولهم بالوصية، والولاية، والعصمة، والرجعة، وعدم الموت وملك الأرض، والحلول والاتحاد، وتأليه الخلق، وجريان النبوة* بعد محمد، ونزول الوحي*، مما سبب نشوء فرق الانحراف من الشيخية* والرشتية والبابية والبهائية وغيرهم من داخل الروافض. وما زال لابن السوداء أعوان وأتباع إلى يومنا هذا يتبنون مذهبه وينشرون أفكاره.

السببية: مبدأ فطري غريزي يعني العلاقة بين السبب والمسبب، وألا يكون شيء إلا بتأثير من المسبب، يقصد بها عند أصحاب المذاهب* المادية*: القانون الذي يفسر ظواهر الطبيعة* بردها إلى الأسباب الظاهرة عندهم. وقد كان ذلك ذريعة لنفي الأسباب الغيبية على أن الكون ليس إلا مجموعة متحركة ذات نظام معين وتتحرك تحركًا ذاتيًا منبعثًا من قبل الطبائع الفاعلة المنفعلة، ولا دخل لله ـ تعالى عن قولهم ـ في حركتها! اتباعًا وإحياءً للتصور الأرسطي الذي يمكن فهمه باللجوء إلى السببية المعتمدة على أسس العلوم الطبيعية. وازداد هذا الاتجاه بعد اكتشاف نيوتن لقوانين الجاذبية الأرضية، وهو ما يسمى عندهم (قوانين الطبيعة). ومن الواضح أن السببية تقف عند المظاهر دون تجاوزها إلى حقيقة الأشياء أو ما وراءها. فهذه القوانين أوجدها الله الخالق سبحانه وتعالى، وقد اقتضت حكمته جل وعلا أن يجعل للأسباب تأثيرًا في مسبباتها وليس في ذلك تنقص للذات الإلهية، مادامت هذه الأسباب خاضعة لله تعالى خالقها ومسببها، وجارية بأمره، مؤثرة بمشيئته، وهو سبحانه وتعالى يسلبها متى شاء، وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها، وإن شاء خلى بينها وبين اقتضائها لآثارها. يقول ابن القيم «ليس في الوجود الممكن سبب واحد مستقل بالتأثير، بل لا يؤثر سبب البتة إلا بانضمام سبب آخر، إليه وانتفاء مانع يمنع تأثيره في هذه الأسباب المشهودة بالعيان، وفي الأسباب الغائبة والأسباب المعنوية . . . وكذلك حصول الولد موقوف على عدة أسباب غير وطء الفحل، وكذلك جميع الأسباب مع مسبباتها» **الفوائد** ص ٨١ .

ويضيف ابن رجب الحنبلي قاعدة أخرى في فهم قانون السببية فيقول «ما أجرى الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب، وقد يخرق العادة في ذلك لمن شاء من عباده» **جامع العلوم والحكم** ص ٣١٧ .

ويضع ابن القيم قاعدة كلية في التعامل مع الأسباب فيقول «ودر معها حيث دارت، ناظرًا إلى من أزمتها بيديه. والتفت إليها التفات العبد المأمور إلى تنفيذ ما أمر به، والتحديق نحوه، وارعها حق رعايتها» **مدارج السالكين ج ٣ ص ٤٠٩** .

أما عن الدليل على إثبات الأسباب فيقول ابن القيم «لو تتبع ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن الكريم والسنة النبوية لزاد عن عشرة آلاف موضع بدون مبالغة». ومن هذه الآيات التي ربط الله فيها بين الحوادث بالباء التي بمعنى السببية قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ ﴾ [النمل: ٦٠]، وقوله جل ثناؤه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾ [الأعراف: ٥٧].
وكذلك الآيات التي رتب فيها الله تعالى الحكم الشرعي أو الجزائي على الوصف مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [المائدة: ٣٨]. وأيضًا، كل موضع تضمن الشرط والجزاء يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وما إن تسرب ذلك المفهوم إلى العالم الإسلامي حتى تصدى له علماء الكلام من الأشاعرة بوجه خاص أمثال: الباقلاني، وأبي المعالي الجويني، وأبي حامد الغزالي، بنفي العلاقة بين العلة والمعلول، ورتبوا على ذلك إنكار تأثير الأسباب لمسبباتها، واعتبارها مجرد اقتران فقط بين شيئين واطراد بين حادثين، لا أثر لأحدهما على الآخر، وما فعلوا ذلك وقرروه إلا بغية تنزيه الباريء جل وعلا في أفعاله من أن يشاركه أحد، أو يستقل بالخلق والإيجاد غيره. ولذلك عد بعض الأشاعرة القول بالسببية أحد صنوف الشرك، وقد غاب عنهم أن إثبات تأثير الأسباب في مسبباتها لا يستلزم خروج شيء عن قدرته تعالى، حيث إنه لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى، ولأن تأثير السبب في مسببه ليس بذاته وإنما بما جعله الله فيه من قوة تأثير. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن قال إنه يفعل عندها لا بها، فقد خالف ما جاء به القرآن وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع». وكان من آثار هذا الإنكار انتشار التواكل والتخلف بين المسلمين مما سبب تسلط وسيادة الأمم الكافرة عليهم.

وقانون السببية في الفهم الإسلامي لا يقتصر على الحياة الدنيا فقط، بل إنه يرتبط بأمور الآخرة أيضًا، ، فهو أحد مظاهر عدل الله جل وعلا، قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

السبت: تعني كلمة السبت الاستراحة والسكن، والسبت يوم فرض الله تعالى على اليهود في شريعة موسى، عليه السلام، تقديسه والاستراحة فيه من أعمالهم، وبعد موت موسى نقضوا حرمته وانحرفوا في عقيدتهم، إذ ذكروا في **التوراة*** في سفر* **التكوين** ٢/ ٢-٣ وسفر **الخروج** ٢٠/ ١١ «إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح من عمله في اليوم السابع». وقد رد عليهم القرآن الكريم هذا الاعتقاد الباطل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، وقد وردت كلمة السبت في **القرآن الكريم** خمس مرات ومرة بلفظ «يسبتون» ومرة بلفظ «سبتهم». وفي سنة ٣٦٤م اجتمع مجمع لاودكيه وأصدر قرارًا يمنع فيه تعظيم السبت، وقد نقل النصارى قدسية يوم السبت إلى الأحد إذ يعتقدون أن المسيح* خلصهم من كل تعاليم الناموس الحرفية الظاهرية.

السبتيون «الأدفنتست»: وتسمى بالأدفنتست من أدفنتوس اللاتينية بمعنى «المجيء»، وهي جماعة نصرانية ترتكز عقيدتهم على المجيء الثاني للمسيح*، وتعتمد على تعاليم وليم ميلر ١٧٨٢- ١٨٤٩م الذي تنبأ بأن نهاية العالم ستكون في عام ١٨٤٣م، ثم قال في عام ١٨٤٤م. ولما لم تتحقق النبوءة أعلنوا اعتقادهم برجوع المسيح المنظور في زمن غير محدد بعد قيامة الأموات وبداية العصر الألفي. ومن عقائدهم القول بقدسية السبت من غروب الجمعة إلى غروب السبت، واعترافهم بالسيدة آلن جولدهوايت نبية* ملهمة، كما يعتقدون بفناء الأشرار، وبعقائد أخرى تخالف النصرانية. ولهم أنشطة وفروع متعددة في مختلف دول العالم.

سفسطة: هو لفظ اصطلاحي* في علم المنطق* معرَّب عن اليونانية، وأصله سفسط بمعنى غالط وأتى بحكمة مضللة وكلام مموه. وأصله من الكلمة اليونانية «سوفيسطوس» الذي يدل بنوع خاص على معلم البيان.

والسفسطة: قياس مركب من الوهميات بغرض إفحام الخصم وإسكاته وإلزامه الحجة بالتمويه، وإليها تنسب فرقة السوفسطائية من قدماء فلاسفة اليونان قبل سقراط، إذ ينكرون المحسوسات والبدهيات، لأن الحقيقة عندهم ذاتية نسبية، وتختلف باختلاف الأفراد. أما من حيث النشأة، فقد نشأت السوفسطائية على أثر هزيمة اليونان للفرس، وشاع أمرها في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد بعدما شاع الجدل السياسي والقضائي في اليونان، مما دفع مجموعة من المثقفين لاستغلال مواهبهم في الخطابة والجدل ووسائل الإقناع والمغالطة ـ ولذلك عرفوا بالسوفسطائية ـ بغية الحصول على الأموال وقد حاربهم سقراط وأفلاطون، إذ كان لهما دور كبير في اختفاء السوفسطائيين في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد. ويعد بروتاجوراس (٤٨٠ـ٤١٠ ق.م)، وجورجياس (٤٨٠ـ٣٧٥ ق.م) من أشهر السوفسطائيين.

السكر: مصطلح صوفي لم يستعمل شرعًا إلا في مقام الذم، وفي التعبير عن الحالات المذمومة كسكر الخمر، والهوى، والفواحش، وبالتالي فإنه لم يرد في القرآن والسنة المطهرة، ولا في كلام السلف الصالح إلا في هذا المقام. ويقصد به الصوفية أنه حالة من حالات الخشية من الله تعالى، يتم خلالها الاتصال به جل وعلا في زعمهم، على أنها أدنى من درجة الفناء* ، إذ يغيب العقل* عن شهود الوجود أو شهود ما سوى الله عز وجل، وفيها يستوي الألم واللذة، بل قد يقع في المكروه من حيث لا يدري نتيجة غيابه عن وجود الفكرة. وقد يتلفظ بألفاظ الكفر* ، وقد يقدم، أيضًا، الألم على اللذة، ويجد فيه ملذته، ويعقبه حالة صحو* يعود فيها الصوفي إلى عالم الحس.

وهذه الحالة لم تقع من المخلصين الكمّل من عباد الله تعالى من الرسل* والأنبياء* والشهداء والصديقين والصحابة، رضي الله عنهم. قال ابن القيم في **مدارج السالكين** «وهذا المعنى لم يعبر عنه في القرآن ولا في السنة، ولا العارفون من السلف بالسكر أصلاً، وإنما ذلك من اصطلاح المتأخرين، وهو بئس الاصطلاح. .» ٣/ ٣٠٥، وبالتالي فإنها أحد مظاهر تلبيس إبليس على المتصوفة وأشباههم.

السلفية(١) : نسبة إلى السلف؛ وهم القوم المتقدمون، وعكسها الخلف؛ وهم القوم المتأخرون، وفي الأمة الإسلامية هم المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من أصحاب القرون المفضلة. ذكر السمعاني ت ٥٦٢ هـ في **الأنساب** «السلفي: بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء هذه النسبة إلى السلف، وانتحال مذاهبهم على ما سُمعت منهم» ٣/ ٢٧٣ . ولذلك أصبحت السلفية من حيث المصطلح علمًا على أصحاب منهج* الاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين؛ وكل من تبعهم من الأئمة الأربعة وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد، والأوزاعي، وابن المبارك، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن. ويشمل من سار على طريقتهم مع تباين العصور وتفجر المشكلات والتحديات، مثل ابن تيمية وابن القيم، ومحمد بن عبدالوهاب، وأغلب الاتجاهات السلفية المعاصرة بالجزيرة العربية وشبه القارة الهندية ومصر وشمال أفريقيا والشام . . . وكل من سار على دربهم ممن يأتي من بعدهم، عملاً بأمر الله تعالى ورسوله*، ﷺ، من الإيمان بعقيدتهم والالتزام بمنهجهم* وطريقتهم. يقول تعالى ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقوله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقوله تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ . . .﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ . . .﴾ [لقمان: ١٥] قال ابن القيم: وكل من الصحابة منيب إلى الله. فيجب اتباع سبيله، وأقواله واعتقاداته من أكبر سبيله» **إعلام الموقعين** ٤/ ١٦٨ وقوله ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(٢)، قال ابن مسعود «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم». وقال الإمام الأوزاعي ت ١٥٧هـ: «. . . اصبر نفسك على السنة. وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك» **شرح أصول اعتقاد أهل السنة** للألكائي ١/ ١٥٤ يقول أبو حنيفة «عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل

---

(١) نظرًا لأهمية الوقوف على معنى المصطلح وما يدل عليه سنفصل قليلاً فيه على غير المعتاد.
(٢) متفق عليه من رواية عمران بن الحصين رضي الله عنهما.

محدثة فإنها بدعة*» وغير ذلك من الأحاديث والآثار، وعلى ذلك فالسلفي هو كل من سلك سبيلهم ونهج نهجهم في التلقي والاستدلال والاعتقاد والأحكام وتابع سيرتهم في السلوك والسير إلى الله تعالى، وشعاره في ذلك كله «مالم يكن يومئذ دينًا فليس اليوم بدين».

أما من حيث المضمون فإن السلفية تمثل منهج* الإسلام الصحيح، والمحافظ على مضمونه في ذروته الشامخة وقمته الحضارية السامقة، الذي حافظ على التوحيد في جوهره النقي فمنع تردي العقيدة الإسلامية في أوحال الوثنية*، محاربًا النزعة الجبرية* التي ساهمت في ركود الهمم وإضعاف الإرادة الإنسانية، محافظًا على مصادره وعقيدته وعباداته ومعاملاته ونظمه، معتمدًا على الكتاب والسنة، وفق فهم السلف الصالح أمام محاولات التجزئة والبتر، والتأويلات الكلامية، والتخريجات الفلسفية، والتفسيرات الرمزية الباطنية* على مر العصور.

ولذلك كانت وما زالت السلفية تأخذ على عاتقها المحافظة على أصالة الأمة الإسلامية في عقيدتها وشريعتها وأخلاقها* ومنهاجها حتى لا تتميع ولا تهتز، وذلك بالالتزام بمناهج السلف في التلقي والاستدلال وفي التوحيد والاتباع والتزكية. فالسلفية منهج شامل صالح لكل زمان ومكان، وليست بمرحلة زمنية أو طور تاريخي انتهى، بل هي منهج يحمل في طياته الأصالة مع المعاصرة، والتقدم لا الرجوع إلى الوراء، ولذا فهي المنهج الوحيد المؤهل لعودة الإسلام إلى دنيا المسلمين. يقول الإمام مالك ـ يرحمه الله ـ: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

ويقول الأستاذ أنور الجندي في معرض حديثه عن مآثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية: «فإن السلفية هي الحركة* الكبرى التي جددت الدعوة الإسلامية، ولولاها لهان على الغرب أن يستعبد الشرق روحيًا إلى أبعد حد...» ويقول، أيضًا: «إن حركة اليقظة الإسلامية التي دعت إلى أن الإسلام دين* ودولة، قامت على أساس القاعدة التي رسمتها الحركة السلفية، والتركيز الأساسي الذي بذلته في المحافظة على طريقة (الاتباع لا التقليد*)، ودعمت مقوماتها الراسخة الجامعة بين إخلاص التوحيد لله تعالى وحده، والإيمان بالوحي* طريقًا لمعرفة عالم الغيب، مع استسلام الإنسان في شؤون معاشه لما أمر به الله بواسطة خاتم الرسل*، وتحرير العقول من الوثنيات*، وإصر الشرك ليتفرغ فيما يعود

على الإنسان بالنفع في ميادين العلوم، ووسيلتها النظر والتجربة مع ثبات الفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية».

والسلفية ترادف عدة أسماء شرعية أخرى منها: أهل السنة والجماعة*، وأهل الحديث، وأهل الأثر، والطائفة المنصورة، والفرقة الناجية. وكانت بداية ظهور هذا المصطلح* بعدما رفع أصحاب المذاهب* الكلامية مصطلح أهل السنة والجماعة في وجه المعتزلة، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف الصالح، فكان لابد من التمييز ووضع قواعد وأصول واضحة للسلفية لتمييزها عن مدعيها، إذ لا عبرة لمن عاش بين ظهراني السلف وخالف أصولهم ومنهجهم*، فلا تصح نسبته إليهم ـ راجع أهل السنة والجماعة ـ .

يذكر الدكتور مصطفى حلمي في كتابه **السلفية بين الفلسفة الغربية والفلسفة الإسلامية** أن مصطلح السلفية له مدلوله الخاص من وجهة نظر الفلاسفة الغربيين، فقد ورد ذكره صراحة في كتاب توينبي عن تاريخ العالم بقوله: «وظهر فلاسفة سلفيون في القرن الثامن عشر الميلادي رد فعل على مآسي الثورة الفرنسية وآثارها المدمرة على الدين* والأخلاق* والمجتمع في أوربا...»، وتأثرت وجهة النظر هذه بنظرية أوجست كونت لتفسير التطور الفلسفي لمراحل التاريخ، التي تقضي بأن للتاريخ أدوارًا ثلاثة: قديمًا وأوسط وحديثًا، وأن المرحلة القادمة أرقى من المرحلة الحالية التي هي أرقى من سابقتها، وأن العودة إلى المرحلة السابقة تمثل الرجعية والتخلف ـ السلفية في نظرهم ـ وأن أرقى المراحل هي التي تمثل الوضعية العلمية.

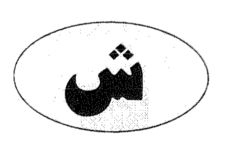
ومن العجيب أن أوجست كونت صاحب تلك النظرية تخلى عنها في نهاية حياته، وأراد أن يؤسس نوعًا من الدين* يقوم على عبادة «البشرية»، باعتبارها الكائن الأعظم، وعلى الرغم من ذلك فقد تأثر بنظريته هذه الكثير من الكُتَّاب والباحثين من أبناء المسلمين، سواء كان ذلك عن عمد في شكل غزو ثقافي للتشويه، أو بسبب القابلية للتغريب لفقدان الثقة بالنفس، واتباعًا لطريقة المستشرقين في تشويه صورة السلف في الأذهان، لعلمهم بصعوبة التغلب على الأمة الإسلامية مادامت متمسكة بمناهج* سلفها الصالح، فاستخدموا لذلك أكثر من وسيلة منها: التشويه لرموز الاتجاه والمعبرين عنه بوصمهم بالتشدد والرجعية والأصولية* والتخلف، وكذلك رميهم بالنصوصية، مع كيل المدح والإطراء لمخالفيهم،

وهو أسلوب قديم سبق أن مارسه أهل الأهواء والبدع ضد أهل السنة والجماعة، يقول الإمام أحمد ـ يرحمه الله تعالى ـ «وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة، يسمون بها أهل السنة، يريدون بذلك الطعن عليهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال. . . » **كتاب السنة** ص ٤٠ . فسماهم المعطلة والمؤولة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة بالمشبهة لإثباتهم ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله، ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، مع أنهم من أشد الناس تعظيماً لله جل وعلا وصفاته سبحانه، ولذلك يقول نعيم بن حماد شيخ البخاري ت ٢٢٨هـ «من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه». كما أطلق المعتزلة والقدرية نفاة القدر عليهم المجبرة، أما الرافضة فقالوا عنهم ناصبة لتقديمهم أبا بكر وعمر وعثمان علىٰ علي، رضي الله عنهم جميعًا، في الخلافة كما أطلقوا عليهم العامة والجمهور على أنهم هم الخاصة والمؤمنون، وعلى نفس المعنى أطلق المعتزلة والروافض والخوارج والأشاعرة والماتريدية على أهل السنة الحشوية والنابتة. أما المرجئة فقالوا عنهم شكاكًا لاستثنائهم في الإيمان على غير معنى شك مخافة واحتياطًا للعمل، ومن ضمن وسائلهم ابتداع نحل جديدة مثل القاديانية والبهائية، أو إحياء المذاهب* الفلسفية والكلامية المندثرة . . . وأحيانًا يعمدون إلى التشويش على مصطلح* السلفية نفسه في محاولة تحريف مضمونه. وأكتفي هنا بالإشارة إلى تفسير الطيب تزيني الطبقي المادي* للسلفية فيقول «وظهرت السلفية كأحد مظاهر النمو القومي العربي المعادي للتدخل الأجنبي الإقطاعي الرأسمالي الإمبريالي بشكليه القديم والحديث». ويقصد بذلك السلفية القومية حسب تقسيمه للسلفية. أما الدينية منها فعنها يقول «فهي رجعية جسدت مرحلة العقم الحضاري والتحول إلى علاقات بدائية». ويعرفها بأنها «دعوة أيديولوجية* رجعية للانكفاء إلى الأصول الدينية الأولى في صيغتها النصية المعتقدية»، ويحدد الدكتور محمد عمارة موقفه من السلفية والسلف من خلال تحديد موقفه من التراث، فيقول في كتابه **التراث والعقل والقومية** موافقًا الدكتور زكي نجيب محمود ـ فيما ذهب إليه في تعريف السلف فيقول «السلف هم أعلام عصر الخلق والإبداع* والازدهار الذي عرفته أمتنا ـ يقصد بهم المعتزلة ـ وبلورت فيه حضارتها القومية العقلانية المستنيرة قبل انحطاط عصر المماليك».

ويؤكد ذلك في **تحديات لها تاريخ** بقوله: «أما سلفية التيار العقلاني المستنير فهي لا تدعو للعودة إلى مجتمع السلف، لأنها تدرك استحالة ذلك، فضلاً عن خطر.. وضرره».
والسلفية عند هؤلاء مصطلح مطاط يتسع ليشمل كل من يدعو إلى الكتاب والسنة وضرورة الاحتكام إليهما، غير معتبرين الالتزام بفهم السلف ولا بمناهجهم العلمية والعملية، ولا مانع عندهم إذن من إدراج حتى جماعات التكفير وغيرها من الجماعات المنحرفة ضمن الاتجاهات السلفية!!!

والخلاصة فإن مصطلح* السلفية من وجهة نظر الفلاسفة الغربيين له مدلوله الخاص، ولا صلة له بمثيله عند المسلمين، لا من حيث المصطلح ولا من حيث المضمون. ولا يعني ذلك عدم الإفادة من معطيات الحضارات الأخرى سواء كانت العلمية أو التقنية أو الإدارية والتنظيمية ما لم تخالف أصلاً من أصول الشريعة* ، وذلك لأن المنهج* السلفي كما يدعو إلى الأصالة، فإنه يحمل طابع المعاصرة والسعي الدائم للتقدم، لا الرجوع إلى الوراء، والنظرة الشاملة الصحيحة لا المناهج الجزئية التي اصطنعها المسلمون في العصور المتأخرة، ولهذا كله رصيد في أصول ومناهج سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ في التعامل مع الحضارات الأخرى.

سيفا: أحد آلهة* الثالوث* الهندي (برهما* ، فشنو، سيفا*) والمستمد قوته وألوهيته من برهما. ـ حسب اعتقادهم الباطل ـ وسيفا كلمة حلت محل كلمة «ورترا» المستعملة في كتب **الفيدا** المقدسة، وكانت تطلق على الروح الموكلة بالرياح الثائرة والهوجاء، وذلك في الطور الثاني للديانة* الهندية القديمة «دور الكهنة البرهميين». وقد أطلقوا «سيفا» فيما بعد على القوة المستترة التي تذهب بالكائنات واحدًا بعد الآخر، أي المفني المعيد أو المحمول «كناية عن القوة المطورة»، ويمثل سيفا أحد خصائص برهما.



الشريعة الإسلامية: هي كل ما جاء به نبينا محمد، ﷺ، من الله عز وجل، سواء ما يتعلق بإصلاح العقيدة لتحرير العقل* البشري من رق الوثنية* والتقليد* والخرافات، أو ما يتعلق بإصلاح المجتمع لتحرير الأمة من الظلم والفوضى والاستبداد. كل هذا من خلال نظم وأحكام وقوانين تنتظم فيها كل نواحي المجتمع والحياة، سواء كانت أحكامًا عقائدية أو عملية أو أخلاقية* دون أن يتطرق إليها تحريف* أو يطرأ عليها تبديل. ولذلك فإن نصوصها ومصادرها تمتاز بالأصالة الباقية والخلود الأبدي. وبالجملة فإن الشريعة الإسلامية ما جاءت إلا لتربية الفرد الصالح والأمة الصالحة، محافظة على الضروريات الخمس «النفس والعقل والمال والدين* والعرض)، وعلى أساسها قامت أرقى دولة عرفتها البشرية، سواء في عهد النبوة* أو عهد الخلفاء الراشدين، واستمر العمل بها إلى أن أسقط الحكم بها في عهد بني عثمان عام ١٩٢٤م دون أن تحتاج إلى أن تستورد قوانين من الشرق أو الغرب، بل استفاد من نظمها وتشريعاتها الشرق والغرب.

وتتميز الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية* بأنها إلهية المصدر ـ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ـ بالإضافة إلى رعايتها مصالح البشر من خلال كفالة ضرورياتهم وتوفير حاجياتهم وتأمين تحسيناتهم، متبعة في ذلك التيسير والتسامح ورفع الحرج عن الناس.

كما أنها لا تباعد بين المادة والروح في أحكامها، ولا تفصل بين الدنيا والآخرة، بل تنظر إلى الحياة كوحدة واحدة متكاملة، تحقق العدل بين القريب والبعيد، والعدو والصديق، مع المحافظة على مرونة المصادر والأصول مما أكسبها صفة الخلود والاستمرار والاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية للأمة، بعكس نظرة القوانين الوضعية. وتمتاز الشريعة الإسلامية عن الفقه الإسلامي* بأنها تعني الدين المنزل من عند الله تعالى، بينما الفقه هو فهمنا لتلك الشريعة. والشريعة تحتوي، أيضًا، على الأحكام الاعتقادية والجوانب الأخلاقية وأخبار الأمم الماضية، والقواعد والأصول العامة التي تستمد منها الأحكام الاجتهادية. ولذلك فإن أحكامها صواب لا خطأ فيها. لكن الفقه يتعلق بجانب واحد منها

فيما يتعلق بفهم الأحكام. وأخيرًا فإن الشريعة تخاطب البشر كافة في كل زمان ومكان لثبوت وخلود أصولها، بينما الفقه يعالج مشكلات زمن أو مكان بعينه، وقد لا يصلح في غيره. وعلى ذلك فقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الشريعة إلى «شريعة منزلة وهي القرآن والسنة، وشريعة اجتهادية وهي ما توصل إليها عن طريق الاجتهاد، وشريعة محرمة وهي التي يظن أنها من الشرع وهي محض افتراءات»، **مجموع الفتاوى**، ١٩/ ٣٠٨.

كما تمتاز الشريعة الإسلامية على الشرائع الأخرى كافة بأن نصوصها ومصادرها تمتاز بالأصالة والخلود الأبدي، ولم تمتد يد التحريف والتبديل إليها، ولم لا وهي إلهية المصدر. وذلك على العكس من الشرائع الأخرى التي لا تخلو من إحدى ثلاث صور:

١ـ إما أن تكون نظامًا بشريًّا محضًا نتاجًا لتفكير عقلي فلسفي لفرد من الأفراد أو لمجموعة من الناس كالماركسية والرأسمالية...

٢ـ أو أن تكون نظامًا دينيًّا لا يعرف حقيقة مصدره كديانات* الهند المتعددة.

٣ـ أو أن تكون نظامًا دينيًّا شابه التحريف فأدخل فيه ما ليس منه، واختلط بأوهام البشر كاليهودية والنصرانية.

الشعر الحر: نوع من الشعر مقفى أو غير مقفى، متحرر من قيود العروض وقواعده التقليدية، وكثيرًا ما يتبدل فيه الجرس وبخاصة جرس الكلام العام بالوزن التوقيعي. وقد انتشر في العالم العربي في العقود الأخيرة، ومازال مثار جدل بين مؤيدين ومعارضين، وكان ظهوره تأثرًا بالشعر الغربي، وطلبًا للتخفف من قيود الشعر العربي.

الشعوبية: إحدى حلقات مسلسل المؤامرة والكيد للإسلام وأهله، متسترة أحيانًا بحب آل البيت والتشيُّع لهم، وأحيانًا بستار الأدب والفنون. وقد انتظمت في طياتها عدة دعوات هدامة من بينها الباطنية* والقرامطة والزندقة* والرافضة* والمجسمة والدهرية والثنوية* والجهمية*...

وتهدف في مجموعها إلى إذاعة موجة الإلحاد* التي ترمي إلى إنكار الأديان* كلها، ومن بينها الإسلام، وكان منهاج* عملها يقوم على أساس الزندقة الفكرية والانحلال الاجتماعي ومهاجمة القيم الأخلاقية* والسخرية بأصول الأديان والنظم الاجتماعية، وإثارة الجدل*

والشك* في تحريم الخمر وغيرها من المحرمات، وتارة بالهجوم على الثقافة العربية واللغة والأدب والتاريخ، والانتقاص من شأن العرب بهدف التشكيك في السواعد التي حملت الإسلام، ومحاولة إسقاطها وإسقاط قواعد الفكر الإسلامي معها. وتارة أخرى بإعلاء الشخصيات غير العربية في التاريخ الإسلامي سواء من الصحابة أو من غيرهم، واتخاذ حركة الترجمة والنشر وسيلة لإحياء المجوسية* ، ونشر كتب المانوية والمزدكية والزنادقة، وكذلك إعلاء شأن الفلسفة اليونانية* والعقل الإنساني* على الوحي* الرباني، مما أوجد في المجتمع الإسلامي طبقة من المترفين والدعاة لإحياء المجوسية، وسادت ظاهرة النفاق، مما دفع أئمة السلف الصالح من أمثال الحسن البصري وتلميذه محمد بن سيرين والشعبي إلى مواجهتهم بقوة. وظهر خالد الدريوس وبرنامجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب الإصلاح، وأيضًا، سهل بن سلامة الأنصاري، كما قامت فرق من الحنابلة لنفس الأمر بعد ذلك. وكان للمعتزلة كذلك دور كبير في التصدي لفتنة الشعوبية، فألفوا في ذلك الكتب وأقاموا المناظرات معهم، وكانت هذه الفتنة أحد العوامل الرئيسة لنشأة علم الكلام* لاستخدامه في مواجهة الزنادقة.

أبرز دعاة الشعوبية: لقد حمل لواء هذه الدعوة كثيرون في مختلف الميادين، ومن أبرزهم: أبو نواس، إذ دعا الناس إلى الخمر، وحث الناس عليها مستترًا بالظرف، وبشار بن برد حامل لواء نشر الفساد الخلقي وإشاعة الفسوق بالنساء، وحمّاد عجرد، وإخوان الصفا* ، إذ عارضوا الشريعة الإسلامية* بنظام جديد نظموه من خليط من الأفكار القديمة، مما حدا بهم إلى إنكار البعث، وفسروا الآخرة وأحوالها تفسيرًا باطنيًا* ، وابن الراوندي ومحمد بن زكريا الرازي، إذ أثاروا الشكوك حول مفهوم الإسلام وإنكار الوحي*' وعبيدالله بن ميمون القداح، إذ استخدم الباطن وسيلة لضرب الدين* وإنكار المفاهيم الأساسية للإسلام، وذلك من خلال تفسير القرآن الكريم تفسيرًا باطنيًا فلسفيًا، ومن أبرز سمات الأدب الشعوبي:

١ـ الإباحية ونشر الانحلال في مجال الشعر.

٢ـ انحراف الشعراء في أشعارهم إلى التغزل والمنادمة والإغراء بالخمر والحسيات، وكلها عوامل دخيلة على الأدب الإسلامي، بل هي من مخلفات المجوسية* الفارسية بمذاهبها

والمزدكية والمانوية. ومازال للشعوبية امتداد في الساحة العربية بين مدعي الثقافة من أدباء ومفكرين يعلون من شأنها وشأن دعاتها بالإضافة إلى إحياء تراثها.

الشك: يعرفه الجرجاني في **التعريفات** بأنه «التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر». ويعرفه إمام الحرمين الجويني بأنه «ما يقوى فيه اعتقادان».

والشك اتجاه فلسفي قديم نشأ في الفلسفة اليونانية* على يد بيرون ت ٢٧٥ ق.م صاحب مذهب* اللاأدرية* كرد فعل على فشل الفلسفة* الرواقية. إذ امتنع عن الحكم على الأشياء بالإيجاب أو النفي؛ لأن الأشياء مظاهر لا يدري حقيقتها غير معترف بقدرة الحواس أو العقل* أو أي من أدوات المعرفة على تحقيق اليقين. ولذلك يدعو بيرون إلى الوقوف على الحياد دون المبالاة بشيء، سعيًا وراء تحقيق الطمأنينة والسعادة. ولذا سمي شكه بالشك الأخلاقي، ثم تطور على يد السوفسطائيين أمثال بروتاجوراس وبورجياس ت ٣٨٠ ق.م. وغيرهما إلى القول باستحالة المعرفة وإنكار الحقائق المطلقة، وقالوا بإمكانية وجود الحقائق الجزئية المتعددة، وذلك على حسب تعدد الأفراد واختلاف الأحوال، إذ ردوها إلى الحس وحده.

وقد استخدموا الشك منهجًا* في الجدال* بغية تحصيل الأموال، ثم جاءت مدرسة أفلاطون ـ الأكاديمية الجديدة ـ من بعدهم لتضيف إلى مذهب الشك بُعدًا آخر، وذلك بأخذهم بمبدأ الاحتمال أو الترجيح فيه مع قولهم بإنكار وجود مقياس للحقائق، واستحالة المعرفة اليقينية الصادقة، ولكنهم مع ذلك لم يقطعوا بإنكار المعرفة، إذ قد تكون قضية ما عندهم أكثر احتمالاً من أخرى. ويعد أرقاسيلاس أول من قال به، إذ استخدمه منهجًا في الجدال لزعزعة اليقين عند الخصم.

ونلفت النظر هنا إلى أن كل هذه الأنواع من الشك (المطلق) يرفضها الإسلام، إذ قرر أن للأشياء وجودًا عينيًا مستقلاً عما في الذهن، ولا يقتصر كذلك على عالم الشهادة فقط، وإنما يجعل من ضمن أركان الإيمان التي لا يصح إلا بها الإيمان بعالم الغيب، وبالتالي فإن الإسلام أكد على إمكانية الوصول إلى المعرفة الإنسانية إذا ما سلك الإنسان سبيلها الصحيح.

وقد ذاع الشك في أوربا وانتشر رد فعل للكبت الديني بالمفهوم الكنسي الذي حجر

على العقل* ، وأيضًا، لفشل الفلسفات الحديثة في تأصيل مناهج* للوصول إلى اليقين .

وهناك أنواع أخرى من الشك المطلق، كالشك الإيماني الذي غرضه الإيمان وليس الإنكار، فهو يعتمد على الوحي* وحده، أو الكنيسة* وحدها منبعًا للمعرفة، في الوقت الذي يفقد فيه الثقة في العقل والحواس. فالوحي بالمفهوم الكنسي هو مصدر الفكر عنده، وتقوم فلسفة هذا النوع على أساس عقيدة الخطيئة عند النصارى التي ظلت ـ في زعمهم ـ مرتبطة بأولاد آدم، عليه الصلاة والسلام، بعد أن عصى أمر ربه، ولذلك فإن الإنسان في نظرهم ملوث فطريًا، وبذلك لا يستطيع أن يدرك الحقيقة على وجهها الصحيح. وبناءً على ذلك فإن على الإنسان أن يسلم للوحي* أو للكنيسة* فقط في الحصول على المعرفة .

ويرى الإسلام أن هذه العقيدة تناقض قانون الفطرة التي فطر الناس عليها. يقول ﷺ: «مامن مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1]، وتناقض قانون الهداية من أن للإنسان إرادة واستعدادًا للخير والشر. يقول تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وقوله ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، كما تخالف قانون العدل الرباني، إذ يقول سبحانه: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]. ويقرر الإسلام أن الوحي* طريق أصيل للمعرفة، ولكنه لا يلغي العقل* والحس وغيرهما بصفتها وسائل للمعرفة حسب مجالات عملها المحكومة بقانون عالم الشهادة .

وهناك شك المقلدة وهم الباطنية* الذين قالوا بأن المرء لا يخلق عارفًا، وإنما يكتسب المعرفة، ولا تحصل له بوسائلها المعروفة كالحس والعقل* ، وإنما مصدرها الإمام المعصوم الذي حل فيه الإله* ـ تعالى الله عن كفرهم ـ راجع الحلول .

أما النوع الثاني من الشك فهو الشك المنهجي أو التجريبي، ويسميه هيوم بالشك العلمي، ويعرفه الدكتور توفيق الطويل في **أسس الفلسفة*** بأنه «منهج يفرضه صاحبه بإرادته رغبة منه في امتحان معلوماته، واختبار معرفته، وتطهير عقله من كل ما يحويه من مغالطات وأضاليل. وهو يمكن صاحبه من البدء بدراسة موضوعه، وكأنه لا يعلم عنه شيئًا، فلا يتأثر

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٩).

بالأخطاء المألوفة، أو المغالطات التي يتلقاها عن غيره من الناس أو يقرؤها في كتب الباحثين». والفرق بينه وبين الأنواع السابقة من الشك المطلق هو أن أصحاب الشك المنهجي يستخدمونه وسيلة لا غاية، كما أنه يقتصر عندهم على العلوم النظرية المكتسبة ولا علاقة له بالوحي* وأمور الإيمان. وقديمًا استخدمه سقراط وأرسطو في دحض شبهات منهج* الشك السوفسطائي من أجل تأكيد الحقيقة والوصول إلى المعرفة. كما استخدمه القديس أوغسطين ت ٤٣٠ م.

ويُعد أبو حامد الغزالي رائد هذا المنهج*، وإن ارتبط عند الغرب وأتباعهم بـ رينيه ديكارت. وفي هذا النوع من الشك يقول أرسطو: «إن الذين يقومون ببحث علمي من غير أن يسبقوه بشك يزاولونه، يشبهون الذين على غير هدى، فلا يعرفون الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكوه». ويؤكد أبو حامد الغزالي عدم تطرق هذا النوع إلى الوحي وأصول الدين* بقوله: «لا يجوز أن يهجر كل حق سابق له خاطر مبطل، وإلا لزم هجر كثير من الحق كالقرآن والسنة والعقيدة». ويقول ديكارت: «إن حقائق الوحي* لا تُدرك إلا بمدد من السماء خارق للعادة».

وهذا النوع من الشك العلمي حض عليه الإسلام، إذ بيَّن أن العلوم الصحيحة لا تقوم إلا على النظر والبرهان وعدم التقليد. يقول تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨] وقال جل شأنه: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

إلا أنه قد تطرف بعض المعتزلة أمثال أبي هاشم الجبائي ت ٣٢١هـ وأبي علي الجبائي ٣٠٣هـ ومن وافقهم من الأشاعرة بأن أوجبوا الشك الموجب للنظر بصفته أول واجب على المكلف حتى ولو كان معتقدًا للإسلام قبل بلوغه. على أن هذا الشك الغاية منه الحصول على اليقين. وخالفهم القاضي عبدالجبار المعتزلي في ذلك.

ولا شك أن الشك في أصل من أصول الدين كفر*، والحمد لله لم يتعرض الإسلام لأزمة الشك واللاأدرية لقيامه على اليقين والإيمان، وأوضح أن أول واجب على المكلف النطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما، وبذلك لا يصح تطبيق قاعدة الشك قبل اليقين في أمر العقيدة بالذات.

الشماس: كلمة معربة من الكلمة اليونانية «دياكونس» ومعناها الخادم، ويعبر عنها بنفس المعنى في اللغة السريانية بـ «مشمشونو»، والشماس درجة كهنوتية داخل الكنيسة* ترجع إلى عصر مبكر جدًّا، يقول بولس لأهل فيلبي «إلى جميع القديسين الذين في فيلبي مع أساقفة* وشماسة» فيلبي ١ : ١ . ولحامل هذه الدرجة واجبات معينة أهمها قراءة فصول الكتاب المقدس وخدمة المذبح، ولا يُشترط فيه سنٌّ معينة.

كانت مهمة الشماس في بداية الأمر خدمة الأرامل «أعمال٦ : ١ـ٧». ولذلك فقد اشترطوا فيمن يتقلد هذه الدرجة شروطًا منها أن يكون محافظًا متزوجًا ولديه أولاد «تيموثاوس ٣: ١٢». وقد أحدثت له الكنيسة* القبطية* الأرثوذكسية مهمة الخدمة الاجتماعية والروحية والوعظ أحيانًا، كما جعلته مساعدًا للأسقف في الخدمة.

وكما يعمل الشماس بين الرجال، فإن الشماسة تعمل، أيضًا، بين النساء. وللشمامسة رئيس يعرف بـ «الأرشيدياكون» ومساعد يعرف بـ «الأيبودياكون». وعند الصابئة يعرف الشماس باسم «الحلالي» لديه مهام خاصة يقوم بها. ـ راجع مبحث الصابئة بالموسوعة ـ .

الشيخية: أحد إفرازات الشيعة* الاثني عشرية المنسوبة إلى زعيمها الباطني المدعو الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي البحراني المولود بإحدى قرى الأحساء في شهر رجب سنة ١١٦٦هـ والمتوفى في ١٢٤١هـ والمدفون بالبقيع. غير أن آخرين يرون بناءً على تقارير المستشرقين أن الشيخ الإحسائي لم يكن من الأحساء، وأنه لم يثبت ذلك تاريخيًّا، وإنما كان قسًّا* غريبًا أرسل من إندونيسيا إلى الشرق حسب خطة مرسومة لإفساد عقيدة المسلمين وتغيير أحكام الدين* ، فلم يجد إلا الشيعة الاثني عشرية بيئة صالحة لتحقيق أهدافه، وعلى كلٍّ تذكر كتب الشيعة وغيرهم أنه في الأربعين من عمره هاجر إلى كربلاء والنجف، وأخذ العلم عن السيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء، ونال منهما الإجازة حتى أصبح من المجتهدين، وكانت له مؤلفات وأتباع من أشهرهم كاظم الرشتي. وأيا كان الأمر فإن للشيخية أفكارًا واعتقادات خارجة عن الإسلام منها:

اعتقادهم بحلول* الله ـ تعالى عن قولهم ـ في علي رضي الله عنه وأولاده، وأنهم مظاهر

الله، وأصحاب الصفات الإلهية، كما يعتقدون أن الحقيقة المحمدية تجلت في الأنبياء* قبل النبي محمد، ﷺ، تجليًا ضعيفًا، ثم تجلت تجليًا في النبي* محمد، ﷺ، والأئمة الاثني عشر، وبعد فترة انقطاع تجلت في الشيخ أحمد الإحسائي ثم فيمن يأتي بعده من تلاميذه مثل كاظم الرشتي وأتباعه.

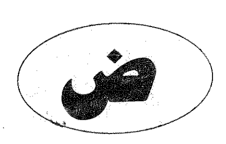
ولذلك يعتقد الشيخية في الإحسائي أنه مؤمن كامل، وباب من فيضان الإمام الغائب والأمة، وقد خلفه من بعده كاظم الرشتي، ثم المرزا علي محمد مؤسس البابية.

كما يعتقد الشيخية في الرجعة لا على اعتقاد الشيعة*، ولكن على أنها رجعة ظهور وتجلي الله - تعالى عن قولهم - تجليًا أقوى في الركن الرابع، وهو الشيخ الإحسائي ومن يأتي بعده، كما ينكرون المعاد والبعث الجسماني، ولذلك يعتقدون بعقيدة تناسخ الأرواح*. فالباب في رأيهم شخص حل فيه روح الباب، والمهدي شخص حل فيه روح المهدي، والإمام والنبي كذلك فهم مختلفون في الصورة متحدون في الحقيقة؛ لأن الله هو المتجلي في الجميع.

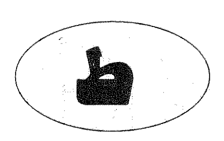
وبدأ ظهور الشيخية في بلاد العراق، ومنها انتشرت في شيعة إيران وعربستان وأذربيجان والكويت. ومما يجدر ذكره أن عامة الشيعة* الاثني عشرية في باكستان والهند يعتقدون نفس عقائد الشيخية. لهم مركز كبير في ملتان وكراتشي بباكستان، وبذلك تعد الشيخية النواة الأولى للبابية والبهائية.

الشيعة: اسم علم أطلق أولاً على معنى المناصرة والمتابعة. وفي بادىء الأمر لم يختص به أصحاب علي بن أبي طالب دون غيرهم، بل أطلق بمعناه هذا على كل من ناصر وشايع عليا ومعاوية رضي الله عنهما، ودليل ذلك ما جاء في صحيفة التحكيم «هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وشيعتهما. . . وأن عليا وشيعته رضوا بعبدالله بن قيس، ورضي معاوية وشيعته بعمرو بن العاص. . .» **مجموعة الوثائق السياسية** ص ٢٨١-٢٨٢ محمد حميد الله. وجاء في تاريخ اليعقوبي أن معاوية قال لبسر بن أرطاة حين وجهه إلى اليمن «امض حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة» ٢؛١٩٧ ثم تميز به من فضّل إمامة علي بن أبي طالب وبنيه على الخليفة عثمان بن عفان، ومن بعده من الأئمة، مع تفضيلهم إمامة أبي بكر الصديق

وعمر بن الخطاب، رضي الله، عن الجميع، وفي وقتها لم يكن الخلاف دينيًّا ولا النزاع قبليًّا فكان أبناء علي رضي الله عنهم يفدون إلى الحكام ويصلون خلفهم، ومع ذلك لم تتميز به طائفةمخصوصة بأصول تخالف بها جماعة المسلمين. إلا أن المفهوم تطور على أيدي بعض المتسترين بالإسلام من أمثال ابن سبأ اليهودي مؤجج نار الفتنة بين المسلمين ـ راجع السبئية ـ. وأصبح الاعتقاد بالنص والوصية في الإمامة معيار التمييز بين الشيعة وغيرهم من فرق الإسلام، مع القول بعصمة الأئمة وغير ذلك من العقائد الباطلة. فأصبحت الشيعة بذلك مأوى وملجأ لكل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، أو لكل من يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية أوزرادشتية وهندوسية أو غيرها. وهكذا تطورت عقائدهم إلى حد إنكار الكثير من المسلمات والأسس التي قام عليها الإسلام. ولذلك أطلق عليهم علماء السلف روافض تمييزًا لهم عن الشيعة الأوائل. ومن أبرز سمات الشيعة بفرقهم أنهم من أسرع الناس سعيًا إلى الفتن في تاريخ الأمة قديمًا وحديثًا. ولذلك انقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة، من أشهرها الرافضة* الإمامية الاثنا عشرية، والزيدية، والباطنية* بفرقها من إسماعيلية وغيرها.



الضمان الاجتماعي: نظام من الضمانات الاجتماعية ترعاه الحكومة ويرمي إلى حماية أصحاب الأجور وعائلاتهم من الضائقات الاقتصادية كما في حالات المرض والبطالة والعجز والشيخوخة، أو التعرض للإصابة أثناء مزاولة العمل. ويقوم على تشريعات تتبناها الدولة، ويعتمد في توفير المساعدات على صندوق يشارك في تمويله كل من الحكومة ورب العمل والعامل بنسب متفاوتة. نشأ هذا النظام في كنف الثورة الصناعية في أوربا، ثم تطور وأخذ أكثر من شكل. وقد سبق الإسلام هذه النظم في تشريعاتها من خلال فريضة الزكاة والصدقة وغيرها.



الطاغوت: للطاغوت عند السلف تعريفات عديدة منها قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: الطاغوت: الشيطان وقال جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما: الطواغيت: الكهنة، كانت تنزل عليهم الشياطين. وقال الإمام مالك، رضي الله عنه: الطاغوت: كل ما عبد غير الله، وقال ابن كثير: الطاغوت: الشيطان، وكل ما زينه من عبادة غير الله، قال ابن القيم: الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع.

وبناءً عليه يقول الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على كتاب **فتح المجيد** «الذي يستخلص من كلام السلف، رضي الله عنهم: إن الطاغوت هو كل ما صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين* والطاعة لله ولرسوله، سواء كان ذلك من شياطين الجن أو شياطين الإنس، أو من الأشجار والأحجار وغيرهما. ويدخل في ذلك بلا شك: الحكم بالقوانين* الأجنبية عن الإسلام وشرائعه، من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، ليبطل بها شرائع الله* من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر، ونحو ذلك مما أخذت هذه القوانين تحلله وتحميه بنفوذها ومنفذيها. وهذه القوانين وواضعوها ومروجوها طواغيت. . .» ص ٢٤٣.

ويخرج من ذلك كل من عُبد من دون الله تعالى، وهو غير راض بذلك، كالأنبياء والصالحين لا يسمى طاغوتًا، وإنما الطاغوت الشيطان الذي دعاهم إلى ذلك وزينه لهم من الجن والإنس.

الطبيعة: يطلقها الفلاسفة الغربيون وكثير من الكُتّاب المحدثين، على مجموعة العناصر والعوالم الكونية التي يزعمون أنها تؤثر في بعضها تأثيرًا مستقلاً عن إرادة الخالق، سبحانه وتعالى، (انظر السببية) أو كما يزعم الملاحدة أنها هي وحدها الوجود، وهي وحدها المؤثر فيه، وليس لها خالق مدبر متصرف ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا ـ. وقد تابعوا في ذلك الغنوصية* الفيثاغورسية، والنظريات الأفلاطونية الفيضية والإشراقية* في نظرتهم الوثنية* للطبيعة، وممن تأثر بالغنوصية الفيثاغورسية أصحاب عقيدة الجفر* وحساب

الجُمّل، الذين يعتقدون أن تفسير الطبيعة وأحداثها يعتمد على الحساب. وقد خاب هؤلاء وخسروا عندما زعموا أن بمقدورهم أن يصنعوا مثل الطبيعة لو توافرت لهم موادها الأولية، يقول تعالى ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ٤] والطبيعة في مفهومها الإسلامي هي هذا الكون الفسيح بجزيئاته الصغيرة والكبيرة، وقد خلقها الله تعالى من العدم وما زال هو الذي يسيرها من خلال ما أودعه فيها من قوانين ونواميس خاصة بها، وأن ما يحدثه فيها من أحداث تخضع لمشيئته المطلقة، فلو أراد الله تعالى خرقها أو تعطيل مفعولها لفعل إذا شاء تعالى، ولذلك عاب الله تعالى على من نسب إلى الطبيعة قدرة مطلقة في تسيير أمور الكون، بل وصمه بالشرك، أيضًا، يقول تعالى في الحديث القدسي: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»[١]. والطبيعة، كدأب أي مخلوق من مخلوقات الله تعالى، لها أجل مسمى يقول تعالى ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] وأخيرًا يرشدنا المنهج الإسلامي في التعامل مع الطبيعة إلى التأمل والتدبر في عجيب صنع الله تعالى والذي يقود إلى زيادة الإيمان وقوة اليقين، كما يرشد إلى السعي في استعمارها واستثمار خيراتها، على أن الحياة الدنيا بما فيها الطبيعة ماهي إلا مزرعة للآخرة.

طوباوية «يوتوبيا»: كلمة يونانية معناها «لا مكان» جعلها توماس مور عنوانًا لكتابه الصادر عام ١٥١٦م، الذي صور فيه دولة مثلى تحقق السعادة للناس، وتمحو الشرور، ثم أصبحت الكلمة وصفًا لكل كتاب هذا مبحثه، وكل حالة غير واقعية فيها كثير من المثالية التي لا يمكن تحقيقها.

ومن أشهر هذه الكتب **الجمهورية** لأفلاطون، **مدينة الله** للقديس أوغسطين، **مدينة الشمس** لكلامبلانا ١٩٢٣م، **أطلنطي الجديدة** لفرنسيس بيكون ١٩٢٧م، **آراء أهل المدينة الفاضلة** للفارابي، **ويوتوبيا حديثة** لويلز.

طورانية: أو تورانية، حركة* قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين في أواخر القرن

(١) متفق عليه.

التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين، كانت تستهدف تتريك العناصر العثمانية، واشتقت اسمها من «طوران» أو «توران» أي بلاد توره، باعتبار أنها مهد الشعوب التركية من شرقية وغربية.

والطورانية جزء من المؤامرة على دولة الخلافة*؛ لتفتيتها بعد تقسيمها إلى قوميات مختلفة على أساس عرقي، مثل الفرعونية والفينيقية تمهيدًا لإسقاطها، وقامت ردة فعل لدعوة قيام الجامعة الإسلامية التي كان يشجعها السلطان عبدالحميد بهدف تأكيد الصلات بين تركيا والدول الإسلامية، باعتبار أنها دولة الخلافة.

وبالتالي فإن الطورانية دعوة لتقليد دعاوى القومية التي نشطت في أوروبا في ذلك القرن، كما تبناها وأكدها أصحاب حركة الجامعة العثمانية (جماعة الاتحاد والترقي*) بعدما شكلوا حكومة قومية في الأناضول عام ١٩١٨م.

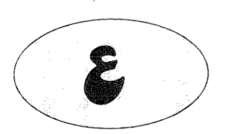
وتهدف الطورانية إلى تزكية النعرة القومية الطورانية بين الأتراك، دون غيرهم من المواطنين العثمانيين، وتحقيق سيادة العنصر التركي على غيره من العناصر المكونة للدولة. وفي بداية هذه الدعوة قبل الحرب العالمية الأولى استخدمت عدة وسائل لتحقيق أهدافها بتكوين جمعيات* ومنتديات مثل: «ترك أوجاغي» أي العائلة التركية، والتي تفرعت عنها جمعيات مختلفة تتعاون في تحقيق أهدافها، في تخليص اللغة التركية من الألفاظ العربية والفارسية، والتنقيب عن ألفاظ تقوم مقامها من التركية القديمة، وهو ما تحقق على يد الكماليين. كما تهتم رابطة «ترك درنكي» بدراسة أحوال الشعوب التركية وتاريخها وبث الفكر القومي بالإشادة بعظماء الطورانيين في القديم والحديث، كما عنيت بالأناشيد والأغاني التي تمجدهم.

الطوطم: كلمة مشتقة من لغة الهنود الحمر ـ الأجبوا ـ في أمريكا الشمالية، ظهرت الكلمة لأول مرة عام ١٧٩١م في كتاب جون لوك **أسفار ورحلات**، ولم يتفق على تحديد معناها، كما لا توجد نظرية مقبولة تمامًا حتى الآن عن أصل تلك العقيدة، فأحيانًا يطلق الطوطم على اللقب الأسري، أو على حيوان يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية، وبخاصة أهالي أستراليا الأصليين، أو الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، ويعتبر صيده وأكل

لحمه محرمًا على أفرادها؛ لاعتقادهم أنهم انحدروا منه، وأنه حبرها المقدس أو أنه كان حليفًا أو حارسًا لجدها الأعلى، أو نحو ذلك. ولذلك يرسم أفراد العشيرة صورته على مساكنهم وأدواتهم، وراياتهم وأسلحتهم، والبعض يطبعه وشمًا على جسمه، اعتقادًا منهم أن من يحمل صورته ينصر في الحرب ويشفى من مرضه.

كما يحرم هذا النظام قيام صلات جنسية بين أفراده؛ لزعمهم بانحدارهم من طوطم واحد، وبعض العشائر تتخذ طواطمها من النباتات أو الكائنات المادية، أو حتى من الظاهرات الطبيعية، وهذا نادر، وقد تتخذ أكثر من طوطم، أيضًا. ولهذه العقيدة حتى الآن وجود بين القبائل الأسترالية الأصلية، وبين المجتمعات الوثنية* بماليزيا، وكذلك بين الهنود الحمر بالساحل الشمالي الغربي في أمريكا، وبين هنود جزر فانكوفر وجزر الملكة ماكلينان شارلوت.

ومما يذكر، أيضًا، أن هذا النظام الوثني كان معروفًا بين الشعوب القديمة ـ المصرية، والأثيوبية، والعربية، واليونانية، والرومانية ـ ويذكر بعض الباحثين أنه ما زالت إلى الآن توجد آثار منه في أوربا، والدليل على ذلك تسمية مدينة بيرن Berne في سويسرا، إذ تعظم الفيلة، وكلمة بيرن في الألمانية جمع «بير» بمعنى فيل.



العالمية: في الاصطلاح الحديث: مذهب* يدعو إلى البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المذهبية المتباينة. ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها أن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد، تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية؛ لإحلال السلام في العالم محل الخلاف.

وهذه دعوة باطلة من أساسها؛ لأنها تخالف سنة الله تعالى الكونية من حيث الصراع بين الحق والباطل، الخير والشر، حتى داخل أجسامنا، فهي قائمة بين كُرات الدم البيضاء والجراثيم والأمراض الغازية، فهذا الصراع هو سر من أسرار الحياة وناموس من نواميس الله في خلقه، يجري على قدر وينتهي إلى غاية ويسوقه تدبير من عليم حكيم، فهو خير في جملته بل سبيل إلى التقدم المادي والحضاري للأمم.

ويصرح الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في **معجم المناهي اللفظية** أن العالمية مذهب* باطل «ينسف دين* الإسلام، بجمعه بين الحق والباطل، أي بين الإسلام والأديان كافة، وحقيقته هجمة شرسة على الإسلام. فكيف نقول عالمية الإسلام، فنخضع الإسلام لهذا المذهب* الفكري العدو الكاسر على الدين*؟ ألا فلنقل «الإسلام والعالمية» لنظهر فضل الإسلام، ونحط إلى القاع ما دونه من مذاهب ونِحَلٍ محاها الإسلام . . . كما أنه لا يجوز أن نقول: اعتزالية الإسلام، ولا: أشعرية الإسلام، ولا: جهمية الإسلام، فكذلك لا يجوز أن نقول: عالمية الإسلام، ديمقراطية الإسلام، اشتراكية الإسلام، وهكذا فليتنبه» ص ٣٧٠.

وللعالمية تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة من سياسية ودينية واقتصادية وأدبية ولغوية، وهي تحاول جميعًا الوصول إلى المذهب الواحد من خلال الدراسات الحديثة في الدين المقارن، والأدب المقارن، والقانون المقارن، وعلم اللغة المقارن، للوصول إلى الأصول الأساسية المشتركة حسب زعمهم، لتصبح الأرض وطنًا واحدًا يدين بدين* واحد ويتكلم بلغة واحدة، ويتذوق الفنون والآداب بذوق واحد مشترك.

والعالمية دعوة هدَّامة، وثيقة الصلة بالصهيونية العالمية التي تتوسل إلى السيطرة على الأمم ببعض العصبيات على اختلافها، وقصدها هدم الفوارق وتمييع الخلافات في العقائد، وإزالة الحواجز بين الناس.

ولهذه الدعوة أصول في الفلسفة اليونانية* القديمة، إذ دعا إليها الرواقيون* والكلبيون في القرن الرابع قبل الميلاد، كما كانت دعوة هرقليطس، وبها قالت المانوية، والفارابي من الفلاسفة، وإليها يدعو البهائيون من خلال الدعوة لإقامة الحكومة العالمية، التي تتلاشى فيها العصبيات والحدود والديانات، وبها نادى نيكسون على أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية مؤهلة للقيام بهذا الدور، ومن قبله رشح تشرشل الأمم الشبعانة لقيادة هذه الحكومة، وهو الأمر الذي أكده البروتوكول الخامس من **بروتوكولات حكماء صهيون**.

ولعل قيام الأمم المتحدة خطوة على هذا الطريق، كما صرح بهذا الرأي مؤيدًا له الدكتور بطرس غالي أمين عام الأمم المتحدة في كتابه **الحكومة العالمية** الصادر عام ١٩٦٢م، وأخيرًا تتبنى الدعوة إلى العالمية المنظمات الصهيونية والمسيحية* الإنجيلية ـ الأصولية* الإنجيلية ـ في الغرب، وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي الأسبق ريجان والقسيس* مولر تيلر.

العرف: هو عادةُ جمهور قوم في قول أو عمل أو ترك، ومثاله تعارف الناس، مثلاً، في بعض المجتمعات أن المهر الذي يسمى للمرأة في عقد النكاح يكون ثلثاه معجلاً والثلث مؤجلاً إلى ما بعد الوفاة أو الطلاق، أو تعارف الناس على عقد الاستصناع.

والعرف ليس بدليل فقهي، ولكنه قد يرجع إلى دليل من أدلة الشرع المعتبرة، كالإجماع* والمصلحة المرسلة* والذرائع. وقد احتج الفقهاء به في مختلف العصور مما يدل على صحة اعتباره،

ويشترط للاحتجاج به أن يكون العرف صحيحًا، لا يخالف نصًّا شرعيًّا من كل وجهة مخالفة يترتب عليها إبطال العمل بالنص بالكلية، وأن يكون العرف مستفيضًا شائعًا بين أهله ومعمولاً به من منبعهم، وأن يكون حدوث العرف سابقًا على وقت التصرف ومستمرًّا إلى زمانه، وألا يوجد قول أو عمل يغير عكس مضمونه.

أما مجالات عمل العرف حسبما حددته له الشريعة الإسلامية* فمحصورة في أحد أمرين، كما يذكر ذلك الدكتور عمر سليمان الأشقر بقوله:

«الأول: تفسير النصوص التي وردت مطلقة، ولم يرد في الشرع ولا في اللغة ما يفسرها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا «كل اسم ليس له حد في اللغة ولا في الشرع فالمرجع فيه إلى العرف» . . . وقال الزركشي «العادة تحكم فيما لا ضابط له شرعًا» . . .

الثاني: الأحكام التي لم تأمر بها الشريعة، ولم تنه عنها، وهذا النوع ليس للشريعة غرض في فعلها على نحو معين، وإنما المراد فعلها على أي وجه كان هذا الفعل، وهذا يختلف باختلاف عوائد الناس وعرفهم». «**الأعراف البشرية** ص ٤١ : ٤٣. ومن العلماء من يفرق بين العادة والعرف، يقول الدكتور مصطفى الزرقا في **المدخل إلى الفقه الإسلامي**: «العادة أعم مطلقًا وأبدًا، والعرف أخص، إذ هو عادة مقيدة، فكل عرف هو عادة، وليس كل عادة عرفًا، لأن العادة قد تكون فردية أو مشتركة»، بينما يرى الدكتور عمر الأشقر أن الفقهاء يستعملون العادة والعرف استعمالاً واحدًا لا يفرقون بينهما، ولذلك يرى أن المسألة اصطلاحية ولا مشاحة في الاصطلاح*.

وقديمًا كان العرف هو الحاكم في المجتمعات، قبل تقنين القوانين الوضعية* التي استمدت بعض موادها من العرف. وللأسف الشديد فإنه إلى عهد قريب كان العرف مقدمًا في دساتير بعض الدول العربية على الشريعة الإسلامية*، وكما كان العرف بالأمس يمثل حجر عثرة أمام شرائع الدين* والدعوة إلى الله تعالى، فإنه ما زال طاغوتًا* يصد عن سبيل الله تعالى، وقد قص علينا القرآن الكريم سيرة هذا الصراع المرير بين رسالات الأنبياء* وعوائد أقوامهم وأعرافهم في أكثر من موضع نكتفي منها بما قاله تعالى حاكيًا عن بعض هؤلاء بقوله جل شأنه ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٥].

العشاء الرباني «الأفخارستيا»: ويقال له: مائدة الرب أو شركة جسد الرب ودمه.

وهو من عقائد النصارى الأساسية، فهم يعتقدون أن المسيح* أكله مع تلاميذه ليلة القبض عليه قبيل ذهابه إلى بستان جشيماني، ويسمون كأس الخمر التي تشرب في هذا العشاء «كأس الرب» أو كأس البركة، إذ يعتقدون أن من يأكل هذا العشاء في موعده كل سنة، فإن الخبز يتحول إلى لحم المسيح في لحومهم، والخمر يتحول إلى دم المسيح في دمائهم، فيحصل ـ في زعمهم ـ الاشتراك بين المسيحي والمسيح! يستدل النصارى على صحة دعواهم هذه بما ورد في **إنجيل*** **متى** ٢٦/٢٦ـ٢٨: وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا وكلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا». ويستعمل الكاثوليك منهم الفطير بدلاً من الخبز المختمر، كما يختلف البروتستانت فيما بينهم في كيفية حضور المسيح لعشائهم الرباني.

عصر النهضة: اصطلاح* يقصد به الفترة التي اتسمت بنشاط علمي وثقافي ذي سمات عقلانية عرفت بحركة التنوير* أو العصرانية. وقد أطلق في البداية على الحركة* التي ظهرت بألمانيا في القرن الثامن عشر الميلادي، والتي استلهمت آراء كانت وليسنج، وامتد المصطلح* إلى إنجلترا في أيام لوك، ونيوتن، وهوبز، وأسكتلندا في أيام هيوم، وآدم سميث، وفرنسا في أيام مونتسيكو وفولتير، وديدرو وروسو. وتشمل حركة التنوير كذلك عصر بطرس الأكبر إمبراطور روسيا، وفريدرك الثاني ملك روسيا، والإمبراطور جوزيف الثاني. وقد وصلت حركة التنوير* إلى العالم العربي الإسلامي في بداية عصر النهضة الحديثة، وتمثلت في الكتابات الأولى في الأدب العربي والفكر الحديث بصفة عامة متبنية أفكار حركات التجديد* والتنوير* والمعاصرة في الغرب والمبنية على أساس الفلسفات الإلحادية* من الدعوة إلى نبذ الدين*، والتخلي عن قيمه شرطًا للنهضة ـ راجع التجديد وحركة التنوير ـ، مما دفع الكثير من العلماء والمفكرين المسلمين إلى التصدي لها وبيان عوارها.

العقل: هو الاستعداد الغريزي والملكة الناضجة لدى الإنسان. وقد يطلق ويراد به القوة الفطرية التي أودعها الله تعالى في الإنسان، وخلقه عليها، وقد يراد به العلوم الضرورية

والمسلمات العقلية. وقد كرم الإسلام العقل وأعلى مكانه، إذ جعله محل التكليف، ومناط الأمر والنهي، وبه يكون التمييز والتدبير.

وقد وردت مشتقات كلمة العقل في القرآن الكريم حوالي ٧٠ مرة كلها في مقام المدح والثناء، هذا غير الآيات الكثيرة التي تحض على النظر والتفكُّر والتدبر. أما محل العقل فهو القلب كما يقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ.

وللعقل في الفلسفة* اليونانية إطلاقان: أحدهما يراد به عقل الإنسان، ذلك العرض القائم به، والآخر يراد به العقل المفارق للمادة، وهو جوهر قائم بنفسه لا يدركه الفناء، ومنه تفيض الصور إلى عالم الكون، ومنه يستمد العقل الإنساني المعرفة ويظلق عليه العقل الفعال. وأول من قال بذلك أرسطو على أنه الإله عز وجل، بينما يذهب بعض الفلاسفة المسلمين المنتسبين إلى الإسلام ومنهم الفارابي إلى أنه الروح الأمين أو الروح القدس*. ويرى الغزالي أنه المقصود من قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]. وهناك عقول أخرى عدها الفلاسفة عشرة تتحرك في الأفلاك ويفسرها الفلاسفة بالملائكة. وهو كسابقه تفسير باطل لأن الأفلاك أشياء ذهنية ليس لها وجود في الأعيان.

أما إذا انتقلنا إلى الفلسفة* الحديثة فسنجد أن هناك ثلاثة اتجاهات أو مذاهب* تجاه العقل: فهناك المذهب العقلي الذي يعتبر أن العقل هو المحك والمقياس للحقائق ومنها حقائق الوحي*، وبالتالي فما لا يتماشى مع العقل ينبغي رفضه، وعلى ذلك سار إسبينوزا وشتراوس وغيرهما. ويقترب منه المذهب التجريبي أو الحسي الذي لا ينكر العقل وإنما ينكر أن يكون له مبادىء قبلية ـ فطرية ـ وإنما يستفيدها من الحس والتجربة. وعلى النقيض يأتي مذهب خوارق العادات الذي يجعل حقائق الوحي ليست في متناول العقل.

وقد وُجدت مثل هذه الأفكار تجاه العقل بين الفرق الإسلامية. فهناك الفلاسفة ومن نحا نحوهم من المعتزلة والمتكلمين، يعتقدون أن العقل أصل الأدلة وأساسها؛ لأن دلالته يقينية، بينما دلالة الشرع ـ في زعمهم ـ ظنية. وقد رتبوا على ذلك عددًا من اللوازم من أهمها: أن يقدم العقل على النقل ـ الشرع ـ عند التعارض أو توهمه. وأيضًا، أن الثواب

والعقاب والحسن والقبح* مترتب على حكم العقل ـ راجع التحسين والتقبيح العقليين ـ، وكذلك أن حجة الله تعالى قائمة على الخلق بحكم العقل لا بالشرع. وقد رتبوا على ذلك أن أهل الفترة الذين بين رسولين، ولم تبلغهم الدعوة ومن شابههم، كفار مخلدون في النار، والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة تدحض كل هذه الأقوال، إذ يقول تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، لا للعقل، ويقول جل شأنه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ولذلك فإن أكثر أهل السنة والجماعة* يقولون بأن أهل الفترة كفار في الدنيا حيث لا يدينون بأي دين* صحيح، ولكن لا نقطع بدخولهم النار، إذ يمتحنون في عرصات القيامة، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، وعلى نقيض الفلاسفة ومن نحا نحوهم من المعتزلة تجاه العقل، يأتي أتباع أبي الحسن الأشعري الذين ينفون أن يكون للعقل شيء من الأحكام، إذ لا حكم عندهم إلا للشرع، أما المتأخرون منهم وبخاصة بعد أبي المعالي الجويني فقد تأثروا بالمعتزلة في تقديم العقل على الشرع.

وقد هدى الله تعالى أهل السنة والجماعة إلى أن يكونوا وسطًا بين الضلالتين ليكونوا ظاهرين على الحق، قائمين لله بالحجة على عباده إلى قيام الساعة، فأثبتوا أن للعقل مكانته وله فهمه وإدراكه الإجمالي، ولكنه تابع للشرع ولا يكون معتبرًا إلا إذا اهتدى بالشرع يفهمه ويرشد إلى العمل به، وأن الشرع معصوم والعقل غير معصوم، ولذلك فإن الشرع مقدم على العقل، إذ لا يعارض صريح العقل صحيح النقل، وأن معيار الصحة والفساد الشرع لا العقل، وأن للعقل إدراكًا مع إثباتهم لحسن الأشياء وقبحها، وبالتالي فإن الثواب والعقاب والوعد والوعيد مترتب على الشرع لا على العقل.

علم الكلام: علم حادث في الملة، كما يذكر ابن خلدون، وله عند أصحابه عدة تعريفات منها: أنه علم يبحث فيه عن أحوال الواجب (الله) وأحوال الممكن (ما سوى الله تعالى) من حيث المبدأ والمعاد. ومنها أنه العلم بالأحكام الشرعية الاعتقادية عن دليل قاطع عقلي أو سمعي أو وجداني. وأيضًا، أنه «علم يقتدر معه إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه».

والتعريف الأخير الذي قال به الآيجي يُعد من أقرب التعريفات إلى الواقع، فما قام علم

الكلام ووضعت أصوله وقواعده الأولى إلا في عهد المأمون، بعدما حدث الخلاف في تفاصيل العقائد بعد ترجمة كتب اليونان الفلسفية إلى اللغة العربية، مما دعا إلى الخصام ووقوع المناظرات والمجادلات ـ راجع الجدل ـ مع أصحاب العقائد الباطلة من مجوس* وصابئة ونصارى وفلاسفة، ومن تأثر بهم ـ الزنادقة ـ، حول ذات الله تعالى مما دفع المعتزلة وبخاصة البغداديين منهم إلى الاستعانة بتراث نصارى الشرق الملكانية والنسطورية، بالإضافة إلى التراث الفلسفي للرد عليهم ودحض شبهاتهم. ومن بعدهم استخدم الأشعري المنهج* نفسه في الرد على المعتزلة حتى أصبح في عهده الأداة الأساسية لإثبات عقائد أهل السنة* . وفي المراحل التالية تطور على يد أئمة المذاهب* الكلامية أمثال: الباقلاني والجويني والرازي، وبخاصة المتأخرين منهم كالبيضاوي والإيجي، وفي هذه المراحل الأخيرة اختلط بالمنطق* والفلسفة* حتى كاد لا يتميز عنهما إلا فيما اشتمل عليه من السمعيات، مع أن غاية كل منهما مختلفة، فالفلسفة* تبحث عن الحقيقة أيًا كانت. أما علم الكلام فهو يدافع عن الحقيقة الدينية فقط.

ولكثرة مسائل علم الكلام المتعلقة بالله تعالى ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً أطلق خطأ على علم التوحيد، وبالتالي أصبح الفرق كبيرًا والبون شاسعًا بين المفهوم الكلامي للتوحيد الذي يقتصر على توحيد الربوبية وبين المفهوم السلفي الشامل للتوحيد.

وقد عدد العلماء وأهل الكلام أسبابًا واحتمالات متعددة لسبب تسميته بعلم الكلام، منها: لأنه يورث القدرة على الكلام في المجادلة عن العقائد، أو لأن أكثر المسائل التي تنازعوا فيها هي مسألة كلام الله تعالى، وقيل غير ذلك.

وقد ذم السلف الصالح علم الكلام والمشتغلين به على المعنى السابق المبتدع، إذ أدخل فيه من الدلائل والمسائل التي لم تأت في الكتاب والسنة، ولم يتكلم فيها الصحابة والتابعون يقول الإمام مالك ـ يرحمه الله تعالى ـ: «ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل»، بالإضافة إلى أن الكلام بالمعنى السابق يورث الحيرة والشك* كما صرح بذلك أئمة المتكلمين بعد توبتهم، وأقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب، والقلب إذا عري من الهيبة بالله عري من الإيمان. كما قال غير واحد من السلف. قيل لأبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ: ما تقول فيما

أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: «مقالات الفلاسفة!! عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة».

يقول أبو يوسف: «من طلب الدين* بالكلام تزندق*». ويقول الإمام الشافعي ـ يرحمه الله تعالى ـ: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد» ويقول: «إذا سمعتم الرجل يقول الاسم غير المسمى، والشيء غير المشيء، فاشهد عليه بالزندقة». ويقول الإمام أحمد: «لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل». وأخرج الهروي في **ذم الكلام وأهله** عن إبراهيم الخواص أنه قال: «ما كانت زندقة ولا كفر ولا بدعة إلا من قبل الكلام والجدال والمراء» ـ راجع الزندقة ـ . وقال، أيضًا: «قال رجل لبشر بن أبي سهل الأسفراييني: إنما أتعلم الكلام لأعرف به الدين. فغضب وقال: أو كان السلف من علمائنا كفارًا» **ذم الكلام وأهله** نقلاً عن **صون المنطق والكلام** للسيوطي ص ٧٦، ٧٧ .

ويحسن بنا أن نشير في نهاية هذا المقال إلى قاعدة مهمة في المذموم وغير المذموم من الكلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والسلف لم يذموا جنس الكلام، فإن كل آدمي يتكلم، ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل* الذي أمر الله به ورسوله*، والاستدلال بما بينه الله ورسوله، ولا ذموا كلامًا هو حق، بل ذموا الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة، وهو المخالف للعقل*، أيضًا، وهو الباطل، فالكلام الذي ذمه السلف هو الباطل، وهو المخالف للشرع والعقل».

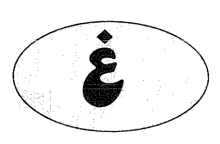
علم الإنسان: راجع الإنثروبولجيا

العهد القديم: تسميته وتسمية العهد الجديد اجتهادية أخذها النصارى من قول سفر* أرميا ٣١/ ٣١ـ٣٣ «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل، رفع بيت يهوذا عهدًا جديدًا ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم»، وما في **الرسالة العبرانية** ٨/ ٧ـ١٣ وآخر فقراتها «فإذا قال جديدًا عتق الأول». وكلمة العهد في التوراة تعني الوعد الصادق من الله تعالى للإنسان. والمقصود بالعهد القديم التوراة وملحقاتها من جميع الأسفار* المنسوبة للأنبياء* قبل عيسى، عليه الصلاة والسلام، وأولها سفر **التكوين**. واختلف في عددها بين طوائف اليهود والنصارى كما اختلفوا في قدسيتها إذ تعرضت للحرق والضياع أكثر من مرة، كما

مرت أسفار العهد القديم بمراحل عديدة من الحذف والإضافة من خلال المجامع المسكونية المختلفة، فلا يمكن القطع بصحة نسبتها إلى رسول* معين من رسل بني إسرائيل بما في ذلك الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى، عليه السلام. وتعترف بذلك **دائرة المعارف اليهودية**، كما اعترف الفاتيكان* في مجمعه المسكوني الثاني ١٩٦٢/ ١٩٦٥م أن أسفار العهد القديم تحتوي على شوائب وشيء من البطلان، بل تقرر دائرة المعارف البريطانية مناقضة أسفار العهد القديم لأبسط بدهيات العلم.

وأما **العهد الجديد** فهو أناجيل* النصارى ورسائلهم للصلاة والمنسوبة إلى المسيح* عليه السلام، وتلاميذه، والتي لا تختلف من حيث اضطراب النص وانقطاع السند عن العهد القديم، ولا يوجد دليل علمي يؤكد نسبة الأناجيل إلى المسيح، بالإضافة إلى تعارض وتناقض آيات بعضها مع آيات البعض الآخر، بل مع أبسط قواعد العلم؛ لأن مضمونها من الذكريات الشخصية لكاتبيها ـ راجع الإنجيل ـ، أما الجزء الثاني منها فهو مشكوك في صحة نسبته إلى مؤلفيه عند أكثر الكنائس* النصرانية، فهي عبارة عن أسفار* تاريخية (**أعمال الرسل**) أسفار تعليمية (**رسائل بولس**) رسائل تربوية (**رؤيا يوحنا اللاهوتي**)، ولم يعترف بتلك الأسفار إلا في القرن الرابع الميلادي بعد اجتماع أكثر من مجمع مسكوني وبعد إدخال الحذف والإضافة عليها. ولذلك فإن العهد الجديد كتاب إغريقي، بينما التعاليم الأولى للمسيح كانت متداولة بلغة أرامية لغة أهل فلسطين. وقد ظهر أول نص منه مطبوع عام ١٥١٦م قدمه أرازموس.

يعد العهد الجديد مكملاً ومتممًا لشريعة **العهد القديم**، يحكي **إنجيل متى** في الإصحاح ٥/ ١٧ عن المسيح*، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل». وقد قامت فلسفة العهد الجديد على فكرة العودة الثانية للمسيح، والتي استمدت الرهبنة الأولى فلسفتها منها بالإضافة إلى أنه استمد جذوره من المذهب* الغنوصي* وشتى الفلسفات* والديانات* الوثنية* السائدة في عصور كاتبيه والسابقة عليها، أيضًا.



الغائية: الغائية مصطلح* فلسفي يعبر عن أحد الأفعال الأربعة للموجودات عند أرسطو، وفي المعجم الفلسفي مشتقة في اليونانية من اللفظين Telos أي نهاية و Logos أي عقل* ، فالعلة الغائية هي ما لأجله وجد الشيء. وتطلق على الحد النهائي المتوجه إليه الفعل. ولذلك فالغائية من المصطلحات المحدثة التي تستخدم عادة في المباحث الكلامية والفلسفية. وبوجه عام فإن الغائية عبارة عن الاتجاه الفكري القائل إن سلوك الإنسان والحوادث التاريخية والطبيعية* مرتبطة ببعضها ارتباط علة بغاية موجهة نحو تحقيق غايات معينة. ويعتبر أصحاب المنهج* العلمي أن الغائية عقبة في طريق العلم الذي ينظر إلى الظاهرة من حيث حقيقتها القائمة وعلاقتها بغيرها دون نظر إلى غايتها. ومع ذلك فقد أخذت بعض فروع العلم بالغائية كالبيولوجيا «علم الأحياء» وغيرها؛ لأهمية أن يكون لجهود الإنسان هدف ونتيجة تفيد البشرية.

ويرى النفعيون أن الخير في النظرية الغائية للأخلاق* يتغير بتغير ظروفه، وأنه مرهون بنتائجه. وهناك المذهب* الغائي الذي يعزو إلى الطبيعة* دورًا مهمًا في تفسير الكون وربط ظواهره بالعناية الإلهية، ويقابل هذا المذهب المذهب الميكانيكي*، كما أنه لمعرفة الغائية والوقوف على معناها ينبغي معرفة السببية* والوقوف على حقيقتها ـ راجع السببية ـ ، والحمد لله الذي ما جعل علينا في الدين* من حرج، فقد قرر جل شأنه الغاية التي من أجلها خلق الخلق في أوجز عبارة وأحسن بيان، بعيدًا عن تشقيقات الفلسفة، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، لا يخرج شيء عن قدرته ومشيئته جل شأنه ـ انظر الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ـ.

الغلو: مصطلح* شرعي ورد في نصوص الكتاب والسنة في سياق النهي والذم. ويعرفه العلماء بتعاريف متقاربة بمعنى «مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك»، وعلى أن الحد هو نهاية ما يجوز من المباح المأمور به وغير المأمور به كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية.

ويقابله في المعنى التنطع والتشدد والتعمق، كألفاظ وردت في الشرع، وأطلق السلف مصطلح أهل الأهواء على أهل الغلو. ويطلق الغرب والعلمانيون مصطلح التطرف على الغلو، والتعبير بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية كما وردت في الكتاب والسنة هو سبيل أهل السنة والجماعة* ؛ لما لها من دلالات ومعان لا توجد في غيرها ـ راجع الاصطلاح ـ.

والغلو قديم قدم الرسالات السماوية، فما أرسل نوح، عليه الصلاة والسلام، إلا لغلو قومه في بعض الصالحين. والأمر نفسه نشأ في الفلسفات* القديمة، وعند متبعيهم من أهل الفلسفة والكلام من المسلمين وغيرهم، بإعلائهم سلطة العقل* وجعله مصدرًا وحيدًا للمعرفة. وقد ظهر، أيضًا، الغلو في بني إسرائيل وبلغوا فيه مبلغًا كبيرًا، يقول تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]. إلا أن النصارى أكثر غلوًا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف الأخرى، ولذا خصهم الله تعالى في القرآن الكريم بالنهي عن الغلو في أكثر من موضع، وزاد غلوهم في العصور الأوربية الوسطى بادعائهم الحق الإلهي في الحكم وملكيتهم لصكوك الغفران ومعاداة العلم والعلماء، مما ترتب عليه ظهور حركات* التمرد والإلحاد*، وإحياء المذاهب* المادية* القديمة، وإعلاء سلطة العقل*.

وفي صدر الرسالة الخاتمة ظهرت بعض صور الغلو التي عالجها النبي*، ﷺ، وحذر منها بقوله: «وإياكم والغلو في الدين*، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[١] وقوله «هلك المتنطعون»[٢] قالها ثلاثًا.

ويعد الخوارج* أول تيارات الغلو ظهورًا في التاريخ الإسلامي، إذ غلوا في البراءة من الصحابة والتكفير* بالذنوب، وكذلك الروافض* غلوا في الولاء* لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وأولاده وذريته من بعده وادعوا عصمتهم.

وعلى ذلك فإن الغلو عند المسلمين وهو المقصود هنا له صورتان:

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧) وابن خزيمة (٤/ ٢٨٦٧/ ٢٨٦٨) والنسائي (٥/ ٢٦٨) وغيرهم عن ابن عباس وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٥)، وابو داود (٤٦٠٨) وأحمد (١/ ٣٨٦) عن ابن مسعود.

١ - غلو اعتقادي: وهو ما يتعلق بكليات الشريعة وأمهات مسائلها، وهو محصور في أبواب العقائد. مثل: تنزيل أحدٍ منزلة الإله* أو تجويز الخروج عن شريعة النبي*، ﷺ، وكذلك الإلحاد* في أسماء الله تعالى وصفاته وآياته، أو وضع النبي فوق مكانه. ومن الغلو من يعد نفسه في مرتبة أعلى من النبوة أو ينكر الميعاد وأحواله، ومنه الغلو في الأئمة والعلماء، وادعاء العصمة لهم، والغلو في البراءة من المجتمع العامي وتكفير* أفراده واعتزالهم ولأصحاب الغلو الاعتقادي سمات وأوصاف من أهمها:

(أ) ما وضحه حديث النبي، ﷺ، لذي الخويصرة الذي اعترض على قسمة النبي، ﷺ، للغنائم إذ جاء فيه «إن من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»[1].

(ب) عدم فهم القرآن الكريم وتنزيلهم آيات الكفار على المؤمنين، واتباع المتشابه من الآيات.

(جـ) تكفير* أهل الإسلام بالذنوب مما يترتب عليه استحلال دمائهم وأموالهم واعتزال مساجدهم، ويظهر ذلك في الخوارج* والرافضة والمعتزلة والجهمية*.

٢ - غلو عملي: وهو ما يتعلق بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة الإسلامية*، هذا النوع محصور في جانب الفعل سواء كان باللسان أو بالجوارح، من أهم السمات العامة المميزة لأصحابه:

(أ) غلو متعلق بفقه النصوص بتفسيرها تفسيرًا متشددًا يصادم السمة العامة للشريعة ومقاصدها الأساسية، وأيضًا، تكلف التعمق في معاني التنزيل.

(ب) غلو متعلق بالأحكام بإلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله عز وجل، أو تحريم الطيبات التي أباحها الله تعالى لعباده على وجه التعبد، مثل ترك الأكل أو بعضه وكذلك الشرب والنوم والنكاح، وهذا النوع بين عُبّاد الصوفية أظهر، أو ترك أنواعٍ من الحلال وتحريمها تدينًا.

(جـ) المواقف من الآخرين: إذ قد يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي لدرجة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٣) عن أبي سعيد الخدري.

العصمة أو موقف الذم الغالي لدرجة رميه بالكفر* والمروق من الدين*. كل هذا بغير أثارة من علم أو بينة من شرع، وإنما اتباعًا لهوى نفسه. ولا شك أن هناك أنواعًا من الغلو والتزمت والجمود ظهرت بين أفراد من المسلمين، ولكن وصمهم بالغلو يحتاج إلى عدلٍ وروية ويحتاج إلى وزن دقيق، وعدم التعميم في إطلاق لفظ الغلو على الأشخاص والهيئات، إلا إذا كان الأمر متعلقًا بأصل كلي ـ من أصول الاعتقاد ـ وإلا فليقيد الغلو بالعمل المقصود، ولربما التزم الإنسان أمرًا متشددًا بناءً على اجتهاد* سائغ هو أهل له، أو على تقليد* لعالم مجتهد موثوق في دينه ـ ولا يكون إلا للعامي ـ فلا يعد هذا ولا ذاك غلوًا، وأيضًا، يقول الأستاذ عبدالرحمن بن معلا اللويحق «والأخذ بالرأي الأشد من الآراء المختلفة لا يعد دليلاً على الغلو، إذ قد يكون الرأي الأشد هو الصواب، ولكن الغلو واقع من جهة أخرى، وذلك بأن يأخذ الإنسان برأي ثم يصم المخالفين بالمروق من الدين أو بالإعراض عن كتاب الله أو يجعل رأي مقلده بمنزلة رأي المعصوم وينتصر له بغير هدى من الله، فيدخل في الغلو، وبهذا يكون الغلو في الوسائل إلى إيصال القناعات، وليست القناعة نفسها من باب الغلو، وهذا الأمر كان معنى حاضرًا في أذهان السلف بدءًا من الصحابة فمن بعدهم. فقد كان عبدالله بن عمر متشددًا في فقهه ولم يكن يوسم بالغلو». ـ **الغلو في الدين** ص ٨٦ ـ.

الغنوصية: كلمة يونانية الأصل «غنوسيس» بمعنى المعرفة، غير أنها أخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيًا* : التوصل بنوع من الكشف* إلى المعارف العليا، أو هو تذوق تلك المعارف تذوقًا مباشرًا بأن تلقى في النفس إلقاء، فلا تستند إلى الاستدلال أو البرهنة العقلية، وكان شعارها: بداية الكمال هي معرفة غنوص الإنسان، أما معرفة الإله* فهي الغاية والنهاية، ولذلك سميت بالغنوصية.

والغنوصية حركة* وفلسفة* قديمة تمثل مزيجًا من العقائد اليونانية والإسرائيلية، بالإضافة إلى العقائد الفارسية الآرية، والكلدانية السامية مع غلبة الطابع الوثني* عليها، وتستمد الغنوصية أصولها الفلسفية من:

١ـ الأفكار القبالية «الكبالا»: التي تمثل الديانة* الشعبية الإسرائيلية بما فيها من سرية التعاليم والقول بإله* تصدر عنه الأرواح المدبرة للكون، واعتقاد عقيدة الجفر* وحساب الجمّل،

واعتبار الإنسان «العالم الأصغر» الذي جاء على صورة «العالم الأكبر».
٢ـ الأفلاطونية الحديثة: التي تمثلت في مذهب* الفيلسوف المصري أفلوطين ٢٠٤ـ٢٧٠م بما تمثله من نزعة توفيقية بين الآراء الفلسفية المختلفة، كما ظهرت في الهرمسية التي تقول بإلهين: الإله المثالي الذي لا يصدق عليه وصف، والآخر الخالق الصانع الذي خلق العالم فهو يتجلى فيه، ويرى الغنوصيون أن النفس هي طريق معرفة الله تعالى؛ لأنها في زعمهم بنت الله، وبذلك تتمكن النفس من الاتصال به والعودة إليه.
٣ـ الديانات والمذاهب الفارسية: وتمثلت في مانوية ماني في القرن الثالث الميلادي التي حاولت التوفيق بين المسيحية* والزرادشتية، وقالت بثنائية النور والظلمة كإلهين للخير والشر، وظهرت في المزدكية كإحدى فرق المانوية.

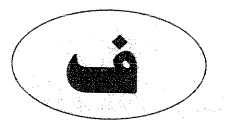
ويلاحظ أنه مع تعدد اتجاهات الغنوصية إلا أن جميع الغنوصية تؤمن بإله* مخلص يهبط من السماء لتخليص البشر من شرور الحياة، ثم يموت وينهض من الموت بعد أن يحيا حياة البشر، بالإضافة إلى الاعتقاد في الطقوس والأسرار وقدسية العدد سبعة (٧) الذي يمثل آخر الفيوضات المتمثلة في الكواكب السبعة التي تدير العالم وتؤثر فيه، وأهم الأفكار الرئيسية الأخرى للغنوصية هي:
١ـ الثنوية* الدقيقة: أي القول بوجود مبدأين هما الروح والمادة، وعلى أساس ما بينهما من نزاع تجري على أثره أحداث الكون في زعمهم، إذ المادة من مملكة الظلام بما فيها الجسد الإنساني والصادرة من الأيون الأول الصادر من الإله* والذي أراد أن يرجع إلى الإله ويطهر نفسه بالغنوص، فَطُرِد من مكانه لتصدر عنه هذه الأيونات الشريرة التي سجنت النفوس «الروح» والصادرة من الإله، أيضًا، للخير مقابل الشر المطرود، ولذلك فهي في نزاع دائم معه للعودة إلى أصلها بالاتحاد* الجوهري مع ذات الإله* ـ تعالى الله عن كفرهم علوًّا كبيرًا.
٢ـ لما كانت الروح والمادة هما المبدآن الأعليان في تصوراتهم، فإن فكرة الخلق لا وجود لها في مذهبهم* وعليه يوافقون أفلاطون في القول بأن الإله صانع للعالم وليس بخالق له.
٣ـ ونتيجة للصراع بين النور والظلمة في العالم فإنه على الإنسان أن يسعى للخلاص من هذا العالم المادي الشرير ويتحد مع الإله اتحادًا جوهريًا.

٤ـ تجلي الألوهية (العرفان) لا يتم إلا من خلال صاحب وحي* أو مخلص، ولا يتم ذلك إلا بعدد قليل من المختارين، ومن الأرواح المصطفاة. ويطلقون عليهم طبقة الروحانيين، بينما المقابل لها وهم باقي البشر طبقة الهيولانيين أو النفسانيين، ولا يتم هذا العرفان ومشاهدة وتلقي نور البهاء المعقول (في زعمهم) إلا عن طريق الطقوس والاحتفالات والمراسم.

ومن الملاحظ أن الغنوصية استطاعت أن تتسرب إلى مختلف العقائد والأفكار، فتأثرت بها اليهودية أثناء النفي البابلي في بلاد فارس، وتبلورت في الغنوصية اليهودية فيما يطلق عليه بـ «الكبالا»، وبوجود بعض اليهود بالإسكندرية وفلسطين تأثرت بها النصرانية في مراحلها الأولى فكانت سببًا رئيسيًا في التحريف والتبديل اللذين لحقا بها، ويظهر ذلك من خلال اعتقاد بعضهم بأن المسيح* هو أبرز صفات الغنوص. وممن تأثر بذلك يوحنا الإنجيلي وأرديمايوس، بل برز فيها فلاسفة غنوصيون مثل باسيلرس السوري وفالنتينوس المصري ومرقيون.

كما كان للغنوصية أثرها البالغ على بعض القبائل العربية قبل الإسلام، وبخاصة المجاورة لبلاد فارس، إذ تزندقت* قبيلة كندة وقالت بقول الغنوصية، وبعد الإسلام ظهر تيار الغنوصية نتيجة للاختلاط بالحضارة الفارسية. ويُعد مسيلمة المتنبيء الكذاب من أشهر رموزه، ولذا وضعه البيروني في نسق المتنبئين الغنوصيين. وممن تأثر بها، أيضًا، دعاة الدعوة الشعوبية* أمثال ابن المقفع، وأصحاب فلسفات الإشراق* والكشف* والاتحاد* والحلول* الصوفية . . . . ومما يذكر أن الدولة العباسية قد تصدت بقوة لهذا التيار الذي حاول أن يقوض أركان الدولة، ويفرق الأمة إلى عرب وفرس، وقضت على حركة* بابك الخرمي الغنوصية ـ راجع الشعوبية ـ.

وعلى الرغم من ذلك فإنه ما زال لأفكار التيارات الغنوصية وجود إلى الآن، إذ تتحين الفرص المناسبة دائمًا لتندس بين المسلمين في صور وأشكال مختلفة.



فائض القيمة: مقولة اقتصادية خضعت ومازالت تخضع للعديد من المناقشات بين مدارس الاقتصاد الحر والمدارس الماركسية بمختلف اتجاهاتها.

فالمدارس الأولى تعرف فائض القيمة بأنها زيادة قيمة الشيء مهما كانت الأسباب التي أدت إلى تلك الزيادة، أما بالنسبة للنشاط الاقتصادي فإن فائض القيمة يظهر عندما يكون سعر تكلفة العوامل المادية للإنتاج ـ أي المواد الأولية والمنشآت التقنية ـ أقل من القيمة التبادلية للإنتاج، وهذا ما يتمتع به المالك سواء كان شخصًا طبيعيًا أو اعتباريًا.

أما المدارس الماركسية فهي تعرف فائض القيمة بأنه الفرق بين قيمة العمل الذي يبذله العامل في إنتاج سلعة معينة، وفي الأجر الذي يحصل عليه مقابل هذا المجهود.

الفاتيكان: محل إقامة بابا* روما وتبلغ مساحته حوالي ١١٠ أفدانة وفي عام ١٨٧٠م أصبحت هذه الدولة جزءًا من إيطاليا، وبموجب اتفاقية لتران سنة ١٩٢٩م عين البابا حاكمًا عليها على سبيل التعويض. وقد تم توقيع وثيقة تاريخية بين إيطاليا والفاتيكان في عام ١٩٨٤م، تعترف إيطاليا بموجبها ولأول مرة بحق كل منهما أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة. ويضم الفاتيكان كاتدرائية القديس بطرس والقصور الفاتيكانية، حيث المكاتب والكنائس* والبلفدير. بالإضافة إلى عدة متاحف كبيرة وكنائس ضخمة، وخاصة كنيسة سيستين، وتعد مكتبة الفاتيكان المؤسسة في القرن الخامس عشر من أقدم مكتبات العالم. وتحتوي على خمسين ألف مخطوط، وفيها ما يقرب من أربعمائة ألف كتاب كثير منها نادر. والفاتيكان قلب الكنيسة الكاثوليكية ويديره كرادلة*، بينما يقوم على حراسته حرس سويسري.

الفردية «المذهب الفردي»: مذهب* فكري سياسي ينطلق من اعتبار الفرد وأعماله وآماله أساسًا في تفسير التاريخ والظواهر الاجتماعية، على أن الفرد هو أساس الواقع والقيم. وكان بروز هذا الاتجاه مساعدًا على التحرر من قبضة الكنيسة* وتحكمها بالفرد بشكل عام. وعلى الصعيد السياسي ينطوي هذا المذهب* على الاعتقاد بأن الهدف الرئيسي للمجتمع والدولة إنما هو الحفاظ على مصلحة الفرد وسعادته، وأن واجب الدولة هو

مساعدته على تحقيق ذاته وأقصى طاقاته. ولعل أقصى تطور مر به هذا المذهب السياسي هو ظهور نظام الاقتصاد الحر الذي ولد مع الثورة الصناعية والرأسمالية.

فشنو: أحد آلهة الثالوث الهندي (برهما* وسيفا* وفشنو) المستمد من برهما، ومعناها الداخل، فهو يمثل الموقف الأعلى للشمس - أي وقت الزوال - إذ تخترق أشعتها كل جسم بشري وتصل إلى أعمق جهاتها، يمثلونه بالحياة وسريانها في الأجسام، أي أنه القوة الحافظة والإله* الحامي للخليقة وسائسها المعمر في زعمهم. وبذلك يمثل فشنو عند الهندوس أحد خصائص برهما، كما يعتقدون أنه حل في كثيرين ممن وجدوا بعده. ومنهم راما وكرشنا، بل حتى بوذا* عند بعضهم، كما يعتقدون أنه سيظهر عند نهاية العالم باسم كلكي.

الفقه: استقر تعريف الفقه على أنه «العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية»، سواء كانت هذه الأدلة ظنية أو قطعية. والفقه بهذا المعنى هو قانون الدولة العام ونظامها الروحي المدني المنظم لعلاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وبغيره من الأفراد، بل وبمجتمعه الذي يعيش فيه، كما ينظم أمور الدولة في السلم والحرب، وعلاقتها بغيرها من الدول. والفقه يستمد أدلته من الشريعة الإسلامية*، كما يستمد منها قدسيته بحسب موافقته لها.
وقد مر الفقه الإسلامي بثلاثة أطوار رئيسة:

الطور الأول: (صدر الإسلام)، إذ أطلق على علم الدين* من حيث فهم الأحكام الشرعية سواء كانت اعتقادية أو عملية، كما أطلق على الأحكام الشرعية ذاتها، وأصبحت كلمة الفقهاء في الأحاديث وعلى ألسنة الصحابة والتابعين تشير إلى أصحاب البصيرة النافذة في دين الله تعالى. ويدل على ذلك قول النبي*، ﷺ، «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[1]، ويقول الحسن البصري «إنما الفقيه المعرض عن الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بدينه المداوم على عبادة ربه، الورع الكاف عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم». وقد ظل هذا المفهوم إلى عصر الإمام أبي حنيفة، إذ وضع ورقات في علم العقيدة باسم (الفقه الأكبر).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٥) ابن ماجه (٢٣٦٦) عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٧٦٥).

الطور الثاني: وفيه استبعد علم العقائد، وعرف الفقه في هذا الطور بأنه العلم بالأحكام الفرعية الشرعية سواء كانت مرتبطة بأفعال الجوارح أو أفعال القلوب ـ سوى العقائد ـ والمستمدة من الأدلة التفصيلية.

الطور الثالث: وفيه استبعد علم الأخلاق وأعمال القلوب، وأصبح يطلق على (العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من الأدلة التفصيلية) سواء كانت هذه الأدلة ظنية أو قطعية. وعلى هذا التعريف فإن الفقه الإسلامي يشتمل على جميع أقسام القانون الوضعي* سواءً أكان الخارجي (الدولي) منه أو الداخلي بفروعه المتعددة (الدستورية، أو الإدارية، أو الجنائية، أو المالية) أو كان قانونًا خاصًا ينظم العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم أو بينهم وبين الدولة. وقد ألف في كل هذه الفروع من القوانين فقهاء المسلمين على مر العصور، ووضعوا لهذه القوانين القواعد المستمدة من الشريعة الإسلامية* قبل ظهور هذه القوانين الوضعية* بمئات السنين، وتجدر الإشارة إلى أنه لم يهتم فقهاء المسلمين في ذلك الوقت بتقسيم أبواب الفقه على أبواب القوانين الوضعية، لعدم الحاجة في نظرهم لذلك، إذ كان القضاء موحدًا وفيه يفصل الفقيه في كل نزاع يرفع إليه.

وتنقسم أبواب الفقه بأكثر من اعتبار، سواء أكان باعتبار أدلته أو موضوعاته أو حكمته. ويتميز الفقه الإسلامي عن القانون الوضعي بربطه الدائم بين الجزاء الدنيوي والأخروي من حيث الحكم التكليفي أهو حلال أم حرام، بالإضافة إلى تعرضه للأحكام الوضعية من حيث الصحة ونفاذ التصرف.

وفي الآونة الأخيرة ظهرت دعوة إلى تطوير الفقه الإسلامي ـ راجع التجديد ـ ويعلق على هذا الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في **معجم المناهي اللفظية** بقوله «الفقه الإسلامي ثابت لا يتطور؛ لأنه بنفسه يتلاقى مع جميع ظروف الحياة في الأزمان والأماكن كافة، وإنما يقال: الفقه الإسلامي والتطوير. وتلك الدعوة إلى تطوير الفقه الإسلامي حقيقتها خروج عليه فليتنبه». ص ٣٧١.

الفلسفة: كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فيلا) بمعنى الإيثار وجعلها فيثاغورس بمعنى محبة، و(سوفيا) ومعناها الحكمة. والفيلسوف مشتق من الفلسفة بمعنى «مؤثر

الحكمة»، إلا أن المصطلح* تطور وأصبح يعني الحكمة، ومن ثم أصبح يطلق على الفيلسوف الحكيم. وقد أطلقت الفلسفة قديمًا على دراسة المبادىء الأولى، وتفسير المعرفة عقليًا، وكانت الغاية منها عند أصحابها البحث عن الحقيقة. والفلسفة عند أنصارها كما يعرفها د. توفيق الطويل هي «النظر العقلي المتحرر من كل قيد وسلطة تفرض عليه من الخارج، وقدرته على مسايرة منطقه إلى أقصى آحاده، وإذاعة آرائه بالغًا ما بلغ وجه التباين بينها وبين أوضاع العرف، وعقائد الدين*، ومقتضيات التقاليد، من غير أن تتصدى لمقاومتها أو التنكيل بها سلطة ما». والفيلسوف عند أرسطو أعلى درجة من النبي*؛ لأن النبي يدرك عن طريق المخيلة، بينما الفيلسوف يدرك عن طريق العقل* والتأمل. والمخيلة عندهم درجة أدنى من التأمل، وقد تابع الفارابي أرسطو في جعل الفيلسوف فوق النبي.

الفلسفة بهذا التعريف تصادم الحكمة التي تعني في المصطلح* الإسلامي السنة كما هو تعريف أكثر المحدثين والفقهاء، وبمعنى القضاء والعلم والإتقان، مع ضبط الأخلاق* والتحكم في أهواء النفس وكفها عن المحارم. والحكيم من يتصف بهذه الصفات: ولذلك فهي بهذا المعنى من أخطر الطواغيت* وأشدها شراسة في محاربة الإيمان والأديان*. مستخدمة المنطق* الذي يسهل تلبيسها على الناس باسم العقل والتأويل* والمجاز الذي يحرف به النصوص، مما جرت على المسلمين شيوع الفتن وانتشار الفرق وأهل الأهواء.

يقول الإمام الشافعي «ما جهل الناس واختلفوا إلا بتركهم مصطلح العرب وأخذهم بمصطلح أرسطو طاليس». وعلى الرغم من وجود الفلسفات في الحضارات المصرية والهندية والفارسية القديمة، فإنها اشتهرت في بلاد اليونان بل وأصبحت مقترنة بها، وما ذلك إلا لاهتمام فلاسفة اليونان بنقلها من تراث الشعوب الوثنية* وبقايا الديانات السماوية، مستفيدين من صحف إبراهيم وموسى، عليهما الصلاة والسلام، بعد انتصار اليونانيين على العبرانيين بعد السبي البابلي، وبما استفادوه من دين لقمان الحكيم، فجاءت خليطًا من نزعات التأليه وإثبات ربوبية الخالق جل وعلا، مشوبة بالوثنية، وعلى ذلك فإن الفلسفة اليونانية إحياء أكثر منها اختراعًا.

وقد مرت الفلسفة اليونانية بثلاث مراحل رئيسة بالنظر إلى موضوعات بحثها، وهي:

● مرحلة البحث في عالم الطبيعة* لمعرفة الأساس الذي عليه يطرأ تغير الأشياء إلى أضدادها. ويعبر عن هذه المرحلة طاليس (٦٢٤ـ٥٤٦ ق.م)، إنكسيمندريس (٦١٠ـ٥٤٧ ق.م)، إنكسيمانس (٥٨٨ـ٥٢٤ ق.م) وتابعهم هرقليطس (٥٤٠ـ٤٧٥ ق.م) وفيثاغورس (٥٧٢ـ٤٩٧ ق.م) والإيليون أمثال أكسانوفان (٥٧٠ـ٤٨٠ ق.م) وبار ميندس (٥٤٠ـ؟) وزينون الإيلي (٤٩٠ـ٤٣٠ ق.م) وغيرهم.

● المرحلة الثانية: اهتمت الفلسفة فيها بالنظر والتأمل في جانبي التفكير والإرادة في الإنسان، مما سبب ظهور القضايا الأخلاقية*، والمنطقية* والنفسية على يد سقراط (٤٦٩ـ٣٩٩ ق.م) والسوفسطائيين أمثال بروتاجوراس (٤٨٠ـ٤١٠ ق.م) جورجياس (٤٨٠ـ٣٧٥ ق.م) على خلاف بينهما.

● المرحلة الثالثة: وكانت على يد ديمقراطيس (٤٧٠ـ٣٦١ ق.م) وأفلاطون (٤٢٧ـ٣٤٧ ق.م) وأرسطو (٣٨٤ـ٣٢٢ ق.م)، وفيها استخدموا معارف من قبلهم ونظموها ووسعوا نطاقها.

وفي ظل هذه الفلسفة نشأت، أيضًا، ثلاث مدارس فلسفية رئيسة تختلف فيما بينها في الأصول، وهي:

ـ الدهريون: الذين جحدوا الخالق المدبر العالم القادر وهم الزنادقة*.

ـ الطبيعيون: الذين أكثروا من البحث في عالم الطبيعة* وعجائب الحيوان والنباتات، واهتموا بعلم التشريح فآمنوا بأن هناك إلهًا* خالقًا حكيمًا مطلعًا على غايات الأمور ومقاصدها، ولكنهم مع ذلك كانوا زنادقة أنكروا الحشر واليوم الآخر وأحواله، وانهمكوا في الملذات كالأنعام.

ـ الإلهيون: وهم الذين تصدوا للرد على كلتا المدرستين السابقتين، وأفاضوا في كشف فضائحهم، لكنه كان تألهًا مشوبًا بوثنية* مما استدعى كفرهم.

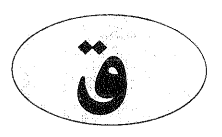
وقد سبق العرب فلاسفة الغرب في الاتصال بالفلسفة اليونانية، وقد تم ذلك في عهد الخليفة المأمون العباسي في القرن التاسع الميلادي، بينما بدأ هذا الاتصال عند الغرب في

القرنين الميلاديين الثاني عشر والثالث عشر، معتمدين على ما خلفه الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام.

وقديمًا حاول فلاسفة النصارى التوفيق بين النصرانية والفلسفة، فجاءت النصرانية ديانة* محرفة ظهرت فيها العقائد والأفكار الوثنية الفلسفية، مثل فكرة اللوغو في أقنوم* الابن* وغيرها. راجع الابن، الأقانيم. وأشهر من قام بذلك كليمنت ١٥٠ـ٢١٧م وأوريجنس ١٨٥ـ٢٥٤م. وتعد رسائل بولس خير مثال على ذلك. ومن بين المنتسبين للإسلام من الفلاسفة من اقتفى أثرهم محاولاً التوفيق بين الإسلام والفلسفة، مما زاد من الفتن والفرقة بين المسلمين. وقد تصدى لهم العلماء بالحجة والبرهان. ومنهم علماء المعتزلة وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي والغزالي.

ويلخص ابن أبي العز شارح **الطحاوية** مذهب* الفلاسفة في خمسة أصول للدين* عندهم فيما يلي: أن الله سبحانه وتعالى موجود لا حقيقة له ولا ماهية، ولا يعلم الجزئيات بأعيانها ولكنه يعلمها إجماليًا، وبالتالي أنكروا خلق أفعال عباده. كما لا يؤمنون بكتبه، إذ إن الله عندهم لايتكلم ولا يكلم، وأن القرآن فيض فاض من العقل* الفعال على قلب بشر زكي النفس طاهر ـ تعالى الله عن وصفهم علوًا كبيرًا ـ وأن الملائكة ليست ذوات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء، إنما هي عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان. والفلاسفة أشد الناس إنكارًا لليوم الآخر وأحداثه، وما الجنة والنار ـ عندهم ـ إلا أمثال مضروبة لتفهيم الناس العوام ولا حقيقة لها في الخارج.

وما زالت للفلسفة اليونانية روافد في جميع الفلسفات والدعوات الغربية القديمة والحديثة، بل تأثرت بها معظم الفرق الإسلامية الكلامية. ولم يظهر مصطلح* الفلسفة الإسلامية كمنهج علمي يدرس ضمن مناهج* العلوم الشرعية إلا على يد الشيخ مصطفى عبدالرازق ـ شيخ الأزهر ـ بصفته ردة فعل للهجوم الغربي على الإسلام، بحجة أنه يخلو من الفلسفة. والحق أن الفلسفة جسم غريب داخل كيان الإسلام، فليس في الإسلام فلسفة، ولا بين المسلمين فلاسفة بهذا المعنى المنحرف، وإنما في الإسلام علم محقق وعلماء محققون، ومن أشهر الفلاسفة المنتسبين للإسلام: الكندي، الفارابي، ابن سينا، وابن رشد.



القانون الكنسي: هو القانون الذي أخذت به الكنيسة* الكاثوليكية بعدما أصبحت قوة عالمية، وتجاوزت حدودها الحدود السياسية كافة. ويستمد هذا القانون أحكامه من الكتاب المقدس وأقوال القديسين وقرارات المجامع الدينية المختلفة، بالإضافة إلى المراسيم البابوية. وتم ترتيب وتبويب هذا القانون في القرن الحادي عشر، بعد المحاولات التي قام بها برخارد أسقف* ورمز، وأنسلم أسقف لوكا، وأيقو أسقف شارتر. ومن أهمها ما قام به جراشيان في القرن الثاني عشر، إذ وضع مشروعًا للقانون نسب إليه بل جعلته الكنيسة في مقدمة مجموع ما جمعته من القانون الكنسي. وينقسم مشروع جراشيان إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

القسم الأول: يتألف من مائة باب تعالج مصادر القانون الكنسي.

القسم الثاني: يشمل نحو ستة وثلاثين قضية مختارة مع مناقشتها على ضوء القانون الكنسي.

القسم الثالث: خمسة أبواب في العبادة والطقوس الكنسية.

ولذلك جعلته الكنيسة في مقدمة مجموع ما جمعته من القانون الكنسي.

والجدير بالذكر أن القانون الكنسي اقتفى أثر القانون الروماني في تطوره، وكان بمثابة رد فعل قوي لاستناد الإمبراطور على القانون الروماني، وحتى يكون للبابوية، أيضًا، قانون تستند إليه كما للإمبراطور قانونه.

ومن أشهر البابوات* الذين اهتموا بتنظيم القانون الكنسي وتبويبه، البابا إسكندر الثالث ١١٥٩ـ١١٨١م والبابا لوكيومس الثالث ١١٨١ـ١١٨٥م، والبابا جريجوري التاسع ١٢٢٧ـ١٢٤١م. ولتوسيع نفوذ البابوية وتقوية سلطتها تم تدريسه في الجامعات الأوربية الناشئة. وفي سنة ١٢١٩م حرمت دراسة القانون الروماني على رجال الدين في جامعة باريس، وأصبح بذلك للقانون الكنسي قضاته ومحاكمه البابوية التي انتشرت في مختلف

بلدان غرب أوربا لتستأنف أمامها القضايا المختلفة. وأصبح لهذه المحاكم حق النقض والإبرام، بل أصبحت تتبعها السجون الخاصة كقوة تنفيذية.

القبط «قبطي»: كلمة يونانية الأصل Elgyptos معناها سكان مصر، أي البلاد التي بها معبود في منف عاصمة مصر القديمة اسمه «بتاح BATA». وأطلق على البلاد بالكلمة الفرعونية "HA-KA-PATA" أي «بيت روح الإله بتاح - إله* الخلق»، وعنها أخذ الرومان اللفظ اللاتيني AEGYPTUS، وأخذ الفرنسيون لفظ EGYPT، وعند قدماء المصريين GYPT، ولما كان حرف (G) لا ينطق في العربية إلا معطشًا فقربه العرب إلى «قبط».

ويذهب فريق آخر من الباحثين إلى أنها نسبة إلى القبط بن حام بن نوح ،عليه الصلاة والسلام، وفريق آخر يرجّح أن الأقباط دخلاء على أهل مصر، جلبهم الإسكندر الأكبر عبيدًا، حيث إن مفردات اللغة القبطية إغريقية الأصل. ويدلل أصحاب هذا الرأي على صحته بما ورد في وثائق البحر الميت عن بلاد القبط التي تقع بين النهرين ببابل، ومنهم من يقول: إنها نسبة إلى بلدة قفط من قرى صعيد مصر.

وكانت تطلق كلمة القبط أو الأقباط على نصارى مصر الأرثوذكس حتى القرن ١٨ الميلادي، وبعدما اعتنق عدد من الأقباط الأرثوذكس المذهب الكاثوليكي متأثرين بنشاط الإرساليات الأجنبية الكاثوليكية. وزاد عددهم فكونوا طائفة الأقباط الكاثوليك، ومن بعد تكونت طائفة الأقباط البروتستانت وأصبحت كلمة الأقباط تطلق بوجه عام على نصارى مصر.

ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى ما أورده قاموس الكتاب المقدس من أن المصريين القدماء قد أطلقوا على بلادهم عدة أسماء منها «كيمي» التي تعني الأرض السوداء، وأيضًا، الأرضين (مصر العليا والسفلى). أما في اللغة العربية فقد أطلق عليها اسم مصر حسبما ورد في القرآن الكريم، وهو قريب من الإطلاق العبري عليها «مصرايم».

وفي مطلع القرن العشرين نادى حبيب جرجس مدير كلية اللاهوت الإكليركية بالقومية القبطية لتكون وريثة للحضارة الفرعونية. وبذلك يُعد أول من استخدم مصطلح* الأمة القبطية، كما عمل على إحياء اللغة القبطية القديمة.

وإحياءً لتراث القبطية ابتدع النصارى برنامج اليوم القبطي، بالإضافة إلى تدريس اللغة القبطية في المدارس والمعاهد النصرانية المتخصصة في الداخل والخارج، واستخدامها في الصلوات والطقوس الكنسية، وتوزيع أشرطة التسجيل المسجل عليها تلك الترانيم باللغة نفسها، في الوقت الذي يعملون فيه على إصدار **قاموس التراجم القبطية**، وهكذا يسيرون جنبًا إلى جنب مع دعوات الحداثة والعامية، في مواجهة اللغة العربية، في محاولة لإضفاء الطابع النصراني على أرض مصر المسلمة.

القدرية: إحدى الفرق الكلامية المنتسبة إلى الإسلام، ذات المفاهيم والآراء الاعتقادية الخاطئة في مفهوم القدر*، إذ قالوا بإسناد أفعال العباد إلى قدرتهم، وأنه ليس لله ـ تعالى عن قولهم ـ دخل في ذلك ولا قدرة ولا مشيئة ولا قضاء. كما أنكروا علم الله تعالى السابق، وقد وجدت طائفة منهم تثبت العلم والكتابة وتنكر المشيئة.

والقول بالقدر سبق القول بالجبر*، على أن القدرية الأولى «الغالية» نشأت بالحجاز وتمثلت في نزعات فردية، ويعد سوسن أو سوسية النصراني البصري الذي أسلم ثم تنصر أول من أظهر مقولة القدرية، مما يؤكد ما ذهب إليه بعض الباحثين أن الجذور الفكرية للقدرية الأولى هم نساطرة أهل الكتاب الذين تأثروا بفلسفة* الأبيقوريين اليونان.

وعن سوسن أو سوسية أخذ معبد الجهني وغيلان الدمشقي القول بالقدر على النحو السابق بالإضافة إلى دعوته إلى نفي دخول الأعمال في مسمى الإيمان على قول المرجئة، وقال بقول الجهمية* في نفي الصفات وبخاصة صفة الاستواء، وكان لوجود بعض الصحابة مثل ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأنس بن مالك، وعقبة بن عامر الجهني وغيرهم، رضي الله عنهم، أثره الفعال في إخماد فتنتهم وتحجيم دعوتهم، واستمر الأمر على شكل نزعات فردية إلى أن ظهرت المعتزلة وتبنت قول القدرية، ولذلك أطلق عليهم القدرية الثانية. وأظهر بعضهم القول بأن الله تعالى خلق كل أفعال الخير وأرادها، ولم يخلق أفعال الشر ولا أرادها، والحق الذي عليه أهل السنة* أن الله تعالى خالق كل شيء، ومنها أفعال العباد بخيرها وشرها كونًا، ويحب الخير منها ويريده شرعًا، ولا يرضى الكفر والشر من عباده شرعًا، أيضًا ـ راجع

الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وانظر القضاء والقدر ـ .

والجدير بالذكر هنا أن لفظ القدرية يطلق على نفاة القدر كما يطلق على مثبتي القدر ـ الجبرية* ـ ولكن شاع استعماله في النفاة أكثر. وجاء في الأثر عن ابن عمر أنه قال: «مجوس هذه الأمة القدرية، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم». ووجه الشبه بينهما أن المجوس اتخذوا إلهين والقدرية قد جعلوا للخلق، أيضًا، إلهين أحدهما خالق أفعال الخير «الله تعالى»، وخالق أفعال الشر «الإنسان في زعمهم».

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، أنه قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «سيكون في أمتي مسخ وخسف وهو في الزنديقية والقدرية»[1].

قسيس: كلمة يونانية «بزيسبينيروس» بمعنى شيخ، كذلك وهي معرّبة من الكلمة السريانية فشيشو. ويبدو أن أصل نشأتها يرجع إلى مجلس القدماء «سانهيدران» في المعبد اليهودي حيث كانوا يشكلون في أول الأمر مجلس الجماعة التي يدير أمورها في الواقع، وجمعها قسيسون وقساوسة. والقسيس رئيس النصارى في العلم، والمفتي في الدين، ومقيم الصلوات، ومرتبته بين الأسقف* والشماس*' والقس لا يستطيع منح الكهنوت وسر التثبيت ـ المسح بزيت الميرون ـ بعكس الأسقف، وكذلك القس قد يكون راعيًا في قرية أو حي، أما الأسقف فيرأس أبرشية مكونة من عدة كنائس* من عدد من المدن. بينما لا يعترف البروتستانت بالتفريق بين الأسقف والقسيس، استدلالاً بقول بولس لقساوسة كنيسة ميلتيس بعد أن استدعاهم «احترزوا لأنفسكم وبجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة «أعمال ٢٠/ ١٧ـ٢٨ لا يعترفون بسلطات القساوسة على الكنائس، إذ يعتبرون أن المسيح هو رأس الكنيسة أما القساوسة وغيرهم فهم أعضاء في الكنيسة مثل باقي النصارى. وقد ورد ذكر القسيسين مرة واحدة في **القرآن الكريم**.

القصيدة: قطعة من الشعر ذات وزن وقافية لا تقل عن سبعة أو عشرة أبيات، ولايتكرر فيها لفظ القافية إلا بعد عدة أبيات حسب التعريف التقليدي. وتتناول القصيدة في إطارها الجاهلي عدة موضوعات تبدأ بالبكاء على الأطلال والنسيب فوصف الصحراء والرحلة، وما

---

(١) سبق تخريجه في مصطلح الزندقة ص١٠٦٣ .

يعرض فيها من مشاهد الحيوان أو المدح أو الهجاء. ولكن بعض الشعراء كالصعاليك وابن ربيعة وابن الرومي والمعري، كانت أكثر قصائدهم ذات موضوع واحد، كما يتفاوت طول القصيدة حسب نفس الشاعر والموضوع المعالج.

وأما القصيدة في العصر الحديث فلم تعد تلتزم بما ذكر إلا نادرًا، وقلت الفروق بينها وبين النثر الفني.

القضاء والقدر: كلاهما من الألفاظ المشتركة ذات اللفظ الواحد، والمعاني الكثيرة في اللغة والشرع على حدٍّ سواء، ولم تذكر كلمة «القضاء» في **القرآن الكريم** بينما وردت مشتقاتها في آيات كثيرة تبلغ الستين آية تقريبًا، فقد وردت بمعنى الصنعة والتقدير ومنها قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه: ٧٢]، وبمعنى الحتم والأمر ومنها قوله تعالى ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ . . . ﴾ الآية [الإسراء: ٢٣] وغير ذلك حسبما ورد في **لسان العرب** لابن منظور مادة «قضى». وأما كلمة القدر فقد وردت في آيات ونصوص عديدة في **القرآن الكريم** والسنة النبوية المطهرة. ويشير ابن منظور، أيضًا، إلى المعاني التي وردت فيها مادة «قدر» فيذكر منها أنها أحيانًا تأتي بمعنى القضاء والحكم ومنها قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] أي الحكم وقال تعالى ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤]، وبمعنى التقدير أي القسمة كما يقول تعالى ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [الواقعة: ٦٠]، وبمعنى الجعل ومنها قوله تعالى ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]، وبمعنى العلم السابق ومنها قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] وبمعنى العلم الأزلي والحتم اللازم ومنها قوله تعالى ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢]، ومنها قوله تعالى ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٤٠] . . .

ولم يرد في نصوص الكتاب والسنة ولا في أقوال السلف الصالح من أصحاب القرون الثلاثة الأولى اقتران لفظي القضاء والقدر، على المعنى المصطلح* عليه في كتب أهل المقالات وعلماء الكلام، والمتعلق بمناقشة أفعال العباد جبرًا* أو اختيارًا، وإنما استعملها علماء الكلام متأثرين بالفلسفة* اليونانية، بعد نقلها إلى اللغة العربية واستخدام قضاياها

المنطقية في مناقشة أهل الكتاب والفلاسفة والبعد عن دلالات الكتاب والسنة والواقع المحسوس في المناقشة. وأول من تكلم فيها معتزلة الكوفة، ثم نشأ القول بالجبر* على يد الجهم ابن صفوان للرد على القدرية* - راجع الجبرية -، ثم ظهر من بعدهما متكلمة الأشاعرة للرد على الفريقين، ومن ثم جاؤوا بقول جديد في المسألة اعتبروه حلاً وسطًا بين الفريقين سموه بالكسب وهو إلى الجبر أقرب. ولمقالات تلك الفرق تصدى علماء أهل السنة والجماعة* منذ أن ظهر بعضها في شكل نزعات فردية في عهد الصحابة، رضي الله عنهم، متأثرة بعقائد أهل الكتاب إلى أن تشكلت في شكل فرق عقائدية، مفندين شبهاتهم، مدحضين أقوالهم، على أن القدر أحد أركان الإيمان التي لا يصح إلا بها، إذ وردت النصوص في السنة النبوية تؤكد وجوب الإيمان به خيره وشره، حلوه ومره. والإيمان بالقدر من مستلزمات الإقرار بتوحيد الله تعالى في ربوبيته وأسمائه وصفاته، إذ وصف نفسه جل وعلا بالعلم والإرادة والقدرة على الخلق، وهو ما تقوم عليه عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر. روى اللالكائي في كتابه **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** بسنده عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحَّد الله وكذّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده». ولذلك ورد ذكر القدر في **القرآن الكريم** داخلاً ضمن الآيات الدالة على توحيد الله جل وعلا.

وللإيمان بالقدر عند أهل السنة والجماعة* أربع مراتب وأركان:

١- الإيمان بعلم الله تعالى الأزلي والموصوف به أولا، (علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم)، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]، وهذا العلم لا يحاسب الله العباد عليه بل يحاسبهم على علمه بما وقع منهم من أفعالهم باختيارهم، قال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

٢- الإيمان بكتابة المقادير في اللوح المحفوظ، قال تعالى ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]. ويتبع هذه الكتابة كتابات وتقديرات أخرى منها التقدير اليومي، ومنها الكتابة والإنسان جنين في بطن

أمه، والتقدير السنوي في ليلة القدر، والتقدير اليومي بأن يفرج كربًا أو يميت أو يحيي. ولا يكون الحساب يوم القيامة إلا على ما كتبته الملائكة من أعمالهم في كتاب الأعمال الذي يوضع في موازينهم.

٣ـ الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، سواء كانت هذه الإرادة كونية* أو إرادة شرعية*، فلا يكون في الكون من شيء إلا بمشيئته وقدرته وإرادته سبحانه وتعالى.

٤ـ الإيمان بخلق أفعال العباد وقدرتهم ومشيئتهم خيرها وشرها، قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]. ومما يجب معرفته والإيمان به أن للعباد قدرة ومشيئة، بها تقع أفعالهم، يقول تعالى ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والمقصود بالكسب كما يقول الأشاعرة هو الكسب من اقتران الإرادة البشرية بالفعل من غير أثر، فمشيئة الله تعالى فوق مشيئة العباد، إذ تنفذ فيهم من خلال ما يفعلون، وعليه فإن الجبر* والاختيار المطلق للعبد باطل؛ لأن الجبر* المطلق طعن في التشريع، وإنكار مشيئة الله طعن في التوحيد. كما يعتقد أهل السنة والجماعة* في هذا الباب أن الأخذ بالأسباب واجب، والاعتقاد فيها شرك، وأن العبد سواء كان فاعلاً أو منفعلاً فهو يفعل فعله ويخلق الله فيه ما أراد، ولا يظلم الله تعالى عباده أبدًا، بل لا يحاسبهم إلا على ما صدر منهم، ولو عذبهم ما كان ظالمًا لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم. والخوض في القدر بالعقل منهي عنه ومذموم، والله تعالى يقول ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

بينمايختلف مفهوم القضاء والقدر عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام من أمثال ابن سينا وغيره، إذ يعتقدون بعلم الله تعالى الإجمالي فقط، والذي لا يدخل تحت الزمان ولا يحيط بالجزئيات. كما يعتقد المجوس* أن الإنسان محدث أفعاله بدون قدرة الله تعالى، في الوقت الذي تقول فيه الصابئة بالجبر*، وقد تأثر بهم بعض أصحاب الكلام من الجهمية وغيرهم. وتقول الدهرية، أيضًا، بالجبر ولكنها تنسبه إلى الطبيعة* أو مركز الأفلاك، بينما يؤمن اليهود بمذهبين في القدر، فمثلاً، ينفيه الربانيون في الوقت الذي يقول فيه القراؤون بالجبر. وكذلك النصارى فالشرقيون منهم ـ المذاهب* الأرثوذكسية ـ يقولون بأن الإنسان مخيَّر، بينما يؤمن الغربيون ـ الكنيسة* الكاثوليكية والبروتستانتية ـ بالجبر. وقد تأثرت المعتزلة

بالنصارى الشرقيين والنساطرة في قولهم بحرية الإرادة، حتى أصبح لقبهم القدرية الثانية* .

وإذا انتقلنا إلى المذاهب* المادية* المعاصرة مع تعدد اتجاهاتها واختلاف فلسفاتها، نجد أنها تعلن الجبرية سواء نسبوها إلى الله تعالى أو نسبوها إلى الطبيعة* والأفلاك. بينما تتعرض المذاهب الليبرالية* إلى حرية الإنسان وأفعاله على النقيض من مذهب الجبرية والحتمية* . ومازال في عالمنا الإسلامي من تأثر بكلا القولين ويدعو إليهما سواء كان من خلال بعض الفرق الكلامية مثل المعتزلة ومن تأثر بهم من الروافض* والأشاعرة والماتريدية وغيرهم، أو من أصحاب المذاهب العلمانية ليبرالية* كانت أو اشتراكية* على أن الأصل في كل هذه المذاهب المخالفة يرجع إلى الديانات* والفلسفات القديمة، وبخاصة الفلسفة* اليونانية، إذ نشأ فيها القول بحرية الإرادة وحرية* الإنسان على قول الأبيقوريين* وأرسطو، والقول بالجبر وأن الإنسان مسيَّر على قول الرواقيين* .

القوانين الوضعية(١): مجموعة القواعد التي تحكم الأقوال والأفعال والتصرفات الصادرة من الأفراد، وتحدد ما يترتب عليها من نتائج والتزامات، والإلزام بها طوعًا، انطلاقًا من أهواء ورغبات أو آراء وتصورات فرد أو طائفة من الناس. ولا يدخل ضمن موضوع بحثنا من هذه القوانين الوضعية: الترتيبات والتنظيمات الإدارية التي لا تحل حرامًا ولا تحرم حلالاً؛ لأنه أحيانًا تكون هذه التنظيمات مستحبة أو واجبة بحسبها. وتقوم هذه القوانين الوضعية المستقاة من القوانين والتشريعات الرومانية والفرنسية والإنجليزية، المستمدة من العرف* والسوابق القضائية، على منافسة الشريعة الإسلامية*، إذ تخالفها في قاعدة الحكم وأصل التحاكم، بجعلهما حقين خالصين لغير الله تعالى فردًا كان أو جماعة، وإن وافقت أحيانًا بعض نصوصها الأحكام الشرعية.

وأوجه المخالفة في هذه القوانين الوضعية لأحكام الشريعة الإسلامية متعددة منها:

(أ) ما يختص بتحليل الحرام: كما هو شائع في الكثير من الدساتير والقوانين المعمول بها في معظم الدول الإسلامية. وهي أمور عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر: ما وضعته في

---

(١) نظرًا لخطورة المصطلح، وتعريفًا به وبتاريخه وحكم الشرع فيه سنركز فيه القول مع محاولة الإيجاز .

شأن الزنا الذي حرمته الشريعة ورتبت على تحقق وقوعه الحد الشرعي، بينما نصت تلك القوانين «لا يعاقب القانون على جريمة هتك العرض متى كانت الفتاة بالغة، وتم الفعل برضاها» وأيضًا، «للزوجة التي زنى زوجها في بيت الزوجية الحق في أن تزني مع من شاءت ولا تثريب عليها إن فعلت ذلك».

(ب) أو بتحريم الحلال: كترتيب بعض القوانين على من يتزوج بالثانية أو من يعدد الزوجات على ما أباحته النصوص القطعية للشريعة الإسلامية، بإلزامه بطلاق الثانية أو معاقبته.

(جـ) تارة تأتي المخالفة بالسكوت: عن عقوبة على أفعال حرمتها الشريعة الإسلامية* بل وجرمتها، أيضًا، ورتبت عليها عقوبات محددة مثل حكم المرتد، بينما لم تتعرض له القوانين الوضعية من قريب أو بعيد، بل دافعت عنه تحت ستار حرية* الفكر.

ولا ريب أن سن هذه القوانين والتحاكم إليها والرضى بها شرك أكبر؛ لأنه شرك في الطاعة والتشريع، يقول تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ . . .﴾ الآية [الشورى: ٢١] وغير ذلك من الآيات والأحاديث الكثير.

ومن أشهر هذه القوانين الوضعية: قانون حمورابي سادس ملوك بابل وأشهرهم ١٧٩٢ـ١٧٥٠ قبل الميلاد وقد وضعه في حوالي ثلاثمائة مادة، وقانون مانو نسبة إلى الملوك السبعة المؤلهين عند الهنود الذين حكموا ـ في زعمهم ـ العالم، ووضع في القرن الثالث عشر أو الثاني عشر قبل الميلاد من ٢٦٨٥ بيتًا من الشعر، وقانون بوخوريس أحد ملوك الأسرة الرابعة والعشرين ٧١٨ـ٧١٢ قبل الميلاد، وقانون دراكون على اسم حاكم أثينا ٦٢١ قبل الميلاد، الذي قنن فيه الظلم الذي كان سائدًا من قبله، وقانون صولون الحاكم الذي تلاه في الحكم ٥٩٤ قبل الميلاد، إذ خفف من تلك الأحكام القاسية في قانون سلفه.

ومن أقدمها أيضًا: القانون الروماني الذي جمعه الإمبراطور جوستينيان سنة ٥٣٧م من القوانين الرومانية القديمة في مجموعة سماها البندكت بمعنى الحاوي الأوفى أو الديجت بمعنى المذهب* المختار، وقانون العرب في الجاهلية* السوالف، والقانون الكنسي* السائد في العصور الوسطى والمستقى من القانون الروماني المصبوغ بصبغة دينية. وفي مطلع القرن التاسع عشر وضع نابليون قانونه المعروف بقانون نابليون لفرنسا، الذي احتذت به باقي الدول الأوربية متأثرة في ذلك بالقانون الروماني.

ومن أشهر هذه القوانين في ديار الإسلام الياسق قانون التتار الذي وضعه جنكيز خان محتويًا على شرائع شتى؛ ليكون تشريعًا عامًّا يرجع له ويتحاكم إليه. ويُعد هذا أول ظهور رسمي لهذه القوانين الوضعية المستبدلة بالشريعة الإسلامية* ، لكنه سرعان مازال وذهب أثره؛ لرفض المسلمين التحاكم إليه والعمل به، وكذلك لدخول حكام التتار في الإسلام. وفي سنة ١٨٤٠م في عهد الدولة العثمانية صدر أول قانون للعقوبات في بلد إسلامي مستمدًّا أحكامه من القانون الجنائي الفرنسي، وألغى عقوبات التعزير والرجم للزاني المحصن، وقطع اليد في السرقة. ثم صدر بعده عدة قوانين للتجارة والأراضي وأصول المحاكمات التجارية، والتجارة البحرية، والفائدة القانونية.

وفي عام ١٨٧٦م صدر القانون المدني باسم مجلة الأحكام العدلية، مستقاة أحكامه من الفقه الحنفي. وفي سنة ١٧٩٨م أنشأ نابليون في مصر محكمة سماها محكمة القضايا في محاولة لإقصاء الشريعة* التي تقلصت أحكامها في عهد محمد علي، بإنشائه المجالس القضائية المحلية التي نازعت المحاكم الشرعية اختصاصاتها. وفي عهد أبنائه تم إقصاء الشريعة على مراحل متعددة، بدأت بإنشاء الخديوي سعيد محاكم تحكم بمقتضى القانون الهمايوني، ثم تتابع الأمر في عهد الخديوي إسماعيل، وبمشورة من الصليبي الأرمني نوبار باشا وزير الخارجية المصري أنشئت محاكم مصرية مختلطة تمتد ولاياتها إلى سائر المسائل المدنية والتجارية والجنائية. وتم تكليف المحامي الفرنسي مونوري بوضع قوانينها التي نقلها من القوانين الفرنسية، وصدر في عام ١٨٧٥م، وقد استمر العمل بها حتى عام ١٩٤٩م، عندما ألغيت المحاكم المختلطة بعد أن وضع الدكتور عبدالرازق السنهوري وآخرون مواد

القانون المدني للمحاكم الأهلية، مستمدًا مواده من أكثر من عشرين قانونًا وضعيًا، ثم تبعه عدد من القوانين الأخرى في عهد الخديوي توفيق الذي افتتح رسميًا المحاكم الجديدة في ٣١ ديسمبر عام ١٨٨٣م. وفي عام ١٩٥٦م ألغيت كل القوانين المتعلقة بترتيب المحاكم الشرعية والملية جميعًا، وتبعها في ذلك باقي الدول العربية والإسلامية خاصة بعد انهيار الخلافة* العثمانية عام ١٩٢٤م، وهكذا أقصيت الشريعة الإسلامية* واستبدل بها القانون الوضعي.

ولترسيخ العمل والتحاكم إلى القوانين الوضعية أنشئت كليات الحقوق، وزاد عدد البعثات إلى الدول الأوربية وبخاصة فرنسا، لإيجاد علماء وقضاة عارفين بها، فبرز عدد من هؤلاء ممن عملوا على تمرير هذه القوانين الوضعية، تحت دعاوى وألوان من المكر والخداع، بزعم أن الله ـ تعالى عن قولهم ـ أعطى للأمة أن تضع القوانين التي تشاء، ولو خالفت حكمه كما قال الدكتور السنهوري في رسالته **الخلافة**، بزعم أن هذه القوانين الوضعية لا تتعارض مع نصوص الشريعة الإسلامية، أو أنها من المصالح المرسلة* التي يجوز الاجتهاد* فيها لرعاية مصالح الناس. ولإثبات ذلك عقدت عدة مؤتمرات للتوفيق بين أحكام الشريعة الإسلامية* والقوانين الوضعية، منها ما عقد في لندن عام ١٩٥٠م وباريس ١٩٥١م، ودمشق ١٩٦١م، والقاهرة ١٩٦٧م.

ولعموم البلوى بهذه القوانين الوضعية، وتبصيرًا للمسلمين في حكمها وحدها، تصدى علماء المسلمين في مصر وغيرها لهذه القوانين وواضعيها ومروجيها والمتحاكمين بها وإليها، وقرروا أنه من الكفر* المبين تنزيل القانون اللعين منزلة شريعة رب العالمين، ويقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية في **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**:

«ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل مكان وزمان، وفي حال الاختلاف والتنازع الخاص والعام، سواء كان بين دولة وأخرى، وبين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم في ذلك كله سواء، فالله سبحانه له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خير من حكم الله ورسوله أو تماثلها وتشابهها، أو أجاز أن يحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية وإن كان معتقدًا أن أحكام الله خير وأكمل وأعدل».

وقد وضعوا أصولاً وقواعد لمن لا ينطبق عليه الحكم بالكفر المُخرج عن الملة* عند العمل أو الحكم بهذه القوانين، وهذه القواعد بشكل عام هي:

١ـ أن يكون الحاكم بها والمتحاكم إليها ملتزمًا باطنًا بكل حكم وتشريع جاء عن الله ورسوله في كل الأحوال.

٢ـ أن يكون مقرًّا ومعترفًا بأنه بترك الحكم بما أنزل الله تعالى في قضية ما أو واقعة معينة يكون آثمًا، وأن حكمه خطأ وحكم الله هو الصواب.

٣ـ ألا يشكل حكمه حكمًا عامًّا أو شرعًا متبعًا، وإنما تكون المخالفة في وقائع الأعيان (القضايا المعينة التي لا عموم لها).

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين في **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين**: في معرض جوابه عن: «هل هناك فرق بين المسألة المعينة التي يحكم فيها القاضي وبين المسائل التي تعتبر تشريعًا عامًّا؟

فأجاب: نعم هناك فرق، فإن المسائل التي تعتبر تشريعًا عامًّا لا يتأتى فيها التقسيم السابق ـ القسم الأول: نفي الإيمان عن من لم يحكم بما أنزل الله، والقسم الثاني: احتمال الكفر* والظلم والفسق حسب الحامل على عدم الحكم ـ وإنما هي من القسم الأول فقط». ج ٢ ص ١٤٤.

وكان من أبرز آثار استبدال القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية* ظهور طوائف من أهل الغلو* ـ جماعات التكفير والتوقف والتبين ـ لم تكتف بإطلاق أحكام التكفير بإطلاق ودون تفصيل على المتحاكمين بالقوانين الوضعية، بل أطلقت أحكام التكفير أو التوقف عن الحكم بالإسلام أو الكفر وبدون تفصيل، على المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات التي تتحاكم بالقوانين الوضعية، إذ زعموا أن الأصل في أهل هذه المجتمعات الكفر، وقد رتبوا على ذلك العديد من اللوازم، والأصل أن عدم الإنكار الظاهر باليد واللسان من المسلمين الذين يعيشون في هذه المجتمعات على الذين يحكمون هذه القوانين لا يعني مشايعة الذين يحكمون بالقوانين الوضعية، لأن الإنكار لا يقدر عليه كل أحد، ولا تكليف إلا بمستطاع، إذ يقول تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ الآية [البقرة: ٢٨٦] ولابد من الرضى

والمتابعة لتحقيق مناط كفرهم* ، قال رسول* الله، ﷺ: «إنه يستعمل عليكم فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برىء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»[١] مع الأخذ في الاعتبار أن عدم الإنكار مع القدرة عليه ضعف في الدين* . كما ننبه إلى أن المتابعة للمشرعين من دون الله تعالى بالعمل الظاهر لا تكون كفرًا* مطلقًا، بل قد تكون معصية مع تحقق الإيمان وعدم انتفائه بالكلية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم* أربابًا من دون الله «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل فيعتقدوا بتحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسول فهذا كفر. وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم. فكان من اتبع غيره في خلاف الدين* مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله مشركًا مثل هؤلاء.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب» **مجموع الفتاوى ٧/ ٧٠**.

قوانين منوسشتر: انظر منواسمرتي

القياس: أحد مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن والسنة والإجماع* ، ويعني إلحاق مسألة ليس عليها نص بمسألة ورد فيها نص لاشتراكهما في علة ذلك الحكم. ومن أمثلته: شرب الخمر واقعة ثبتت بالنص حكمها هو التحريم لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وعلة التحريم الإسكار، فكل نبيذ أو شراب توجد فيه هذه العلة يحكم عليه بحكم الخمر. وبالتالي يصبح محرمًا شرابه.

---

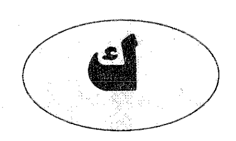
(١) أخرجه مسلم عن أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية حذيفة رضي الله عنها.

ويستدل العلماء على حجية القياس بنصوص من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله، ﷺ، للجارية الخثعمية التي سألته قائلة: «إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت. أفأحج عنها؟ قال: نعم حجي عنها. أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء»[١].

وقول عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري، رضي الله عنهما، في كتابه «الفهم الفهم فيما أُدلي إليك مما ورد عليك مما ليس فيه قرآن ولا سنة، ثم قايس بين الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم انظر فيما ترى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق».

ولم يأخذ الظاهرية والجعفرية الشيعة* وبعض المعتزلة بالقياس على عكس رأي الجمهور.

(١) أخرجه البخاري (١٥١٣) عن ابن عباس، رضي الله عنهما.



كاردينال: عضو أعلى هيئة تساعد البابا* في إدارة الكنيسة* الكاثوليكية والمجلس الاستشاري، يلي البابا في مرتبته مباشرة، والكرادلة هم الذين يختار البابا من بينهم.

كاهن: كلمة كاهن تأتي في اللاتينية بمعنى المعبرون يرادفها في اللغة العبرية كلمة «كوهين» التي تدل على الشخص المخصص لتأدية الخدمات الكهنوتية وفق طقوس وملابس خاصة، ويبدأ الكاهن عمله وينتهي عند سن معينة، وليس للكاهن في اليهودية نصيب في الملك. وتذكر المصادر اليهودية أن موسى، عليه السلام، عين رتبة الكهنوت في ذرية هارون، إذ كانت لهم وجبات الذبائح اليومية والأسبوعية، وخدمة الاحتفالات والتطهير والمسح بدهن المسحة والاعتناء بالآنية والنار والأثاث، بالإضافة إلى حمل تابوت العهد، والقضاء في الدعاوى وتفسير الناموس للشعب، ولذلك فقد فرض على الكهان محظورات هي حلال لغيرهم من اليهود.

وفي الاصطلاح النصراني فإن الكاهن أحد رجال الأكليروس* ، وأصحاب الرتب الدينية، ويدخل في مسماه البابا* ، والبطاركة* ، والمطارنة* ، والأساقفة* ، والقساوسة* ، والشمامسة* . ويختلف البروتستانت مع الكاثوليك والأرثوذكس في ذلك، إذ يعتبرون أن جميع المؤمنين الحقيقيين بالمسيحية* يدعون كهنة بالمعنى الروحي، إذ لا يوجد كهنوت ولا كهنة بالمعنى الحرفي.

وفي الديانات القديمة لمصر والهند والصين كان للكهنة أثرهم البالغ في انحراف تلك الديانات إلى عبادة مظاهر الطبيعة، وتأليه الملوك والكهنة أحيانًا، وعلى أيديهم نشأت نظرية الظاهر والباطن في العقائد، إذ احتفظوا لأنفسهم ببعض العقائد أسراراً خاصة بهم، واستبدلوها بطقوس رمزية موهوا بها على الشعوب، كما يرجع إلى الكهنة اختراع عقيدة التقمص، لتحل فيهم وفيمن أرادوا من الملوك والأمراء أرواح الآلهة، وبسببهم نشأت القاعدة «الكاهن نائب الله، والملك ظل الله في الأرض» الأمر نفسه الذي أنشأ نظام الطبقات عند البراهمة وغيرهم.

ويراد بالكاهن في الاصطلاح* الإسلامي: الذي يدعي علم الغيب والإخبار عن المغيبات، ويطلق أحيانًا على العرّاف اسم الكاهن، كما يدخل فيه المنجم والرّمال ونحوهم.

ويعدد القاضي عياض أنواع الكهانة عند العرب فيقول: «كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب.

أحدها: أن يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم باطل من حين بعث النبي*، ﷺ.

الثاني: أنه يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده.

الثالث: المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما، لكن الكذب فيه أغلب، ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عرّاف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وأسباب معتادة. وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة وقد أكذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم، وإتيانهم والله أعلم». وذلك بقوله، ﷺ: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد، ﷺ»[١] وفي رواية «فقد برىء مما أنزل على محمد، ﷺ»[٢] ـ راجع التنجيم ـ .

الكبائر: جمع كبيرة، وهي من أوائل القضايا التي أثارت جدلاً* كبيرًا بين الفرق الإسلامية منذ نشأتها، وذلك لرؤيتهم المختلفة لحقيقة الإيمان، ودخول العمل في مسمى الإيمان. ويجمل بنا أن نبدأ بتعريف الكبيرة عند السلف من الصحابة والتابعين، فإن مجمل النصوص الواردة عنهم تفيد بأن حد الكبيرة: كل ذنب توعد الله تعالى صاحبه بنار جهنم أو بالعذاب، أو ختم بالغضب أو اللعنة. أو هي الذنب الذي يوجب حدًّا من حدود الله تعالى، أو

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٢٩) والحاكم ١/ ٨ وصححه على شرط الشيخين والبيهقي ٨/ ١٣٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٨١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٠٨)، أبو داود (٣٩٠٤)، الترمذي (١٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٨١٨).

الذي يوصف صاحبه بالعصيان. أو أن الكبيرة ترك كل فريضة مأمور بها على الفور.

وروي عن ابن عباس أن عدد الكبائر قد يصل إلى سبعين. ومرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة* مؤمن ناقص الإيمان تحت مشيئة الله تعالى في الآخرة ـ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ـ وعلى ذلك فإنه غير مخلد في النار. وبالجملة فإن هناك أسبابًا عديدة لإسقاط العقوبة عن مرتكب الكبيرة منها: التوبة أو الاستغفار، والحسنات الماحية، وما يعمله الميت من أعمال البر كالصدقة ونحوها، وشفاعة النبي، ﷺ، وما يحل به من مصائب يكفر بها خطاياه في الدنيا، وفتنة القبر وضغطته وأحواله. كما أن أهوال القيامة وكربها وشدائدها، بالإضافة إلى رحمة الله وعفوه، كل هذا وغيره مما قد يسقط العقوبة عن مرتكب الكبيرة. وعلى كل هذا دلت النصوص المستفيضة من الكتاب والسنة.

ووافق الأشاعرة أهل السنة والجماعة في تعريف حد الكبيرة، وحكم مرتكبها، وإن لم يتب منها. ويتفق الخوارج* مع المعتزلة في تخليد صاحب الكبيرة في النار، على أنها تحبط ثواب طاعته، ولا تنفعه شفاعة النبي، ﷺ، ما لم يتب منها في الدنيا، ولكنهم اختلفوا في مسمى فاعل الكبيرة فسماه الخوارج كافرًا وسماه المعتزلة فاسقًا. أما المرجئة* فهم على النقيض من ذلك حيث إن مرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، ولا يضر إيمانه معصيته، بل قال غلاة المرجئة إنه لن يدخل النار من أهل التوحيد أحد مهما ارتكب من ذنوب وخطايا.

الكرامة: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوة النبوة*، ولا هو مقدمة لها، غير مشترط فيها التحدي كالمعجزة*. والكرامة عبارة عن إكرام الله تعالى لولي* من أوليائه الصالحين من أتباع الرسل الملتزمين بأحكام الشرع، بما يظهره الله على يديه من أمور، لا يشترط فيها دائمًا أن تكون خارقة للسنن الكونية، أو خارجة عما يألفه الناس، وليس لها صور أو كيفية معينة. وبهذا المعنى تختلف عن المعجزة الخاصة بالرسل وعن الاستدراج الذي يكون للفاسق بما يظهره الله تعالى له معتقدًا أن هذه كرامة فيتمادى في غيّه آمنًا مكر الله تعالى.

ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء*، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات*، وأنواع القدرة والتأثيرات. أما

الصوفية فإنهم يقسمون الكرامات إلى قسمين وهي: المشتهرة بين عامة الناس والمتمثلة في خرق الأمور العادية، وكرامات معنوية لأهل الخصوص من عباد الله والمتمثلة في التوفيق إلى حفظ الشريعة والاستقامة مع الله ظاهرًا وباطنًا، وغيرها من الأمور المعنوية، وهي أفضل من الحسبة، إذ لا يداخلها استدراج ولا مكر. واختلفت الصوفية في تحديد حال حدوث الكرامة إلى: طائفة ترى أنها لابد أن تحدث في حال السكر*، وهو مغلوب لا طاقة له على الادعاء، وأخرى ترى: أنها لابد أن تحدث في حال الصحو* والتمكن دون السكر، لأن الله جعل أولياءه أولياء للعالم وناط بهم الحل والعقد في زعمهم. وواضح ما في مفاهيم غلاة الصوفية حول الكرامة من فساد اعتقادهم في الأولياء* الذين يعتقدون تصرفهم في الكون بشكل أو بآخر.

كرشنا: من أبرز كهنة* الهنود، ولد حوالي سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد، وتربى عند نُسَّاك البراهمة* في زمن الطور الثاني من تطور الديانة* الهندية التي بعدت فيها عن التوحيد الخالص ونشأ فيها الثالوث* الهندي. وهو فيلسوف حازم قضى حياته في تهذيب معاصريه وإرشادهم، وبعد موته بزمن أراد أتباعه أن يجعلوا لتعاليمه زيادة نفوذ ومكانة، فربطوه بسبب مع الألوهية، وألبسوا حياته حللاً ضافية الذيول. ويعتقد بعضهم أنه قد حل فيه الإله* فشنو* أحد أقانيم* الثالوث الهندي.

الكشف: في المصطلح* الشرعي: هو كرامة* من الكرامات للمؤمن الصالح الملتزم بالكتاب والسنة غير المبتدع*، وعلى غير عادة مستمرة، وعرَّفها البعض بأنها حالة من الشفاف الروحي يصل إليها الإنسان الصالح المؤمن حقًّا، فينكشف له بها بعض أمور الغيب، والدليل قول النبي، ﷺ، في الصحيح «هل ترون قبلتي هاهنا؟ فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري»[1]. وكما حدث مع عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق، رضي الله عنهما، فيما يعرف بمقام التحديث، يقول، ﷺ، كما في الصحيحين «لقد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر»[2] والكشف الحق هو الذي

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة (٧٤١).

(٢) يسبق تخريجه ص ١١٨ «مصطلح التلباثي».

لا يعارض الكتاب والسنة، إذ ضمن الله تعالى لهما العصمة ولم يضمنها لا للكشف ولا للإلهام ولا للرؤى والمشاهدة.

وفي المصطلح الصوفي: تعني رفع الحجب عن قلب الصوفي وبصره بعد اتحاده مع الله، ليعلم صاحب الكشف بعد ذلك كل ما يجري في الكون، أو أن يكشف للصوفي عن معان جديدة في القرآن والسنة والآثار فيما يعرف بعلم الحقيقة التي لا يعلمها علماء الشريعة أو علماء الظاهر. ويقول محمد بن محيي الدين نجا عن الكشف في اصطلاح أهل الحقيقة، هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الخفية وجودًا وشهودًا. ويزعمون أنهم يتلقون الكشف عن الخضر، أو عن ملك الإلهام، أو أنهم يتلقونه عن الله تعالى رأسًا وبلا واسطة. ودرجات الكشف النهائية عندهم تتحقق بشهود أحدية الذات في صور الصفات، في مقام البقاء بعد الفناء*، والكشف بهذا المعنى الصوفي ما هو في الحقيقة إلا إيحاءات شيطانية ووساوس نفسية ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾الآية [الأنعام: ١٢١].

الكفر: يعرفه أبو محمد ابن حزم تعريفًا يعد جامعًا بقوله: «الكفر صفة من جحد شيئًا مما أوجب الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه. سواء كان ذلك بقلبه دون لسانه، أو بلسانه دون قلبه، أو بهما جميعًا، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان». **الإحكام في أصول الأحكام** ١/ ٤٥.

والكفر نقيض الإيمان، والإيمان عند أهل السنة والجماعة ذو شعب كما دل عليها حديث النبي، ﷺ، أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان[1]، وكذلك فإن الكفر عندهم ذو شعب، أيضًا، يقول ابن القيم «الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر..» **الصلاة** ص ٥٣، قال محمد بن نصر المروزي «الكفر ضد الإيمان، إلا أن الكفر كفران: كفر هو جحد بالله وبما قال، فذلك ضد الإقرار بالله أو التصديق به وبما قال، وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل». **تعظيم قدرة الصلاة** ٢/ ٥١٧.

---

(١) الحديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها...» أخرجه البخاري ١/ ٥١ ح ٩ ومسلم ١/ ٦٣ ح ٣٥.

وكما أن الكفر يكون أحيانًا بالقلب كالجحود والتكذيب والبغض لما جاء عن الله تعالى ورسوله، ﷺ، فإن الكفر، أيضًا، يكون باللسان أحيانًا، يقول ابن حزم: «لم يختلف أهل العلم بأن في القرآن التسمية بالكفر والحكم بالكفر قطعًا على من نطق بأقوال معروفة كقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ . . .﴾ الآية وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ فعلم أن الكفر يكون كلامًا» **المحلى** ج ١٣ ص ٤٩٨ .

ومن ذلك سب الله ورسوله أو الاستهزاء بالله ورسوله وشرعه وبما جاء به. ومن الكفر ماقد يكون بالأعمال سواء التي نص الشارع الحكيم أن تركها كفر مثل: الصلاة أو التولي والإعراض عن طاعة الله ورسوله يقول تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ .

وقد اصطلح أهل السنة والجماعة من استقراء النصوص على أن شعب الكفر المتعددة تقع تحت قسمين لا ثالث لهما:

ـ **كفر أكبر**: يناقض الإيمان وحقيقته ويوجب الخروج من الملة* والخلود في النار يقول تعالى ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ . . .﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣]، وهذا الكفر يأتي على خمسة أنواع:

١ـ **كفر التكذيب**: وهو اعتقاد كذب الرسل، وهو اعتقاد قليل في الكفار يقول تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

٢ـ **كفر الإباء والاستكبار**: مثل كفر إبليس لعنه الله، فإنه جحد أمر الله تعالى وأنكره عنادًا واستكبارًا، وهذا حال كثير من الأمم حيث قالوا لرسلهم ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٥].

٣ـ **كفر الإعراض**: بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول*، ﷺ، لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إليه البتة.

٤ـ **كفر الشك**: بألا يجزم بصدق النبي، ﷺ، ولا كذبه، بل يشك في أمره.

٥ـ **كفر النفاق**: بأن يظهر بلسانه الإيمان، ويطوي بقلبه التكذيب.

ـ **كفر أصغر** ـ كفر دون كفر ـ لا ينافي أصل الإيمان ولا يذهب به بالكلية، إنما ينقص كماله

وفروعه، ويصير الموصوف به مذمومًا شرعًا وإن بقيت أحكام الإسلام تجري عليه لبقاء أصل الإيمان معه. وهذا النوع يوجب استحقاق الوعيد دون الخلود في النار، ويتناول جميع المعاصي؛ لأنها من خصال الكفر ومثال ذلك: قوله، ﷺ، «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[١] والمراد هنا: وقتاله كفر أصغر غير مخرج من الملة بدليل قوله تعالى ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ... ﴾ الآية [الحجرات: ٩] فسماهم مؤمنين مع اقتتالهم. وهكذا مع باقي المعاصي والتي لم يشرع على ارتكابها حد الردة بل رتب عليها حدودًا مختلفة دون حد الردة. وعليه فإن **التكفير** حكم شرعي وهو حق لله تعالى ورسوله، ﷺ، ولا يثبت إلا بنص صريح أو قياس على نص صحيح بشرط توافر الشروط وانتفاء الموانع، ويترتب على الحكم بالكفر المتلبس الكثير من اللوازم والآثار منها: إهدار دمه، وزوال عصمته على ماله وأولاده، والتفريق بينه وبين زوجته، وانقطاع الإرث بينهما كما لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

ولا يتحقق الحكم بالتكفير إلا بشرطين:

- أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يكفر فاعله كفرًا مخرجًا عن الملة*.
- انطباق الحكم على من فعل ذلك بعينه، بحيث يكون عالمًا بذلك قاصدًا له، يقول، ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[٢] فلا يكفي الحكم على الظاهر دون معرفة قصد القائل أو الفاعل لعمل الكفر وإن كان الفعل في حد ذاته كفرًا، فإن كان جاهلاً أو متأولاً (راجع التأويل) أو مكرهًا لم يكفر بذلك. والقاعدة في ذلك: إنه من دخل في الإسلام بيقين فلا يخرج منه إلا بيقين. يقول ابن تيمية في **اقتضاء الصراط المستقيم** «ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا حتى يقوم به أصل الإيمان».

يقول الشوكاني في **السير الجرار** «لابد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارىء عقائد الشرك لا سيما مع الجهل

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٤٧٩ ح ٦٠٤٤.

(٢) متفق عليه من رواية أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما.

بمخالفتها لطريقة الإسلام، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر، ولا اعتبار بلفظ تلفظ به المسلم يدل على الكفر وهو لا يعتقد معناه» ٤/ ٥٧٨ .

ولذلك يفرق أهل السنة بين تكفير المطلق وتكفير المعين، يقول ابن تيمية في **مجموع الفتاوى** «إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات، لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه» ج ١٢ ص ٤٨٧، ٤٨٨ . ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفرًا، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها». **الدرر السنية** ٨/ ٢٤٤ .

وقد انحرف عن مسلك أهل السنة والجماعة* في هذه المسألة فريقان:
- المرجئة* والجهمية* .
- الخوارج* والمعتزلة.

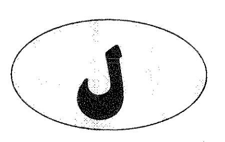
وذلك باعتقادهم أن الإيمان شيء واحد لا يتفاضل ولا يزيد ولا ينقص سواء كان الإيمان هو التصديق القلبي فقط كما هو عند غلاة المرجئة والجهمية، وبالتالي فإن الكفر عندهم هو التكذيب الاعتقادي فقط، الأمر الذي يعطل حد الردة ولا يجعل هناك كافرًا أبدًا. أو أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان كما عند الخوارج والمعتزلة موافقة لأهل السنة في ذلك، ولكنهم خالفوهم في عدم التفاضل والزيادة والنقصان في الإيمان، وبالتالي فإنهم يعتقدون أنه إذا نقضت شعبة من شعب الإيمان زال الإيمان بالكلية عن صاحبه.

ومن جماعات الغلو* المعاصرة - التكفير والهجرة، والتوقف والتبين - ومن سلكت مسلكهم بحكمهم على مرتكبي الذنوب والمعاصي بالكفر المخرج من الملة، وعدهم عدم الحكم بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل كفرًا أكبر، وحكمهم على المحكومين بهذه القوانين كفارًا ودون تفصيل أيضًا، راجع القوانين الوضعية - بل جعلوا الانتساب لجماعتهم والهجرة* إليهم ومبايعة إميرهم هو العاصم الوحيد من الوقوع في الكفر. - راجع البيعة والتنظيم - .

الكنيسة: كلمة يونانية (Eclisia) بمعنى مجمع المواطنين في بلاد اليونان الذي كانت الحكومة تدعوهم إليه للتشريع أو لأمور أخرى، وفي النصرانية هي المكان الذي تؤدى فيه الطقوس الدينية عند النصارى. ويستدلون على هذا المعنى بما ورد في **إنجيل متى**: ١٦/١٨: «وأنا أقول لك، أيضًا، أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابن كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» وبه يستدل الكاثوليك على أنها الكنيسة التي يجب أن ينتمي إليها كل المسيحيين* ، وبهذا الأخير لا يسلم لهم البروتستانت ولا الأرثوذكس بذلك. كما لا يرى البروتستانت أن الكنيسة ليست هي البناء الذي يجتمع فيه للعبادة، وليست هي الطقوس والعقائد الدينية، وليست هي جماعة رجال الدين في أي طائفة من الطوائف المسيحية،* وإنما يطلق اسم الكنيسة على جميع المؤمنين المسيحيين أحياءً كانوا أو أمواتًا. وتمثل الكنيسة في زعمهم المسيح* وحياته، ولذا فإنهم يعتقدون وجوب تأسيسها في أي مكان يحلون فيه. وعلى هذا يستدلون، أيضًا، بما ورد في **إنجيل متى**: «وإن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه أحدكما، إن سمع منك فقد ربحت أخاك، وإن لم يسمع فخذ معك واحدًا أو اثنين. . . ، وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك وثنيًا»، وعلى هذا المعنى ظهرت أولاً. والكنيسة بهذا المعنى الأخير، أيضًا، مشتقة من الكلمة العبرية «كنيست» ومعناها جماعة من الناس تربطهم رابطة ما.

وعند هؤلاء تنقسم الكنيسة عادة إلى: الكنيسة المناضلة التي تعمل في هذا العالم، والكنيسة المعذبة المكونة من المؤمنين الذين يقاسون عذاب المطهر، والكنيسة المنتصرة وهي جماعة القديسين في السماء.

وفي الاستعمال الدارج تدل كلمة كنيسة على جماعة منظمة من المسيحيين* مهما اختلفت عقائدهم مثل الكنيسة الأرثوذكسية واللوثرية والإنجليزية والكنيسة الكاثوليكية، وتعد كل منها أنها وحدها «الكنيسة الحقة». وقد تعددت الكنائس بتعدد الفرق المسيحية* فوصل عددها إلى المئات.



اللاأدرية: مذهب* فلسفي قديم نشأ في اليونان على يد بيرون بعد انهيار مملكة الإسكندر الأكبر وانحطاطها، إذ بلغ فقد الإيمان بالحق والخير، وتبلبل الأفكار مداه، وفسدت الأخلاق* إلى حد بعيد، فانعزل عن الحياة وامتنع عن الحكم على الأشياء بالإيجاب أو النفي، على أن الأشياء مظاهر لا يدري حقيقتها، فاستدعاه ذلك إلى القول بالشك، وإنكار قدرة العقل البشري على إدراك المطلق أو معرفة ما يتعدى حدود الواقع بالتجربة اليومية والعلمية. وقد ضم إليه أنطوس والرازي العنادية ـ من السوفسطائيين* ـ أتباع جور جياس، وأتباع بروتاجورس.

وفي العصر الحديث عرف وانتشر هذا المذهب مع ظهور الثورة الصناعية والاكتشافات العلمية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أوربا. ويعد المذهب الوضعي ومذهب كانط المعبرين الرئيسيين عن فلسفة اللاأدرية. وقد أخذ على هذا المذهب في مجال السياسة رؤيته التبريرية لما هو قائم ومعارضته أي تغير خارج المؤسسات، وأيضًا، نظرته الشكلية الجزئية إلى الواقع، وقصوره عن إدراك العوامل المحركة للتاريخ وتطور المجتمعات.

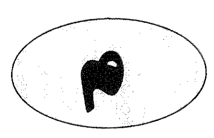
ولا شك أن الإسلام يرفض هذه المذاهب الإلحادية*، التي لا تعترف بوجود الله جل وعلا وما أخبر به من الأمور الغيبية، بل إنه جعل للعقل* مكانة عظيمة في حدود ما يمكن أن يصل إليه ـ راجع العقل ـ أما ما زاد على ذلك فقد كفاه الوحي* مؤنة التخمين والتخبط، فيترك علم ما لا يدريه إلى علم الذي يعلم كل شيء سبحانه وتعالى.

الليبرالية: مذهب* رأسمالي ينادي بالحرية* المطلقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي. ففي الميدان السياسي وعلى النطاق الفردي: يؤكد هذا المذهب على القبول بأفكار الآخرين وأفعالهم ولو كانت متعارضة مع المذهب بشرط المعاملة بالمثل. وفي إطارها الفلسفي تعتمد الفلسفة* النفعية والعقلانية لتحقيق أهدافها.

وعلى النطاق الجماعي: هي النظام السياسي المبني على أساس فصل الدين* عن

الدولة، وعلى أساس التعددية* الأيديولوجية* والتنظيمية* الحزبية والنقابية، من خلال النظام البرلماني* الديمقراطي - راجع البرلمان والديمقراطية النيابية - بسلطاته الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية للحفاظ عليها، وقد كفلت حرية* الأفراد بما في ذلك حرية المعتقد، إلا أن الليبراليين في الغالب يتصرفون ضد الحرية لارتباط الليبرالية بالاستعمار*، وما يتضمن ذلك من استغلال واستعباد للشعوب المستعمرة.

والليبرالية الاقتصادية: تأخذ منبعها من المدرسة الطبيعية التي تؤكد على أنه يوجد نظام طبيعي يتحقق بواسطة مبادرات الإنسان الاقتصادي، والذي ينمو بشكل طبيعي نحو تلبية أقصى احتياجاته بأقل ما يمكن من النفقات. على أن تحقيق الحرية الاقتصادية يحقق النظام الطبيعي، وفي ذلك تدعو الليبرالية الاقتصادية إلى عدم تدخل الدولة في النظام الاقتصادي إلى أدنى حد ممكن. ومن أشهر من نادى بالليبرالية آدم سميث ومالتوس وريكاردو وجون ستيوارت مل.



المادية: هي النزعة القائلة بأن كل ما هو موجود مادي، أو يعتمد كلية في وجوده على المادة، بزعم أنها الحقيقة الوحيدة القادرة على تفسير الحياة والسلوك وتطورهما، وبالتالي فإن المفهوم المادي للكائنات الإنسانية والمخلوقات الحية هو أنها ليست كائنات ثنائية مركبة من جسم مادي، وروح لا مادية، وإنما هي جسمية في طبيعتها تتكون من جزيئات لا تقبل القسمة أو الفناء.

وما الفكر والروح إلا من وظائف المادة وصفة من صفاتها، وبذلك تتعارض مع المثالية التي تقول بأن الفكر هو جوهر الواقع ومصدر حقيقته، كما تتعارض مع الروحانية التي تعتبر الغائية* سببًا جوهريًا من أسباب الوجود. ولذلك فإن نظرتهم إلى الأخلاق* هي نظرة مادية نفعية بحتة، فكل ما يحقق المصلحة هو خلق فاضل، وكل ما لا يحققها هو خلق مرذول مستقبح.

أما نظرة المادية إلى العلم والمعرفة فلا تعترف المادية إلا بما تثبته التجربة فقط، وتنكر دور الوحي* والمعتقدات الدينية لدى الأمم والشعوب في التأثير على دور التاريخ، وإنما تفسر أسباب وجوده وتطوره بحركة المادة في الوجود ـ راجع التفسير المادي للتاريخ.

والنزعة المادية نزعة قديمة، متأصلة في عدد من الأمم والحضارات السابقة. فقد ظهرت في فلسفة الطبيعيين من اليونان، إذ حصروا أسباب الوجود في الماء والتراب والهواء والنار، مما مهد لظهور مذهب* الجواهر المفردة أو الذرات المادية غير المتناهية، التي ترد كل شيء في الوجود حتى الروح والعقل* إلى المادة، وقد قص علينا **القرآن الكريم** شيئًا من سيرة هؤلاء بعد أن سجل مقالات كفرهم سواءً كانوا أصحاب فلسفات إلحادية* بعيدة كل البعد عن معين الوحي*، أو كانوا أصحاب كتب سماوية حاد أصحابها عن منهج* الوحي، مثل أمة يهود ومن شابههم. قال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وفي العصر الحديث نجد بصمات هذا المذهب واضحة في عقيدة الملاحدة* في

القرنين السابع عشر والثامن عشر من أمثال لا ميتري وماركس ونيتشة ودي هولباخ صاحب أحد المراجع الكلاسيكية للمادية «**نظام الطبيعة**». كما أفرزت عددًا من المذاهب الفلسفية والسياسية، مثل: الوضعية، والوجودية، والماركسية...، وعددًا آخر من النظريات مثل: الحتمية*، والمادية الجدلية*، والتحليل النفسي، والتطور، والميكيافيلية، والعلمانية.

ومن أبرز الآثار الفكرية للمادية على الأمم والمجتمعات ظهور اتجاهات تعلي من شأن الروح في مقابل المادة، مثل الثيوصوفية، والروحية الحديثة، وتحضير الأرواح*....

وفي زمن الغربة، وعلى حين غفلة من المسلمين تسللت هذه الأفكار المادية الإلحادية وذاعت، وأصبح لها سدنتها وكهنتها*، يدعون إليها ليل نهار. فبرز المفكر الوضعي صاحب **خرافة الميتافيزيقا*** د. زكي نجيب محمود، بينما راح الدكتور عبدالرحمن بدوي ينشر الوجودية، بل زاد التبجح عن حده بأن أعلن بعضهم مرددًا مقالة الكفر، بأن الدين* أفيون الشعوب، وأن الله تعالى وتقدس خرافة.

المادية التاريخية «المفهوم المادي للتاريخ»: هي مفهوم مادي للتاريخ البشري، ومحاولة لتفسيره انطلاقًا من قوانين المادية الجدلية في دراسة وتفسير الحياة الاجتماعية وتطور المجتمعات، على أن الوضع المادي والاقتصادي هو الذي يكيف شكل الحياة البشرية في أي وقت من أوقاتها، وأي طور من أطوارها، ويزعم أنه سابق لها، لأن المادة عندهم تسبق الوعي، ولا يمكن للوعي أن يسبق المادة. وهذا الوضع المادي والاقتصادي في تطور دائم، ومن ثم فإن الأفكار والمشاعر والمؤسسات والنظم، التي تنبثق عنه، في تطور دائم تبعًا لذلك. وقد استعمل هذا المفهوم لأول مرة من قبل فريدريك إنجلز، ثم تبناه كارل ماركس للتعبير عن مفهومها الجديد للعالم. وقد تعرضت المادية التاريخية للنقد لنزعتها الحتمية، وإخراج السنن الإلهية من التدخل في الكون، وتجاهلها لدور الوعي، وتأثيره في البنية التحتية وطبيعة الإنسان ـ راجع التفسير الإسلامي للتاريخ ضمن التفسير المادي للتاريخ ـ.

المادية الجدلية: تصور خاص لقضايا الألوهية والكون والحياة والإنسان، يقوم على أساس مادي بحت، استخدمه ماركس وإنجلز في التحليل التاريخي، فهو أساس في

طريقة التفكير عند أنصار الاشتراكية والشيوعية. وتستمد المادية الجدلية أصولها من جدل* هيجل لكن بطريقة مادية* وليست مثالية، فبدلاً من أن تكون حركة السير من فكرة ونقيضها إلى نتيجة تعلوهما كما عند هيجل لدعم فكرة الألوهية والوحي* كمصدر للمعرفة، طبقت المادية الجدلية حركة السير على الأوضاع المادية الفعلية. فالأوضاع المادية لاتتبع الفكر ومنطقه، بل الفكرُ ومنطقه هما اللذان يتبعان الأوضاع المادية، فالتناقض لا يكون بين فكرتين ابتداءً، إنما يكون بين نظامين اجتماعيين يتولد عنهما ثالث. والحقيقة أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين المادية الجدلية والمادية التاريخية*، بحيث يصعب الفصل بينهما.

مارسيونية: نسبة إلى مارسيون ت ١٤٤ اعتبره النصارى مؤسس أول وأكبر بدعة* ناهضت الكاثوليكية، إذ اتصل بالغنوصية وتأثر بها كل التأثير، فقال بثنائية شبيهة بثنائيتها، وأنكر إله* العهد القديم، على أنه قاس وغير رحيم، وغالى في التقشف واتخذ له كنيسة* خاصة لم تلبث أن اجتذبت عددًا غير قليل من الاتباع، بل من المسيحيين* جميعًا، كما أثر في المانوية والتقى معها حتى اندمج مذهبه* فيها.

المجوس: كلمة فارسية تطلق على أتباع الديانة المجوسية، والديانة المجوسية ديانة وثنية* ثنوية* تقول بإلهين اثنين، أحدهما إله للخير والآخر إله للشر، وبينهما صراع دائم إلى قيام الساعة، التي تقوم حسب زعمهم الفاسد نتيجة لانتصار إله الخير على إله الشر. وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها إلى أقوال عديدة، منها أنها نسبة إلى رجل اسمه مجوس، أو أنه وصف لرجل انتسبت إليه المجوسية أو أنها نسبة لقبيلة من قبائل الفرس، أو أنها وصف لعبادة النار، ويذهب بعض الباحثين إلى أن المجوسية هي الزرادشتية، والحق أن المجوسية أسبق من الزرادشتية، وأن زرادشت حددها وأظهرها وزاد فيها في القرن الثالث الميلادي، ويذهب ابن خلدون إلى أن المجوسية هي الكيرمرثية نسبة إلى كيرمرث أحد أبناء آدم، عليه السلام، وقيل إنه آدم، عليه الصلاة والسلام، وقيل إنه أحد أبناء نوح، عليه الصلاة والسلام، وقيل غير ذلك.

كما اختلف أهل العلم في المجوس هل هم أهل كتاب ولهم رسول* ولكنهم بدلّوا وحرفوا أم لا؟ وذلك على قولين: ذهب الجمهور إلى أنهم ليسوا بأهل كتاب كما ذكر ابن

القيم وابن قدامة والقرطبي، وهو ما عليه أغلب السلف، وإنما يعاملون معاملاتهم فيما يتعلق بالجزية فقط.

ويقول الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل: «ومن المرجحات في كون المجوس ليسوا بأهل كتاب: قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧] وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] وكذلك في سورة المائدة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

فهذا دليل على أنهم ليسوا أهل كتاب؛ لأنه تعالى حين ذكر الذين يُجزون على إيمانهم وعملهم الصالح من هذه الأمم لم يذكر المجوس منهم.

وحينما ذكر أنه يفصل بينهم قرن المجوس والمشركين . . . لأنه تعالى عد الديانات ثم جاء بعدها المجوس والذين أشركوا، فلذلك فالأولى والأقرب أنهم ـ أي المجوس ـ يلحقون بالمشركين لا بالأمم الكتابية».

والقول الثاني: قال به بعض أهل العلم من أنهم أهل كتاب لكنهم بدلوا وحرفوا واستدلوا بما ورد في صحيح البخاري أن النبي، ﷺ، قال «سنوابهم سنة أهل الكتاب» كما استدلوا بأخذ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، الجزية منهم، واستدلوا بغير ذلك من الأدلة التي رد عليها الجمهور.

ويذكر الشهرستاني في **الملل والنحل** أنهم أصحاب شبهة كتاب، كما يذكر: أن مسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين: إحداهما: بيان امتزاج النور بالظلمة.
الثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادًا.

ومن الديانات الهندية انتقل إلى المجوس القول بتناسخ الأرواح* ، الذي أصبح من لوازمه عندهم الاعتقاد في عدم انقطاع النبوة* والرسالة* ـ راجع تناسخ الأرواح ـ.

ونتيجة لقرب بعض القبائل العربية من الدولة الساسانية الفارسية المجوسية التي ظلت قائمة في بلاد فارس حتى الفتح الإسلامي، أو نيتجة للاحتكاك المباشر من بعض هذه القبائل بالدولة الساسانية، فقد تعرفت على المجوسية وتأثرت بها، وبخاصة ما كان منها في البحرين، واليمن، وعمان، كما ظلت المجوسية منتشرة وبيوت النار قائمة في كرمان وسجستان وخراسان وجبال أذربيجان وأرمينية حتى الخلافة* العباسية، مما كان له أثره البالغ في ظهور الحركات* الباطنية وانطلاقها من هذه المناطق بالذات، إذ اعتنق عدد من الموالي الفرس الإسلام متسترين برداء التشيع وحب آل البيت، رغبة منهم في الكيد للإسلام. يقول فون كريمر «ومع أن كثيرين منهم كانوا يتظاهرون بالإسلام إلا أنهم كانوا في قرارة نفوسهم مخلصين لمعتقداتهم الدينية القديمة، وقبلوا الإسلام ظاهريًّا فقط مع تعلقهم بدين آبائهم».

وبتعدد مذاهب* المجوس (الزرادشتية والمانوية والمزدكية) تعددت آثارهم السيئة على الأمة الإسلامية وسيرتها الحضارية، فقد تشبعت السبأية بأفكارهم، وحاولت الخرمية البابكية تجديدها، كما ظهرت في آراء الحركات* الباطنية* كافة، حتى البابية والبهائية منها. ويلخص الدكتور يحيى هاشم في كتاب **عوامل وأهداف نشأة علم الكلام الآثار السيئة للمجوس** بقوله:

«كان تأثير المجوسية في غلاة الشيعة* بصفة خاصة، في عقائد الرجعة والتناسخ* والتنبؤ بالمستقبل، وادعاء النبوة* وادعاء الألوهية ـ ما يعرف بعقيدة التجسد أو الحلول* الإلهي في الجسد الإنساني، كما عند الدروز، وقديمًا عند السبئية*». ص ١٩٣.

المحق: أحد المصطلحات* الصوفية التي يعرفها الجرجاني في التعريفات بقوله: «فناء* وجود العبد في ذات الحق تعالى، كما أن المحو فناء أفعاله في فعل الحق، والطمس فناء الصفات في صفات الحق» ـ راجع الفناء ـ.

المحو: وعكسه الإثبات أحد المصطلحات الصوفية التي يعرفها الجرجاني: «بأنها رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله، ويحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكر من الخمر» ـ راجع السكر ـ.

مخضرم: اصطلاح يطلق على من شهد فترتين مختلفتين، فأطلق على الشعراء الذين

عاشوا في الجاهلية* والإسلام، والشعراء الذين شهدوا الدولتين الأموية والعباسية، ولكنه أشهر في الأولين. ومن الشعراء المخضرمين: لبيد وكعب بن زهير والحطيئة. ولذا يطلق لفظ المخضرم بوجه عام ويقصد به الشخص صاحب الخبرة الطويلة في موضوع ما.

المذهب: هو مجموعة الآراء والأفكار التي يراها أو يعتقدها إنسان ما حول عدد من القضايا العلمية والسلوكية.

المذهب الإرادي: الإرادية منهج فكري يؤكد على الإرادة وعلى أهمية الخيار الفردي في اتخاذ القرار «العامل الذاتي»، وبالتالي يقلل من أثر العوامل الخيارية «العامل الموضوعي».

والإرادية نقيض الحتمية* التي تعتبر أن للعوامل الخارجية الدور الأساسي في التصرف الإنساني، وتستبعد الإرادة من أن تكون عاملاً سببيًا في التجربة الفردية الاجتماعية.

وتعد النظرة البرجماتية «الذرائعية» للمعرفة كظاهرة تخضع للعمل، وكذلك نظرتها للمفاهيم كأدوات لتلبية الرغبات الإنسانية نظرة إرادية ومشجعة على تنمية الإرادة الفردية.

وقد حض الإسلام على أن يكون المسلم ذا إرادة مستقلة، لا تخضع إلا للتوجيه الرباني، والصالح من القول والعمل.

المذهب الاشتراكي: مذهب* اقتصادي وسياسي تبلور في أعقاب الثورة الصناعية، يعارض النظام الرأسمالي الذي يقوم على الملكية الفردية والمشروع الخاص، ويهدف إلى إشراك المجتمع في ملكية عوامل الإنتاج. وقد شهد القرن التاسع عشر عددًا ضخمًا من المفكرين الذين يصفون أنفسهم أو يصفهم غيرهم بالاشتراكية، ولا رابط بينهم إلا الضيق بالنظام الرأسمالي، والرغبة في إقامة مجتمع مغاير، ولكنهم يختلفون فيما عدا ذلك، فهذا يميل إلى التعاونية، وذاك يود اختفاء نظام الإرث، وثالث يرمي تبعة المظالم على النقود والربح، والرابع لا يرى خلاصًا إلا بإلغاء الملكية الفردية. ومن هؤلاء: سان سيمون، ولويس بلان، وروبرت أدين، وفوربيه، وماركس الذي انتقدهم ووصف أفكارهم بالاشتراكية الخيالية، وقدم مشروعًا للاشتراكية باسم الاشتراكية العلمية أو الماركسية. ولكن

ما لبث أن ظهرت تيارات معارضة لها مثل الاشتراكية التطورية أو الديمقراطية، وأيضًا، الاشتراكية النقابية.

المذهب الحسي: هو أحد المذاهب المادية* الإلحادية* التي تقوم على أن المعرفة الحقة هي المقصورة على ما يبدو للشعور بأعراض محسوسة، وأن ما يبدو محسوسًا وهم محض، حيث إن الحس في زعم أصحاب هذا المذهب هو المصدر الوحيد لجميع معارفنا، وأن الحواس هي التي تفصل في قيمة هذه المعارف. وهو أحد صور التجريبية ويقابل العقلانية، ومن أشهر القائلين به هوبز وكونداياك وهيوم.

المذهب الطبيعي: في الفلسفة* إحدى المحاولات التي ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي لتفسير نشأة الدين*، وترتبط خاصة باسم ماكس موللر الذي يرى أن الظواهر الطبيعية تدفع العقل البشري للتفكير في قوة اللامتناهي والإحساس بوجوده. على عكس مذهب إحياء المادة يحاول المذهب* الطبيعي استخراج الاعتقاد من الكائنات الخارقة للطبيعة*، ومن الأحاسيس التي تثيرها في النفس مظاهر الطبيعية المختلفة.

مذهب المشيئة الواحدة: قول ظهر في القرن السابع الميلادي، ذهب إلى أن المسيح* له طبيعتان تعملان بإرادة واحدة، فكان هذا الرأي حلاً وسطًا بين الأرثوذكسية والمونوفيزيتية، وقد أيده هرقليوس الأول لكنه لم يعمر طويلاً بعد أن استنكره مجمع القسطنطينية الثالث عام ٦٨٠م.

مذهب الميكانيكية: يفسر ظواهر الكون والحياة بالحركات الآلية التي تسير وفقًا لقوانين ضرورية. وهو يقابل المذهب الغائي*، ومذهب إحياء المادة؛ لأنه يستبعد تدخل أية قوة خارجية في حوادث الطبيعة*. وواضح أن هذا مذهب إلحادي* يكتفي بالظواهر ولا يتجاوزها إلى الأسباب التي هي من أمر الله، وتحت تصرفه سبحانه وتعالى.

المرجئة: هي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، ذات المفاهيم والآراء العقدية الخاطئة في مفهوم الإيمان، والتي لم يعد لها كيان واحد، إذ انتشرت مقالتهم في كثير من الفرق. فمنهم من يقول: إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب فقط، وبعضهم يقصره

على قول اللسان، والبعض الآخر يكتفي في تعريفه بأنه التصديق، وغالى آخرون منهم فقالوا إنه المعرفة.

وأول من قال بالإرجاء ذر بن عبدالله المذحجي، ثم تابعه غيلان الدمشقي والجعد بن درهم. وقيل إنه الحسن بن محمد بن الحنفية، ولكنه ما أخر العمل عن الإيمان، ولكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لا يكفر، وقيل إن أول من وضع الإرجاء هو أبو سلت السمان (ت ١٥٢ هـ) والله أعلم. ويمكن إجمال الفرق المتأثرة بالإرجاء في التالي:

- من قال إن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، وهم مرجئة الفقهاء أبو حنيفة وأصحابه - يرحمهم الله تعالى - وبالتالي أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان، مما أنشأ عندهم عدم القول بالزيادة والنقصان، وعدم الاستثناء في الإيمان، مع اعتبار الأوائل منهم لأهمية الأعمال، إذ عدوها من لوازم الإيمان، ورتبوا على الإخلال بها الوعيد، وعلى العمل بها الزيادة في الثواب، وذلك على عكس المتأخرين منهم الذين تساهلوا في لوازم دخول الأعمال في مسمى الإيمان من ولاء* وبراء* وتحقيق للوعيد وإنكار المنكر، وبالجملة فإن هذا النوع هو أخف أنواع الإرجاء.

- من قال إن الإيمان باللسان فقط وهم الكرامية، وبالتالي فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان مع قولهم إنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله تعالى به.

- من قال إن الإيمان هو التصديق، وهو أبو منصور الماتريدي ومن وافقه من الأشاعرة، وعليه فإن أبا طالب عم النبي* ، ﷺ ، عندهم يكون مؤمنًا كامل الإيمان!

- من غالى منهم وقال إنه المعرفة وهو قول الجهم بن صفوان - راجع الجهمية - ومن وافقه، ويلزم من قولهم هذا أن إبليس وفرعون - لعنهما الله تعالى - كانا مؤمنين كاملي الإيمان، وأن معنى الكفر* عندهم هو الجهل بالرب تعالى فقط، وهذا النوع أشد أنواع الإرجاء وأخطرها.

- أما أهل السنة والجماعة* فإن الإيمان عندهم تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ولا يخفى ما ولده الإرجاء من لوازم تركت آثارًا مدمرة على مسيرة الأمة الإسلامية ونهضتها الحضارية.

وقد أورد اللالكائي في **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه قال: «اتقوا الإرجاء فإنه شعبة من النصرانية»، وقد ورد في رسائل **يعقوب** أنه قال لبولس ـ المؤسس الحقيقي للنصرانية المحرفة ـ حينما أراد أن يدعو إلى الاكتفاء بالإيمان وحده بدون الأعمال بزعم ترغيب الأمميين* في الدخول في النصرانية، فرد عليه يعقوب ـ أخو المسيح* حسب قول الأناجيل ـ «هل تريد أن تُعَلِّمَ أيها الإنسانُ الباطلَ، إن الإيمان بدون أعمال ميت، ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال، إذ قدم إسحق ابنه على المذبح، فترى أن الإيمان عمل من أعماله، وبالأعمال أكمل الإيمان، وتمّ الكتاب القائل: فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًّا، ودعي خليل الله، ترون إذن أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده» ٢: ٢١ـ٢٤، وعلى الرغم من هذا أصر بولس على دعواه وأخذ يدعو إلى الاكتفاء بالإيمان وحده دون الأعمال لتحقيق مسمى الإيمان فيقول في رسالته إلى أهل غلاطية: «آمنا نحن، أيضًا، بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما». غلاطية ٢: ٦ .

المسيح: معناه الصديق؛ وأصله في العبرانية «هاما شيح». وفي الآرامية ماشيح. وفي اليونانية «مسيح»، وهي الآن «مسيا» ومعناه المبارك. والمسح في كتابهم المقدس معناه صب الزيت أو الدهن على الشخص لتكريسه لخدمة دينية أو دنيوية. وكان اليهود يمسحون الكهنة* والملوك والأنبياء* لتخصيصهم لعملهم المهم، وهو دعوة الناس إلى الحق، وكانوا يسمون مسحاء كما في سفر **الملوك الأول** ١٦ـ٢٢، وكانت تمسح الأشياء بزيت لتخصيصها لخدمة الله، كما مسح يعقوب، عليه الصلاة والسلام، العمود في قرية بيت آيل أو الخيمة والأواني المقدسة، كما في سفر **التكوين** ٣١ـ٣٣ **والخروج** ٢٦ـ ٢٨ .

وأطلقه اليهود على كورش الوثني* عندما خلصهم من الأسر البابلي، كما أطلقه اليهود على النبي المنتظر عندهم، وقالوا إنه «المسيح» بالألف واللام ليوهموا الناس أنه آت منهم لا من بني إسماعيل، وظلوا ينتظرونه إلى زمن عيسى، عليه الصلاة والسلام، وعندما سئلوا عنه، هل هو المسيح قالوا لهم إنه ليس هو «المسيح» بل هو «مسيح» كسائر المسحاء. ومازال اليهود إلى اليوم ينتظرون مسيحهم الذي من نسل داود، عليه الصلاة والسلام، لابسًا تاجه

المرصع باليواقيت شاهرًا سيفه ليقيم لهم دولة تحكم العالم في فلسطين، بانيًا لهم في زعمهم هيكلهم المهدوم، ولذلك جعلوا لظهوره علامات منها تجمعهم في الأرض المقدسة ليحارب بهم مخالفيهم، وينتقم لهم منهم. وقد اختلف حاخامات اليهود في مدة حكم المسيح فمنهم من قال أربعين عامًا. ومنهم من قال سبعين. وقيل غير ذلك، يقول جوزيف باركلي في كتابه الأدب العبري: «إن قضية المسيح هي من أهم قضايا اليهود على الإطلاق» وعلى كلٍّ فما مسيح اليهود إلا المسيح الدجال الذي سيقتله عيسى ابن مريم في القدس كما نبأت به أحاديث المصطفى، ﷺ، من أنه سيظهر في آخر الزمان. وقد لقب عيسى ابن مريم بالمسيح لصدقه أو لأنه كان سائحًا في الأرض، أو لأنه يمسح المريض فيبرأ بإذن الله، أو لأن زكريا مسحه بزيت البركة. وقد لقب به في **القرآن الكريم** ١١ مرة منها ٣ مرات مقرونًا باسم عيسى، عليه الصلاة والسلام.

المسيحيون: أطلق هذا الاسم مسيحي Christian للدلالة على معتنقي عقيدة ألوهية المسيح التي أقرت في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وذلك في مقابل المسلمين ـ الموحدين من النصارى الأوائل ـ المنكرين لألوهية المسيح* المؤمنين بنبوته* وبشريته. وظهر لأول مرة في أنطاكية في القرن الثالث الميلادي في المجلس الذي عقد بمدينة نيس، أما إذا أرادوا منها أنهم أتباع المسيح فلم يكن أتباع المسيح، عليه الصلاة والسلام، يقال لهم مسيحيون بل هم أنصار وحواريون وتلاميذ مسلمون. فهذه النسبة للمسيح لا تصح؛ لأنهم لو كانوا مسيحيين حقًّا لآمنوا به بشرًا رسولاً، وآمنوا بمن بشر به من بعده. يقول الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز: معنى مسيحي نسبة إلى المسيح ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، وهم يزعمون أنهم ينتسبون إليه، وهو بريء منهم، وقد كذبوا فإنه لم يقل لهم إنه ابن الله، ولكن قال عبدالله ورسوله. فالأولى أن يقال لهم نصارى كما سماهم الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣] **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة** ٥/ ٤١٦. ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «هي نسبة يكذبها الواقع، لأنهم كفروا ببشارة المسيح، عليه الصلاة والسلام، بالإيمان بمحمد، ﷺ،

وكفرهم به كفر بعيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام». والشيء بالشيء يذكر فإن تسمية اليهود بالإسرائيليين لا تصح، يقول الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد في **معجم المناهي اللفظية** تحت مادة «إسرائيليون»: (للشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رسالة باسم: «الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من التبديل» فيها تحقيق بالغ بأن «يهود» انفصلوا بكفرهم عن بني إسرائيل زمن بني إسرائيل، كانفصال إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، عن أبيه آزر، والكفر يقطع الموالاة بين المسلمين والكافرين، وكما في قصة نوح مع ابنه، ولهذا فإن الفضائل التي كانت لبني إسرائيل ليس ليهود منها شيء، ولهذا فإن إطلاق اسم بني إسرائيل على «يهود» يكسبهم فضائل ويحجب عنهم رذائل، فيزول التمييز بين بني إسرائيل وبين «يهود» المغضوب عليهم، الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة. كما لا يجوز إبدال اسم المسيحيين بالنصارى نسبة إلى أتباع المسيح، عليه الصلاة والسلام. . إن «يهود» علم على من لم يؤمن بموسى، عليه الصلاة والسلام، فأما من آمن به فهم «بنو إسرائيل» ولهذا فهم يشمئزون من تسميتهم بهذا «يهود») ص ٩٤٠ .

مشيخي: المشيخة نظام كنسي بروتستانتي ترتكز السلطة فيه على سلسلة مجالس من الشيوخ العلمانيين ورجال الإكليروس* ويدير فيها الشيوخ شؤون الكنيسة* الروحية، بينما يهتم الأمناء والشماسة* بالأمور الزمنية.

وللطائفة المشيخية مجلس يسمى مجمعًا يليه السنودس، أما المجمع الأعلى فهو المرجع الأعلى في هذا التنظيم، وله سلطة الإشراف على الطائفة، ورئيس المجمع هو المدير العام. والكنائس* المشيخية وريثة النظم الكلفينية في العقيدة والنظام، فهي تنزع إلى الشكل البسيط من العبادة، وتعزف عن الطقوس المنمقة. وبالجملة فإن هذا النظام وسط بين النظام الكنسي الجمهوري والنظام الأسقفي* .

ومن عقائد الكنيسة المشيخية أن الكتاب المقدس هو المقياس الوحيد للإنسان، وأن هناك سرين فقط من الأسرار المقدسة هما: المعمودية* والعشاء الرباني* وفي القرن السادس عشر الميلادي قويت المشيخية في إنجلترا، وبوجه أخص في أسكتلندا وشمال إيرلندا، كما توجد عدة كنائس مشيخية في الولايات المتحدة الأمريكية.

المصلحة المرسلة: هي المصلحة الحقيقية التي تحفظ النفس والدين* والعقل* والمال، إن لم يرد بها نص شرعي أي في الوقائع المسكوت عليها، وتكون لتحقيق مصلحة أو دفع مفسدة.

ولا تكون المصلحة المرسلة إلا في المعاملات، إذ إن العبادات توقيفية والزيادة عليها ابتداع في الدين ـ راجع البدعة ـ وقد وضع المالكية عدة شروط للعمل بالمصلحة المرسلة وهي:

أولاً: أن تكون ملائمة لمقاصد الشرع، فلا تخالف أصلاً من أصوله، ولا تنافي دليلاً من أدلة أحكامه.

ثانيًا: أن تكون معقولة بذاتها، بحيث تتقبلها العقول السليمة.

ثالثًا: أن يكون الأخذ بها لحفظ ضروري، أو لرفع حرج سواء لاحق للأمور الضرورية أو الأمور الحاجية. وأضاف الدكتور عبدالكريم زيدان في **الوجيز في أصول الفقه** شرطين آخرين وهما:

«أن تكون المصلحة التي تترتب على تشريع الحكم حقيقية لا وهمية. وأن تكون عامة لا خاصة». ص ٢٤٢.

ويذكر ابن القيم في **الطرق الحكمية** عدة أمثلة على المصالح المرسلة منها: «جمع صحف القرآن الكريم في مصحف واحد، وتضمين الصناع ما يهلك تحت أيديهم من أموال الناس، وقتل الجماعة بالواحد...» ص ١٤، أخذ بالمصالح المرسلة كل من المالكية والحنابلة والزيدية واعتبروها حجة شرعية ومصدرًا من مصادر التشريع، ويمكن ردها إلى مصلحة أقرها الشرع، بينما أنكرها الإمام الشافعي. وأخذ بها الغزالي بشرط أن تكون ضرورية قطعية كلية، وأدخلها الأحناف في الاستحسان.

المطران: هو رئيس ديني عند النصارى، وهو دون البطريرك* وفوق الأسقف*، يقول الفريد. ج. تبلر في **الكنائس القبطية القديمة** «يوجد تحت ولاية البطريرك القبطي أربعة مطارنة أو رؤساء أساقفة هم مطارنة الأسكندرية والمنوفية أو ممفيس وأورشليم والحبشة. ويتم رسامة ـ تعيين من خلال طقس معين ـ هؤلاء المطارنة بيد البطريرك» ج ٢ ص ٢٤٣.

المعجزة: أمر خارق للعادة يدعو إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة* ، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول* من الله. وقد اختلفت معجزات الرسل حسب اختلاف أزمان بعثاتهم، وما تميز به من بعثوا إليهم من علم وإنجاز حضاري. فقد اشتهر المصريون في زمن موسى بالسحر فكانت إحدى معجزات موسى، عليه الصلاة والسلام، أن تفوق على أعظم السحرة، ومهر الرومان بالطب فكانت بعض معجزات عيسى، عليه الصلاة والسلام، إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، واشتهر العرب بالفصاحة والشعر فكان القرآن معجزة محمد، ﷺ ، مسكتًا لكل الفصحاء في كل زمان ومكان. وقد كانت المعجزات السابقة للقرآن وقتية يراها معاصروها فقط، أما القرآن الكريم فقد حفظه الله ليراه ويكتشف إعجازه كل من يرغب في البحث عن الحقيقة والهداية إلى قيام الساعة.

يضاف إلى ذلك معجزاته ونبوءاته، ﷺ ، المتعددة، منها ما ورد في القرآن الكريم على لسانه، ﷺ ، عن انتصار إمبراطورية الرومان خلال بضع سنين بعد هزيمتها على أيدي الفرس، أو انشقاق القمر له، وكذلك إسراؤه ومعراجه، ﷺ ، إلى السموات العلى، غير تسبيح الحصى بين يديه وتكثير الماء من بين أصابعه وغير ذلك رغم أنف صاحبي مقال «الإسلام» في **دائرة المعارف البريطانية**، ومقال «محمد» في دائرة المعارف الأمريكية اللذين حاولا التضليل تارة والتشويش أخرى بقصد الطعن في نبوته، ﷺ ، وذلك بادعاء أنه لم يكن له، ﷺ ، معجزة سوى القرآن الكريم فقط، أو بالخلط بين ما ثبت وما لم يثبت من معجزاته، ﷺ .

وقد تطلق المعجزة فيراد بها أي أمر خارق للعادة، وقد فرق علماء الإسلام بين أنواع الأمور الخارقة للعادة وأعطوها الأسماء الخاصة بها من معجزة وكرامة* واستدراج، وذلك بحسب من تصدر منه هذه الأمور الخارقة للعادة، أما عن الموقف من المعجزة، فقد وافق علماء الأشاعرة المعتزلة في القول بأن إثبات النبوات لا يكون إلا عن طريق المعجزة فقط، بينما يرى جمهور أهل السنة والجماعة أن دلائل النبوة كثيرة منها المعجزة.

معمدانيون: طائفة مسيحية* بروتستانتية يعتقد أتباعها بأن المعمودية* هي للمؤمنين فقط، وأنها تتم عن طريق التغطيس بالماء. وأسس جون سميث أول طائفة معمدانية إنجليزية بأمستردام ١٦٠٨م، وتأسست أول فرقة منهم في لندن ١٦١١م، وأسس أول كنيسة* معمدانية

أمريكية روجر وليامز ١٦٣٩م في مدينة بروفيدانس .

والكنائس المعمدانية كنائس جمهورية في نظامها، ولها مجامع عامة غير حاكمة، إلا أنه ظهرت في أواخر القرن السادس عشر طائفة تؤمن بنفس المعتقدات لكنها تقدس اليوم السابع على اعتبار أنه يوم السبت* .

وتشكلت أول كنيسة معمدانية سبتية في أمريكا سنة ١٦٧١م في ولاية رودآيلند، وأسس المعمدانيون السبتيون* الألمان بقيادة يوهان كزاد بايسل في مدينة أفرانا بولاية بنسلفانيا ٢٧٨ـ١٧٣٣م جمعية* دينية ذات نظم شبيهة بالرهبنة .

المفاصلة الشعورية: ويقصد بها العزلة القلبية، ويمكن تلخيص معناها في أن المقصود بها : إظهار ذلك الاعتقاد السائد في مجتمع ما لضرورة تلزم مراعاة ذلك، بغية عدم الإثارة ولفت الانتباه، مع مخالفة القلب لما عليه المجتمع من الاعتقاد والعمل . والأصل أن أمر العزلة الشرعية كما بينها العلماء أمر نسبي يختلف حكمها باختلاف الأزمان والأمكنة، بل الأشخاص أحيانًا، كما دلت على ذلك نصوص السنة المطهرة، يقول أبو حامد الغزالي ـ يرحمه الله تعالى ـ في كتابه **إحياء علوم الدين** «إياك أن تحكم مطلقًا على العزلة أو الخلطة بأن إحداهما أولى، إذ كل فصل، فإطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض . ولا حق في المفصل إلا التفصيل» ج ٢ص ٢٣٢ .

والعزلة القلبية أو المفاصلة الشعورية بالمعنى السابق ذكره تعد من صور التقية* المشروعة إذا التزمت شروطها ـ راجع التقية ـ وذلك بشرط ألا تكون تلك العزلة بسبب غير مشروع، وألا يترتب عليها تعطيل للواجبات الشرعية أو تضييع للحقوق . وقديمًا انحرفت الأباضية بالعزلة القلبية عن المفهوم السابق بيانه، وذلك بسبب عدم التزامهم بالشرط الأول، فقد طبقت مبدأ العزلة القلبية بين المسلمين في البصرة بأمر إمام دعوتهم زمن الخلافة الأموية أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، نتيجة لاعتقادهم كفر مخالفيهم من المسلمين سواءً قالوا بأنه كفر نعمة أو كفر إشراك فالمحصلة واحدة في التزام ذلك المبدأ .

وفي العصر الحديث التزمت شرذمة من أهل الغلو ـ بعض جماعات التكفير والتوقف

والتبين ـ بهذا المفهوم المنحرف للعزلة القلبية، وقد زاد غلوهم، غلو الأباضية بزعمهم مكية المرحلة، وأن هذا العصر هو عصر استضعاف، قائلين بلوازم ذلك من الحكم بجاهلية المجتمعات جاهلية عامة ـ راجع الجاهلية ـ، وبالتالي اعتقدوا كفر أصحابها، أو التوقف فيهم، وعلى ذلك فإنهم يصلون خلف الأئمة من المسلمين شكلاً، مع إضمار نية الانفراد، وفي الوقت نفسه يحرصون على استمرار علاقاتهم الاجتماعية المختلفة مع المجتمع، مستبيحين في ذلك الكذب تقية في الظاهر مع مفاصلته في الباطن. وقد أوقعهم اعتقادهم هذا في عدة مخالفات شرعية، إذ كفروا من لم يقم الدليل الشرعي على كفره بالرغم من النهي الوارد عن ذلك، وهذا الأصل أصل باطل ببطلان الأصل الذي ألزمهم ذلك ألا وهو القول بمكية المرحلة، وبالإضافة إلى بطلانه فإنه يلزمهم بما يخرجهم هم أنفسهم من الدين* بالكلية إن التزموه: كترك الصلاة والصيام وغيرهما من الفرائض وكذلك استحلال كل ما قد نزل تحريمه في العهد المدني.

والجدير بالذكر هنا التنويه إلى أن جماعة التكفير، أو كما تدعي هي جماعة المسلمين والمعروفة إعلاميًا بجماعة التكفير والهجرة، لم تقل بمبدأ المفاصلة الشعورية أو السلوكية، وإنما قالت بالمفاصلة الكاملة على قدر الطاقة، وجهد الاستطاعة، وذلك بما لا يضر هدفهم النهائي أو أهدافهم المرحلية. كما صرح بذلك أمير جماعتهم شكري مصطفى في كتابه **الخلافة** ـ انظر الهجرة ـ.

المفهوم المادي للتاريخ: راجع المادية التاريخية

المقال: فن من فنون التأليف الأدبي، يكتب نثرًا* ليعطي أفكار المؤلف ومشاعره في أي موضوع من الموضوعات، ويختلف المقال عن البحث أو الرسالة في كونه موضوعيًا بدرجة أقل، وشخصيًا بدرجة أكبر. استخدم مونتيني الكلمة لأول مرة في مقالاته في القرن الثامن عشر. ويرتبط المقال في الأدب العربي بتاريخ الصحافة وانتشار الصحف، إذ أخذ المقال الصحفي يعالج شتى الموضوعات السياسية والأدبية والاجتماعية والدينية.

ومن أبرز كُتَّاب المقال الأوائل في الأدب العربي الحديث: محمد رشيد رضا، محمد فريد وجدي، محمد كرد علي، المازني، العقاد، طه حسين، وأما من المعاصرين فأكثر من أن يحصوا.

الملامتية: يقصد بهم في المصطلح* الصوفي: الذين لا يظهرون للخلق أعمالاً وأسرارًا بل يخفون أسرارهم لكمال ذوقهم وقوة شهودهم لربهم، وذلك بأن يظهروا ارتكاب المعاصي بحجة عدم لفت الأنظار إلى صلاحهم، بدعوى أن ذلك لن يؤثر على صلاحهم، لأن عروقهم قد تشربت الإخلاص وتحققت بالصدق، فأصبح يستوي المادح والذام لهم من الناس، مع عدم التفكر في اقتضاء ثواب العمل في الآخرة.

الملة: هي جملة الأصول والعقائد التي بلغها كل رسول* أو نبي* إلى قومه خاصة قبل بعثة النبي محمد، ﷺ، وبذلك تضاف إلى النبي والرسول الذي أملاها. قال تعالى ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

الفرق بين الدين* والملة: تطلق الملة على جملة أصول العقيدة، فلا يقال الإيمان بالله ملة مثلاً، ولكن الدين يصح إطلاقه على آحاد الأصول فيقال الإيمان بالله دين، وكذلك على الفروع مجازًا فيقال الصلاة دين.

ويتفقان في عدم الاختلاف في الأصول والأركان، حيث إن عقيدة الأنبياء واحدة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وأيضًا، عدم النسخ لأي ركن من أركان الإيمان منذ أن بعث الله أول الرسل إلى خاتمهم، صلى الله عليهم جميعًا وسلم.

المنطق: هو علم بقوانين التفكير الكلية التي قد تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر، وموضوعه المعلومات التصورية والتصديقية، وغايته الإصابة في الفكر وحفظ الرأي عن الخطأ في النظر، والأمر ليس كذلك، فالمنطق علم وضعي اصطلاحي وليس من الأمور الحقيقية العلمية، بل هو من الأمور الحقيقية الفطرية التي تعلم بما فطر الله تعالى عليها بني آدم من أسباب الإدراك. وعلى ذلك لا يصلح أن يكون ميزانًا للعلوم العقلية، ولا أن يعصم مراعاته الذهن عن الخطأ في الفكر، وقد قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه **الرد على المنطقيين** ص ٢٦، ٢٧. وعلى الرغم من بعض الجوانب الإيجابية في المنطق إلا أنه يصدق

أيضاً، قول ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ «هو مما لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد»، حيث إنه لو لم يترجمه المسلمون لكانوا في غنى عنه، كما استغنى عنه سلفهم الصالح. وأول من دوَّن المنطق وجمعه وهذب طرقه الفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس معلم الإسكندر المقدوني، وقد كان قبل المسيح* بثلاثمائة سنة، وسمي بالمعلم الأول، وعلى يد أحد تلاميذ الأفلاطونية الحديثة فورفوريوس الصوري أضيفت إلى المنطق مقدمة سماها المدخل إلى المنطق وهي الكليات الخمس المعروفة بـ «إيساغوجي»، ومن الإسكندرية انتقل المنطق ضمن العلوم الفلسفية إلى الرها، ونصيبين، وحران وغيرهما، ثم هذب المنطق محمد بن محمد أبو نصر الفارابي ٣٣٩هـ المسمى بالمعلم الثاني. ويقال إن عبدالله بن المقفع أول من ترجم كتب المنطق الأرسطي، بما فيها مقدمة فورفوريوس، بأمر من الخليفة العباسي المنصور.

وقد أقام ابن تيمية منطقًا يستمد دعائمه من القرآن الكريم والسنة النبوية، قال عنه الأستاذ سامي النشار: «ولو أن الدراسات المنطقية سارت على ما سار عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بدلاً من الشروح والنقول، لكان لهذا المنطق الآن مكانة أخرى». وقد اختلف علماء الإسلام في المنطق وحكم تعلمه بين محبذ كأبي حامد الغزالي ـ يرحمه الله تعالى ـ الذي جعله أحد شروط الاجتهاد وقال: من لا علم له بالمنطق لا ثقة في علومه. وعلى العكس من ذلك يقول الإمام السيوطي في **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام**: «وأخرج الهروي عن طريق عبدالرحمن بن مهدي قال: دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن، فقال: لعلك من أصحاب عمر بن عبيد، لعن الله عمر، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام. ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل» ثم يعقب السيوطي بقوله: «هذا النص من مالك يصرح بالعلة في تحريم الكلام كما تقدم عن الشافعي، واعتمدها ابن الصلاح في المنطق، وكذا سائر أئمة المسلمين، والذين نصوا على تحريم علم الكلام، وعللوه بكون السلف لم يتكلموا فيه، فيخرج على أصولهم تحريم المنطق لوجود هذه العلة فيه» ص٣٠٣ ـ راجع علم الكلام ـ. ويفصّل ابن تيمية القول في المنطق وأهله فيقول: «وأما هو في نفسه ـ المنطق ـ فبعضه حق، وبعضه باطل، والحق الذي فيه كثير منه أو أكثره لا يحتاج إليه منه فأكثر الفطر السليمة تستقل به...». **مجموع الفتاوى ٩/ ٢٦٩**.

ويقول: «لهم في الطبيعيات كلام غالبه جيد، وهو كلام كثير واسع، ولهم عقول عرفوا بها ذلك، وهم يقصدون الحق، لا يظهر عليهم العناد، لكنهم جهال به ـ العلم الإلهي ـ إلى الغاية، ليس عندهم منه إلا قليل كثير الخطأ». **الرد على المنطقيين** ص١٤٣. ولا شك أن المنطق من طرق التفكير المفيدة، ولكنه محدود بحدود العقل البشري، وتطبيقه على الشرائع والمعتقدات استعمال له في غير محله، مما قد يقود إلى الضلال. ولذا فالأمور الشرعية تؤخذ من النصوص الشرعية فقط.

المنهج: هو الطريق أو مجموعة الأصول والقواعد التي يُجْتَمَعُ عليها لضبط الآراء والمسيرة ووضع الأحكام واتخاذ المواقف.

منواسمرتي «قوانين منوسشتر»: هي بعض ماتبقى من مجموعة الكتب الفقهية للديانة* الهندوسية المعروفة باسم دهرم شاسترا. ومعنى منواسمرتي أي شريعة منو أو مذكرات منو الذي اختلفت فيه أقوال الهندوس اختلافًا كثيرًا، ويشتمل كتابه هذا على ٢٦٩٤ بيتًا ضمنها الحديث عن خلق العالم وكيفية وجود الحياة في الكون وحدوث القيامة وفناء العالم نهائيًا، كما يتحدث عن أحكام النكاح وأقسامه، وأيضًا، لزوم الانقياد لأحكام الفيدانت والتحذير من الأعمال السيئة، كما يتحدث عن أحكام السلطان وقانون العقوبات، ولا ينسى أن يتحدث كذلك عن طبقات المجتمع الهندوسي ووظائفها، وكيفية الحصول على النرفانا* . وتعترف هذه المذكرات بألوهية برهما* وحده، وتعده موحد الكون ومعدمه، في حين لا تذكر الإلهين الآخرين فشنو* وسيفا* كما هو مذكور في كتب الفيدا المقدسة عند الهندوس. ولذلك يرجح بعض الباحثين أن هذه العقيدة ـ تأليه فشنو وسيفا ـ ظهرت في الدور الثاني للديانة* الهندوسية، وهو دور الكهنة* البراهميين ـ راجع الكاهن ـ.

موسوعة: يقصد بها دائرة معارف أو معلمة، وهي كل مؤلَّف يجمع بين دفتيه من الحقائق والمعلومات العامة بصورة مختصرة أو موسعة، إما في جميع ميادين المعرفة، وإما أن تشتمل على فرع من فروعها.

يذكر الدكتور بكر أبو زيد في هامش كتابه **فقه النوازل**: «أن اللفظ المعبر عن موضوع الموسوعة والمراد منها بوضوح وسلامة مبنى هو معلمة. أما لفظ الموسوعة فهو اصطلاح*

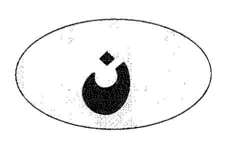
حادث قريب العهد في صدر القرن الثالث عشر»، وينقل عن **مجلة الأزهر**: «**لواء الإسلام** ٢٦/ ١١٥٨» عن سبب التسمية بالموسوعة قصة طريفة وقعت على لسان أحد الأعجميين فيقول: «لطاش كبرى زاده كتاب باسم: موضوعات العلوم، ولما كانت إحدى مكتبات القسطنطينية، تدون فهرسًا لمحتوياتها. أملى أحد موظفيها اسم هذا الكتاب على أحد موظفي المكتبة بلفظ «موضوعات» العلوم، لأن الأعاجم يلفظون: الضاد بقريب من لفظ: الظاء. فسمع الكاتب الضاد: سينًا. فكتب اسم الكتاب «**موسوعات العلوم**» وسمع... إبراهيم اليازجي صاحب مجلة «الضياء» باسم هذا الكتاب وموضوعه فخيل إليه أن كلمة «موسوعات» تؤدي معنى «دائرة معارف» فأعلن ذلك في مجلته. وأخذ به: أحمد زكي باشا وغيره. فشاعت كلمة موسوعة. وموسوعات. ولهذا النوع من الكتب. وهي تسمية مبنية على الخطأ كما رأيت وكان العلامة أحمد تيمور باشا. والكرملي، وغيرهما يرون تسمية دائرة المعارف باسم: معلمة لأنه أصح، وأرشق، وأدل على المراد منه... اهـ» ج ٢ ص ١/ ١٠٤، ١٠٥..

ميتافيزيقا: فرع من الفلسفة* يبحث عن الحقيقة الأولية للوجود، سماها أرسطو الفلسفة الأولى، وهي البحث في الوجود من حيث هو كذلك. وموضوعها هو ما يتجاوز الخبرة، كما يبحث في ماهية الإله* والعالم والإنسان، وفيما وراء الطبيعة والحس. هاجمتها المذاهب* التجريبية والمادية* الوضعية الحديثة.

وهي عند الكندي مبحث الربوبية والفلسفة* الأولى، وعند ابن سينا العلم الإلهي، وعند ديكارت المبادىء الأولى التي بها تفسر الوجود...، وأما كانت فيراها تحليلاً للقضايا العلمية ينتهي إلى المبادىء والمقولات التي لابد من فرضها لتفسير المعرفة.

وللإسلام نظرة واضحة وشمولية عن عالم الغيب ـ فيما وراء الحس ـ ومتسقة مع النتائج الصحيحة التي يسلم بها العقل السليم، ولا يوجد بها التناقضات التي وجدت في التعريف الفلسفي للميتافيزيقا. فالإسلام يرى أن وجود ما وراء الحس حق؛ لأنه يتمثل في الله سبحانه وتعالى، وما أخبر به من موجودات غير مرئية من خلال ما أخبر به تعالى في كتابه الكريم، أو أخبر به النبي* ، ﷺ. وليس هذا فحسب، بل يأمر البشر بأن يصدقوا بذلك

تصديقًا يقينيًّا، ويقيم لهم الدلائل التي تعينهم على الوصول في هذه الأمور إلى اليقين. وبذلك يفرق الإسلام بين نوعين من المعرفة: نوع «فيما وراء الحس» لا تجدي فيه الحواس نفعًا، ونـوع آخر لا يصلح له إلا استعمال الحواس إلى جانب العقل* ، وهي «علوم الطبيعة»* .



الناسك: هو من يعيش وحده في خلوة خاصة تقشفًا. والنسَّاك معروفون في مختلف الديانات. والتنسُّك الوقتي من الأمور الشائعة التي تمهد لبعض المراسم الدينية، أما التنسُّك الدائم فكان منتشرًا كما في الرهبنة* المسيحية* القديمة. ومن أشهر النسَّاك آنذاك القديس أنطونيوس المصري والقديس شمعون العمودي، وهناك رهبنات يعيش أفرادها دائمًا نساكًا متوحدين مثل الكارثوسين. ـ راجع الرهبنة ـ.

الناسوت واللاهوت: يعبر هذان المصطلحان عن عقيدة أساسية في المسيحية* مؤداها أن للمسيح* طبيعتين: طبيعة إلهية (اللاهوت) وطبيعة إنسانية (الناسوت)، وأن الكلمة الإلهية (اللاهوت) اتحدت بجسم المسيح واختلطت بناسوته (الجزء الإنساني منه) وصار طبيعة واحدة، وأقنومًا* واحدًا هو الأقنوم الثاني من الثالوث* الأقدس عندهم. وقد عارض هذا الفهم كثير من المسيحيين في الماضي والحاضر. وهذا الفهم وما بُنِيَ عليه باطل من وجهة النظر الإسلامية ـ راجع الابن، التثليث ـ .

النبوة: منحة إلهية خلافًا لقول المعتزلة، إذ يوجبونها، ولا تنال بمجرد التشهي والرغبة، ولا بالمجاهدة والمعاناة، خلافًا لقول الفلاسفة. وقد دلت الآيات القرآنية على ذلك في أكثر من موضع، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف: ٦]، وقال تعالى ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ولا تكون إلا لرجل ذكر من الإنس خلافًا للأشاعرة وابن حزم، إذ يجوزون أن توجد النبوة في النساء.

واختلفت أقوال العلماء في تعريف النبي على أقوال أرجحها، أنه من أمره الله تعالى أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتابًا، أو يوحى إليه بشرع جديد ناسخ أو غير ناسخ.

وقد ذكر الله تعالى منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًا ورسولاً*، وهناك من

أشار إليهم ولم يذكر أسماءهم، ولذلك فإن الإيمان بالأنبياء والرسل المذكورين بما فيهم خاتمهم محمد، ﷺ. أحد أركان الإيمان التي لا يصح الإيمان إلا بها. وقد ظهر في التاريخ الإسلامي متنبئون كذابون ابتداءً من مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي، حتى ميرزا غلام القادياني والباب والبهاء والمتأثرين بنظريات التناسخ والفيض* ووحدة الوجود* بدعوى أن مقام النبوة باقٍ والذي ختم نبوة التشريع فقط.

وقد تأثر بعض الصوفية بمقولات الفلاسفة من أن النبوة مكتسبة عن طريق الرياضة وتصفية القلب، مما دفع أبا حامد الغزالي إلى القول بأنها فيض ينزل على القلب مثل الذي فاض على الأنبياء من قبل، ولا يحصل هذا إلا عن طريق الرياضة وتصفية القلوب. بينما تأثر السهروردي ـ المقتول ردة ـ بقول الباطنية والقرامطة من أن النبوة فيض من العقل الفعال على نفس النبي، وأن ما يقع في نفسه من الصور ما هي إلا ملائكة الله تعالى، وأن ما يسمعه من الأصوات هو كلام الله تعالى، الأمر الذي دفع ـ السهروردي ـ إلى أن يقول: لا أموت حتى يقال لي: قم فأنذر.

والأنبياء في بني إسرائيل كثيرون، فهم قادة إسرائيل الدينيون ولكل منهم سفره* في العهد القديم* . والأصل أنه لا تثبت دعوى النبوة إلا بدليل من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، وفي العهد الجديد يستخدم لفظ «النبوة» للدلالة على القول الصادق الذي يصدر في اعتقادهم عن الوحي* ، فكل من يأتي بأفعال وأقوال صادقة من وعاظهم يكون نبيًا، ولذلك يعتبرون سانت فنست فيرر والقديسة كاترين دي سانت أنبياء. والنبوة عند البروتستانت ضرورية، فهم يعتبرون أمانويل سويدنبرج ويوسف سميث مثالين للأنبياء في ضوء العقيدة البروتستانتية، بل كل رؤساء كنيسة المورمون يعتبرونهم أنبياء.

في الوقت الذي يقول فيه المجوس* بالنبوة إلا أنهم يحصرونها في الفرس فقط، كما يخلطونها بالشعوذة والسحر والدجل والوثنية* ، ومازالت لعقيدتهم في النبوة آثارها بين غلاة الشيعة* مدعي النبوة إلى اليوم ـ راجع التناسخ، المجوس ـ بينما ينكر الهندوس والبوذيون والجينيون النبوة والرسالة* ، إذ يعتقد الهندوس في عقيدة «الإفتار» وهي نزول الرب إلى

الأرض لإصلاح الناس على صورة البشر ـ تعالى الله وتقدس عن كفرهم ـ يقول كرشنا* «من أجل إنقاذ الأبرار وإفناء الأشرار ومن أجل إعادة إقامة شرعة الدين أهبط بنفسي دورة بعد أخرى» وأصبح عدد الإفتارات على ذلك عند الهندوس أربعة وعشرين إفتارًا. وبالتالي فإنهم يؤمنون بألوهية كل مصلح ديني على أنه إفتارًا لله، بينما تأثر السيخ بعقيدة المسلمين في النبوة وبعثة الرسل من البشر، واستمر هذا الأمر عندهم من لدن نانك ١٤٦٩ـ ١٥٣٨م مؤسس السيخية حتى راجمه داس ١٥٦٣ـ١٦٠٦م، إذ أعلن ألوهية كل المصلحين السابقين.

ويحاول أصحاب الاتجاهات العقلية الحديثة، من العلمانيين والمتأثرين بالمذاهب الفلسفية الذين كتبوا في الإسلاميات، الطعن في مقام النبوة، وبخاصة نبوة النبي محمد ﷺ، بإضفاء بعض العبارات الخبيثة بدلاً من مقام النبوة مثل: العبقرية، والبطولة، وبأنه مصلح اجتماعي، ورسول* الحرية*، وداعية الثورة*، مما يختلف مع حقيقة الرسول المؤيد بالوحي، وذلك لسيرهم على مناهج الغرب في تحليل الشخصيات وتحديد مفاهيم البطولة وغيرها.

من المفيد هنا أن نسوق طرفًا من الأدلة الشرعية وكلام العلماء في كفر من ادعى النبوة أو الرسالة* بعد النبي محمد، ﷺ:

يقول الله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧] ويقول جل شأنه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١] ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ ...﴾ الآية[الأنعام: ٩٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي، ﷺ، أنه قال:

«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي»[١].

وعن ثوبان، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ: «إنه سيكون في أمتي كذابون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»[٢] يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ الآية

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٥)، ومسلم (٣/ ١٤٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩) وأحمد (٥/ ٢٧٨).

«يقول تعالى لا أحد أظلم، ولا أعتى ولا أشد جرمًا ممن افترى على الله كذبًا، وتقول على الله، وزعم أن الله أرسله، ولم يكن كذلك، فليس أحد أكبر جرمًا ولا أعظم ظلمًا من هذا» ج ٢ ص ٣٩٢.

يقول القاضي عياض في **الشفا بحقوق المصطفى** «من ادعى نبوة أحد مع نبينا، ﷺ، أو بعده كالعيسوية من اليهود . . . وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل* ، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة عليّ في الرسالة . . . وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والرسالة . . . أو من ادّعى النبوة لنفسه، أو جوز اكتسابها، والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها.

وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى* إليه، وإن لم يدع النبوة . . . فهؤلاء كلهم كفار* مكذبون للنبي، ﷺ ، لأنه أخبر، ﷺ، أنه خاتم التبيين لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل للناس كافة». ج ٢ ص ١٧٠-١٧١.

النثر: القول الصريح أو الكلام المباشر، ويكون النثر في لغة مكتوبة أو منطوقة منطويًا على معنى، وخاضعًا لأصول اللغة، دون أن يستعين بالبناء القائم على التفعيلة أو الوزن الموحد مما هو معروف في فن الشعر* أو النظم. كما يرتفع النثر الفني فوق مستوى الكتابة العادية باستخدام المحسنات البديعية كالسجع والجناس والطباق وغيرها.

والنثر في الأدب هو الأسلوب المتبع في التعبير سواء كان النوع رواية أو قصة قصيرة أو مقالاً أو رسالة أو سيرة وتاريخًا أو موعظة أو خطبة. وتعد مؤلفات هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد من أقدم صور النثر، وفي الأدب العربي القديم تعد مؤلفات ابن المقفع وعبدالحميد الكاتب والجاحظ من أوائل صور النثر الفني وأجودها.

النجباء: إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء* عند الصوفية، يرى البعض منهم أنهم في درجة أعلى من الصالحين، وأقل من النقباء* ، وقيل عددهم أربعون وقيل ثلاثمائة، ويزعمون أن مهمتهم إصلاح شؤون السالكين وحمل أثقالهم، وأنهم المتصرفون في حقوق الخلق لا غير.

النرفانا: كلمة غامضة معناها النجاة، ويعنى بها نجاة الروح التي ظلت على صلاحها

أثناء دورتها التناسخية المتعاقبة، إذ لم تعد في حاجة إلى تناسخ* جديد، وبذلك يحصل لها النجاة من الجولان وتتحد بالخالق الذي صدرت عنه وتفنى فيه. والنرفانا أو الحصول على النجاة من أسمى الأهداف للحياة عند الهندوس والبوذيين. يقول كرشنا: «من يعرف ظهوري وأعمالي التجاوزية لا يولد ثانية عند تركه الجسد في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي».

ويذكر الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي في **فصول من أديان الهند** أنه من ثمرات «النرفانا» فناء الشخصية والاتحاد بالجوهر الذاتي «برم آتما»، ومن هنا جاء إحراق الموتى تخلصًا من الجسم المادي لتعلو الروح إلى العالم العلوي، والنار هي إحدى مظاهر الألوهية «أكني» وهي بدورها تقرب إلى «برميشور» الذات العليا. ولا يتحصل على النرفانا عند البوذية إلا بعد اقتلاع الشهوة اقتلاعًا تامًّا. يقول بوذا في آخر دروسه «الذي يؤمن بالبوذية والجماعة والدين* يحل له النرفانا» بل كان يحث أتباعه على تحصيلها حتى آخر لحظات حياته فيقول في آخر وصاياه «فعليكم أيها التلاميذ مجاهدة النفس جهاد المخلص الجاد للحصول على النرفانا». أما الجينيون فيعتقدون أنه بحصول الأرواح على النرفانا تبلغ درجة الإله* وهذا الأمر يفسر انتشار الرهبنة* في هذه الديانات* . وقد تأثر غلاة المتصوفة أمثال: الحلاج وابن عربي ومن تابعهما بهذه العقيدة الوثنية* الباطلة، التي تلغي اليوم الآخر والثواب والعقاب بالإضافة إلى إلغاء توحيد الله جل وعلا، وقد أظهروا مقالات كفرهم بالقول بالفناء* والاتحاد* ووحدة الوجود* .

النسطورية: دعوة ظهرت في النصرانية في القرن الخامس الميلادي قال بها نسطوريوس بطريك القسطنطينية، حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله، على أنها ولدت فقط الإنسان الذي اتحد مع الأقنوم* الثاني الابن اتحادًا مجازيًّا لا حقيقيًّا فصار بمنزلة الابن، فعارضه كيرلس بطريرك* الإسكندرية ويوحنا بطريرك أنطاكية، وانعقد بسبب ذلك مجمع أفسس عام ٤٣١م، وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن للمسيح* طبيعتين: إلهية، وإنسانية متحدتين في أقنوم واحد، وقوام إلهي واحد، ولذا نفي نسطوريوس وأقام في مصر ببلدة أخميم. وبعد اندثار المذهب بزمان دعا إلى إحيائه برصوما مطران* نصيبين في عهد قباذ

ابن فيروز ملك فارس، ولذلك سميت كنيسة* فارس بالنسطورية، كما يسمى النسطوريون في هذا العصر بالكلدان.

إلا أنهم في الأزمنة المتأخرة انحرفوا عن مقالة نسطور وقالوا بامتزاج اللاهوت* في الناسوت* كما يقول غيرهم في طبيعة المسيح*، عليه الصلاة والسلام، وأن مريم والدة الإنسان والإله*. وإلى اليوم للنسطورية أتباع في إيران والعراق والهند، وطقوسها سريانية شرقية، ولا تختلف عن غيرها من الكنيستين*، إلا أن أساقفتهم* يلتزمون التبتل والامتناع عن الزواج، وذلك منذ عام ١٨٣٠م.

نظام رياسي: نظام سياسي يقوم على حصر السلطة التنفيذية في يد رئيس الدولة ويقوم على الفصل التام بين السلطات، وأهم أركانه:

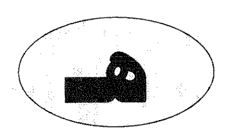
١ـ رئيس دولة منتخب يرأس الحكومة ويمارس سلطاته بنفسه.

٢ـ يختار رئيس وزرائه الذي يختار الوزراء، إذ يجب عليهم تنفيذ السياسة العامة التي يرسمها لهم.

٣ـ الفصل التام بين السلطات.

نشأ هذا النظام في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن معالمه تغيرت كثيرًا، كما طُبِّقَ في كثير من دول أمريكا اللاتينية وغيرها مع شيء من التحوير والتجاوزات في التطبيق العملي.

النقباء: إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء* عند الصوفية، وهم في درجة أعلى من النجباء* وأقل من البدلاء «الأبدال»*. وقيل إن عددهم اثنا عشر نقيبًا في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد البروج الاثني عشر، وكل نقيب عالم بخاصية كل برج بما أودع الله فيه من أسرار. وقيل إن عددهم أربعون، ويوافق القاشاني ابن عربي في تعريفه بقوله «هم الذين تحققوا باسم الباطن فأشرفوا على بواطن الناس واستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السراء، وهم ثلاثمائة».

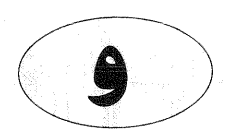


الهجرة: تعرف بمعان متعددة بعضها خاصة وأخرى شاملة، فبالمعنى الأول يعرفها ابن العربي بأنها «الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام». يقول الحافظ ابن حجر وقد وقعت في الإسلام على وجهين: الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة وابتداء الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة. والثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان كما حدث بعد أن استقر النبي*، ﷺ، في المدينة المنورة، وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين». **فتح الباري** ج ١ص ١٦. ويجب هذا النوع من الهجرة لمن يقيم في دار الكفر ولا يستطيع إظهار دينه، ولا أن يتمم واجباته مع قدرته على الهجرة، لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾ الآية [النساء: ٩٧]، وتسقط عن العاجز عنها لمرض أو إكراه معتبر على الإقامة أو للضعفاء من النساء والأولاد. وتستحب ولا تجب على من يقدر عليها، ولكنه يتمكن من إظهار دينه* وهو مقيم في دار الكفر.

والنوع الثاني من الهجرة: هو الهجرة الحقيقية والشاملة، ويعرفها الحافظ ابن حجر بأنها «ترك ما نهى الله عنه»، ويقول عنها ابن القيم «هذه هي الهجرة الحقيقية؛ لأن هجرة الجسد تابعة لها، فيهاجر فيها العبد من محبة غير الله إلى محبته ومن عبودية غير الله إلى عبوديته، وتشمل وتقوم على أمرين: هجران ما يكره مثل الهجرة من أرض البدعة* أو التي يغلب عليها الحرام الذي يلحقه منه أذى في دينه، إلى حيث تقام السنة وينتشر الحلال والأمن في البدن والدين، وإتيان ما يحبه ويرضاه».

أما مفهوم الهجرة عند بعض جماعات الغلو* (جماعة التكفير والهجرة) فإنه ينطلق من غلوهم في مفهوم المفاصلة الكاملة ـ العزلة الكاملة ـ الذي بنوه على اعتقادهم بمكية العصر، وبالتالي القول بجاهلية المجتمعات المسلمة وغيرها جاهلية عامة، مما ألزمهم القول بكفر أفرادها ووجوب البراءة منهم. وبناءً على ذلك فإنهم يرون وجوب الهجرة على القادر عليها من المجتمعات المعاصرة، حيث إنها في اعتقادهم مجتمعات جاهلية وأهلها كفار، إلى

حيث لا سلطان للطاغوت على أرض المهجر. ومن لم يستطع فعليه اعتزال هذه المجتمعات ومفاصلتها مفاصلة كاملة قدر الاستطاعة، وذلك في التصور والاعتقاد، إذ يعتقدون كفر ماهم عليه، أو في العبادة أو السلوك باعتزال مساجدهم وشعائرهم، وعدم مشاركتهم في أعيادهم. والهجرة عندهم مرحلة انتقالية وضرورية للجهاد الذي لا يتم إلا بها. ولا يخفى ما في هذا القول من مظاهر الغلو الذي يلزمهم بما ألزم به أصحاب المفاصلة الشعورية ـ راجع المفاصلة الشعورية ـ وعلى كل فإن الهجرة بالمفهوم الشرعي باقية لا تنقطع ما تقبلت التوبة حتى تطلع الشمس من المغرب.



واحدية: وصف لكل فلسفة* تفسر الكون وظواهره بمبدأ واحد. ويختلف الفلاسفة في ماهية هذا المبدأ، فهو عند بعضهم المادة مثل الطبيعيين اليونانيين القدامى، إذ يردون العالم إلى عنصر مادي واحد، وعند آخرين العقل* أو الروح أو المثل، كما يسمى مذهب* وحدة الوجود* واحدية لعدم تفريقه بين الله والعالم، ومذهب هيجل مثال للواحدية الروحية.

وأما الإسلام كما هو معروف فيرد أصل الكون وظواهره إلى مبدأ الخلق، إذ خلق الله الواحد الأحد الكون ومن فيه في ستة أيام، وكان ومازال هو المصرف له والمهيمن عليه سبحانه وتعالى. ـ راجع السببية، والطبيعة ـ.

الوثنية: تطلق على مختلف العقائد التي لا تفرد الله سبحانه وتعالى بالتوحيد، وتنسب إلى عبادة الوثن من أحجار وأصنام، وقد وصف اليونان القدماء «الإغريق» بالوثنية، كما وصفت بها المجتمعات العربية قبل الإسلام، مع الاختلاف في المدى والفهم، إذ كانت للوثنية اليونانية أيديولوجية* كاملة ولها فلاسفتها أمثال أفلاطون وأرسطو وسقراط مع ما عندهم من التنزيه*، وشعراؤها أمثال سوفوكليس وغيره. وللعقائد الوثنية صور متعددة منها تأليه البشر فردًا كان أو أسرة أو جماعة كعبادة الملوك والأسر الحاكمة، كما كان عند قدماء المصريين والهنود، أو كعبادة الميكادو إمبراطور اليابان كما هو سائد في اليابان حتى الآن، وأيضًا، كعبادة الأنبياء* والأولياء* والقديسين والأبطال. ولذلك أمر الإسلام بعدم المبالغة في التعظيم والتكريم للأبطال والصالحين حتى الأنبياء، أيضًا، سدًا للذرائع، فقال، ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم...»(١) وقوله، ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد...»(٢)، وقوله، ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيدًا...»(٣).

وحدة الأديان: دعوة ماسونية تستغل المسلمين السذج في القضاء على الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٣) ومسلم (٥٣١) عن عائشة وابن عباس، رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٢٢٦).

وإخضاع شعوبه، وتتخذ هذه الدعوة أسماء جذابة مثل: الدعوة للعالمية، أو التوفيق بين الإسلام والنصرانية، أو الدعوة إلى الإيمان الإبراهيمي، وأحيانًا تحت مسمى حوار الأديان. وتقوم فلسفة هذه الدعوة على زعم أن هناك قواعد مشتركة بين الإسلام والنصرانية، كالإيمان بالله وملائكته ورسله* واليوم الآخر، وتكريم أم المسيح*، عليه الصلاة والسلام، وأن الخلاف بين الإسلام والنصرانية خلاف شكلي وليس بجوهري.

بدأت هذه الدعوة من جانب النصارى منذ أوائل هذا القرن الميلادي، وتبنتها الصهيونية العالمية من خلال عقد العديد من المؤتمرات بدعوى التقريب بين الإسلام والنصرانية، منها: ما عقد في بيروت عام ١٩٥٣م، والإسكندرية عام ١٩٥٤م، في كاتدرائية سان جون بنيويورك عام ١٩٨٤م. وفي العام نفسه عقد لقاء آخر في دير سانت كاترين بسيناء قامت بتمويله المنظمات الصهيونية في أمريكا وإسرائيل، وشاركت فيه عدة جنسيات تنتمي إلى الإسلام والنصرانية واليهودية والبوذية والبهائية وديانات* الهنود الحمر. وفي هذا اللقاء تم الكشف عن الأهداف الحقيقية لهذه الدعوة الخبيثة، والتي يمكن تلخيصها في الآتي: ضرورة استخدام هذه الدعوة لخدمة قضية السلام، ووقف الحرب بين المسلمين وإسرائيل، مستخدمة الضغط الشعبي (الدبلوماسية الشعبية) لتحقيق ذلك، ومحاولة إذابة الفوارق العقدية بين الإسلام والنصرانية، بعدما تحقق لليهود إزاحة النصرانية عن عقيدتها.

وقد تولت أمانة غير المسيحيين* بالفاتيكان* كبر الدعوة إلى الدين* الإبراهيمي بزعم مواجهة الإلحاد* والمادية*، وبتأثير مباشر من الماسونية العالمية، وتأكيدًا لذلك أصدرت كتابًا يفصح عن هذه الرغبة عام ١٩٧٠م وهو نفس الأمر الذي أكده البابا يوحنا بولس الثاني في لقاء له بأتباع كنيسته في أنقرة بتركيا، وهو ما كرره أمام حشد غفير في الدار البيضاء بالمغرب في أغسطس عام ١٩٨٥م.

وفي ٢٧ أكتوبر ١٩٨٦م أقيمت صلاة مشتركة شارك فيها بعض مدعي الإسلام بالإضافة إلى مجموعات من اليهود والبوذيين والنصارى اليهود وغيرهم، وكانت ضمن توصيات هذا اللقاء: إنشاء نادي الشباب المتدين الذي أقيم في صيف ١٩٨٧م، وكذلك إنشاء جمعية* «المؤمنون متحدون» التي أقيمت في إبريل ١٩٨٧م بحجة قطع الطريق على جماعات

الموحدين الذين علا صوتهم في أوربا وأمريكا بإنكار التثليث* ، ومن ضمن توصياته، أيضًا، الدعوة لإقامة معبد واحد للأديان (اليهودية والنصرانية والإسلام) في سيناء، بالإضافة إلى الدعوة للمساواة بين الأديان بما فيها البهائية والبوذية والماسونية والمؤمنون الأحرار، مع الدعوة لإقامة الصلاة المشتركة صلاة ـ روح القدس* ـ بصفتها ووقتها على حسب زعمهم، ووضع لوائح داخلية تسعى لإذابة الفوارق الدينية بين البشر، وأخيرًا اعتبار يوم صلاة البابا ٢٧ أكتوبر عيدًا لكل الأديان* ، وكذلك أول يناير.

وقد اتخذوا لهم راية وشعارًا مرسومًا عليها شعار الأمم المتحدة وقوس قزح وإشارة سبعة رمز النصر. ومن أهم مؤلفات أصحاب هذه الدعوة: **نحن جميعًا أبناء إبراهيم** صدر في ١٩٨٥م في باريس من تأليف سكرتارية الكنيسة* الكاثوليكية؛ للاتصال بالمسلمين بالتعاون مع المركز الوطني للتعليم الديني، وكتاب **توجيهات لإقامة الحوار بين المسيحيين والمسلمين** أصدره الفاتيكان عام ١٩٧٠م، وكتاب ميشال لولونغ **نعمة الله** وكتاب **ولاءان ورجاء واحد**، كما تحمس لها لويس ماسينيون وميشال حايك في كتابات عديدة، ومكسيم رودنسون في كتابه **العرب** الصادر في يناير عام ١٩٧٩م.

وتعتبر الفلسفة الهندية الجذور الأولى لعقيدة وحدة الأديان، يقول شانكرا «اعبد الله في أي معبد شئت أو اركع أمام أي إله بغير تفريق».

وقد وجدت هذه الدعوة الباطلة عند اليهودية والنصرانية وبعض الفلسفات اليونانية. كما وجدت عند الباطنية* وملاحدة الصوفية، قال الحلاج «واعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام، وغير تلك الأديان، هي ألقاب مختلفة وأسماء متغايرة، والمقصود منها لا يتغير، ولا يختلف» يقول ابن تيمية: «بل كان ابن سبعين وابن هود والتلمساني وغيرهم يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقًا إلى الله بمنزلة مذاهب* المسلمين». كما يذكر أن أكابر وزراء التتار كانوا يقولون بهذه الدعوة. وفي العصر الحديث دعت إليها البهائية، وقال بها الأفغاني والشيخ محمد عبده متأثرًا بالقس الإنجليزي إسحاق تيلور أثناء نفيه في بيروت عام (١٨٨٣م)، ومن سار على دربهما من العصرانيين اليوم ـ راجع التجديد ـ وقد دعا إلى هذه العقيدة مؤخرا الفيلسوف الفرنسي الذي

أعلن إسلامه مؤخرًا روجيه جارودي، ويتضح ذلك من رسالته المسماة بـ **وثيقة إشبيليا**.

والدعوة لوحدة الأديان على أساس من الدين* الإبراهيمي دعوة حق أريد بها باطل، فدين إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، هو الحنيفية السمحة، وعقيدته هي التوحيد لله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، هو دين الإسلام الذي جاء به محمد، ﷺ، بينما هي عند النصارى اسم فقط، أما المضمون فيحتوي على مزيج من التثليث* وعبادة المسيح* من دون الله، والشرك بالله. يقول الله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وحدة الشهود: مصطلح* صوفي يعني حالة أو تجربة تصل بالصوفي العارف إلى مقام الشهود في نهاية طريق المعرفة، وذلك بشهود الله والتعرف إليه والانقطاع عمن سواه، بل وفقدان التمييز بين نفسه وبين ذات الله، وقد تصل به الحال إلى أن يرى وحدة الخالق والمخلوق ـ تعالى وتنزه ربنا جل وعلا عن إفكهم ـ ووحدة الشهود طابعها شخصي، ولا يصل إليها إلا الكُمَّل الأطهار، كما يقول المتصوفة. وهي بذلك تختلف عن وحدة الوجود، إذ تقوم على سريان الذات الإلهية في الوجود، وطابعها العموم. ووحدة الشهود تثبت الثنائية بين الخالق والمخلوق، فهي ترى الله في كل شيء مع مخالفته لكل شيء. ووحدة الشهود تمثل حالة بين الحلول* والاتحاد*، وعلى كل فإنها أحد المفاهيم التي أدخلها المتصوفة على الفكر الإسلامي مما يعكر صفو التوحيد الخالص.

وحدة الوجود: عقيدة إلحادية* هندية كما قال بها فلاسفة اليونان القدماء، وتبعهم عليها بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة وغلاة الصوفية. تقوم هذه المقولة على الوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها في الظاهر، فالعالم بما فيه إنما هو التجلي الإلهي الدائم الذي كان ولا يزال، فالموجود واحد وهو الله واجب الوجود الأزلي عين المخلوقات، فكل شيء هو الله واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات مع توحد في الذات، وهي بذلك امتداد لعقيدة الحلول* وصور مهذبة للإلحاد* كما يقول شوبنهور.

وبها قال هيراقليطس وتبعه الرواقيون على أساس اعتقادهم في اللوغس أو العقل الكلي

أو الإله* أو الحقيقة الأزلية المنبثة في دقائق العالم ومجمل الوجود، أما أصحاب الأفلاطونية المحدثة فقالوا به بناءً على نظريتهم في الفيض* الإلهي.

وقيل إن أول من حاول البحث عن أصل هذا الوجود ومن أين جاء وإلى أين ينتهي هو الفيلسوف اليوناني طاليس ٥٨٥ ق.م إلى أن وصل في النهاية إلى أن الماء أصل كل شيء، وأن كل الأشياء مليئة بالآلهة. وعلى هذا كان قول الفلاسفة اليونانيين حتى أرسطو، وإليه ذهبت الهندوسية. وقد تأثر بعقيدة وحدة الوجود الفلاسفة من أمثال برونو وأسبينوزا، ومن غلاة الصوفية أمثال الحلاج وابن عربي وابن الفارض وغيرهم، متأثرين بعقائد البراهمية والبوذية واليهودية والنصرانية المحرفة، وأقوال فلاسفة اليونان في هذا الجانب بالإضافة إلى عدد من العوامل الداخلية مثل: بعض الأصول المنحرفة للتشيع، وفلسفة الفارابي وابن سينا، وكذلك بعض النظريات المنحرفة للمتصوفة الأوائل بالإضافة إلى بعض أصول مصطلحات علماء الكلام مثل الوحدة والكثرة والذات. وإن أخطر ما تصل إليه هذه العقيدة القول بوحدة الأديان*، وإسقاط التكاليف*، وما يترتب عليها من تدمير للمسؤولية الفردية، والالتزام الأخلاقي، انطلاقًا من فكرة الجبر*، والقول بعقيدة النور المحمدي والحقيقة المحمدية والإنسان الكامل. وبالتالي يُعلم فساد المصطلحات* التي تقول: الكل في واحد والواحد في الكل، أو تقول لا موجود إلا الله وأن جميع الممكنات مظاهر له. وقد رويت عن بعض المتصوفة أقوال في هذا الصدد تشعر بالكفر* والغثيان معًا، كما تلزم هذه العقيدة الفاسدة في وحدة الوجود القول بروحانية الجزاء والقول بالحقيقة التي تسري فيها الذات الإلهية.

الوحي: هو إعلام الله تعالى نبيه بحكم شرعي ونحوه، بواسطة أو بغير واسطة. وقد أوضح القرآن الكريم والسنة النبوية مقامات الوحي على أنه تارة يُقذَف في روع النبي شيء لا يمتري فيه أنه من الله عز وجل، كما كان يحدث مع النبي*، ﷺ، وتارة يكون بالتكليم من وراء حجاب كما كلم الله موسى، عليه الصلاة والسلام، أو كما حدث للنبي، ﷺ، في ليلة الإسراء والمعراج، وأخرى بنزول أمين الوحي جبريل، كما كان يحدث للنبي، ﷺ، أو كنزول الملائكة على الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، قبل النبي، ﷺ، سواء كان في صورة بشرية أو في صورة الحقيقية، وهو أشد أنواع الوحي. وقد تكون بالرؤيا المنامية التي يراها

النبي ويوقن أنها وحي من الله تعالى كما في حال إبراهيم حين ابتلاه الله بذبح ولده إسماعيل، عليهما الصلاة والسلام. إلا أنه في **العهد القديم*** زادوا أن الموحى إليه يرى ذات الرب حين الوحي في صورة شخص كما في (سفر **التثنية** ٣٣ـ١٠١)، والمدقق يرى أن هذه الصورة أكثر صور الوحي لأغلب الأنبياء سواء في **العهد القديم*** **أو الجديد*** ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ.

وفي **العهد القديم** صور أخرى للوحي إذ نص على أن الوحي يسمع من خلال نار أو نور يظهر في السماء، أو من خلال أمور وأصوات مزعجة كشدة ريح وزلزلة وعواصف وزوابع، يسمع بعدها صوت الوحي، أو بحلول* القوة الإلهية في الشخص الموحى إليه سواء بطريقة إرادية أو غير إرادية، ولذلك يدعي النصارى أن مقام النبوة* مستمر في بعض زعمائهم، وتارة يكون الوحي بأن ينادى عليه أكثر من مرة ولا يعرف مصدر النداء سواء كان من الله أم من الملك. وقد نص **القرآن الكريم** على هذه الطريقة الأخيرة من الوحي، بل وذكر أن الله يوحي إلى النحل، أيضًا، ولكنه سكت عن الكيفية. فينبغي لذلك الإيمان بأن الكيفية مخالفة للحوادث ولائقة بذات الله الكريمة.

ويعترض مكذبو الرسل على الصور الصحيحة من الوحي، التي دلت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، ويدّعون أن الوحي هو نوع من الصرع أو الاتصال بالشياطين، وقد كذبوا في دعْواهم، فالذي يصيبه الصرع يصفر لونه ويخف وزنه وعندما يفيق من غيبوبته لا يدري ولا يذكر شيئًا مما خاطب به الشيطان الحاضرين على لسانه. وأما اتصال الملك بالرسول* فكان يسبب له نماءً في جسمه وإشراقًا في وجهه، ولا يسمع الجالسون كلامه وإنما يسمعون دويًّا كدوي النحل عند رأسه، ويقوم الرسول وقد وعى كل ما أخبر به الملك.

وزعم البراهمة وبعض الفلاسفة المنتسبين للإسلام أن العقل* يغني عن الوحي، وأن بإمكانه أن يصل إلى مستويات رفيعة من الحقائق الدينية المنزلة بمفرده، وعلى النقيض ظن البعض أن الوحي يلغي دور العقل تمامًا. والصحيح أن الوحي الإلهي هو الذي يوجه العقل إلى النظر والتدبر في الكون، ويحثه على النظر في العلوم المنزلة ليستوثق من صحة نسبتها إلى الله تعالى، فإذا صحت النسبة إليه تعالى فعليه أن يستوعبها ويفهمها ويتدبرها، ثم يجتهد

في التطبيق والتنفيذ، فإذا حجب الوحي عن العقل لم ينتفع الإنسان بعقله فهو كضوء الشمس مع العين، فلا ينتفع الإنسان بعينيه إذا عاش في الظلمة.

وهناك من يرى أن الوحي نوع من الكشف* أو الفيض*، يقول أبو حامد الغزالي في كتابه **الكشف والتبيين** «المدرك الثاني: الوحي للأنبياء* والإلهام للأولياء*، ولا تظن أن معرفة النبي، ﷺ، لأمور الآخرة ولأمور الدنيا تقليد* لجبريل، فإن التقليد ـ التلقي عن طريق الوحي ـ ليس بمعرفة صحيحة، والنبي، ﷺ، حاشاه من ذلك، بل قد انكشفت له الأشياء وشاهدها بنور البصيرة، كما شاهد المحسوسات بالعين الظاهرة».

الولاء: مفهومه في الشرع هو النصرة والتحالف والحب والطاعة وإلقاء مقاليد الأمور لمن له الولاء، ويكون للمؤمنين والكافرين. فإن كان الأول فهو المأمور به شرعًا لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ـ٥٦]، وإن كان الثاني فهو المنهي عنه شرعًا والمتوعد عليه لما فيه من المحادة لله والرسول، يقول تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

وبالتالي فإنه أحد لوازم ومقتضيات شهادة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول* الله»، إذ يكون الحب والنصر والقرب لمن يلتزم بها، والتبرؤ ممن لم يلتزم بها على حسب درجته، إذ يكون له الولاء من جهة والبراء من جهة أخرى، مع عدم إقراره على ذنبه أو بدعته، مع نصحه عليها، مع الأخذ في الاعتبار أن بعض اللمم لا ينقص حقه في الولاية، وهذا كله يعرف بالولاء والبراء* الجزئي، أو يكون له الولاء المطلق ولا يكون كل هذا إلا للمسلم، وهذا هو حد الموالاة الذي يجب أن يقف عنده المسلم ولا يتجاوزه مع المخالف (الكافر) من أجل الحفاظ على دينه وأمانته، هو الحد الذي لا يفهم منه الموافقة على دينهم والرضى عن كفرهم، فمن دخل في طاعة الكفار وأظهر موافقته على دينهم الباطل وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم وقطع الموالاة للمسلمين، ورفع علاقته مع الكافرين على علاقته بالمسلمين، وضحى بالثانية من أجل الأولى، فقد صار منهم وارتد عن دينه وكان من أشد الناس عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، إلا أن يكون مكرهًا.

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تطالب المسلم بقطع موادته للكفار ووجوب معاداتهم في الدين* . ويخالف منهج* أهل السنة والجماعة* في ذلك كل من الخوارج* والمرجئة* بجعلهم الولاء درجة واحدة لا تتجزأ، إذ يعتقدون عدم تجزؤ الإيمان الذي يعتبر الولاء أحد لوازمه، وهم في ذلك على طرفي نقيض، فعند الخوارج أن كل من ارتكب كبيرة* أو ذنبًا بطلت ولايته من كل وجه، ووجب التبرؤ منه ومعاداته، وقد رتبوا على ذلك عددًا من اللوازم مثل تكفيره* واستحلال دمه.

أما عند المرجئة فإن كل من صدق بقلبه، أو صدق بقلبه وأقر بلسانه فهو المؤمن الكامل الذي تجب ولايته ولاءً كاملاً وإن ارتكب الكبائر ولم يؤد الشعائر. كما يخالف منهج أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء السالف ذكره كل من علق ولاية المسلم أو توقف فيها حتى يتبين من إسلامه أو يعرف مافي قلبه واعتقاده عما تجب به ولايته، إذ يرى أهل السنة أنه تجب ولايته بمجرد إسلامه وإظهاره شعائره وعلى قدر التزامه بها على مامر بيانه.

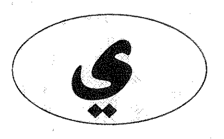
الولي: في الاصطلاح الشرعي: هو العالم بالله تعالى المواظب على طاعته، مع كمال المحبة والرضى لما يحب ويرضى، والسخط والبغض لما يسخط ويبغض. وهو المحب الموالي لأوليائه والمبغض والمعادي لأعدائه، وهو أحد خُلَّص المؤمنين، وقد وضَّح كتاب الله تعالى خصائص هؤلاء الأولياء بقوله ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، ويشترط لذلك البلوغ والعقل* فلا ولاية لمن لم يبلغ ولا للمجنون.

وعند الصوفية: هو من تولاه الحق سبحانه بظهور أسمائه وصفاته عليه علمًا وعينًا وحالاً، وأثره لذة وتصرف فلا يرى في نظره غير الفاعل الحقيقي (الله تعالى). والولي عندهم، أيضًا، هو من تولاه الله بكثير مما تولى به النبي من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف وتصريف.

كما يعتقد الغلاة منهم أن للأولياء أربعة مقامات: فمنهم من يقوم في عالم مقام الأولياء، ومنهم من يقوم في عالم مقام الرسل* ، ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي العزم،

ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي الاصطفاء، بل قالوا، أيضًا، إن مقام الولي فوق مقام النبوة* . ونسب لأبي اليزيد البسطامي قوله «خضنا بحورًا، وقف الأنبياء بسواحلها»، وقال، أيضًا، «أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه». وقال بعضهم: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول* ودون الولي، لأن مقام النبوة* ينقطع بانقطاع الحياة الدنيا، بينما مقام الولي عندهم لا ينقطع أبدًا، ولا يُحَدُّ بالزمان ولا بالمكان. وفُضل الولي على النبي عندهم بالعلم، فالنبي يعلم علم الشريعة ـ أي علم التنزيل ـ الظاهر، بينما الولي يعلم علم الحقيقة أي علم التأويل الباطن. وأيضًا، الرسول* والنبي يستمدان العلم من الملك الذي يبلغه الوحي الإلهي بواسطته، ولا يمكنه الأخذ من الله مباشرة، لكن الولي يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك، أي من الله تعالى مباشرة، نعوذ بالله تعالى من الخذلان.

بل جعلوا خاتم الأولياء هو منبع العلوم ومصدر الفيض* لجميع الأنبياء والرسل، كما نص على ذلك ابن عربي في فصوصه. وأول من ذكر ذلك الحكيم الترمذي. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهو لفظ باطل لا أصل له، فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم العشرة المبشرون بالجنة، رضي الله عنهم أجمعين، وخاتم الأولياء في الحقيقة هو آخر مؤمن تقي يكون في الناس».



يهوه: أحد أسماء الله تعالى في التوراة* ويترجم بالعربية بمعنى كلمة «الرب»، وتكرر وروده في كتابهم المقدس ٦٨٣٣ مرة، وتكرر ذكره في **الأسفار العبرانية ٦٩٦١ مرة، وقد ورد في التوراة** أن الله تعالى قال لموسى: «هكذا تقول لبني إسرائيل، يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، أرسلني إليكم...»، **خروج ٣:٨٥١٣**، وورد بلفظ «أهوه» وتنطق أحيانًا جيوفاه أو يهوفا، وهو مشتق من اللفظ العبراني «هيه» أو «هوه» الذي يفيد الوجود فـ يهوه تعني الكائن، أو واجب الوجود غير المتغير الأزلي الذي أعلن ذاته وصفاته، أو الذي كان، وتترجم إلى العربية بالرب أو الله.

وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد خاف أحبار اليهود من تدنيس اسم يهوه، فمنعوا لذلك الشعب من النطق به، وأصبح غير مسموح التلفظ به إلا لرئيس الكهنة* فقط عند تلاوة الصلاة وإعطاء البركة في الهيكل، واستعاضوا عنه بأسماء أخرى أهمها «أدوناي» أي الرب والسيد.

اليوجا: كلمة سنكسريتية مشتقة من كلمة «يوج» التي تؤدي إلى معنى الاتحاد* في اللغة العربية، واليوجا في الأصل أحد الطقوس الهندوكية، والبعض يرجعها إلى أنها فرعونية الأصل، وتعد إحدى الدعوات الهدامة الوافدة والمستمدة فلسفتها من تعاليم بوذا* والنرفانا* والأفكار الغامضة، وأيضًا، من تراث الغنوصية القديم. كل ذلك بدعوى الوصول إلى الصفاء العام من خلال السيطرة على البدن والتخلص من أوهام العالم الحسي، ليتم الاتحاد بروح الكون الذي من خلاله يحصل الصفاء العام، وذلك من خلال حركات جسدية معينة.

وحديثًا تستخدمها الماسونية والمهاريشية في الدعوة إلى باطلهم، إذ تنشرها في الغرب تحت دعاوى أنها تساعد على تحسين الفكر والتركيز الذهني، والدعوة إلى المحبة والسلام بين البشر، من دون التعصب لدين* أو جنس أو لغة مما جعلها تتعدى الحدود والجنسيات.

ويقسم علماء اليوجا فلسفتها إلى عدة أقسام تتفق مع حاجات الناس في زعمهم، فمن

يرد أن يصل بقوة إرادته التي تكشف الروح حتى ترفع عنها الحجب، فعليه بـ «راجا يوجا»، ومن يمل إلى العمل والنشاط ينجذب نحو «كارما يوجا»، والذي يحاول دراسة الكون ومعرفة أسراره فعليه بـ«جنانا يوجا»، ومن سمت طبيعته فإنه يفضل أن يتقدم في معرفة الله تعالى والاتحاد* به من خلال «بها كتي يوجا».

وأخيرًا يقول الدكتور أحمد شلبي في كتاب **اليهودية** كاشفًا الستار عن حقيقة اليوجا: «ومن الجمعيات* السرية ذات الصلة بالصهيونية منظمة اليوجا، هي منظمة تدعي أنها تباشر ألوانًا من الرياضة البدنية والتدريبات الجسمانية . . . وهي تبدأ باسم اليوجا ثم تتجه لنشر سمومها بين الأعضاء . . . وأهم ما تعنى به محاربة الأديان* وتوجيه الشباب للتحلل من التزاماتها والعمل على ما يسمونه بالرباط الإنساني، ويصلون بذلك إلى الدفاع عن اليهودية باسم الإنسانية . . .».

مراجع أساسية

١ـ القرآن الكريم .
٢ـ كتب السنة النبوية المطهرة .
٣ـ صحيح الجامع الصغير وزياداته ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت .
٤ـ ضعيف الجامع الصغير وزياداته ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت .
٥ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط . الثالثة ١٤٠٣هـ .
٦ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط . الرابعة ١٣٩٨هـ
٧ـ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٢هـ .
٨ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ تعليق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .
٩ـ لسان العرب ـ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ـ المؤسسة المصرية العامة للنشر والتأليف ـ القاهرة .

مراجع عامة

١٠ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ جمع وترتيب عبدالرحمن القاسم ـ مطابع الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ ١٣٧٢هـ .
١١ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ إشراف محمد شفيق غربال ـ دار الشعب مؤسسة فرانكلين .
١٢ـ موسوعة المورد ـ دائرة معارف إنجليزية عربية مصورة ـ منير البعلبكي ـ دار العلم للملايين بيروت ـ ١٩٨٠م .

١٣ـ الموسوعة الثقافية ـ مديرة التحرير/ فايزة حكيم رزق الله ـ دار الشعب ـ مصر .
١٤ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٧٩م .
١٥ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ مجموعة من المستشرقين ـ ترجمة/ أحمد شنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس ـ دار المعرفة ـ بيروت .
١٦ـ دائرة المعارف ـ القاموس العام لكل فن ومطلب ـ المعلم بطرس البستاني ـ دار المعرفة ـ بيروت .
١٧ـ القاموس الإسلامي . أحمد عطية الله ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، ١٣٨٣هـ .
١٨ـ دائرة المعارف البريطانية بين الجهل والتضليل . د . ملك غلام مرتضى ـ ملك سنز ـ لاهور ـ باكستان .

مراجع مصطلحات علم التوحيد وعلم الكلام والفرق الإسلامية

١٩ـ الدين الشيخ محمد عبدالله دراز ـ دار القلم ـ الكويت ـ ١٤٠٢هـ .
٢٠ـ الدين المقارن . بحث في سائر الديانات العالمية ـ أبو الفيض محمود الفيومي الحسني ـ مكتبة نهضة مصر .
٢١ـ المصطلحات الأربعة في القرآن ـ الشيخ أبو الأعلى المودودي ـ تعريب محمد كاظم ـ دار القلم الكويت ١٣٩٧هـ . .
٢٢ـ الوحدانية ـ د . بركات عبدالفتاح دويدار ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .
٢٣ـ الرسل والرسالات د . عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ـ عمان الأردن ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
٢٤ـ منهج أهل السنة والجماعة ـ الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ـ إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ـ دار الثريا ـ الرياض ١٤١٥هـ .
٢٥ـ مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة ـ د . ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض .
٢٦ـ أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ـ محمد عبدالهادي المصري ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٩٨٨م .

٢٧ـ وسطية أهل السنة بين الفرق ـ د. محمد باكريم محمد باعبدالله ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ الرياض ١٩٩٤م.
٢٨ـ المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ـ د. إبراهيم البريكان ـ دار السنة ـ الخبر ١٩٩٢م.
٢٩ـ المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ـ عثمان جمعة ضميرية ـ مكتبة السوادي ـ جدة ـ ١٩٩٣م.
٣٠ـ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ـ عثمان علي حسن ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٣١ـ مقالات الإسلاميين ـ أبو الحسن الأشعري ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٦٩م.
٣٢ـ الملل والنحل ـ للشهرستاني وعلى هامشه الفصل في الملل والنحل لابن حزم ـ مكتبة شباب الأزهر ـ القاهرة.
٣٣ـ الفرق بين الفرق ـ عبدالقادر بن طاهر البغدادي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ مطبعة صبيح القاهرة.
٣٤ـ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ـ الإمام أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي ـ تحقيق يمان بن سعد الدين الميادني ـ رعاوي للنشر ـ الدمام ـ ١٩٩٤م.
٣٥ـ التعريفات ـ الشريف علي بن محمد الجرجاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٦ـ بغية المرتاد ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق موسى بن سليمان الدويش ـ العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ١٩٨٤م.
٣٧ـ منهاج السنة ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ـ جامعة الإمام ـ الرياض ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣٨ـ درء تعارض العقل والنقل ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ـ جامعة الإمام ـ الرياض ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٩م.
٣٩ـ خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان ـ الملك صديق حسن خان ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٤م.
٤٠ـ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ـ د. أحمد محمد أحمد جلي ـ مركز مؤسسة

الملك فيصل للبحوث والدراسات ـ الرياض عام ١٩٨٨م.
٤١ـ دراسات في الفرق ـ د. صابر طعيمة ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ١٩٨٧م.
٤٢ـ التآلف بين الفرق الإسلامية ـ الأستاذ؛ محمد حمزة دار قتيبة ـ دمشق ١٩٨٥م.
٤٣ـ تيارات الفكر الإسلامي ـ د. محمد عمارة ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٩٩١م.
٤٤ـ مقدمة في الأهواء والافتراق ـ د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٤هـ.
٤٥ـ مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع ـ د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٤٦ـ موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ـ د. عبدالمنعم الحفني ـ دار الرشاد ـ القاهرة ١٩٩٣م.
٤٧ـ فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام. د. غالب بن إبراهيم العواجي ـ مكتبة لبنة ـ دمنهور ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٤٨ـ الخوارج ـ د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٦هـ.
٤٩ـ الشيعة والسنة ـ إحسان إلهي ظهير ـ دارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ ١٩٧٤م.
٥٠ـ الشيعة والتشيع: إحسان إلهي ظهير ـ دارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ ١٩٧٤م.
٥١ـ أصول مذهب الشيعة ـ د. ناصر بن عبدالله القفاري ـ بدون ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٩٤م.
٥٢ـ صراع الإسلام والوثنية ـ عبدالله علي القصيمي ـ بدون ـ ١٩٨٢م.
٥٣ـ الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة ـ د. محمد أحمد الخطيب ـ مكتبة الأقصى عمان الأردن.
٥٤ـ الإيمان ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ
٥٥ـ زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ـ د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد ـ مكتبة دار القلم والكتاب ـ الرياض ـ ١٩٩٦م.
٥٦ـ حقيقة الإيمان ـ محمد عبدالهادي المصري ـ دار الفرقان ـ القاهرة ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٥٧ـ آراء المعتزلة الأصولية ـ د. علي بن سعد بن صالح الطويحي ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ١٤٠٩هـ.

٥٨ـ الحكمة والتعليل في أحكام الله تعالى ـ د. محمد ربيع بن هادي المدخلي ـ مكتبة لبنة ـ دمنهور ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٩ـ الغائية عند الأشاعرة ـ نوران الجزيري ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة١٩٩٣م.

٦٠ـ الفوائد ـ ابن قيم الجوزية ـ مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.

٦١ـ حاشية على شرح أم البراهين ـ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ـ البابلي الحلبي ـ القاهرة١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.

٦٢ـ مصادر المعرفة في الفكر الفلسفي والديني ـ د. عبدالرحمن الزنيدي ـ مكتبة المؤيد ـ الرياض ـ ١٩٩٢م.

٦٣ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتنزيل ـ ابن قيم الجوزية ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٦٤ـ القضاء والقدر في الإسلام ـ د. فاروق الدسوقي ـ دار الدعوة الإسكندرية.

٦٥ـ منة الرحمن في نصيحة الإخوان ـ د. ياسر بن حسين برهامي ـ دار الإيمان ـ الإسكندرية.

٦٦ـ مسألة القضاء والقدر ـ نشأتها لدى الفلاسفة والمتكلمين ـ عبدالحليم محمد قنبس ـ خالد عبدالرحمن العلا ـ دار الكاتب العربي ـ دمشق.

٦٧ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق د. علي الدخيل الله ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ١٤٠٨هـ.

٦٨ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ـ ابن قيم الجوزية ـ تحقيق د. عواد عبدالله المعتق ـ الفرزدق التجارية ـ الرياض ١٤٠٨هـ.

٦٩ـ موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضاً ونقداً ـ د. سليمان بن صالح الغصن ـ دار العاصمة ـ الرياض ١٤١٦هـ.

٧٠ـ منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة ـ خالد بن عبداللطيف بن محمد نور ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٧١ـ الماتريدية دراسة وتقويماً ـ أحمد عوض الله الحربي ـ دار العاصمة ـ الرياض ١٤١٣هـ.

٧٢ـ أساس التقديس ـ الإمام فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسين ـ تحقيق د. أحمد حجازي السقا ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

٧٣ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ـ القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني ـ تحقيق ـ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ـ المكتبة الأزهرية للتراث ـ القاهرة ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٧٤ـ ذم التأويل ـ الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي ـ حققه وخرج أحاديثه بدر بن عبدالله البدر ـ الدار السلفية ـ الكويت ١٩٨٦م.

٧٥ـ التأويل وخطورته وآثاره ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ـ عمان الأردن ـ ١٩٩٢م.

٧٦ـ العقيدة في الله. د. عمر سليمان الأشقر دار النفائس عمان الأردن ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

٧٧ـ منهج التأويل الصوفي ـ د. نظلة الجبوري ـ مكتبة ابن تيمية ـ المحرق ـ البحرين.

٧٨ـ مذهب التفويض في نصوص الصفات ـ أحمد بن عبدالرحمن القاضي ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ١٩٩٦م.

٧٩ـ تحفة الإخوان في صفات الرحمن ـ أبو الهمام د. محمد بن محمد عبدالعليم ـ مكتبة الصحوة الإسلامية ـ المنيا.

٨٠ـ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ جامعة الإمام ـ الرياض ـ ١٤٠٥هـ.

٨١ـ ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة ـ د. عبدالله القرني ـ دار الوطن ـ الرياض.

٨٢ـ براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة ـ د. عبدالله شاكر محمد الجندي ـ إدارة الدعوة والإعلام ـ لجنة البحث العلمي ـ جماعة أنصار السنة المحمدية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٣ـ نواقض الإيمان القولية والعملية ـ د. عبدالعزيز بن عبدالله العبد اللطيف ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٤هـ

٨٤ـ فتنة التكفير ـ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني مع تعليقات الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز والشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٧هـ.

٨٥ـ نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابطها عند السلف د. محمد بن عبدالله بن علي الوهيبي ـ دار المسلم ـ الرياض ـ ١٤١٥هـ

٨٦ـ الولاء والبراء في الإسلام ـ د. محمد بن سعيد القحطاني ـ دار طيبة ـ مكة المكرمة ـ الرياض ١٤١٢هـ.
٨٧ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ لأبي القاسم اللالكائي ـ تحقيق أحمد سعد حمدان ـ دار طيبة ـ الرياض.
٨٨ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ لابن أبي العز الحنفي ـ تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي.
٨٩ـ القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ـ د. إبراهيم بن محمد بن عبدالله البريكان ـ دار الهجرة ـ الرياض ١٩٨٤م.
٩٠ـ الأصول العلمية للدعوة السلفية ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ الدار السلفية للطباعة والنشر ـ الكويت ـ ١٤٠٢هـ
٩١ـ قواعد المنهج السلفي ـ د. مصطفى حلمي ـ دار الدعوة ـ الإسكندرية.
٩٢ـ السلفية في العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية ـ د. مصطفى حلمي. دار الدعوة الإسكندرية.
٩٣ـ انتصار المنهج السلفي ـ المستشار عبدالحليم الجندي ـ دار المعارف ـ مصر.
٩٤ـ محاضرات في السلفية د. علاء الدين بن أحمد بكر ـ دار فجر للتراث ـ شبين الكوم ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٩٥ـ المفهوم السلفي للعمل السياسي ـ أبو زيد مصطفى ـ دار السلام ـ الرياض ـ ١٤١٤هـ.
٩٦ـ السلفيون والأئمة الأربعة ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ الدار السلفية ـ الكويت ـ ١٩٨٤م.
٩٧ـ لا دفاعًا عن السلفية ـ الشيخ محمد إبراهيم شقرة ـ دار فوز للطباعة والنشر ـ الأحساء ـ ١٩٩٢م.
٩٨ـ نظرات في كتاب السلفية ـ لمحمد سعيد رمضان البوطي ـ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١١هـ.
٩٩ـ أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة ـ أنور الجندي ـ دار الاعتصام ـ القاهرة.
١٠٠ـ فقه الواقع عند أهل السنة والجماعة ـ صالح بن عبدالله العصيمي ـ المؤتمن للنشر ١٤١٣هـ.

١٠١ـ الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة ـ د. مصطفى حلمي ـ دار الدعوة ـ الإسكندرية.

١٠٢ـ رسالة تحكيم القوانين ـ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ مطابع دار الثقافة ـ مكة المكرمة ـ ١٣٨٠هـ.

١٠٣ـ الحاكمية في تفسير أضواء البيان ـ د. عبدالرحمن السديس ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٤١٢هـ.

١٠٤ـ إن الله هو الحكم ـ محمد شاكر الشريف ـ دار الوطن ـ الرياض.

١٠٥ـ تحكيم الشريعة وصلته بأصل الدين ـ د. صلاح الصاوي ـ دار الإعلام الدولي ـ القاهرة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٠٦ـ الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ دار الدعوة ـ الكويت ١٤٠٦هـ.

١٠٧ـ نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية ـ د. صلاح الصاوي ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٤١٢هـ.

١٠٨ـ القوانين الإسلامية لا للقوانين الوضعية ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ دار الدعوة ـ الكويت ١٤٠٦هـ.

١٠٩ـ المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية د. عبدالكريم زيدان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١١٠ـ محاضرات في الشريعة الإسلامية: فقهها، ومصادرها ـ الشيخ عبدالله ناصح علوان ـ مكتبة السلام.

١١١ـ المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ إعداد أشرف عبدالمقصود عبدالرحيم ـ دار عالم الكتب ـ الرياض.

١١٢ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ـ تعليق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ دار السلام ـ الرياض ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م

١١٣ـ الإسلاميون وسراب الديمقراطية ـ عبدالغني بن محمد بن عبدالكريم الرحال ـ المؤتمن للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ ١٤١٣هـ.

١١٤ـ الخلافة الإسلامية ونظم الحكم المعاصرة دراسة مقارنة ـ د. جمال المراكبي ـ لجنة البحث العلمي ـ جماعة أنصار السنة المحمدية ـ مصر.

١١٥ـ مقالات وفتاوى متنوعة ـ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ دار أولي النهى ـ الرياض ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
١١٦ـ الخلافة في الأرض ـ أحمد حسن فرحات ـ دار الأرقم ـ الكويت ـ ١٩٨٦م.
١١٧ـ أصول الدعوة ـ د. عبدالكريم زيدان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١١٨ـ نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ـ د. مصطفى حلمي ـ دار الدعوة ـ الإسكندرية.
١١٩ـ الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ـ عبدالله بن عمر بن سلمان الدميجي ـ دار طيبة ـ ١٩٨٧م.
١٢٠ـ منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم ـ د. يحيى إسماعيل ـ دار الوفاء ـ المنصورة ـ ١٤٠٩هـ.
١٢١ـ الحكومة العالمية ـ د. بطرس غالي ـ دار المعارف ـ القاهرة.
١٢٢ـ الحكم بما أنزل الله وأهل الغلو ـ محمد سرور بن نايف زين العابدين ـ دار الأرقم للنشر والتوزيع ـ برمنجهام ـ ١٤٠٧هـ.
١٢٣ـ التكفير والهجرة وجهاً لوجه ـ رجب مختار مدكور ـ مكتبة الدين القيم ـ القاهرة ـ ١٤٠٥هـ.
١٢٤ـ الإيمان حقيقته، أركانه، نواقضه ـ د. محمد نعيم ياسين ـ دار الإيمان الإسكندرية.
١٢٥ـ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٣هـ.
١٢٦ـ شبهات حول التكفير ـ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ تعليق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ دار الوطن ـ الرياض ١٤١٦هـ.
١٢٧ـ التكفير، جذوره، أسبابه د. نعمان بن عبدالرزاق السامرائي ـ دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٨٦م.
١٢٨ـ العذر بالجهل ـ أحمد فريد ـ مكتبة الإيمان ـ الإسكندرية.
١٢٩ـ سعة رحمة رب العالمين ـ سيد بن سعدالدين الغباشي ـ دار المسلم ـ الرياض ـ ١٤١٥هـ.

١٣٠ـ حكم الجهل بمسائل الاعتقاد ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٦هـ.

١٣١ـ الحكم وقضية تكفير المسلم ـ سالم البهنساوي ـ دار البحوث العلمية، الكويت، مكتبة البشير.

١٣٢ـ حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات الإسلامية ـ د. بكر بن عبدالله أبو زيد ـ مكتبة ابن الجوزي.

١٣٣ـ مجلة البحوث الإسلامية ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد ـ العدد ٤٠ سنة ١٤١٤هـ.

١٣٤ـ مشروعية العمل الجماعي ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ دار الهجرة للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٣٥ـ الغياثي ـ غياث الأمم في التياث الظلم ـ إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ـ تحقيق د. عبدالعظيم الديب ـ إدارة الشؤون الدينية ـ قطر ـ ١٤٠٠هـ.

١٣٦ـ ابن تيمية والعمل الجماعي ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ الدار السلفية ـ الكويت.

١٣٧ـ بين الدعوة الفردية والدعوة الجماعية في الإسلام ـ الشيخ عبدالله ناصح علوان ـ دار السلام ـ القاهرة.

١٣٨ـ فتاوى إسلامية معاصرة ـ الدكتور يوسف القرضاوي ـ دار الوفاء ـ المنصورة.

١٣٩ـ طرق الدعوة إلى الإسلام ـ الشيخ علي الطنطاوي ـ مكتبة المنارة ـ جدة.

١٤٠ـ الأحزاب السياسية في الإسلام ـ صفي الرحمن المباركفوري ـ دار الصحوة ـ القاهرة ـ ١٤٠٧هـ.

١٤١ـ ذكرياتي مع جماعة المسلمين ـ عبدالرحمن أبو الخير ـ دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع ـ الكويت ـ ١٩٨٠م.

١٤٢ـ البيعة في النظام السياسي الإسلامي وتطبيقاتها في الحياة السياسية المعاصرة ـ عبدالرحمن أحمد صديق ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٣ـ جامع الرسائل ـ ابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ـ مطبعة المدني ـ جدة.

مراجع المصطلحات الفلسفية والثقافية

١٤٤ـ معجم الفلاسفة ـ إعداد جورج طرابيشي ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان.
١٤٥ـ المعجم الفلسفي ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ـ بدون
١٤٦ـ المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية الفرنسية والإنجليزية واللاتينية. د. جميل صليبا ـ دار الكتاب اللبناني بيروت ـ ١٩٨٢م.
١٤٧ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة ـ نقلها عن الإنجليزية ـ فؤاد كامل جلال العشري عبدالرشيد صادق.
١٤٨ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ـ د. يوسف كرم ـ دار القلم ـ بيروت.
١٤٩ـ قصة الفلسفة ـ ويل ديورانت ـ ترجمة أحمد الشيباني ـ دار القارىء العربي ـ القاهرة ـ ١٩٩٤م.
١٥٠ـ أسس الفلسفة ـ د. توفيق الطويل ـ مكتبة النهضة مصر ـ القاهرة.
١٥١ـ المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة ـ يوسف الصديق ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ـ ١٩٨٠م.
١٥٢ـ تاريخ الفكر الأوربي الحديث ـ رونالد سترومبرج ـ ترجمة أحمد الشيباني ـ دار القارىء العربي ـ القاهرة ـ ١٩٩٤م.
١٥٣ـ الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ـ د. محمد البهي ـ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٣م.
١٥٤ـ نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ـ د. راجح الكردي ـ مكتبة المؤيد ـ الرياض ١٩٩٢م.
١٥٥ـ قضايا معاصرة في ضوء الإسلام ـ د. حلمي عبدالمنعم صابر ـ دار عالم الكتب ـ الرياض ١٩٩٦م.
١٥٦ـ الإسلام والعلم التجريبي ـ د. فاروق الدسوقي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٥٧ـ الفلسفة وأثرها في أصول الدين ـ «مقال» محمد رشاد خليل ـ مجلة كلية أصول الدين ـ

جامعة الإمام ـ الرياض العدد العاشر .

١٥٨ ـ الماسونية في ميزان الإسلام . «مبحث اليوجا» ـ د . عبدالله عبدالحميد سمك ـ رسالة ماجستير مخطوط .

١٥٩ ـ الرد على المنطقيين ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ إشراف وتحقيق عبدالصمد شرف الدين الكبتي ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ باكستان ـ ١٩٧٦م .

١٦٠ ـ تسهيل المنطق ـ د . عبدالكريم بن مراد الأثري ـ مطابع سجل العرب .

١٦١ ـ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة .

١٦٢ ـ أدب البحث والمناظرة ـ القسم الأول والثاني ـ مقترحات منطقية الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة .

١٦٣ ـ صون منطوق الكلام عن المنطق وعلم الكلام ـ جلال الدين السيوطي ـ ويليه مختصر السيوطي لنصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان لابن تيمية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

١٦٤ ـ جاهلية القرن العشرين ـ محمد قطب ـ دار الشروق ـ بيروت .

١٦٥ ـ الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ـ على بخيت الزهراني ـ دار الرسالة للنشر والتوزيع ـ مكة المكرمة .

١٦٦ ـ مذاهب فكرية معاصرة ـ محمد قطب ـ دار الشروق بيروت ـ ١٩٧٥م .

١٦٧ ـ العلمانية ـ نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة ـ د . سفر الحوالي ـ دار مكة للطباعة والنشر ـ ١٤٠٢هـ .

١٦٨ ـ العلمانية وأثرها على الأوضاع الإسلامية في تركيا ـ عبدالكريم مشهداني ـ المكتبة الدولية ـ الرياض ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١٦٩ ـ السلطان عبدالحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية ـ محمد قربان ينازملا ـ مكتبة المنارة ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

١٧٠ ـ حقيقة الفكر الإسلامي ـ د . عبدالرحمن الزنيدي ـ دار المسلم ـ الرياض ١٤١٥هـ

١٧١ـ الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ـ د. محمود عثمان ـ الدار الإسلامية للطباعة والنشر ـ ١٩٨٨م.

١٧٢ـ موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ ـ د. أحمد العوايشة ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان ـ الأردن ١٤٠٢هـ.

١٧٣ـ الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإفتاء ـ الرياض.

١٧٤ـ الحرية والديمقراطية ـ حافظ صالح ـ دار الفتح ـ بيشاور ـ باكستان ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٧٥ـ معلمة الإسلام ـ أنور الجندي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٧٦ـ فلسفة الأخلاق نشأتها ـ تطورها ـ د. توفيق الطويل ـ دار النهضة العربية ١٩٧٦م.

١٧٧ـ جوامع الأخلاق والسياسة والحكمة ـ محمد العربي الخطابي ـ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ المغرب ١٩٩٣م.

١٧٨ـ مفهوم تجديد الدين ـ بسطامي محمد سعيد ـ دار الدعوة. الكويت ١٤٠٥هـ.

١٧٩ـ مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين ـ د. محمود الطحان ـ مكتبة التراث ـ الكويت ـ ١٤٠٥هـ.

١٨٠ـ غزو من الداخل ـ جمال سلطان ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٩٩١م.

١٨١ـ ثقافة الضرار ـ جمال سلطان ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٣هـ.

١٨٢ـ تجديد الفكر الإسلامي ـ جمال سلطان ـ دار الوطن ـ الرياض.

١٨٣ـ التجديد في الإسلام ـ المنتدى الإسلامي ـ لندن ١٤١٠هـ.

١٨٤ـ العصرانية في حياتنا الاجتماعية ـ د. عبدالرحمن الزنيدي ـ دار المسلم ـ الرياض.

١٨٥ـ العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ـ محمد حامد الناصر ـ مكتبة الكوثر ـ الرياض ـ ١٩٩٦م ـ ١٤١٧هـ.

١٨٦ـ العصريون معتزلة اليوم ـ يوسف كمال ـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ـ ١٩٩٠م.

١٨٧ـ المعتزلة بين القديم والحديث ـ محمد العبدة طارق عبدالحليم ـ دار الأرقم برمنجهام ١٩٨٧م.

١٨٨ـ دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ـ مصطفى فوزي غزال ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٩٨٣م.
١٨٩ـ محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة ـ سليمان بن صالح الخراشي ـ دار الجواب ـ الرياض ـ ١٩٩٣م.
١٩٠ـ منهج المدرسة العقلية في التفسير ـ د. فهد بن سليمان الرومي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣١٤هـ.
١٩١ـ تجديد الفكر الإسلامي ـ د. حسن الترابي ـ الدار السعودية للنشر ـ ١٩٨٧م.
١٩٢ـ تجديد أصول الفقه ـ د. حسن الترابي ـ دار الفكر ـ الخرطوم ـ ١٤٠٠هـ.
١٩٣ـ مواطنون لاذميون ـ فهمي هويدي ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ.
١٩٤ـ دليل المسلم الحزين ـ حسين أحمد أمين ـ دار الشروق ـ ١٤٠٥هـ.
١٩٥ـ التراث والتجديد ـ د. حسن حنفي ـ القاهرة ـ ١٩٨٠م.
١٩٦ـ التراث في ضوء العقل ـ د. محمد عماره ـ دار الوحدة ـ بيروت ـ ١٩٨٠م.
١٩٧ـ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ـ الشيخ محمد الغزالي ـ دار الشروق ـ بيروت ١٤٠٩هـ.
١٩٨ـ الصهيونية المسيحية ـ محمد السماك ـ دار النفائس ـ بيروت ـ ١٩٩٣م.
١٩٩ـ الأصولية الإنجيلية ـ صالح بن عبدالله الهذلول ـ دار المسلم ـ الرياض ـ ١٩٩٦م.
٢٠٠ـ الأصولية الإسلامية ـ د. حسن حنفي ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة.
٢٠١ـ الأصولية في العالم الغربي ـ ريتشارد هربدكميجان ـ ترجمة وتعليق عبدالوارث سعيد ـ دار الوفاء ـ المنصورة ـ ١٤٠٩هـ.
٢٠٢ـ الغلو في الدين ـ عبدالرحمن بن معلا اللويحق ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٩٢م.
٢٠٣ـ الغلو ـ عبدالله بن سلوم السامرائي ـ دار واسط للنشر ـ بغداد ـ العراق.
٢٠٤ـ حركة الغلو وأصولها الفارسية ـ نظلة الجبوري ـ مكتبة ابن تيمية ـ المحرق ـ البحرين ـ ١٩٨٩م.
٢٠٥ـ حركات الغلو والتطرف في الإسلام ـ د. أحمد عبدالقادر الشاذلي ـ الدار المصرية للكتاب ـ القاهرة.

٢٠٦ـ فقه النوازل «مبحث المواضعة في الاصطلاح» الجزء الأول ـ د. بكر بن عبدالله أبو زيد ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ١٩٩٥م.

٢٠٧ـ منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلى الله ـ د. عبدالله الحوشاني ـ مركز الدراسات والإعلام ـ دار إشبيليا ـ الرياض ـ ١٩٩٦م.

٢٠٨ـ منهج إمام الحرمين في العقيدة. د. أحمد بن عبداللطيف العبد اللطيف ـ مركز الملك فيصل للدراسات والأبحاث ـ الرياض ـ ١٩٩٥م.

٢٠٩ـ خفايا الطائفة البهائية: د. أحمد عوف ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة.

٢١٠ـ البهائية والنظام العالمي الجديد ـ المحامي أحمد وليد سراج ـ دار طلاس ـ دمشق.

٢١١ـ الإسلام والحضارة الغربية ـ د. محمد محمد حسين ـ دار الرسالة ـ مكة المكرمة ١٤١٣ ـ ١٩٩٣م.

٢١٢ـ الروحية الحديثة دعوة هدامة «تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية» د. محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة بيروت. ١٩٨٦م.

٢١٣ـ تحضير الأرواح بين الحقيقة والخداع ـ د. محمد أحمد الخطيب ـ مكتبة الأقصى ـ عمان الأردن.

٢١٤ـ موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ـ الجزء الأول ـ كتاب الله ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.

٢١٥ـ الموسوعة السياسية ـ عبدالوهاب الكيالي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٥م.

٢١٦ـ معجم العلوم الاجتماعية ـ إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٥م.

٢١٧ـ المعجم الاقتصادي الإسلامي. د. أحمد الشرباصي ـ دار الجليل ـ الأردن ـ ١٩٨١م.

٢١٨ـ من مبادىء الاقتصاد الإسلامي. محمود بن إبراهيم الخطيب ـ بدون ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢١٩ـ الموجز في الاقتصاد الإسلامي. د. محمد شوقي الفنجري ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة.

٢٢٠ـ النظم الإسلامية والمذاهب المعاصرة ـ د. حسن عبدالحميد ـ دار الرشيد ـ الرياض ـ ١٤١٠هـ.
٢٢١ـ الملكية في الشريعة الإسلامية ـ د. عبدالسلام العبادي ـ عمان ١٣٩٧هـ.

مراجع في مصطلحات الصوفية والتصوف

٢٢٢ـ معجم ألفاظ الصوفية ـ د. حسن الشرقاوي ـ مؤسسة مختار ـ مصر ـ ١٩٨٧م.
٢٢٣ـ معجم مصطلحات التصوف ـ كمال الدين القاشاني ـ تحقيق د. محمد كمال جعفر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨١م.
٢٢٤ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ـ الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ مكتبة ابن تيمية الكويت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٢٥ـ فلسفة وحدة الوجود: أصولها وفترتها الإسلامية د. نظلة الجبوري ـ مكتبة ابن تيمية ـ المحرق ـ البحرين ١٤٠٩هـ.
٢٢٦ـ إبطال وحدة الوجود والرد على من قال بها ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق وتخريج وتعليق ـ محمد بن حمود النجدي ـ لجنة البحث العلمي بجمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت ـ ١٩٩٢م.
٢٢٧ـ مدارج السالكين تحقيق محمد حامد الفقي دار الكاتب العربي ـ بيروت ١٣٩٢هـ.
٢٢٨ـ وسائل الاتصال عند الصوفية ـ سارة بنت عبدالمحسن ـ دار المنارة ـ جدة.
٢٢٩ـ دراسات في التصوف ـ إحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور.
٢٣٠ـ ولاية الله والطريق إليها دراسة وتحقيق قطر الولي على حديث الولي الشوكاني ـ د. إبراهيم هلال ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.
٢٣١ـ الصوفية ـ محمد العبدة طارق عبدالحليم ـ دار الأرقم ـ برمنجهام.
٢٣٢ـ التصوف بين الدين والفلسفة ـ د. إبراهيم هلال ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة.
٢٣٣ـ الله توحيد وليس وحدة ـ د. محمد البلتاجي ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.
٢٣٤ـ إلى التصوف عباد الله ـ الشيخ أبو بكر الجزائري ـ مكتبة البخاري للنشر والتوزيع ـ بريدة ـ القصيم.

٢٣٥ـ أبو حامد الغزالي والتصوف ـ عبدالرحمن دمشقية ـ دار طيبة ـ الرياض .
٢٣٦ـ الرفاعية ـ عبدالرحمن دمشقية ـ دار طيبة ـ الرياض .
٢٣٧ـ التيجانية ـ د . علي بن محمد الدخيل الله ـ دار طيبة ـ الرياض .
٢٣٨ـ التيارات الوافدة ـ أنور الجندي ـ دار الصحوة ـ القاهرة ـ ١٩٩٤م .
٢٣٩ـ مجموع الرسائل والمسائل . شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ـ مطبعة المدني ـ جدة .

مراجع مصطلحات مصطلح الحديث والفقه وأصوله

٢٤٠ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ـ الحافظ ابن كثير ـ شرح العلامة أحمد محمد شاكر ـ تعليق المحدث محمد ناصر الدين الألباني ـ تحقيق علي بن حسن عبدالحميد ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ١٤١٥هـ .
٢٤١ـ تيسير مصطلح الحديث ـ د . محمود الطحان ـ دار التراث العربي ـ القاهرة ـ ١٩٨١م .
٢٤٢ـ السنة قبل التدوين ـ د . محمد عجاج الخطيب ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٨٣م .
٢٤٣ـ دراسات في الحديث النبوي ـ د . مصطفى الأعظمي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .
٢٤٤ـ الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ الدار السلفية ـ الكويت .
٢٤٥ـ حجية السنة ـ د . عبدالغني عبدالخالق ـ دار الوفاء ـ المنصورة ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .
٢٤٦ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ـ مصطفى السباعي ـ مكتبة العروبة ـ القاهرة ـ ١٣٨٠هـ .
٢٤٧ـ الموسوعة الفقهية ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٤٠٨هـ .
٢٤٨ـ دراسات فقهية ـ د . نزيه حماد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
٢٤٩ـ معجم لغة الفقهاء ـ د . محمد رواس قلعجي ـ د . حامد صادق قنبي ـ دار النفائس ـ بيروت ـ ١٩٨٨م .

٢٥٠ـ الجهاد ورد كيد المعتدين ـ الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ دار ابن القيم ـ الدمام ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٥١ـ الجهاد في سبيل الله ـ الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ لجنة شباب فلسطين ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض.

٢٥٢ـ افتراءات حول غايات الجهاد ـ د. محمد نعيم ياسين ـ دار الأرقم ـ الكويت ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٥٣ـ تحصيل الزاد في تحقيق الجهاد ـ د. سعيد عبدالعظيم ـ مكتبة الإيمان ـ الإسكندرية

٢٥٤ـ أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ـ د. علي بن نفيع العلياني ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٤٠٥هـ.

٢٥٥ـ مرحلية تشريع الجهاد ـ د. محمد بن أحمد إسماعيل المقدم (محاضرة مسجد الفتح الإسكندرية) «شريط كاست».

٢٥٦ـ المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم ـ الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ إعداد أبي عبدالله بن إبراهيم آل البليطيح ـ الوايلي ـ دار المنار ـ الرياض ـ ١٤١٤هـ.

٢٥٧ـ مفهوم الطاعة والعصيان ـ د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي ـ دار المسلم ـ الرياض ـ ١٤١٦هـ.

٢٥٨ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ـ الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن أيوب الشهير بابن القيم الجوزية ـ تحقيق عبدالرحمن الوكيل ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٩م.

٢٥٩ـ القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ـ الإمام محمد علي الشوكاني ـ تحقيق الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ـ دار القلم ـ الكويت ١٣٩٦هـ.

٢٦٠ـ الدرة البهية في التقليد والمذهبية من كلام شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ محمد شاكر الشريف ـ دار الأندلس ـ جدة ـ ١٤٠٨هـ.

٢٦١ـ بدعة التعصب المذهبي ـ محمد عيد العباسي ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان ـ الأردن ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٦٢ـ تعريف الراغب بحقيقة المذهبية والمذاهب ـ محمد عيد عباسي ـ المكتبة الإسلامية

عمان ـ الأردن ـ ١٤١٠هـ .

٢٦٣ـ الأعراف البشرية ـ د. عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ـ عمان ـ الأردن .

٢٦٤ـ البدعة أسبابها ومضارها ـ الشيخ محمود شلتوت تحقيق على حسن عبدالحميد ـ مكتبة ابن الجوزي ـ الإحساء ١٩٨٨م .

٢٦٥ـ الاعتصام ـ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٢٦٦ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ـ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ تحقيق د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

مراجع مصطلحات اليهودية والنصرانية والديانات الشرقية

٢٦٧ـ الكتاب المقدس دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ـ بيروت .

٢٦٨ـ قاموس الكتاب المقدس نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ـ إصدار مجمع كنائس الشرق الأدنى ـ بيروت .

٢٦٩ـ دائرة المعارف الكتابية د. القس صموئيل حبيب د. القس فايز فارس ، القس منيس عبدالنور دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٨٨م .

٢٧٠ـ علم اللاهوت الكتابي القس منيس عبدالنور ـ دار الثقافة ـ القاهرة .

٢٧١ـ اليهودية الدكتور أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٨٢م .

٢٧٢ـ الأسفار المقدسة قبل الإسلام د. صابر طعيمة ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م .

٢٧٣ـ المسيح المنتظر وتعاليم التلمود الدكتور محمد علي البار ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة ـ ١٩٨٧م .

٢٧٤ـ الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ـ الدكتور محمد علي البار ـ دار القلم ـ دمشق ـ ١٩٩٠م .

٢٧٥ـ النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ـ لواء أحمد عبدالوهاب ـ مكتبة وهبة

ـ القاهرة ـ ١٩٩٢م .
٢٧٦ـ عصمة الأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام ـ د. محمود ماضي ـ مكتبة الإيمان ـ الإسكندرية .
٢٧٧ـ الروح القدس وجبريل في اليهودية والنصرانية والإسلام ـ د. عمر الداعوق ـ مقال مجلة الدراسات الإسلامية والعربية ـ الإمارات ـ دبي العدد العاشر ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .
٢٧٨ـ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية «رؤية نقدية» ـ د. عبدالوهاب المسيري مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ١٤١٥هـ .
٢٧٩ـ أسماء الله في الكتاب المقدس ـ القس منيس عبدالنور ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٧٩م .
٢٨٠ـ المسيحية وتطورها ـ شارل جينيبر ـ ترجمة د. عبدالحليم محمود ـ دار المعارف ـ القاهرة .
٢٨١ـ الكهنوت ـ عوض سمعان ـ دار الثقافة ـ القاهرة ١٩٧٩م .
٢٨٢ـ تفسير العهد الجديد ـ د. وليم باركلي نقله إلى العربية القس فهيم عزيز ـ دار الثقافة ١٩٨٦م .
٢٨٣ـ الفكر اللاهوتي في كتابات بولس ـ القس الدكتور فهيم عزيز ـ دار الثقافة ـ القاهرة ١٩٨٠م .
٢٨٤ـ الأصول الوثنية للمسيحية ـ أندريه غايتون إدوغارويند كارل غوستايونغ ـ ترجمة سميرة عزمي الزين ـ سلسلة من أجل الحقيقة ـ المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ـ ١٩٩١م .
٢٨٥ـ بولس وتحريف المسيحية ـ أندريه غايتون إدوغارويند كارل غوستايونغ ـ ترجمة سميرة عزمي الزين ـ سلسلة من أجل الحقيقة ـ المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ـ ١٩٩١م .
٢٨٦ـ دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة الآب جان كبي ـ دار المشرق بيروت ـ ١٩٩٤م .
٢٨٧ـ تاريخ الكنيسة ـ جون لوريمر ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٩٠م .
٢٨٨ـ تاريخ الأقباط زكي شنودة ـ مطبعة التقدم ـ القاهرة .
٢٨٩ـ الكنائس القبطية القديمة في مصر ألفريد ج بتلر ـ ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٣م .

٢٩٠ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ مطبعة المدني ـ القاهرة.

٢٩١ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ابن القيم الجوزية ـ تحقيق محمد كيلاني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة.

٢٩٢ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ابن قيم الجوزية ـ اعتنى به د. أحمد حجازي السقا ـ المكتبة القيمة القاهرة ١٣٩٩هـ.

٢٩٣ـ شفاء الغليل لما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ـ أبو المعالي إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني ـ تقديم وتحقيق د. أحمد حجازي السقا ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ مصر.

٢٩٤ـ المسيحية ـ د. أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٨٢م.

٢٩٥ـ الكنيسة القبطية ـ فكرها ومنهجها د. عبدالعزيز النغيمشي ـ رسالة ماجستير مخطوط.

٢٩٦ـ تاريخ أوربا في العصور الوسطى د. السيد عبدالفتاح الباز ـ مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٩٧ـ موقف الإسلام والكنيسة من العلم د. عبدالله المشوي ـ مكتبة المنار ـ الأردن ١٩٨٢م.

٢٩٨ـ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ـ القرافي ـ تحقيق د. بكر عوض ـ القاهرة ـ ١٩٨٦م.

٢٩٩ـ الإنجيل دراسة وتحليل ـ د. محمد شلبي شتيوي ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٠٠ـ تاريخ الإنجيل والكنيسة ـ أحمد إدريس ـ دار حراء ـ مكة المكرمة.

٣٠١ـ إظهار الحق ـ الشيخ رحمت الله الهندى ـ تحقيق د. محمد أحمد محمد عبدالقادر الملكاوي ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية للإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض.

٣٠٢ـ محاضرات في النصرانية ـ الشيخ محمد أبو زهرة ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية للإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض.

٣٠٣ـ مقارنة بين الأناجيل الأربعة ـ د. محمد علي الخولي ـ دار الفلاح للنشر والتوزيع ـ صويلح ـ الأردن ـ ١٩٩٣م.

٣٠٤ـ اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية ـ لواء. أحمد

عبدالوهاب ـ مكتبة وهبة القاهرة.

٣٠٥ـ المسيح في مصادر العقائد المسيحية ـ لواء. أحمد عبدالوهاب ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة.

٣٠٦ـ الأقانيم ـ د. أحمد حجازي السقا ـ دار الأنصار ـ القاهرة.

٣٠٧ـ التثليث ـ مفهومه ـ تطوره ـ د. محمد رجب شتيوي ـ «مقال» مجلة الشريعة العدد الخامس السنة الثالثة ـ ١٤٠٦هـ.

٣٠٨ـ العقائد الوثنية في النصرانية ـ الشيخ محمد طاهر التنير ـ تحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوي ـ دار الصحوة ـ ١٤١٠هـ.

٣٠٩ـ منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ـ د. عبدالراضي بن محمد عبدالمحسن ـ مكتبة التربية الإسلامية ـ الجيزة ـ ١٩٩٢م.

٣١٠ـ سلسلة التنوير الإسلامي رقم ٢ ـ مركز التنوير الإسلامي ـ أبو إسلام أحمد عبدالله ـ القاهرة ـ ١٩٩٦م.

٣١١ـ شهود يهوه ـ التطرف المسيحي في مصر أبو إسلام أحمد عبدالله ـ بيت الحكمة ـ ١٩٩١م.

٣١٢ـ شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكية وقاعة التلمود اليهودي د. حسين عمر حمادة ـ دار قتيبة ـ دار الوثائق ـ بيروت ـ دمشق ١٩٩٠م.

٣١٣ـ أديان الهند ـ د. أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة العربية القاهرة.

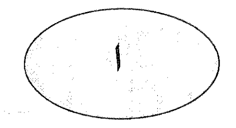
٣١٤ـ الأديان القديمة في المشرق ـ د. رؤوف شلبي ـ دار الشروق ـ بيروت.

٣١٥ـ أديان الهند ـ د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ـ مخطوط.

٣١٦ـ غلاة الشيعة مبحث الزرادشتية ـ محمد علي الزعبي ـ بدون ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٣١٧ـ المدخل لدراسة الأديان ـ العميد عبدالرزاق الأسود ـ دار المسيرة ـ الدار العربية للموسوعات ـ بيروت.

فهرس المحتويات الألفبائي[1]



المصطلح	الصفحة

(١) المصطلحات ذات البنط الكبير تمثل المداخل الرئيسة للموسوعة، تمييزًا لها عن مداخل المعجم.

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

غ

ف

ق

ك

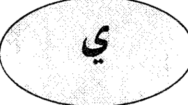
ل

م

ن

هـ

و



ي

فهــرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

فهـــرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة